تراثنا

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى

تأليف

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمّد بن على

(١٠٣٥-١١٠٠هـ ، ١٦٢٥-١٦٨٩م)

تحقيق وتقديم

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

مراجعة

د. محمد مصطفى زياده

القسم الأول

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالقاهرة
١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

— ١ —

اليمن بلد عربى حبيب ، يرتبط اسمه بأزهى صفحات تاريخ العروبة قبل ظهور الإسلام وبعده . ففى الجاهلية شهدت أرضه الطيبة أقدم الحضارات العربية — وعلى رأسها حضارات معين وسبأ وحمير — ، وما زالت أنحاء اليمن حتى اليوم تعج بالآثار وبقايا المنشآت والسدود العظيمة التى تشهد على ما كان لهذا البلد العربى من نشاط حضارى واسع فى تلك العصور البعيدة . وفى الأحداث التى صحبت ظهور الإسلام أسهم أهل اليمن بسهم وافر ، سواء فيما تعلق من تلك الأحداث بشبه الجزيرة العربية أوما جاء خارجها مثل حركة الفتوح العربية الإسلامية . ولم يلبث أن أصبح اليمن جزءاً أصيلا من أجزاء الدولة العربية الإسلامية التى امتدت من المحيط إلى الخليج ، له نصيب مرموق فى مختلف التيارات السياسية والمذهبية والفكرية والحضارية التى ماجت بها تلك الدولة طوال العصور الوسطى .

وفوق هذا وذاك ، فقد كان لليمن بحكم موقعه الجغرافى نشاط تجارى هام ، أكسبه

أهمية خطيرة فى مختلف أدوار تاريخه منذ أقدم العصور . فبلاد اليمن فى ذلك الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية تعتبر حلقة اتصال بين الهند وما يليها من بلاد شرق آسيا من جهة ، وبين الصومال والحبشة وما يجاورهما من بلاد شرق إفريقيا من جهة ثانية ، ثم بين بلاد البحر الأحمر وما يليها من البلاد المطلة على البحر المتوسط من جهة ثالثة . لذلك لا عجب إذا ظلت بلاد اليمن منذ أقدم العصور ملتقى القوافل والسفن التجارية الوافدة من الإمبراطورية الرومانية وفارس والحبشة والهند والصين ، وغيرها من البلاد . ويشهد التاريخ دائماً على أنه مع النشاط التجارى يكون الرخاء والازدهار الحضارى . هكذا كان الحال بالنسبة للفينيقيين واليونانيين فى العصور القديمة ، والعرب وسلطنة المماليك فالجمهوريات الإيطالية فى العصور الوسطى ، ثم البرتغال وهولندا وإنجلترا وفرنسا فى مطلع العصور الحديثة . وإذا كانت بلاد اليمن بحكم نشاطها التجارى وثروتها الطبيعية قد نهضت فى العصور القديمة والوسطى برسالة حضارية ضخمة ، فإن ذلك جاء متمشياً مع تلك القاعدة .

على أنه يبدو من دراسة تاريخ اليمن أن الميزات الطبيعية الكبرى التى تمتع بها هذا البلد العربى لم تكن دائماً نعمة صافية خالصة ، وإنما كانت أحياناً نعمة مشوبة ، بل كانت فى بعض الحالات — وإلى حدٍ ما — نقمة عليه وعلى أهله . فموقع اليمن التجارى الفذ وثروته الطبيعية المتنوعة ، جعلته دائما مطمع الطامعين وموضع حسد الحاسدين . وكان أن تعرض اليمن قبل الإسلام لغزوات الأحباش والفرس ، وفى العصور الوسطى استغلت بعض الطوائف المذهبية والسياسية تطرف موقع اليمن بالنسبة للدولة الإسلامية الكبرى ، وأرادت أن تستفيد من موقعه وثروته وتتخذه مركزاً لنشاطها ، مما أوقع اليمن فريسة لحروب ومنازعات وفتن داخلية لا حصر لها . وهكذا حتى كان القرن العاشر الهجرى (السادس عشر للميلاد) عندما تعرض اليمن — مثل كثير غيره من أنحاء الوطن العربى — للغزو العثمانى ، فخيم الركود والجهل والتأخر على أرجائه أمداً طويلا . وإذا كان اليمن قد تخلص من حكم العثمانيين فى أوائل القرن العشرين ، فإن أئمة اليمن من آل حميد

الذين فرضوا على اليمن ستاراً كثيفاً من الجمود القاتل والرجعية الفاسدة والعزلة المطلقة ، وتجنب الإصلاح فى شتى مرافق البلاد وشئونها ، الأمر الذى جعل اليمن فى النصف الأول من القرن العشرين أشد أجزاء الوطن العربى تخلفاً ، مع ما لهذا القطر الشقيق من إمكانيات ضخمة كفيلة بأن تجعله أكثر البلاد العربية تقدماً .

— ٢ —

وأخيراً قامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لتخرج اليمن من عزلته ، وتفتح الطريق أمام شعب اليمن العربى ليأخذ مكانه الطبيعى وسط الأمة العربية الكبرى ، ويستأنف نشاطه الحضارى الذى توقف مدى عدة قرون . ومنذ يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وأنظار الأحرار جميعاً تتجه إلى اليمن بعيون ملؤها الأمل فى غد مشرق ومستقبل باسم ، ينهض اليمن فيه برسالته الكبرى بوصفه عضواً عاملا فى الوطن العربى الناهض من جهة وفى المجتمع البشرى الكبير من جهة أخرى .

وكان من الطبيعى أن يعكف الأساتذة المتخصصون من أبناء الأمة العربية — كل فى فرع تخصصه وفنه — على دراسة أوضاع اليمن الشقيق ، دراسة علمية جادة ، يكون لها أثرها الفعال فى بناء نهضة ذلك الركن الهام من أركان الوطن العربى . ومن بين هذه الدراسات المتنوعة التى تشغل بال المتخصصين اليوم ينبغى أن تأخذ الدراسة التاريخية مكانها الأساسى ، لأن ثورة سبتمبر ١٩٦٢ قامت فى اليمن لترث تركة رهيبة مثقلة بالمشاكل والهموم . ذلك أن التخلف الفكرى والاجتماعى والاقتصادى الذى يعانى منه اليمن ، إنما تمتد جذوره إلى الماضى البعيد . وإذا كان أخطر ما يعانى منه المجتمع اليمنى الحديث اليوم هو تغلغل النظام القبلى تغلغلا عميقاً فى بناء المجتمع ، واتجاه ولاء الأفراد نحو القبيلة بدلا من الدولة ، ثم اشتداد المنافسات والمنازعات والخصومات بين كثير من قبائل اليمن بعضها وبعض لعوامل مذهبية ومادية واضحة ؛ فان بناء اليمن بناء جديداً سليما مترابطاً ينبغى أن يبدأ بالقضاء على هذه الرواسب — رواسب الماضى البغيض ؛

وذلك بتفتيت العصبية القبلية وتذويب الخلافات المذهبية وتطوير عقلية الناس تطويراً يجعلهم يعملون من أجل أمتهم ووطنهم لا من أجل عشيرتهم وقبيلتهم .

على أنه يتعذر القضاء على هذه الرواسب والأمراض دون معرفة أصولها التاريخية لأن مايشكو منه المجتمع اليمنى اليوم من مشاكل ترجع جذورها — كما سبق أن ذكرنا — إلى أعماق التاريخ . وأى علاج لهذه المشاكل دون معرفة أصولها وجذورها إنما يكون علاجا سطحياً عابراً لا نرجو منه استمراراً أو نفعاً . وهنا يأتى دور المؤرخ ليكشف عن أسباب الداء وجذوره ، ونشأته وتطور أدواره ، وعندئذ يسهل على المصلح الاجتماعى والسياسى أن يصف طريق العلاج ؛ وإذا عرف الداء سهل العلاج .

ومادام من المستحيل قطع الصلة بين حاضر أى بلد وماضيه ، فإنه من الضرورى دراسة الماضى لمعرفة الحاضر . وتاريخ أى بلد من البلدان أو ماضى أى شعب من الشعوب إنما يستمد من مصادره الأصلية ومراجعه الأولى على اختلاف أنواعها . ومن هذه المصادر والمراجع كتابات السابقين ، وهى الكتابات التى ما زال الجزء الأكبر منها — بالنسبة لليمن بالذات — مخطوطاً بعيداً عن أعين الباحثين . ومع أن النهضة المعاصرة التى يشهدها الوطن العربى منذ سنة ١٩٥٢ اهتمت اهتماما بالغاً بإحياء التراث العربى ونشر المخطوطات العربية التى تزخر بها مكتبات العالم مشرقه ومغربه ، إلا أنه يجب علينا أن نعترف بأن نصيب تاريخ اليمن من حركة إحياء التراث العربى ما زال ضعيفاً لا يتناسب إطلاقا وأهمية هذا القطر الشقيق . وهذا الإحساس هو الذى دفعنى فى حقيقة الأمر إلى اختيار هذه المخطوطة لتحقيقها ونشرها .

— ٣ —

واسم مؤلف هذا الكتاب يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن على ، قيل إنه ولد سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥م) تقريباً ، وتوفى سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م) أو سنة ١١٠٠هـ (١٦٨٩م) على الأرجح[1] ؛ فهو من علماء اليمن فى القرن الحادى عشر الهجرى . وقد

(١) انظر كتاب : نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف المجلد ، الثانى ، ص ٨٥٤ .

وصفه الكتاب بأنه مؤرخ مجتهد ، عالم ، محقق ، بحاثة ، من أهل صنعاء . ذكر الشوكانى فى البدر الطالع أن يحيى بن الحسين قرأ على السيد أحمد بن الشامى ، وعلى السيد الحسين ابن محمد التهامى ، والقاضى إبراهيم بن يحيى السحولى . وقرأ الأصول على أحمد بن صالح العنسى ، وأجاز له أحمد بن سعد الدين المسورى سنة ١٠٥٨ ، وله إجازة عامة من القاضى الحسين بن يحيى الصعدى وإجازة أخرى من الشيخ عبدالرحيم بن شاه اللاهورى الهندى، وأخذ عنه كثيرون .

وأجمع الباحثون على أن يحيى بن الحسين له مؤلفات ومصنفات جليلة ، تزيد على الأربعين كتابا ، منها أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ، وبهجة الزمن فى حوادث اليمن ، والعبر فى أخبار من مضى وغبر ، والزهر فى أعيان العصر ، وصوارم اليقين لقطع شكوك القاضى أحمد بن سعد الدين، والإيضاح لما خفى من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى ، والمستجاد فى بيان علماء الاجتهاد ، والبيان لما خفى من القرآن، وشرح مجموع زيد بن على ، وطبقات الزيدية . . . ومن هذا العرض لبعض مؤلفاته يتضح أنه عالج فى مؤلفاته فنونا عديدة ، منها التاريخ .

على أن كتاب أنباء الزمن يعتبر أهم مصنفات يحيى بن الحسين على وجه الإطلاق . وجاء هذا الكتاب بمثابة دائرة معارف ضخمة فى تاريخ اليمن فى العصور الوسطى ، فحاز هذا الكتاب إعجاب المعاصرين ، ومدحوا مؤلفه ودعوا له ، ومن ذلك ما قاله بعضهم :

أصلح الله ليحيى كل أعمال ونية
وجزاه الخير لما جمع أخبار البرية

غير أنه يبدو أن كتاب أنباء الزمن جاء مطولا ، به كثير من الاستطرادات والتفاصيل التى ترهق الباحث . لذلك اتجه البعض نحو اختصار هذا الكتاب . ومن هذه المختصرات ما قام به إسماعيل بن أحمد بن على بن المتوكل ، ولكن مختصره جاء غير سليم ، لم يحسن فيه التفرقة بين ما ينبغى إبقاؤه وما يجوز حذفه . وقد علق

بعضهم فى ختام مخطوطة هـذا المختصر المصورة بمـكتبة جامعة القاهرة أن إسماعيل بن أحمد « أخل فى فرط اختصاره » .

هذا إلى أنه أضاف إلى الـكتاب أجزاء من تاريخ محسن بن أحسن أبى طالب ، المسمى : « طيب الـكسا » ؛ فجاء هـذا المختصر بعيـداً عما أراده المؤلف فى كتابه الأصلى .

على أن مؤلف كتاب « أنباء الزمن » أحس نفسه أن كتابه أطول مما ينبغى ، وأن به من التفصيلات والاستطرادات ما ينبغى حذفه ، فقام بوضـع مختصر له أسماه « عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن » . ثم رأى أن يختار لهـذا الـكتاب اسماً جديداً ، فسماه : « غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى » . وهـذا هو الـكتاب الذى نقدمه اليوم للباحثين فى تاريخ اليمن .

— ٤ —

ويبدأ المؤلف كتابه هذا بنبذة عن بلاد اليمن ومكانتها بين بلاد العـالم ، ثم ينتقل إلى ذكر مولد الرسـول عليه الصلاة والسلام ، ويتـكلم عن نشأته فى إيجاز حتى كانت الهجرة ، فيتبع فى كتابته نظام الحوليات حسب تسلسل السنوات الهجرية مع العناية بأخبار انتشار الإسلام بين أهل اليمن ، ثم ذكر أسماء عمال النبي (ص) على اليمن وأهم أعمالهم ، ثم ولاة بنى أمية وبنى العباس ، وما تعرض له اليمن فى تلك العصور من أحداث داخلية وخارجية .

ويبدو أن المؤلف حرص دائمـاً على ألا تشده أحداث الدولة الإسـلامية الـكبرى بعيـداً عن مسرح نشـاطه الأصلى وهو اليمن . ومن ذلك ما يقوله فى حوادث سنة ٣٢٠ هـ ، ونصه : « وكان من أخبارهم ما هو مشهور فى كتب الأخبـار ، فلا حاجة إلى ذكره ، لأنه يخرج بنا عما نحن بصدده من ذكر ما يتعلق بأحوال اليمن » . فهو مثلا يتـكلم عن الفتوحات العربيـة الإسلامية ، ولـكنه لا يغفل إبراز دور

المجاهدين من أهل اليمن فى تلك الفتوحات ، ويشير إلى أنهم أبلوا بلاء حسناً فى فتح الشام ، فاستشهد منهم كثيرون ، وظفر مَنْ بقى حياً بالغنائم الوفيرة . وبعبارة أخرى فإن الدارس لهذا الكتاب يشعر دائماً بأنَّ المؤلف إذا نظر أحياناً إلى خارج اليمن بإحدى عينيه ، فإن عينه الأخرى تظل دائماً ترقب أحداث اليمن ، وما يجرى فيه من تيارات ، أو ما يتم فيه من أعمال . ومن الواضح أنه لا يمكن فى كثير من الحالات فصل تاريخ قطر عربى — مثل اليمن — عن التاريخ العام للأمة العربية الكبرى .

على أن ما أصاب الدولة الإسلامية من انقسام وتفتت على عصر الخلافة العباسية ، لم يلبث أن ظهرت صورته بوضوح فى اليمن بالذات ، إذ لم يستطع الخلفاء العباسيون السيطرة على اليمن منذ أوائل القرن الثالث للهجرة ، مما مهد لقيام دول مستقلة فى اليمن ، فضلا عن الإمامة التى ثبتت أقدامها فى صعدة منذ أواخر القرن الثالث الهجرى . وجميع هذه الأحداث تعرض لها المؤلف حيناً بالذكر وأحياناً بالشرح والتعليق ، وخاصة الحروب الطويلة التى نشبت بين مختلف الحكام فى اليمن ، أو بينهم وبين بعض القوى الأخرى الخارجية ، الأمر الذى جعل بلاد اليمن تغرق لمدى بضعة قرون فى بحر مظلم من الفوضى والانحلال ، حتى جاء الغزو العثمانى لليمن قرب منتصف القرن العاشر الهجرى ، فزاد الطين بله ، وأنزل أفدح الضرر بالبلاد والعباد . وجدير بالذكر أن المؤلف عاش فى العصر الذى سيطرت الدولة العثمانية فيه على معظم بلاد الشرق الأوسط العربى ، وشهد بداية الانكماش للنفوذ العثمانى فى تلك البلاد ، فشرح شرحاً مستفيضاً المقاومة التى صادفها العثمانيون فى اليمن بوجه خاص ، والصعوبات العديدة التى اعترضت بسط سيطرتهم على تلك البلاد .

وهكذا جاء كتاب « غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى » سجلا حافلا لتاريخ اليمن حتى سنة ١٠٤٥ هـ (١٦٣٥ م) . ويزيد من قيمة هذا الكتاب فى نظرنا أن مؤلفه أوتى من سعة الأفق ما جعله يحرص دائما على أن يضمّن كتابه كثيرا من التعليقات

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعطي كتابه أهمية خاصة . فهو مثلا يشير إلى شجرة القات وشجرة البن ، وبداية ظهورهما فى اليمن لأول مرة . ويتكلم عن استعمال الأسلحة النارية والبنادق فى اليمن وأثرها . ويعطى أهمية خاصة لظهور النفوذ الأوربى البرتغالى فى بحر الهند ومدخل البحر الأحمر . . . كل ذلك ذكره المؤلف « على وجه الاختصار ، إذ لا سبيل إلى استكمال جميع الأخبار » على حد قوله .

— ٥ —

واعتمدنا فى تحقيق هذا الكتاب على نسختين ، الأولى صورة فوتوغرافية للمخطوطة المحفوظة بمكتبة على أميرى باسطنبول (رقم ٢٣٧٥ — ف ٨٥٣) وتقع فى ١٢٩ ورقة حجم كبير ؛ وهذه الصورة مأخوذة عن ميكروفيلم محفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ٧٤٢ . أما النسخة الأخرى فهى صورة فوتوغرافية للمخطوطة المحفوظة من نفس الكتاب بمكتبة خدا بخشى متنه (رقم ٢٣١٥ — ف ٣٠٨٥) وتقع فى ١٣٩ ورقة — حجم كبير ، وهذه الصورة مأخوذة عن ميكروفيلم محفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ١١٤٢ . والنسختان مكتوبتان بالخط اليمنى ، الأولى كتبها محسن بن مهدى بن حسين الحبّي سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) ؛ والثانية كتبها مقبل بن عبدة بن الحاج على عتلة سنة ١١٩٦ هـ (١٧٨٢م) . وتتفق النسختان فى أن معظم كلماتهما غير منقوط ، وإن كانت النسخة الأولى أكثر وضوحا من الثانية ، ومن ثم اتخذناها أساسا فى عملية التحقيق .

وكان من الطبيعى أن نرجع فى تحقيق هذا الكتاب وتصحيح ألفاظه وشرح عباراته وضبط ما فيه من أسماء وأعلام إلى عدد كبير من المراجع والكتب المخطوطة والمطبوعة ؛ منها كتاب « أنباء الزمن » وهو الكتاب الكبير الذى كتبه المؤلف نفسه ، واختصر عنه هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للباحث فى تاريخ اليمن . وتوجد من كتاب « أنباء الزمن » نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٤٧ ، كما يوجد له مختصر مصور بمكتبة جامعة القاهرة .

فإذا كنا وفقنا فى هذا العمل ، فإننا نحمد الله على هذا التوفيق و نسأله أن يمكننا دائما من خدمة أمتنا العربية وتراثها المجيد . أما إذا اكتشف الباحث هفوة فى تحقيق لفظ أو ضبط عَلَم أو تفسير عبارة ، فإننا نرجوه أن يقدر طبيعة العمل فى مخطوطة كثير من سطورها بل من صفحاتها غير واضح ، ومعظم ألفاظها غير منقوط ، وعديد من كلماتها بعيد عن الأذن العربية فى العصور الحديثة .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشكر كل من عاوننى فى إنجاز هذا العمل ، وأخص بالشكر العميق السيد الفاضل الأستاذ صديق أحمد عيسى المطيعى بمكتبة جامعة القاهرة ، لما قدمه لى من معونة صادقة تستحق كل تقدير .

والله ولى التوفيق ؟

سعيد عبد الفتاح عاشور
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب جامعة القاهرة

المصادر والمراجع المستخدمة فى تحقيق هذا الكتاب

— إبراهيم رفعت :

مرآة الحرمين (جزءان) ـ القاهرة ١٩٢٥

— الأبشيهى (بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور المحلى) :

المستطرف فى كل فن مستظرف (جزءان) ـ القاهرة ١٢٧٩ هـ

— ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد الخزرجى)

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (جزءان) ـ القاهرة ١٢٩٩ هـ

— ابن أبى الحديد (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائنى) .

شرح نهج البلاغة (ستة أجزاء)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٥٩

— ابن أبى يعلى (القاضى أبو الحسين بن محمد الحنبلى . . . . . .)

طبقات الحنابلة (جزءان) ـ القاهرة ١٩٥٢

— ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى الجزرى)

(ا) أسد الغابة فى معرفة الصحابة (خمسة أجزاء) ـ طهران
(ب) تاريخ الكامل (أثنا عشر جزءاً) ـ القاهرة ١٣٠١ هـ
(ح) اللباب فى معرفة الأنساب (ثلاثة أجزاء) ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ

— ابن الإنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد)

نزهة الألباب فى طبقات الأدباء
تحقيق إبراهيم السامرائى ـ بغداد ١٩٥٩

— ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ـ القاهرة ١٣١٢ هـ

— ابن البطريق (أوتيشيوس الاسكندرى سعيد بن بطريق الرومى الملكى) :

نظم الجوهر ، أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق فى معرفة التواريخ من عهد آدم إلى سنى الهجرة ـ بطرسبرج ١٨٨٣

— ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة ١٣٤٨ هـ

— ابن الجزرى (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن على الدمشقى الشافعى) :

غاية النهاية فى طبقات القراء (ثلاثة أجزاء) ـ القاهرة ١٩٣٢

— ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد القرشى البغدادى الحنبلى) :

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (ستة مجلدات) ـ حيدر أباد الدكن ١٣٥٧ هـ

— ابن الحائك (انظر الهمدانى)

— ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان البستى) :

مشاهير علماء الأمصار (تصحيح م . فلا يشمر) ـ القاهرة ١٩٥٩

— ابن حبيب (أبو جعفر محمد الهاشمى البغدادى)

المحبر ، رواية أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى ـ حيدر آباد الدكن ١٩٤٢

— ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على الشافعى) :

(ا) الاصابة فى تمييز الصحابة (٨ أجزاء) القاهرة ١٣٢٣ هـ

(ب) تهذيب التهذيب (اثنا عشر جزءاً) حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

(ح) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (أربعة أجزاء) ـ حيدر أباد ١٩٤٥

— ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسى) :

(ا) جمهرة أنساب العرب

(تحقيق عبد السلام هارون) ـ القاهرة ١٩٦٢

(ب) جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (دار المعارف)

(تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد)

— ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى) :

(ا) كتاب صورة الأرض ـ لندن ١٩٣٨

(ب) المسالك والممالك ـ لندن ١٨٣٢

— ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الخراسانى)

المسالك والممالك ـ بريل ١٨٨٩

— ابن خلدون (ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التونسى الحضرمى الإشبيلى)

العبر وديوان المبتدأ والخبر (سبعة أجزاء) ـ القاهرة ١٢٨٤ هـ

— ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد البرمكى الإربلى الشافعى)

وفيات الأعيان وأنباء الزمان (جزءان) ـ القاهرة ١٢٧٥ هـ

— ابن دحية الكلبي (مجد الدين أبو الخطاب عمر)

النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس (تحقيق عباس العمراوى) ـ بغداد ١٩٤٦

— ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)

الاشتقاق (تحقيق عبد السلام هارون) ـ القاهرة ١٩٥٨

— ابن الديبع (وجيه الدين أبو عبدالله عبدالرحمن بن على الشيبانى الزبيدى الشافعى) :

(ا) بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد (مخطوط)

(ب) الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد (مخطوط)

— ابن الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج) :

طبقات النحويين واللغويين ـ القاهرة ١٩٥٤

— ابن سعد (أبو عبد الله بن سعد بن منيع الزهرى البصرى)

الطبقات الكبرى (ثمانية أجزاء) ـ بيروت ١٩٥٧

— ابن شاكر (انظر الكتبي)

— ابن عبد البر النمرى القرطبي (الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله) :

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (جزءان) حيدر آباد ١٣١٨ هـ

— ابن عبد الحق (أبو الفضائل صفى الدين عبد المؤمن البغدادى الحنبلى)

مراصد الاطلاع على الأزمنة والأمكنة والبقاع (ثلاثة أجزاء)
تحقيق على محمد البجاوى ـ القاهرة ١٩٥٤

— ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد القرطبي الأندلسى المالكى)

العقد الفريد (سبعة أجزاء) ـ القاهرة ١٩٢٨

— ابن عساكر (ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن الدمشقى)

التاريخ الكبير لدمشق — نشر بعض أجزائه مع تهذيبها الشيخ عبد القادر بدران
بقية الكتاب مخطوط مصور بمكتبة الجامعة العربية .

— ابن العماد الحنبلى (الفقيه أبو الفلاح عبد الحى)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (ثمانية أجزاء) ـ القاهرة ١٣٥٠ هـ

— ابن الفرات (الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم المصرى) :

تاريخ ابن الفرات (تسعة مجلدات)

تحقيق قسطنطين زريق – بيروت ١٩٣٦

— ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمدانى)

مختصر كتاب البلدان – ليدن ١٨٨٥

— ابن قتيبة (الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى) :

(ا) الإمامة والسياسة – القاهرة ١٣٢٥ هـ

(ب) الشعر والشعراء (جزءان) – بيروت ١٩٤٦

(حـ) المعارف (تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوى) – القاهرة ١٩٣٤

— ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى الدمشقى)

ذيل تاريخ دمشق – بيروت ١٩٠٨

— ابن كثير القرشى (عماد الدين إسماعيل)

البداية والنهاية (أربعة عشر مجلداً) – القاهرة ١٩٣٢

— ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب)

تجارب الأمم (أربعة مجلدات) – القاهرة ١٩١٦

— ابن المطهر (عيسى بن لطف الله) :

روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح (مخطوط)

— ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد الأنصاري الإفريقى المصرى)

لسان العرب (عشرون جزءاً) – بولاق ١٣٠٠ هـ

— ابن منقذ (محب الدين أبو المظفر أسامة بن مرشد الكنانى)

الاعتبار — نشرة فيلب حتى – برنستون ١٩٣٠

— ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادى) :

الفهرست – ليبسك ١٨٧١

— ابن هشام (جمال الدين أبو محمد عبد الملك البصرى)

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (أربعة مجلدات) – القاهرة

— ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب – تحقيق جمال الدين الشيال – القاهرة ١٩٥٣

— ابن واضح (انظر اليعقوبى) .

— ابن الوردى (أبو حفص زيد الدين عمر بن مظفر الشافعى)

(ا) تاريخ ابن الوردى (جزءان) ـ القاهرة ١٢٨٥ هـ

(ب) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ القاهرة ١٢٨٠ هـ

— أبو حنيفة (أحمد بن داود الدينورى) :

الأخبار الطوال

تحقيق عبد المنعم عامر ـ القاهرة ١٩٦٠

— أبو شامه (شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن المقدسى الشافعى)

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ـ القاهرة ١٢٨٧ هـ

— أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على) :

(ا) المختصر فى أخبار البشر (أربعة أجزاء) ـ القاهرة ١٣٢٥ هـ

(ب) تقويم البلدان ـ باريس ١٨٤٠

— أبو الفرج الأصبهانى (على بن الحسين بن محمد)

(ا) الأغانى (عشرون جزءاً) ـ بولاق ١٢٨٥ هـ

(ب) مقاتل الطالبيين ـ النجف الأشرف ١٣٥٣ هـ

— أبو المحاسن (محمد بن الحسينى الدمشقى الشافعى)

الاعتبار فى ذكر التواريخ والأخبار أو التاريخ الحسينى (مخطوط) .

— أبو مخرمة (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله)

تاريخ ثغر عدن (جزءان) ليدن ١٩٣٦

— أحمد حسين شرف الدين :

اليمن عبر التاريخ ـ القاهرة ١٩٦٣

— أحمد بن زينى دحلان :

خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام (مخطوط)

— أحمد عطية الله :

دائرة المعارف الحديثة ـ القاهرة ١٩٥١

— أحمد فخرى :

اليمن ، ماضيها وحاضرها ـ القاهرة ١٩٥٧

— أحمد فضل بن على محسن العبدلى :

هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن – القاهرة ١٣٥١ هـ

— الأزرق (أبو الوليد محمد بن عبد الله) :

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار
تحقيق رشدى صالح ملس – مكة المكرمة ١٣٥٢ هـ.

— الأصطخرى (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد) :

صور الأقاليم – غوتا ١٨٣٩

— الألوسى (محمود شكرى جمال الدين أبو المعالى) :

(ا) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (ثلاثة أجزاء) – القاهرة ١٩٢٤
(ب) تاريخ نجد
(تحقيق محمد بهجت الأثرى) – القاهرة ١٣٤٧هـ.

— أمين الريحانى :

ملوك العرب (جزءان) – بيروت ١٩٥١

— أمين سعيد :

اليمن ، تاريخه السياسى – القاهرة ١٩٥٩

— أنور عبد العليم :

١ — الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح
(بحث نشر فى مجلة تراث الانسانية – مجلده عدد ٤ ص ٢٧٤)
٢ — ابن ماجد الملاح ، عدد ٦٣ ، سلسلة أعلام العرب

— البابانى (إسماعيل بن محمد أمين البغدادى) :

إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون (جزءان) – استانبول ١٩٤٥

— البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) :

(ا) التاريخ الكبير – حيدر أباد ١٣٦٠ هـ.
(ب) الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخارى – القاهرة ١٢٧٨ هـ.

— البستانى (بطرس بن بولس بن عبد الله) :

دائرة المعارف (١١ مجلداً) – القاهرة ١٩٠٠

— البغدادى (إسماعيل) :

هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (جزءان) – استانبول ١٩٥١

— البكرى الأندلسى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أبى مصعب) :

معجم ما استعجم (جزءان) — جوتنبرج ١٨٧٦

— البلاذرى (أبو العباس أحمد بن يحيى البغدادى) :

(ا) أنساب الأشراف وأخبارهم — القدس ١٩٣٦

(ب) فتوح البلدان (جزءان) — ليدن ١٨٤٥

— البيرونى (محمد بن أحمد الخوارزمى) :

الآثار الباقية عن القرون الخالية — ليبسك ١٩٣٢

— جرجى زيدان :

(ا) تاريخ الآداب العربية (أربعة أجزاء) — القاهرة ١٩٥٧

(ب) العرب قبل الإسلام — القاهرة ١٩٠٨

— الجعدى (عمر بن على بن سمرة) :

طبقات فقهاء اليمن (تحقيق فؤاد السيد) — القاهرة ١٩٥٧

— الجندى (أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب) :

السلوك فى طبقات العلماء والملوك — لندن ١٨٩٢

— جواد على :

تاريخ العرب قبل الإسلام (ثمانية أجزاء) — بغداد ١٩٥٠

— حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) :

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (جزءان) — استانبول ١٩٤١

— حسن إبراهيم حسن :

(ا) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (أربعة أجزاء)
القاهرة ١٩٥٣

(ب) تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب — القاهرة ١٩٥٨

— حسين بن على الويسى :

اليمن الكبرى — القاهرة ١٩٦٢

— حسين بن فيض الله الهمدانى ، وحسن سليمان محمود :

الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن — القاهرة ١٩٥٥

— الحميرى (انظر نشوان) :

— الخزرجى (على بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن وهاس الزبيدى) :

العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (جزءان) ـ القاهرة ١٩١١

— الخزرجى (صفى الدين أحمد بن عبد الله الأنصارى الساعدى) :

خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ـ القاهرة ١٣٢٢

— الخطيب البغدادى (الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت) :

تاريخ بغداد أو مدينة السلام (أربعة عشر جزءا) ـ القاهرة وبغداد ١٩٣١

— الديار بكرى (حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى المالكى) :

الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، ويعرف بتاريخ الخميس ـ القاهرة ١٢٨٣ هـ

— الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقى الفارقى الشافعى) :

(ا) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (خمسة أجزاء) ـ القاهرة ١٣٦٧ هـ

(ب) تذكرة الحفاظ (أربعة أجزاء) ـ حيدر آباد ١٣٣٣ هـ

(حـ) دول الإسلام (جزءان) ـ حيدر آباد ١٣٣٧ هـ

(د) سير أعلام النبلاء (ثلاثة مجلدات) ـ القاهرة ١٩٦٢

(هـ) العبر فى خبر من غبر

تحقيق فؤاد السيد ـ الكويت ١٩٦٠

(و) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (ثلاثة أجزاء) ـ القاهرة ١٣٢٥ هـ

— الرازى (محمد بن أبى بكر)

مختار الصحاح ـ القاهرة ١٩٠٥

— زامباور :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى

ترجمة زكى محمد حسن ومعاونيه ـ القاهرة ١٩٥١

— الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن)

طبقات النحويين واللغويين

(تحقيق محمد أبو الفضل) ـ القاهرة ١٩٥٤

— الزبيدى (أبو الفيض محمد بن محمد الملقب بمرتضى الزبيدى)

تاج العروس من جواهر القاموس (عشرة أجزاء) ـ القاهرة ١٣٠٦ هـ

— الزركلى (خير الدين)

الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

(عشرة اجزاء) ـ القاهرة ١٩٥٤

— ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف المعروف بسبط بن الجوزى)

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (مجلدان) ـ حيدر آباد ١٩٥١

— السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب)

طبقات الشافعية الكبرى

(تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح الحلو) ـ القاهرة ١٩٦٤

— السخاوى (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن)

(ا) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٢ جزءا) ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ

(ب) التبر المسبوك فى ذيل السلوك ـ بولاق ١٨٩٦

— سركيس (يوسف بن إلياس) :

معجم المطبوعات العربية والمعربة (مجلدان) ـ القاهرة ١٩٢٨

— سعيد عبد الفتاح عاشور :

(ا) الحركة الصليبية (جزءان) ـ القاهرة ١٩٦٣

(ب) العصر المماليكى فى مصر والشام ـ القاهرة ١٩٦٥

(حـ) المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ـ القاهرة ١٩٦٢

(ى) أوربا العصور الوسطى — الجزء الأول ـ القاهرة ١٩٦٣

— السقاف (السيد عبد الله بن محمد بن حامد) :

تاريخ الشعراء الحضرميين ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ

— السلمى (محمد بن الحسين النيسابورى الصوفى) :

طبقات الصوفية ـ القاهرة ١٩٥٣

— السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد)

الأنساب ـ ليدن ١٩١٢

— السمهودى (نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله) :

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ (جزءان) ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ

— السيوطى (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن) :

(ا) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ

(ب) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ـ القاهرة ١٣٠٥ هـ

(حـ) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ـ القاهرة ١٢٩٩ هـ

(ى) طبقات المفسرين ـ ليدن ١٨٣٩

(هـ) نظم العقيان فى أعيان الأعيان ـ نيويورك ١٩٢٧

— الشهرتونى (القس سعيد بن عبد الله)

أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد (ثلاثة أجزاء) ـ بيروت ١٨٨٩

— الشوكانى (محمد بن على بن عبد الله اليمنى الصنعانى) :

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (جزءان) ـ القاهرة ١٣٤٨ هـ

— صاعد الأندلسى (أبو القاسم صاعد بن أحمد)

طبقات الأمم ـ القاهرة

— الصفتى المالكى (يوسف بن سعيد بن إسماعيل)

حاشية سنية وتحقيقات بهية على الجواهر الزكية فى حل الفاظ العشماوية لأحمد بن ترك . القاهرة ١٣٠٧ هـ

— طاشكبرى زاده (عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى) :

مفتاح السعادة ومصباح السيادة (جزءان) ـ حيدر آباد ٣٢٩ هـ

— الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)

(ا) تاريخ الرسل والملوك (ثمانية مجلدات) ـ القاهرة ١٩٣٩

(ب) تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن (ثلاثون جزءا) القاهرة ١٣٢٣ هـ

— العامرى اليمنى (عماد الدين أبو زكريا يحي بن أبى بكر) :

(ا) بهجة المحافل وبغية الأماثل فى تلخيص السير والمعجزات ، شرح جمال الدين محمد اليمنى ـ القاهرة ١٣٣٠ هـ

(ب) الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة . بهوبال ١٣٠٣ هـ

— عباس الغزواى :

عشائر العراق (ثلاثة مجلدات) ـ بغداد ١٩٣٧

— عبد الواسع بن يحي :

تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوات تاريخ اليمن ـ القاهرة ١٣٤٦ هـ

— العتبي (محمد بن عبد الجبار) :

الفتح الوهبي المسمى تاريخ العتبي ـ بولاق ١٢٨٦ هـ

— العرشى (حسين بن أحمد) :

بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام نشر أنستاس الكرملى ـ القاهرة ١٩٣٩

— عمارة اليمنى (أبو محمد عمارة بن أبي الحسن) :
تاريخ اليمن
تحقيق حسن سليمان محمود . ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر لابن خلدون
ثم أخبار القرامطة للجندى ـ القاهرة ١٩٥٧

— عمر رضا كحالة :
(ا) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (ثلاثة أجزاء) ـ دمشق ١٩٤٩ .
(ب) معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ـ دمشق ١٩٥٧

— العيدروس (عبد القادر بن شيخ بن عبد الله) :
النور السافر فى أخبار القرن العاشر
تحقيق محمد رشيد الصفار ـ بغداد ١٩٣٤

— عيسى بن لطف الله (انظر ابن المطهر)

— الغزى (نجم الدين محمد الدمشقى الشافعى) :
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة
تحقيق جبرائيل سليمان جبور ـ بيروت ١٩٤٥

— فؤاد حمزة :
(ا) فى بلاد عسير ـ القاهرة ١٩٥١
(ب) قلب جزيرة العرب ـ القاهرة ١٩٣٣

— الفيروزبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد) :
القاموس المحيط (أربعة أجزاء) ـ القاهرة ١٣٣٠ هـ

— فيليب حتى :
تاريخ العرب (جزءان) ـ بيروت ١٩٦١

— الفيومى (أحمد بن محمد بن على المقرى)
المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ـ القاهرة ١٩٢٢

— القفطى (جمال الدين على بن يوسف) :
تاريخ الحكماء ، وهو إخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ

— القلقشندى (أبو العباس أحمد) :
(ا) صبح الأعشى (١٤ مجلداً) ـ القاهرة ١٣٣١ هـ

(ب) قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان
تحقيق إبراهيم الابيارى ـ القاهرة ١٩٦٣
(حـ) نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب
تحقيق إبراهيم الابيارى ـ القاهرة ١٩٥٩

— الكتبى (محمد بن شاكر) :

فوات الوفيات (جزءان) ـ بولاق ١٢٨٣

— مجمع اللغة العربية :

المعجم الوسيط (جزءان)
قام باخراجه إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار ـ القاهرة ١٩٦٠

— المحبى (محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الحموى الشافعى) :

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر (أربعة مجلدات) ـ القاهرة ١٢٨٤

— محمد بن أحمد عيسى العقيلى : —

تاريخ المخلاف السليمانى (جزءان) ـ الرياض ١٩٥٨

— محمد البشير ظافر الأزهرى :

اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة ـ القاهرة ١٣٢٤ هـ

— محمد جمال الدين سرور :

(ا) النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ـ القاهرة ١٩٥٩
(ب) النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة القاهرة ١٩٦٤

— محمد دياب :

تاريخ أدب اللغة العربية (جزءان) ـ القاهرة ١٨٩٧

— محمد سعيد إبراهيم :

مع اليمن السعيد ـ القاهرة ١٩٦٦

— محمد السيد أيوب :

اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة ـ القاهرة ١٩٦٣

— محمد بن محمد بن يحيى الحسنى الصنعانى :

نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف ـ القاهرة ١٣٧٦ هـ

— محمد وجدى :

دائرة المعارف — القاهرة ١٩١٠

— المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) :

(ا) مروج الذهب (جزءان) — القاهرة ١٣٤٦ هـ

(ب) التنبيه والإشراف — ليدن ١٨٩٣

— المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على)

(ا) السلوك لمعرفة دول الملوك

تحقيق محمد مصطفى زيادة — القاهرة ١٩٣٤

(ب) إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين والخلفا

تحقيق جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٤٨

(حـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — بولاق ١٢٧٠ هـ

(ى) الطرف الغريبة فى أخبار دار حضرموت العجيبة — بون ١٨٦٦

(هـ) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تحقيق جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٥٥

(و) النقود الاسلامية — القسطنطينية ١٢٩٨ هـ

— نشوان الحميرى (أبو سعيد بن سعيد) :

(ا) منتخبات فى أخبار اليمن — ليدن ١٩١٦

(ب) قصيدة ملوك حمير وأقيال اليمن — القاهرة ١٣٧٨

— نعوم شقير :

تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها — القاهرة ١٩١٦

— النووى (أبو زكريا يحيي بن شرف الشافعى) :

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين — مكة ١٣١٢ هـ

— النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) :

نهاية الأرب فى فنون الأدب — القاهرة ١٩٢٩

— الهمدانى (ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد) :

(ا) الإكليل فى أنساب حمير وملوكها — ليبسك ١٨٧٩

(ب) صفة جزيرة العرب — ليدن ١٨٨٤

— الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر)

فتوح الإسلام — القاهرة ١٣٠٩ هـ

— اليافعى اليمنى (عفيف الدين أبو محمد الشافعى) .
مرآة الجنان (أربعة أجزاء) ـ حيدر آباد ١٣٣٧ هـ
— ياقوت الرومى (شهاب الدين أبو عبد الله)
(ا) معجم البلدان (خمسة مجلدات) ـ بيروت ١٩٥٦
(ب) معجم الأدباء (عشرون جزءاً) ـ القاهرة ١٩٣٦
— اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب المعروف بابن واضح الاخبارى)
تاريخ اليعقوبى (ثلاثة أجزاء) ـ النجف ١٣٥٨ هـ
— اليونينى (قطب الدين موسى) :
ذيل مرآة الزمان (مجلدان) ـ حيدر آباد ١٩٥٥

— Brockelman :
Geschichte Der Arabischen Litteratur (5 vols).

— Die Handschriften - Vetzeichnisse der Königlichen Bibliothek Zu Berlin (W. Ahlwardt)

— Dozy (R.) :
Supp. Dict. Ar.

— Ferrand (G.) :
Le pilote Arabe de Vasco de Gama au XV siecle. (Annales de Geographie, Tome 31)

— Ley :
Portuguese Voyages.

قوائم الولاة والحكام والأئمة

قائمة عمال النبي (ص) والخلفاء الراشدين على اليمن

١ — الإمام على بن أبى طالب

٢ — معاذ بن جبل (إبان بن سعيد بن العاص ، زياد بن لبيد البياضى)

٣ — أبو موسى الأشعرى

٤ — خالد بن الوليد

٥ — البراء بن عازب

٦ — سعيد بن لبيد الأنصارى

٧ — خالد بن سعيد بن العاص

٨ — الطاهر بن أبى هالة

٩ — يعلى بن أمية

١٠ — عمرو بن حزم الأنصارى

١١ — عكاشة بن ثور

١٢ — جرير بن عبد الله البجلى

١٣ — عامر بن شِهْر

١٤ — شِهْر بن بادام

١٥ — وبر بن يحنَّس

١٦ — أبو سفيان بن الحارث

١٧ — فيروز الديلمى

١٨ — قيس بن المكشوح

١٩ — فروة بن مسيك المرادى

٢٠ — عبد الله بن العباس

٢١ — سعيد بن سعد بن عبادة

عمال بنى أمية

٤٠ — ١٣٢ هـ

١ — عثمان بن عفان الثقفى

٢ — عتبة بن أبى سفيان

٣ — النعمان بن بشير الأنصارى

٤ — بشير بن سعد الأعرج

٥ — الضحاك بن فيروز الديلمى

٦ — بُحير بن ريشان الحميرى

٧ — عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى

٨ — عبد الله بن عبد المطلب بن وادعة السهمى

٩ — حسن بن عبد الله الفقيه

١٠ — قيس بن يزيد السعدى

١١ — محمد بن يوسف الثقفى

١٢ — واجد بن مسلمة الثقفى

١٣ — أيوب بن محمد الثقفى

١٤ — عروة بن محمد السعدى

١٥ — وهب بن منبه الأنبارى

١٦ — مسعود بن عوف الكلبى

١٧ — يوسف بن عمر الثقفى

١٨ — الصلت بن يوسف بن عمر الثقفى

١٩ — الضحاك بن واصل

٢٠ — مروان بن محمد الجعدى

٢١ — الضحاك بن واصل السكسكى

٢٢ — القاسم بن عمر الثقفى

٢٣ — الوليد بن عروة

عمال خلفاء بنى العباس

١٣٢ هـ — ٢٠٣ هـ

١ — عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب

٢ — محمد بن زيد بن عبد المدان الحارثى

٣ — عبد الله بن مالك الحارثى

٤ — على بن الربيع بن عبد الله بن المدان

٥ — عبد الله بن الربيع الحارثى

٦ — مَعْن بن زائدة الشيبانى

٧ — وائدة بن معْن

٨ — الفرات بن سالم العبسى

٩ — يزيد بن منصور الحارثى

١٠ — رجاء بن حيوه الجذامى

١١ — على بن سليمان بن العباس

١٢ — واسع بن عُصْمة

١٣ — عبد الله بن سليمان بن العباس

١٤ — منصور بن يزيد الحميرى

١٥ — عبد الله بن سليمان النوفلى

١٦ — عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن على بن عبد الله بن العباس

١٧ — الربيع بن عبد الله الحارثى

١٨ — الغطريف

١٩ — أيوب بن جعفر بن سليمان

٢٠ — العباس بن محمد الهاشمى

٢١ — عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الزبير

٢٢ — أحمد بن اسماعيل الهاشمى

٢٣ — ابراهيم بن عبيد الله بن عبد الله بن طلحة بن أبى طلحة

٢٤ — محمد بن خالد بن برمك

٢٥ — حماد البربرى

٢٦ — محمد بن سعيد بن السرح الكنانى

٢٧ — يزيدبن جرير بن خالد بن عبد الله القسرى

٢٨ — عمر بن إبراهيم بن واجد

٢٩ — إسحاق بن موسى

٣٠ — حمدويه بن عيسى بن ماهان

٣١ — عيسى بن يزيد الجالودى

٣٢ — محمد عبد الله بن زياد

الدول المستقلة فى اليمن

(١) دولة بنى زياد (مركزها زبيد)

٢٠٥ — ٤٠٢ هـ ، ٨٢٠ — ١٠١١ م

	هجرية	ميلادية
١ — محمد بن عبد الله بن زياد	٢٠٥ — ٢٤٢	٨٢٠ — ٨٥٦
٢ — إبراهيم بن محمد بن عبد الله	٢٤٢ — ٢٨٩	٨٥٦ — ٩٠٢
٣ — إسحق بن ابراهيم بن محمد	٢٨٩ — ٣٩١	٩٠٢ — ١٠٠١
٤ — الحسين بن سلامة	٣٩١ — ٤٠٢	١٠٠١ — ١٠١١

(٢) دولة بنى يعفر (مركزها شبام ثم صنعاء)

(٢٢٥ — ٣٩٣ هـ ، ٨٣٩ — ١٠٠٣ م)

	هجرية	ميلادية
١ — إبراهيم بن يعفر ٢ — (إبنه) عبد الرحيم بن ابراهيم	٢٢٥ — ٢٦٠	٨٣٩ — ٨٧٣
٣ — يعفر بن عبد الرحيم	٢٦٠ — ٢٨٢	٨٧٣ — ٨٩٥
٤ — أسعد بن أبى يعفر	٢٨٢ — ٣٣١	٨٩٥ — ٩٤٣
٥ — عبد الله محمد بن قحطان	٣٣١ — ٣٨٧	٩٤٣ — ٩٩٧
٦ — أسعد بن عبد الله	٣٨٧ — ٣٩٣	٩٩٧ — ١٠٠٣

(٣) دولة بنى نجاح (خلفت دولة بنى زياد فى زبيد)

٤٠٣ — ٥٥٥ هـ، ١٠١٢ — ١١٦٠ م

	هجرية	ميلادية
١ — الأمير نجاح	٤٠٣ — ٤٥٢	١٠١٢ — ١٠٦٠
٢ — سعيد بن نجاح (الأحول)	٤٥٢ — ٤٨١	١٠٦٠ — ١٠٨٨
٣ — جياش بن نجاح	٤٨٣ — ٤٩٨	١٠٩٠ — ١١٠٤
٤ — فاتك بن جياش	٤٩٨ — ٥٠٣	١١٠٤ — ١١٠٩
٥ — منصور بن فاتك	٥٠٣ — ٥٢١	١١٠٩ — ١١٢٧
٦ — فاتك بن منصور	٥٢١ — ٥٤٠	١١٢٧ — ١١٤٥
٧ — فاتك بن محمد بن فاتك	٥٤٠ — ٥٥٥	١١٤٥ — ١١٦٠

(٤) دولة بنى الصليحى

٤٣٩ — ٥٣٢ هـ، ١٠٤٧ — ١١٣٨

	هجرية	ميلادية
١ — على بن محمد الصليحى	٤٣٩ — ٤٥٨	١٠٤٧ — ١٠٦٦
٢ — المكرم بن على بن محمد	٤٥٨ — ٤٨٤	١٠٦٦ — ١٠٩١
٣ — سبأ بن أحمد بن المظفر	٤٨٤ — ٤٩٢	١٠٩١ — ١٠٩٩
٤ — أروى بنت أحمد الصليحى	٤٩٢ — ٤٣٢	١٠٩٩ — ١١٣٨

(٥) دولة بنى زريع (فى عدن)

٤٧٠ — ٥٦٩ هـ، ١٠٧٧ — ١١٧٣ م

	هجرية	ميلادية
١ — العباس بن المكرم (فى حصن التعكر)	٤٧٠ — ٤٧٧	١٠٧٧ — ١٠٨٤
٢ — المسعود بن المكرم (فى حصن الخضراء وعدن)	٤٧٠ — ٤٨٠	١٠٧٧ — ١٠٨٧
٣ — زريع بن العباس	٤٧٧ — ٤٨٠	١٠٨٤ — ١٠٨٧
٤ — أبو الغارات بن المسعود	٤٨٠ — ٤٨٥	١٠٨٧ — ١٠٩٢
٥ — أبو السعود بن زريع	٤٨٠ — ٤٩٤	١٠٨٧ — ١١٠١
٦ — محمد بن أبى الغارات	٤٨٥ — ٤٨٨	١٠٩٢ — ١٠٩٥
٧ — على بن محمد بن أبى الغارات	٤٨٨ — ٤٨٩	١٠٩٥ — ١٠٩٦
٨ — الداعى سبأ بن أبى السعود	٤٨٩ — ٥٣٣	١٠٩٦ — ١١٣٨
٩ — محمد بن سبأ	٥٣٣ — ٥٥٠	١١٣٨ — ١١٥٥
١٠ — عمران بن محمد بن سبأ	٥٥٠ — ٥٦٠	١١٥٥ — ١١٦٥
١١ — أبو الدر جوهر المعظمى	٥٦٠ — ٥٦٩	١١٦٥ — ١١٧٣

(٦) دولة بنى حاتم (فى صنعاء)

٤٩٢ — ٥٦٩ هـ، ١٠٩٩ — ١١٧٣ م

	هجرية	ميلادية
١ — حاتم بن على الهمدانى	٤٩٢ — ٥٠٢	١٠٩٩ — ١١٠٨
٢ — عبد الله بن حاتم بن على	٥٠٢ — ٥٠٥	١١٠٨ — ١١١١
٣ — معن بن حاتم	٥٠٥ — ٥١٠	١١١١ — ١١١٦
٤ — هشام بن القتيب	٥١٠ — ٥١٨	١١١٦ — ١١٢٤
٥ — حماس بن القتيب	٥١٨ — ٥٢٧	١١٢٤ — ١١٣٣
٦ — حاتم بن أحمد بن عمر اليامى	٥٣٣ — ٥٥٦	١١٣٨ — ١١٦١
٧ — على بن حاتم بن أحمد	٥٥٦ — ٥٦٩	١١٦١ — ١١٧٣

(٧) دولة بنى مهدى (مركزها زبيد)

٥٥٣ — ٥٦٩ هـ ، ١١٥٨ — ١١٧٣ م

	هجرية	ميلادية
١ — علي بن مهدى	٥٥٣	١١٥٨
٢ — مهدى بن على بن مهدى	٥٥٣ — ٥٥٨	١١٥٨ — ١١٦٣
٣ — عبد النبي بن على ٤ — عبد الله بن على	٥٥٨ — ٥٦٩	١١٦٣ — ١١٧٣

(٨) دولة بنى أيوب

٥٦٩ — ٦٢٦ هـ ، ١١٧٣ — ١٢٢٩ م

	هجرية	ميلادية
١ — المعظم توران شاه بن أيوب	٥٦٩ — ٥٧٠	١١٧٣ — ١١٧٤
٢ — العزيز طغتكين بن أيوب	٥٧٩ — ٥٩٠	١١٨٣ — ١١٩٤
٣ — المعز إسماعيل بن طغتكين	٥٩٤ — ٥٩٩	١١٩٨ — ١٢٠٣
٤ — الناصر بن طغتكين	٥٩٩ — ٦١١	١٢٠٣ — ١٢١٤
٥ — المسعود يوسف بن الكامل	٦١٢ — ٦٢٦	١٢١٥ — ١٢٢٩

(٩) دولة بنى رسول (فى تعز)

٦٢٦ — ٨٥٨ هـ، ١٢٢٩ — ١٤٥٤ م

	هجرية	ميلادية
١ — المتصور عمر بن على رسول	٦٢٦ — ٦٤٧	١٢٢٩ — ١٢٤٩
٢ — المظفر يوسف بن عمر	٦٤٧ — ٦٩٤	١٢٤٩ — ١٢٩٥
٣ — الأشرف (الأول) عمر بن يوسف	٦٩٤ — ٦٩٦	١٢٩٥ — ١٢٩٧
٤ — المؤيد داود بن يوسف	٦٦٩ — ٧٢١	١٢٩٧ — ١٣٢١
٥ — المجاهد على بن المؤيد	٧٢١ — ٧٦٤	١٣٢١ — ١٣٦٣
٦ — الأفضل عباس بن المجاهد	٧٦٤ — ٧٧٨	١٣٦٣ — ١٣٧٦
٧ — الأشرف (الثانى) إسماعيل بن العباس	٧٧٨ — ٨٠٣	١٣٧٦ — ١٤٠٠
٨ — الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل	٨٠٣ — ٨٢٩	١٤٠٠ — ١٤٢٦
٩ — المنصور بن الناصر أحمد	٨٢٩ — ٨٣٠	١٢٤٦ — ١٤٢٧
١٠ — الأشرف (الثالث) إسماعيل بن المنصور	٨٣٠ — ٨٤٢	١٤٢٧ — ١٤٣٨
١١ — الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل	٨٤٢ — ٨٥٠	١٤٣٨ — ١٤٤٦
١٢ — المسعود أبو القاسم بن الأشرف إسماعيل	٨٥٠ — ٨٥٨	١٤٤٦ — ١٤٥٤

(١٠) دولة بنى طاهر

٨٥٨ — ٩٣٣ هـ، ١٤٥٤ — ١٥٢٦ م

	هجرية	ميلادية
١ — الظافر (الأول) عامر بن طاهر	٨٥٨ — ٨٧٠	١٤٥٤ — ١٤٦٦
٢ — المجاهد على بن طاهر	٨٧٠ — ٨٨٣	١٤٦٦ — ١٤٧٨
٣ — المنصور عبد الوهاب بن طاهر	٨٨٣ — ٨٩٤	١٤٧٨ — ١٤٨٩
٤ — الظافر (الثانى) عامر بن عبد الوهاب	٨٩٤ — ٩٢٣	١٤٨٩ — ١٥١٧
٥ — عامر بن داود	٩٢٣ — ٩٣٣	١٥١٧ — ١٥٢٦

الولاة العثمانيون باليمن

٩٤٣ – ١٠٤٥ هـ ، ١٥٣٦ – ١٦٣٥ م

	هجرية	ميلادية
١ — بهرام بك	٩٤٣	١٥٣٦
٢ — مصطفى بك	٩٤٧	١٥٤٠
٣ — مصطفى نشار	٩٤٨	١٥٤١
٤ — أويس باشا	٩٥٢	١٥٤٥
٥ — فرهاد	٩٥٤	١٥٤٧
٦ — أزدمر	٩٥٦	١٥٤٩
٧ — مصطفى باشا (مرة ثانية)	٩٦٣	١٥٥٦
٨ — قرة مصطفى شاهين	٩٦٧	١٥٦٠
٩ — محمود	٩٦٨	١٥٦١
١٠ — رضوان بن مصطفى شاهين (قسمت الولاية قسمين)	٩٧٢	١٥٦٤
١١ — مراد كور (تهامة وحدها)	٩٧٣	١٥٦٥
١٢ — حسن (خليفة رضوان)	٩٧٥	١٥٦٧
١٣ — أزدمر أوغلو عثمان	٩٧٥	١٥٦٧
١٤ — حسن (للمرة الثانية)	٩٧٦	١٥٦٨
١٥ — بهرام بن مصطفى شاهين	٩٧٦	١٥٦٨
١٦ — مراد	٩٨٤	١٥٧٦
١٧ — حسن بن حسين	٩٨٨	١٥٨٠
١٨ — سنان	١٠١٢	١٦٠٣
١٩ — جعفر	١٠١٦	١٦٠٧

٢٠ — إبراهيم	١٠٢٢	١٦١٣
٢١ — جعفر (للمرة الثانية)	١٠٢٢	١٦١٣
٢٢ — محمد	١٠٢٦	١٦١٧
٢٣ — فضل الله	١٠٣١	١٦٢٢
٢٤ — حيدر	١٠٣٣	١٦٢٤
٢٥ — قانصوه باشا (آخر الباشوات)	١٠٣٩	١٦٢٩
حكم أئمة صنعاء	١٠٤٥	١٦٣٥
استعاد العثمانيون اليمن	١٢٨٩	١٨٧٢

قائمة الأئمة ومدد حكمهم

مسلسل	الاسم	محل الوفاة	مدة الحكم بالهجرى	مدة الحكم بالميلادى
١	الهادى يحيى بن الحسين	صعدة	٢٨٤ ـ ٢٩٨	٨٩٧ ـ ٩١١
٢	المرتضى محمد بن الهادى	»	٢٩٨ ـ ٣٠١	٩١١ ـ ٩١٣
٣	الناصر أحمد بن الهادى	»	٣٠١ ـ ٣٢٥	٩١٣ ـ ٩٣٦
٤	المنصور يحيى ن الها ى	ريدة	٣٢٥ ـ ٣٦٦	٩٣٦ ـ ٩٧٦
٥	الداعى يوسف بن المنصور يحيى	صعدة	٣٦٦ ـ ٤٠٣	٩٧٦ ـ ١٠١٢
٦	المنصور القاسم بن على العيانى	عيان	٣٨٩ ـ ٣٩٣	٩٩٩ ـ ١٠٠٢
٧	المهدى الحسين بن القاسم	ريدة	٣٩٣ ـ ٤٠٣	١٠٠٢ ـ ١٠١٢
٨	أبو هاشم الحسن عبد الرحمن	ناعط	٤٢٦ ـ ٤٣١	١٠٣٥ ـ ١٠٤٠
٩	أبو الفتح الديلمى	عنس	٤٢٧ ـ ٤٤٤	١٠٤٥ ـ ١٠٥٢
١٠	المتوكل أحمد بن سليمان	حيدان	٥٣٢ ـ ٥٦٦	١١٣٨ ـ ١١٧١
١١	المنصور عبد الله بن حمزة	ظفار	٥٨٣ ـ ٦١٤	١١٨٧ ـ ١٢١٧
١٢	المعتضد يحيى بن المحسن	ساقين	٦١٤ ـ ٦٣٦	١٢١٧ ـ ١٢٣٨
١٣	المهدى أحمد بن الحسين	شوابة	٦٤٦ ـ ٦٥٦	١٢٤٨ ـ ١٢٥٨
١٤	يحيى بن محمد السراجى	صنعاء	٦٥٦ ـ ٦٦٠	١٢٥٨ ـ ١٢٦٢
١٥	المنصور الحسن بن بدر الدين	رغافة	٦٦١ ـ ٦٧٠	١٢٦٣ ـ ١٢٧١
١٦	المهدى إبراهيم بن تاج الدين	تعز	٦٧٠ ـ ٦٧٤	١٢٧١ ـ ١٢٧٥
١٧	المتوكل المطهر بن يحيى	ذروان حجة	٦٧٦ ـ ٦٩٧	١٢٧٧ ـ ١٢٩٨
١٨	المهدى محمد بن المطهر	صنعاء	٦٩٧ ـ ٧٢٨	١٢٩٨ ـ ١٣٢٨
١٩	المؤيد يحيى بن حمزة	ذمار	٧٢٩ ـ ٧٤٩	١٣٢٩ ـ ١٣٤٨
٢٠	الواثق المطهر بن محمد	صنعاء	٧٣٠ ـ ٧٥٠	١٣٣ ـ ١٣٤٩
٢١	المهدى على بن صلاح	السودة	٧٣٠	١٣٣٠
٢٢	الداعى أحمد بن على الفتحى	رغافة	٧٣٠ ـ ٧٥٠	١٣٣٠ ـ ١٣٤٩
٢٣	المهدى على بن محمد	صعدة	٧٥٠ ـ ٧٧٣	١٣٤٩ ـ ١٣٧٢
٢٤	الناصر صلاح الدين بن المهدى	صنعاء	٧٧٣ ـ ٧٩٣	١٣٧٢ ـ ١٣٩١
٢٥	المنصور على بن صلاح الدين	»	٧٩٣ ـ ٨٤٠	١٣٩١ ـ ١٤٣٦
٢٦	المهدى أحمد بن يحيى المرتضى	الظفير	٧٩٣	١٣٩١

	الاســم	محل الوفاة	مـدة الحـكم بالهجرى	مـدة الحـكم بالميلادى
٢٧	الهادى على بن المؤيد	فللـه	٧٩٦ – ٨٣٠	١٣٩٤ – ١٤٢٧
٢٨	المتوكل المطهر بن محمد الحمزى	ذمار	٨٤٠ – ٨٧٩	١٤٣٦ – ١٤٧٤
٢٩	المهدى صلاح بن على	صـنعاء	٨٤٠ – ٨٤٩	١٤٣٦ – ١٤٤٥
٣٠	المنصور الناصر بن محمد	»	٨٤٠ – ٨٦٦	١٤٣٦ – ١٤٦٢
٣١	المؤيد محمد بن الناصر	»	٨٦٦ – ٩٠٨	١٤٦٢ – ١٥٠٢
٣٢	الهادى عز الدين بن الحسن	رغافة	٨٧٩ – ٩٠٠	١٤٧٤ – ١٤٩٥
٣٣	الناصر حسن بن عز الدين	فللـه	٩٠٠ – ٩٢٩	١٤٩٥ – ١٥٢٣
٣٤	محمد بن على الوشـلى	صـنعاء	٨٨٠ – ٩١٠	١٤٧٥ – ١٥٠٤
٣٥	المتوكل يحيى شرف الدين بن المهدى أحمد	الظفير	٩١٢ – ٩٦٥	١٥٠٦ – ١٥٥٧
٣٦	المطهر بن شرف الدين	ثـلا	٩٦٥ – ٩٨٠	١٥٥٧ – ١٥٧٢
٣٧	الحسن بن على داود	الآستانة	٩٨٦ – ٩٩٣	١٥٧٨ – ١٥٨٥
٣٨	المنصور القاسم بن محمد	شهارة	١٠٠٦ – ١٠٢٩	١٥٩٧ – ١٦٢٠
٣٩	المؤيد محمد بن القاسم	»	١٠٢٩ – ١٠٥٤	١٦٢٠ – ١٦٤٤

ملحوظة : ينتهى هذا الكتاب بحوادث سنة ١٠٤٥ للهجرة وقد رأينا إتماماً للفائدة ذكر بقية أئمـة اليمن بعد هذه السنة وحتى نهاية حكم الأئمة بقيام ثورة اليمن سنة ١٩٦٢ :ـ

٤٠	المتوكل إسماعيل بن القاسم	ضوران	١٠٥٤ – ١٠٨٧	١٦٤٤ – ١٦٧٦
٤١	المهدى أحمد بن الحسين بن القاسم	الغراس	١٠٨٧ – ١٠٩٢	١٦٧٦ – ١٦٨١
٤٢	المؤيد محمد بن المتوكل اسماعيل	ضوران	١٠٩٢ – ١٠٩٧	١٦٨١ – ١٦٨٦
٤٣	المهدى محمد أحمد بن الحسن بن القاسم	المواهب	١٠٩٨ – ١١٣٠	١٦٨٧ – ١٧١٨
٤٤	المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد	شهارة	١١٢٧ – ١١٣١	١٧١٥ – ١٧١٩
٤٥	المتوكل القاسم بن حسين	صـنعاء	١١٢٨ – ١١٣٩	١٧١٦ – ١٧٢٦
٤٦	الناصر محمد بن إسحق	»	١١٣٥	١٧٢٢
٤٧	المنصور الحسين بن القاسم	»	١١٣٩ – ١١٦١	١٧٢٦ – ٧٤٨
٤٨	المهدى عباس بن المنصورحسين	»	١١٦١ – ١١٨٩	١٧٤٨ – ١٧٧٥
٤٩	المنصور على بن المهدى	»	١١٨٩ – ١٢٢٤	١٧٧٥ – ١٨٠٩
٥٠	المتوكل أحمد بن المنصور	»	١٢٢٤ – ١٢٣١	١٨٠٩ – ١٨١٦
٥١	المهدى عبد الله بن المتوكل	»	١٢٣١ – ١٢٥١	١٨١٦ – ١٨٣٥

مسلسل	الإســم	محل الوفاة	مـدة الحـكم بالهجرى	مـدة الحـكم بالميلادى
٥٢	الهـادى أحمد بن على السراجى	صــنعاء	١٢٤٧	١٨٣١
٥٣	المنصور على بن المهدى	»	١٢٥١ — ١٢٥٢	١٨٣٥ — ١٨٣٦
٥٤	الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن المهدى	»	١٢٥٢ — ١٢٥٥	١٨٣٦ — ١٨٣٩
٥٥	الهادى محمد بن المتوكل أحمـد	»	١٢٥٦ — ١٢٥٩	١٨٤٠ — ١٨٤٣
٥٦	المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور	»	١٢٦٠ — ١٢٦٥	١٨٤٤ — ١٨٤٨
٥٧	المنصور أحمد بن هاشم	»	١٢٦٤ — ١٢٦٥	١٨٤٨ — ٨٤٩
٥٨	المؤيد عباس بن عبد الرحمن	»	١٢٦٦	١٨٥٠
٥٩	الهادى غالب بن المتوكل محمد	»	١٢٦٧ — ١٢٦٨	١٨٥١ — ١٨٥٢
٦٠	المنصور محمد بن عبد الله الوزير	السِّرّ	١٢٦٩ — ١٣٠٧	١٨٥٣ — ١٨٩٠
٦١	المتوكل الحسن بن أحمد	حوث	١٢٧١ — ١٢٩٥	١٨٥٥ — ١٨٧٨
٦٢	المنصور حسين بن محمد بن الهادى	صنعاء	١٢٧٥ — ١٢٧٩	١٨٥٨ — ١٨٦٢
٦٣	الهادى شرف الدين بن محمد	المدان	١٢٩٦ — ١٣٠٧	١٨٧٩ — ١٨٩٠
٦٤	المنصور محمد بن يحيى حميد الدين	القفلة	١٣٠٧ — ١٣٢٢	١٨٩٠ — ١٩٠٤
٦٥	المتوكل يحيى بن المنصور محمد	صــنعاء	١٣٢٢ — ١٣٦٧	١٩٠٤ — ١٩٤٨
٦٦	الناصر أحمد بن المتوكل يحيى	»	١٣٦٧ — ١٣٨٢	١٩٤٨ — ١٩٦٢

كتاب

غاية الأماني في أخبار القطر اليماني

المسمى

عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن في أخبار اليمن

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

فائدة : روى معمر عن الزهرى أنه قال : أشخصنى هشام بن عبد الملك إلى الشام ، فلما كنت بالبلقاء وجدت حجراً مكتوباً عليه بالعبرانى ، فطلبت من يقرؤه . فأرشدت إلى شيخ كبير فانطلقت به إلى الحجر فقرأه وضحك ، فقلت مم تضحك ؟ فقال : أمر عجب ، مكتوب على هذا الحجر ، باسمك الله جاء الحق من ذلك لسان عربى مبين ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكتب ذلك موسى بن عمران بخط يده . تمت من مواهب الحق كما وجدت .

* * *

نِينوى بكسر أوله موضع بالكوفة ، تمت . قَيْسُ غيلان بن مصرب بفتح المهملة ، تمت . الرياض المستطابة فى جملة من روى الصحيحين من الصحابة ليحيي أبى بكر العامرى رحمه الله[1] . نَصيبَين مدينة بالشام مباركة وجِنُّها سادات الجن وأكثر عدداً ، وهم أول بعث بعثه إبليس حين بعث جنوده ليتعرفوا له الأخبار عن سبب منعهم من استراق السمع . تمت .

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن أبى بكر بن محمد العامرى الحرضى اليمانى الشافعى ، محدث اليمن وشيخها ، حافظ ومؤرخ . سمع من أبى الفتح المراغى بمكة ، ومن شيوخه ابن فهد المكى ، واستفاد منه طلبة العلم ورحلوا اليه . من تصانيفه « غربال الزمان » فى التاريخ ، و « بهجة المحافل » فى السير ، و « الرياض المستطابة فى جملة من روى الصحيحين من الصحابة » ، و « التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة » .

وقد ولد فى حرض سنة ٨١٦ هـ وتوفى فى سنة ٨٩٣ هـ . انظر : الزركلى : الأعلام ـ ج ٩ ص ١٦٨ ، كحالة : معجم المؤلفين ج ١٣ ، ص ١٨٧) .

كتاب عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن فى أخبار اليمن

ويسمى

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى

الذى تولى جمعه سيدى السيد العلامة الماجد الفهامة عماد الإسلام عين أعيان العترة الكرام يحيي بن الحسين بن أمير المؤمنين ، المؤيد بالله محمد بن القسم بن محمد بن على عليهم السلام

* * *

ذكر مؤلف أنباء الزمن — رحمه الله تعالى — أنه جمعه من تواريخ عديدة ، وهى تاريخ أبى الحسن الخزرجى وذيله إلى آخر دولة بنى طاهر ودخول الجراكسة . ومن تاريخ الذهبي وذيله للسخاوى . ومن تاريخ الديْبع[1] المسمى بغية المستفيد فى أخبار زبيد ، وذيله المسمى الفضل المزيد على بغية المستفيد ، بلغ فى هذا الذيل إلى زوال دولة عامر بن عبد الوهاب واستيلاء الجراكسة عليه . ومن كنز الأخبار للسيد أدريس بن على الحمزى[2] ومن تاريخ الأسيوطى . ومن تاريخ الخطيب . ومن كتاب العدسانى . ومن

---

(١) هو وجيه الدين عبدالرحمن بن على بن محمد الشيبانى ، المتوفى سنة ٩٤٤ هـ . له كتاب « قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون » (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ) ، وكتاب « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦ تاريخ) . والكتاب الأخير مرتب على مقدمة وعشرة أبواب . انظر :
(كشف الظنون ، ج ١ ص ١٥٦ ، باب الباء) .

(٢) هو الشريف ادريس بن على بن عبد الله الحمزى ، له فى تاريخ اليمن كتاب « كنز الأخيار » (كشف الظنون ، ج ٢ ص ١٩١ ، باب الكاف) .

الإكليل للهَمْدَانِى[١] . ومن تاريخ مكة للأزرقى . ومن تاريخ صنعاء للرازى . ومن كتاب المفيد فى أخبار زبيد لعمارة اليمنى[٢] فى دولة بنى مهدى . ومن روح الروح لسيد عيسى بن لطف الله ، وذيله الأنفاس اليمنية فى الدولة المحمدية — يعنى محمد باشا — . ومن تاريخ السيد أحمد بن محمد الشرقى . ومن تاريخ الزحَيْف[٣] . ومن تاريخ الفقيه حَميد الشهيد . ومن تاريخ الشيخ حسين الأهْدل . ومن تاريخ الشيخ أبى مخرمة[٤] . ومن تاريخ آل المفضل ومن تاريخ بنى الصليحى . ومن تاريخ ابن حاتم لبنى أيوب . ومن تاريخ دولة بنى طاهر للهمدانى . ومن تاريخ مسلم المَحَجِّى . ومن تاريخ ابن واضح والمستنصر . ومن تاريخ السخاوى للحجاز . ومن تاريخ الطبرى . ومن تاريخ عبدالحميد . ومن روضة الَحجُورى[٥]

---

(١) هو أبو محمد الحسين بن أحمد بن يعقوب المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، وكتابه المشار اليه هنا هو « الاكليل فى أخبار اليمن وأنساب حمير » ، وقد حققه محب الدين الخطيب ونشر بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ .

(٢) هو أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحكمى المذجحى اليمنى ، ويلقب بنجم الدين الشافعى الفرضى . ولد سنة ٥١٥ وحضر الى مصر مبعوثا من قبل صاحب مكة سنة ٥٥٠ هـ ، وكانت له صلة قوية بحكام مصر الفاطميين آنذاك رغم أن مذهبه السنة . مات سنة ٥٦٩ هـ مصلوبا بالقاهرة على يد صلاح الدين الأيوبى لاتهامه بالاشتراك فى مؤامرة كبرى لقلب نظام الحكم واحياء الدولة الفاطمية . انظر (وفيات الاعيان ج ٣ ص ١٠٧ ، تاريخ اليمن تأليف عمارة اليمنى ونشر حسن سليمان محمود ص ٥ — ٨) .

(٣) هو محمد بن على بن يونس الصفدى اليمنى ، المعروف بالزحيف ، كان حيا سنة ٩١٩ هـ ، فهو من علماء القرن العاشر الهجرى . من آثاره كتاب « مآثر الأبرار فى تفصيل مجملات جوهر الأخبار » (ايضاح المكنون ج ٢ ص ٤١٨ ، كحالة : معجم المؤلفين ج ١١ ص ٧٣) .

(٤) هو أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد ، المتوفى فى القرن العاشر الهجرى . له كتاب قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر ، فى ثلاثة أجزاء (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ) وكتاب تاريخ ثغر عدن فى جزءين (ليدن ١٩٣١) .

(٥) هو محمد بن مصطفى كانى شلبى بن جعفر بن تيمور الرومى الحنفى ، مؤرخ تركى الأصل ، مستعرب ، ولد بالمدينة ، كان من موظفى الترك باليمن أيام استيلائهم عليه . صنف تاريخا بدأه بعصر النبوة واستمر حتى سنة ١٠٣٣ هـ ، أتى به على أخبار اليمن والأئمة والدعاة فيه ، من الزيدية وغيرهم ، وحكام الترك باليمن ، وسمى كتابه « بغية الخاطر ونزهة الناظر » .
(خلاصة الأثر ، ج ٤ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ، الأعلام للزركلى ج ٧ ص ٣٢٠)

ومن البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين المكي . ومن تاريخه الثاني وهو الإعلام لبلد الله الحرام . ومن تاريخ المَوْزَعِي . ومن تاريخ داغر لدولة الباشا جعفر . ومن شرح النهج لابن أبي الحديد في أخبار الخوارج . ومن سيرة الهادي عليه السلام . ومن سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمده . وسيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين . وسيرة الإمام صلاح الدين بن علي عليه السلام . ومن سيرة ولده علي بن صلاح الدين . ومن النفحة العنبرية لابن عَلاَمة . ومن سيرة الإمام شرف الدين بن شمس الدين عليه السلام . ومن تاريخ لصنعاء لا أعرف مؤلفه . ومن تاريخ كاني[1] . ومن مروج الذهب المسعودي ومن تاريخ تجارب الأمم . ومن خلاصة الوفي للسمهودي . ومن المكاتبات بين المطهر بن شرف الدين ووزير السلطان . ومن كتاب ابن قُتَيْبَة . ومن تاريخ الفاسي . ومن كتاب سكردان في دولة بني قلاون في مصر لابن أبي حجلة . ومن كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للأسيوطي . ومن كتاب المقريزي في تاريخ مصر . ومن أوراق قديمة صحيحة ورسائل ومحفوظات مما سمعناه من الرواة الثقات ؛ ومن النوادر الغريبات والأخبار المستحسنات .

ليعلم بذلك أحوال الزمان ، ويعتبر به أهل العقول الراجحة والأديان ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

قال المصنف رحمه الله كان ابتداء جمعه سنة خمس وستين وألف سنة هـ .

تم ذلك بعون الله .

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد ابن أبي حجلة التلمساني الحنبلي . ولد بالمغرب بزاوية جده الشيخ الصالح أبي حجلة عبد الواحد ، ثم نزل بدمشق ثم القاهرة . له أكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والأدب ، وخمس دواوين في المدائح النبوية . ومن كتبه « سكردان السلطان » ألفه للملك الناصر أبي المحاسن حسن بن محمد بن قلاون . وقد توفي ابن أبي حجلة سنة ٧٦٦ على الأرجح .

(فوات الوفيات ج ١ ص ٢٦٠ ، شذرات الذهب ، وفيات سنة ٧٦٦ هـ) .

لبعضهم فى فضل الحلم شعراً :

إنى وهبتُ لظالمى ظُلمى　　وعفوتُ ذاكَ له على علمِ
ورأيته أسْدَى إلىَّ يداً　　لمـا أثارَ بجهلِهِ حلمى
فغدوتُ ذا أجرٍ ومحمدة　　وغدا بكسب الذمِ والإثمِ
فـكأنما الإحسانُ كان له　　وأنا المسىء إليه فى الحـكم
ما زال يظلمنى وأرحمـه　　حتى رثيت له من الظلم

دعاء مبارك لأمير المؤمنين على عليه السلام ، وهو هذا :

اللهم صُن وجهى باليسار ، ولا تبدّل جاهى بالافتقار ، فاسترزق طالبى رزقك ، وأستعطف شرار خلقك ، وابتلى بحمد مَن أعطانى ، وأفتتن بذم من منعنى ، وأنت من وراء ذلك كله وَلىُّ الإعطاء والمنع .

تم ذلك من كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى ، رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز القهار ، الهادى إلى الاعتبار ، والتفكر فى أحوال من مضى من الأمم الكبار ، فى سالف الأعصار . والصلاة والسلام على نبينا المختار ، وآله الأطهار ، صلاة وسلاما آناء الليل وأطراف النهار .

وبعد ، فإن علم التاريخ لما كان من العلوم المفيدة ، المشتملة على كثير من العبر العديدة ، وقد قص الله تعالى فى كتابه الكريم كثيراً من أخبار من سلف فى الزمن القديم . ورأيت أخبار قطر اليمن لم تجمع فى تاريخ من تواريخ الزمن ، استخرت الله ، وجمعت التواريخ التهامية والحجازية وغيرها ، من سائر كتب التاريخ ، المشتملة على ذكر ما جرى فى الجزيرة اليمنية ، ولخصت منها الغرض المقصود ، وقيدت منه النافر الشرود . وقد أشير إلى طرف من سائر ما جرى فى غيرها من سائر الأقطار ، لتعلق أخبارها بهذه الديار . وذلك مثل ذكر ما جرى فى الدولة الأموية والعباسية ، وسائر الدول المتغلبة على الديار اليمنية ، ولاتصال الخبر بالخبر ، والشىء بالشىء يذكر .

اعلم وفقنا الله وإياك ، أن أرض اليمن هى جزيرة العرب ، وحدّها من جهة الغرب والجنوب البحر ، ومن جهة الشرق العراق ، ومن جهة الشمال الشام ، فيدخل فى حدودها جميع نجد والحجاز وتهامة .

وقد قيل إن اليمن والشام والعراق ومصر ، كالرأس للطائر والجناحين والذنب : فالرأس الشام ، والجناحان العراق ومصر ، والذنب اليمن ، وقيل العكس .

والمعمور من الأرض ، السبعة الأقاليم المعروفة ، والأرض سبع طباق ، فهذه

الأرض أعلاها وأشرفها ، لشرف بنى آدم . وفى سائر الأرضين من المخلوقات ما لا يعلمها إلا رب البريات . والدليل على أن الأرضين كما ذكرناه ، من الكتاب العزيز والسنة النبوية : قال الله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)[١] ، ومن السُّنّة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من غَصَبَ شبراً من الأرض[٢] » الحديث . وعلى هذا إن دوران الأفلاك فى هوى كل أرض من تحتنا يدور ، فتطلع عليهم من المغرب وتغرب من المشرق ، فالقمر يكون فى هوى الأرض القريبة إلى هذه الأرض ، وعطارد فى التى تحتها ، والشمس فى التى تحتها حتى تنتهى إلى زُحل . ويدل عليه ما أخرجه ابن حاتم[٣] وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الشمس بمنزلة الساقية تجرى النهارَ فى السماء فى فلكها ، فإذا غربت جرت الليل فى فلكها تحت الأرض ، حتى تطلع من مشرقها ، وكذلك القمر والله أعلم .

وهذه الأرض أشرف الأرضين ، لما فيها من النورانية الكاملة بظهور الكواكب فى سمائها ، وخروق السبعة الكواكب للسبع السماوات لصفائها ، فأضاءت لأهلها ، بخلاف سائر الأرضين السفلى ، فليس لهم إلا كواكب فلكها مما يدور فى هوايتها ، والله أعلم .

---

(١) سورة الطلاق ، آية ١٢ .

(٢) جاء فى صحيح البخارى حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى ، قال حدثنى طلحة بن عبد الله أن عبد الرحمن بن عمر بن سهل أخبره أن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين » .

(صحيح البخارى ، ج ٣ ـ باب فى المظالم والغصب)

وجاء فى حاشية الباجورى على شرح ابن القاسم (فصل فى أحكام الغصب) مانصه « من غصب قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » .

(٣) هو عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى المكنى بأبى طريف ، أحد المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى عنه أنه قال « ما دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم قط الا وسع لى أو تحرك لى ، وقد دخلت عليه يوما فى بيته وقد امتلأ من أصحابه ، فوسع لى ، حتى جلست الى جنبه » . انظر (الاستيعاب ، ج ٢ ص ٥١٦ ، صحيح البخارى ، ج ٥ ص ٢٢١) .

قال ابن الوَرْدِى : من مصر إلى أقصى المغرب نحوماية وثلاثين مرحلة[1] ، ومن أقصى المشرق إلى أقصى المغرب نحو أربعماية مرحلة ، ومن ناحية يأجُوج ومَأجُوج إلى أرض بُلغار والصقاَلِبَة نحو أربعين مرحلة ، ومن الصقالبة إلى أرض الشام نحو ستين مرحلة ، ومن أرض الشام إلى مصر نحو ثلاثين مرحلة ، ومن مصر إلى أقصى بلاد النوبة نحو ثمانين مرحلة ، وكل هـذه عامرة . وما بين يأجوج ومأجوج ، وبين البحر المحيط فى الشمال ، وما بين بوادى السودان والبحر المحيط من جهة الجنوب ، خراب ليس فيه عمارة ولا حيوان ولا نبات ، ولا يُعلم قدر مسافة هاتين البريتين ، لشدة البرد المانع من العمارة ، والجبال فى الشمال ثلث معمور وثلث خراب وثلث بحار ، والله أعلم .

وما بين الصين والمغرب معمور ، والبحر الأسود محيط به كالطوق . ومملكة الإسلام طولها من حد فَرْغَانة حتى تقطع [خراسان والجبال والعراق][2] ، وديار العرب إلى سواحل اليمن نحو خمسة أشهر ، وعرضها من الروم حتى [تقطع الشام والجزيرة][3] ، والعراق وفارس وكَرْمان إلى أرض المنصورة[7] على أربعة أشهر [وأما أرض الهند فإن][4] طولها من مُكْران إلى أرض المنصورة وسائر بلاد الهند إلى [أن تنتهى إلى قَنُّوج[8]][5] وتمتد إلى أرض التبت نحو أربعة أشهر . وأما أرض الروم [فحدها فى هذا البحر المحيط][6] إلى القسطنطينية مائة وسبعين مرحلة . وأما مملكة الصين فأربعة أشهر فى ثلاثة أشهر ، والله أعلم .

---

(١) المرحلة ، هى المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم (فى تلك العصور) ـ المصباح المنير .

٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ بياض فى الأصل وما بين الأقواس تكملة من :
ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٨ ـ ١٠
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٦ ـ ١٧

(٧) المنصورة : مدينة كبيرة بأرض السند ، وهى قصبتها ، قال المسعودى انها سميت بمنصور بن جمهور عامل بنى أمية .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٨) قنوج : بفتح أوله وضم وتشديد النون ، موضع فى بلاد الهند .
(ياقوت : معجم البلدان)

(ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

كان مولده صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل على الصحيح ، قال فى بهجة المحافل وبغية الأماثل ليحيي بن أبى بكر العامِرى[1] رحمه الله : أصح ما قيل إنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد عام الفيل ، فى زمن كِسْرى أنُو شِيرْوان ، يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول . وحملت به أمه أيام التشريق[2] ، وولد فى شعب أبى طالب[3] عند الجَمْرَة الوسطى[4] .

وكانت الحجاز على دين اليهود ، وأهل مكة يعبدون الأوثان ، واليمن مختلفة ، والروم والشام نصارى وملكهم هرقل ، والعراق وفارس مجُوس ، والهند والصين والترك يعبدون الأصنام . فولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأرض مُطْبِقة بالكفر . وكانت قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم حروب كثيرة منها حرب الفِجَار[5] بين قيس عيْلان وكنانة ، استحلوا فيه القتال فى الأشهر الحرم فسمى حرب الفِجَار .

---

(١) أنظر ما سبق ص ٩

(٢) أيام التشريق هى الثلاثة الأيام التى تعقب يوم النحر .
(تفسير الطبرى ، ج ٢ ص ١٧٦)

(٣) شعب أبى طالب أو شعب على ، فى الجهة الشرقية من القشاشية التى فى شرق المسجد الحرام ، ويطل عليها جبل أبى قبيس .
(مرآة الحرمين ، ج ١ ص ١٨٠)

(٤) الجمرة فى الأصل الحصاة ، وتطلق خاصة على أكوام الحجارة فى وادى منى ، وثمة ثلاث جمرات كل منها على رمية سهم من الأخرى الجمرة الأولى أو الدنيا ـ وهى الى الشرق بالقرب من مسجد الحيف ، والجمرة الوسطى فى الوسط ، وجمرة العقبة عند المخرج الغربى للوادى . ويطلق اسم المحصب كذلك على الجمرة ، وهو أيضا اسم واد بين مكة ومنى .
(مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٣٢٠ ، ٣٢٨)

(٥) حرب الفجار ، شهدها الرسول عليه الصلاة والسلام وهو فى الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمره ، وسميت بالفجار لأن سببها أن البراض بن قيس قتل عروة الرحال فى الشهر الحرام . أنظر :
(ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٩ ، ابن الأثير الكامل ج ١ ص ٢٤٦) .

وكان حلف الفضول[1] بعد الفجار بدار الندوة[2] ، وهى التى كان موضعها موضع مقام الحنفية الآن شامى البيت[3] مقابلاً للحجر . ولم يعمر المسجد فى زمن قريش ، وإنما كان المطاف حول دور قريش . وكان السيل قد هدم جوانب الكعبة فنقضها قريش ، وكان فى حيطانها صور كثيرة منها صورة إبراهيم عليه السلام فى يده الأزلام ، ومقابلها صورة ولده اسماعيل عليه السلام على فرس ، وصورة قصى بن كلاب . وبعد كمال البناء أعادوا تلك الصور على ما كانت عليه ، حتى بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم .

وكان بين مولده ومبعثه أربعون سنة . ومولده فى زمن كسرى أنوشروان ملك الفرس ، فى شهر نيسان من فصل الربيع فى منزلة الغفر ، والطالع لعشرين درجة من الجدى . وزحل والمشترى فى درجة العقرب ، وهى درجة وسط السماء . واسترضع صلى الله عليه وسلم من بنى سعد بن بكر ، وشق الملكان بطنه وهو فى أربع سنين ، وأرجعته مرضعته حليمة السعدية إلى أمه وهو فى خمس سنين . وتوفيت أمه آمنة بنت وهب وهو فى أربع سنين ، وقيل ست سنين ، بالأبواء[4] بين مكة والمدينة . وفى السنة الثامنة

---

(١) حلف الفضول : كان قبل البعث بعشرين سنة ، وسمى بهذا الاسم لأن جرهما فى الزمن الأول سبقت قريش الى مثل هذا الحلف ، فتحالف منهم ثلاثة ، أحدهم الفضل بن فضالة ، والثانى بن وادعة ، والثالث فضل بن الحارث . فلما أشبه حلف قريش حلف أولئك الجرهميين سمى حلف الفضول . وقيل بل سمى حلف الفضول لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يغزو ظالما مظلوما .

(ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ص ٢٩٠)

(٢) دار الندوة ، بناها قصى ـ واسمه زيد ـ وجعل بابها الى الكعبة ، يجتمعون فيها لمهماتهم ، فهى مجمع القوم (بهجة المحافل ، ص ٣٧) .

(٣) شامى البيت : الشامية الآن تقع فى شمال المسجد الحرام مع غربيه ، وهى طريق تجارى تباع فيه الأقمشة وغيرها (مرآة الحرمين ، ج ١ ص ١٨١)

وقد لاحظ المحقق أن المؤلف استخدم لفظ « شامى » بعد ذلك أكثر من مرة بمعنى « شمالى » ، وهو منطق صحيح لموقع بلاد الشام شمالى شبه الجزيرة العربية ، فهى تمثل جهة الشمال بالنسبة لهم .

(٤) الأبواء ، قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بها قبر آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم (معجم البلدان) .

من مولده صلى الله عليه وسلم توفى جده عبد المطلب بن هاشم ، فضمه عمه أبو طالب ، وأخرجه معه فى تجارة إلى الشام وهو في ثلاث عشرة سنة . ولم يزل صلى الله عليه وسلم يعبد الله فى جبل حِرَاء — وهو المعروف الآن بجبل النور — شرقى مكةَ .

قال الَحجُورى فى الروضة(١) : لما حضرت عبد المطلب الوفاة ، جمع بنيه وبناته فقال : « يا بنى قد اعتللت عللا كثيرة ما وجدت كهذه ، فإذا مت ، فأيكم يكفل محمداً » فما منهم أحد إلا قال « أنا أكفله » ، وقال ابنه الحارث « إنّا لا نأمن إذا كفله أحدنا ألاَّ يرضاه» فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له « من ترضى لكفالتك ؟ » فجعل ينظر فى وجوههم حتى أتى أبا طالب فجلس فى حجره ، وقال : « هذا » فقال « سبحان الله ! وما أردت غيرك يا عبد مناف » ، انتهى بأكثر لفظه .

وعند قيامه داعياً إلى الله تطايرت النجوم ، وتناثرت كالجراد . و نزل عليه جبريل عليه السلام بسورة (اقْرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَق(٢)) . وكان مبعثه لستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض . وأول من آمن به علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم أبو بكر الصديق . ودعا قومه إلى الإسلام ، فأسلم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف الزّهرى ، وسعد ابن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهؤلاء هم السابقون إلى الإسلام . وما زال صلى الله عليه وسلم يدعو قومه إلى الإسلام فلم يجبه الأكثر ، فدعا عليهم بسنين كسنين يوسف عليه السلام ، فسلّط الله عليهم القحطَ حتى أكلوا العظام . وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها يشبه الدخان من شدة الجوع ، فأنزل الله تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ(٣)) ،

(١) هو يوسف بن محمد بن الحجورى اليمنى المعروف بالحفيظ ، صاحب كتاب « روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار »
(فهرس برلين ، مجلد ٩ ، ص ٢٢٨)
(٢) سورة العلق ، آية ١
(٣) سورة الدخان ، آية ١٠

فأتى الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقون، فاستسقى لهم فسقوا، وأنزل الله تعالى قوله (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً[1]) الآية. فلما أخصبوا عادوا إلى ما كانوا عليه، فأنزل الله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى[2]) الآية، فانتقم الله منهم يوم بدر. وعن أبي مليكة قال «دخلت على ابن عباس فقال: لَمْ أَنَمْ هذه الليلة: فقلت: لِمَ؟ فقال: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يطرق الدخان»، انتهى:

ودخلت السنة الأولى من سنين الهجرة النبوية:

وهي السنة الرابعة من المبعث، فيها أذن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة إلى المدينة، فقدمها ضحى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وناصره الأوس والخزرج، وهم من قحطان إحدى قبائل اليمن.

ودخلت سنة — ٢ —

فيها كانت غزوة بدر الكبرى فى سابع عشر من رمضان يوم الجمعة، استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا، ستة من قريش وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب[3] وعميرة بن أبي وقاص الزهرى[4]، وذو الشمالين[5]، وعاقل بن البكير[6]، ومهجع مولى

---

(١) سورة الدخان، آية ١٥

(٢) سورة الدخان، آية ١٦

(٣) ويكنى أبا الحارث، وقيل أبو معاوية، هاجر مع أخويه. وكان الرسول يؤثره، وقد شهد غزوة بدر (أسد الغابة، ج ٣ ص ٣٥٦ – ٣٥٧).

(٤) هو أخو سعد بن أبي وقاص، شهد بدرا مع النبى (ص) واستشهد بها. وكان النبى قد استصغره حينما المسير الى بدر، فبكى عميرة، فأجازه النبى بالمسير، وكان يبلغ حين استشهد ببدر ١٦ سنة (أسد الغابة، ج ٤، ص ١٤٨).

(٥) اسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة، وهو أخو خزاعة. وقد أسلم وشهد بدرا واستشهد بها على يد أسامة الجشمى المشرك (أسد الغابة ج ٢ ص ١٤١).

(٦) كان اسمه «غافلا» ولما أسلم سماه الرسول «عاقلا». وقد بايع الرسول فى دار الأرقم، وشهد بدرا مع اخوته عامر وخالد واياس، وقتل ببدر شهيدا على يد مالك بن زهير الجشمى (أسد الغابة، ج ٣ ص ٧٦).

عمر[١] ، وهو يمانى من عك بن عدنان ، بالمثلثة ، وهو أول قتيل ، وصفوان بن بيضان[٢]، ومن الأنصار ثمانية ، خمسة من الأول ، وهم سعد بن خيثمة[٣] ومبشر عبد المنذر بن زبير[٤] ، ويزيد بن الحارث[٥]، وعمير بن الحمام[٦]، ورافع بن المعلى[٧] . وثلاثة من الخزرج : حارثة بن سراقه[٨] وعوف ومعوذ ابنا[٩] عفراء رضى الله عنهم . وقتل من الكفار سبعون ، منهم أبوجهل بن هشام رأس الكفرة ، وأسر سبعون .

وفيها فرض صوم شهر رمضان .

وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة .

---

(١) هو مهجع بن صالح العكى ، قال ابن هشام : أصله من عك ، وكان من السابقين الى الاسلام ، وهو مولى عمر بن الخطاب . وهو من أهل اليمن . وكان أول من قتل من المسلمين فى بدر . وذكر عن أبى العباس أنه ممن نزل فيه قوله تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ... » الى آخر الآية . (أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٢٤ ، الاصابة ، ج ٦ ص ١٤٦)

(٢) هو صفوان بن وهب بن ربيعة . شهد بدرا مع النبى ، واستشهد بضربة من طعيمة بن عدى . وقيل لم يقتل بها وانما مات فى رمضان سنة ٣٨ هـ .
(أسد الغابة ، ج ٣ ص ٢٨) .

(٣) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب ، يكنى أبا خيثمة ، شهد العقبة ، وهو عقبى بدرى (أسد الغابة ج ٢ ص ٢٧٥) .

(٤) مبشر بن عبد المنذر بن زَبير بن أمية ، شهد بدرا مع أخويه ، واستشهد فيها . (أسد الغابة ، ج ٤ ص ٢٩٨) .

(٥) هو يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك ، آخى الرسول بينه وبين ذى الشمالين ، شهد بدرا واستشهد فيها (أسد الغابة ، ج ٥ ص ١٠٧) .

(٦) هو ابن الحمام بن الجموح ، آخى الرسول بينه وبين عبيدة بن الحارث ، قتل يوم بدر (أسد الغابة ، ج ٤ ص ١٤٣) .

(٧) رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى ، شهد بدرا وقتل فيها (أسد الغابة ، ج ٢ ص ١٥٨) .

(٨) هو أول فارس استشهد فى بدر ، وقيل انه أول من استشهد من الأنصار (أسد الغابة ج ١ ص ٣٣٥) .

(٩) عوف ومعوذ ابنا عفراء ـ وهى أمهما ـ وأبوهما الحارث بن رفاعة . ومعوذ هو الذى قتل أبا جهل يوم بدر (أسد الغابة ، ج٤ ص ٤٠٣ ، الاستيعاب ، ج ١ ص ١١٦١) .

وتوفى عثمان بن مظعون القرشى الجمحى[1] . وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة بعد رجوعه من بدر ، وقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ميت ، وكان يزوره ، ودفن بالبقيع ، ودفن إلى جنبه إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان ممن حرم الخمر على نفسه قبل تحريمها . وكان عابداً مجتهداً ، وسمع قول لبيد بن ربيعة ينشد : « ألا كلُّ شىء ما خلا الله باطل » ، فقال « صدقت » ، فقال « وكل نعيم لا محالة زائل » ، فقال عثمان « كذبت » فالتفت القوم إليه ، فقالوا للبيد ، « أعد علينا » ، فأعاد لبيد ، وأعاد له عثمان بتكذيبه مرة وتصديقه مرة ، وإنما يعنى عثمان ، إذا قال كذبت ، يعنى نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : « والله يامعشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا » ، فقام سفيه منهم إلى عثمان بن مظعون فلطم عينه فاخضرت ، وذلك فى أول الإسلام ، فقال له عتبة بن ربيعة « والله يا عثمان لقد كنت فى ذمة منيعة وكانت عينك غنيّة عمّا لقيت » ، فقال له عثمان : « إن عينى الأخرى لفقيرة إلى ما صنع بأختها فى سبيل الله » .

وفيها مات الرئيسان أسعد بن زرارة النجارى[2] والبراء بن معرور[3] رضى الله عنهما .

---

(١) عثمان بن مظعون ، ويكنى أبا السائب ، أسلم فى صدر الاسلام ، وكان رابع عشر نفرا أسلموا ، ثم هاجر للحبشة هو وابنه السائب ، ثم عاد وشهد بدرا . وكان أول من مات بالمدينة سنة اثنتين للهجرة ودفن بالبقيع (أسد الغابة ، ج ٣ ص ٣٨٥) .

(٢) أسعد بن زرارة النجارى ، ويعرف بأسعد الخير ، وكنيته أبو امامة ، وهو أول الأنصار اسلاما . وقد شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة . وروى أنه نقيب بنى ساعدة وأول من بايع النبى ليلة العقبة ، وأول من صلى الجمعة بالمدينة . مات فى السنة الأولى للهجرة ، ولم يشهد بدرا الكبرى (أسد الغابة ، ج ١ ص ٧١) .

(٣) البراء بن معرور ، وهو من قبيلة الخزرج وكنيته أبو بشر ، وأمه الرباب بنت النعمان بن امرىء القيس ، وأحد النقباء (نقيب بنى سلمة) وأول من بايع الرسول ليلة العقبة الأولى ، وأول من استقبل القبلة وأوصى بثلث ماله . توفى فى أول الاسلام قبل قدوم الرسول الى المدينة مهاجرا .
(أسد الغابة ، ج ١ ص ١٧٣ ــ ١٧٤) .

وفيها حولت القبلة إلى الكعبة ، وذلك فى ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان .

وفيها تزوج على رضى الله عنه بفاطمة رضى الله عنها .

وفيها توفيت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى شوال منها دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعائشة رضى عنها .

ودخلت سنة — ٣ —

فى رمضان منها ولد الحسن بن على عليهما السلام ، وقيل فى نصف شعبان . وأما الحسين عليه السلام فمقتضى ما ذكروه فى مدة عمرهما وتاريخ وفاتهما أن يكون [الحسين] قد ولد فى الخامسة ، ولم يظهر مما سيأتى من تاريخ وفاتهما ما يقتضى ما ذكروه ، فليتأمل . وقال القرطبي ولد الحسين فى شعبان من الرابعة ، وعلى هذا ولد الحسين عليه السلام قبل تمام السنة من ولادة الحسن عليهما السلام . ويؤيده ما ذكره الواقدى أن فاطمة رضى الله عنها فيها علقت بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة . وجزم النووى فى التهذيب أنه ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وقيل لم يكن بين ولادتهما إلا طُهرٌ واحدٌ .

وفى رمضان من السنة المذكورة دخل بزينب بنت جحش ، وبزينب بنت خُزَيمة ، العامرية أم المساكين ، وعاشت عنده نحو ثلاثة أشهر ثم توفيت .

وفيها تزوج عثمان [بن عفان] أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وفيها تحريم الخمر .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وبزينب بنت جحش .

وفى يوم السبت الحادى عشر أو السابع من شوال كانت غزوة أحد ، استشهد فيها

حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، بعد أن قتل جماعة من المشركين ، وكان إسلامه فى السنة الثانية وقيل فى السادسة من المبعث . ولم يسلم من المعركة سوى العباس رضى الله عنه ، وكانوا تسعة ، وقيل عشرة ، وقيل اثنا عشر . ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى مابه من المغلّة حلف ليمثلن بسبعين من قريش ، فنزل قوله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ)[1] الآية ، قال بل نصبر ، وكفّر عن يمينه .

وفى ذى القعدة منها غزوة بدر الصغيرى . وفيها مات سعد بن خَوَلة[2] الذى رثى له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومات بمكة .

وفيها فرض الحج وقيل سنة خمس .

وفيها كانت غزوة بئر معونة .

ودخلت سنة — ٤ —

فيها كانت غزوة بنى النَّضِير فى شهر ربيع الأول منها ، فنزلوا صلحا وارتحلوا إلى خَيْبَر . وفى أول محرم غزوة ذات الرِّقَاع ولم يكن فيها قتال .

ودخلت سنة — ٥ —

فى جمادى الآخرة منها خُسف القمر ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف .

وفيها نزلت آية التيمم ، ذكره السمهُودى فى كتابه خلاصة الوفا بدار المصطفى .

---

(١) سورة النحل ، آية (١٢٦) .

(٢) سعد بن خولة ، من بنى مالك ، قال ابن هشام هو من اليمن حليف لهم . كان من أوائل المسلمين ، وهاجر الى ارض الحبشة ، توفى فى حجة الوداع (أسد الغابة ، ج ٢ ص ٢٧٣ — ٢٧٤) .

وفى شوال كانت غزوة الخندق ، وبعدها غزوة بنى قُرَيْظة . وصحح فى الروضة أن الخندق فى الرابعة وبنى قريظة فى الخامسة . وظاهر هذا التناقض لأنها كانت عقيبها ، إلا أن تحمل على آخر هذه وأول هذه ، لكنه بعيد ، لأنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى بنى قريظة فى اليوم الذى انصرف فيه من الأحزاب .

وفيها توفى سعد بن معاذ سيد الأوس واهتز لموته عرش الرحمن[1] .

وغزوة بنى المصطلق وتسمى غزوة المُرَيْسِيع[2] ، وفى هذه الغزاة كان حديث الإفك .

ودخلت سنة — ٦ —

فى ذى القعدة منها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وأربعمائة ، فنزل الحُدَيْبِية قاصداً للعمرة ، فصدّه المشركون عنها ، وبايع أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان ، وصالح قريشاً . قال السمهودى : قال الأسدى : والتنعيم موضع الشجرة التى بايع الناس فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مساجد عائشه[3] ؛ وفيه آثار ؛ انتهى .

وفيها نزلت آية الحجاب فى الإسلام ؛ وفيها تزلزلت المدينة المشرفة فقال صلى الله عليه وسلم (ربكم يَسْتَعْتِبكم فاعتبوه) . العَتَب فى اللغة الغضب ، وقوله يستعتبكم أى يطلب منكم طاعته ، وترك مساخطه ليحصل الرضا . قال تعالى (وإن يَسْتَعْتِبوا فَمَا هُم مِنَ

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس ، أسلم على يد مصعب ابن عمير ، وشهد بدرا . روى عن النبى (ص) أنه قال : لقد نزل من الملائكة فى جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا وطئوا الأرض . كذلك روى عنه أنه قال : لقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . (أسد الغابة ، ج ٢ ص ٢٩٦) .
(٢) المريسيع : ماء قرب قديد .
(٣) التنعيم هو مساجد عائشة ، وهو حد الحرم من جهة المدينة ، وهو فى شمال مكة الغربى ، وبه آبار كثيرة (مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٣٤١) .

المُعتَبينَ[1]) أى يسترضوا ويطلبوا العتبى ، والمُعتب الذى قبل عِتابه وأُجيب إلى ما سأل .

وفيها كسفت الشمس ، ونزلت آية الظهار .

وفيها زواج أم سلْمة رضى الله عنها .

وفيها كان بُني مسجد صنعاء ، بناه فَروة بن مُسَيك[2] بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى بستان باذان[3] فيما بين غُمْدَان إلى الحجر الململمة[4] التى تحت الطاق عن يسار المستقبِل . وفى رواية للرازى فى تاريخ صنعاء أن البانى لمسجد صنعاء بأمر رسول الله صلى عليه وسلم عامله وَبَر بن يحيس[5] قال الرازى : ولما قدم وبر بن يحيس إلى صنعاء بنى المسجد بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بستان باذان ، بعد مؤتة من الصخرة التى فى أصل غمدان ، وصلى بالمسلمين فيه ، وجعل قبلته جبل ضبين[6] كما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة فصلت ، آية ٢٤ .

(٢) فروة بن مسيك ــ ويقال ابن مسيكة ــ ابن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريب الغطيفى ثم المرادى ، أصله من اليمن . أسلم سنة تسع قبل قدوم عمرو بن معد يكرب . ذكر الطبرى أنه قدم مفارقا لملوك كندة ، ثم انتقل الى الكوفة زمن عمر . وكان من وجوه قومه كما كان شاعرا (أسد الغابة ، ج ٤ ص ١٨٠) .

(٣) بستان باذان ، هو البستان الذى كان يملكه باذان الفارسى والى اليمن الذى أسلم سنة ٦ هـ . وقد وهب مساحة البستان ليقام فيها مسجد صنعاء القائم حتى الآن ويعرف بالمسجد الكبير .

(أحمد فخرى : اليمن ماضيها وحاضرها ص ١٤٧ ــ ١٤٨) .

(٤) الحجر : قرية باليمن ، والململمة جبال فى تهامة باليمن على مسافة ليلتين من مكة (فى تلك العصور) وهى ميقات أهل اليمن .

(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ١١٢) .

(٥) وبر بن يحيس ــ وقيل وبره بن يحيس ــ الخزاعى ، سمع النبى (ص)، روى عنه النعمان بن بزرج أن النبى (ص) قال له : اذا أتيت مسجد صنعاء الذى بجبال الضبيل ــ وهو جبل بصنعاء ــ فصل فيه . (أسد الغابة ، ج ٥ ص ٨٣) .

(٦) جبل ضبين . هكذا وردت الصيغة فى الأصل ، ويلاحظ فى الحديث السابق الذى رواه النعمان عن وبر بن يحيس أن الاسم ورد الضبيل ، باللام .

وفى مجمع الزوائد للهيثمى[1] مالفظه : وعن وبر بن يحيس الخزاعى قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يقال له ضبين» ، رواه الطبرانى[2] فى الأوسط ، وإسناده حسن .

ودخلت سنة — ٧ —

فى أولها كان عود المهاجرين من أرض الحبشة .

وفيها كانت غزوة خيبر وفتحها فى صفر ، واستشهد فيها من المسلمين بضعة عشر رجلا .

وتزوجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب .

وفى ذى القعدة منها كانت عمرة القضاء . وبعد عودته صلى الله عليه وسلم بنى بميمونة بنت الحرث . وبعد أيام قدمت أم حبيبة بنت أبى سفيان من الحبشة ، فدخل بها صلى الله عليه وسلم . وجاريته مارية القبطية . وأسلم فيها أبو هريرة رضى الله عنه . وفيها صلاة الخوف عند بعضهم ، وغزوة دومة الجندل .

ودخلت سنة — ٨ —

فيها كانت غزوة مؤته ، استشهد فيها زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ،

---

(١) هو الشيخ الامام نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، ألف كتاب « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » المشار اليه فى المتن ، وهو كتاب حافل فى ستة مجلدات ، جمع فيه زوائد الكتب الستة والمعاجم الثلاثة للطبرانى (كشف الظنون ، ج ٢ ص ٢٣٠ ، باب الجيم) .

(٢) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى ، أبو القاسم ، من كبار المحدثين ، أصله من طبرية الشام ، واليها نسبته . ولد بعكا ورحل الى الحجاز واليمن والعراق وفارس ومصر والجزيرة ، وتوفى بأصبهان . له ثلاثة معاجم فى الحديث ، منها المعجم الصغير . وله كتب فى التفسير ، وكتاب « الأوائل » وكتاب « دلائل النبوة » وغير ذلك .

(الزركلى : الأعلام ، ج ٣ ص ١٨١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١٥ ، تهذيب ابن عساكر ، ج ٦ ص ٢٤٠) .

وعبد الله بن رواحة الخزرجي ، أحد النقباء الصادق فى طلب الشهادة ، رضى الله عنهم ؛ فأخذ الراية خالد بن الوليد ورجع بالمسلمين إلى المدينة لما تكاثرت عليهم جنود الكفار من الروم والشام . فقال أهل المدينة : هؤلاء الفرارون . فقال صلى الله عليه وسلم : بل الكرارون .

وفى رمضان كان فتح مكة .

وفى شوال غزوة حنين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف مقاتل فانكسر المسلمون أول اليوم وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجال من أهل بيته . وتراجع المسلمون وانهزم المشركون . ثم سار صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فحاصره بضعا وعشرين ليلة ونصب عليه المنجنيق ، ثم رحل عنه وقسم الغنائم بين المسلمين بأوْطاس[1] . وفيها بعث عمرو بن العاص إلى [جيفر وعياذ ابنى[2]] الجلندى بعمان ، فأسلما.

ودخلت سنة — ٩ —

فى رجب منها كانت غزوة تَبُوك[3] ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين ألفا من المسلمين ، فوصل تبوك أطرف قرية من قرى الشام ، فضرب الحربة على أهل تلك الجهة ، ولم يقع فيها قتال ، ورجع إلى المدينة .

وفيها قتل ملك الفرس . وأسلم أهل الطائف فى العام القابل . وفيها غزوة ذات السلاسل . وغلا السعر فقال الناس : « يا رسول الله سعر لنا » فقال : « إن الله تعالى هو المسعر القابض الباسط » .

---

(١) أوطاس : واد فى ديار هوزان ، فيه كانت وقعة حنين للنبى (ص) . (صحيح البخارى ، ج ٥ ــ باب غزوة أوطاس ، معجم البلدان) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط فى الأصل ، وأثبتناه من تاريخ الكامل لابن الأثير ــ الجزء الثانى .

(٣) تبوك ، قرية بين وادى القرى والشام ، نسبت اليها الغزوة (الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ، ج ١ ص ١٠ ، معجم البلدان لياقوت) .

وفيها ولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوفيت ابنته زينب وهى أكبر أولاده رضى الله عنها .

وفيها كسفت الشمس ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف .

وفيها حج أبو بكر بالناس ومات النجاشى فى رجب .

وتوفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى ذى القعدة هلك عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، وهو القائل ، « لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجن الأعز منها الأذل » فلما رجعوا من غزوة تَبُوك منعه ابنه عبد الله — المقدم ذكره — عن دخول المدينة حتى بايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. وفيها قتل عروة بن مسعود الثقفى[2] ، قتله قومه حين دعاهم إلى الإسلام ، وكان من دهاة العرب .

وتوفى سهيل بن بيضاء الفهرى[3] ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد .

ودخلت سنة — ١٠ —

فيها تقارن الثقلان ، قيل لهما الثقلان لثقل سيرهما ، زُحل والمشترى ، فى المثلثة النارية[4] . وسميت هذه السنة سنة الوفود ، لكثرة من وفد فيها إلى رسول الله صلى

(١) روى أن النبى (ص) صلى على عبد الله بن سلول اكراما لابنه عبد الله ، وقيل ألبسه قميصه اكراما له أيضا .

(الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ج ١ ص ١١) .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب الثقفى ، وهو ممن أرسلته قريش الى النبى يوم الحديبية ، فعاد الى قريش وقال لهم « قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها » . روى عنه حذيفة بن اليمان .

(أسد الغابة ، ج ٣ ص ٤٠٦)

(٣) سهيل تصغير سهل ، وبيضاء أمه ، وأبوه وهب بن ربيعة بن عمرو ، وهو قديم الاسلام ، هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة .

(أسد الغابة ، ج ٢ ص ٣٧٠) .

(٤) قسم بطلميوس دائرة البروج الى أربعة اقسام هى المثلثات ، لان كل قسم منها ثلاثة أبراج ، وأول هذه المثلثات المثلثة النارية ، وهى الحمل والأسد والقوس .

(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٣١) .

الله عليه وسلم ؛ وذكرها بعضهم فى التاسعة : وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسا وعشرين ، وسراياه ستا وخمسين ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، ولم يحج بعد الهجرة سواها ، ولم ينضبط عدد حجاته قبلها ، وحج معه من الصحابة وغيرهم ما يزيد على مائة ألف . قال الشيخ على الهيتمى فى مجمع الزوائد : ثبت عن سمرة بن جندب[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن هذا عام الحج الأكبر » قال : واجتمع حج المسلمين والمشركين فى ثلاثة أيام متوالية ، واجتمع النصارى واليهود فى ثلاثة أيام متتابعات ، واجتمع حج المسلمين والمشركين واليهود والنصارى فى العام الثانى فى ستة أيام متتابعة ، ولم يجتمع منذ خلق الله السماوات والأرض كذلك ، ولا يجتمع بعده إلى يوم القيامة : رواه الطبرانى .

وفيها توفى إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو ابن سنة ونصف ، وكسفت الشمس يوم موته[2] . وقد سبق أنها كسفت فى السادسة ، فإن حمل على التعدد فلا إشكال ، وإلا فأحد النقلين باطل . وذكر بعض الشافعية أن كسوفها يوم مات إبراهيم يرد على أهل الفلك لأنه مانع فى غير يوم الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ، وهم يقولون لاتنكسف إلا فيهما . قال اليافعى : وهذا يحتاج إلى نقل صحيح ، فإن العادة المستقرة كسوفها فى اليوم المذكور مستمراً ، والله أعلم . ويوم ولد ابراهيم

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، يكنى أبا سعيد ، سكن البصرة . وهو حليف الأنصار ، وكان زياد يستخلفه على البصرة اذا صار الى الكوفة ، ويستخلفه على الكوفة اذا صار الى البصرة . كان كثير الحفظ شديدا على الخوارج . توفى سنة ثمان وخمسين بالبصرة .
(أسد الغابة ، ج ٢ ص ٣٥٤) .

(٢) ابراهيم ابن رسول الله (ص) ، أمه مارية القبطية . ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ، وتوفى وهو ابن ثمانية عشر شهرا ، ودفن بالبقيع . ولما توفى اتفق أن الشمس كسفت (أسد الغابة . ج ١ ص ٣٨ ـ ٤٠) .

وَهبَ النبي صلى الله عليه واله وسلم لمن بشره بولادته — وهو أبو رافع[1] — عَبْداً. وتنازعت الأنصار فى رضاعه، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبى سيف وزوجته أم سيف جرير، والله أعلم[2].

فهذه نبذة يسيرة من سيرته صلى الله عليه وسلم، أوردناها فى أول كتابنا هذا تبركا بذكره، ولأنه عربى يمانى[3] صلى الله عليه وسلم، فيحتم ذكره فى تاريخ اليمن، وإلا فسيرته مبسوطة فى كثير من المصنفات، كالسيرة لابن هشام وغيرها. قال الخزرجى: أجمع المسلمون أن أهل اليمن أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى[4] سنة سبع من الهجرة إلى الحارث بن عبد كلال

---

(١) أبو رافع : مولى النبى (ص) ، اختلف فى اسمه فقيل أسلم وقيل ابراهيم وقيل صالح . توفى فى خلافة عثمان ، وقيل فى خلافة على ، وهو الصواب .

(أسد الغابة ، ج ٥ ص ١٩١) .

(٢) أبو سيف القين ، زوج أم سيف ، ظئر ابراهيم ابن النبى (ص) روى ثابت عن أنس ، قال رسول الله (ص) « ولد لى الليلة غلام ، فسميته باسم أبى ابراهيم » . قال فدفعه الى أم سيف امرأة قين .

هذا ، والظئر المرضعة لغير ولدها .

(أسد الغابة ج ٥ ص ٢٢٤ ، ٥٩٣) .

(٣) يفخر أهل اليمن بأن النبى (ص) يمنى الأصل ، وقد ذكر ابن الفقيه أن أبا العباس السفاح كان يعجبه منازعة الناس ، فحضر ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان وخاضوا فى حديث مضر واليمن ، فقال ابراهيم « يا أمير المؤمنين ان اليمن .... فمنا النبى المصطفى والخليفة المرتضى ... » .

(ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٣٩ — ٤٠) .

كذلك قال أبو موسى الأشعرى عن النبى (ص) أنه ذكر عن أهل اليمن « هم منى وأنا منهم » . (صحيح البخارى ، ج ٥ ص ٢١٨) .

(٤) هو المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومى ، أخو أم سلمة زوج الرسول ، أرسله (ص) الى الحارث بن عبد الله كلال الحميرى باليمن ، وفى عهد أبى بكر أرسله لقتال المرتدين ، ففتح حصن النجير (بالحاء أو الجيم) بحضرموت مع زياد بن لبيدى الأنصارى ، وبعث بالأشعث بن قيس الى أبى بكر أسيرا . وله فى قتال المرتدين باليمن أثر كبير . (أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٢٢) .

الحميرى[١]. وقيل إن أول من بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وبر بن بحيس[٢] الخزاعى، وفشا الإسلام فى اليمن. وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسود العنسى الكذاب، الذى ادعى النبوة باليمن، وسيأتى تمام خبره. وممن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَروة بن مُسَيْك المرادى، مفارقا لملوك كندة، فاستعمله على مُرَاد[٣] ومَذْحِج[٤] وزبيد[٥]. وهاجر الأشعث بن قيس الكندى فى مائة راكب من كِنْدة. وهاجر عمرو بن معدى كرب الزُبيدى — بضم الزاى — فى عدة من قومه. ثم ارتد الأشعث وعمرو بن معدى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسلما أيام أبى بكر رضى الله عنه وشهدا مع المسلمين المشاهد العظيمة[٦]. وكان عمرو رئيسا فى قومه زُبيد، وهى البلاد التى شرقى اليمن الأعلى. وهاجر إلى رسول

---

(١) عبد كلال: من ملوك حمير، كان من اتباع دين عيسى، من ولده الحارث بن عبد كلال، من ملوك حمير الوافدين على الرسول (ص).
(حسين بن على الويسى: اليمن الكبرى، ص ١٩٠).

(٢) وبر بن بحيس الخزاعى، وقيل وبرة بن يحنس، وقيل ابن محصن الخزاعى، من الأبناء الذين كانوا باليمن، فقدم على النبى (ص) وأسلم. وقيل ان النبى أرسله الى ذا ذوية وفيروز الديلمى وجشيش الديلمى ليقتلوا الأسود العنسى الذى ادعى النبوة (ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٥٣٣، أسد الغابة ج ٥ ص ٨٣).

(٣) مراد: حى من اليمن (الويسى: اليمن الكبرى، ص ١٩٢).

(٤) مذحج: قبيلة من اليمن، سموا مذحجا لأن أباهم مالك بن أدد ولد على أكمة اسمها مذحج فسمى بها مذحجا (الحميرى: منتخبات فى أخبار اليمن، ص ٣٨).

(٥) زبيد: اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف الا به، وهى مدينة مشهورة باليمن، أحدثت فى أيام المأمون وبازائها ساحل المندب (ياقوت: معجم البلدان).

(٦) جاء فى أسد الغابة أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى ارتد مع الأسود العنسى بعد وفاة الرسول (ص)، فسار اليه خالد بن سعيد بن العاصى فقاتله فرجع الى الاسلام، ثم عاد الى المدينة، فأرسله ابو بكر الى الشام، فشهد اليرموك ثم شهد القادسية، وقتل بها، وقيل قتل فى نهاوند.
(أسد الغابة، ج ٤ ص ١٣٢).

الله صلى الله عليه وسلم الأبيض بن جمال ـ وهو جد بنى الكرندى ملوك المعافر[1] ـ فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مأرب[2] ، فقال الأقرع بن حابس التميمى ، « يا رسول الله إنى قد وردت هذا الملح فى الجاهلية ، وإنه مثل الماء العذب ، من ورده أخذ منه » . فاستقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأبيض بن جمال فقال « قد أقلتك يا رسول الله على أن تجعله منى صدقة » . قلت : ولفظه فى كتب الحديث غير هذا .

وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعريون من زبيد ، وزمع[3] فيهم أبو موسى وأخوه أبو بردة وأبو رهم وجماعة من قومهم[4] ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فقال لهم « من أين جئتم ؟ » فقالوا « من زبيد » ، قال « بارك الله فى زبيد الخير » ؛ وقسم لهم من الغنائم ، ولم يقسم لغيرهم ممن لم يشهد الفتح . قال المصنف رحمه الله : وأجمعت الأمة أن أرض اليمن عُشرية[5] لأن أهلها أسلموا طوعا .

ولما فشا الإسلام باليمن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب

---

(١) المعافر : بطن من القحطانية .
(القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٤٢٣) .

(٢) جاء فى الخبر أن الأبيض بن جمال وفد الى رسول الله (ص) واستقطعه الملح الذى بمأرب ، فأقطعه .
(أسد الغابة ، ج ١ ص ٤٥) .

(٣) زمع زمعا وزموعا وزمعانا ، أسرع فى مشيه .

(٤) أبو موسى الأشعرى وأبو بردة وأبو رهم ، ثلاث اخوة ، هاجروا الى الحبشة ، ثم قدموا على الرسول (ص) حين فتح خيبر . قال لهم الرسول « لكم هجرتان » (أسد الغابة ، ج ٤ ص ٢٤٥ ، ج ٥ ص ١٤٦ ، ١٩٧)

(٥) الأراضى فى الاسلام ستة أضرب ، منها الأرض العشرية وهى التى أسلم عليها أهلها وهى فى أيديهم ـ مثل اليمن والمدينة والطائف ـ فان الذى يجب على أهلها العشر فقط .

رضى الله عنه ، وخالد بن الوليد ، ويعلى بن أمية[١] ، وعمرو بن حزم[٢] ، وعكاشة ابن أبى ثور[٣] ، ومعاوية بن كندة ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وعامر بن شهر[٤] ، وشهر بن باذام . قال البخارى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خالد بن سعيد بن الوليد قبل حجة الوداع ، وبعث مع على عليه السلام بريدة الأسلمى[٥] والبراء بن عازب[٦] ، فوصل علىُّ عليه السلام إلى صنعاء ، وعمر فيها المسجد المعروف بمسجد على ثم عاد بالهدايا ، فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، انتهى .

وظهر الأسود العنسى باليمن آخر مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وادعى النبوة كما تقدم . وكان له شيطان يخبره بالمغيبات ، فضلَّ به كثير من الناس . وتابعه طائفة من الجهال ، واستفحل أمره ، فكتب عمال اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) يعلى بن أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث الحنظلى . أمه أمية ، أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك ، واستعمله عمر بن الخطاب على بعض اليمن ، واستعمله عثمان على صنعاء ، وكان على الجند باليمن أيام قتل عثمان . وحمل عائشة على الجمل فى موقعة الجمل . وكان جوادا كريما (أسد الغابة ، ج ٥ ص ١٢٨)

(٢) عمرو بن حزم بن زيد الأنصارى الخزرجى ، أول مشاهده الخندق ، واستعمله الرسول (ص) على أهل نجران ، وهم بنو الحارث بن كعب ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتوفى بالمدينة سنة احدى وخمسين . (أسد الغابة ، ج ٤ ص ٩٨) .

(٣) عكاشة بن ثور بن أصغر الغوثى ، كان عاملا لرسول الله (ص) على السكاسك والسكون وبنى معاوية من كندة (أسد الغابة ج ٤ ص ٢)

(٤) عامر بن شهر الهمدانى ، ويقال البكيلى ويقال الناعظى ، وهما بطنان من همدان ، يكنى أبا شهر ، وسكن الكوفة . وهو أول من اعترض على الأسود العنسى . وكان أحد عمال الرسول (ص) على اليمن (أسد الغابة ج ٣ ص ٨٣) .

(٥) بريدة بن سفيان الأسلمى ، أنصارى ، توفى سنة خمس وأربعين (أسد الغابة ، ج ١ ص ١٧٦) .

(٦) البراء بن عازب بن الحارث بن عدى الأوسى الأنصارى ، رده النبى (ص) لصغر سنه عند بدر ، وشهد أحد وقيل الخندق ، وغزا مع الرسول أربع عشرة غزوة . وهو الذى افتتح الرى سنة أربع وعشرين . وشهد مع على بن أبى طالب الجمل وصفين والنهروان ، ونزل بالكوفة ، ومات أيام مصعب بن الزبير . (أسد الغابة ، ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢)

بخبره، فأمرهم بمحاربته ، فحاربوه وقتلوه . وكان بين ظهوره وقتله أربعة أشهر . قال أبو مخرمة : والقاتل له الأبناء[1] ، وأعانهم على قتلة زوجته ، وهو أول الكذابين الذين ورد الخبر بهم وبظهورهم ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١١ —

في وسط يوم الاثنين من شهر ربيع الأول توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيما قيل إنه توفى فى الثانى عشر منه إشكال ؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كانت وقفته بالجمعة فى السنة العاشرة إجماعا ، ولا يتصور مع ذلك وقوع يوم الاثنين اثنى عشر من شهر ربيع الأول من السنة التى تأتى بعدها ، وذلك مطرد فى بعضها . وبعثته صلى الله عليه وآله وسلم على رأس أربعين ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، وأقام بالمدينة عشرا بالإجماع . وتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح .

وولد عام الفيل فى بيت بنى هاشم ، وتوفى جده عبد المطلب وهو ابن ثمان على قول ، وشهد بناء قريش الكعبة وهو ابن ثلاث وثلاثين على قول . والصحيح أنه كان ينقل معهم الحجارة وهو صغير ، وكانوا يجعلون أُزُرَهم على عواتقهم بالحجارة ،

---

(١) الأبناء : يتكرر هـــذا اللفظ فى الكتاب أكثر من مرة . ويقصـــد ، بالأبناء أبناء فارس الذين نزحوا الى اليمن واستقروا فيه على أيام سيف بن ذى يزن . ذلك أن سيفا استنجد بملك الروم لمساعدته فى طرد الحبشة من اليمن ، فهم ملك الروم بمساعدته لولا أنه علم أن الحبشة على دينه وأن ســيفا على دين اليهود ، فلم ينصره ملك الروم . وكان أن استنجد سيف بن ذى يزن بملك الفرس ، فوعده بارسال المال معونة له ، وعندئذ لم يرحب سيف بهذه المساعدة وقال « المال عندنا أكثر » . وعندئذ أشار بعض رجال ملك الفرس عليه بأن يمده بمن فى حبوسه — أى المساجين — وقالوا له « ان ظفروا فأبناؤك وان قتلوا فأعداؤك » . فرحب ملك الفرس بهذه الفكرة ، وأمد سيف بن ذى يزن بهم ، فسموا بالأبناء .
وقيل انما سموا الأبناء لأنه كان يقال لهم أبناء سيف ، فسار بهم سيف ، وتبعته قبائل العرب ، فأباد الحبشة .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ١١٥ — ١١٦)

ففعله معهم ، فسقط مغشيا عليه ، فإن حُمل على بناء قريش مرتين أو فى غير بناء الكعبة فلا إشكال ، وإلا فأحد النقلين باطل . وتزوج خديجة رضى الله عنها وهو ابن خمس وعشرين ، وهى بنت أربعين على الصحيح . ورجح كثيرون أنها ابنة ثمان وعشرين . وفرضت الصلاة بمكة ليلة الإسراء بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر . وفرض الصوم بعد الهجرة بسنتين . وفرضت الزكاة قبل الصوم وقيل بعده .

وفيها ظهر مسيلمة الكذاب باليمامة[1] ، وادعى النبوة ، واستفحل أمره ، وعارضته سجاح بنت أوس التميمية ، وتكنى بأم صادر ، ثم اجتمعت بمسيلمة فتزوجها ، وجعل مهرها إسقاط صلاة العصر عن قومها ، وسلمت له النبوة فى خبر طويل ، ذكره صاحب تحفة العروس[2] وغيره . وارتد من ارتد من بنى حنيفة[3] أهل اليمامة ، وهم حى من العرب من ولد عدنان بن أدد بن اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

فلما ظهر مسيلمة باليمامة ، سار المسلمون لحربه ، وهم ألفان وأربعمائة وقائدهم خالد بن الوليد ، فالتقاهم طلحة الأسدى[4] وغيره ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم هرب طلحة إلى الشام ، وأسلم بعد ذلك ، وأسر خالد بن الوليد جماعة وبعث بهم إلى أبى

---

(١) اليمامة : اسم بلد بنجد ، سمى باسم امرأة كانت تنظر على مسيرة ثلاثة أيام لها قصة طويلة . أنظر :
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ١١٧ ـ ١١٨) .

(٢) كتاب تحفة العروس ونزهة النفوس ، لأبى عبد الله بن محمد بن أحمد البجاءى الأديب (كشف الظنون ، ج ١ ص ٢٠٢ ، باب التاء)

(٣) بنو حنيفة ، حى من بكر بن وائل من العدنانية ، منازلهم اليمامة ، ومنهم مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة .
(القلقشندى : نهاية الارب ، ص ٢٣٨) .

(٤) هو طلحة بن عبيد بن عثمان بن عمرو بن كعب ، من السابقين الأولين الى الاسلام ، كان هو وأبو بكر يسميان القرينين . وقد آخى الرسول بينه وبين أبى أيوب الأنصارى ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى . توفى سنة ست وثلاثين ، وكان عمره ستين سنة (أسد الغابة ، ج ٣ ص ٥٩ ـ ٦٢) .

بكر . وكان عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن إبان بن سعيد بن العاص[1] على صنعاء وأعمالها ، ومعاذ بن جبل[2] على الجند ومخاليفها ، وزياد بن لبيد البياضى[3] على حضرموت ومايليها . وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل المهاجر ابن أبى أمية على كندة وحضرموت ، فمرض فى المدينة ، فكتب رسول الله صلى عليه وسلم إلى زياد بن لبيد أن يقوم على المهاجر غيره . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقره أبو بكر على عمله ، وأمره أن يقاتل أهل الردة فى اليمن مع سائر عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسار معه عبد الرحمن بن العاص وجرير بن عبد الله البجلى ، فلما وصلا نجران انضم إليه فَروة بن مُسيك المرادى وقومه ، فقسم المهاجر خيله فريقين ، وجه أحدهما مع أخيه عبد الله بن أبى أمية[4] لقتال من ارتد من أهل تهامة ، وسار بالفريق الآخر إلى صنعاء . وكتب معاذ بن جبل وسائر عمال اليمن إلى أبى بكر يستأذنونه بالقفول ،

---

(١) ابان بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى ، يجتمع مع الرسول (ص) فى عبد مناف . أسلم بعد أخويه خالد وعمر ، واستعمله الرسول على البحرين الى أن مات الرسول (ص) فرجع الى المدينة ، فأراد ابو بكر أن يرده اليها ، فقال « لا أعمل لأحد بعد رسول الله » . وقيل بل عمل لأبى بكر على بعض اليمن . وقال الزهرى انه أملى مصحف عثمان على زيد بن ثابت بأمر عثمان (أسد الغابة ، ج ١ ص ٣٧) .

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب الأنصارى الخزرجى ثم الجشمى ، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وشهد بدرا ، وحضر جميع المشاهد مع الرسول (ص) قال الرسول « خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة » . توفى فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ (أسد الغابة ، ج ٤ ص ٣٧٦ — ٣٧٨) .

(٣) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية الأنصارى البياضى ، يكنى أبا عبد الله ، شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق واستعمله الرسول (ص) على حضرموت . توفى فى أول أيام معاوية .
(أسد الغابة ، ج ، ٢ ص ٢١٧)

(٤) عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، وأسمه أبو أمية حذيفة ، وهو أخو أم سلمة زوج النبى (ص) . هاجر الى النبى قبل الفتح — هو وأبو سفيان الحارث — فلقيا النبى فى الطريق بين مكة والمدينة ، وأسلما وحسن اسلامهما ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف . وفى الطائف رمى بسهم أصابه فقتله ومات .
(أسد الغابة ، ج ٣ ص ١١٨) .

فأجاب عليهم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثكم لما أمركم به ، فمن كان منكم قد أنفذ ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبّ أن يرجع فليرجع ، وليستخلف على عمله ، ومن أحب أن يقيم فليقم . » فاستخلف معاذ على عمله يعلى بن أمية التميمى ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف . واستعمل أبو بكر رضى الله عنه على الجند ومخاليفها عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، وعلى صنعاء وجهاتها يعلى بن أبى أمية ، والمهاجر ابن أبى أمية حضرموت ، فحارب أهل الردة وأسر الأشعث بن قيس الكندى[1] وبعث به إلى أبى بكر . قال ابن أبى الحديد : وكان بنو وليعة[2] من حضرموت قد جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام وفود العرب عليه فأسلموا ، فأطعمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طعمَةَ من صدقات حضرموت تأليفاً لهم ، لما كان إسلامهم ضعيفا فارتدوا بعد وفاته . وقيل استعمل أبو بكر زياد بن لبيد على حضرموت ، فأمره أن يأخذ البيعة على أهلها ويقبض صدقاتهم فبايعوه إلا بنو وليعة ، فإنهم امتنعوا وأظهروا الخلاف ، فقصدهم زياد فحاربهم وقتل منهم جمعا كثيرا ، ونهب وسبي . ولحقوا بالأشعث بن قيس وطلبوا منه القيام معهم ، فقال « لا أجيبكم إلا أن تملكونى على أنفسكم » ، فملكوه وتوجوه كما يتوج الملوك من قحطان ؛ فخرج الأشعث إلى زياد فى جمع كبير ؛ فأرسل أبو بكر إلى المهاجر بن أبى أمية وهو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد مدداً له ، فسار واجتمع بزياد ، فلقيهم الأشعث بقومه فهزموه وقتلوا فأكثروا ، والتجأ الأشعث

---

(١) الأشعث بن قيس الكندى ، وفد الى النبى (ص) سنة عشر من الهجرة فى وفد كندة ، وقال للنبى : أنت منا ، فقال : نحن بنو النضر بن كنانة . ولما أسلم خطب أم فروة أخت أبى بكر الصديق ، فأجيب الى ذلك وعاد الى اليمن . وارتد بعد النبى ، فأرسل أبو بكر الجنود الى اليمن وأسر . ولما حضر بين يديه قال له : استبقنى لحربك وزوجنى بأختك ، فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته . وشهد اليرموك والقادسية والمدائن وصفين ، واستعمله عثمان على أذربيجان . وتوفى سنة ٤٢ هـ .

(أسد الغابة ، ج ١ ص ٩٨) .

(٢) بنو وليعة : قوم من كندة

(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٩٧) .

إلى حصن يقال له النُجير[1] فحاصره المسلمون حصارا شديدا حتى نزل على حكم المهاجر وزياد ، فسألهما الأمان على نفسه حتى يقدم على أبى بكر فيرى فيه رأيه ففعلا ، ودخلا الحصن فقتلا من فيه ، وقطعا أيدى نساء كن يشتمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملا الأشعث إلى أبى بكر موثقا بالحديد ، فعفا عنه بعد أن أسلم ، وزوجه أخته أم فَروة بنت أبى قحافة .

قال أبو مخرمة وغيره ، إن أبا بكر استعمل عكرمة بن أبى جهل على جيش ، وأمره بالمسير إلى عمان شرقى اليمن لقتال أهل الرِدَّة ، فظهر عليهم ، ثم توجه إلى اليمن ، وجاهد المرتدين جهاداً عظيما ، وأبلى بلاء حسنا ، ثم سار إلى الشام ، واستشهد فى اليرموك ، والله أعلم .

وفيها توفيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدة نساء العالمين ، وبضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . تزوجها أمير المؤمنين على عليه السلام وهى بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف ، وعمره إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت ، كأمها لم يتزوج عليهـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وغسلتها أسماء بنت عميس[2] ، وعلىٌّ عليه السلام ، ودفنها ليلا .

وفيها ماتت أم أيمن[3] حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمه بعد

---

(١) النجير : حصن منيع باليمن قرب حضرموت (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) أسماء بنت عميس : أسلمت قديما ، وهاجرت الى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب ، فولدت له بالحبشة عبد الله وعونا ومحمدا ، ثم هاجرت الى المدينة ، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر . ثم مات عنها فتزوجها على بن أبى طالب . وهى أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبى (ص) .
(أسد الغابة ، ج ٥ ص ٣٩٥) .

(٣) أم أيمن مولاة رسول الله (ص) وحاضنته ، واسـمها بركة ، وهى حبشية ، فاعتقها عبد الله أبو رسول الله . وأسلمت قديما أول الاسلام ، وهاجرت الى الحبشة والى المدينة ، وبايعت الرسول ، وكان (ص) يقول « أم أيمن أمى بعد أمى » . وكان يزورها فى بيتها . توفيت بعد رسول الله بخمسة أشهر ، وقيل بستة .
(أسد الغابة ، ج ٥ ص ٥٦٨) .

أمه . ومنزلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنزلة زوجها وبنيها ، لا توصف ولا تكيف .

وفيها مات عكاشة الأسدى[1] أحد السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

وفيها قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة[2] فى رهط من قومه بنى حَنْظَلة ، ممن منع الزكاة . وكان مالك من دهاة العرب . وكان قد عرض على خالد الصلاة دون الزكاة ، فقال خالد لا تقبل واحدة دون الأخرى ، فقال مالك « كذلك كان صاحبك » ، فقال خالد « وما تراه لك صاحبا ، والله لقد هممت أن أضرب عنقك . ثم تجاولا فى الكلام فقال خالد « إنى قاتلك » ، فقال « أو بذلك أمرك صاحبك » قال خالد « فى هذه ثانية بعد تلك ، والله لأقتلنك » فكلمه عبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو قتادة فى استبقائه ، فأبى . فقال له مالك « فابعثنى إلى أبى بكر فيكون هو الذى يحكم فى » فقال خالد ، « ياضرار[3] قم فاضرب عنقه » ، فضرب عنقه . وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك ، فأنكر عليه عمر بن الخطاب والصحابة ذلك . وسأل عمر أبا بكر رضى الله عنهما عزل خالد ، وأكثر عليه فى ذلك ، فقال أبو بكر إنه تأول فأخطأ . فسأله عزله ، فقال « ما كنت أشيم سيفا سله الله عليهم[4] أبداً » . وندبَ متمم بن نويرة أخاه فى مراثى مشهورة ، ومن أعجبها قوله :

---

(١) عكاشة الأسدى : هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدى ، كان من سادات الصحابة وفضلائهم . هاجر الى المدينة وشهد بدرا . ولم يزل يشهد المشاهد حتى قتل فى الردة . وكان سيفه يسمى العون . قتله طليحة بن خويلد الأسدى فى خلافة أبى بكر .

(أسد الغابة ، ج ٤ ص ٢ ـ ٣) .

(٢) مالك بن نويرة بن حمزة بن شديد أبو المغوار اليربوى ، كان يلقب بالجفول لكثرة شعره ، قتل فى الردة ، قتله ضرار بن الأزور بأمر خالد بن الوليد

(ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ، ج ٢ ص ١٤٣) .

(٣) يقصد ضرار بن الأزور (أسد الغابة ، ج ٣ ص ٣٩ ـ ٤٠)

(٤) أى على الكافرين . وهذه الفقرة الأخيرة مكتوبة فى هامش الصفحة المخطوطة فى الأصل بطريقة غير واضحة ، وقد اعتمدنا فى تصحيحها على رواية ابن الأثير (الكامل ، ج ٢ ص ١٤٩) .

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته | لقبر نوى بين اللوى والدكادك
لقد لامنى عند القبور على البكا | رفيقى لتذراف العيون السوافك
فقلت لهم إنّ الشجا يبعث الشجا | دعونى فهذا كله قبر مالك

ودخلت سنة — ١٢ —

فيها كانت غزوة اليمامة، وقتل مسيلمة الكذاب فى عالم كثير من قومه، قيل عشرة آلاف، وقيل أكثر. واستشهد من المسلمين ألف ومائة رجل؛ فيهم من الصحابة رضى الله عنهم أربعمائة رجل وخمسون؛ وقيل ستمائة. وفتحت اليمامة صلحا على يد خالد بن الوليد. وكان رأى أهل الردة منع الزكاة دون غيرها، فأجمع رأى أبى بكر رضى الله عنه على قتالهم. وأما سائر الصحابة فاحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله، عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى»، فقال أبو بكر «الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة».

قال الشيخ أبو اسحاق الشيرازى[1] رحمه الله تعالى: «فانظر كيف منع من التعلق بعموم الخبر من وجهين، أحدهما أنه بيّن أن الزكاة حق المال، فلا يدخل ما نعها فى الخبر، والثانى أنه خص الخبر فى الزكاة كما خص فى الصلاة، فخص مرة فى الخبر

---

(١) الشيرازى: ابراهيم بن على بن يوسف بن عبد الله أبو اسحق الفيروزبادى الشافعى، الملقب جمال الدين. ولد بفيروزباد، ثم دخل شيراز، وقرأ الفقه على أبى عبد الله البيضاوى وغيره. ثم دخل البصرة ثم بغداد، وصحب أبا الطيب الطبرى وانتفع به وناب عنه فى مجلسه. وصار امام وقته فى بغداد. وتولى مدرسة نظام الملك بعد أبى النصر بن الصباغ، ولم يزل بها الى أن مات سنة ٤٧٦ هـ. وهو فقيه وصوفى. ومن مؤلفاته اللمع فى أصول الفقه، والتنبيه، والمعرفة فى الجدل، وطبقات الفقهاء، وغير ذلك من المؤلفات والشروح والرسائل..
(الزركلى: الأعلام، ج ١ ص ٤٤، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ج ١ ص ٦٨، سركيس: معجم المطبوعات العربية، ج ١ ص ١١٧١).

وأخرى بالنظر ، وهذا غاية ما انتهى إليه المجتهد المحقق والعالم المدقق » انتهى .

ولما فتحت اليمامة كتب أبو بكر إلى أهل اليمن مع أنس بن مالك يدعوهم إلى جهاد الروم الذين بالشام ، كما قد كان هَمَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد بفتحه بعده ، وكان جميع أهل الشام نصارى على دين هرقل ملك الروم .

قال الواقدى : فما مرت ليالٍ حتى قدم أنس بن مالك مبشرا بقدوم أهل اليمن إلى أبى بكر ، وقال « قد أتاك أبطال اليمن شعثا غبراً ، معهم الخدم والزرارى والأموال » فسر أبو بكر بذلك . ولما كان غداة اليوم الثانى لاحت لأهل المدينة غُبرة القوم ، فأخبر أبو بكر ، فركب ، وأمر الناس بالركوب لاستقبالهم ، فرفعوا الألوية وأشرقت الكتائب ، وأقبلت المواكب ، يتلو بعضها بعضها . وكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير ، عليهم الزرد الصافية والقسى العربية ، يقدمهم ذو الكلاع الحميرى . ثم مذحج ، وقائدهم قيس بن هبيرة المرادى . ثم سابوا القبائل ، فنزلوا حول المدينة المشرفة ، وتتابع القوم ، ولحقتهم المشقة من جهة الزاد وعلف الدواب ، فدخل رؤساؤهم على أبى بكر فقالوا له : قد تكامل جيشنا ، وفرغنا من أهبتنا ، وشق بنا المقام ، فإن يك قد بدا لك رأى فيما دعوتنا له فمرنا بالعَود إلى بلادنا . فقال « والله ما أردت بكم ضراً ، وإنما أردت تكاملكم » ، قالوا « لم يبق من ورائنا أحد ، فاعزم على بركة الله » . فضم إليهم المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن وصل إليه ، وجعل قائد الجميع خالد بن الوليد ، وساروا للجهاد بأرض الشام . فوقع لأهل اليمن الحظ الأوفر من الجهاد الأكبر ، واستشهد منهم من استشهد ، وبقى من بقى ، وغنموا الغنائم الواسعة . وما برحت الفتوحات فى أيام أبى بكر ، ثم فى أيام عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، حتى اتسعت مملكة الإسلام ، والحمد لله رب العالمين .

وعن عبد الملك بن عماد عن رجل من أهل اليمن قال : أقبل سيل باليمن فكشف عن باب معلق ، فظننا أن داخله كنز ، فكتبنا إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فأجاب

إنه لا يفتح حتى يقدم أمناؤه ، فلما قدموا فتحوا ذلك الباب ، فإذا رجل عظيم الخلقة على سرير ، وعليه سبعون حلة منسوجة بالذهب ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه ما صورته :

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضى الأرض داهن فى القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء

وعند رأسه أيضا سيف أخضر شديد الخضرة مكتوب عليه « هذا سيف هود ابن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليهم السلام » .

ودخلت سنة — ١٣ —

فيها وقعة أجنادين بقرب الرملة ، استشهد فيها جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ؛ ثم كان النصر والحمد لله .

وفيها بعث أبو بكر رضى الله عنه أمراءه إلى الشام ، منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة[١] . وبعث خالد بن الوليد إلى العراق فافتتح الأبلة[٢] وأعاد على السواد ، وحاصر عين التمر[٣] ، وأذاق الفرس ذلاً ، ثم سار إلى الشام من العراق فى برية ورمال لا يهتدى طريقها ، ولحق بأمراء الشام . وكان له الأثر العظيم بوصول أهل اليمن .

وفى يوم الاثنين لتسع خلون من جمادى الآخرة توفى أبو بكر رضى الله عنه ، واسمه عبد الله ، وقيل عتيق بن عثمان ، وهو أبو قحافة ، وعمره ثلاث وستون سنة . ومناقبه

---

(١) حسنة أمه ، واسم أبيه عبد الله بن المطاع ، قيل انه كندى ، هاجر الى الحبشة ، سيره أبو بكر وعمر على جيش آلى الشام . وكان واليا على بعض نواحى الشام . وهلك فى طاعون عمواس .
(أسد الغابة ، ج ٢ ص ٣٩٠)

(٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة ، فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) عين التمر : بلدة فى طرف بادية الشام غربى الفرات
(ياقوت : معجم البلدان) .

كثيرة مشهورة، رضى الله عنه . قال فيه أبو محجن الثقفى[1] :

وسُميت صدِّيقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
وبالغار إذ سميت بالغار صاحبا وكنت رفيقا للنبى المطهر
سبقت إلى الإسلام والله شاهدٌ وكنت جليسا فى العريش المشهر

ومناقبه وسوابقه فى الإسلام لا تنحصر . وكان رئيسا فى الجاهلية . وكان إليه الديات[2] ومعرفة الأنساب وتأويل الرؤيا . وأسلم على يده جماعة . وأعتق عبيداً افتداهم من المشركين كانوا يعذبون، منهم بلال وعامر بن فهيرة[3] . وأمه سلمى أم الخير بنت صخر بن عامر، تيميةٌ أيضا . ولد بعد عام الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلا أياما، وعاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر ما سبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولادة .

وقام بعده عمر بن الخطاب باستخلاف أبى بكر له ؛ فاستمر على حرب أهل الشام، واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على المجاهدين بالشام، وعزل خالد بن الوليد، فقال له رجل من بنى مخزوم : « أتعزل رجلا قد أشهر الله بيده سيفا قاطعا، وأميرا أمّره أبوبكر ؟ لقد قطعت الرحم وخسرت ابنِ العم » . فنظر عمر إلى وجوه بنى مخزوم ؛ وكان القائل غلاما حدث السن، فقالوا « شاب حدث السن غضب لابن عمه » . فجعل

---

(١) اسمه عمرو بن حبيب بن عمرو، أسلم فى رمضان سنة تسع، وكان شاعرا شجاعا كريما، ومات فى أذربيجان وقيل فى جرجان .
(أسد الغابة، ج ٥ ص ٢٩٣) .

(٢) الدية : حق القتيل (القاموس المحيط)
وجاء فى أسد الغابة : وكان اليه (أبى بكر) الأشناق فى الجاهلية، والأشناق أى الديات . وكان اذا حمل شيئا صدقته قريش وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه، وان احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه، فلما جاء الاسلام سبق اليه .
(أسد الغابة، ج ٣ ص ٢٠٦)

(٣) عامر بن فهيرة : مولى أبى بكر، يكنى أبا عمرو، كان من السابقين الى الاسلام، وعذب فى الله كثيرا، فاشتراه أبو بكر وأعتقه .
(أسد الغابة، ج ٣ ص ٩٠) .

عمر يفكر فى أمره طول ليلته . فلما أصبح رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترحم على أبى بكر ، ثم قال « أيها الناس إنى حملت أمانة ، والأمانة عظيمة ، وإنى راع وكل راعٍ مسئول عن رعيته ، وقد حبب الله إلىّ صلاحكم ، والنظر فى أمر دينكم ، وما يقربكم إلى ربكم . . . » حتى قال « وإنى كرهت إمارة خالد بن الوليد لأنه يبذر بالمال ، ويعطى الشاعر إذا مدحه ، ويعطى الرجل إذا جاهد معه فوق ما يستحقه ، ولا يبقى مالا لفقراء المسلمين ، وإنى قد عزلته ووليت أبا عبيدة مكانه » . هذا معنى ما ذكره الواقدى فى كتاب فتوح الشام ، والله أعلم .

قال المؤرخون : وأبقى عمر عمّال أبى بكر على اليمن ولم يغير على أحد منهم ، إلا يعلى ابن أمية ، فإنه أشخصه من صنعاء مرتين : أما الأولى فبسبب أن رجلا من أهل حُفاش[١] شكا على يعلى أن رجلا من أهل جهته قتل ابناً له ، فكتب يعلى إلى نائبه على حُفاش ــ وهو سعد بن عبد الله ــ أن يبعث إليه بالرجل القاتل فبعث به . فلما حضر طلب يعلى وجوه أهل صنعاء ، وأعطى والد القتيل سيفاً قاطعاً ، وأمره أن يقتص بابنه ، فضربه بالسيف حتى سقط ، وظن الحاضرون أنه مات ، فحضر جماعة لدفنه فوجدوا فيه أثر الحياة ، فداووه حتى برىء وعاد إلى وطنه . فبينما هو ذات يوم يرعى غنما له ، إذ يراه والد القتيل فعرفه ، ثم رفعه إلى يعلى ، فاستدعاه يعلى ، فوصل وبه أثر الجراحة ، فقال يعلى لأبى القتيل « إما أن تدع الرجل وإما أن تقتله ، ويعطى وارثه إرش جراحته[٢] » . فغضب الرجل وذهب إلى عمر ابن الخطاب شاكياً من يعلى ، بأنه حال بينه وبين قاتل ولده ، فغضب عمر ، وبعث المغيرة ابن شعبة[٣] عاملا على صنعاء ، واستدعى يعلى إليه . فلما قدم المغيرة صنعاء أخرج يعلى

(١) حفاش : جبل باليمن فى بلاد حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .
(معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٢٥) .
(٢) أرش الجراحة ديتها ، والجمع أروش ، مثل فلس وفلوس .
(القاموس المحيط) .
(٣) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود ، وهو ثقفى ، كان من دهاة العرب ، كريما . ولى البصرة فى زمن عمر بن الخطاب ، وهو أول من وضع ديوان البصرة .
(أسد الغابة ، ج ٤ ص ٤٠٦) .

إخراجاً غير لائق . ولما قدم يعلى على عمر أخبره بصورة الحال ، فتردد عمر فى القضية ، وسأل أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، فقال «لقد قضى يعلى بالحق» ، فرده عمر إلى عمله . ولما رجع يعلى إلى صنعاء ، أحسن إلى المغيرة ، وجهزه إلى عمان أحسن جهاز ، فقال المغيرة « يعلى خير منى حين عزل وحين ولى » ، وأقام يعلى على عمله أياماً . ثم إن أخاه عبد الرحمن بن أمية شرى فرساً من رجل بمائة قلُوص[1] . ثم ندم البائع فاستقال[2] المشترى فلم يقله ، فذهب البائع إلى عمر ، فقال له « إن يعلى وأخاه غصبانى فرسى » . فكتب عمر إلى يعلى يستدعيه لمناصفة صاحب الفرس ، فقدم عليه ، وأخبره الخبر فقال عمر « وهل يبلغ ثمن الخيل عندكم هذا المقدار ؟ » قال « نعم » ، فقال « نأخذ من كل أربعين من الغنم شاة ولا نأخذ من الخيل شيئاً ، خذ على كل فرس ديناراً » ، ثم أعاده إلى عمله .

قال الخزرجى[3] : وفى أيام ولاية يعلى على صنعاء كانت قصة أصيل ، وهى أن رجلا من أهل صنعاء كان له ولد يسمى أصيلا وامرأة تسمى زينب ، فغاب الرجل وترك ابنه عندها ، ولم تكن أمه . وكانت المرأة فاسقة يتبعها سبعة من الفساق ، فخافت من الصبى أن يكشف أمرها ، فعاملت أتباعها على قتله ، فقتلوه وألقوه فى بئر بغُمْدان خلف بئر سام بن نوح عليه السلام . ثم إن المرأة أظهرت قتل الصبى ، وكانت تركب على حمار

---

(١) القلوص من الابل بمنزلة الجارية من النساء ، وهى الشابة ، والجمع قلص وقلاص وقلائص (المصباح المنير) .

(٢) استقاله البيع ، أى طلب اليه أن يفسخه (المعجم الوسيط)

(٣) الخزرجى ، وهو على بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجى الزبيدى ، أبو الحسن ، موفق الدين . مؤرخ بحاثة من أهل زبيد باليمن . ومن كتبه : الكفاية والأعلام فيمن ولى اليمن وسكانها من الاسلام ، وطراز اعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن ، والعسجد المسبوك فى تاريخ الملوك ، والعقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية .. توفى سنة ٨١٢ هـ .

(الزركلى : الأعلام ج ٥ ص ٨٣ ، سركيس : معجم المطبوعات العربية ، ج ١ ص ٨٣٢) .

وتدور به فى أزقة صنعاء وتقول : « اللهم إنه لا يخفى عليك قاتل أصيل » . فبلغ يعلى خبرها ، فشق عليه ، فرقى المنبر خطيباً وقال : انظروا يا أهل صنعاء هل تجدون لهذا الصبي خبراً » فلم يجبه أحد . ومضت مدة لا يعلم له فيها بخبر ، حتى مرّ رجل من أهل صنعاء بالبئر التى هو فيها ، فوجد لها ريحاً ورأى ذباباً أخضر يطلع من البئر ويعود إليها بنفسه ، فغلب على ظنه أن الصبى فيها ، فأخبر يعلى بما رأى ، فمضى يعلى إليها . وحضر جمع كبير من جملتهم أحد السبعة ، فقال : « أدلونى لأنظر ما فى البئر » فأدلوه فغيب الصبي فى جانب من البئر وقال « لم أجد أحداً » . فقال رجل آخر « أدلونى » فأدلوه ، وأخذت الأول رعدة المريب ، فقبضوا عليه ، فاشتد خوفه ، واستقره يعلى ، فأقر أنه سابع سبعة من قتلته ، وأن المغرى لهم بقتله زوجة أبيه ، وذلك بعد أن أُطلع الصبي من البئر . فكتب يعلى إلى عمر بن الخطاب بذلك فاستشار الصحابة ، وقال : « أرى أن يقتلوا به جميعاً » . فقتلوا ، وقتلت المرأة معهم ، هذا معنى ما ذكره الخزرجى، رحمه الله .

ثم إن جماعة من موالى يعلى ضربوا رجلا حتى أَحدَث فى ثيابه ، فنفر إلى عمر فقال له « إن موالى يعلى ضربونى » قال « حتى مَه » قال « حتى أحدثت فى ثيابى » . فكتب عمر إلى يعلى : أن يأتيه ماشياً على قدميه . فخرج يعلى ماشياً حتى إذا كان على مراحل من صنعاء أتاه الخبر بموت عمر وقيام عثمان بن عفان . وكان عثمان قد أقرّ يعلى على عمله ، فرجع يعلى راكباً فرحاً مسرورا ، وتلقاه أهل بيته ومواليه مستبشرين بعوده ، فلم يزل على عمله إلى أن قتل عثمان .

قال المؤرخون ، ولم يزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستمراً على بعث الجيوش إلى الشام وغيره مدة خلافته .

ففى سنة ١٤ كان فتح دمشق .
وفى سنة ١٥ كانت وقعة اليرموك .
وفى سنة ١٦ كان فتح حلب .
وفى سنة ١٧ كان القحط بالحجاز .

وفى سنة ١٨ كان طاعون عمواس[١] بناحية الشام .

وفى هذه السنة حج عمر ، ومعه جبلة بن الأيهم الغسانى[٢] فوطىء رجل من فزارة[٣] طرف ثوبه فى الطواف ، فبدت عورة جبلة ، فلطم الفزارى لطمة هشم بها أنفه ، فشكاه إلى عمر ، فحكم بالقصاص ، فهرب جبلة إلى الشام ، ولحق بقيصر ملك الروم وتنصر فى خبر طويل . وفى هذه المدة أجلى عمر عليه السلام جميع من فى الحجاز من اليهود إلى الشام ، وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، عملا بالخبر « أخرِجُوا اليهودَ عَن جزيرةِ العربِ » .

ولم يذكر المصنف فى سنة ١٩ ما يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٢٠ —

فيها كان فتح بعض ديار مصر على يد عمرو بن العاص . وكان زُحل فى آخر دورة الحوت .

وفيها توفى بلال بن رباح الحبشى ، أمّه حمامة ، وهو مولى أبى بكر رضى الله عنه . وكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صادق الإسلام . عُذب فى ذات الله تعالى أشد العذاب . وكانت امرأته تقول عند موته « واحزْناه » فيقول : « بل واطرباه ، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه » . وكان موته بداريا بأرض الشام ، وقيل

---

(١) عمواس : ضيعة على ستة أميـــال من الرملة ، على طريق القدس ، بناحية الأردن ، كان بها طاعون عمواس المسمى بها ، فاستشهد بها أبو عبيدة ابن الجراح (ياقوت : معجم البلدان ، الذهبى : (العبر فى خبرمن غبر،ج ١ص٢١)

(٢) جبلة بن الأيهم الغسانى ، آخر ملوك الغساسنة فى بادية الشام ، قاتل المسلمين فى دومة الجندل سنة ١٢ هـ ، وحضر وقعة اليرموك سنة ١٥ هـ . وفى رواية ابن خلدون أنه هاجر الى المدينة وارتد بها ، وفى رواية البلاذرى أنه ارتد فى الشام وأنه لم يزل عند هرقل ملك الروم الى أن توفى سنة ٢٠ هـ .

(البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٤١ ، ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٢٨١)

(٣) بنو فزارة ، هم بطن من غطفان ، من القحطانية ، والنســـبة اليهم فزارى .

(القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب : تحقيق ابراهيم الابيارى ، ص ٣٩٢)

بدمشق[١] ، ودفن عند الباب الصغير ؛ وعمره ثلاث وستون سنة ؛ رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ٢١ —

فيها كانت وقعة نهاوند .

ودخلت سنة — ٢٢ —

فيها كان فتح أذربيجان على يد المغيرة ، وفتح البهسنا[٢] على يد خالد بن الوليد. قال الإمام المهدى أحمد بن يحيي عليه السلام ، فى آخر كتاب الغايات « وكان الحسنان عليهما السلام من جملة جيوش المجاهدين فى الشام ، عن أمر أبيهما أمير المؤمنين كرم الله وجهه فى الجنة » . قال المسعودى فى مروج الذهب : وأما حرب العراق ، فإن عمر استشار علياً عليه السلام بالمسير إليه بنفسه ، فأشار عليه أن يجهز غيره ويبقى فئة للمسلمين ، ففعل .

ودخلت سنة — ٢٣ —

فيها كانت الزلازل العظيمة فى أكثر البلاد .

ودخلت سنة — ٢٤ —

فيها قتل عمر بن الخطاب ، قتله أبو لؤلؤة النصرانى غلام المغيرة بن شعبة ، وأكسفت الشمس يوم قتله ، ودفن بالحجرة الشريفة النبوية ، وقام بالأمر بعده عثمان ابن عفان .

---

(١) ذكر الذهبى (العبر فى خبر من غبر ج ١ ص ٢٤) أن بلال بن رباح مؤذن النبى (ص) توفى بداريا ، وهى قرية من قرى غوطة دمشق .

(٢) بهسنا : مدينة حصينة قرب مرعش وسميساط بأطراف بلاد الروم شمالى حلب .

(ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٢٥ —

لم يذكر للمصنف ما اتفق فيها .

ودخلت سنة — ٢٦ —

فيها زاد عثمان في المسجد الحرام زيادة عظيمة ، بعد أن ابتاع من قوم منازلهم وأدخلها في المسجد ، وأبى قوم أن يبيعوا منه دورهم ، فهدمها ، ووضع أثمانها في بيت مال المسلمين ، فصاحوا به ، فأودعهم السجن ، وقال « ما جرّأ كم عليّ إلا حلمي عنكم ، وقد فعل عمر مثل هذا فلم يظهر منكم إليه مثل الذى ظهر منكم إلىّ »، وحدد أنصاب الحرم .

ودخلت سنة — ٢٧ —

فيها بنى عثمان داره بالمدينة .

ودخلت سنة — ٢٨ —

لم يذكر فيها ما لا بد من ذكره .

ودخلت سنة — ٢٩ —

فيها زاد عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزيادة العظيمة ، جعل طوله مائة وستين ذراعاً ، وعرضهماية وخمسين ذراعا ، وحملت له الحجارة من بطن نخل[1] ، ووضع في عمده الرصاص ، وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه في عهد عمر . ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان ، وكانت في زمنه مربعة الشكل . وأمر بهدم قصر غمدان

(١) بطن نخل : موضع فى محجة العراق .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٨٠)

بصنعاء[١] . قال المؤرخون : وما زالت الزيادات فى المسجد الحرام وفى الحرم النبوى وفى جامع صنعاء للخلفاء فمن بعدهم ، والله أعلم .

وفى زمن عثمان ظهر يهودى ساحر بقرية من نواحى الكوفة يقال لها ذرارة ، مما يلى جسر بابل ، واستفحل أمره ، فاستدعاه الوليد بن عقبة ، فأراه الساحر ضروبا من التمويهات ؛ من ذلك أنه أراه فيلا عظيما على فرس ، وحمارا يدخل من فمه ويخرج من دبره (أى الساحر) ، وضرب عنق إنسان ثم وضع السيف موضع الضربة ، فقام الرجل حيًّا ، وغير ذلك . وكان قوم من أهل الكوفة حاضرين ، منهم حيدر بن كعب الأزدى ، فجعل يستعيذ بالله من عمل الشيطان ، وأخبرهم أن ذلك من أعمال السحر ؛ ثم اخترط سيفه[٢] وضرب عنق الساحر وقال « إن كنت صادقا فاحى نفسك » . فأنكر عليه الوليد بن عقبة لجهله . فهذا ما سنح ذكره مما وقع فى أيام عثمان .

وأما خبر قتله والأسباب الموجبة لذلك ، فقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب السياسة[٣] إن أهل مصر شكوا إلى عثمان من عامله ابن أبى سرح ، فكتب إليه عثمان كتابا يتهدده فيه ، فلم يجد عنده سبباً ، وضرب بعض من أتى إليه بالكتاب حتى قتله . فخرج من أهل مصر سبعماية رجل إلى عثمان ، وشكوا إلى الصحابة ، فقام طلحة ابن عبيد الله فتكلم بكلام غليظ ، وأرسلت عائشة إلى عثمان أن ينصفهم من عامله . ودخل عليه علىّ رضى الله عنه ، فقال : « إنما يسألونك رجلا مكان رجل ، وقد ادّعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم ، واقض بينهم وبين الرجل » فقال عثمان : « اختاروا رجلا

---

(١) قصر غمدان بصنعاء ، قصر عجيب ، بنى على أربعة أوجه ، قيل أن الذى بناه سليمان بن داود ، ولم يبن قصر مثله فى عهد حمير ، كانت ملوك حمير تسكنه . يقال انه كان عشرين طابقا . وجاء فى المنجد أن الأحباش خربوه فى حروبهم على اليمن ثم هدمه عثمان بن عفان .
(ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٥ ، حسين الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٨٦) .

(٢) اخترط السيف ، أى استله من غمده

(٣) يقصد كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة .

أستعمله عليهم » فقالوا له « استعمل عليهم محمد بن أبي بكر » ، فولاه وكتب عهده . وخرج محمد في جماعة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين ابن أبي سرح وأهل مصر ، حتى إذا كانوا على ثلاثة مراحل من المدينة رأوا غلاما على جمل ، فقالوا له : « ما شأنك » : فقال « أنا غلام أمير المؤمنين عثمان[1] ، وجهني إلى عامله بمصر » فقال له رجل « هذا عامل مصر معنا » قال « ليس هذا أريد » فأخبر محمد بن أبي بكر ، فاستحضر الغلام وقال له : « إلى أين أرسلك مولاك » ؟ قال « إلى عامل مصر » قال « بماذا » قال « برسالة » قال « أما معك كتاب إليه » قال « لا » ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا ، وكانت معه أدوات قد يبست ، فإذا فيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرجوه فلم يخرج ، فشقوا تلك الأدوات فإذا فيها كتاب إلى ابن أبي سرح ، ففتحوه فإذا فيه « إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم ، واثبت على عملك حتى يأتيك رأيي » فلما قرءوا الكتاب فزعوا ، وانقلبوا راجعين إلى المدينة ، فعرضوا الكتاب على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وطلحة ، والزبير ، وسائر الصحابة ؛ فلاموا عثمان ، وآل الأمر إلى محاصرته في داره . وجعل محمد بن أبي بكر وطلحة بن عبيد الله يحرضان أهل مصر وغيرهم عليه . وأقبل الأشتر النخعي من الكوفة في ألف راجل ، ووصل ابن أبي حذيفة من مصر في أربعمائة ، فأحاطوا بدار عثمان ، فقال لهم طلحة : « إن عثمان لا يبالي بالحصر ، والطعام والماء يدخلان إليه ، فامنعوه الماء » فناداه عثمان معاتبا له ، فقال « إنك غيرت وبدلت » فأرسل عثمان إلى عليّ عليه السلام يستغيث به ، فبعث إليه بماء فلم يصل إليه . وكان معه في الدار مائة رجل منهم عبد الله بن الزبير ، والحسن ابن علي ، وعبد الله بن سلام ، وأبو هريرة ، ومروان بن الحكم . وجاء الخبر أن معاوية ابن أبي سفيان قد جهز جيشا من الشام لنصرة عثمان ، فناجزه القوم ، وأضرموا نارا ببابه ، وأراد من عنده المدافعة ، فنهاهم ، وقال : « إني لا أحب أن يراق بسببي محجمة

(١) ذكر المسعودي أن غلام الخليفة عثمان اسمه ورش .
(مروج الذهب ، ج ١ ص ٤٤٠) .

دم » . فدخل عليه عليٌّ عليه السلام ، وطلحة ، والزبير ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم من وجوه الصحابة ، ومعهم الكتاب والغلام والبعير ، فقال له عليٌّ عليه السلام « الغلام غلامك والبعير بعيرك » فقال : « نعم » . قال « فأنت كتبت هذا الكتاب » ، قال : « لا : وأقسم بالله ما كتبت ، ولا أمرت ، ولا علمت » . قيل له « فالخاتم خاتمك » . قال : « نعم » . قالوا « كيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك ولا تعلم » فحلف «ما كتبت ولا أمرت» فتردد القوم فى أمره ، وعلموا أنه لا يحلف بالله كاذبا . فقال قوم « لا نترك عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان بن الحكم لنعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير حق ، فإن يك عثمان كتبه عرفناه ، وإن يك مروان نظرنا فى أمره » . ثم انصرف الناس عنه ولزموا بيوتهم ، وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان خوفا عليه من القتل . وبلغ أمير المؤمنين [عليًا] عليه السلام أن القوم يريدون قتله [عثمان] فأرسل ولديه الحسنين عليهما السلام ، وأمرهما « أن تقوما على باب عثمان ، ولا تدَعاَ أحداً يصل إليه » . وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمداً على كرهٍ منه ، وأرسل جماعة من الصحابة أولادهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان . وسأله المحاصرون أن يخرج إليهم مروان فامتنع ، فرموه بالسهام من كل جانب ، فأصاب الحسن عليه السلام سهم خضبه بالدم ، وأصاب مروان ومحمد بن طلحة كذلك ، وشج قنبر مولى على . فأخذ محمد بن أبى بكر بيد رجلين وقال « إن نظر بنو هاشم الدم فى وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما يريدون ، ولكن قوموا بنا نتسور عليه الحائط من ورائه » . فتسوروا عليه من دار رجل من الأنصار ، فدخلوا عليه ، ولم يكن عنده إلا امرأته ، فصرعه محمد بن أبى بكر ، وقعد على صدره وأخذ بلحيته ، وقال له « ما أغنى عنك معاوية وابن أبى سرح » فقال : « والله يا محمد لو رآك أبوك لساءه مكانك منى » . فتراخت يدا محمد بن أبى بكر ، وقام عنه ، وخرج . فدعا عثمان بماء فتوضأ ، ووضع المصحف بين يديه ، فدخل عليه رجل من أهل الكوفة

بمشقص[1] فى يده ، فوجأ[2] بها منكبه حتى أدماه ، و نضخ دمه إلى المصحف ، ودخل آخر فضربه على رجليه ، وجاء رجل آخر فضربه بسيفه فغشى عليه[3] . فصاح نساؤه و نضحن الماء على وجهه ، فأفاق . ثم دخل عليه رجل من أهل مصر فنتف لحيته ، ثم علاه بالسيف ، فتلقاه عثمان بيده فقطعها ، فقال عثمان « أما إنها أول يد كتبت القرآن » وما زال الداخل يدخل عليه ، وهو لا يدفع عن نفسه شيئاً . ولم يعلم أحد ممن كان على باب داره بأمره ، حتى أشرفت عليهم بعض نسائه ، فقالت « إن أمير المؤمنين قد قتل » فدخل الحسنان ومن معهما إليه ، فوجدوه قد قتل ومثل به فأكبوا عليه يبكون . وبلغ أمير المؤمنين [عليًا] ومن بالمدينة ، فأقبلوا فزعين ، فدخلوا عليه ،واسترجعوا وبكوا ، وغشى على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام . فلما أفاق قال لبنيه « كيف قتل وأنتم على الباب ؟ » ولامهم على ذلك . وقد كان معاوية لعنه الله أرسل يزيد بن أسد فى أربعة آلاف مقاتل مدداً لعثمان ، فلما بلغهم خبر قتله رجعوا . انتهى ما ذكره بن قتيبة على وجه الاختصار .

وكان قتل عثمان فى ذى الحجة عام خمسة وثلاثين من الهجرة ، ودفن بالبقيع ، رحمه الله .

---

(١) المشقص : نصل عريض ، أو سهم فيه ذلك ، والنصل الطويل أو سهم فيه ذلك ، يرمى به الوحش .

(الفيروزبادى : القاموس المحيط) .

(٢) أى غاص بها فى لحمه حتى انتهى الى صلابة العظم . وقد جاء فى لسان العرب أن الوجء هو اللكز ، ووجاه باليد والسكين . وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم » (لسان العرب) .

(٣) ذكر المسعودى أن أحد الرجلين اللذين قتلا عثمان هو كنانة بن بشر التجيبى ، والآخر سودان بن حمران المرادى . وقيل انهما عمرو بن الحمق وعمير ابن ضابىء البرجمى التميمى .

(المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ص ٤٤٢) .

وفى هذه السنة بويع لأمير المؤمنين وسيد الوصيين على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه فى أعلى عليين .

قال ابن عباس رضى الله عنه : قَدِمْتُ من مكة إلى المدينة بعد قتل عثمان ، فجئت إلى علىّ لأدخل عليه فقيل لى : « عنده المغيرة بن شعبة » ، فجلست بالباب ساعة ثم دخلت، فسلمت وقلت له « أخبرنى لِمَ خَلَا بك المغيرة » ؟ قال جاءنى بعد قتل عثمان بيومين فقال « غيبتى عندك » ففعلت ، فاتخذها يداً ثم قال لى « إن النصح رخيص ، وأنت بقية الناس اليوم ، وأنا ناصح لك ، وأشير عليك بتقريز عمال عثمان على أعمالهم ، فإذا بايعوك واطمأن أمرك ، عزلت من أحببت وأقررت من أحببت » . فقلت « والله لا داهنت فى دينى ، ولا أعطيت الرياء فى أمرى » قال « فإن أبيت فاعزل من شئت واترك معاوية فإنه فى أهل الشام مطاع ، وقد ولاه عمر الشام كلها » . فقلت « والله لا وَلِيَ عملاً لى » . فخرج من عندى ثم رجع ، فقال « إنى أشرت فأبيت علىّ ، ثم نظرت فى الأمر فإذا أنت مصيب لا يسع أن تأخذ أمرك بخديعة » ، قال ابن عباس : فقلت « أما أول ما أشار به فقد نصحك وأما الآخر فقد غشك ، وأنا أشير عليك أن تكتب إلى معاوية لعنه الله ، فإن بايعك فعلىّ أن أقلعه من منزله » ، فقال « والله لا أعطيه إلا السيف » .

ولما تمت البيعة لأمير المؤمنين [علىّ] عليه السلام استعمل على صنعاء[1] وجهاتها عبيد الله بن العباس ، وعلى الجند[2] وما يليها سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى ،

---

(١) صنعاء مدينة كبيرة باليمن ، وصفها ياقوت بأنها قصبة اليمن وأحسن بلادها ، وشبهها بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها . وقال ان بين صنعاء وعدن ثمانية وستين ميلا . ووصفها نشوان الحميرى بأنها « قصبة اليمن وأم اليمن » .

(ياقوت : معجم البلدان ، الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٦٣ ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٥٥ ــ ٥٧) .

(٢) الجند ــ بفتحتين ــ مدينة كبيرة فى اليمن . وذكر ياقوت أن أعمال اليمن فى الاسلام مقسومة على ثلاثة ولاة : وال على الجند ومخاليفها وهو أعظمها ، ووال على صنعاء ومخاليفها وهو أوسطها ، ووال على حضرموت ومخاليفها وهو أدناها .

(ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٥٤ ــ ٥٥)

وقدم إليه من اليمن سعيد بن قيس الهمْدَانى بعصابة من قومه ، وشهدوا معه حرب صفين ، وأبلوا بلاء حسنا .

ولما علم يعلى بن أمية وعبد الله بن أبى ربيعة بقدوم عاملى أمير المؤمنين ، ساروا نحو الحجاز على خوف ووجل ، حتى دخلا مكة . وكان يعلى قد جمع أموالا عظيمة ، فوافى طلحة والزبير وعائشة ، وقد عزموا على المسير إلى العراق لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام ، فأعانهم على أمرهم بمال كثير . قال عبد المجيد فى كتابه بهجة الزمن[1] : إن قدر ذلك المال ستمائة ألف دينار ذهباً وستمائة بعير ، منها جمل عائشة الذى ينسب إليه يوم الجمل واسمه عسكر[2] . ولم يزل عبيد الله بن العباس على صنعاء والحج بالناس إلى آخر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام .

قال ابن قتيبة[3] : ذكروا أن معاوية بن أبى سفيان — لعنه الله — قال لعمرو ابن العاص : طرقتنى الليلة ثلاثة أخبار ليس فيها إيراد ولا إصدار ، منها أن ابن أبى

---

(١) هو الشيخ ضياء الدين عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد المجيد ، وكتابه اسمه « بهجة الزمن فى أخبار اليمن » .

(كشف الظنون ، ج ١ ص ١٥٩) .

(٢) عسكر : جمل عائشة الذى تنسب اليه واقعة الجمل ، قيل اشتراه لها يعلى بن أمية بثمانين دينارا ، وقيل بل كان جملها لرجل من عرينة . قال العرينى : بينما أنا أسير على جمل ، اذ عرض لى راكب ، فقال : أتبيع جملك ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ؟ قلت بألف درهم . قال : أمجنون أنت ؟ قلت : ولم ! والله ما طلبت عليه أحدا الا أدركته ، ولا طلبنى وأنا عليه أحد الا فته . قال : لو تعلم لمن نريده ! انما نريده لأم المؤمنين عائشة . فقلت : خذه بغير ثمن ! قال : بل ترجع معنا الى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم . قال : فرجعت معه ، فأعطونى ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة .

(ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ص ٨٨) .

(٣) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أبو محمد ، من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين ، ولد ببغداد وسكن الكوفة ، وتوفى ببغداد سنة ٢٧٦ هـ . ومن كتبه : عيون الأخبار ، والشعر والشعراء ، والامامة والسياسة .

(ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥١ ، الزركلى : الاعلام ج ٤ ص ٢٨٠)

حذيفة كسر سجن مصر وخرج منه ، ومنها أن قيصر زحف بجموع الروم ليملك الشام ، ومنها أن عليا قد تهيأ للمسير إلينا ؛ فما عندك ؟ قال عمرو « كل هذا عظيم . ولكن أمّا ابن أبى حذيفة فإنما خرج فى أشباهه ، فإن تبعث إليه الخيل يقتل ، وأمّا قيصر فاهد له هدية من الوصائف والذهب واطلب منه الموادعة تجده سريعاً إليها ، وأمّا على فوالله إن له مقاما فى الحرب ليس لأحد من الناس مثله ، وإنه لصاحب الأمر إلا أن تظلمه . فقال معاوية لعنه الله « صدقت ، ولكنا نقاتله على ما بأيدينا ونطالبه بدم عثمان » . فقال عمرو « واسوأتاه ! وهل أحق الناس أن لا يطلب بدم عثمان إلا أنا وأنت» ؟ قال : « ولم ؟ » قال « أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام ، وقد استغاثك فأبطأت ، وأما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين » . قال معاوية لعنه الله « دعنا من هذا » إلى آخر ما ذكره .

ثم وقعت الحرب بصفين وكادت جيوش أمير المؤمنين أن تظهر على جيوش معاوية ، فآل إلى التحكيم حتى كان ما كان ، والله المستعان . وهذا ما تلخص ذكره من حوادث سنة ثلاثين من الهجرة إلى آخر سنة ثمان وثلاثين .

ودخلت سنة — ٣٩ —

فيها بعث معاوية بن أبى سفيان — لعنه الله — عبد الله بن مسعدة الفزارى فى ألفين وسبعمائة إلى تيماء والحجاز ؛ فبعث أمير المؤمنين — عليه السلام — المسيب ابن نجبة الفزارى فى ألفين ، فالتقوا ، فانهزم ابن مسعدة .

وفيها بعث أمير المؤمنين — رضى الله عنه — عبد الله بن العباس للحج بالناس ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى ، فتنازعا الأمر بمكة ، فأصلح بينهما أبو سعيد الخُدرى على أن يحج بالناس شيبة بن عثمان . وكان العامل لأمير المؤمنين بمكة يومئذ قُثَم بن العباس .

وفى هذه السنة قتل محمد بن أبى بكر بمصر ، وكان عاملا عليها من قبل أمير المؤمنين .

وفيها خالف حمزة بن معبد اليمـانى على أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وكان صاحب راية همْدان ، فدفعها أمير المؤمنين إلى سعيد بن قيس ، ولحق حمزة بمعاوية — لعنه الله — فأحسن نزله ، ثم خرج إلى اليمن واستقر ببلد الأهنوم[1] حتى قدم بسر بن أرْطاة اللؤلؤى — لعنه الله — إلى اليمن .

ودخلت سنة — ٤٠ —

فيها جهز معاوية لعنه الله بسر بن أرطاة اللؤلؤى[2] — لعنه الله — إلى اليمن بثلاثة آلاف مقاتل ، وأمره أن يقتل شيعة علىّ عليه السلام . فقدم المدينة المشرفة ، وقتل فيها جماعة ، وهدم دورا ، ثم أتى مكة فقتل جماعة من ولد أبى لهب ؛ وكذلك فعل فى السَّراة[3] ونجران . فلمـا قرب من صنعاء وعلم به عبيد الله بن العباس ، جمع أهل صنعاء ، وحرضهم على القتال . فقال له فيروز الديْلَمى « ما عندنا نصرة ، فاحترز على نفسك » . فلمـا أيس من نصرتهم استخلف عمرو بن أبى أراكة الثقفى ، وسار إلى الـكوفة ، وترك ولدين صغيرين عند أم سعيد البروخية . ودخل بسر إلى صنعاء ،

(١) ذكر الحميرى أن هنوم اسم رجل من اليمن من همدان ، وولده الأهنوم قبيلة ضخمة من قبائل همدان

(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ١١١) .

(٢) بسر بن أرطاه اللؤلؤى العامرى القرشي ـ ويقال له أيضا بشر وأرطأه ـ قائد فتاك من الجبارين ، ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيرا . وكان من رجال معاوية بن سفيان . شهد فتح مصر ، ووجهه معاوية الى المدينة سنة ٣٩ هـ ، والى مكة والى اليمن ، ثم عاد الى الشام ، فولاه البصرة سنة ٤١ هـ ، وغزا الروم سنة ٥٠ هـ حتى وصل القسطنطينية . وأصيب بعد ذلك فى عقله الى أن مات فى دمشق سنة ٨٦ هـ عن نحو تسعين عاما .

(الزركلى : الاعلام ، ج ٢ ص ٢٣)

(٣) السراة : هى الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ، ولها سعة ، وهى باليمن أخص . (ياقوت : معجم البلدان) وذكر الهمدانى أن جبل السراة أعظم جبال العرب وأذكرها .

(صفة جزيرة العرب ، ص ٤٨ ، ٦٧ ، ١٢١ ـ ١٢٢) .

فانحازت منه همْدان إلى جبل شِبَام[1]. ولما استقر بصنعاء قتل الولدين ، وكان اسم أحدهما حسنا والآخر حسينا ، وقيل قُثَم وعبد الرحمن . وقَتَل الثقفى وسبعين رجلا من الأبناء ، كانوا قد شفعوا بالولدين ، وسمى موضع قتلهما المصرع ، ودفنا حيث قتلا . وبُني عليهما المسجد المعروف الآن بمسجد الشهيدين المشهور بالفضل[2] . وكان بسر — لعنه الله — أول جبار دخل اليمن فى الإسلام ، وظلم أهله ، واستحل المحرمات .

ولما بلغ أمير المؤمنين عليًا عليه السلام الخبر اشتدّ غمه ، ولا سيما من قتل الصغيرين ، ودعا على بسر ، فقال « اللهم اسلبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله » فأصيب فى عقله بسبب دعوة أمير المؤمنين . ثم إن أمير المؤمنين بعث حارثة ابن قدامة السعدى فى أربعة آلاف ، وأمره بمتابعة بسر حيث كان ، فسار حارثة حتى وصل نجران[3] ، وقتل جمعا من شيعة معاوية ، وهرب منه بسر ، وتفرق عنه أصحابه .

---

(١) شبام : اسم مدينة باليمن لحمير ، وهى من مدائن اليمن القديمة . وذكر الهمدانى عن شبام أنها من أكبر مدن حضرموت وبها ثلاثون مسجدا .

وشبام اسم قبيلة من اليمن من همدان ، واسم جبل فى حراز (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٦ ، ١٢٥ ، الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ٥٣) .

(٢) ذكر الهمدانى أنه لما قرب بسر بن أرطاة من صنعاء ، جمع عبد الله ابن العباس الناس وخطب فيهم وحرضهم على القتال . فلما يئس من نصرتهم استخلف عمرو بن أبى أراكة الثقفى ، وذهب الى على ، وترك ولديه قثم وعبد الرحمن الصغيرين عند أم سعيد . فلما قدم بسر صنعاء وعلم بهما ، استدعى الطفلين وذبحهما ، وقتل عمرو بن أبى أراكة ، ثم قتل اثنين وسبعين رجلا كانوا قد تشفعوا فى الطفلين . وكان ذلك على باب المصرع ، ثم بنى عليهما مسجدا ، هو المشهور بمسجد الشهيدين .

(الهمدانى : الاكليل فى أخبار اليمن ، ص ٦٦ ، حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ، ص ٢٢) .

(٣) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة (ياقوت : معجم البلدان) وذكر الحميرى أن نجران اسم واد باليمن سمى بنجران بن ريدان ونسب اليه كما هى عادة العرب فى تسمية المواضع بأسماء ساكنيها (منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ١٠٢) أنظر كذلك الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣ — ٨٤ .

ثم توجه حارثة إلى مكة ، وبلغه وفاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، فأخذ البيعة على أهل اليمن والحجاز لمن بايع له أصحاب أمير المؤمنين . وكان اليمن والحجاز والعراق وخراسان تحت بسطة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وكان يولى عليهم رجالا من صالحى أصحابه ، رضى الله عنهم .

وقُتل أمير المؤمنين شهيداً حميداً سنة ٤٠ فى شهر رمضان ، قتله أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله . وقام بعده ولده مولانا الحسن بن على عليهما السلام . ثم صالح الحسن معاوية لمصلحة رآها ، فاستعمل معاوية على اليمن عثمان بن عفان الثقفى ، فأقام مدة ثم عزله بأخيه عتبة بن أبى سفيان ، وجمع له بين صنعاء والجَنَد ، فأقام باليمن سنتين ، ثم توجه إلى الشام واستخلف على اليمن فيروز الديلمى ، فأقام ثمانى سنين نائبا لعتبة بن أبى سفيان .

ولما توفى عتبة استعمل معاوية على اليمن النعمان بن بشير الأنصارى ، فأقام فيها سنة ثم عزله معاوية ببشير بن سعد الأعرج وقيل بغيره ، فأقام فيها سبعة أشهر ثم مات ؛ فاستعمل معاوية الضحاك بن فيروز الديلمى ، فلم يزل باليمن حتى مات معاوية .

ودخلت سنة — ٤١ —

لم يتفق فيها ، ولا فى السنتين بعدها ، غير ما ذكرناه آنفا .

ودخلت سنة — ٤٤ — (والسنتان بعدها) :

فيها كانت الفتوحات الإسلامية فى المشرق والمغرب ؛ كالهند وكابل[1] من بلاد المشرق ؛ وإفريقية من بلاد المغرب .

---

(١) كابل عاصمة أفغانستان اليوم . قال ياقوت انها من ثغور طخرستان ، وهو اقليم متاخم للهند (معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٤٧ — (والتى بعدها) :

لم يتفق فيهما غير ما قد ذكر .

ودخلت سنة — ٤٩ —

فيها مات الحسن بن على عليهما السلام ، مسموما شهيداً ، ودفن بالبقيع .

ودخلت سنة — ٥٠ —

فيها حج معاوية بن أبى سفيان لعنه الله ، ومر بالمدينة المنورة ، وأراد أن ينقل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام ؛ فأكسفت الشمس حتى ظهرت النجوم ، ففزع معاوية واعتذر إلى الناس ، وقال « إنما أردت أنظر ما تحته » ، وقيل إنه كساه قطيفة .

وفى رواية أن معاوية كتب بذلك إلى مروان ، فأتتهم ريحٌ مظلمة حتى ظهرت النجوم فى النهار ، فقال مروان « إنما كتب إلى أنى أصلحه » ؛ ذكر معناه صاحب الخميس[1] .

ومن مآثر معاوية استخراج عين المدينة المنورة ؛ أخرجها من المدينة إلى البقيع ، وحفرت الساقية هناك . ووجد جماعة من الشهداء فى البقيع لم تَبْلَ أجسادُهم .

قال السمهودى[2] فى خلاصة الوفا : والعامة تسمى هذه العين الموجودة ، بالعين

---

(١) هو القاضى حسين بن محمد الدياربكرى المالكى ، نزيل مكة المكرمة ، المتوفى بها سنة ٩٦٦ هـ . اسم كتابة « خميس فى أحوال النفس والنفيس » فى السير . قال عنه صاحب كشف الظنون انه كتاب مشهور ، مرتب على مقدمة وثلاثة أركان وخاتمة « من خلق نوره عليه السلام الى جلوس مراد الثالث » . وفرغ من تأليفه سنة ٩٤٦ هـ .

(كشف الظنون ، ج ١ ص ٣٦٤ ، سركيس : معجم المطبوعات العربية)

(٢) هو على بن عبد الله بن أحمد الحسينى الشافعى ، نور الدين ، أبو الحسن . مؤرخ المدينة المنورة وفقيهها . ولد فى سمهود بمصر ، ونشأ فى القاهرة ، ثم استوطن المدينة سنة ٨٧٣ وتوفى بها سنة ٩١١ هـ . ومن كتبه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ، « وخلاصة الوفا » وغير ذلك .

(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٢٤٥ ، النور السافر ص ٥٨ ، الاعلام للزركلى ، ج ٥ ص ١٢٢) .

الزرقاء ، وصوابه عين الأزرق ، لأن مروان هو الذى أخرجها عن أمر معاوية بن أبى سفيان وكان مروان أزرق العينين ، حتى لقب بالأزرق .

قال ابن حجر[1] وقد كان بعض عمال معاوية استأذنه فى حرب الترك فمنعه ، وقال: « سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحذيرا من الترك وأنهم مسلطون على العرب » .

ودخلت سنة — ٥١ —

لم يتفق فيها — ولا فيما بعدها إلى آخر سنة ٥٩ — من الحوادث ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٦٠ —

فيها هلك معاوية بن أبى سفيان لعنه الله ، وعهد إلى ابنه يزيد — لعنه الله — ، فاستعمل على اليمن بحير بن ريشان الحميرى على مالٍ يؤديه كل عام ، وسبعين رأساً من الرقيق . وكان جباراً عاتياً بذّالا للمال ، ولم يزل على اليمن حتى هلك يزيد بن معاوية .

وفى أيام يزيد كان قيام مولانا الحسين بن على عليه السلام ، وقتل بكربلاء ، والقصة مشهورة .

وفيها كان قيام عبد الله بن الزبير بمكة .

قال المسعودى : وقد كان عبد الله بن الزبير أظهر النُّسْك فى العبادة ، ثم دعا إلى نفسه لمّا شمل الناس جور يزيد بن معاوية وعماله ، وأمر ابن الزبير أهل المدينة أن

---

(١) هو أحمد بن محمد الكنانى العسقلانى ، أبو الفضل ، ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان ، مولده ووفاته بالقاهرة ، رحل الى اليمن والحجاز وغيرهما . علت شهرته وقصده الناس للأخذ عنه ، وأصبح حافظ الاسلام فى عصره . له كتب كثيرة منها « الدرر الكامنة » و « أنبـــاء الغمر » و « رفع الاصر » و « لسان الميزان » وغيرها . ولد سنة ٧٧٣ هـ وتوفى سنة ٨٥٢ هـ .
(الســـخاوى : التبر المسبوك ص ٢٣٠ ، الســـخاوى : الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ ، الزركلى : الاعلام ج ١ ص ١٧٣) .

يخرجوا عُمَّالَ يزيد ، وهم عثمان بن أبى سفيان ومروان بن الحكم ، وسائر بنى أمية ، فجدوا السير إلى الشام ، كما سيأتى .

ودخلت سنة — ٦١ —

لم يتفق فيها — ولا فى التى بعدها — ما يوجب الرسم .

ودخلت سنة — ٦٣ —

فيها كانت وقعة الحرَّة . قال الأسيوطى[١] : وما أدراك ما وقعة الحَرَّة[٢] ، قال بعض المؤرخين إن رجالا من أولاد المهاجرين والأنصار وفدوا على يزيد بن معاوية لعنه الله ، فأكرمهم وأجزل بصلتهم ، ولكنهم رأوا منه مالا يرضونه فى أمر الدين . فلما عادوا إلى المدينة أخبروا مَنْ وراءهم ، فأنكروا فعل يزيد ، وخلعوه ، وأخرجوا عامله ومروان بن الحكم وجميع بنى أمية . واجتمعوا على عبد الله بن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل . فجهز يزيد بن معاوية لحربهم مسلم بن عقبة المرِّى فى جيش عظيم . قال الأسيوطى : كان سبب خلع أهل المدينة ليزيد إسرافه فى المعاصى .

وروى الواقدى أن عبد الله بن حنظلة قال « والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمَى بحجارة من السماء » .

قال ابن قتيبة : والتقى مروان بن الحكم ومسلم بن عقبة فى الطريق ، فرجع مروان ومن معه مع مسلم . ولما انتهى جيش يزيد إلى خارج المدينة ، خرج أهلها لحربهم ، فالتقى

---

(١) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ، امام ، حافظ ، مؤرخ أديب . له نحو ستمائة مصنف . نشأ بالقاهرة ومات فيها سنة ٩١١ هـ .
(الكواكب السيارة ، ج ١ ص ٢٢٦ ، شذرات الذهب ، ج ٨ ص ٥١ ، الاعلام للزركلى ، ج ٤ ص ٧٣) .

(٢) الحرة أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار ، والجمع حرات وحرار . والحرار فى بلاد العرب كثيرة . والمقصود هنا حرة واقم احدى حرتى المدينة ، وفيها كانت واقعة الحرة المشهورة سنة ٦٣ هـ (ياقوت : معجم البلدان) .

الفريقان فى حرَّةِ وَاقِم ، وهى أرض بظاهر المدينة ، لثلاث بقيت من ذى الحجة من السنة المذكورة . ووقع القتال الشديد حتى انجلت المعركة عن ثلثمائة قتيل من أولاد المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، منهم معقل بن سنان وعبد الله بن حنظلة الغسيل قائد أهل المدينة يومئذ ، وعبد الله بن يزيد بن عاصم المازنى — راوى حديث وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — وحديث الاستسقاء ، وغيرهم من الرجال والنساء والصبيان . يقال إن قدر القتلى ستة آلاف ، وانتهبت المدينة كلها ، واقْتُضَّ فيها ألف عذراء ، واختلط الرجال بالنساء ، حتى التبس بعد ذلك أولاد السفاح بأولاد النكاح ، حتى كانوا لا يعرفونهم إلا بحب على بن أبى طالب رضى الله عنه وبُغضه ؛ فمن أحبه علموا أنه لرشده ومن أبغضه علموا أنه لغير رشده . وأباح مسلم بن عقبة المدينة المشرفة ثلاثة أيام ؛ ولم يسلم فيها إلا دار على بن الحسين بن على عليه السلام ، حماها رجل من أهل الشام ، وكذلك دار أسامة بن زيد بن حارثة ، فإن كلباً حمتها . ودار امرأة من حمير حماها قوم من حمير . وروى أنه قتل من المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، ودخل رجل من أهل الشام على امرأة من الأنصار ترضع صبياً ، فأخذ ما كان عندها ، ثم قال لها « هاتى الذهب وإلا قتلتك وقتلت الصبي » . فقالت له « ويحك إن قتلته ، فأبوه أبو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . فأخذ الصبي من حجرها وثديها فى فمه ، وضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الأرض ، فلم يخرج عدو الله من البيت حتى اسود نصف وجهه .

وخرج جابر بن عبد الله الأنصارى يسير فى أزقة المدينة وهو أعمى ، والبيوت تنهب ، وهو يعثر فى القتلى ويقول « من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقيل له فى ذلك ، فقال « أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخافنى » . ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخلوا عليه ونتفوا لحيته . وتعطل الحرم النبوى عن الصلاة أيام الفتنة ، فلم يكن يصلى فيه إلا سعيد بن المسيب فقط ، فكان إذا دخل

الوقت سمع النداء من الحجرة الشريفة النبوية . ولم يسلم من القتل حتى شهد له بعضهم بالجنون . ثم إن مسلم بن عقبة — لعنه الله — أمر بالأسارى فغُلّوا بالحديد ، ودعا الناس إلى البيعة على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية ، ومن امتنع عن ذلك قتله . ووجه فى طلب على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ليبايع ليزيد — لعنه الله تعالى — فأتى به إليه ، وهو مغتاظ عليه ، يتبرأ منه ومن آبائه ، فلما رآه ارتعد ، وقام له وأقعده إلى جنبه ، وقال له « سلنى حوائجك ؟ » فلم يشفع فى أحد ممن قدّم للسيف إلا شفعه فيه . فلما انصرف عنه ، قيل له « رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه ، فلما أتى به إليك رفعت منزلته » فقال « ما كان ذلك لرأى منى ، بل لما رأيته ، ملُىء قلبى منه رُعباً » . وأراد الفتك بعلى ابن عبد الله بن العباس ، فمنعه عنه أخواله من كِندة .

ودخلت سنة — ٦٤ — (والتى بعدها)

فيها توجه مسلم بن عقبة — لعنه الله — إلى مكة ، لمحاربة ابن الزبير ، فهلك فى قُدَيْد(١) المعروف بثَنِيَّة المسْلك ، لسبع بقين من المحرم ، بعد وقعة الحَرَّة بخمسة وعشرين يوما ، وعاجله الله بالنقمة ، لما ارتكبه من انتهاك الحرم النبوى . ولما حضرته الوفاة استخلف على جيشه الحصين بن نمير بإشارة من يزيد بن معاوية — لعنه الله — لأنه نهض من الشام وهو فى أوائل المرض ، فقال له « إن مت فأمير الجيش الحصين » . ويقال إن مسلم بن عقبة لما دفن بقُدَيْد ، جاءت أم ولدٍ ليزيد بن عبد الله بن زَمَعَة بعد أن سار الجيش إلى مكة ، فنبشته وصلبته على المسلك ، وجاء الناس فرجموه . وبلغ الحصين ابن نمير ، فرجع فدفنه ، وأوقع بأهل ذلك الموضع .

وسار الحصين إلى مكة ، فأحاط بها ونصب عليها المنجنيقات والعرادات(٢) من

---

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة .
(ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٠ ، ١٨٥) .

(٢) العرادات ، ومفردها عرادة ، وهى آلة أصغر من المنجنيق ، ترمى بالحجارة المرمى البعيد .
(النويرى : نهاية الارب ، السفر السادس ص ١٦٥)

جبالها ، والتجأ عبد الله بن الزبير بالبيت الحرام ، وسمّى نفسه العائذ بالبيت . ودخل معه المختار بن أبى عبيد الثقفى ، وكان قد بايعه على شروط شرطها عليه. ورمى أصحاب الحصين الكعبة المشرفة بالنار حتى احترقت أستارها ، فوقعت صاعقة أحرقت من أصحاب المنجنيق أحد عشر رجلا ، وقتل من أهل مكة المسوّر بن مخرمة بن نوفل الزهرى . واشتد الأمر على أهل مكة ودام الحصار لهم أربعة وستين يوماً ، وعجّل الله هلاك يزيد ابن معاوية ، وذلك فى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وقيل فى صفر ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ومدة تغلبه ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمانى ليالٍ .

وقام بعده ابنه معاوية بن يزيد المُكَنّي بأبى ليلى ، ومدة إمارته أربعون يوما وقيل شهران . ولما حضرته الوفاة اجتمع إليه بنو أمية ، فقالوا له « إلى من تعهد من أهل بيتك ؟ » فقال : « والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقلد وزرها ؟ اللهم إنى برىء منها » فقالت له أمه « ليتك كنت حيضة ، ولم أسمع منك هذا الكلام » . فقال « ليتنى كنت خرقة حيض ، ولم أتقلد هذا الأمر » . ويقال إنه مات مسموما ، وبموته زال الأمر عن آل حرب .

ولما هلك يزيد بن معاوية ، وولى الأمر بعده ابنه معاوية كما قدّمنا ، نمى الخبر إلى الحصين بن نمير ، فهادن ابن الزبير ، ونزل مكة ، واختلط جيشه بأصحاب ابن الزبير ، واجتمع بابن الزبير فى المسجد فقال له : « هل لك يا بن الزبير أن أحملك إلى الشام وأبايع لك بالخلافة ؟ » فقال له ابن الزبير « أبعد قتل أهل الحَرّة ؟ لا والله حتى أقتل بكل قتيل منهم خمسة من أهل الشام » . ورفع ابن الزبير صوته بهذا الكلام ، فقال الحصين « من زعم أنك داهية فهو أحمق ، أكلمك سراً ، وتكلمنى علانية ، ستعلم أينا المقتول ؟ » .

ولما استقر الأمر لابن الزبير فى مكة استعمل على اليمن الضحاك بن فيروز الديلمى ، فأقام سنة ثم عزله بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فأقام فيها أياما ثم عزله بعبد الله بن عبد المطلب بن وداعة السهمى ، فأقام فيها سنة وثمانية أشهر . ثم عزله

بحسن بن عبد الله الفقيه . ثم عزله بقيس بن يزيد السعدى فأقام فيها عشرة أشهر . ولم يزل على أن يولى ويعزل حتى قتل .

وفى أيامه قام المُختار بن أبى عُبيد الثَّقفى ، طالبا بثأر الحسين بن على ، رضوان الله وسلامه عليهما . قال بعض الأخبار : ولما استوثق الأمر لابن الزبير ، وأُخذت له البيعة بالشام ، وخُطب له على منابر الإسلام ، ولم يبق إلا الكوفة لمكان ابن زياد فيها ، وجه إليهم ابن الزبير عبدَ الله بن مطيع العدوى ، وأتبعه بالمختار بن أبى عُبيد ، فقويت شوكته بالعراق . وقتل الأكثر ممن حضر قتْلَ الحسين بن على بكرْبلاء ، منهم عمرو ابن سعد بن أبى وقاص ، وابنه حفص،وغيرهما . وأخباره مشهورة . ولما عزله ابن الزبير عن العراق بأخيه مصعب بن الزبير ، أظهر الخلاف عليه ، وأراد أن يعقد البيعة لمحمد ابن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية ، فأمر عبد الله بن الزبير أخاه مصعب ابن الزبير بمحاربته ، فجرت بينهما حروب شديدة ، قتل فيها من أصحاب المختار نحو عشرة آلاف رجل ، ثم قتل المختار ، وبعث مصعب برأسه إلى أخيه عبد الله ، والله أعلم .

وفيها توجه مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى إلى مصر فملكها ، واستعمل عليها ابنه عبد العزيز ، ثم رجع إلى دمشق ، ومات فى شهر رمضان من السنة المذكورة ، وعهد بالأمر إلى ابنه عبد الملك .

وفيها ولى المُهلَّب بن أبى صُفرة [١] خراسان لابن الزبير .

---

(١) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى العتكى . أمير ، باطش ، جواد . ولى امارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وانتدب لقتال الأزارقة ، ولاه عبد الملك بن مروان خراسان سنة ٧٩ هـ ، وتوفى سنة ٨٣ هـ ، وأخباره كثيرة . (ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ص ١٨٣) .

وفيها خرج سليمان بن صرد الخزاعي[1] ، والمسيب الفزاري[2] صاحب عليّ — رضي الله عنه — في أربعة آلاف ، يطالبون بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما . وقد كان مروان بن الحكم جهز عبيد الله بن زياد إلى العراق في ستين ألفاً ، فالتقوا بالجزيرة[3] ، فانكسر سليمان بن صرد وأصحابه ثم قتل ، وقتل المسيب وطائفة من أصحابهما رحمهما الله تعالى .

وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، ولم يكن بينه وبين أبيه في الولادة إلا إحدى عشرة سنة ، وكان من فضلاء الصحابة ، أسلم قبل أبيه ، وكان يلوم أباه على القيام في الفتن ، وأقسم بالله أنه لم يرم في حرب صفين بسهم ، ولم يطعن برمح ، وإنما حضرها لعزم أبيه عليه ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أطع أباك » .

ودخلت سنة = ٦٦ =

فيها جهز المختار بن أبي عبيد الثقفي جيشاً كثيفاً مقدمه إبراهيم الأشتر النخعي لمحاربة جيوش بني أمية ، فالتقوا بالموصل ، ووقعت ملحمة عظيمة ، انتقم الله فيها من

---

(١) سليمان بن صرد بن الجون السلولي الخزاعي ، أبو مطرف . صحابي من القادة ، شهد الجمل وصفين مع علي . وسكن الكوفة . وكان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه ، وخرج بعد ذلك مطالباً بدمه مع من معه من التوابين تعويضهم عن نصرة الحسين حين دعاهم ، ونشبت معارك بينه وبين عبيد الله بن زياد . فقتل سليمان بعين الوردة ، قتله يزيد بن الحصين . له في الصحيحين ١٥ حديثاً ، توفي سنة ٦٥ هـ .

(الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ١٨٨) .

(٢) المسيب بن نجبة الفزاري ، تابعي ، شهد القادسية وفتوح العراق . كان مع علي وثار مع التوابين من أصحابها في طلب دم الحسين ، وقتل مع سليمان ابن صرد في إحدى مواقع العراق . توفي سنة ٦٥ هـ .

(ابن الأثير : الكامل ، ج٤ ص ٦٨-٧٩ ، الزركلي : الأعلام ج ٨ ص ١٣٤) .

(٣) الجزيرة ، بين دجلة والفرات ، تشتمل على ديار مضر وديار بكر . سميت بالجزيرة لأنها بين دجلة والفرات . تشتمل على مدن جليلة وقلاع وحصون كثيرة . مثل حران والرها والرقة ، ورأس عين ، ونصيبين .. (البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٣٣٦) .

قَتَلَة الحسين بن على رضى الله عنهما ، و نصبت رءوسهم حسب نصب رأس الحسين بن على ، وفيهم رأس عبيد الله بن زياد ، فأقبلت حية فدخلت منخره ، ودارت فى رأسه والناس ينظرون . ثم بعث به المختار إلى المدينة فى نحو سبعين رأسا ، والشرح فى ذلك يطول .

وفيها ، وقيل فى التى قبلها ، توفى عدى بن حاتم الطائى رحمه الله تعالى ، وله مائة وعشرون سنة . أسلم سنة سبع للهجرة ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » . انتهى من تاريخ الذهبي .

ودخلت سنة — ٦٧ —

فيها ظهرت الحرورية[١] بعمان ، وهم قوم من الخوارج . وقصدوا صنعاء اليمن ، فجمع وهب بن منبه أهل صنعاء ، وحرضهم على قتال الخوارج ، فقالوا « ليس لنا طاقة بقتالهم وإنا لنخشى إنهم يستحلون سبي أولادنا » . ثم إنهم صالحوهم على مائة ألف دينار ، واستعانوا بأهل المخاليف[٢] على تسليم المال فأعانوهم ، ووقع فى اليمن اضطراب كبير .

---

(١) الحرورية : طائفة من الخوارج ، انحازوا الى موضع بظاهر الكوفة يعرف باسم حروراء ، وذلك بعد رجوع على من صفين الى الكوفة ، ولذلك سموا بالحرورية · عددهم اثنا عشر ألفا · حاربهم على وقتل معظمهم ، ولم يبق منهم الا تسعة أنفس ، صار منهم رجلان الى سجستان ، ومن أتباعهما خوارج سجستان · ورجلان الى اليمن ، ومن أتباعهما خوارج اليمن الاباضية · ورجلان الى عمان ، ومن أتباعهما خوارج عمان · ورجلان صارا الى الجزيرة ومن أتباعهما خوارج الجزيرة ، ورجل صار الى تل مور ومن أتباعه خوارج تل مور ·

(٢) المخاليف ــ ومفردها مخلاف ــ هى بمنزلة الكور والرساتيق بلغة أهل اليمن ــ وقيل فى كل بلد مخلاف أى ناحية ، ولكل مخلاف منها اسم يعرف به ، هو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها

(ياقوت : معجم البلدان ــ الجزء الأول ــ الباب الثالث)

وذكر الحميرى أن المخلاف هو الكورة بلغة أهل اليمن والجمع مخاليف ·

(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٣٤) ·

قال ابن واضح[١] : وكان بحدّة[٢] ، ابن عامر الحروری ، قد ظهر فی أيام ابن الزبير بناحيه اليمامة ، ثم سار إلى الطائف ، فحاربهم ابن الزبير محاربة شديدة فانهزم الحروری . قال بعضهم : أقام هذا الخارجی خمس سنين ، واستولى على اليمامة ، والبحرين ، وعمان ، وهجر ، وطائفة من أرض العرب . وكان قد ظهرت منه أمور أنكرتها عليه الخوارج فخلعوه ، وأقاموا مكانه أبا فديك الخارجی[٣] ، فوجه إليه عبد الملك بن مروان ، أمية بن عبد الله ، فهزمه أبو فديك واستولى على أثقاله وحرمه ، فوجه إليه عبد الملك عمرو بن عبيد الله بن معمر ، فقتل الخارجی ، واستنقذ حُرم أميّة .

وفی هذه السنة حجت فروة بنت عبد الملك بن مروان ، ولما انقضت أيام الحج تأخرت عن المسير مع أمير الحاج ثلاثة أيام فی مكة ، ثم خرجت فعرض لها فی طريقها قوم من العرب ، فانتهبوا بعض ما معها ، وتحيّرت عن المسير ، فتداركها رجل يسمى الضحضاح ابن جندبه وأجارها ، وسار معها إلى حضرة أبيها بعد أن جرى بينه وبين العرب المتعرضين لها قتال وجدال . ولما وصل بها الضحضاح إلى أبيها أكرمه وأنعم عليه بالولاية

---

(١) هو أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبی . مؤرخ ، جغرافی ، كثير الأسفار ، من أهل بغداد . كان جده من موالی المنصور العباسی ، رحل الى المغرب وغيرها ، ودخل الهند . صنف كتبا جديدة ، منهـا تاريخ اليعقوبی ، وكتاب البلدان ، وأخبار الأمم السالفة ، وغير ذلك . اختلف المؤرخون فی تحديد سنة وفاته ، والأرجح أنه توفی سنة ٢٩٢ هـ .
(الزركلی : الاعلام ، ج ١ ص ٩٠)

(٢) حده : منزل بين جدة ومكة من أرض تهامة ، وهو واد فيه حصن ونخل وماء جار من عين (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) ابو فديك الحروری : هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، أبو فديك . ثائر من الحرورية كان من اتباع نافع بن الأزرق رأس الأزارقة ، ثم آلت اليه امرة الخوارج فی مدة ابن الزبير : تغلب على البحرين سـنة ٧٢ هـ ، فبعث خالد بن عبد الله القسری أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله فی جند كثيف ، فهزمه أبو فديك . فأرسل اليه عبد الملك بن مروان مددا ، فقتله هو وأصحابه سنة ٧٣ هـ .
(الزركلی : الاعلام ، ج ٤ ص ٢٠٣) .

على عرب الحجاز ، وجهز معه ولده مسلمة بن عبدالملك بعساكره لقبض البلاد . وعزل عنها مروان بن الهيثم ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٦٨ —

لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ما وقع فيها ، ولا فيما بعدها من السنين إلى آخر سنة اثنتين وسبعين .

ودخلت سنة — ٧٣ —

فيها قتل عبد الله بن الزبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفى عامل عبد الملك ابن مروان ، والقصة مشهورة . ومن مآثر ابن الزبير بناء الكعبة المشرفة بعد أن شهد لديه سبعون شيخا أن قريشا لما بنتها قصرت بهم النفقة عن بنائها على أساس إبراهيم ، فنقصوا منها سبعة أذرع ، فبناها ابن الزبير على ما كانت عليه أولا ، ووضع فيها الفسيفساء[1] الذى حمل إليه من الكنيسة التى بناها أبرهة الحبشى فى صنعاء[2] ، وجعل لها بابين أحدهما للداخل والآخر للخارج .

---

(١) الفسيفساء : قطع صغار ملونة من الرخام أو الحصباء أو الخرز أو نحوها ، يضم بعضها الى بعض ، فيكون منها صور ورسوم تزين أرض المبنى أو جدرانه (المعجم الوسيط) .

والفسيفساء كلمة مشتقة من اللغة اليونانية ، يقصد بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة بوساطة جمع أجزاء صغيرة ومتعددة الألوان من الزجاج أو الحجر وتثبيتها بعضها الى جانب بعض فوق الجص أو الأسمنت . وقد تكون هذه الموضوعات الزخرفية هندسية أو نباتية أو رسوم كائنات حية . والأغلب أن تكون تلك الأجزاء الصغيرة مكعبات دقيقة .

(زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٦٤٣ وما بعدها) .

(٢) ظلت هذه الفسيفساء على سطح الكعبة حتى آخر القرن الثانى للهجرة « وبعد سنة ٢٠٠ هـ رفعت هذه الفسيفساء التى كان معمولا بها على سطح الكعبة ، لأنها ماكانت تمنع مياه المطر أن يتسرب الى الداخل ، ووضع مكانها المرمر المطبوخ وشيد بالجص » (مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٧٤)

قال فى كتاب الدولتين إن ابن الزبير أول من كسا الكعبة الديباج ، وكان كسوتها المُسوح والأنطاع[1]. ولما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بما زاده ابن الزبير فى البيت ، فأمره عبد الملك بهدمه وإرجاعه إلى ما كان عليه من بناء قريش ؛ وأن يجعل له بابا واحداً ، ففعل .

قال النهروانى[2] : هدم الحجاج من جانبها الشامى قدر ستة أذرع وشبر ، وبنى ذلك الجدار على أساس قريش ، وكبس أرضها بالحجارة التى فضلت ، ورفع الباب الشرقى وسد الباب الغربى ، وترك سائرها على بناء ابن الزبير . قال: وكان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف ، فزاد فيه ابن الزبير ، واشترى دورا فأدخلها فيه ، ثم عمره عبد الملك بن مروان ، ولم يزد فيه ، لكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج ، والله أعلم .

رجعنا إلى ما كنا بصدده . لما قتل ابن الزبير استولى عبد الملك بن مروان على

---

(١) جاء فى كتاب « مرآة الحرمين » الجزء الأول ص ٢٨١ ج ١ ما نصه «أول من كسا الكعبة أسعد أبو كرب ملك حمير ، وذلك قبل الهجرة بقرنين ، وقد كساها الخصف والمعافر والملاء والوصائل والعصب والمسوح والانطاع والبرود ، وجعل للكعبة بابا ومفتاحا » .

هذا ، والمسوح فى اللغة جمع مسح وهو كساء من الشعر غليظ يقال له البلاس ، أما الأنطاع فمفردها نطع وهو بساط من الأديم أى الجلد .

(٢) هو محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالى المكى الحنفى . أصل أبيه من نهرواله ثم رحل الى مكة . أتم دروسه فى القاهرة وحظى بمقابلة السلطان سليمان على يد وزيره سنة ٩٤٥ هـ ، فولاه العناية بالمدارس الأربع ، وتوفى وهو مفتى مكة سنة ٩٩٠ هـ .

ومن مؤلفاته كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، وقد فرغ من تاليفه سنة ٩٨٥ هـ ، وكتاب البرق اليمانى فى الفتح العمثانى ، وفيه تاريخ اليمن حتى سنة ٩٠٠ هـ .

(سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ج ٢ ص ١٨٧)

الحجاز واليمن، وجعل أمرهما إلى الحجاج بن يوسف ، فاستعمل على صنعاء أخاه محمد بن يوسف ، وعلى الجنَد واقد بن سلمة الثقفى ، فأقام واقد سنة ثم عزله الحجاج ، وجمع المخلافين لأخيه محمد بن يوسف ، فلم يزل عاملا عليهما إلى أن توفى فى آخر أيام عبد الملك . قال عبد المجيد فى تاريخه : وفى أيامه كان سيل برك الغماد[1] وكان مجمعاً للعرب والوفود إذا قدموا صنعاء على ملوكها ، حتى ضرب بها المثل . وكان سيل نُقُم[2] ينصب إليها فكبست قبل هذا التاريخ ، واختلطت بمنازل بنى الوليد ومساكنه ، فنزل سيل عظيم من نُقَم ، فأخرب تلك المنازل وجرّ الأمتعة . انتهى

وكان محمد بن يوسف قد همّ بإحراق المجذومين ، فهلك قبل ذلك . فاستعمل الحجاج على اليمن ابن عمه أيوب بن يحيي الثقفى ، فلم يزل واليا عليها أيام الوليد ابن عبد الملك : وهو الذى زاد فى جامع صنعاء ، ويقال إن مُقدّم الجامع من بنائه ؛ والله أعلم .

وفيها كان تمام عمارة البيت الحرام التى تولى عملها الحجاج عن أمر عبد الملك ، حسبما تقدمت الإشارة إليه ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٧٤ —

لم يذكر فيها غير ما تقدم .

ودخلت سنة — ٧٥ —

فيها حج عبد الملك بن مروان . وكان طريقه على المدينة المنورة . وخطب على

---

(١) برك الغماد : بلد باليمن فى أقاصى أرض هجر (ياقوت : معجم البلدان) وهو مكان متطرف قاص يضرب به المثل فى البعد فيقال « ولو بلغ برك الغماد »
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤) .

(٢) نقم : جبل مطل على صنعاء اليمن قرب غمدان
(ياقوت : معجم البلدان) .

منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وعزل الحجاج عن الحجاز . وأخبار الحجاج مشهورة ، وسيرته الجائرة مدونة مذكورة ، فلا حاجة إلى تكرير ذكرها .

قال ابن قُتَيْبة : إن الحجاج تزوج بأخت عبد الرحمن بن محمد الأشعث بن قيس الكندى ، وولاه سجستان ، فلما تمكن فى البلاد خَلع الحجاج وخرج عليه إنكاراً منه لأفعاله . ومال إلى ابن الأشعث جماعة من أعيان ذلك العصر ، منهم سعيد بن جُبير ، رحمه الله . وقد كان سعيد بن جبير قال لابن الأشعث « الرأى أن تكف عما تريد ؛ فإن الخلع فيه الفتنة ، وسفك وانتهاك الُحرم ، وذهاب الدين والدنيا » . فقال « إنه الحجاج وقد فعل وفعل » ؛ وذكّره أشياء من مساوىء الحجاج . ولم يزل به حتى صار معه ، وثبت الحرب ووقع القتال الشديد ، وآل الأمر إلى قتل ابن الأشعث وسعيد بن جبير — رحمه الله — فى خبر يطول ذكره .

ودخلت سنه — ٧٦ —

فيها كان خروج شبيب الخارجى ، فوقعت بينهم حروب شديدة ، هلك فيها أمة من الناس ؛ والشرح فى ذلك يطول .

ودخلت سنة — ٧٧ —

لم يذكر المصنف رحمه الله ما وقع فيها وفى السنتين اللتين بعدها .

ودخلت سنة — ٨٠ —

فيها نزل سيل عظيم بمكة ، اجتحف كثيرا من الحجاج يوم التروية[1] وذهب بالإبل وهى محملة .

---

(١) التروية : يوم الثامن من ذى الحجة ، ويوم التروية هو أول أيام الحج ، وفيه يذهب الحجاج من مكة الى منى . وفى المصادر الاسلامية أنه سمى يوم التروية لأن الحجاج يتزودون ريهم من الماء .

(دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الخامس ، ص ٢٣٤)

ودخلت سنة — ٨١ —

لم يتفق فيها، ولا فيما بعدها من السنين إلى آخر سنة خمس وثمانين ما يوجب الرسم؛ والله أعلم .

ودخلت سنة — ٨٦ —

فيها مات عبد الملك بن مروان، وولى بعده ولده الوليد بن عبد الملك ، فأقر على اليمن أيوب بن يحيى الثقفي . وفي أيامه كانت للضحضاح بن جندبة بن الحرث الكلابي الغزوات المشهورة في الحجاز . قال المصنف : وله سيرة مستقلة، كسيرة عنترة بن شداد العبسي في الجاهلية .

ودخلت سنة — ٨٧ —

لم يتفق فيها شيء يذكر .

ودخلت سنة — ٨٨ —

فيها كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز — وهو يومئذ عامله على المدينة — أن يجدد بناء المسجد ، ويدخل فيه الحجر الشريفة ، ويسلم إلى أهلها أثمانها . فمنهم من باع ومنهم من امتنع ، فهدمت قهراً . وأمر الوليد بحفر الآبار وتسهيل الثنايا[1] . واستعان بملك الروم على بناء المسجد الشريف النبوى ، فأعانه بأربعين ألف مثقال، وأربعين رجلا من صناع الروم، وأربعين من صناع القبط .

سنة ٨٩ ، ٩٠

لم يتفق فيهما شيء يذكر .

---

(١) الثنايا : هو المكان الذى كسرت فيه ثناياه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة أحد ، وهو بجوار شهداء أحد (مقبرتهم) شمال مسجد حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم
(مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٩٣)

ودخلت سنة — ٩١ —

فيها حج الوليد بن عبد الملك ومعه رجاء بن حيوة[1]، وكان لا يصدر إلا عن رأيه .
وفيها فرغ من بناء المسجد الحرام والمسجد النبوى: ولما قرب الوليد من المدينة المشرفة تلقاه عمر بن عبد العزيز ووجوه قريش ، فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونظر إلى بنائه ، ووقف على سعيد بن المسيب رحمه الله ، فكلمه فلم يقم إليه سعيد ، فكان عمر بن عبدالعزيز يقول « يا من كفى سعيد من الوليد اكفنى ما أهمنى » .
وطاف الوليد المدينة وقسم مالاً ودقيقاً .

ودخلت سنة — ٩٢ —

لم يتفق فيها قصة غريبة .

ودخلت سنة — ٩٣ —

فيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة المنورة ، واستعمل عليها عثمان ابن حيان المزنى .

ودخلت سنة — ٩٤ —

لم يذكر المصنف ما اتفق فيها .

ودخلت سنة — ٩٥ —

فيها أراح الله العباد ، وطهر البلاد ، بهلاك الحجاج بن يوسف الثقفى ، عقيب قتله لسعيد بن جبير . قال ابن عبد ربه : ولما دفن الحجاج سُمع عذابه فى قبره .

---

(١) رجاء بن حيوه الكندى : شيخ أهل الشام فى عصره ، كان ملازما لعمر بن عبد العزيز فى عهد الامارة والخلافة ، وهو الذى أشار على سليمان باستخلاف عمر ، وله معه أخبار .
(تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ١١١ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ١٨٧ ، الاعلام للزركلى ، ج ٣ ص ٤٣) .

ودخلت سنة — ٩٦ —

فيها مات الوليد بن عبد الملك ، وقام بالأمر بعده أخوه سليمان بن عبد الملك ، فاستعمل على اليمن عروة بن محمد السعدى ، فأقام فيها أيام سليمان .

وفى أيام الوليد بن عبدالملك كانت الفتوحات الكبيرة فيما وراء النهرين جهة المشرق ؛ كبخارى وسمرقند وطوس وخوارزم وبعض الهند ، وفى المغرب الأندلس والقيروان ، وغير ذلك من البلدان . وكان فتح المغرب على يد الأمير موسى بن نصير ، واتفقت له العجائب ، وبلغ إلى مدينة النُّحَاس[١] ودخلها ، وقيل إنه لم يدخلها ؛ والله أعلم .

ودخلت سنة — ٩٧ —

فيها كتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله على مكة ، وهو خالد بن عبد الله القسرى ، إنه يريد الحج ، وأنه يستخرج له عيناً من الماء العذب حتى تظهر بين الركن[٢] وزمزم ، فعمل خالد ما أمر به ، وجعل بركة ، فكان يقال لها بركة القرى . ولما أكملها قام بالناس خطيباً ، فقال « أيها الناس احمدوا الله ، وادعوا لأمير المؤمنين الذى أسقاكم الماء العذب بعد المالح الأجاج » يعنى زمزم ؛ فكان لا يجتمع على ذلك الماء اثنان ، واستمر أكثر الناس على الشرب من زمزم . ولم تزل تلك البركة على حالها إيام بنى مروان حتى هدمها داود بن على فى أول الدولة العباسية . ولم يلبث خالد القسرى بمكة إلا قليلا ، حتى سخط عليه سليمان بن عبد الملك وعزله عن مكة ، واستعمل طلحة بن داود الحضرمى ، وأمره أن يضرب خالداً بالسياط ، بسبب امرأة من قريش قذفها . ثم عزل

---

(١) مدينة النحاس ، ويقال انها مدينة الصفر ، لها قصة ذكرها ياقوت دون أن يتحمل مسئولية حقيقتها لبعدها عن العقل . وهى مدينة بالأندلس ، روت الأساطير أن ذا القرنين بناها وأودعها كنوزه وعلومه .
(ياقوت معجم البلدان)

(٢) الركن : هو الركن الذى فى الجهة الجنوبية الغربية للكعبة .
(ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٦٢)

عثمان بن حيان المزنى عامل المدينة ، وقلد أبا بكر عمر بن حزم ، فضرب عثمان فى حدين أتاهما ، أحدهما على شرب الخمر ؛ انتهى .

وفى هذه السنة استفتح يزيد بن المهلب طبرستان وجرجان .

وفيها كان أول الاستدارة فى الصلاة حول الكعبة لكثرة الناس .

وفيها مات أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية مسموماً بسعاية سليمان بن عبدالملك، فأوصى إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وقال له « إذا مضت سنة الحمار فابعث رسلك إلى العراق فإنهم شيعة ، وإن كانوا يكثرون الاختلاف » فقال له محمد « يا أباهاشم وما سنة الحمار؟» قال ، «لم تمض مائة سنة من نبوة قط إلا انقضت أمورها، لقول الله عزوجل (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ [1]) الآية ، فإذا خلت مائة سنة فابعث دعاتك ، فإن الله متم أمرك ، واجعل لك اثنى عشر نقيباً ، فإن الأنبياء من بنى إسرائيل لم يتم أمرهم إلا بهم » .

ودخلت سنة — ٩٨ —

فيها غزا المسلمون القسطنطينية ، وأميرهم يومئذ مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، فحاصروها سنة ، وغنموا غنائم كثيرة .

ودخلت سنة — ٩٩ —

فى صفر منها مات سليمان بن عبد الله ، وجعل ولاية العهد من بعده لعمر بن عبدالعزيز، ومن بعد عمر ليزيد بن عبد الملك. فقام بالأمر عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، أتم قيام: أحيا السنة ، وأمات البدعة ، وجدد الولاية لعُروة بن محمد السعدى على اليمن ، فأقام بها إلى وفاة عمر . واستعمل وهب بن منبه على القضاء بصنعاء .

وفى هذه السنة حج بالناس أبو بكر بن محمد بن حزم عامل المدينة . وكان العامل

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٩

لعمر على مكة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وعلى البصرة عدى بن أرطاة . ولما أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه برفع اللعن عن أمير المؤمنين على عليه السلام فى جميع الآفاق ، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء ، وأن يجعل مكانها (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحسَانِ[1]) الآية ، وخطب الخطيب بها فى جامع صنعاء ، فقام إليه ابن محفوظ — لعنه الله — وقال « قَطَعْتَ السُنَّةَ » قال « بل هى البدعة » فقال « والله لأنهضنَّ إلى الشام ، فإن وجدت الخليفة قد عزم على قطعها لأضرمن الشام عليه نارا » وخرج ابن محفوظ من صنعاء ، فلحقه أهلها إلى طرف القاع المعروف بالمنجل غربى صنعاء ، فرجموه بالحجارة حتى غمروه وبغلته ، فهو يرجم إلى الآن كما يرجم قبر أبى دعال قائد فيل أبرهة الحبشى .

وفيها خالف يزيد بن المهلب بن أبى صفرة على عمر بن عبد العزيز ، فظفر به عمر وحبسه ، فخرج من السجن هاربا .

وفيها كانت فتنة الخوارج بالعراق . قال ابن واضح[2] : لما خرج شوذب الحرورى[3] الخارجى ، أرسل إلى عمر بن عبد العزيز رجلين يناظرانه ، فقالا له « إنك أظهرت أفعالا حسنة ، وأقوالاً جميلة ، ومما ننكر عليك ترك اللعن لأهل بيتك والبراءة منهم » ، فقال «وكيف يلزمنى لعنهم؟» قالا « لأنهم من أهل المعاصى ، وأنه لا يسعك غير ذلك » فقال « متى عهدكم بلعن فرعون ؟ » قالا « ما نذكر متى لعناه » فقال « كيف

(١) سورة النحل ، آية (٩٠) .

(٢) يقصد أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ ، وقد سبق ذكره .

(٣) هو بسطام الخارجى ، الملقب بالحرورى . ثائر جبار ، خرج أيام عمر بن عبد العزيز قرب الكوفة ، وقويت شوكته . ولم يهزمه الا مسيلمة بن عبد الملك ، عندما أرسل له جيشا من عشرة آلاف مقاتل ، فأحاطوا به ثم قتلوه سنة ١٠١ هـ .

(الطبرى ، ج ٨ ص ١٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥) .

يسعكم ترك لعنه ؛ إنكم أردتم شيئاً فأخطأتم » . فأقام أحدهما عنده وانصرف الآخر .

وفى تاريخ الطبرى أن بسطام الخارجى ـ الملقب بشوذب ـ لما خرج على عمر بن عبدالعزيز بالعراق ، كتب إليه عمر بن العزيز « أنه بلغنى أنك إنما خرجت غضبا لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولست أولى بذلك منى فهلم أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل الناس فيه ، وإن كان فى يدك نظرنا فى أمرك » . فأجاب على عمر « قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يناظرانك » ؛ فدخلا عليه ، فقالا له أخبرنا عن يزيد بن عبد الملك لِمَ تجعله خليفة من بعدك ؟ » قال « صيره غيرى » ، قالا له « أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه ، أكنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك عليها ؟ » فقال « أنظرانى ثلاثا » فخرجا من عنده . وخاف بنو مروان أن يخرج الأمر عنهم فدسوا إليه سماً فلم يلبث أن مات ، رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ١٠٠ —

لم يتفق فيها شىء يذكر .

ودخلت سنة — ١٠١ —

فى رجب منها توفى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وقام بعده يزيد بن عبدالملك بعهد من أخيه سليمان كما تقدم ، فاستعمل على اليمن مسعود بن عوف الكلبي ؛ فأقام فيها أيام يزيد .

ودخلت سنة — ١٠٢ —

فيها تغلب يزيد بن المهلب على البصرة ، فحاربته جنود يزيد وقتلوه .

ودخلت سنة — ١٠٣ —

لم يذكر المصنف ما وقع فيها من الحوادث .

ودخلت سنة — ١٠٤ —

فيها خطب عبدالرحمن بن الضحاك عامل مكة فاطمة بنت الحسين بن على ، فلم ترض به ، ولما ألح عليها كتبت إلى يزيد بن عبد الملك تشكوه ، فعزله ، وأخذ ماله حتى صار فقيراً . وفيها قتل شوذب الخارجي .

ودخلت سنة — ١٠٥ —

فيها مات يزيد بن عبد الملك ، وقام بعده أخوه هشام ، فأقر فى اليمن مسعود ابن عوف ، ثم عزله بيوسف بن عمر الثقفى ، فأقام عاملا على اليمن جميعه ثلاث عشرة سنة . واستقضى على اليمن الغطريف بن الضحاك بن فيروز الديلمى . وعن عمر بن يزيد الأسدى قال « دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده خالد بن عبد الله القسرى ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن فصفقت بيدى ، وقلت : والله ما فتحت فتنة فى الإسلام إلا بأهل اليمن ، هم قتلوا عثمان بن عفان ، وخلعوا عبد الملك بن مروان ، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب » .

ودخلت سنة — ١٠٦ —

فيها كانت الوقعة العظيمة بين المضرية واليمانية وربيعة فى بلخ .

وفيها عزل هشام عن المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله البصرى ، واستعمل عليها خاله إبراهيم بن هشام المخزومى .

ودخلت سنة — ١٠٧ —

فيها كان خروج عباد الرعينى باليمن ، فقتله يوسف بن عمر الثقفى ، وقتل أصحابه وكانوا ثلثمائة نفر . وكان يزعم أنه منصور حمير ، لما يجدون فى السير أنه يكون الرعينى فى آخر الزمان ، فاستعجل فى أمر كان له فيه أناة .

ودخلت سنة — ١٠٨ ، ١٠٩ —

لم يتفق فيهما غير ما تقدم ذكره والله أعلم .

ودخلت سنة — ١١٠ —

فيها استفتح هشام فتوحات كثيرة فى بلاد الترك وأطراف الروم .

وفيها دعا أمير خراسان أهل الذمة فى سمرقند إلى الإسلام ، على أن يرفع عنهم الجزية ، فأجابوا إلى ذلك . فلما أسلموا وضع عليهم الجزية ، وطالبهم بها فحاربوه ، وكانوا سبعة آلاف ، وعضدهم كثير من المسلمين . ولم يتم لهم أمر ، بل أخذت منهم الجزية والخراج ، فاستعانوا بخاقان ملك الترك ، فلم يزل الحرب بينه وبين المسلمين إلى سنة ١١٣ ، وأيد الله المسلمين بالنصر ، وقتل خاقان .

ودخلت سنة — ١١٢ —

لم يتفق فيها والتى بعدها شىء يذكر .

ودخلت سنة — ١١٤ —

فيها مات عامل اليمن وهب بن منبه بصنعاء ، وكان من كبار التابعين ، وأهل الفضل والزهد ، أدرك جابر بن عبد الله الأنصارى وابن عباس وغيرهما ، وولى القضاء لعمر بن عبد العزيز ، كما تقدم ذكره .

ودخلت سنة — ١١٥ ، ١١٦ —

لم يذكر المصنف شيئا وقع فيهما ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١١٧ —

فيها عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبدالله القرى عن العراق ، وأمر يوسف بن عمر الثقفى بالتقدم إلى العراق والقبض على خالد ، فسار يوسف من اليمن فى نفر قليل ،

واستخلف على اليمن ابنه الصلت، فأقام فى اليمن إلى وفاة هشام . ولما وصل الكوفة بعد سبع عشرة مرحلة قدمها ليلا، وأمر بمحاسبة خالد وعماله، ثم حبسه وعذبه.

وفيها — أوفى التى قبلها — اتفقت قضية المرأة الغاسلة التى لصقت كفها بفرج المرأة الميتة، وأفتى مالك رضى الله عنه بما أفتى، وهو ابن ثمانى عشرة سنة[1] .

ودخلت سنة —١١٨حتى١٢٠—

لم يقع ما يتوجه ذكره، والله أعلم.

ودخلت سنة — ١٢١ —

فيها كانت دعوة الإمام الولى زيد بن على بن الحسين بن على عليهم السلام، وظهر فى الكوفة، فبايعه وجوه أهلها. فقال له داود بن على: «ياابن العم لا يغرنك هؤلاء من نفسك، ففى أهل بيتك عبرة لك». وذكره بأيام أمير المؤمنين على عليه السلام وولديه الشهيدين، فلم يزل به حتى أخرجه معه إلى القادسية، فتبعه جماعة من أهل الكوفة: وقالوا له «نحن أربعون ألفاً وإن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد» فجعل يقول: «أخاف أن تخذلونى كما فعلتم بجدى وأبى»، فحلفوا له، فقال له داود «هكذا قالوا لأبيك وجدك ولم يفوا لهم». فقالوا لزيد «إن هذا لا يحب ظهورك، يزعم أنه وأهل بيته أولى وأحق بالأمر»، ولم يزالوا به حتى رجع إلى الكوفة. وكتب إليه عبد الله بن الحسن مناصحاً، وأنه لايثق بأهل الكوفة، فلم يقبل واستخفى بالكوفة

---

(١) جاء فى حاشية الصفتى ما نصه:
« واتفق أن امرأة غاسلة غسلت امرأة، فالتصقت يدها بفرج الميتة، فاستفتى أهل المدينة، فأفتى بعضهم بقطع يد الغاسلة، وبعضهم بقطع فرج الميتة. فسئل مالك عن ذلك، فقال: اسألوها ماقالت. فسألوها، فقالت: «قلت طالما عصى هذا الفرج ربه». فقال: اجلدوها تخلص يدها. فجلدوها فخلصت يدها. فهذا سبب قولهم: لايفتى ومالك فى المدينة..» انظر: يوسف الصفتى المالكى: حاشية سنية وتحقيقات بهية على الجواهر الزكية فى حل ألفاظ العشماوية لأحمد بن ترك المالكى ص ١٢ (الطبعة الثالثة — بولاق — ١٣٠٢ هـ).

وجعل يتنقل من موضع إلى موضع ، ويبايع من أجابه ، فمكث كذلك بضعة عشر شهراً ، ونمى خبره إلى يوسف بن عمر الثقفى عامل الكوفة من قبل هشام بن عبد الملك . وخاف أهل الكوفة ، فاحتالوا فى مناظرته ليتخلصوا بذلك عن بيعته ، فاجتمع منهم جماعة فقالوا له : « ما تقول فى أبى بكر وعمر » . فقال « رحمهما الله تعالى وغفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتى يقول فيهما إلا خيراً » . قالوا « فلم تطلب ذلك منا إلا أن وثبا على سلطانكم[1] » ، فقال « إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغ ذلك منهم ما تزعمون ، فقد ولّوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة » ، قالوا « فلم دعوتنا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ؟ » فقال « إن هؤلاء ليس كهؤلائك ظالمون لأنفسهم ، فنحن ندعوهم إلى إحياء السنة وإماتة البدعة » . ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا « أمامنا جعفر الصادق ، وهو أحق بالأمر بعد أبيه » فسماهم زيد عليه السلام الرافضة ، وأورد عليهم الأحاديث الواردة فيهم . ثم لما اشتد الطلب له من يوسف بن عمر خرج من الكوفة ليلا ولم يتبعه غير مائة رجل ، ثم عاد إلى الكوفة ولم يزل يقاتل بمن ثبت معه من أصحابه ، حتى قتل عليه السلام وصلب بكناسة الكوفة[2] ، والقصة مشهورة[3] . وكان جعفر بن محمد عليه السلام قد أشار عليه أيضاً بعدم الخروج ، وقال له « إنا نجد فى العلم المكنون أن الأمر فى هذا الأوان لبنى أمية » . وكان زيد عليه السلام وأهل بيته لا يعتقدون ذلك ، بل ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . قال السيد أبو طالب : وممن اختلف الى زيد بن على وأخذ عنه العلم أبو حنيفة ، وأعانه بمال كثير ، وبايعه مسلمة بن كهيل ويزيد بن أبى زياد ، وهارون بن سعد وغيرهم . وقال بن حجر فى شرح الهمزيه : ولما انتقلت الدولة عن الأموية إلى العباسية ، أمر المنصور بنبش قبر هشام بن عبد الملك ، فوجدوا جسده كهيئة يوم دفن لأنهم طلوه بالعنبر وغيره ، فصلبه ، كما فعل بزيد بن على ، عليه السلام .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى تاريخ الطبرى ، ج ٥ ص ٩٨ .
(٢) الكناسة : محلة بالكوفة (ياقوت : معجم البلدان) .
(٣) انظر مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ١٨١ .

ودخلت سنة — ١٢٢ ، ١٢٤ —

وما بينهما ؛ لم يتفق فيها من الحوادث غير ما ذكر ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٢٥ —

فيها مات هشام بن عبد الملك بدمشق ، وقام بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فاستعمل على اليمن مروان بن محمد بن يوسف الثقفى .

ولما بلغ الخبر بموت هشام وقيام الوليد إلى ابنه سليمان بن هشام — وهو محبوس بعمان — أخذ ما كان بعمان من الأموال ، وأقبل إلى دمشق منكرًا على الوليد انهماكه فى المعاصى ؛ ولم يتم لسليمان ما أراد .

ودخلت سنة — ١٢٦ —

فى جمادى الآخرة منها اجتمع الناس لقتل الوليد بن يزيد بن الجبار العنيد ، فقتل وأراح الله منه العباد وطهر البلاد . وقام بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص — لأنه نقص الجند أرزاقهم — فاستعمل على اليمن الضحاك بن واصل السكسكى ، فأقام بها إلى آخر أيام يزيد بن الوليد .

وفى هذه المدة كثر أصحاب الملاهى فى الحرمين الشريفين ، وكان العامل على المدينة المشرفة عثمان بن حيان[1] ، فطلب منه جماعة من أهلها إزالة ذلك ، فأمر بإخراج المغنيين من المدينة ، فلم يبق منهم إلا امرأة ، فاحتال بعضهم فى دخولها على الأمير

(١) كان عثمان بن حيان واليا على المدينة من سنة ٩٣ هـ حتى حل محله أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سنة ٩٦ هـ . أما سنة ١٢٦ هـ فكان الوالى على المدينة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . انظر :
(زامباور : معجم الانساب ج ١ ص ٣٥ ـ ٣٦ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١١٣ ، خلاصة تهذيب الكمال ص ٢١٩ ، الاعلام للزركلى ج ٤ ص ٣٦٥) .

المذكور ، فأسمعته شيئا من الغناء ، فطرب ، وأمر بسكونها ، وإرجاع المغنيين . وكانت سيرة يزيد بن الوليد أعدل من سيرة غيره من بنى أمية ، غير عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو أول من خرج بالسلاح وآلة الحرب فى الأعياد .

ودخلت سنة — ١٢٧ —

فيها مات يزيد بن الوليد وقام بعده مروان بن محمد الملقب بالحمار[1] ، فاستعمل على اليمن القسم بن عمر الثقفى . وفى أيامه ظهر عبد الله بن يحيى الخارجى الأعور بحضرموت ، ثم قصد صنعاء فى ألفين ، وجرت بينه وبين القسم بن عمر حروب كثيرة ، انتصر فيها الخارجى المذكور وهزم القسم بن عمر ، وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف ابن عمر ، ودخل صنعاء ، فجمع ما فيها من الخزائن والأموال فأحوزها . وأقام فى اليمن ستة عشر شهرا ، وسار بالناس سيرة حسنة ، وأظهر العدل . قال أبو الفرج فى الأغانى : وكان عبد الله بن يحيى من أهل حضرموت عابدا مجتهداً ، فلما رأى الجور باليمن قال لأصحابه « إنه لا يحل لنا المقام على ما نرى » . وكتب إلى أصحابه الأباضية بعمان وغيرها ، وشاورهم فى الخروج ، فكتبوا إليه « إن استطعت أن لا تقيم يوما واحداً فافعل ، فإن المسارعة إلى العمل الصالح أفضل ، ولست تدرى متى يأتيك أجلك » . ووفد إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى وغيره من رجال الأباضية ، فحملوه على الخروج ، وأتوه بكتب من أصحابه يوصونه وقومه بعدم الغلول والغدر . فدعا عبدالله أصحابه إلى البيعة فبايعوه . ثم قصدوا دار الإمارة بحضرموت فقبضوا على العامل

---

(١) مروان بن محمد بن مروان الأموى ، ويعرف بالجعدى وبالحمار . آخر ملوك بنى أمية بالشام . له فتوحات كثيرة وحروب مشهورة فى أذربيجان وأرمينية . وفى أيامه قويت الدولة العباسية . يقال له الحمار أو حمار الجزيرة لجرأته فى الحرب . ويلقب بالجعدى لأنه تعلم منه مذهبه فى القول بخلق القرآن .

(ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ١٧١ — ١٧٤ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٨ ص ٩٧) .

بها ـ وهو إبراهيم بن جبلة الكندى ـ وسجنوه ، ثم أطلقوه . وسار عبد الله بن يحيى إلى صنعاء ، وحارب من فيها كما تقدم ذكره . ولما وفدت أيام الحج وجه عبد الله ابن يحيى المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة ، وإبراهيم بن عبدالفتاح إلى مكة فى ألف نفر .

ودخلت سنة — ١٢٨ ، ١٢٩ —

لم يذكر المصنف ما وقع فيهما .

ودخلت سنة — ١٣٠ —

فى صفر منها استولى نواب عبدالله بن يحيى المشار إليهم على مكة ؛ وقتلوا أهل قُدَيْد ، وساروا إلى المدينة فاستولوا عليها ، وأقاموا بها أربعة أشهر ، ثم ساروا يريدون الشام . فلما وصلوا وادى القرى[١] لقيهم جنود الشام الذين جهزهم مروان بن محمد مع عبد الملك ابن محمد بن عطية السعدى ؛ فهزمهم عبد الملك ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وتبع بقيتهم إلى مكة ثم إلى بيشة[٢] ثم إلى صعدة. ثم سار إلى صنعاء ، فاستولى عليها ، وقتل عبدالله ابن يحيى ، وطرد بقية أصحابه إلى حضرموت . قال بعض المؤرخين : لم يزل أهل حضرموت على رأى الخوارج إلى خروج بنى أيوب إلى اليمن ، فأظهروا مذهب الشافعى وعقيدة أهل السنة فرجعوا إلى ذلك ، وأما أهل عمان فباقون على رأى الخوارج إلى الآن ، والله أعلم . ولما صفى اليمن لعبد الملك السعدى وسار إلى حضرموت ، أتاه كتاب مروان بن محمد بتولية الموسم[٣] ، فصالح أهل حضرموت ، وسار

(١) هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كثير القرى .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بيشة : من عمل مكة ، مما يلى اليمن من مكة على خمس مراحل منها ، وبها من النخل شىء كثير .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٣) يقصد موسم الحج ، فيكون أميرا له . وقد ورد هذا المعنى فى كتاب الكامل لابن الأثير ، اذ جاء فى حوادث سنة ١٩٩ هـ ما نصه « وكان هرثمة يخبر الناس أنه يريد الحج ، وحبس من قدم للحج من خراسان وغيرها ليكون هو أمير الموسم » .
(الكامل ، ج ٦ ص ٢١٣) .

فى نفر قليل . فلما بلغ الجوْف[1] قتل هنالك . وبلغ مروان بن محمد قتله ، فبعث الوليد ابن عروة عاملا على اليمن ، فلم يزل فيها إلى زوال دولة بنى مروان بالشام ، كما سيأتى إن شاء الله .

ودخلت سنة — ١٣١ —

لم يذكر فيها شيئا من الحوادث غير ما تقدم ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٣٢ ، ١٣٣ —

فيها انقرضت دولة بنى أمية الغَوِيَّة ؛ وبويع لعبدالله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح ، وكانت بيعته يوم الجمعة لثلاثة عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ؛ وقيل يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ومن أشهر الروم فى تشرين الثانى ، والشمس يومئذ فى القوس ، والقمر فى الدلو ، وزحل وعطارد فى العقرب ، والله أعلم .

قال ابن أبى الحديد[2] رحمه الله ، إن بنى أمية كان الغالب عليهم الجور ، ولكنهم

---

(١) الجوف واد باليمن تسكنه همدان ، وهو الذى يقال له « أخلى من جوف حمار » . وجاء فى معجم البلدان لياقوت ان الحمار هنا ليس رجلا وانما هو الحمار بعينه ، لأن الحمار لا ينتفع بشىء مما فى جوفه ولا يؤكل بل يرمى به . هذا فى حين يذكر نشوان بن سعيد الحميرى (منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٢٣) أنه نسب الى حمار بن نصر بن الأزد ، وكان له بنون فماتوا ، فحلف : لاميتن من أحيا الله عز وجل من أهل الجوف . فقتل أهل الجوف حتى افناهم ، وأخلى الجوف ، فضربت به العرب المثل فقالوا : هو أخلى من جوف حمار ، وأخرب من جوف حمار . انظر ايضا :

(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨١ ـ ٨٣) .

(٢) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبى الحديد المدائنى المعتزلى ، وهو من أكابر الفضلاء المتشيعين ، توفى سنة ٦٥٥ هـ . من تصانيفه الفلك الدائر على المثل السائر ، وشرح نهج البلاغة .

(سركيس : معجم المطبوعات العربية والمصرية ، ج ١ ص ٢٩)

كانوا مع ذلك حايطين للإسلام ، مؤمّنين للسبل والضعيف ، منتصرين على القوى ، كما جاء فى الحديث : (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) قال : ولم يكن عادلا منهم إلا ثلاثة : عثمان بن عفان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد ؛ انتهى .

قال ابن مظفر[1] فى الترجمان : وكذلك بنى العباس سيرتهم معروفة ؛ لم يصلح منهم إلا القليل ، إلا أنهم قاموا فى حرب القرامطة وغيرهم . وأما سبب زوال دولة بنى أمية فهو لما كانوا عليه من الإنهماك فى اللذات ، والتغافل عن قضاء الحاجات فى أكثر الأوقات ، ثم عدم مبالاتهم بالعدو ، وتعاطى الجور والظلم . وقد قيل إن المُلك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ؛ قال تعالى : (فَتِلْكَ بُيُوتُهم خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا[2]) .

وقال أستاذ الاسكندر له : « اعلم أن سلطانك على أجساد الرعية وليس لك سلطان على قلوبهم » . وزوال الملك بطاعة الهوى ، واستعمال الأثراء ، واستثقال الأخيار والزهد فى العلم ، والنقض للعهد ، والتهاون بأمور الرعايا ، والتحلى بالكبر والزهو . وأسباب عمارته وبقائه العدل ، وعمارة البلاد والذب عليها من الأعداء ، ومنع الظلم عن المظلوم ، ونصرة الدين ، وتقوية الشرع والشفقة على المسلمين ، وتسهيل الحجاب ، واصطناع المعروف ، وبذل المال فى وجوه الخير ، وتقليد الأمور أهلها . فقد سئل زعيم الساسانية عن سبب زوال ملكهم فقال : « لأنا فوضنا الأمور فى غير أهلها » انتهى.

ولنعد إلى ما كنا بصدده . قد سبق أنّ بعد انقراض الدولة الأموية بويع لعبد الله ابن محمد الملقب بالسفاح المكنى بأبى العباس ؛ فاستعمل على اليمن والحجاز عمه داود بن

---

(١) هو محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى أبو الحسن البزاز ، مولده ووفاته ببغداد ، صنف كتبا كثيرة ، أحدها فضائل العباس . قال القاضى محمد ابن عمر : رأيت من أصوله فى الوراقين شيئا كثيرا ، كلها من روايته . توفى سنة ٣٧٩ هـ .

(تاريخ بغداد ، ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، الاعلام للزركلى ج ٧ ص ٣٢٥)

(٢) سورة النمل ، آية ٥٢ .

علي ، فاستناب داود بن علي على اليمن عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي ، وهو أول من دخل اليمن نائباً لبني العباس ، وأول من أحدث الأبواب لجامع صنعاء ، ولم تكن له من قبل ذلك . ولما مات داود بن علي ، استعمل السفاح على اليمن محمد بن زيد بن عبد المدن الحارثي[1] ، فقدمها لسبع بقين من رجب سنة ١٣٣ .

ودخلت سنة — ١٣٤ —

فيها وجه السفاح إلى عمان خازم بني خزيمة الخرساني ، لقتال شيبان[2] والجلندى[3] . وكان السفاح قد غضب على خازم وهمّ بقتله فقيل له « لا تفسد قلوب أهل خرسان بقتله بل وجهه إلى محل يصاب فيه ، فسيره إلى عمان في قوم انتخبهم من أهل خراسان وغيرهم . ولما خرج خازم من البصرة قصد جزيرة إبركاوان[4] فأقام بها ووجه فضلة بن نعيم

(١) ورد اسمه في زامباور : محمد بن زياد بن عبيد الله بن المدان الحارثي وقال انه ابن خالة الخليفة السفاح (معجم الأنساب ج ١ ص ١٧٦) .

(٢) هو شيبان بن سلمه الحروري ، أحد الشجعان ، جاهر بمخالفة علي بن أبي طالب بقرية حروراء ، واليه تنسب الشيبانية . أرسل اليه أبو مسلم الخراساني يدعوه الى البيعة ، فقال له شيبان « أنا أدعوك الى بيعتي » ، فحاربه ، وقتل شيبان سنة ١٣٠ هـ .

(الطبري ، ج ٩ ص ١٠٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٤٣)

(٣) الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الأزدي ، أمير عمان ، وعظيم الأزد فيها . كان أباضيا من الشجعان ، وهو الذي قتل شيبان بن عبد العزيز الصفري . ولما تولى بنو العباس أرسل السفاح خازم بن خزيمة في جيش لاخضاعه ، وقتل معه عشرة آلاف سنة ١٣٤ هـ .

(ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٣٢ ، ١٦٩ ، الزركلي : الاعلام ج ٢ ص ١٣٠)

(٤) جزيرة أبركاوان ، هي جزيرة لافت ، وتعرف بجزيرة بني كاوان ، طولها اثنان وخمسون ميلا وعرضها تسعة أميال ، وهي آهلة ، تعد في بلاد جور من أعمال فارس . ذكر البجاوي أنها في بحر فارس بين عمان والبحرين ، وأنه كان بها قرى ومزارع ، ولكنها صارت خرابا على أيامه .

(النويري : نهاية الأرب ، ج ١ ص ٢٤٦ ، البجاوي : مراصد الاطلاع ج ١ ص ٣٣٣) .

ذكرها ابن الأثير باسم بركاوان ، وذكر ياقوت أن بركاوان ناحية بفارس (ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ص ١٨٣ ، ياقوت : معجم البلدان) .

النهشلى فى خمسائة لمحاربة شيبان ، فركب شيبان وأصحابه البحر إلى عمان — وكانوا خوارج صفرية ـ فقاتلهم الجلندى وأصحابه ـ وهم أباضية ـ فقتل شيبان وأصحابه بعمان؛ فتوجه إليها خازم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ذهب فيه فى اليوم الأول طائفة من أصحاب خازم ، والتقوا فى اليوم الثانى ، فكانت الدائرة على الخوارج ، وقتل منهم تسعمائة . ودبر الحيلة بعض أصحاب خازم ، بأن أمر أصحابه أن يرموا بيوت الخوارج بالنفط . وكانت بيوتهم من القصب الفارسى والخشب ، ففعلوا ، فاشتعلت البيوت بالنيران ، واشتعل القوم بأولادهم وأموالهم ، فشد عليهم خازم وأصحابه ، ووضعوا فيهم السيف ، فقتل عشرة آلاف نفس ، منهم الجلندى ، وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة وبغداد ، ومكث هنالك أياما ثم استدعاه السفاح .

وأما محمد بن زيد الحارثى فانها ساءت سيرته بصنعاء ، وأحدث فيها أحداثا قبيحة ، منها أنه همّ باحراق المجزومين ، وجمع الحطب لإحراقهم ، فهلك قبل ذلك . ومات أخوه فى عدن وكان نائبا عليها . ولما علم السفاح بموتهما بعث إلى اليمن عبد الله بن مالك الحارثى عاملا ، فلبث أربعة أشهر ثم عزله بعلى بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان ، فمكث أربع سنين وأشهراً .

وفى هذه المدة ظهرت الخوارج فى الغرب ، وملكوا إفريقية ، ثم نصر الله جنود الحق عليهم ؛ والحمد لله رب العالمين .

ودخلت سنة — ١٣٥ —

لم يقع فيها غير ما ذكر ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٣٦ —

فيها مات السفاح ، وقام بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على المنبوز[١] بأبى الدوانيق ، فاستعمل على اليمن عبد الله بن الربيع الحارثى ، فأقام مدة

(١) النبز هو اللقب ، وعبارة المنبوز بأبى الدوانيق يقصد بها أنه كان ملقبا بأبى الدوانيق ، وقد لقب بذلك لحرصه وشحه .

ثم سار إلى المنصور . واستخلف ولده ، فلم يزل باليمن إلى أن قدمها معن بن زائدة الشيباني(١) .

ودخلت سنة — ١٣٧ —

فيها كانت الفتنة العظيمة فيما بين المنصور وبين عمه عبد الله بن علي بالشام ؛ لما دعا عبد الله بن علي إلى نفسه بالخلافة ، فجهز المنصور لحربه أبا مسلم الخراساني، فالتقوا بنصيبين ، في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ووقع القتال الشديد . ثم انهزم عبد الله ابن علي إلى البصرة ، وكان بها بعض إخوته ، واستولى أبو مسلم على خزائنه ، وكانت جملة مستكثرة ، فكتب إلى أبي مسلم يحرّضه على حفظها فشق ذلك على أبي مسلم ، وتوجه إلى خراسان ، وهم بخلع المنصور ، فما زال المنصور يستعطفه ، حتى وقع في يده فقتله ، والقصة مشهورة .

ودخلت سنة — ١٣٨ ، ١٣٩ —

لم يتفق فيهما غير ما ذكر ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٤٠ —

فيها قدم معن بن زائدة على اليمن عاملا للمنصور ، فاستقر في صنعاء ، وبعث إلى مخلاف الجَنَد أحد أقاربه فقتلوه لما أراد إذلالهم ، فقصدهم معن ، ، وأوقع بهم وقعة منكرة ؛ يقال إنه قتل منهم ألفين . وخالف عليه أهل حضرموت ، فسار إليهم وأوقع بهم عدة وقائع ، قتل منهم فيها خمسة عشر ألفا ، فأعظم الناس فعله وتحدثوا به . ثم رجع إلى صنعاء ، فلبث فيها ست سنين حتى استدعاه المنصور لقتال الخوارج بخراسان؛

(١) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو الشيباني .
(ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤٢ ، زامباور : معجم الأنساب ج ١ ص ١٧٦ ، الزركلي : الاعلام ، ج ٨ ص ٩٣) .

فخرج من اليمن، واستخلف عليها ابنه زائدة بن معن ، فأقام فى اليمن ثلاث سنين . ثم عزله المنصور بالحجاج بن منصور ، فأقام مدة ثم عزله بالفرات بن سالم العبسى ، فأقام فيها ثلاث سنين .

وفى هذه السنة تناثرت نجوم المغرب من أول الليل إلى آخره ، فأفاق فى تلك الليلة كثير من المجانين ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٤١ —

فيها حج المنصور.

وفيها ظهر قوم من الخوارج بخراسان يتكلمون بأكاليم كفرية وقصدوا دار المنصور ، وكانوا ستمائة ، فحاربهم معن بن زائدة . ذكر فى بعض التواريخ ما يدل أن هذه القصة كانت متقدمة على هذا التاريخ ، وأن معن بن زائدة كان مستتراً من المنصور فلم يظهر إلا عند ظهور الخوارج المذكورين ، والله أعلم . ووضع معن فيهم السيف ، وأصيب من أصحاب المنصور عثمان بن نهيك عامل الحرمين الشريفين ، فاستعمل المنصور عليهما أخاه عيسى بن نهيك .

ودخلت سنة — ١٤٣ —

فيها نمى إلى المنصور أن محمد بن عبد الله النفس الزكية بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب ـ رضوان الله عليهم ـ يريد القيام بأمر الخلافة ؛ فاهتم لذلك ، وبعث الجواسيس والعيون . وبلغ منه الجزع كل مبلغ ، وجرى خلال ذلك ما يطول شرحه . وآل الأمر إلى القبض على أبيه عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن — عليهم السلام — وبعض أولاده فى خبر طويل . وكانت وفاتهم عليهم السلام فى سجن أبى الدوانيق .

وأما مولانا محمد بن عبد الله فإنه توارى فى جبل جهينة من بلاد الحجاز فى نفر من أهل بيته وشيعته . وكان جماعة ممن عند المنصور يتكهنون ، فكانوا يخبرونه بموضع محمد بن عبد الله ؛ فكتب إليه بعض محبيه بمقالة القوم ، وحذره من المقام فى موضعه ، واشتد الطلب له ، فالجأه الخوف إلى الانتقال عن ذلك الموضع . قال المبرد

فى الكامل : إن أبا جعفر المنصور كتب إلى محمد بن عبد الله كتابا يقول فيه : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ، أما بعد (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ[1]) إلى آخر الآية الكريمة ، ولك علىّ عهد الله وميثاقه إن تبت ورجعت قبل أن أقدر عليك ، بالأمان لك ولأخوتك وأهل بيتك ومن تابعك ، وأعطيك ألف ألف ، وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث تريد ، وأطلق من فى سجنى من أهل بيتك » إلى آخر ما ذكره .

فأجاب عليه محمد بن عبد الله — عليه السلام — بجواب يقول فيه .

« من عبد الله المهدى إلى عبد الله بن محمد بن على .

(بسم الله الرحمن الرحيم . طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً[2]) ، إلى آخر الآية ، وإنما أعرض عليك مثل ما عرضت علىّ من الأمان ، فإن الحق لنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وحظيتم بفضلنا » إلى آخر ما ذكره عليه السلام .

فكتب إليه أبو جعفر بما معناه « إنه قد كان خرج منكم من خرج على بنى أمية ، فقتلوكم وصلبوكم ، وأسروا النسوان وقتلوا الصبيان ، فقمنا بثأركم وطلبنا بدمائكم ... » فى كلام كثير هذا خلاصته . وسيأتى ذكر قيام محمد بن عبد الله — عليهما السلام — وما جرى بينه وبين أبى الدوانيق ، إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ١٤٤ —

لم يتفق فيها شىء .

---

(١) سورة المائدة ، آية (٣٣) .

(٢) سورة القصص . آيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦)

فيها اختطّ المنصور الدوانيق مدينة بغداد، إذ لما ضاقت الهاشمية بالجند، وكره المنصور المقام بها لقربها من الكوفة — وكان أهل الكوفة شيعة — فأراد البعد من جوارهم، وخرج يلتمس لنفسه موضعا يسكنه، فبلغه من بعض أهل الكتاب، أنه يقول: « إن ملكا يدعى مقلاصا يبنى مدينة بين دجلة والفرات تسمى الزوراء[١]، فإذا شرع فى تأسيسها أتاه فتق من جهة الحجاز، فيقطع بناؤها، ثم يصلح ذلك الفتق. ويأتيه من البصرة فتق أعظم من الأول، ثم يلتئم الفتقان، فيعود إلى بنائها فيتمه، ويعمر عمراً طويلا ويبقى الملك فى عقبه. ».

فلما بلغ المنصور هذا الكلام، قال « أنا والله مقلاص، دعيت به صغيراً، ثم انقطع عنى ». وسار بعد ذلك إلى موضع بغداد، فبات فيه فأعجبه ليله، فأحضر أصحاب الدير[٢] ودَهَاقين[٣] القُرى الذين كانوا على حافتى بغداد، فسألهم عن مساكنهم وعن حالها فى الليل والنهار، والشتاء والصيف، فأخبروه بما سكنت عليه نفسه، وقالوا له: « إنها تأتيك الميرة فى السفن من الرقة والمغرب ومصر والشام والروم والجزيرة والموصل فى الفرات، وتأتيك الميرة من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة، وهى بين أنهار لا يصل إليك العدو إلاّ على جسر أو قنطرة ».

فابتدأ عملها فى هذه السنة وضرب عليها سورين، الداخل أطول من الخارج، وجعل قصره وسطها، والمسجد حول القصر. ونقل إليها أبواب واسط. وكان الحجاج

(١) الزوراء تأنيث الأزور، وهو المائل، والازورار عن الشىء العدول والانحراف، وسميت دجلة بغداد الزوراء لازورار فى قبلتها (ياقوت : معجم البلدان، البجاوى : مراصد الاطلاع ـ ج ٢ ص ٦٧٤) .

(٢) فى الأصل « الديرات »، والمعروف أنه كان يوجد فى المنطقة دير فاستدعى المنصور صاحب الدير ليسأله عن المكان .
(ابن الأثير : الكامل، ج ٥ ص ٢٢٥) .

(٣) الدهقان هو التاجر ـ وهو لفظ فارسى معرب ـ والجمع دهاقنة ودهاقين .
(لسان العرب فصل الدال حرف النون) .

نقلها من من مدينة قديمة قريب منها . يقال إنها من بناء الجن لسليمان بن داود عليه السلام . ويقال إن الذى أنفقه المنصور فى عمارتها أربعة ألف ألف وثمانى مائة وثلاثون درهما ، مع تقبيضه[1] فى النفقة ، ومحاسبة نوابه على الدواوين ، ولهذا لقب بأبى الدوانيق.

ودخلت سنة — ١٤٦ —

وما بعدها إلى سنة ١٥١ لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره ؛ والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٥٢ —

فى رجب منها ظهر الإمام المهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ، عليهم السلام . وهو الملقب بالنفس الزكية عليه السلام . وظهوره بالمدينة ، فقبض على عامل أبى الدوانيق ، وهو رباح بن عفان المزنى وسجنه ، وبايعه أهل المدينة طوعاً وكرهاً . ولم يتخلف من أعيانهم إلا اليسير . وبعث عماله إلى اليمن والشام ، فلم تستقر أيديهم لقرب مدته عليه السلام . ولما بلغ خبر قيامه إلى المنصور جهز لحربه ابن عمه عيسى بن موسى وحُميد بن قحطبة ، وقال « لا أبالى بأيهما قتل » ؛ لأن عيسى كان ولى العهد بعد المنصور ، فكان يود هلاكه ليلى الأمر بعده ولده محمد المهدى . فسار عيسى وحميد إلى المدينة فى أربعة آلاف مقاتل ، وكتب إلى الأشراف يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . فتفرق عن محمد بن عبد الله أكثر أصحابه ، فكتب إليه عيسى بن موسى ، وبذل له الأمان فلم يلتفت إلى ذلك . وما زال عيسى يُعذر إليه وإلى أهل المدينة فلم يتم له قول . فزحف بجيشه ووقع القتال الشديد ، فقتل محمد ابن عبد الله عليه السلام ، وسال دمه إلى أحجار الزيت ، كما جاء فى الخبر عن جده سيد البشر ، صلى الله عليه وآله وسلم . ولما قتل بعث عيسى برأسه إلى أبى الدوانيق .

---

(١) القبض خلاف البسط ، والقابض هو الذى يمسك الرزق ، والمقصود هنا أن أبا جعفر المنصور كان ممسكا شحيح النفقة .
(لسان العرب ، فصل القاف حرف الضاد) .

ودخلت سنة — ١٥٣ —

لم يذكر فيها شيء ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٥٤ —

فيها استعمل المنصور على اليمن يزيد بن منصور خال ولده المهدى ، فأقام فيها خمس سنين . وفيها سقطت صاعقة فى المسجد الحرام ، هلك تحتها خمسة نفرا . وانخسف بئر بعرفة هلك فيه عالم من الناس .

ودخلت سنة — ١٥٥ —

وما بعدها إلى ١٥٧ ؛ لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٥٨ —

فيها حج أبو الدوانيق ، فمات فى بئر ميمون مُحْرِما . وقام بعده ولده محمد ، وتلقب بالمهدى ، فأقر خاله يزيد بن منصور على اليمن سنة ، ثم كتب إليه أن يستخلف على اليمن ، ويسير إلى مكة ليقيم للناس حجهم . فاستخلف على اليمن عبد الخالق بن محمد الشهابى ، فلبث شهرين وأياما ومات يزيد بن منصور ؛ فاستعمل المهدى على اليمن رجاء ابن حيوه الجذامى ، فلبث فيها ثلاثة عشر شهراً ، ثم عزله بعلى بن سليمان العباس ، فأقام مدة ثم سار نحو العراق ، واستخلف واسع بن عصمة ، فأقام أحد عشر شهراً .

ودخلت سنة — ١٥٩ —

لم يتفق فيها شيء .

ودخلت سنة — ١٦٠ —

ففيها حج المهدى وتصدق فى الحرمين بأموال جزيلة ، ووافقه الحسن بن إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن ، بعد أن أمنه المهدى وأحسن صلته .

ودخلت سنة — ١٦١ —

فيها أمر المهدى ببناء القصور فى طريق مكة، واتخاذ المناهل والمصانع والآبار، أوسع من بناء السفاح.

وفيها ظهر ساحر بناحية مرو، يسمى عطاء المقنع، واستغوى عالم من الناس، وأظهر القول بالتناسخ والعقائد الفكرية، وكان لا يسفر عن وجهه لقبح صورته، واتخذ وجها من ذهب، وموّه على الناس، وتبعه طائفة من الجهال وقاتلوا معه. ومن تمويهاته أنه أطلع قمراً كالثابت فى السماء، يراه الناس من مسافة شهرين ثم يغرب. ومكث على ذلك سنتين. ثم ثار عليه سعيد الجرشى وحصره فى قلعة وراء النهر. فلما اشتد الحصار جمع أهله وسقاهم السم وشرب السم بعد موتهم. فلما دخل المحاصرون له إلى حصنه وجدوه وأهله موتى، فضربوا عنقه وبعثوا به إلى المهدى.

ودخلت سنة — ١٦٢ —

لم يتفق فيها شىء يذكر.

ودخلت سنة — ١٦٣ —

فيها، وفى الثلاث السنين بعدها لم يزل المهدى يبعث عماله إلى اليمن، وهم عبد الله ابن سليمان، ثم منصور بن يزيد الحميرى، ثم عبد الله بن سليمان النوفلى، ثم سليمان ابن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثى.

ودخلت سنة ١٦٤ وما بعدها إلى سنة ١٦٦ —

لم يذكر فيها ما ينبغى ذكره، والله أعلم.

ودخلت سنة — ١٦٧ —

فيها حج المهدى، فرأى أن الكعبة — شرفها الله تعالى — لم تكن فى وسط

المسجد الحرام . فقال « ما ينبغى أن يكون بيت الله هكذا » . ثم أمر بشراء دور كثيرة من جهة أجياد[1] ، فاشتريت وأُدخلت فى المسجد ، وعمره بأساطين الرخام ، وغرم فى ذلك غرامة واسعة .

ودخلت سنة — ١٦٨ —

فيها قصد الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب — رضى الله عنهم — وهو المعروف بالفخى إلى حضرة المهدى ، فقابله بقبول حسن ، وأجلسه إلى جانبه ورفع قدره وأعطاه ما طلب ، وعجّل سراحه كما أحب .

ودخلت سنة — ١٦٩ —

فى المحرم منها مات المهدى . وقام بعده ولده موسى الملقب بالهادى ، فاستعمل على اليمن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ؛ فأقام فيها سنة .

وحصل فى اليمن اضطراب ، فبعث الهادى إليها الربيع بن عبد الله الحارثى ، فتغلب عليه أهل صنعاء ، فعزله بإبراهيم بن سليمان الباهلى[2] فمكث أربعة أشهر . وفى أيامه كان قيام مولانا الحسين بن على بن الحسن المعروف بالفخى ، عليهم السلام . قال المؤرخون : والسبب فى قيامه أن موسى الملقب بالهادى استعمل على المدينة المنورة رجلا من ولد عمر بن الخطاب[3] ، فأساء المعاملة لمن فيها من الطالبيين ، وطالبهم بالعرض

(١) أجياد جمع جيد ، وهو العنق . وأجياد جبل بمكة ، وبالمثنى أجيادين وهما محلتان بمكة .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٣٣)

(٢) ذكره ابن الأثير باسم : ابراهيم بن سلم بن قتيبة .
(الكامل ج ٦ ص ٣٤)

(٣) اسم هذا الرجل عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
(ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ٣٢) .

فى كل يوم ، وأخذ كلاً منهم بكفيل ، وجرى فى ذلك خطب عظيم ، وآل الأمر إلى أن الطالبيين هجموا على العُمَرى فى داره ، بعد أن أذن مؤذنهم وقت صلاة الصبح بحى على خير العمل ، ففزع العُمرى وفشل ، وصدرت منه فى تلك الحالة أكاليم دالة على الجبن ، منها قوله : « أطعمونى حبتين ماء » ؛ حتى صار أولاده يعرفون ببنى حبتين ماء . ثم خرج من داره هارباً ، وصلى الحسين بن على بالناس صلاة الصبح ، وخطب خطبة بليغة ، ودعا الناس إلى البيعة ، حتى بايعه ثلاثون ألفا ، وذلك فى يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة من السنة المذكورة .

وأما العمرى فإنه توجه إلى خالد البريدى [البربرى[1]] أحد قواد المسودة[2] ـ وكان على الصوّافى ـ فشكا إليه أمره ، فأقبل البربرى [البريدى] فى ستمائة فارس وألف راجل حتى دخل المسجد ، والحسين بن على قاعد فيه ، وهو فى سبعين من أهل بيته ومواليهم . فلما رآه خالد شتمه وتهدده ، فلم ينتقل الحسين من مكانه ولاحلّ حبوته ، وقام إلى [البريدى] رجال من أولاد عبد الله بن الحسن عليه السلام ، فضربه يحيى بن عبد الله على هامته حتى صرعه . وكان خالد أحد رجال الدولة العباسية . ثم حمل أصحاب الحسين عليهم السلام على أصحابه ، فهزموهم بعد أن قتلوا منهم جماعة ، وأسروا آخرين ، واستولوا على بعض خيولهم . وفتح الحسين خزانة بيت المال بالمدينة ففرق ما فيها على المجاهدين والفقراء ، وكان كريما جوادا متلافا[3] شجاعا عابدا

---

(١) كذا فى المتن ، وفى الكامل لابن الأثير « خالد البريدى »
(ج ٦ ص ٣٢) .

(٢) يقصد بالمسودة العباسيين لأنهم اتخذوا اللون الأسود شعارا لهم . وقد ذكر المسعودى ما نصه « وقويت دعوة العباسيين المتخذين السواد شعارهم من دون سائر الألوان ، وبذلك سموا المسودة »
(مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣) .

(٣) متلاف ومتلف ، بمعنى جواد منفق للمال .

زاهدا . ثم استخلف على المدينة درباس الخزاعى[1] .

وخرج قاصدا إلى مكة فى ثلثمائة وبضع عشرة عدة أصحاب بدر . فلما وردوا فخّ ، ـ وهو موضع على يسار الخارج من مكة إلى العمرة ـ تلقته جنود المسودة . وقد كان بلغ موسى الهادى قيام الحسين بالمدينة ، فكتب إلى سليمان أبى جعفر المنصور وهو على الموسم ـ ومعه العباس بن محمد ـ يأمرهما بمحاربة الحسين . وحصلت بينهم مراجعة يطول شرحها ، ثم اقتتلوا هنالك ، وتكاثرت جنود العباسية ، فقتل الحسين عليه السلام ، ومائة رجل من أصحابه رضى الله عنهم .

ولم ينج من أهل بيته إلا يحيى وإدريس ، ابنا عبد الله بن الحسين عليهما السلام ، بعد أن أصابتهما جراحات عظيمة ، واندسا فى القتلى . فأما إدريس فلحق بأرض الغرب وله بها سيرة مسطورة ، مات فيها مسموما أيام الرشيد . وأما أخوه يحيى فخرج إلى اليمن وأقام بصنعاء أياما واشتد عليه الطلب ، فسار إلى الحبشة ، وما زال يتنقل من أرض إلى أرض حتى دخل بلاد الترك ، فتلقاه ملكها بأحسن تلقٍّ ، وأسلم على يديه سرًّا ، وبعث دعاته إلى الآفاق فى أيام هارون الرشيد ، فأجابه خلق كثير . وجاءته الكتب من أهل النواحى . ثم أراد الخروج إلى الديلم ، فنهاه ملك الترك عن الخروج . فقال إن للديلم خرجة معنا ، فلم تكن معه ، وإنما كانت مع الناصر عليه السلام ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ومات يحيى بن عبد الله فى سجن الرشيد بعد أمور عظيمة وخطوب جسيمة مستوفاة فى كثير من كتب السير والأخبار .

---

(١) هو درباس المكى مولى عبد الله بن عباس ، من القراء المشهورين ، روى القراءة عنه عبد الله بن كثيرة ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن وزمعة ابن صالح وغيرهم .

(ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ، ج ١ ص ٢٨٠)

ودخلت سنة — ١٧٠ —

فيها مات موسى الهادى ، وكان فظاً غليظاً . قال أبو الفرج فى كتاب الفرج بعد الشدة[١] : وكان الهادى قد أمر بخراب الكوفة وإحراقها ، وقتل من يخاف جانبه من الخارجين عليه ، فتوقف المأمور بذلك ، وهم بالفرار ، فمات الهادى فى أثناء ذلك . وقد صارت الكوفه خاربة من هذا الزمن . قيل إنه كان خرابها فى دولة آل عثمان ، لما وقعت الفتنة بينهم وبين الشاه عباس صاحب بلاد العجم ، وانتقل أهلها إلى مشهد أمير المؤمنين على ، عليه السلام .

قال ابن واضح : ولم تزل البلاد مضطربة على موسى الهادى ، وخالف أكثرها حتى قام أخوه هارون بن محمد الملقب بالرشيد ، فاستعمل على اليمن خاله الغطريف ، فقدمها والفتنة قائمة بين أهل الجند وصنعاء ، فأصلح أمورهم ، ولبث فى الجند ثلاث سنين وسبعة أشهر ثم سار نحو الرشيد ، واستخلف على اليمن عباد بن محمد الشهابى .

ودخلت سنة — ١٧١ —

لم يتفق فيها ولا فى السنتين بعدها مالا بد من ذكره .

ودخلت سنة — ١٧٤ —

فيها بعث الرشيد إلى اليمن الربيع بن عبدالله بن عبدالمدان[٢] الحارثى ، فقدم صنعاء

---

(١) جاء فى كتاب أنباء الزمن أن المقصود بهذا الكتاب هو كتاب الفرج بعد الشدة لأبى الفرج الأصبهانى (أنباء الزمن ، ص ٣٠)

ويلاحظ أن هناك أكثر من كتاب بهذا الاسم ، أشهرها كتاب ابن أبى الدنيا ابراهيم بن على ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى البغدادى المتوفى سنة ٢٨١ هـ ، وقد لخصه السيوطى مع زيادات .

(كشف الظنون ، ج ٢ ص ١٢٥٢)

(٢) عبد المدان : بطن من بنى الحارث بن كعب

(معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٣١٩) .

آخر تلك السنة . وفي أيامه وقع الثلج بصنعاء ، ولم يكن يعرف من قبل ذلك . ثم إن الرشيد عزل الربيع بأيوب بن جعفر بن سليمان العباس ، فمكث سنة ، ثم عزله وأعاد الربيع بن عبد الله الحارثى على الحرب والصلاة ، والعباس بن محمد الهاشمى على الجباية . فأقاما سنتين ثم عزلا بمحمد بن إبراهيم الهاشمى ، وجمع له الرشيد بين ولاية الحجاز واليمن ، فأقام بالحجاز وبعث ابنه العباس إلى اليمن ، فشكاه الناس ، فعزله الرشيد بعد ستة أشهر بعبد الله بن مصعب بن الزبير . وكان رزق عمال صنعاء كل شهر ألف دينار ، فجعل له الرشيد ألف دينار ووصله بصلة جليلة ، فأقام سنة ثم عزله بأحمد بن إسماعيل الهاشمى .

وفى هذه السنة ثار الهيضم بن عبدالمجيد فى جبال مِسْوَر[1] ، فحارب جنود السلطان وهزمهم ، وعزل الرشيد أحمد بن إسماعيل بإبراهيم بن عبيد الله بن عبد الله بن طلحة بن أبى طلحة ، فأقام سنة وفسد عليه الجند . وكان فى ولايته تخليط وضعف .

وفى هذه المدة أراد الرشيد أن يفتق الحاجز فيما بين بحر الروم المتصل بالإسكندرية وبحر القلزم المسمى السويس ، لأجل أن يتهيأ له غزو الروم ، فقال له يحي بن خالد لو فعلت هذا دخلت سفائن الروم ، فاختطفوا الناس من الحرم ، ولأن أهل الهندسة ذكروا أن بحر الروم مرتفع على بحر القلزم ، فيخشى أن يطغى على بنادر اليمن ، فترك الرشيد ذلك ، والله أعلم[2] .

ودخلت سنة — ١٧٥ —

لم يتفق فيها ولا فيما بعدها من السنين إلى آخر سنة ١٨٢ ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ١٨٣ —

فيها عزل الرشيد إبراهيم بن عبيد الله بمحمد بن برمك ، فدخل صنعاء فى شوال

---

(١) مسور : حصن من أعمال صنعاء باليمن ، وهو اسم جبل واود أيضا ، (ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٨)

(٢) فى هذا ما يشير الى التفكير فى شق قناة السويس لتصل مباشرة بين البحرين الأحمر والمتوسط .

من السنة المذكورة ، وهو الذى أجرى النهر المعروف بالبرمكى . يقال إن أصل هذا النهر من بيت عقب فى بنى بهلول تحت غيمان[1] ، فكان يسقى بساتين صنعاء الجنوبية والغربية وشَعُوب[2] والروضة[3] والرحبة[4] . وسار محمد بن برمك إلى بلاد يَحْصِب[5] فأقام فى قرية مَنْكث[6] يجبى المخلافَين صنعاء والجَنَد . وكان من أحسن العمال القادمين إلى اليمن ، فإنه لما فرغ من عمارة النهر المذكور جمع أهل صنعاء ، وحلف لهم يميناً مُغلّظة أنه لم يصرف فى عمارة ذلك النهر شيئاً من مال السلطان ، ولا من مال حرام ، ثم وقفه على المسلمين . وبنى مسجداً بصنعاء عند بيوت اللسّاسين[7] . وكان كثير الصدقة ، كثير التفقد لأحوال الرعية ، محباً لهم ، مشفقاً عليهم . يحكى أنه خرج يوماً إلى سواد صنعاء ، فرأى أهل السواد وعليهم لباس الصوف ، فظن أنهم من أهل السؤال ، فقال لأصحابه «تصدقوا على هؤلاء المساكين» فقيل له إنهم الرعية الذين يؤخذ منهم الخراج ، فرق لهم وقال « ما ينبغى أن يؤخذ من هؤلاء شيئاً » . وخرج عن طاعته أهل تهامة فشكاهم إلى الرشيد .

---

(١) غيمان : اسم واد باليمن (ياقوت : معجم البلدان) ويذكر نشوان بن سعيد الحميرى أن غيمان أيضا اسم حصن بناحية صنعاء .
(منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٨١) .

(٢) شعوب : بساتين بظاهر صنعاء (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) الروضة : واد باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٢ ، ١٣٩ — ١٤١)

(٤) الرحبة : قرية قريبة من صنعاء اليمن ، على مسيرة ستة أيام منها ، وهى أودية وفيها بساتين وقرى (ياقوت : معجم البلدان)

(٥) يحصب : من حصب يحصب ، والحصب فى لغة أهل اليمن الحطب . ويحصب مخلاف باليمن ، فيه قصر ريدان ، بينه وبين ذمار ثمانية فراسخ .
(ياقوت : معجم البلدان ، البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٤٧٥)

(٦) منكث : ناحية باليمن بها حصن .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٣٢٥ ، ياقوت : معجم البلدان) .

(٨) اللساس : البقل مادام صغيرا لا تستمكن منه الراعية ، واللس ، أول الرعى . ويبدو أن المقصود ببيوت اللساسين المنطقة التى كان يسكنها الرعاة بصنعاء .

ودخلت سنة — ١٨٤ —

فيها بعث الرشيد مولاه حمّاد البربرى على اليمن ، وقال له « أسمعنى أصوات أهل اليمن » . فقدمها فى شوال من السنة المذكورة ، فعاملهم بالعسف ؛ وقتل جماعة من رؤسائهم ، حتى دانت له البلاد وسلموا الخراج . وعمرت اليمن فى أيامه ، وأمنت السبل، حتى أن القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغنم ، على كل شاه مخلاتان ، فى كل مخلاة ستة أمداد من التمر ، فتباع بأرخص الأثمان . وأخصب اليمن فى أيامه خصباً لم يعهد مثله ، ورخصت الأسعار . ولما اشتد العسف على أهل اليمن حجوا وشكوا على الرشيد ، فلم يسمع منهم ، فأغلظوا له فى القول فلم يجبهم إلى شىء ، فخالف عليه الهيضم بن عبدالمجيد المقدم ذكره ، وتبعه خلق كثير ، فكتب حماد إلى الرشيد يستمده ، فأمده بعشرة قواد من أهل العراق وخراسان ، فاستأمن إبراهيم بن عبد المجيد أخو الهيضم إلى حماد فأمنه ؛ واستولى حماد على جبال مِسوَر ، فهرب الهيضم إلى بَيْن[1] من أرض تهامة ، فظفرت به الجنود وحملوه إلى حماد ، فبعث به إلى الرشيد فى جماعة من أهله ؛ فأمر الرشيد بضرب عنقه ، وسجن من معه فى بغداد ، فبقوا فى السجن إلى أن هلك الرشيد .

ودخلت سنة — ١٨٥ —

لم يتفق فيها غير ما ذكر .

ودخلت سنة — ١٨٦ —

فيها حج الرشيد وولداه الأمين والمأمون ؛ فبدا بالمدينة المشرفة ، ثم سار إلى مكة ، وتصدق فى الحرمين بصدقات عظيمة .

وفى أيامه استقامت الدولة العباسية ودانت البلاد . ويقال أنه كان يستعمل المسكر

---

(١) بين : بالفتح ثم السكون ، موضع قرب نجران باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان ، البجاوى : مراصد الاطلاع ج ١ ص ٢٤٥)

ويخلو بالمطربين وأهل الملاهي كالموصلي وغيره . وعلى هـذا المسلك جرى كثير من خلفائهم وعرفوا بذلك .

وفي أيامه أيضاً قامت زوجته زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر بإجراء عين حنين وعين و نعمان إلى عرفات ومنى ، وغرمت في ذلك غرامات عظيمة ، يقال أن مبلغها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال ذهباً .

وكانت صنعاء في أيامه كثيرة الخيرات متسعة العمارات ، حتى بلغت دورها زهاء مائة ألف وعشرين ألف دار ، ومساجدها عشرة آلاف مسجد ، منها مسجد الأخضر القريب من باب شَعُوب ، ومسجد الأمير معاذ[1] . ثم تلاشت بعد ذلك حتى رجعت في أيام القرامطة إلى ألف دار وأربعين داراً ، والمساجد إلى مائة وست مساجد ، والله أعلم .

وفي أيام الرشـيد كان خروج الإمام الشـافعي رضي الله عنه إلى اليمن ، ودخل صنعاء ، فأخذ العـلم عن قاضي صنعاء يومئذ وهو هشـام بن يوسف ، وعن مطرف بن ماذان[2] ، وهما من كبار أصحـاب ابن جريج[3] الذي أخـذ

---

(١) يقصد بالأمير معاذ ، معاذ بن جبل الخزرجي ، الذي بعثه الرسول (ص) الى اليمن .

(٢) مطرف بن ماذان ، ويكنى أبا أيوب ، ولي القضاء بصنعاء ، وحدث عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وجماعة كثيرة . وروى عنه الامام الشافعي . قيل انه توفي سنة ١٩١ هـ بالرقة أو بمنبج .

(ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٩٧ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٥٤٨) .

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد وأبو خالد ، فقيه الحرم المكي . كان امام أهل الحجاز في عصره ، وهو أول من صنف التصانيف ، رومي الأصل من موالي قريش ، مكي المولد والوفاة ، توفي سنة ١٥٠ هـ .

(وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨ ، تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٠٠ ، الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٣٠٥) .

العلم عن عطاء بن أبي رباح[1] . قال الذهبي فى تاريخ الإسلام إن عامل اليمن كتب إلى الرشيد : « إنك إن كنت تريد بقى الطاعة فى اليمن أرسلتم للشافعى، فإنه من دعاة الطالبيين » ؛ فأرسل له الرشيد وحمل إلى بغداد ، فسجنه الرشيد ، ثم أطلقه فسار إلى مصر ، ولم يزل فيه إلى أن مات ، رحمه الله تعالى . واتفق للشافعى فى اليمن حكايات لطيفة ، من ذلك أنه دخل على القاضى حسين الطبرى صاحب هَجَر وادى الفروات من بلاد سِنْحان لطلب العلم . قال س رضى الله عنه[2] « فدخل عليه خمسة كهول فسلموا عليه وقبلوا رأسه ، ثم دخل عليه خمسة شباب فسلموا عليه وقبلوا رأسه ، ثم دخل عليه خمسة صبيان فسلموا عليه وقبلوا رأسه ، فقال : هؤلاء أولادى كل خمسة منهم فى بطن » .

ومن ذلك ماذكره صاحب مناقبه عبد المحسن عثمان عن محمد بن عبد الله بن عبدالحكم عن أبيه ، قال : سمعت الشافعى يقول : « بينما أنا أدور فى بلاد اليمن لطلب الحديث إذ قيل لى فى بعض المحلات ها هنا امرأة من وسطها إلى أسفلها بدن واحد ومن وسطها الى أعلاها بدنان ، فأحببت أن أراها فلم أستحل النظر إليها ، فخطبتها وتزوجت بها ، فوجدتها على ما وصف لى برأسين وأربع أيد ، فربما يتقاتلان ويصطلحان ويأكلان ويشربان ؛ ثم فارقتها ومضيت . ثم عدت إلى ذلك المحل بعد أيام فسألت عنها فقيل مات أحد الجسدين وبقى الآخر ، فتعجبت من ذلك وقلت كيف صنع به ، فقيل إنه لما مات ربط من أسفله ربطاً محكما ، وترك حتى ذبل ثم قطع ودفن . قال س ، ثم رأيت الجسد الآخر فى الطريق ذاهباً وآيباً ، فسبحان القادر على كل شىء »

---

(١) هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح ، كان من أجلاء الفقهاء وتابعى مكة وزهادها ، سمع جابر بن عبد الله الأنصارى وعبد الله بن عباس وغيرهما ، وروى عنه كثيرون . انتهت اليه فتوى مكة فى زمانه . قال قتادة : أعلم الناس بالمناسك عطاء . قيل انه حج سبعين حجة ، وعاش مائة سنة ، وتوفى سنة ١١٥ هـ .
(ابن خلكان وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٤٢٣ ــ ٤٢٥)

(٢) من الواضح أن المؤلف يقصد برمز (س) أحد أئمة الزيدية باليمن ، ولعله الامام القاسم بن ابراهيم الرسى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

ومن ذلك ما ذكره صاحب كتاب حياة الحيوان[1] ، قال : قال الشافعى « كنت فى سفر بأرض اليمن فطلبنا العشاء فأحضر ، وقامت صلاة المغرب فتركنا العشاء وقمنا إلى الصلاة ، وفى العشاء دجاجتان ، فجاء ثعلب فأخذ دجاجة ، فلما فرغنا من الصلاة تأسفنا على الدجاجة ، فأقبل الثعلب وفى فمه شىء كأنه الدجاجة فوضعه ، فبادرنا لأخذه ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها . فلما قمنا ، خلفنا إلى الثانية فأخذها ومضى ، ووجدنا الذى وضعه ، وإذا هو ليف قد هيأه على صفة الدجاجة» انتهى بالمعنى .

ودخلت سنة — ١٨٧ حتى ١٩٢ —

لم يتفق فيها ولا فيما بعدها من السنين إلى سنة ١٩٢ مالا بد من ذكره .

ودخلت سنة — ١٩٣ —

فيها مات الرشيد بمدينة طوس . وقام بعده ولده الأمين محمد بن هارون بعهد من أبيه ، فأقر حمادا البربرى على اليمن ، فلبث سنة ثم عزله بمحمد بن عبد الله . فلما قدم اليمن صادر عمال حماد ، وأخذ منهم أموالا جليلة ، وأحبه أهل اليمن .

ودخلت سنة — ١٩٤ —

ولم يذكر فيها شىء خلاف ما ذكر .

ودخلت سنة — ١٩٥ —

فيها عزل الأمين محمد بن عبد الله عن ولاية اليمن بمحمد بن سعيد الكنانى ، فقدم صنعاء فى شعبان من السنة المذكورة ، فأقام فيها إلى أيام الفتنة بين الأمين وأخيه

---

(١) هو الشيخ كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى المصرى الشافعى . ينسب الى دميرة وهى قرية بالوجه البحرى بمصر ، وتوفى سنة ٨٠٨ هـ . وكتابه حياة الحيوان من كتب الأدب المعروفة ، جمع فيه تراجم نخبة من الشعراء والأدباء والعلماء والفلاسفة ، واخبار عدة من خلفاء الراشدين وبنى أمية وغيرهم ، ورتبه على حروف المعجم .
(كشف الظنون ، ج ١ ص ٦٩٩) .

المأمون . ولما قتل الأمين على يد طاهر بن الحسين بعد أمور جرت يطول شرحها ، بعث طاهر بن الحسين على اليمن يزيدبن جرير بن خالد القسرى ، فساءت سيرته ، وبلغ من تجاربه أنه أمر جماعة ممن تزوج من الأبناء الذين خرجوا من فارس مع سيف ابن ذى يزن إلى اليمن بطلاق نسائهم ، ورأى أنهم غير أكفاء لهن . ولما بلغ ذلك من فعله عُزل عن اليمن بعمر بن إبراهيم ـ وهو من ولد عمر بن الخطاب ـ وكان مع أخواله فى أرْحَب[1] . وقيل إنه قدم رجل من العراق على يزيد بن جرير القسرى يتعرض لنيله فلم يعطه شيئا ، فمال إلى عمر بن ابراهيم فأخبره بأمره فقال « بئس ما صنع يزيد » ووصل العراقى بعشرين دينارا فقال « لأحسنن مكافأتك إن شاء الله تعالى » ثم خرج إلى العراق ، ورجع إلى عمر بكتاب صنعه بولاية عمر على اليمن ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ١٩٦ —

وفى التى بعدها لم يذكر ما يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ١٩٨ —

فيها قدم عمر بن ابرهيم صنعاء ، فحبس يزيد بن جرير ، وصادره بمال جزيل ، ثم قُدم ابنه بعد ذلك ، فأقام أياما ، وأُخرج يزيد بن جرير من السجن ميتا ، وقيل مقتولا . وأقام عمر بن إبراهيم على عمله مدة ، ثم عزله المأمون بإسحاق بن عيسى العباسى ؛ فقدم اليمن فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، ثم سار الى الحجاز واستخلف على اليمن ابن عمه القسم (القاسم) بن إسماعيل ، لما بلغه قيام الإمام محمد بن ابراهيم بالكوفة . ولما توسط بلاد العرب وثبوا عليه ،فدافعهم ثم رجع إلى صنعاء ، فوجد نائبه قد أحدث أحداثا ، وهدم

---

(١) أرحب : قبيلة من اليمن من همدان ثم من بكيل ، وهم ولد ارحب بن الدعام الأكبر . وأرحب أيضا مخلاف باليمن ، وقيل بلد ، بينه وبين ظفار عشرة فراسخ ، سمى باسم قبيلة أرحب .

(البجاوى : مراصد الاطلاع ، الويسى : اليمن الكبرى ص ١٦٩) .

دورا كثيرة ، فلامه على فعله ، فقال « إني تخوفت من قدوم ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق أميراً على اليمن من قبل الإمام محمد ابن إبراهيم » .

ودخلت سنة — ١٩٩ —

فيها بعث المأمون عيسى بن يزيد الجلودى إلى محمد بن جعفر العلوى ، وقد تغلب على مكة ، وأخرج داود بن عيسى الهاشمى . فلما قدم الجلودى مكة استأمنه العلوى ، فقدم به الجلودى على المأمون ـ وهو فى خراسان ـ واستخلف على مكة ولده . ولما صاروا بجرجان مات العلوى هناك . وورد كتاب المأمون على الجلودى يأمره بالعود إلى الحجاز ، ووجه حمدون بن على بن عيسى بن ماهان إلى اليمن . وكان إبراهيم بن موسى العلوى متغلباً عليها ، فجرت بينهما عدة وقائع . وكان ابن ماهان قد استخلف على مكة يزيد ابن محمد المخزومى ، فخرج إبراهيم بن موسى من اليمن قاصداً إلى مكة . وبلغ يزيد المخزومى قدومه ، فخندق مكة ، وضرب سرير الذهب الذى أرسل به المأمون من خراسان دنانير . وأقبل إبراهيم بن موسى ، ووقع القتال ، فانهزم المخزومى ثم قتل .

وفى هذه المدة قام الإمام محمد بن محمد بن يزيد بن على ، وهو حدث لم يبلغ العشرين سنة ، وأجابته الزيدية . وبعث إسماعيل بن على بن اسماعيل بن جعفر الصادق عاملا على الكوفة . وعقد لابراهيم بن موسى بن جعفر ولاية على اليمن . واستولى على البصرة وأحرق بها دوراً لبنى العباس ومواليهم ؛ ثم استولت عليه جنود المأمون وبعثوا به إليه فسجنه حتى مات .

وفى هذه المدة أظهر المأمون مذهب المعتزلة ، وجرى خلال ذلك ما يطول ذكره . وقد كان أباح نكاح المتعة ثم رجع عن ذلك . وتفرقت المذاهب ، وكثر الاختلاف ، وتفرقوا فرقاً فكل قبيلة فيها أمير للمؤمنين ومنبر .

وفيها قدم اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، وناصره بنو فطيمة[1] أحد قبائل

(١) بنو فطيمة : قبيلة من خولان ، احدى قبائل صعدة (يحيى بن الحسين : انباء الزمن ـ تحقيق عبد الله ماضى ، ص ٨)

صعدة[١]، فأخرب صعدة ، وقتل على بن محمد بن عباد . قال ص[٢] بالله عليه السلام : أخرب إبراهيم بن موسى سد الخانق[٣] بصعدة ، وكان عليه من البساتين والحدائق ما يطول ذكره ، وهو داعية الامام محمد بن إبراهيم فى اليمن . وقصد نجران ، فقتل من بنى الحرث بن كعب ثمانمائة إنسان ، وخلت قبيلتا صعدة ، ولم يبق منهم إلا بقية بحيدان[٤] ؛ وكذلك صنع بسائر القبائل ، حتى مات الإمام محمد بن إبراهيم ، وقام بعده محمد بن محمد بن زيد على المقدم ذكره .

وفى أيامه قام أبو السرايا بالعراق مناصراً للعلويين ، وجرت أمور يطول شرحها ، ثم قتل أبو السرايا .

وانقطعت أمور العلوية من اليمن ؛ فبعث المأمون عليها محمد بن على بن عيسى ابن ماهان ، فكانت بينه وبين إبراهيم بن موسى وقعات عظيمة . ولم يزل إبراهيم يتنقل حول صنعاء حتى قدم نائب للمأمون بولاية اليمن ، فحاربه ابن ماهان وأبى أن يسلمها إليه ؛ فبعث المأمون عيسى بن زيد الجلودى ، فجمع له ابن ماهان عشرة آلاف مقاتل ، فهزمهم الجلودى ودخل صنعاء ، فقبض على ابن ماهان ثم سجنه ، واستقر الجلودى بصنعاء ، وبعث عماله إلى المخاليف . ثم سار إلى العراق ، واستخاف

---

(١) صعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) ص بالله ، رمز يقصد به الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ .
(ملحق بروكلمان ، ج ١ ص ٧٠١)

(٣) الخانق هو مجمع مياه الوادى ، أو هو عنق الزجاجة الذى يمكن اقامة السد للانتفاع بالمياه عنده . والمقصود بالخانق هنا الخانق من بلد خولان فى وادى نجران .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣) .

(٤) الحيدان : ماحاد من الحصى من قوائم الدابة فى المسير . وقد ذكر الهمدانى أن وادى حيدان يوجد فى اقليم جبل السراة باليمن .
(صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩ ، ٧٢ ، ١١٤)

على اليمن الخضر بن المنهال[1] ، فلبث أياما حتى قدم إبراهيم الافريقى الشيبانى .

ودخلت سنة — ٢٠٠ —

لم يتفق فيها الا ما تقدم ذكره ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٢٠١ —

فيها همّ المأمون بتقليد الإمام على بن موسى الرضى الخلافة ، ثم أعرض عن ذلك لما أنكر عليه بنو العباس .

وفى هذه السنة ظهرت حمرة فى السماء وبقيت إلى آخر الليل .

ودخلت سنة — ٢٠٢ —

فيها كان قيام الإمام القسم (القاسم) بن ابراهيم الرسىّ عليهم السلام[2] . وكان قيامه أولا داعيا إلى أخيه الإمام محمد بن ابراهيم عليه السلام ، فلما قتل وقتل أبو السرايا كما سبقت الإشارة إليه ، اجتمع إلى الإمام القسم أصحاب هرثمة بن أعين ، وهم زهاء عشرة آلاف ، فلبث عندهم عشر سنين ، واشتد الطلب له من المأمون ، ثم من أخيه المعتصم بعده ، فخرج القسم عليه السلام إلى الحجاز، وبايعه أهل المدينة ومكة والكوفة ؛ ثم انتقل الى جبل الرّس ، فلبث فيه الى أن توفى ، رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ٢٠٣ —

فيها قلد المأمون محمد بن عبد الله بن زياد الأعمال التهامية من أرض اليمن ، وولى على قضائها محمد بن هارون التغلبي جدّ بنى عقامة ، الآتى ذكرهم إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى المتن ، وذكره الويسى (الحصن بن المنهال) (اليمن الكبرى ص ٢٥٨) .

(٢) هو أبو محمد القاسم الرسى ترجمان الدين بن ابراهيم طباطبا، المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

(زامباور : معجم الانساب ج ١ ص ٢٠٧) .

فاستولى ابن زياد على التهايم بعد حروب شديدة بينه وبين الأشاعرة[1] وغيرهم ، وقد كانوا نزعوا أيديهم عن طاعة عامل اليمن . واختط ابن زياد مدينة زُبيد وأدار عليها سورا ، وسيأتى تمام ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى . وأما الإفريقى المقدم ذكره ، فإنه أقام باليمن مدة ، ثم عزل عنها بنعيم بن الوضاح والمظفر بن يحيى الكندى .

وفى ذى الحجة من السنة المذكورة أكسفت الشمس فى برج الجدى .

وفيها مات محمد بن جعفر الصادق بجرجان ، وصلى عليه المأمون .

ودخلت سنة — ٢٠٤ —

لم يذكر فيها شىء ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٢٠٥ —

فيها وجه المأمون عيسى بن زيد الجلودى عاملا على اليمن ، وكان فيها حمدونة ابن على قد نزع يده عن طاعة المأمون ، فقاتله الجلودى وأسره ، ثم بعث به إلى المأمون .

ودخلت سنة — ٢٠٦ —

لم يتفق فيها غير ما ذكر .

ودخلت سنة — ٢٠٧ —

فيها ظهر باليمن عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام ، داعيا إلى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فلما بلغ المأمون

---

(١) الأشاعرة : قبيلة من اليمن ولد الأشعر ، وهو نبت بن أدد بن زيد ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر ، منهم أبو موسى الأشعرى الصحابى ، بلدهم وادى زبيد .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ٥٦ ، الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٧٤) .

قيامه بعث إليه دينار بن عبد الله فى جيش جرار ، وكتب معه بأمان لعبد الرحمن . فحضر دينار الموسم وحج بالناس ، ثم توجه إلى اليمن وبعث بالأمان إلى عبد الرحمن ، فقبله ودخل فى طاعة المأمون ، فخرج به دينار إلى المأمون ، وعند ذلك منع الطالبيين من الدخول عليه ، وأمرهم بلبس السواد الذى هو شعار بنى العباس .

ودخلت سنة — ٢٠٨ —

فيها قدم محمد بن عبد الله بن محرز واليا على اليمن ، فاستعمل على الجَنَد ابنه يحيى ، فخالف عليه أهل الجَنَد ، وكان فى ولايته ضعف ، فخرج إلى الحجاز ، واستخلف على اليمن عبادا الشهابى .

ودخلت سنة — ٢٠٩ —

فيها قدم إسحاق بن على العباسى عاملا على اليمن ، فأساء السيرة ، وظلم الناس ظلما بينا ، ونال من اليمانية كل منال .

ودخلت سنة — ٢١٠ —

ولم يذكر المصنف رحمه الله ما جرى فيها .

ودخلت سنة — ٢١١ —

فيها أظهر المأمون البراءة ممن ذكر معاوية بن أبى سفيان بخير ، وإن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه .

وفيها مات الإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعانى ، رحمه الله .

ودخلت سنة — ٢١٢ —

فيها كانت الزلزلة الشديدة فى صنعاء وعدن ، انهدمت منها المنازل ، وخربت القرى ، وهلك خلق لا يحصى .

وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن ، وقبض على عمه ابراهيم بن المهدى لما خالف عليه ودعا الى نفسه ، ثم عفا عنه .

ودخلت سنة — ٢١٣ —

الى آخر سنة ٢١٥ ، لم يذكر المصنف ما وقع [فيها] من الحوادث .

ودخلت سنة — ٢١٦ —

فيها مات عامل اليمن إسحاق بن العباس ، وعهد إلى ولده يعقوب بن إسحاق ، فلم تصف له اليمن ، ووقع بينه وبين أهل صنعاء شقاق أفضى إلى القتال ، فخرج إلى ذِمَار[1] ثم عزله المأمون بعبد الله بن عبد الله العباس .

وفى هذه السنة غزا المأمون الروم ، فاستفتح فيها عدة حصون .

ودخلت سنة — ٢١٧ —

لم يحدث فيها غير ما ذكر .

ودخلت سنة — ٢١٨ حتى ٢٢٥ —

فى الثالث عشر من جمادى الآخرة مات المأمون فى الشام ، وقام بعده أخوه المعتصم .

وكان عامل اليمن قد سار إلى العراق بعد وفاة المأمون ، واستخلف على اليمن عباد بن عمر الشهابى ، فأقره المعتصم على اليمن مدة سنتين ، ثم عزله بعبد الرحمن بن جعفر ابن سليمان الهاشمى ، فأقام فى اليمن إلى سنة ٢٢٥ ثم عزله بمولاه جعفر بن دينار . ولم يسر إليها بنفسه بل استناب منصور بن عبد الرحمن التنوخى ، فقدمها فى صفر من السنة المذكورة ، وضبط البلاد ، وبعث عماله على المخاليف . ثم قدم عبد الرحمن بن محمد

---

(١) ذمار : اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء .
(ياقوت : معجم البلدان) .

ابن على بن عيسى بن ما هان . وقد شارك جعفر بن دينار فى ولاية اليمن ، فأقام مع منصور التنوخى أياما ، وعزل جعفر بن دينار بأنباح[1] التركى مولى المعتصم ، فأقر منصورا وعبد الرحمن على عملهما ، حتى مات المعتصم .

ودخلت سنة — ٢٢٦ —

ولم يذكر ما وقع [فيها] من الحوادث .

ودخلت سنة — ٢٢٧ —

فيها مات المعتصم ، وقام بعده ولده هارون الواثق ، فأقر أنباحا (إيتاخا) التركى على ولاية اليمن ، فوجه إليها أبا العلاَ أحمد بن العلاَ العامرى . فلما وصل إلى صَعْدَة أرسل الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالى[2] مولاه طريف بن ثابت فى عسكر إلى صنعاء ، فقاتلهم منصور التنوخى بأهل صنعاء ، فهزمهم وقتل منهم نحو ألف رجل وأسر آخرين ، ثم ضرب أعناقهم . ووفد أبو العلاَ العامرى بعد الوقعة إلى صنعاء ، فأقام مدة ثم مات . وقد استخلف أخاه عمر بن العلاَ ، فأقام مدة . ثم إن أنباحا (إيتاخا) التركى استعمل على اليمن هرثمة بن بشير مولى المعتصم ، فورد كتاب هرثمة على منصور التنوخى بولاية اليمن .

ودخلت سنة — ٢٢٨ —

والتى بعدها ، ولم يذكر المصنف ماجرى [فيهما] ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٢٣٠ —

فيها قدم هرثمة بن بشير بنفسه إلى اليمن ، فأقام بصنعاء أياما ثم خرج لمحاربة الأمير

---

(١) كذا فى المتن ، وتكرر اللفظ بهذه الصورة بعد ذلك . وفى الكامل لابن الأثير ايتاخ (ج ٦ ص ١٩١) وكذلك ذكره زامباور (معجم الأنساب ، ج ١ ص ١٧٧) .

(٢) هو يعفر بن عبد الرحيم بن كريب ، رأس مملكة بنى حوال باليمن ، كانت له امارة شبام أيام المعتصم العباسى ، ثم كان الأمير فى صنعاء من قبل العباسيين . وتكررت الوقائع بين ولاة صنعاء ويعفر ، ثم استولى على صنعاء ، وضم اليها أكثر مخاليف اليمن ، حتى قتله ابنه ابراهيم .
(بلوغ المرام ، ج ١٣ ص ١٨ ، الاعلام للزركلى ج ٩ ص ٢٥٢)

يحيى بن عبد الرحمن الحجري ومعه جيش ثلاثة ... فانتصر عليه ... جماعة من جيشه
صنعاء، وبقي واليًا ... إلى أن صرفه التركي عن عمله .

ودخلت سنة ٢٣١

لم يتفق غير ما تقدم .

ودخلت سنة ٢٣٢

فيها هلك الواثق، وقام بعده أخوه المتوكل، فتسخط على ابن جعفر بن دينار، فقلده اليمامة، ثم استخلف ولده محمد بن جعفر، وخرج إلى العراق، ثم ولي ولده محمد على اليمن حتى قتل المتوكل. قال ابن خلكان رحمه الله تعالى في ترجمة علي بن محمد بن منصور بن بسام الشاعر(1): كان المتوكل كثير التحامل على آل أبي طالب رضي الله عنهم، حتى بلغ به ذلك إلى أن أمر بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام وما حوله من المنازل والبيوت، وأن يجري عليه الماء ويخفى موضع القبر الشريف، ومنع الناس من زيارته. وبالغ في ذلك أشد المبالغة بسبب ذكره ابن خلكان، فقال ابن بسام رحمه الله في ذلك :

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمري قبره مهدوما

أسفوا على ألا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

---

(1) ابن بسام : هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام الشاعر المعروف ، أمه أمامة بنت حمدون النديم . كان من أعيان الشعراء ، دخل عليه المعتضد وهو يلعب الشطرنج فاستحيا منه ، فقال لابن قاسم : اقطع لسان ابن بسام عنك بالبر والشغل ، فولاه البريد والجسر بقنسرين والعواصم من أرض الشام . توفي سنة ٣٠٣ هـ .
(ابن خلكان : وفيات الأعيان)

وذكر المؤرخون أن المتوكل أمر بترك الجدال والمناظرات ، وترك القول بخلق القرآن ، وهو أول من قلد الشافعي من بني العباس ، ولعله الذى قرر تقليد المذاهب الأربعة ، وأحدث المقامات حول البيت الحرام ، وقيل إنها عمرت فى زمن المأمون[1] .

وقال صاحب تحصيل المرام فى تاريخ بلد الله الحرام : إنها لم تحصل حقيقة فى مدة وضع المقامات خلا أن مقام الحنفى والمالكى كانا قد وجدا فى سنة سبعين وأربعمائة . ولم يكن مقام الحنبلى حينئذ موجوداً فى غالب الظن وإنما وجد فى عشر الأربعين وخمسمائة ، والله أعلم . ولما حج مرجان غلام للمقتفى العباسى قلَع حطيم[2] الحنابلة وأبطل إمامتهم فى مكة لتحامله عليهم . انتهى معنى كلام الفاسى فى تحصيل المرام .

وفى هذه السنة مات الإمام على بن موسى الرضى عليه السلام ، ورأيت فى كتاب اللآلئ المضيئة للسيد العلامة أحمد بن محمد الشرفى ـ رحمه الله تعالى ـ أن وفاة الإمام على بن موسى عليه السلام فى أيام المأمون ، وأنه لما مات أظهر المأمون عليه جزعاً شديداً وخرج مع جنازته يحملها ، ودفنه إلى جنب أبيه هارون الرشيد بمدينة طوس . وذكر سبب وفاته عليه السلام فى خبر طويل ، وهذا هو الصحيح الموافق لما هو فى التواريخ ؛ والله أعلم .

---

(١) المقام : هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم عليه السلام وهو يبنى الكعبة . (ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٩)

وقال بعضهم مقام ابراهيم هو مقامه المعروف فى المسجد الحرام ، وذلك لما روى عن عمر بن الخطاب قال : قلت يا رسول الله ! لو اتخذت المقام مصلى ، فأنزل الله « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

والمقامات الأربع هى مواقف الأئمة الأربعة فى الصلوات المفروضة . فمقام الشافعى خلف مقام ابراهيم ، ثم مقام الحنفى ، ثم مقام المالكى ثم مقام الحنبلى .

(ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٤٢ ، ٢٤٨) .

(٢) جاء فى القاموس المحيط أن الحطيم هو حجر الكعبة أو جداره أو ما بين الركن وزمزم والمقام ، حيث يتحطم الناس للدعاء . وفى مرآة الحرمين أن الحطيم هو ما حطم من الكعبة أو كسر ، وهو بناء مستدير فى شمال الكعبة على شكل نصف دائرة ، ارتفاعه حوالى متر ونصف وعرضه حوالى ١٫٥٢ متر

(مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٦٦) .

ودخلت سنة — ٢٣٣ —

لم يتفق فيها ، ولا فيما بعدها من السنين إلى سنة **٢٣٧** ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٢٣٨ —

فيها أقبلت جموع الروم فى ثلثمائة مركب ، فاستولوا على دمياط وأحرقوها ونهبوا وسبوا ستمائة امرأة ، ورجعوا فى البحر[1] .

ودخلت سنة — ٢٣٩ —

لم يذكر المصنف رحمه الله ماوقع فيها ، ولا فى التى بعدها ، ما يليق ذكره .

ودخلت سنة — ٢٤١ —

فيها أغارت البجة[2] — وهم جنس من أجناس الحبشة ـ على أطراف الديار المصرية ، وكان بينهم وبين المسلمين صلح على خراج معلوم يؤدونه فى كل عام على معادن الذهب الذى ببلادهم ، فمنعوا المسلمين من استخراج المعادن ، وامتنعوا من تسليم الخراج المعتاد . ورفع أمرهم إلى المتوكل ، ووصفت له بلادهم بصعوبة المسالك ، وأن بينها وبين مصر مسافة شهر فى مفاوز مقفرة ، فكف عنهم حتى أغاروا على أهل الصعيد ، فوجه إليهم محمد بن عبد الله القمى، وكتب إلى عامله بمصر أن يجهز معه الجنود ، ويمده بما يحتاج إليه من الزاد والعدة ، ففعل . وحمل الزاد فى سبع مراكب فى البحر ، وتوجه القمى إليهم فى عشرين ألف مقاتل ، فلقاه ملك البجة فى جمع عظيم أضعاف المسلمين ، بأيديهم الحراب ومراكبهم الإبل . ووقع القتال الشديد . ثم أن القمى جمع ما فى عسكره من أجراس الإبل وجعلها في أعناق الخيل ، وحمل المسلمون عليهم حملة صادقة ، فذعرت إبلهم

(١) ذكر ابن الأثير أخبار هذه الحملة فى شىء من التفصيل .
(الكامل ، ج ٧ ص ٢٤) .

(٢) فى الأصل النجه ، والصيغة المثبتة هى الصحيحة ، وقد ذكرها ابن الأثير البجاه (الكامل ، ج ٧ ص ٢٦) .

ابن علي بن عيسى بن ما هان . وقد شارك جعفر بن دينار في ولاية اليمن ، فأقام مع منصور التنوخي أياما ، وعزل جعفر بن دينار بأنباح[1] التركي مولى المعتصم ، فأقر منصورا وعبد الرحمن على عملهما ، حتى مات المعتصم .

ودخلت سنة — ٢٢٦ —

ولم يذكر ما وقع [فيها] من الحوادث .

ودخلت سنة — ٢٢٧ —

فيها مات المعتصم ، وقام بعده ولده هارون الواثق ، فأقر أنباحا (إيتاخا) التركي على ولاية اليمن ، فوجه إليها أبا العلاَ أحمد بن العلاَ العامري . فلما وصل إلى صَعْدَة أرسل الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالي[2] مولاه طريف بن ثابت في عسكر إلى صنعاء ، فقاتلهم منصور التنوخي بأهل صنعاء ، فهزمهم وقتل منهم نحو ألف رجل وأسر آخرين ، ثم ضرب أعناقهم . ووفد أبو العلاَ العامري بعد الوقعة إلى صنعاء ، فأقام مدة ثم مات . وقد استخلف أخاه عمر بن العلاَ ، فأقام مدة . ثم إن أنباحا (إيتاخا) التركي استعمل على اليمن هرثمة بن بشير مولى المعتصم ، فورد كتاب هرثمة على منصور التنوخي بولاية اليمن .

ودخلت سنة — ٢٢٨ —

والتي بعدها ، ولم يذكر المصنف ماجرى [فيهما] ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٢٣٠ —

فيها قدم هرثمة بن بشير بنفسه إلى اليمن ، فأقام بصنعاء أياما ثم خرج لمحاربة الأمير

(١) كذا في المتن ، وتكرر اللفظ بهذه الصورة بعد ذلك . وفي الكامل لابن الأثير ايتاخ (ج ٦ ص ١٩١) وكذلك ذكره زامباور (معجم الأنساب ، ج ١ ص ١٧٧) .

(٢) هو يعفر بن عبد الرحيم بن كريب ، رأس مملكة بني حوال باليمن ، كانت له امارة شبام أيام المعتصم العباسي ، ثم كان الأمير في صنعاء من قبل العباسيين . وتكررت الوقائع بين ولاة صنعاء ويعفر ، ثم استولى على صنعاء ، وضم اليها أكثر مخاليف اليمن ، حتى قتله ابنه ابراهيم .

(بلوغ المرام ، ج ١٣ ص ١٨ ، الاعلام للزركلي ج ٩ ص ٢٥٢)

يعفر بن عبد الرحمن الحوالى وهو فى شبام ، فاستمر على محاربته أياما ، ثم رجع إلى صنعاء ، وعزل الواثق أنباحا (إيتاخا) التركى عن عمالة اليمن .

ودخلت سنة — ٢٣١ —

لم يتفق غير ما تقدم .

ودخلت سنة — ٢٣٢ —

فيها مات الواثق ، وقام بعده أخوه المتوكل ، فاستعمل على اليمن جعفر بن دينار ، فأقام فيها أياما ، ثم استخلف ولده محمد بن جعفر ، وخرج إلى العراق . ولم يزل ولده محمد على اليمن حتى قتل المتوكل . قال ابن خلكان ـ رحمه الله تعالى — فى ترجمة على ابن محمد بن منصور بن بسام الشاعر[1] : كان المتوكل كثير التحامل على آل أبى طالب رضى الله عنهم ، حتى بلغ به ذلك إلى أن أمر بهدم قبر الحسين بن على عليه السلام وما حوله من المنازل والبيوت ، وأن يجرى عليه الماء ، ويبذر موضع القبر الشريف ، ومنع الناس من زيارته . وبالغ فى ذلك أشد المبالغة لسبب ذكره ابن خلكان . فقال ابن بسام رحمه الله فى ذلك :

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمرى قبره مهدوما
أسفوا على ألاّ يكونوا شاركوا ... فى قتله فتتبعوه رميما

(١) ابن بسام : هو أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام الشاعر المعروف ، أمه أمامة بنت حمدون النديم . كان من أعيان الشعراء ، دخل عليه المعتضد وهو يلعب الشطرنج فاستحيا منه ، فقال لابن قاسم : اقطع لسان ابن بسام عنك بالبر والشغل ، فولاه البريد والجسر بقنسرين والعواصم من أرض الشام . توفى سنة ٣٠٢ هـ .
(ابن خلكان : وفيات الأعيان)

وتفرقت ، فانهزموا ، وقتل منهم مالا يحصى . ثم إن ملكهم نزل إلى المسلمين راكباً على أتان[1]، وحمل خراج السنين التى تغلب عليه فيها . ورجع المسلمون إلى ما كانوا عليه من استخراج المعادن . وقدم القمى بملكهم على المتوكل فى سبعين راكباً من أرضه على الجمال بأيديهم الحراب ، عليها رءوس من قتل من رؤسائهم ، فكساه المتوكل وأرجعه إلى بلاده .

وفيها ماجت النجوم وتناثرت كالجراد من العشى إلى الصباح ؛ وكان أمراً مزعجاً لم يعهد مثله ، فسبحان المتصرف بالكائنات .

ودخلت سنة — ٢٤٢ —

فيها كانت الزلازل العامة ، هلك فيها أكثر من خمسة وأربعين ألفاً ، معظمها من الدامغان[2] .

ودخلت سنة — ٢٤٣ —

فيها ــ وفى السنة التى بعدها ــ لم يذكر المصنف ما يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٢٤٥ —

فيها مات محمد بن زياد صاحب زبيد ، فقام بالأمر بعده فى تلك الناحية ولده إبراهيم ابن محمد أتم قيام .

وفيها حصلت زلازل عظيمة فى المغرب والشام واليمن ، هلك فيها أمم وخربت مدن ، وغارت عيون كثيرة منها عين مشاش[3] فى مكة المشرفة ؛ فبلغ ثمن القربة بالموسم درهما ،

---

(١) الأتان : الحمارة (المصباح المنير)
(٢) الدامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور (البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٥١٠)
(٣) ذكر الهمدانى أن المشاش ــ بالضم ثم الفتح ــ موضع بين حنين والعوارة (صفة جزيرة العرب ، ص ١٨٩) ويبدو أن هذا العين يقع فى أحد الوديان قرب مكة .

فأمر المتوكل بإصلاحها . قال الهمداني في الإكليل : وكان غيل وادي ظَهْر[1] المشهور ضعف ما هو عليه الآن حتى كان يسقي الى عَلَمان[2] ، فنقص بسبب الزلازل . وأصل هذا الغيل من رَيْعان[3] والمساجد[4] وبني شهاب[5] ، وهو متصل بغيل لؤلؤة[6] ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٢٤٦ —

فيها مات الإمام القسم بن إبراهيم عليه السلام بجبل الرَّسْ من أرض الحجاز ، وقُبر هنالك ، رضوان الله عليه .

ودخلت سنة — ٢٤٧ —

فيها قتل المتوكل وهو سكران ؛ وسبب قتله سوء معاملته لولده الملقب بالمنتصر ، فتعامل القواد على قتله فقتلوه ، وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان ، والقصة مشهورة . وقام بعده ولده المنتصر ، فأمر الناس بزيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام ،

(١) الغيل هو الماء الذى يجرى على وجه الأرض .
والظهر موضع فى بلد حاشد من همدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٣) .

(٢) علمان : تقع فى حوزة الخارد ذات الفروع المختلفة من منطقة الجوف باليمن : (البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٨١ ، ١١١)

(٣) ريعان : موضع فى وادى الخارد أحد أودية الجوف باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨١ ـ ٨٢)

(٤) المساجد : بلدة جنوبى مأرب بنحو أربعين كيلومترا .
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ١٠٧)

(٥) بنو شهاب : حى من اليمن ، اختلف النساب فيهم ، والغالب أنهم منسوبون الى شهاب بن العاقل بن الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٥٨)

(٦) لؤلؤة : ناحية من همدان .
(حسن سليمان : الصليحيون ، ص ٢٧٤) .

وأمّن العلوية ، وردّ فَدَك[1] لذرية الحسنين السبطين عليهما السلام، وأقر محمد بن يعفر[2] على اليمن ، فأقام فيها إلى أن مات المنتصر .

ودخلت سنة — ٢٤٨ —

فيها مات المنتصر ، وولى بعده ابن عمه المستعين ، فأقر محمد بن يعفر على اليمن ، فلم يزل فيها إلى أن خلع المستعين نفسه .

وفيها مات طاهر بن عبد الله بن طاهر[3] بخراسان .

وفيها اجتمعت الكواكب الخمسة : الشمس وعطارد والمشترى والمريخ والقمر ، فى برج الجوزاء .

ودخلت سنة — ٢٤٩ —

فيها خلع المستعين نفسه لما رأى من خلاف الناس عليه ، وقام بالأمر المهتدى ، فأقر محمد بن يعفر على عمله ، فأقام فيه إلى أن قتل المهدى .

وفيها قام إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالحجاز ، فقطع

---

(١) فدك : بلدة بينها وبين المدينة مسيرة يومين ، وبينها وبين خيبر دون مرحلة ، وهى مما آفاء الله على رسوله (ص) وتنازعها على والعباس فى خلافة عمر ، فقال على جعلها النبى (ص) لفاطمة وولدها ، وأنكره العباس ، فسلمها عمر لهما .

(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالى الحميرى ، أمير صنعاء ، من رجال الأسرة الحوالية باليمن ، وهم بقايا التتابعة ، ودار ملكهم شبام . قاوم ولاة بنى العباس سنة ٢٣٠ . ولما اعتمده الخلفاء العباسيون على ولاية صنعاء ضم مخاليف اليمن الى التهائم ، وحج بالناس سنة ٢٦٢ هـ .

(الاكليل ج ٨ ص ١٠٥ ، معجم ما استعجم ص ٥٤٧ ، المقتطف من تاريخ اليمن ص ٥٦ ، الاعلام للزركلى ج ٨ ص ١٦)

(٣) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى ، أحد الأمراء والولاة ، ولى خراسان بعد وفاة أبيه ، واستمر ثمانى عشرة سنة ، وتوفى سنة ٢٤٨ هـ .

(دول الاسلام للذهبى ، ج ١ ص ١١٧ ، الاعلام للزركلى ، ج ٣ ص ٣٢٠)

بنو عقيل طريق جدة ، فحاربهم جعفر شاشات ، وقتل من أهل مكة نحو ثلثمائة نفس . وغلت الأسعار ، وأغارت الأعراب على القرى . وهرب جعفر المذكور ، فانتهب جند اسماعيل بن يوسف منزله ، ومنازل أصحاب السلطان ، وقتلوا طائفة منهم ، ومن أهل مكة ، وأخذوا ما كان حمل لإصلاح العين ، وما فى الكعبة المشرفة من خزانة الذهب والفضة وكسوة الكعبة ، وصادروا الناس . وسار اسماعيل بن يوسف إلى المدينة ، فتوارى عاملها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكة ، فحصرها حتى مات أكثر أهلها جوعا وعطشا . وسار أيضاً إلى جدة ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذوا أموال التجار وأصحاب المراكب ، ثم سار إلى عرفة . ولقاه محمد بن أحمد بن عيسى ، وعيسى بن محمد المخزومى صاحب بيش[1] . وكان المهتدى وجههما لقتاله ، فوقع الحرب ، وقتل من الحاج نحو ألف ومائة ، وسلب الناس وهربوا إلى مكة ، ولم يتم لهم الوقوف بعرفة . ثم رجع اسماعيل ابن يوسف إلى جدة ، ثم عاد إلى مكة ومات بها سنة ٢٥٢ .

ودخلت سنة — ٢٥٣ —

فيها ـ وفى التى بعدها ـ خسف القمر ، ووقع قحط شديد بجزيرة الأندلس .

ودخلت سنة — ٢٥٥ —

فيها أمر المهتدى العباسى باخراج القينات[2] والمغنيين من سامراء إلى بغداد ، وأمر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان ، وطرد الكلاب ، وأبطل الملاهى ، ورد المظالم ، وجلس للعامة . وكان يظهر الزهد ويكره الظلم ، ويتقشف فى ملبسه ومطعمه ، ويتشبه بعمر بن عبد العزيز بن مروان ، ويقول «إنى أستحيي أن لا يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية » .

---

(١) بيش : بالفتح ، من مخاليف اليمن ، وبالكسر من بلاد اليمن قرب دهلك .

(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٤٢)

(٢) القينة : الأمَة ، صانعة أو غير صانعة ، وغلب على المغنية .

وفيها ظهر فى البصرة على بن محمد المعروف بعلوى البصرة صاحب الزنج[1] . ولم يصح نسبه الى على عليه السلام ، انما هو من الخوارج الأباضية . ويقال انه من عبد القيس ، وأن جده ممن حارب هشام بن عبد الملك مع زيد بن على عليه السلام . فلما قتل زيد لحق بالرى . وكان هذا العلوى قد اتصل بجماعة من أصحاب السلطان وغيرهم ، فامتدحهم وقبض جوائزهم . وكان شاعراً فصيحاً . وشخص من سامراء الى البحرين سنة تسع وأربعين ومائتين ، وادعى أنه من ولد العباس بن على عليه السلام ، ودعا الناس بهَجَر[2] إلى طاعته ، فأجابته طائفة ، وجبوا إليه الخراج . وظهر أمره بالبحرين . ثم قصد البصرة فملكها ، وملك بعض بلاد فارس والأهواز . واشتدت الحروب بينه وبين جنود العباسية ، واسترسل فى قتل النفوس وسبى النسوان . ولبث على ذلك قدر خمس عشرة سنة . وقد ذكر ابن الحديد فى شرح النهج أكثر سيرته ، وحققها تحقيقاً شافياً ، فخذها من هناك .

ودخلت سنة — ٢٥٦ —

لم يتفق فيها ـ ولا فيما بعدها من السنين ـ غير ما ذكر ؛ إلى سنة — ٢٦١ —

ودخلت سنة — ٢٦٢ —

ففى ذى الحجة منها نزل سيل عظيم إلى صنعاء ، وهو السيل الثانى فى الإسلام ، فأخرب دوراً كثيرة ، وأتلف أموالا جزيلة ، وهلك عالم لا يحصون . يقال إن عدد

(١) هو على بن محمد العلوى ، المعروف بعلوى البصرة ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن فى العهد العباسى ، وفتنته معروفة بفتنة الزنج . وظهر فى أيام المهتدى بالله العباسى سنة ٢٥٥ هـ ، وكان يرى رأى الأزارق . امتلك البصرة وأغار على واسط وغيرها . وبلغ جيشه ثلثمائة الف مقاتل . وأخيرا ظفر به الموفق بالله فى أيام المعتمد ، فقتله وبعث برأسه الى بغداد سنة ٢٧٠ هـ .
(دول الاسلام للذهبى ، ج ١ ص ٣٥٢ ، الاعلام للزركلى ج ٥ ص ١٤٠) .
(٢) هجر : بلد باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

الدور التى خربت ستة آلاف دار ، معظمها فى السّرار[1] .

ودخلت سنة — ٢٦٣ —

فيها قتل المهتدى العباسى ؛ [ينظر فى قوله فيها قتل المهتدى] فالذى ذكره النهروالى فى كتابه الاعلام أن بيعته كانت لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتل فى رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً .

وقام بعده ابن عمه أحمد المعتمد ، وكان القائم بأموره أخوه أبو أحمد طلحة بن المتوكل ؛ فأقر محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالى على اليمن . فوجه عماله إلى المخاليف ، وفتح حضرموت بعد امتناعها على من قبله . ثم سار بريد الحج ، واستخلف على عمله ولده إبراهيم ابن محمد . وبعد عوده من سفر الحج بنى جامع صنعاء ، ووقف له أموالا فى شاهره ، غربى صنعاء فى حدود ظِلَع . قال بعضهم وإلى هنا انتهت قوة العباسيين ، وما برحت فى نقصان إلى أن أذهبها الملكُ الديان ، فسبحان من لا يزول له سلطان ، ولا تغيره حوادث الزمان . لطيفة :

قال الخطيب فى تاريخ بغداد ما معناه : قال أبو القسم على بن محمد الخوارزمى : وقد جرى ذكر المقتدر بالله العباسى أنه عظم أمره وكثرت حاشيته ، حتى اشتملت جريدته على أحد عشر ألف خادم ، غير سائر الغلمان ، ومن يتعلق بهم ، فهم ألوف كثيرة .

وعن أبى نصر قال : طفت دار الخلافة وما يجاورها من منازل الخدم ، فكانت كمدينة شيراز . ولما وصل رسول ملك الروم إلى المقتدر بالله صف العساكر لقدومه من دار الخلافة إلى دار صاعد ، فبلغ عدد الجيش إلى مائة وستين ألف ، ما بين فارس وراجل ، وبلغ عدد الحجاب سبعمائة حاجب . وكان فى بعض الدور شجرة من الفضة

(١) ذكر ياقوت أن السرار بكسر أوله وتكرير الراء ، هو وادى صنعاء الذى يشتقها ويجرى اذا جاءت الأمطار ، ويصب فى سنوان فيكون كالبحيرة (معجم البلدان)

وزنها خمسمائة ألف درهم ، عليها أطيار من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها . وكانت الفيلة أربعة مجللة بالديباج على كل فيل أربعة رجال . والسباع مائة سبع . وفى بعض الدور بستان، فى وسطه بركة من الرصاص القلعى، طولها ثلاثون ذراعاً فى عرض عشرين . وكانت مساحة قصر المنصور أربعمائة ذراع فى مثلها . وبلغ عدد الحمامات ببغداد ستين ألف حمام . ثم لما حدثت فيها الفتن وتتابعت عليها المحن ، خرب عمرانها ، وذهب سكانها ، وانتقل بقية خلفائها إلى مصر ، كما ذلك مقرر فى كثير من كتب الأخبار .

وفى هذه المدة أمر يعفر بن عبد الرحيم الحُوالى بقتل ولديه محمد وأحمد ، فقتلا بعد المغرب فى صومعة شبام تحت كوكبان[1] ، فانتشرت عليه الأمور . وخالف عليه الفضل ابن يعيش المزارى بالجوف وغيره من العمال ، ومالوا إلى جعفر بن أحمد المناخى ، فجهز إليهم يعفر بن عبد الرحيم ، إبراهيم بن محمد بن يعفر ، وكانت الحرب بينهم سجالا . واستعمل إبراهيم بن محمد على الجوفين الدّعام بن إبراهيم ، فلبث مدة ثم تغير عليه الدعام ، فسارت إليه عساكر إبراهيم بن محمد فالتقوا بوَرْوَر[2] فهزمهم الدعام وقتل منهم كثيراً . وفى هذه المدة وصل عهد من صاعد بن مخلد وزير المقتدر بالله ليعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بولاية صنعاء ومخالفيها ، فاعتزل إبراهيم بن محمد عن الإمارة ، وجعل عمالا على صنعاء ، وأقام فى شبام، فاجتمع أهل صنعاء على عمال إبراهيم ، فقتلوهم ونهبوا دار إبراهيم ابن محمد بصنعاء . ولم يلبث أن قتل فى شبام كما سيأتى .

ودخلت سنة — ٢٦٤ —

لم يتفق فيها ـ ولا فيما بعدها من السنين إلى سنة ٢٧٢ ـ ما ينبغى ذكره .

---

(١) كوكبان : جبل قرب صنعاء ، واليه يضاف شبام .

(٢) ورور ، بفتح الواوين ، حصن عظيم باليمن من جبال صنعاء فى بلاد همدان (ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٢٧٣ —

قال الطبرى فى تاريخه : فيها ورد الخبر أن الداعى باليمن[1] قدم صنعاء ، فحاربه أهلها فظفر بهم ، وقتل منهم خلقا كثيراً ، واستولى على مدن اليمن

ودخلت سنة — ٢٧٤ —

لم يذكر المصنف ماجرى فيها ، ولا فى السنين التى بعدها إلى آخر سنة ـ ٢٧٦ ـ .

ودخلت سنة — ٢٧٧ —

فيها قتل إبراهيم بن محمد بن يعفر بشبام كما تقدمت الإشارة إليه ؛ وقام بعده ابن عمه عبد القاهر بن أحمد بن يعفر ، فلبث أياماً حتى قدم على بن حسين المعروف بجَفْتَم[2] عاملا على اليمن من قبل بنى العباس ، فقاتله الدعام بن إبراهيم فهزمه جَفْتَم ، ودخل صنعاء وطرد الدعام عنها . ولم يزل عليها حتى مات المعتمد العباسى فى رجب من السنة المذكورة ، وقام بعده ابن أخيه أحمد المعتضد بن طلحة بن المتوكل ، فأقر على بن حسين جفتم على

---

(١) المقصود بالداعى هنا أبو القاسم منصور اليمن ، وهو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى ، كان من أهل بيت علم وتشيع ، ودان بمذهب الامامية الاثناعشرية ، أوفده الامام المستور الحسين بن أحمد الى اليمن سنة ٢٦٨هـ ، وأوفد معه زميله على بن الفضل لنشر الدعوة للفاطميين . وقد أخذا ينشران الدعوة سرا فى اليمن للفاطميين مدى عامين ، ثم أظهرا دعوتهما سنة ٢٧٠ هـ ، فمال اليهما كثير من أهل اليمن ، وتسمى أبو القاسم « المنصور باليمن » ، وصار يبث الدعاة فى سائر بلاد اليمن واليمامة والبحرين . وكانت وفاته سنة ٣٠٢ هـ .
(حسين بن فيض الله الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ، ص ٢٥ ـ ٤٠) .

(٢) فى الأصل غير منقوطة ، وفى زامباور يفتم (معجم الانساب ص ١٧٧) . والصيغة المثبتة هنا هى الصحيحة ، أخذناها عن كتاب أنباء الزمن للمؤلف وعن عمارة اليمنى .
وهو على بن حسين جفتم ، كان واليا على اليمن ، جاء من بغداد فى صفر سنة ٢٧٩ ، واستمر حتى سنة ٢٨٢ هـ ثم عاد الى العراق . (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٩١) .

صنعاء، فلم يزل بها إلى سنه ٢٨٢ . وكان من عادته أنه لا ينام بالليل، بل يقعد للناس، ومن دخل عليه لحاجة قضاها، والحرس يختلفون إليه؛ فإذا صلى الفجر قعد أيضاً للنظر بين الناس إلى أن يتغبر[١] ثم ينام إلى الظهر، فإن انتبه وإلا اجتمع الصبيان ورفعوا أصواتهم حتى ينتبه . وكان يقول: فى أهل صنعاء خصال مذمومة، منها أنهم يرجفون على أنفسهم، وسائر أهل الأمصار يرجفون لأنفسهم، ومنها تعظيمهم لمن خدم السلطان وإن كان دنيء النسب، ولا يعظمون أهل العلم، ومنها أنهم يهرقون ماء سواقيهم على أبواب بيوتهم .

ودخلت سنة — ٢٧٨ —

لم يذكر ما جرى فيها ـ ولا فى التى بعدها ـ ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٢٨٠ —

فيها خرج إلى اليمن الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، صلوات الله عليهم أجمعين .

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

وهى الخرجة الأولى، فوصل إلى الشَّرفَة من بلادهم، وأذعن له الناس بالطاعة، إذ كان خروجه باستدعائهم له، فلبث مدة يسيرة حتى ظهر له منهم الخلاف لأوامره الموافقة لأحكام الشريعة المطهرة، فانقلب راجعا إلى الحجاز . ووقع فى اليمن بعد خروجه عنها ما يطول ذكره من الفتن والقحط . فعاود أهل اليمن المراسلةَ إلى الهادى عليه السلام، وتضرعوا إليه، فرجع إليها فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى مختصر الأسباب للشيخ أحمد بن محمد، أن سبب خروج الهادى عليه السلام

---

(١) غبر الضيف اى أطعمه الغبران، والغبران رطبتان فى قمع واحد .

أن بنى فطيمة من خولان[1] صعدة خرجوا إلى الهادى إلى الرَّس من أرض الحجاز ، فاستدعوه للخروج ، وملكوه أرضهم . انتهى .

وفى هذه السنة سار أحمد بن نور من البحرين إلى عمان فاستفتحها ، وأوقع بطائفة من الأباضية . وقد كان لقاه مقدمهم — وهو الصلت بن مالك — فى مائتى ألف ، فانتصر عليهم أحمد بن نور ، وقتل منهم مقتلة كبيرة ، وحمل رءوسهم إلى بغداد .

ودخلت سنة — ٢٨١ —

لم يتفق فيها شيء .

ودخلت سنة — ٢٨٢ —

فيها سارع على بن حسين جَفْتَم إلى العراق ، فدخل الدَّعام إلى صنعاء ، ثم لم يلبث أن خرج منها ، فملكها أسعد بن أبى يعفر . وفى أيامه ظهرت القرامطة باليمن والحجاز والمغرب ، وتضعضعت دولة بنى العباس ، وتغيرت مذاهب الإسلام ، وحصل الاختلاف فى الأحكام .

ودخلت سنة — ٢٨٣ —

ولم يذكر شيئا اتفق .

ودخلت سنة — ٢٨٤ —

فى صفر منها وصل الهادى عليه السلام إلى صَعْدَة ، وهى الخرجة الثانية ، فحسم مادة الفتنة فيما بين أهل خولان صعدة ، وأمر بتفريق ربع زكاة الطعام فى الفقراء

(١) خولان قبيلة من اليمن ، وهم ولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٣٥) .

والأيتام . ولبث بصعدة أياما ، ثم نهض إلى اليمن ، وحرّضَ الناس على الجهاد فى سبيل الله .

وفى شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة سار الهادى عليه السلام إلى نجران بجموع كثيرة من خولان وغيرهم ، فلقاه أهل وادعة(١) وشاكر(٢) ويام(٣) والأحلاف مستبشرين بقدومه ، وبايعوه . والباعث لهم على ذلك ما جرى بينهم وبين بنى الحرث ـ أهل نجران ـ من الحروب الشديدة والأهوال العديدة ، فسار بهم الهادى عليه السلام ، وتلقاه بنو الحرث(٤) ، فأصلح بينهم وبين أعدائهم ، وأخذ عليهم المواثيق الأكيدة بالاتفاق ، وترك الشقاق ، وبايعه القوم ، وصلحت أمورهم ببركته عليه السلام . ثم سار إلى هَجَر فأقام بها حتى سكنت الفتنة ، وتقررت قواعد الصلح . ثم عاد إلى صَعْدة ، ووضع عهداً لأهل الذمة من نصارى نجْران وغيرهم فيما ثَرُوه من المسلمين السَّبْيع(٥) . وما ثروه فى الجاهلية ، فليس عليهم فيه شىء . وقررهم على الجزية فى نجران وصعدة وسائر ما استفتحه عليه السلام .

---

(١) وادعة : حى من اليمن ، قال فيهم على بن أبى طالب :
ووادعة الأبطال يخشى مصاعهـا بـكل رقيق الشفرتين حسام
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ١١٤) .

(٢) شاكر : قبيلة من اليمن من همدان ، هم ولد شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل .
(الحميرى : منتخات فى أخبار اليمن ، ص ٥٦)

(٣) يام : اسم قبيلة من اليمن ، أضيف اليها مخلاف باليمن عن يمين صنعاء .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) بنو الحارث بن كعب ، حى من اليمن من مذحج (الحميرى : منتخبات . ص ٢٥)

(٥) السبيع : بطن من همدان من اليمن ، وهم ولد السبيع بن السـبع (الحميرى : منتخبات ، ص ٤٧) .

فيها ظهر أبو سعيد الجَنّابي(١) القَرمَطي(٢) في البحرين، وقويت شوكته، وانضم إليه قوم من بقايا جند العلوي البصري وغيرهم، فقصد بهم البصرة فلم يظفر بها.

وفي صفر من هذه السنة سار الهادي عليه السلام إلى بَرَط(٣) وهو جبل كبير أهله من همدان شاكر — وكانوا يظنون أن الهادي عليه السلام لا يقدر على دخول بلادهم، لصعوبتها وامتناعها بهم، وقلة عدد أصحابه عليه السلام، فإنه لم يكن معه يومئذ من الفرسان إلا ثمانية، وستة وعشرون راجلا. ولما قرب عليه السلام من بلادهم، حالوا بينه وبين الماء، ومنعوا الطريق، فدعاهم الهادي ووعظهم، فلم يلتفتوا إلى قوله، ورموه بالنبل، فأصابه سهم وجرح بعض أصحابه، فحمل عليهم حملة صادقة، ومنحه الله النصر، فقتل منهم ثلاثة نفر، وجرح منهم جماعة، وأسر آخرين، وانهزم بقيتهم، فتبعهم أصحاب الهادي، فسلبوهم وهموا بقتلهم، فنهاهم الهادي عليه السلام عن قتلهم، وقال «ليس لهم فئة يرجعون إليها». ولما رأوا مانزل بهم طلبوا الأمان من الهادي عليه السلام، فأمنهم فبايعوه، وسألوه إطلاق الأسارى وإرجاع الأسلاب، فأجابهم إلى ما سألوه تأليفاً لهم،

(١) أبو سعيد الجنابي، ينسب الى بلدة جنابة على الخليج الفارسي شرقا، كان رئيسا للقرامطة بامارة البحرين، بعد أن عينه حمدان قرمط على الدعوة في القطيف والبحرين. واتخذ أبو سعيد مدينة الاحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة التي أسسها سنة ٢٧٦ هـ. وكانت وفاته سنة ٣٠١ هـ.
(عمارة اليمني: تاريخ اليمن، ص ٣١٨ — ٣١٩).

(٢) القرامطة، جماعة من الشيعة، دعوا الى امامة اسماعيل بن جعفر الصادق، وتطرفوا في دعوتهم وآرائهم، ويقال انهم نسبوا الى أحد الدعاة واسمه حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط لقصر قامته.
(النويري: نهاية الارب ج ٢٣ ورقة ٥٦ مخطوط، محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في شبه جزيرة العرب، ص ٣١)

(٣) برط، جبل باليمن بين الغائط ونجد، يسكنه دهمة من شاكر بن بكيل. رأس الجبل واسع في عداد بلد من البلدان، وزروعه كثيرة، وأهله أنجد همدان وأكثرهم شهامة، حتى أنهم يسمون قريش همدان.
(الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٩٥).

وأقام فى برط ثلاثة أيام . ولم يطلب منهم شيئاً حتى تعب أصحابه وأكلت خيلهم الشجر ، فرجع إلى صعدة ، واستناب عليهم عبد العزيز بن مروان النجرانى ، فقبض من أعشارهم خمسة آلاف فرق[1] .

وفى شهر ربيع الآخر من هذه السنة ورد كتاب إلى الهادى من عامله على وَشْحه[2] وهو محمد بن عبد الله العلوى ـ يذكر أن أبا الدعيس قد جمع جمعاً كبيراً ومنع من تسليم الواجبات ، فبعث الهادى عليه السلام أخاه عبد الله بن الحسين ، فحاربهم بعد الإعذار إليهم ، فأبوا ، فكانت الدائرة على أبى الدعيس، ونهب جند عبد الله القرية ، فنهاهم عن النهب ، وأمن أهل تلك القرية ، وقبض صدقاتهم ، ثم أعطى ربعها مساكينهم ، ووصل أهل القرية بسدس صدقاتهم عوضا عما فات عليهم .

ثم إن الهادى عليه السلام سار إلى نجران فى هذه السنة بعساكر موفورة ، فنزل قرية يقال لها شوكان ، وأمر بقطع نخلها وأعنابها عقوبة لصاحبها الذى أراد قطع الطريق ، ودعا عليه الهادى فعاجله الله بالنقمة .

وفى هذه السنة وصلت كتب من الدّعام بن إبراهيم إلى الهادى عليه السلام يسأله أن يوليه الجهة التى هو فيها ، فلم يجبه الهادى إلى مطلبه ، وهو من المتغلبة على ما تحت يده . ثم سار الهادى عليه السلام إلى خيوان[3] ، فلقاه قبائل تلك الجهة ، ولبث فيها أياما ثم سار إلى الحَضَن من بلاد وادعه ، ومنها إلى أثافث[4] . ووصل إليه أهل بيت

---

(١) الفرق : مكيال ضخم لأهل المدينة ، وقيل هو أربعة أرباع ، وقيل هو ستة عشر رطلا . وقيل هو اناء يأخذ ستة عشر مدا ، وذلك ثلاثة أصوع عند أهل الحجاز . وقيل الفرق خمسة أقساط والقسط نصف صاع .
(لسان العرب ، فصل الفاء حرف القاف) .

(٢) وشحة : موضع يتبع حجة ، شمال الشرفين ، قريب من حرض .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٠٠ ، ١١٠) .

(٣) خيوان : اسم مخلاف باليمن ومدينة بها (ياقوت : معجم البلدان)

(٤) فى النص أثافث بالثاء ، وفى معجم البلدان لياقوت أثافت بالتاء . وهى قرية باليمن ذات كروم كثيرة ، وكانت تسمى فى الجاهلية درنا بضم الدال .

زود(١) شاكين من الدّعام وأصحابه ، وأنهم صاروا يشربون الخمور ويرتكبون أعمال الفجور ، حتى أن بعضهم اغتصب جارية عذراء ، افتضها وقتل أباها ، وأن الدّعام لم ينكر ذلك . فأمر الهادى من ينكر ذلك ، ثم رجع إلى خيوان ، فاستقر فيه حتى بلغه أن الدّعام قد خرج فى عسكر عظيم يريد البُون(٢) ، فظن الهادى عليه السلام أنها مخادعة من الدعام وأنه سيقصد أثافث ، فبعث إليها عبد العزيز بن مروان ، وتبعه فى الأثر إلى أثافث . ثم خرج منها إلى محل يسمى سربَكيل(٣) ، وأراد المسير إلى بيت زود فبلغه أن الدّعام يريد طلوع النقيل(٤) ، فانثنى عزمه عن بيت زود وقصد رأس النقيل . ولما رأى عسكر الدعام أمر بنشر الرايات ، فعاد الدعام إلى قرية حَمُدة ، إحدى قرى البون . وتقدم الهادى عليه السلام إلى بيت زود ، وأمر بحفظ النقيل ، ثم انتقل إلى محل يسمى ضحيان(٥) فصرخ صارخ من أعلى النقيل أن الدّعام قد دخل بيت زود ، فسار الهادى عليه السلام إلى بيت زود فلم يجد الدّعام فيه ، وقيل له إن الدعام قد طلع نقيل حَمُده فسار الهادى لمحاربته ، فوافاه فى نجد الظّبر(٦) .

---

(١) بيت زود ، قرية باليمن من قرى حصن الأراس فى جبل تخلى .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٠) .

(٢) البون : مدينة باليمن ، زعموا أنها ذات البئر المعطلة والقصر المشيد المذكورين فى القرآن الكريم (سورة الحج آية ٤٥) . وذكر الحميرى أن البون أرض باليمن لهمدان .
(ياقوت : معجم البلدان ، الحميرى : منتخبات ، ص ١٠)

(٣) سربكيل : لبكيل ، وبكيل عدة قرى تبع البون من قيعان نجد .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ١١٢) .

(٤) النقيل بلغة أهل اليمن العقبة ، ونقيل صيد جبل عظيم بين مخلاف جعفر وبين حقل ذمار (ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) الضحيان : موضع بين نجران وتثليث فى طريق اليمن ، فى الطريق المختصر من حضرموت الى مكة .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٦) النجد : المرتفع من الأرض . والظبر ، جبل قريب من صنعاء
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٩٥)

وحين تراءى الجمعان أمر الهادى عليه السلام أصحابه بالتعبئة للقتال ، فجعل خولان وهمدان[1] فى الميمنة ، وأهل بيت زود والبون فى الميسرة ، وبنى ربيعة[2] وبنى صريم[3] فى القلب . وعبأ الدّعام أصحابه كذلك ، ثم نزل الهادى عليه السلام عن ظهر جواده ، وتوضأ وصلى قصراً ، فقيل له إن هذا عسكر الدّعام قد قربوا ، فقال لهم ، « بعد قليل يطلبون الأمان منا إن شاء الله » . ثم إنه أرسل لرجل من أصحاب الدّعام فقال له : « امض إلى الدّعام فقل له : يقول لك الهادى علام تقتتل بينى وبينك ، ابرز إلى وحدك فإن قتلتنى استرحت منى وإن قتلتك استراح الناس منك . » فرجع صاحب الدّعام إليه ، فأخبره بمقالة الهادى عليه السلام ، فكره ذلك ، إلا أنه أرجع الرسول إلى الهادى عليه السلام بكلام فيه لين وإنه لا يريد الحرب . فأرجع الهادى رسولا إلى الدّعام يعظه وينهاه عما هو عليه . ومازالت الرسل تختلف بينهما حتى دنت ميمنة الهادى عليه السلام من ميسرة الدّعام ، فتنابزوا بالكلام ، وافتتح القتال والصدام ، فقتل رجل من أصحاب الهادى وآخر من أصحاب الدّعام ، فأمر الهادى أصحابه بالكف عن القتال ، فكفوا . وتكررت الرسالة بالصلح حتى ثبت ، وخرج الدّعام إلى الإمام ، وحلف له على الطاعة ، واختلط الفريقان ، وعاد الهادى عليه السلام إلى بيت زود ، وانصرف الدّعام إلى حَمُدة[4] .

---

(١) همدان : قبيلة من اليمن ، وهم ولد همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة ابن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان
(الحميرى : منتخبات ، أخبار اليمن ، ص ١١٠)

(٢) ربيعة فى قبائل اليمن كثير ، والربيعة بالألف واللام حى من اليمن من قضاعة من ولد الربيعة بن سعد بن خولان ، ينسب اليهم ربيعى باثبات الياء ، وينسب الى غيرهم ربعى بحذفها .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٤٠)

(٣) واضح من المتن أن بنى صريم اسم قبيلة ، وذكر ياقوت أن الصريم موضع بعينه أو واد باليمن (معجم البلدان) .

(٤) حمدة ، بالفتح ثم الضم ، قرية فى ارض البون باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٦٩)

ثم بلغ الهادى عليه السلام بعد ذلك أن ابناً للدّعام يسمى أرَحب سار إلى أثافث فى جماعة من همدان يقال لهم بنو سليمان . وكان ولدا الهادى ـ محمد وأحمد ـ فى خيوان ، فأراد القوم قصدهما ، فمنعهم الله تعالى . وكان الأكثر من أهل أثافث مداهنين ، قد عاملوا جماعة الدّعام على دخول البلد ، فخرج عليهم رجل يسمى أبو عمره فى طائفة يسيرة ، فقاتلهم بمن معه ، وتكاثروا عليه فقتلوه ، ودخلوا القرية . ولما بلغ الدّعام فعل جماعته أنكره في ظاهر الأمر ، وسار إلى أثافث بنفسه ، فأقام فيها .

وخرج الهادى عليه السلام من موضعه إلى محل يسمى مَشُوط(١) وطلب القبائل فاجتمعوا إليه ، فشاورهم فى حرب الدعام ، فأجمع رأيهم عليه . ونهض الهادى عليه السلام بمن معه ، إلى أن قرب من أثافث ، ثم أمر أصحابه بالتعبئة . وخرج الدّعام بأصحابه ، فوقع القتال ، واستمرّ إلى عصر ذلك اليوم ، وأصاب الفريقين جراحات كثيرة . وقد كان الدّعام أخرج أثقاله من أثافث خوفا من الهادى عليه السلام . ولما اشتد الحرب ، أمر الدعام بثياب كثيرة فنثرت ، وأمر جماعة من أصحابه ينادون فى عسكر الهادى « من كان يريد الكسوة فليأت » فمضى إليه جماعة فكساهم ، واضطرب عسكر الهادى ، واشتد عسكر الدّعام وكانوا فى غاية من الكثرة . فحمل الهادى عليه السلام بنفسه ، وحرض الناس على الثبات ؛ ولم يزل الحرب إلى الليل فرجع كل منهم إلى معسكره .

ثم سار الهادى عليه السلام إلى محل يعرف بالدرب(٢) ، فأقام فيه ريثما استراحت

---

(١) مشوط أو مشيط ، جهة فى منطقة عسير الجنوبية وصعدة ، وبها جبال خميس مشيط ، وهى من قبائل خولان وقضاعة .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١١٩ ، ١٢٠)

(٢) الدرب : موضع من جبل السراة باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٦٩)
وذكر ياقوت أن الدرب قرية باليمن يظنها من قرى ذمار
(معجم البلدان) .

خيله ورجاله من التعب ، ثم حشد الناس وواعدهم ليوم معلوم ، فاجتمعوا إليه ، ووصل ولده محمد بجماعة من خولان . ثم نهض الهادى عليه السلام إلى أثافث ، وعبأ أصحابه ، وخرج الدّعام فى مائتى فارس وألفى راجل ، ولم يكن مع الهادى إلاّ ثلاثون فارسا وسبعمائة راجل ، فتلاحم القتال . ولم تعمل الخيل شيئا لصعوبة المحل . وتقدم محمد بن الهادى بجماعة من أصحابه ، فهزم أصحاب الدعام إلى قريب أثافث . وكان الدّعام قد أعد كمينا ، فخرج بعضهم لمقاتلة محمد بن الهادى . وقصد الدّعام بخيله وربطه موضع الهادى ، فلم يبرح من مكانه ، وحملوا عليه مرارا ، فحفظه الله ووقاه شرهم ، وألقى فى قلوبهم الرعب فولوا عنه مدبرين ، وعلموا أن ذلك من كلاءة الله له . ثم سار الهادى عليه السلام إلى الدرب من بنى ربيعة ، وخرج الدّعام من أثافث ، فحمل جماعة من بن صريم على قرية أثافث ، فانتهبوها . ولما بلغ الهادى عليه السلام فعلهم أنكره غاية الإنكار ، وهم بالخروج عن اليمن ، وقال « لا أستحل القتال بمثل هؤلاء » فلم تزل بعض الأعيان تترضاه وتستعطفه ، وتبالغ فى الاعتذار للفاعلين ، فلم يقبل حتى أرجعوا جميعا ما أخذوه .

ودخلت سنة — ٢٨٦ —

فى المحرم منها كتب أبو العتاهية صاحب صنعاء إلى الهادى عليه السلام ، وأمر أصحابه بالمسير إليه ، فتقاعد بعضهم ، فوجّه أخاه فى خمسين فارسا إلى الهادى عليه السلام ، فوافوه فى درب بنى صريم بعد خروجه من درب بنى ربيعة . ولما بلغ الدّعام موالاة أبى العتاهية للهادى عليه السلام ، عظم عليه الأمر ونافس أبا العتاهية على طاعته للهادى عليه السلام ، وظهرت على صفحات لسانه أكاليم دالة على ما أضمره قلبه ؛ فقال له بعض أصحابه « لا ينبغى لك أن تعطى هذا العلوى ملكا قد قاتلت عليه آل يعفر وغيرهم » . وكان أبو العتاهية قد اشترط فى كتبه إلى الهادى عليه السلام شروطا ، منها الولاية ، فلم يجبه الهادى إلى ما طلب ، حتى يعرف ما عنده من خلوص الموالاة وصحة التوبة . ولما وصل أصحاب أبى العتاهية مع أخيه إلى حضرة الإمام عليه السلام بايعوه .

وبلغ الهادى عليه السلام عن أهل العُصيمات[1] أمور من المقبحات ، والحركات المستهجنات ، والخلال التى يأباها أهل المروءات الظاهرات. من ذلك أن الضيف قد ينزل بأحدهم فيكرمه بما يمكنه من القرى[2] ، ثم يأتيه ببعض محارمه وقد تزينت بأنواع الزينة ، فتقعد عنده عامة يومه فيتمتع بالنظر إليها وبمحادثتها ومداعبتها ؛ ويعدون ذلك من كمال الضيافة ! أُفٍّ لهم ولما يصنعون !! وحين سمع الهادى عليه السلام ذلك عنهم قال « إن جهاد هؤلاء أهم من غيره » . ونهض إلى حُوْث[3] وبادر بطلابهم ، فوصل إليه جماعة من مشايخهم ، فتوعدهم ، وأنكر عليهم فِعلهم ، فقالوا له : « إن الذى بلغك عنا غير صحيح ، ونحن تائبون » . ثم بايعوه واستحلفهم .

ثم رجع إلى أثافث وأصلح بين بنى ربيعة والسبيع فى قبول ودخول . وكان الدّعام حينئذ فى بلد بنى سليمان ، وهم مع ذلك خائفون من الهادى بسبب ما تقدم منهم فى أثافث ، فأرسل الهادى إلى الدّعام والتقوا إلى عَيَّان بلد بنى سليمان ، فطلب لهم الدعام الأمان من الهادى ، فأمنهم وعهّدهم على الطاعة . ثم سار إلى نجران وسار الدعام معه ، وأصلح فى طريقه بين بنى سليمان وخولان فى قتيلين من خولان ، وأصلح بعض خلل فى نجران . ثم عاد إلى صعدة فأقام فيها أياما ، ثم خرج إلى خيوان لإصلاح خلل وقع فيه .

وتحركت بنو الحرث بنجران للفساد على الهادى ، فبعث إليهم أخاه عبد الله ابن الحسين ، فاجتمعوا عليه فقاتلهم ، ثم خرج عنهم واستقر فى مُشَاَش ؛ وكتب

---

(١) عصيمة : بطن من هوزان من العدنانية ، وهم بنو عصـــمة بن جشم ابن معاوية بن بكر بن هوزان
(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٦٢)

(٢) القرى ، بكسر القاف ، ما أكرم به الضيف من طعام وغيره .

(٣) حوث بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه ، بلد باليمن ، سمى بساكنه حوث ابن السبيع من همدان ، ومن ولده الحوثان بالكوفة . وفى حوث كان مقام نشوان ابن سعيد الحميرى صاحب كتاب « منتخبات فى أخبار اليمن » وكتاب « شمس العلوم » .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٢٩)

إلى الإمام فسار إليه من خيوان ، وترك فيه ولده محمداً وجماعة من أصحاب أبى العتاهية . ولما وصل نجران أوقع بأهلها وهرب قائدهم ابن بسطام إلى شاكر ، ثم اجتمع أهل نجران وقصدوا الهادى ، فقاتلهم وقتل منهم جماعة ، وفرّ الباقون إلى جبل الأخدود[1]. وأمر الهادى بتعليق القتلى فى الشجر منكسة رءوسهم ، وأقام فى القرية . ولما أنتنوا استوهب أهلهم من الهادى جيفهم ، فوهبها ، فوأدوها فى الحفر والآبار . وقد كان الهادى عليه السلام وعد بذلك قبل وقوعه ، وكتب إلى ولده محمد وإلى أبى العتاهية بما منّ الله به عليه من النصر على عدوه . وأقام بنجران شهرين ، ثم رجع إلى صعدة ، واستخلف على نجران محمد بن عبد الله العلوى .

ودخلت سنة — ٢٨٧ —

فيها ثار قوم من خولان للخلاف على الهادى عليه السلام ، وقصدوا المحاربة ، ثم أووا إلى حصون لهم لما تجهز الهادى لحربهم ، فأمر بهدم منازلهم ، وقطع أعنابهم ، إلا المستضعفين منهم . ولما لقوه للحرب هزمهم ، وقتل منهم جماعة ، ثم طلبوا منه الأمان فأمنهم إلاّ ابن عباد فلم يؤمنه ، فسار إلى العراق يستعين بالمسودة ، فلم يُجب بعد أن لبث فى العراق سنة ، ثم عاد ذليلا حقيراً .

ودخلت سنة — ٢٨٨ —

فى المحرم منها طلب الهادى عليه السلام عسكراً من عامله بنجران كثيف ، واجتمع إليه من خولان عصابة وافرة ، وخرج يريد خيوان ، وترك فى صعدة أحمد بن محمد ، وهو رجل من ولد العباس بن على عليه السلام ، نائباً عليها . ولقاه الدعام بن إبراهيم

(١) ذكر الهمدانى ان بلد الأخدود فى خولان (صفة جزيرة العرب ص ٦٧) وقال الحميرى ان المقصود بقوله تعالى « قتل أصحاب الأخدود » أخدود بنجران ، خده الملك ذو نواس الحميرى واحرق فيه نصارى نجران لأنه كان على دين اليهود . (منتخبات فى اخبار اليمن ، ص ٣١) .

إلى العَمَشيّة[١] فى جمع من بَكيل . ولما وصل الهادى عليه السلام إلى بلد بهمدان يقال لها الحائرة ، وكان بعض سفهائهم قد تعرض للحجاج فى طريقهم ، فأمر الهادى عليه السلام بإيصالهم إلى حضرته ، فلما وصلوا أمر بأن يوثقوا ، وسار بهم إلى خيوان تحت الحفظ .

ثم سار إلى رَيْدة[٢] ، فاستبشر أهل تلك الجهة بوصوله ، لما يسمعون من عدله ، ولما قد قاسوه من الجور والشدة ، فطرح عنهم ما كان يؤخذ منهم بغير حق ، وأمر الناس بالتأهب للمسير معه ، وأظهر لهم أن أبا العتاهية قد سلم إليه البلاد التى كانت فى يد الدعام. ثم نهض إلى محل يقال له حِدقان قريب من صنعاء . وكان أبو العتاهية قد جزم بتسليم الأمر للهادى عليه السلام ، توفيقاً له من الله تعالى ، ولكنه تخوف من بنى عمه آل طريف ، ومن معه من العجم أصحاب جَفْتَم ، وكان كل واحد منهم قد استولى على بلد باليمن ، يضع عليها ما شاء ويتحكم فى أهلها كيف يشاء . ولقد استولى إبراهيم بن خلف على بعض القرى ، فسبى أهلها وأدخل بعضهم إلى مكة ، فباعهم هنالك ، وظهرت فيهم القبائح وشربوا الخمور جهاراً . قال فى سيرة الهادى عليه السلام إن بعض أهل صنعاء حكى أن كان الرجل من أصحاب جَفْتَم ربما حمل المرأة والصبى من السوق للفجور ، ولا يقدر أحد على الانكار عليه . وصادروا الناس وعاملوهم بغير القياس . فلما رأى أبو العتاهية ما يتفق منهم ، كاتب الهادى واستدعاه سراً وجهراً ، وأمدّه .

ولما وصل الهادى إلى حدقان ـ كما ذكرنا ـ ألزم أبو العتاهية أصحاب جَفْتَم بالخروج إلى السِّر[٣] ، وضم إليهم عبد الله بن جراح فى نفر من آل طريف . وأظهر أنه يريد المسير إلى الهادى ، وأنهم يكونوا كميناً له فى السِّر ، حتى يأتيهم أمره ، ففعلوا . ولم يزل يروض نفسه ويدبر مخرجه .

---

(١) العمشية : قرية بواد من بلد خولان

(٢) ريدة : بفتح أوله ، مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء ، ذات عيون وكروم (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) السر : من مخاليف اليمن ومقابله مرسى البحر (ياقوت : معجم البلدان) .

وأما الهادى عليه السلام فإنه عبأ أصحابه ـ وهم سبعمائة نفر ـ منهم مائة وخمسون فارساً. وخرج أبو العتاهية فى نفر من أصحابه . فلما تراءى الجمعان أرسل أبو العتاهية إلى الهادى أن يلقاه فى نفر من أصحابه ، فلقاه في نحو ثلاثين فارساً . ولما قرب أبو العتاهية من الهادى رمى برمحه وكشف عن رأسه ، ونزل عن فرسه ، فترجل له الهادى ؛ فقبل أبو العتاهية يد الهادى وجثى بين يديه وبايعه ، وحلف له على السمع والطاعة ، فأمره الهادى بالقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وصلى الهادى فى غيل حدقان(١) صلاة العصر ، وطلب أبو العتاهية من الهادى المسارعة بالدخول إلى صنعاء ، لما يخشاه من وثوب بنى عمه عليها ، فدخل الهادى إلى صنعاء ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرم ، وأبو العتاهية معه .

ولما بلغ أصحاب جَفْتَم وعبد الله بن جراح دخول الهادى إلى صنعاء ، أقبلوا مسرعين ، وأظهروا من الكراهية لما فعله أبو العتاهية من موالاة الهادى . ولما قربوا من صنعاء قال لهم إبراهيم بن خلف وجماعة ممن كان مع أبى العتاهية فى ظاهر الأمر وعليه فى باطنه « متى اشتغل الناس بصلاة الجمعة أثرتم الفتنة » . فلما رقى الهادى على المنبر أقبل الجماعة ينهبون ويسلبون . وبلغ الهادى خبرهم وهو على المنبر ، فلم يلتفت حتى أتم الخطبة وصلى بالناس ، ثم لبس لامته وتهيأ للقتال وخرج على المخالفين ، فأوقع بينهم ، وقتل منهم ثلاثة نفر ، وأخرجهم من صنعاء . وفى اليوم الثانى أمر الهادى مناديا فى الجند للعطاء وسلم إليه أبو العتاهية جميع ما فى يده ، فقبضه الهادى ، وأراد أن يبقى أبا العتاهية على بعض عمله ، فأبى وقال « إنى لا أريد ذلك يا أمير المؤمنين ، وإنما أكون خادما بين يدك » فشكره الهادى . ثم اعتزل أبو العتاهية فى بعض منازله عند ضيعة له ، ولبس الصوف وتزهد .

وأما الهادى عليه السلام فإنه لما استقر فى صنعاء بعث عماله إلى المخاليف ، ثم سار

---

(١) حدقان : موضع فى وادى الخارد ، احد اودية الجوف باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

إلى شبام[1]، وأبو العتاهية معه ، فبعث العمال إلى بلادها أيضا ، وأوصاهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ودفع عن الناس جميع المظالم ، وأمر أن لا يؤخذ منهم إلا ما أوجب الله عليهم . ثم عاد إلى صنعاء ، واستخلف ولده محمد بن الهادى على شبام فى جماعة من الجند .

ولما وصل صنعاء تهيأ للخروج إلى الجهة اليمانية ، فاستخلف على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين ، وخرج أبو العتاهية معه ، فسار إلى بئر الخولانى[2] ، ثم إلى يَكلى[3] ، ثم ذمار ، فأقام فيها أياما ، ووصل إليه أهل جهاتها فوعظهم وأعلمهم بما يجب عليهم . ثم خرج عنها واستخلف عليها من يقوم بأمورها ، ودار فى بلاد عنس[4] . ثم رجع إلى صنعاء وأرسل لأهله ، ثم خرج إلى شبام ، واستخلف على صنعاء ابن عمه على ابن سليمان ، فأقام فيها أياما . ثم وجه الهادى ولده محمداً إلى بلاد همدان .

ولما ظهر لآل طريف[5] أن عسكر الهادى قد قَلُّوا ، خامرهم الطمع فى رجوع الأمر إليهم ، فخرجوا إلى جبل ذخار[6] . وبلغ الهادى فسار إليهم ، واستخلف جماعة على شبام .

---

(١) شبام ، بكسر أوله ، جبل عظيم بصنعاء ، فيه شجر وعيون ، وشرب صنعاء منه ، وبينها وبينه مسيرة يوم وليلة
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بئر الخولانى : موضع باليمن فيه بؤور .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٤٠)

(٣) يكلى : بلد وقبيلة فى ميزاب اليمن الشرقى ، وهم أعظم أودية المشرق من اليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠) .

(٤) عنس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ، مخلاف باليمن ينسب الى عنس بن مالك .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) طريف : اسم موضع ناحية باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٦) جبل ذخار : جبل كبير فى وادى مور
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨ ، ٧٢)

ولما تحققوا خروجه خلفوه على شبام ، فدخلوها وقصدوا إلى السجن،فأخرجوا من فيه أصحاب جِفْتَم ، فأمر الهادى طائفة من جنده مع أبى العتاهية ومحمد بن الدّعام فنزلوا إلى شبام ، وطردوهم عنها بعد أن قتلوا جماعة ، وعند ذلك خالف ابن محفوظ بصنعاء ، وهجم السجن ، فأخرج منه من يريد ، وطرد عامل الهادى .

وتشوش أهل المخاليف للخلاف ، وخرج جماعة من أهل صنعاء إلى ابن يعفر المحبوس فى ظهر[1] ، فأدخلوه صنعاء ، وأعادوا الخطبة للمعتضد العباسى . فلما علم الهادى بما فعل أهل صنعاء ، عزم على المسير بأهله وأثقاله إلى جهة الظاهر ، وطلب من فى السجن من آل يعفر وآل طريف ، وذكر لهم ما تقدم منهم من استدعائه تبكيتاً عليهم . ولما خرج من شبام همّ به أهلها ، فعطف عليهم ومعه أبو العتاهية ، ففرّق جمعهم ، وقتل من قتل ، ثم سار إلى البوْن ، فعارضه أهله ، فقاتلهم وبات فى رَيْدة ، ثم تقدم إلى بيت زود ، وأمر بأهله إلى درب بنى صَرِيم .

ثم عاد إلى ريْدة ، فقصده قائدان من آل طريف ، وهما أبو زياد وصعصعة ، فى عسكر عظيم . ولم يشعر بهم أحدٌ من أصحاب الهادى حتى هجموا عليهم ، ودخلوا رَيْدة فانهزم بعض أصحاب الهادى، وثبت هو فى بقية أصحابه . ثم خرج عليهم ، وأيده الله بالنصر ، فهزمهم وشتت شملهم ، فالتجأوا إلى قرية تسمى الغَيل ، فتبعهم وقاتلهم قتالا شديداً ، ثم رجع إلى رَيْدة وأرسل برءوس القتلى إلى صَعْدَه . وأتاه أبو العتاهية بعسكر من همدان ، فسار إلى قرية مدَر[2] وأقام فيها أياما . ووصل إليه أخوه عبد الله بن الحسين من الحجاز ، فسارا قاصدين لصنعاء ، فخرج آل يعفر وآل طريف من صنعاء وشبام وظَهَر ، فى خمسمائة فارس وألفى راجل . واجتمع مع الهادى مائة فارس وستمائة راجل ، فلما تلاقوا

---

(١) الظهر : ناحية من بلد حاشد من بلد همدان
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٣)

(٢) مدر : بفتح أوله وثانيه ، قرية باليمن ، على عشرين ميلا من صنعاء
(ياقوت : معجم البلدان) .

عبأ الهادى أصحابه،فجعل أبو العتاهية فى الميسرة والطبريين[1] فى القلب ، وثبت فى الميمنة فى ثلاثين فارسا . والتحم القتال ، وحملت خيل القوم على أبى العتاهية ، فعضده الهادى وأيده الله تعالى بنصره ، فهزم القوم وأصدق فيهم الحملات ، وحكم فيهم السيف ، وقتل رجالا من أعيانهم ، فولوا هاربين ، وتبعهم أبو العتاهية فشردهم فى الشعاب ، وأسر جماعة وأخذ أسلحتهم . وتلاحقت به أصحابه ، فسار بهم حتى دخل صنعاء يوم الجمعة ، وتلا قوله تعالى (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ)[2] الآية . ولما دخل صنعاء خاف منه أهلها لما سبق منهم من إخراج عامله على بن سليمان ، فلم يكشف عن ذلك ، بل أمنهم .

ثم جهّز أبا العتاهية بخيل ورجال إلى غيمان ، وفيه معسكر القوم . فلما قرب منهم خرجوا إليه ، واستعانوا بإبراهيم بن خلف وهو فى بيت بوْس[3] فالتقى الجميع فى موضع يقال له رازقتين ، فاقتتلوا قتالا شديداً . ولما تكاثروا على أبى العتاهية وأصحابه التجأوا

---

(١) الطبريون : جماعة من الزيدية باليمن ينسبون الى طبرستان . وقد ذكر الاستاذ أحمد أمين (ضحى الاسلام ، ج ٣ ص ٢٧٥) أن أتباع زيد زعيم الزيدية ظلوا يعملون من بعده « حتى نجحوا فى بعض البقاع كطبرستان واليمن » ، مما يشير الى وجود رابطة بين طبرستان واليمن فى ظل المذهب . كذلك ذكر أبو سعيد (كتاب الأنساب ورقة ٣٦٦) أن الطبرى بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة بعدها راء نسبة الى طبرستان ، وقد خرج منها جماعة ، من العلماء والفقهاء والمحدثين ، منهم اسحق بن ابراهيم الطبرى ، وهو « شيخ سكن اليمن » .

وذكر القلقشندى فى صبح الأعشى أن الزيدية فرقة من فرق الشيعة ، وهم القائلون بامامة زيد بن الحسين السبط«ولهم امام باق باليمن»وهو يقولون ان النص الأذان بدل الحيعلتين (حى على الصلاة ، حى على الفلاح)«حى على خير العمل»يقولونها فى آذانهم مرتين بدلا من الحيعلتين (صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٢٢٧) .

أما عن نزوح الطبريين الى اليمن فيقول القلقشندى عن أئمة الزيدية باليمن « وهم من بقايا الحسنيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان . وقد كان سلفهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يطيح وراءها ويشمت بها أعداءها . وهذه البقية الآن بصنعاء وبلاد حضرموت وما ولاها من بلاد اليمن » .

(صبح الأعشى ، ٧ ص ٣٣٢ ، نقلا عن العمرى : التعريف)

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٤٩ .

(٣) بيت بوس ، بسكون الواو ، قرية قرب صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

إلى نُقُم[1] ، وأرسلوا إلى الهادى ، فخرج بنفسه إلى عَلَب[2] ، وباشر القوم بالقتال فهزمهم ، وقتل جماعة من أعيانهم . ولم يزل يتبعهم إلى محل يعرف بالجور بالقرب من بيت بوس ، فاشتد هنالك القتال ، وكَلف الأبطال ، ثم رجع الهادى بأصحابه نحو صنعاء . فلما توسط القاع تبعه القوم ، فعطف عليهم وقتل منهم جماعة ، ودخل صنعاء . فاجتمعوا بعد ذلك إلى سفح نُقُم ، ووصل إليهم مَن هو على رأيهم ، وكثر عددهم حتى بلغوا إلى اثنى عشر ألفا ما بين فارس وراجل ، فخرج إليهم الهادى فى خمسمائة ، وتدانوا للقتال ، فحمل عليهم حملات صادقة ، حتى أزالهم عن مصافهم ، ووقع السيف فيهم ، وقتل منهم طائفة ، واستشهد من أصحاب الهادى جماعة من الطبريين ، رحمهم الله تعالى . وثبت بعض الأعداد فى نُقُم وبعضهم فى بيت بوس ، ورجع الهادى إلى صنعاء .

وبعد مدة يسيرة عاد القوم إلى الاجتماع من كل ناحية ، وقصدوا مواضع الحرب الأول . ودخلت طائفة منهم إلى درب القطيع ، فوجه إليهم الهادى ولده محمداً فى طائفة من عسكره ، وأمر طائفة أخرى بالخروج من درب الجبّانة ، وخرج هو بنفسه فى أثرهم . وتلاحم القتال ، فهزمهم الهادى من القرية هزيمة فاضحة ، حتى ألجأهم إلى نُقُم . ودام القتال إلى قريب الليل ، وقتل منهم جماعة ، ورجع كل إلى موضعه . وانقطع القتال بقية شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفى يوم عيد الإفطار خرج الهادى من صنعاء إلى المصلى ، فطمع فيها العدو ، وأقبلت خيولهم إلى باب صنعاء ، فخرج إليهم أبو العتاهية فطردهم . وخرج الهادى يوم الجمعة ثانى عيد الإفطار بجميع عسكره ، وأمر طائفة منهم إلى جبل نُقُم لمحاربة من فيه ، فقاتلوهم

---

(١) نقم : بضم أوله وآخره وفتح القاف ، جبل مطل على صنعاء قرب غمدان (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) عَلَب : اسم موضع باليمن ، وحمر العلب جنوب صنعاء .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٨٣) .

حتى انهزموا عن نقم ، وقتل منهم جماعة ، وأسر آخرون ، ونهب ما معهم . وسار الهادى بخيله وبقية رجاله إلى عَلَب ، فقاتل من هناك من محطة بيت بوس ، وعاد إلى صنعاء . وفى يوم الاثنين الخامس من شهر شوال أمر الهادى أبا العتاهية أن يخرج بالعسكر إلى قلعة عَلَب ، فخرج وبات فيها . وفى اليوم الثانى أقبلت طائفة من خيل القوم لمحاربة أصحاب الهادى ، فنزل إليهم أبو العتاهية ، فقتل منهم وهزمهم فالتجأوا إلى ظبر حَدّين[1] فبعث أبو العتاهية رسولا إلى الهادى يخبره بذلك ، فخرج الهادى بجميع عسكره وهبط أبو العتاهية من القلعة بمن عنده . وزحف الجميع إلى القوم بعد أن عبّأ الهادى أصحابه ، وحمل على ميسرة العدو فكشفهم ، وقتل جماعة منهم . وولوا منهزمين ، فتبعهم على بن سليمان حتى أوغل ، فوقعت فيه جراحات ، وحمل أبو العتاهية فاستنقذه وحمله على جواده إلى صنعاء ، فمات فيها شهيداً حميداً ، رحمة الله . وفى خلال ذلك رُمى أبو العتاهية بسهم مات منه شهيداً ، رحمه الله تعالى . وفى ذلك المصاف عطف الأعداء على الخيل المقابلة لهم فى ميسرة أصحاب الهادى ، فقتلوا شريفاً من ولد الحسين بن على ـ عليه السلام ـ وثبتوا فى الظبر إلى أن جُن الليل ، ثم رجع كل إلى موضعه ، وأقام الهادى فى صنعاء .

ثم إن آل يعفر وآل طريف ساروا من شبام إلى عَضُدان ، وأقاموا فيه أياماً بعسكرهم ، ثم تقدموا إلى ميدان صنعاء ، وخرج إليهم الهادى فهزمهم إلى معسكرهم . ووصل الربيع ابن الرؤبة ممداً للهادى . وجاءت القوم مادة أيضاً من خيل ورجال ، فزحف القوم إلى نُقَم ، فأخرج الهادى جماعة من عسكره إلى درب الجبانة ، وخرج بنفسه من درب القطيع ، وخرج منهم من كان فى القرية ، فتلازم القتال ، واشتد النزال إلى العشاء . وقتل من الأعداء طائفة ، ورجع كل منهم إلى موضعه .

---

(١) ذكر الهمدانى أن الظبر جبل قريب من صنعاء ، وذكر الويسى أن جبال حدين تقع جنوب صنعاء على بعد سبعة كيلومترات . ومن هذا يبدو أن ظبر حدين المذكورة فى المتن موضع أو جبل قرب صنعاء الى الجنوب منها .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٩٥ ، الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٧٨)

وأقام الهادى إلى شهر الحجة من هذه السنة . ثم بلغه أن آل يعفر قد حشدوا الجموع من جميع المخاليف ، وأوهموا الناس أنهم قد صالحوا الهادى على أنه يترك لهم صنعاء ، وأنه يستقر فى همدان ، فاجتمع لهم نحو عشرين ألفاً . فلما قربوا من صنعاء قدّموا جيشاً كثيراً إلى السِّرَار ، فخرج الهادى وقد عبّأ أصحابه تعبئة الحرب ، وأمر طائفة بمقاتلة من فى السِّرَار[1] فهزمهم إلى أن رجعوا إلى حيث جاءوا . وتبعهم الهادى فى الأثر ، وتلازم القتال وحمى الوطيس ، فانهزمت عساكر الأعداء إلى الظّبر . وكان يوماً مشهوداً ، ومقاماً فى الإسلام محموداً . وعاد الهادى إلى صنعاء وتعقّبت حروب فى حَدّة[2] وبيت بوس ، ووقع فى الأعداء النكال والبؤس .

ودخلت سنة — ٢٨٩ —

فيها انتشرت القرامطة فى سواد الكوفة ، واستفحل هنالك أمرهم ، فتوجهت إليهم جنود المعتضد العباسى ، ووقعت حروب شديدة قتل فيها قائد من قواد القرامطة ، وهو ابن أبى الفوارس. ومازالت فتنة القرامطة قائمة فى كثير من أقطار الإسلام ، هلك فيها أمم لاتحيط بحصرها الأقلام ، و تضعضعت أركان الدين ، حتى شارفت على الإنهدام، ضاعف الله لمن أثارها أنواع النكال ، والخزى الدّايم والوبال . ولقد دامت مدة من الزمان تزيد على ثلثمائة سنة ، وكان انقطاعها من مصر على يدى السلطان صلاح الدين بن أيوب رحمه الله[3] ؛

(١) السرار : بكسر السين وتشديدها ، وادى صنعاء الذى يشتقها ويجرى اذا جاءت الأمطار ، ويصب فى سفوان ، فيكون كالبحيرة .
(ياقوت : معجم البلدان ، البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٧٠٢) .

(٢) حدة : بالفتح ثم التشديد ، حصن باليمن من أعمال الحبية وهى من أعمال حب (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) جاء فى هامش المخطوطة أمام هذا الكلام ما نصه : « أشار المصنف رحمه الله تعالى الى أن العبيديين القائمين بمصر كانوا ممن يرمى بالقرامطة ، وللناس فيهم اقوال كثيرة ، منهم المادح ومنهم القادح ، والله أعلم بالحقائق واليه المصير » .

والواقع ان نسبة العبيديين — سلالة عبيد الله المهدى وهم الفاطميون — الى القرامطة أو العكس ، نسبة خاطئة ليس لها سند فى التاريخ . وربما نادى بهذه النسبة أعداء الفاطميين لتشويه سمعتهم من ناحية واظهار عدم انتمائهم الى على وفاطمة رضى الله عنهما من ناحية اخرى .

ومن اليمن على أيدى الأئمة القائمين من أهل البيت عليهم السلام . ولا بد من الإشارة إلى طرف من أحوالهم وظهورهم فى قطر اليمن فى أثناء هذا الكتاب إن شاء الله .

وفى هذه السنة مات المعتضد العباسى وقام بعده المكتفى ، فأمر برد الدور والضياع التى شُريت من أربابها على جهة الغصْب أيام المعتضد وسوغ أثمانها لأهلها .

وفيها وصلت مادّة من الطبريين للهادى عليه السلام .

وفى شهر صفر من هذه السنة أمر الهادى أخاه عبد الله أن يخرج إلى موضع يقال له صيل(١) فأقام فيه أياماً حتى أردفه الهادى بجيش آخر إلى ضبوة(٢) ، وكان فيها جماعة من الأعداء ، فهجم عليهم وقتل منهم جماعة وأخذ أموالا . ثم خرجت القوم من بيت بوْس بخيلهم ،فحصلت بينهم وبين أصحاب الهادى الذين فى ضبوة محاربة شديدة ، قتل فيها الشريف أبو القسم من أولاد جعفر بن أبى طالب .

وأقبل الهادى بجموعه فهزمهم إلى حصنهم . ورجع أوائل أصحاب الهادى إلى صنعاء ، فأغارت القوم على أواخر عسكر الهادى ، فعطف عليهم بنفسه ، وبمن بقى معه من أصحابه ، ورُمى فرسه حتى سقط وجرح فى رأسه ، وغشى عليه ، فتبادره القوم ليقتلوه ، فعطف عليهم ولده محمد ، وقتل منهم عدة ، وثبت رجال من الطبريين ، فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا عن آخرهم ، رحمهم الله تعالى . وصاح صائح : «قتل الهادى» ، فعطف جماعة من أصحابه فاستنقذوه وأركبوه على فرسه ، وسار ولده محمد من ورائه ورجال من أصحابه يقاتلون فى الميمنة والميسرة ، فوقف الهادى ودعا برجال من أصحابه يعرف

---

(١) كذا فى الأصل . ويبدو أن الناسخ أدرك أن ثمة تحريفا فى رسم اللفظ ، لأنه كتب فوقه بخط واضح « كذا » . كذلك ورد اللفظ غير منقوط وبنفس الرسم فى كتاب أنباء الزمن للمؤلف . ويفهم من المتن أن صيل من جهة بلاد تنعم بالقرب من البون .

(٢) ضبوة : قرية من ضواحى صنعاء الجنوبية
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٨٣) .

بثباتهم فى مواطن القتال ، فثبتوا معه ، وتردد على القوم حتى حال بينهم وبين أصحابه . وسار فى أعقابهم وقد غشاه الدم من الجرح الذى أصابه حتى دخل صنعاء ، فعارضه ألم شديد حتى هُتف بموته ، ثم شفاه الله تعالى ، لما يعلمه من المصلحة العامة للمسلمين ببقائه . وبعد أيام بعث الهادى جماعة من أصحابه إلى ظِلَع لمحاربة من فيه من أعداء الدين ، فوقع هنالك قتال ، كانت الدائرة على الأعداء ، وقتل منهم جماعة ، واجتُزت رءوسهم . ثم خرج عبد الله بن الحسين إلى ظهر[1] فأوقع بمن فيه من المفسدين فى وادى عُشر[2]، ثم رجع .

وبلغ الهادى أن جماعة فى الرّحبة قاطعون السبيل ، فأرسل عليهم طائفة من عسكره ، وخرجت مادّة من بيت بوْس لحربهم ، فثبت أصحاب الهادى وأصدقوا القتال حتى انهزم الأعداء إلى تَنْعُم[3] .

وفى خلال هذا حصل حرب فى ضِبْوَة ، فأمر الهادى أخاه وولده بالخروج إلى حدّه وسنع[4] ، فاجتمع القوم من مواضعهم ، ووقع القتال فهزمهم جند الهادى وقتلوا منهم طائفة ، ثم وقع حرب آخر فيما بين ابن الرّوْبة — من أصحاب الهادى — وبين أهل بيت بوْس ، انهزم فيه ابن الرّوْبة .

وكان الهادى يومئذ فى أثناء المرض ، وقد نفدت النفقة على أصحابه ، فطلب من

---

(١) لم نعثر على ظلع وظهر فيما تحت أيدينا من مراجع ، ونرجح أنهما ضلع وضهر بالضاد ، وانما كتبتا بالظاء على طريقة أهل اليمن فى بعض ألفاظهم . قال الهمدانى ان ضلع قرية فى مخلاف مأذن ، وأن « ضهر وضلع هما جنتا اليمن من حد مأذن » .
(صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧) .

(٢) وادى عشر : وادى فى بلد حاشد من همدان قرب صنعاء
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١١ ، ١١٦)

(٣) ذكر ياقوت أن تنعم وتنعمة قريتان من أعمال صنعاء
(معجم البلدان)

(٤) سنع ، بلد جنوبى صنعاء
(الويسى : اليمن الكبرى ص ١٧٢)

أهل صنعاء فرضة فلم يعطوه شيئاً ، فضاق به الحال ، وعزم على الارتحال ، ثم خرج بأصحابه من صنعاء . ولما وصل وَرْوَر لقاه الدّعام ؛ فسأله الهادى الإغاثة ، وأن يخرج بعسكره وعشائره ، فيقاتل القوم ، فاعتل عليه . وسار الهادى إلى صعدة ، فدخلها فى شهر جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفى هذه السنة أيضاً خرج أحمد بن عبد الله بن عبّاد من اليمن إلى العراق ، قاصداً للمعتضد العباسى ، ومستنجداً به على الهادى ، فوجد المعتضد قد مات وبويع للمكتفى ، فعرفه بمراده ، فأمر المكتفى بتجهيز الجيوش العظيمة مع أحمد بن عبد الله المذكور ، فورد خلال ذلك كتاب أبى مزاحم عُجّ بن ساج عامل الحرمين ، يخبر أن الهادى قد خرج من صنعاء ، ففتر عزم المكتفى عن ذلك التجهيز إلى اليمن ، واشتغل بحرب القرامطة فى الشام ، وكان بها أبو القسم القرمطى ، أحد دعاة عُبيد الله للمهدى صاحب الغَرب .

وقد كان استفحل أمر هذا القرمطى فى جهة الشام ، وهزم الجيوش ، واستولى على عدة مواضع ، وحاصر دمشق ، ومال إليه عالم من الناس ، ودخلوا فى مذهبه المخالف للقياس . وفى أثناء تلك الحروب قتل القرمطى لعنه الله ، فأقام القرامطة بعده أخاه أبا الحسين ، فعاود الحصار على دمشق ، وخرج إلى حمص ، ووجه طوائف من عسكره إلى بعلبك ، فأبادوا أهلها ؛ فحينئذ نهض المكتفى العباسى بنفسه من مدينة السّلام ، وقدّم أبا الأغر أمامه ، فنزل بظاهر حلب . وأقبل المكتفى فى الأثر ووقعت حروب فى تلك الناحية ، انكشفت عن قتل القرامطة والظفر بقائدهم . ولما رجع المكتفى إلى بغداد ضرب عنق أبى الحسن القرمطى .

ودخلت سنة — ٢٩٠ —

فى المحرم وقع بعض فساد فى جهات صعدة ، فأرسل عليهم الهادى ، ووقع طرف

قتال ، فاستولى أصحاب الهادى على حصن عَلاَف[1] ، وقطعوا أعناب أهله ، وأخربوا منازلهم ، ثم طلبوا الأمان من الهادى ، فأمنهم . ثم حصل بعض اختلال فى وايله[2] فسار الهادى إليهم بنفسه ، ودخل كناف — وهو موضع المفسدين — فنهب عسكره ما وجدوه ، وقطعوا أعنابهم . ثم سار الهادى إلى موضع يقال له المِطْلاع ، ففعل به كذلك، وأقبلت إليه وايلة ، فطلبوا منه الأمان فأمنهم ، وأخذ جماعة من أشرارهم ، وعاد إلى صعدة .

وفى هذه المدة وقع اختلاف بين آل يعفر ومواليهم ، فكتب إبنا يعفر إلى الدعام ابن إبراهيم يطلبان منه أن يكتب إلى الهادى ، ويستنهضه للوصول إليهم ، على أن يسلما إليه ما فى أيديهما ، ويحاربا معه الموالى . فكتب الدعام إلى الهادى بما قالا ، غير أنه ذكر للهادى عدم وفاء الناس . ولما تتابعت الكتب إلى الدعام ، أزمع على المسير بنفسه إلى الهادى ، ثم هيأه على النهوض إلى اليمن . فسار الهادى من صعدة يوم الأحد ثالث شهر جمادى الأولى ،فنزل بخيوان ، ثم سار إلى رَيْدة ، ولقاه إبنا يعفر إلى البوْن . ووقع حرب بين الهادى وبين ابن خلف بنواحى صليل[3] ، ثم سار الهادى إلى مَطَرَة[4] ثم نهض إلى مَدَر ، فاستأذن بعض عسكره من أهل خولان وهمدان ونجران بالعود ، فلم يبق معه إلا القليل .

---

(١) وادى علاف فى مخلاف صعدة من بلد خولان ، وصف الهمدانى هذا الوادى بقوله « وعلاف خير اودية خولان ، اكرمها كرما ، واكثرها خيرا وزرعا واعنابا وماشية ، وهو لبنى كليب »
(صفة جزيرة العرب ، ص ١١٤)

(٢) وايلة : بطن من همدان من بكيل من ولد وايلة بن شاكر بن ربيعة ابن مالك ، موطنهم شرق صعدة .
(حسين الويسى : اليمن الكبرى ص ١٩٦)

(٣) صليل : قبيلة باليمن ، سميت الارض النازلة فيها باسمها
(أحمد فخرى ، ماضيها وحاضرها ، ص ٣٣) .

(٤) مطرة بفتح أوله وكسر ثانيه . موضع به « أودية عظام فيها الزروع والعنوب والرمان » . وكلها تنقلب الى الخارد احد أودية الجوف الكبار باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨١ ، ١٠٩)

فلما بلغ آل طريف رجوع أصحابه إلى بلادهم ، نهضوا إلى الهادى فى عسكر كثير حتى نزلوا بالقرب منه ، فنهض إلى محل يسمى لبوه[1] ، ثم استدعى همدان حمير فلم يجبه أحد ، ومالوا إلى آل طريف . فوقع حرب شديد أول يوم من رجب ، قتل فيه كثير من أصحاب الهادى ، وأسر ولده محمد وغيره ، ودخلوا به إلى صنعاء على بغلة ، وطافوا به فى الأسواق . وسار الهادى إلى وَرَوَر .

وجاء الخبر بقدوم جَفْتَم إلى اليمن تارةً أخرى ، فوصل فى شوال من هذه السنة ، ومكث فى أرتُل[2] من بلاد سِنحان[3] قدر ستة أيام يترقب الدخول إلى صنعاء ، فلم يؤذن له ، بل خرج إليه من فيها فأسروه وولده وابن أخيه ، وسجنوهم فى بيت بوْس ، وقُتل كثير من أصحابه . ثم دخلوا به صنعاء ، فأراد أصحابه القيام معه ، فناجزهم أسعد ابن أبى يعفر وابن عمه عثمان ، وقتلوا جَفْتَم ، ومال الناس إلى آل يعفر . وأما محمد ابن الهادى فإنه اعتقل فى بيت بوْس ، ثم نقل إلى شبام ، ثم أطلق بعد ذلك بأيام .

وفى هذه السنة كان موت المعتضد العباسى ، وقام بالأمر بعده ولده على ، الملقب بالمكتفى . وقد تقدم ذكر طرف إلى ما جرى بينه وبين القرامطة ؛ فاستعمل على اليمن نجح بن نجاح ، فوردت كتبه إلى آل يعفر بالنيابة منه على اليمن .

وفيها أيضاً مات إبراهيم بن محمد بن زياد صاحب زبيد ، وقام بعده ولده إسحق الملقب بأبى الجيش ، وطالت مدته فى الولاية نحو ثمانين سنة ، حتى تشعبت عليه أطراف بلاده ، وخالف عليه كثير ممن كان يعتزى إليه فى ظاهر الأمر ، مثل أسعد بن أبى يعفر صاحب صنعاء وغيره . ومع ذلك فإنهم كانوا يخطبون له ، ويضربون السكة باسمه . وممن

---

(١) ذكر الهمدانى موضعا باسم لبو فى مخلاف ذى رعين باليمن .
(صفة جزيرة العرب ص ١٠١) .

(٢) أرتل بضم التاء ، حصن أو قرية باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) سنحان ، بكسر أوله ، مخلاف باليمن فيه قرى وحصون .
(ياقوت : معجم البلدان) .

امتنع عليه الأمير سليمان بن طريف صاحب عَثَّر[1] ، وكانت بلاده واسعة ، مسيرة سبعة أيام طولا فى عرض يومين ، إذ حدّها من الشَّرجة[2] إلى حَلْى[3] . وكان مبلغ ارتفاعها فى السنة خمسمائة ألف دينار عثَرية . وبقى فى يده ـ أى فى يد ابن زياد ـ من البلاد من شرجة حرض إلى عدن طولا ، ومن غلافقة[4] إلى طرف أعمال صنعاء عرضاً . وسيأتى تاريخ وفاته إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة اشتد القحط فى اليمن ، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، ومات خلق كثير ، وخربت عدة قرى .

قال الهمدانى : إن آل أبى جيش فَنُوا فى حطمة[5] التسعين ومأتين ، فى اليمن ، بعد أن نفدت أموالهم ، وبذلوا وجوههم للمسألة ، فقعدوا فى بيوتهم ، وأغلقوا أبوابهم حتى ماتوا ، ولم يبق منهم غير طفلة صغيرة أخذها بعض بنى الأزهر بن عبد الرحمن وتزوجت فيهم ؛ فسبحان القاهر بالموت .

ودخلت سنة — ٢٩١ —

فيها أُطلق محمد بن الهادى من سجن شبام ، فلحق بأبيه فى صعدة .

---

(١) عثر : بفتح أوله وتشديد الثاء وفتحها ، بلد باليمن من أعمال زبيد .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) الشرجة : بفتح أوله ، موضع من أوائل أرض اليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) حلى : بالفتح ثم السكون ، مدينة باليمن على ساحل البحر ، بينها وبين مكة ثمانية أيام (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) غلافقة : بالفتح ، بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد ، وهى مرسى زبيد ، بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلا .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) الحطم : الكسر فى أى وجه كان ، والحطيم من نبات عام ، والحاطوم السنة الشديدة لأنها تحطم كل شىء ، وأصابتهم حطمة أى شدة وجدب . وفى حديث جعفر كنا نخرج سنة الحطمة ، أى سنة الشدة الجدب ..
(لسان العرب ، فصل الحاء حرف الميم) .

وفى هذه السنة استمر القحط إلى آخرها .

وفيها بعث ميمون القداح[1] دُعاة ولده عبيد الله المهدى إلى اليمن ، وهما على بن الفضل الحميرى ومنصور بن حسن الكوفى ، وهما على مذهب الاثنى عشرية . ولخروجهما إلى اليمن سيرة مسطورة ذكرها أصحاب التواريخ مستوفاة ، وإنما نشير إلى اليسير منها ، فيما ذكره صاحب بهجة الزمن فى أخبار اليمن[2] : إن على بن الفضل حج ثم توجه لزيارة قبر مولانا الحسين بن على عليهما السلام ، فبكى عنده وترحم عليه ، وأظهر الأسف العظيم ؛ فتفرس فيه القداح ـ وكان منجما فلكياً ـ فظهر له من ابن فضل ومنصور بن حسن مخايل الشهامة ، فأطلعهما على سره ، وعرفهما حقيقة أمره ، وأوهمهما أن المهدى ولده[3] ، وأن نسبه يتصل بأمير المؤمنين على عليه السلام ، وأن لولده شأنا عظيما . ورغّبهما فى القيام بأمر الدعوة ، واستمالة قلوب الناس . فوجدهما قابلين لقوله ، فأخذ عليهما العهود الوثيقة وعرفهما حقيقة مذهبه ، ثم أمرهما بالمسير إلى اليمن . وكان فيما قاله لهما « إن الكعبة المشرفة يمانية ، وكل أمر مبدؤه منها » وحرضهما على التعاضد وعدم الاختلاف . ثم سارا إلى اليمن ، فلما وصلا بندر البقعة[4] افترقا ، فقصد ابن فضل بلاد يافع[5] ، وقصد منصور بن

---

(١) ميمون القداح ، هو أول من اتخذه الأئمة الاسماعيلية المستورون نائبا وحجة لهم . وقد جعله محمد الصادق حجابا وسترا على حفيده محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين ، وتروى المصادر أنه كان راوية للامام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأنه كان مولى لهما ، كما ينسب أحيانا الى عقيل بن أبى طالب .
(حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدى ، ص ٤٧)

(٢) صاحب هذا الكتاب هو الشيخ ضياء الدين عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد المجيد (كشف الظنون ، ج ١ ص ١٥٩)

(٣) لعل فى عبارة « وأوهمهما أن المهدى ولده » دليل على عدم اعتقاد الكاتب فى نسبة عبيد الله المهدى الى ميمون القداح ، وهى النسبة التى أريد بها ربط الفاطميين أو العبيديين بالقرامطة ، واثبات أنهم ليسوا من نسل على وفاطمة رضى الله عنهما .

(٤) البقعة : موضع فى مخلاف بنى عامر باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٣)

(٥) يافع : حى من حمير (الحميرى : منتخبات ص ١١٧) وسمى الموضع باسمهم فقال ياقوت ان يافع موضع باليمن (معجم البلدان) .

حسن عدن لاعة[1] ، وأقام كل منهما فى جهته يظهر الزهد والورع والتقشف ، حتى صار كل واحد منهما مسموع القول فى جهته ، وقصدهم الناس ، وجمعوا لهما الصدقات وعظم شأنهما .

فأما منصور بن حسن فقصد جبل مِسْوَر[2] لاعة ، فحصنه وأحكم غوراته ، واتخذه دار إقامته . ثم جمع الجموع وأغار بهم على أهل تلك الناحية ، حتى أبادهم وأخذ أموالهم ، واستولى على بلادهم . ثم سار إلى بنى شاور فاستولى عليهم أيضاً . ثم نهض إلى شبام كوكبان[3] لمحاربة الحواليين[4] ، فهزموه وقتلوا طائفة من قومه ، فعامل رجلا من مواليهم كان على حصن الظَلِع ، فلما والاه ذلك الرجل نهض من مسور تارة أخرى ، فهزمهم من شبام ، وغنم أموالهم ونقلها إلى مسور . وخالف عليه بعد ذلك الذى والاه وندم على موالاته . ثم خرجت عليه العساكر من صنعاء ، فانهزم من شبام إلى مسور .

وأما على بن الفضل فانه لما قصد بلاد يافع أظهر مثلما أظهر منصور بن حسن من العبادة والزهد ، فافتتن به أهل تلك الناحية ، وهم جهال رعاع لا يعرفون الحقائق ، بل يتبعون كل ناعق ، فانهم ألقوا إليه أزمتهم ، وطلبوا منه النزول من متخلاه إلى محلاتهم ، فلم يجبهم إلى مطلبهم إلاّ بعد شروط شرطها عليهم ، وهى الأمر بالمعروف

---

(١) ذكر ياقوت فى معجم البلدان ما نصه « لاعة مدينة فى جبل صبر من أعمال صنعاء ، والى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة ، وليست عدن أبين الساحلية » ومن هذا يفهم أن عدن لاعة الوارد ذكرها فى المتن قرية داخلية غير ثغر عدن الواقع على البحر .

(٢) مسور : حصن من أعمال صنعاء باليمن (ياقوت)

(٣) شبام كوكبان : موضع غربى صنعاء ، وبينهما مسيرة يوم (ياقوت)

(٤) ذو حوال : ملك من ملوك حمير ، وهو ذو حوال بن يريم بن ذى مقار ، من ولده عامر بن عوسجة ذو حوال الأصغر ، ومن ولده آل يعفر الحواليون ملوك اليمن (الحميرى : منتخبات ، ص ٣٠) فالحواليون هم آل يعفر ملوك اليمن فى القرن الثالث الهجرى ، وكان مقر الدولة اليعفرية شبام كوكبان . انظر أيضا : (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٦٧)

والنهى عن المنكر ، وترك المعاصى ، والإقبال على الطاعة ، فأجابوه. فأخذ عليهم المواثيق ثم أمرهم بعمارة بعض حصون جهاتهم ففعلوا ، ثم ألزمهم أن يغيروا على أطراف البلاد فينهبوا أهلها وأوهمهم أن ذلك من الجهاد فى سبيل الله . وكان فى لحج[1] وأبين[2] رجل من الأصابح[3] يعرف بابن أبى العلا ، فقصده ابن فضل بمن معه، فهزمه ابن أبى العلا، و قتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، ورجع ابن فضل إلى مَهْيب ، فاجتمع إليه المنهزمون من أصحابه . وكان ذا رأى ومكر ، فقال لهم « الرأى أنا نهجم عليهم فانهم قد أمِنوا وتفرقوا » ، فساعدوه . ولم يشعر ابن أبى العلا وهو فى خَنَفَر[4] غافلا ، وقد تفرق أصحابه ، إلا وقد خالطته عساكر ابن فضل فقتلوه ، وطائفة ممن كان عنده ، واستولوا على خزائنه ، وفيها من النقد جملة مستكثرة . ثم رجع ابن فضل إلى يافع ، فعظم شأنه وشاع ذكره . ثم سار إلى المذيخرة[5] وهى قرية فى أعلى بلاد العُدين[6] ، وصاحبها يومئذ جعفر بن أحمد المناخى[7] ، وهو الذى ينسب إليه مِخلاف جعفر ، فلقاه أهل تلك الناحية وقاتلوه ، فانهزم راجعاً إلى يافع .

---

(١) لحج : مخلاف باليمن ، ينسب الى لحج بن وائل بن الغوث الحميرى ، وبه مدينة تعرف باسمه .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) أبين : مخلاف باليمن ، منه عدن ، وقيل موضع فى جبل عدن
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) ذو أصبح ملك من ملوك حمير تنسب اليه السياط الأصبحية ، واسمه الحارث بن مالك بن زيد ، وسمى ذا أصبح لأنه كان غزا عدوا له وأراد أن يبيته فنام دونه حتى أصبح ولم يوقظه أحد من عسكره اجلالا له ، فلما انتبه قال : قد أصبح ، فسمى ذا أصبح . والأصابح هم ولد ذى أصبح ، وأحدهم أصبحى .
(الحميرى : منتخبات ، ص ٥٩) .

(٤) خنفر : مدينة فى مخلاف أبين باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٥) المذيخرة : اسم قلعة حصينة فى رأس جبل صبر ، وهى من أعمال صنعاء وقريبة من عدن (يافوت : معجم البلدان) .

(٦) ذكر ياقوت ان عدينة اسم لربض تعز باليمن .

(٧) ذو مناخ بالخاء ، ملك من ملوك حمير ، اسمه زرعة بن عبد شمس ابن وائل ، والمناخى نسبة اليه . (الحميرى : منتخبات ، ص ١٠٦)

وفى هذه السنة وصلت كتب إلى الهادى من ابراهيم بن على والغطريف الحكمى يطلبان منه الوصول إلى بلادهما على تسليم مافى أيديهما ، وأعطياه على ذلك العهود الغليظة . وتكررت كتبهما بمثل ذلك ، فاستدعى الهادى قبائل خولان ، فسار بهم إلى تهامة ، ونزل بموضع يقال له السور[1] ، ثم تقدم إلى محل يعرف بالعنبرة[2] . ووافاه كتاب الحكمى يستدعيه إلى محل يسمى طرطر[3] ، فسار إليه ولقاه رسل الحكمى بالضيافة وعلف الدواب ، وكان الحكمى قد أخذها من أهل بلده . فلما بلغ الهادى ذلك أرجع لأهل البلد ما أخذ منهم وقال « لا يحل لنا أخذه » وأرجع رسل الحكمى إليه ؛ فتعجب من فعل الهادى ، وندم على ما كان منه من استدعائه ، وانثنى عزمه عن موالاته ، بعد العهود الأكيدة . ثم جمع عسكراً كثيراً وسار بهم لمحاربة الهادى ، فأوقع بهم الهادى وانهزم الحكمى ، فتبعه الهادى وقتل من أصحابه كثيراً .

ودخلت سنة — ٢٩٢ —

فى المحرم منها خرج ابراهيم بن خلف من الكدراء[4] قاصداً جبل ذخار . فلما وصل طرف الجبل لقاه عبد لعدنان صاحب الجبل ، فقتله وهزم أصحابه ، وبعث برأسه إلى مولاه .

وفى هذه السنة حصل التواطؤ فيما بين محمد بن أحمد الأعجم وبين عثمان بن أحمد ، على قبض كوكبان ، فقبضه عثمان ، فتحرك عليه أسعد بن أبى يعفر من صنعاء ، وقدّم

---

(١) ذكر الهمدانى موضعين ، أحدهما سور بنى حارثة فى وادى رخية فى فلاة اليمن ، وسور بنى نعيم فى وادى رخية أيضا بحضرموت
(صفة جزيرة العرب ، ص ٨٤ ، ٨٨)

(٢) العنبرة : قرية بسواحل زبيد باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) طرطر : موضع باليمامة (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٨)

(٤) كدراء : اسم مدينة باليمن فى وادى سهام .
(ياقوت : معجم البلدان) .

أمامه عسكرا ، فصعدوا إلى الجبل من محل يسمى بيت خيام[1] ، وتبعهم أسعد فى الأثر ، فأقام الحصار على كوكبان حتى ظفر به ، وأمّر عثمان بن أحمد ، ولبث فى شبام بعض أيام ثم رجع إلى صنعاء .

وفيها خالف بنو الحرث بنجران على الهادى ، ووقع بينهم وبين عامله هنالك حرب ، فخرج عليهم الهادى من صعدة ، فحاصرهم واستباح عسكره أموالهم ، وقطعوا نخيلهم ، فطلبوا الأمان من الهادى ، فأمنهم ورجع إلى صعدة .

وفيها قصد على بن الفضل المُذَيْخِرة تارة أخرى ، فدخلها وأخذ حصن التَعْكُر[2] فانهزم جعفر المناخى إلى تهامة ، فأمده صاحب زبيد بجيش كثيف ، ورجع يريد استرجاع المُذَيْخِرة ، فحصلت بينه وبين على بن الفضل وقعة كبيرة بوادى نخلة[3] ، فيها قتل جعفر المناخى وابن عمه ابو الفتوح بأكمة خوالة[4] . وقويت شوكة ابن الفضل ، واستولى على بلاد المناخى ، وجعلها مستقر ملكه . ثم نهض إلى بلاد يَحْصِب[5] فدخل مَنْكَث فأخربها ، ثم سار إلى ذمار فوجد جيشاً عظيما فى هِران[6] من أصحاب الحوالى ، فكتب إلى صاحب هِران واستماله حتى والاه .

---

(١) بيت خيام : موضع فى مخلاف أقيان باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧)

(٢) تعكر : قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر ، ليس باليمن أحصن منها .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) وادى نخلة ، أحد أودية السراة باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٥)

(٤) ذكر الهمدانى « حصن خوالة الذى قتل فيه جعفر بن ابراهيم المناخى » ويقع هذا الحصن جنوب وادى نخلة .
(الهمدانى) : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٥) .

(٥) يحصب ، اسم مخلاف باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٦) هران بكسر أوله ، من حصون ذمار باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

فى المحرم منها نهض على بن الفضل من الجَنَد بجموع كثيرة إلى اليمن الأعلى . وكان اليافعى فى ذمار ، فوجه عسكره لمحاربة ابن فضل ، فهزمهم . وقصد اليافعى فهزمه من ذمار إلى صنعاء . ثم تتبعه ابن فضل بجنود لا تطاق ، يقال إنها بلغت إلى أربعين ألفا ، فنزل فى ضبوة ، وخرج إليه أسعد بن أبى يعفر فقاتله قتالا شديداً ، وقتل من أصحابه أربعمائة رجل ، ورجع إلى صنعاء .

ولبث ابن فضل بجنوده القرامطة فى سفح نُقَم ثلاثة أيام ، ثم انتشروا ، فقصدهم ابن أبى يعفر ، فما برحوا من مواضعهم . ورجع ابن أبى يعفر إلى صنعاء ، فقصده ابن فضل ليلا فى خمسة آلاف مقاتل ، فدخل صنعاء من ناحية الشهابيين[1] بسعاية مهلب الشهابى ، فقصد غُمدان[2] والمسجد الجامع ، وذلك فى العاشر من شهر محرم من هذه السنة ، فحاربه أسعد بن أبى يعفر إلى عصر ذلك اليوم ، ثم خرج من صنعاء . وكان يوما عصيبا ، حصل فيه مع أهل صنعاء ما حصل من الخوف والوجل والرعب والفشل ، وخرج منهم من خرج بأهله وأولاده ، واستباح القرامطة صنعاء قتلا وأسراً ونهباً وهُتكت المحارم وفُعلت العظائم .

وأما ابن أبى يعفر فإنه توجه إلى شبِام ، فتحرك عليه القرمطى الذى فى جبل ذخار وحاربه ، فخرج ابن أبى يعفر من شبام بأهله وأثقاله إلى بلاد الدّعام . قلت : انظر إلى عجائب الأيام وفضائل أهل البيت الكرام ! عليهم السلام ! ألم يكن آل يعفر وأحزابهم حاربوا إمام الهدى، وبحر الندى ، الهادى إلى الحق المبين ، يحيى بن الحسين صلوات

---

(١) الشهابيون : هم بنو شهاب بن العاقل بن الأزمع بن خولان بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة .
(الحميرى : منتخبات ، ٥٨) .

(٢) غمدان : بضم أوله وسكون ثانيه ، قصر معروف بصنعاء لم يبن قصر مثله من حيث العظمة ، كان ملوك حمير تسكنه .
(الحميرى : منتخبات ص ٨١ . ياقوت : معجم البلدان)

الله عليه ، وأخرجوه من شبام بأهله ؟ فسلط الله عليهم هذه الفرقة الغويّة القرمطية ، وجزاهم بمثل فعلهم معه فى أقرب مدة .

ولما تمكن ابن فضل من صنعاء لم يحسن فيها صُنعا ، بل أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشئوم ، وارتكب محظورات الشرع ، وادعى النبوة . ورقى منبر جامع صنعاء ، فخطب خطبة منكرة ، صرح فيها بعقيدته الكفرية ، وحمد عليها من تابعه من تلك الفِرق الغويّة . وقد ذكر هذه الخطبة كثير من المؤرخين ، وانما تركناها تنزيهاً لكتابنا هذا عن إيراد كلام هذا المارق اللعين ، وإن كانت شاهدة عليه بالكفر الصريح . غير أن فى أعماله ما يكفى عن التصريح ، ضاعف الله له العذاب فى يوم الجزاء والحساب ؛ فإنه هدم أركان الإسلام ، وبالغ فى دحض الشرائع الواردة عن سيد الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله الكرام . وأباح لتابعيه الخمور ، وإتيان الذكور ، وارتكاب المحرمات ، من نكاح البنات والأمهات ، وأسقط حج بيت الله الحرام . وأتى بدين خالف فيه الشرائع والأحكام . ومن قُبح فعله أنه اتخذ جامع صنعاء اصطبلا للخيل ، بعد تلاوة كتاب الله فيه فى النهار والليل .

ولما بلغ ذلك صاحبه منصور بن حسن ، تجهّز للمسير إليه من مِسْوَر . وحين اجتمع به لامه على فعله بصنعاء ، وكان نهاية لجرأته وفتكه . وكان ابن فضل يوهم أصحابه أن منصور بن حسن من جملة أتباعه وسيف من سيوفه . ولما عزم ابنَ فضل على قصد تُهامة نهاه منصور بن حسن ، وقال له « الرأى التوقف والسكون فى هذه البلاد التى قد استفتحناها ، حتى تمكن اليد » فلم يسعده ، وسار فى ثلاثين ألفا ، وجعل طريقه على بلاد المغارب حتى ورد اللجب[1] من جهات الشرق الأسفل ، فثارت عليه القبائل ، وثبتوا له فى الأماكن الضيقة حتى لم يمكنه التخلص . وبلغ منصور بن حسن ، فشن

---

(١) اللجب فى اللغة هو الصياح والصوت والجلبة وارتفاع الأصوات واختلاطها . واللجب صوت العسكر ، ويقال عسكر لجب عرموم .
(لسان العرب ، فصل اللام حرف الباء) .

الغارة واستنقذه من تلك الجهة ، فرجع إلى صنعاء . وبعد أيام خرج منها غازياً لتهامة ، فجعل طريقه المغارب ، ونال أهلها منه أنواع المصائب ، وكان مروره على جبل مِلْحان ، وتوجه منه إلى الْمَهْجَمَ[1] فقتل صاحبها ، ثم سار إلى الكدراء فأخذها . وتقدم إلى زبيد ، ففر منه إسحق بن إبراهيم بن محمد بن زياد ، فهجم على زبيد ونال منه ما يريد ، وقتل من أهلها وسبى من نسائها أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج عنها راجعا إلى المذَيْخِرة . ولما وصل بعض الطريق ، قال لأصحابه « إن هؤلاء النساء يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة ، فاذبحوا ما فى أيديكم منهن » . فذبحوهن فى ساعة واحدة ، فسمى ذلك الموضع المشاحيط .

ودخلت سنة — ٢٩٤ —

فيها استدعى أهل صنعاء الإمام الهادى عليه السلام من صعدة ، فأجابهم وسار إليهم . ولما وصل صنعاء وجّه ولده محمداً إلى ذمار ومخاليفها ، وبعث العمال ، فقصدته القرامطة ، فعاد إلى حضرة أبيه بصنعاء .

وخرج على الهادى موالى بنى يعفر ، كالحسن بن كنانة وابن جراح ، فحاربوه ونافسوه على صنعاء ، فرجع منها إلى صعدة . ودخل أسعد بن أبى يعفر إلى صنعاء ، فاستقر فيها .

ثم وصل ذو الطوق اليافعى ـ أحد قواد على بن الفضل ـ إلى ذمار ، فخرج منها ابن الرؤبة[2] المذحجى منهزما إلى رداع[3] ، فتبعه ذو الطوق إلى رداع فقتله ، ثم عطف

---

(١) المهم ، بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن ، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) الرؤبة فى الأصل القطعة من الخشب يشعب بها الاناء وجمعها رئاب ، وممن سمى بهذا الاسم رؤبة بن العجاج ، وهو راجز ولغوى مشهور .
(ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤)

(٣) رداع بضم أوله . مخلاف من مخاليف اليمن ، وهو مخلاف خولان بين نجد وحمير . (ياقوت : معجم البلدان) .

على صنعاء ، فاستدعى أهلها الهادى عليه السلام ، وللضرررة أحكام ، سبحان الله ! ماأقلّ وفاء الأنام،وما أحسن سجيّة هذا الإمام!حيث يبالغ فى الذب عن أهل هذه الديار! وقد علم منهم من محاربته والميل إلى عدوه ما يوجب رفع الأمطار! ، لكنه عليه السلام، سلك سبيل سلفه الكرام ، من القيام فى نصرة الدين ، وجهاد الظالمين ، وإحياءسنةجده سيد المرسلين ، وإن جناه أهل الشقاق ، وأعرض عنه مَنْ تمكن فى قلبه النفاق ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل جزاء المحسنين .

ولما حصل الاستدعاء للهادى كما أشرنا إليه ، وجّه على بن جعفر العلوى والدّعام بن إبراهيم فى جماعة من أصحابه ، وأتبعهم ولده محمداً . فلما قربوا من صنعاء خرج عنها القرامطة ، فدخلها محمد بن الهادى وأصحابه ، واستقروا فيها إلى أن أتتهم القرامطة بمالا قبل لهم به . وكان القاصد لهم على بن الفضل وذو الطوق اليافعى . فلما قرب من صنعاء عارضه أسعد بن أبى يعفر ، فقتل من أصحابه ستين رجلا . وتكاثرت عليه جنود ابن فضل ، وأيقن من فى صنعاء بالعجزعن مقاومته ، فخرج منها من خرج ، والتجأ بعضهم إلى دور العلويين.ودخل على بن فضل بجموعه إلى صنعاء فى غرة شهر رجب من هذه السنة فاستباحوها ، وقتلوا من وجدوه فيها ، وعمدوا إلى دور العلويين ، فأخرجوا من فيها من المتجورين ، وقابلوهم بالعذاب المهين . ولبث القرامطة فى صنعاء وجهاتها ثلاث سنين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، حتى رماهم الله بالآلام ، وعاجلهم بالانتقام . فهلك منهم بالموت أمة لا يحصرها العدد ، وتوجه طاغيتهم ابن فضل إلى المُذَيْخرة ببقية أصحابه .

وفى هذه السنة ظهرت القرامطة بنجران ، وتحرك بنو الحرث للخلاف والطغيان ، فقصدهم الهادى وقتل جماعة منهم ، وأسر آخرين ، ورجع إلى صعدة .

وفيها تعرض القرامطة للحاج فى طريق مكة ، وقائدهم زكرويه القرمطى ، فقتلوا عدداً لا يحصى ، واستولوا على جميع مامعهم . وعظمت هذه القضية على المسلمين ، واضطربت لها مملكة الإسلام فى اليمن والشام ، وكثر البكاء والنواح فى أكثر الآفاق .

وبلغ الحال أن نساء القرامطة حملن الماء وطفن بالجرحى المندسين فى القتلى ، فمن طلب منهن الماء قتلنه . ولما بلغ خبر هذه القضية إلى المكتنى عظم عليه، فجهز مولاه وصيفا[1] فى جماعة من القواد ، وعدد كثير من الأجناد ، فلقوهم وقاتلوهم ، وكانت الدائرة على القرامطة وقتل قائدهم الخبيث ، وأراح الله منه البلاد والعباد .

ودخلت سنة — ٢٩٥ —

فيها خالف بنو الحرث بنجران ، وهموا بقتل محمد بن عبيد الله عامل الهادى على بلادهم ، فخرج إليهم الهادى عليه السلام ، فقتلهم ونهب أموالهم ودمر منازلهم ، ورجع إلى صعدة ، وترك عصابة مع عامله المذكور .

ودخلت سنة — ٢٩٦ —

فيها عاد بنو الحرث إلى الخلاف ، وقصدوا دار محمد بن غبيد الله ، فدخلوها وقتلوه وأصحابه جميعاً ، بعد حرب شديدة .

وفيها ظهر أبو سعيد حسن بن مهران الجنّابى[2] القرمطى فى البحرين فى سبعمائة فارس . فبعث إليه المكتنى قائداً من قواده فى تسعة آلاف مقاتل ، فهزمهم القرمطى ، وقتل بعضهم ، وأسر قائدهم ، ودخل إلى سنجار وهو قصبة عُمان . قال الحجورى : بين البحرين وعمان مسيرة عشرة أيام فى الرمل . وخرج إليه بدر المحلى من عمان للمحاربة ، فدس عليه القرمطى خادمين فقتلاه غيلة فى الحمام ، وملك البحرين مدة أيام الفتنة ، نحو سبعة وعشرين سنة ، حتى قتل . وفى هذه السنة مات المكتنى العباسى .

---

(١) اسمه وصيف بن صوارتكين
(ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ص ١٩٦)

(٢) الجنابى : بفتح الجيم ونون مشدودة مفتوحة ، نسبة الى جنابة ، وهى بلدة بالبحرين (ابن خلكان : وفيات الأعيان)

ودخلت سنة — ٢٩٧ —

فيها خرج على بن الفضل من المُذَيْخِرة قاصداً لزبيد ، فدخلها وهزم صاحبها إلى المَهْجَم ، وقتل أهلها وسبي نساءها . ولبث فيها سبعة أيام ثم رجع إلى مستقر طغيانه ، واستخلف عاملا على زبيد ، فرجع صاحبها من المَهْجَم وطرد عامل ابن فضل ، فأعرض عن غزوه فى ذلك الأوان ، وجنح إلى الراحة والعكوف على اللذات ، واستعمال المحرمات والتظاهر بالمقبحات، والأمان من الدواهى والاستخفاف بأوامر الله والنواهى ، فسبحان الرب الكريم ، ما أوسع حلمه عن كل أفاك أثيم ! .

وفى هذه السنة جهز الهادى عليه السلام محمد بن على العباسى إلى صنعاء ، وكتب إلى الدعام أن يسير معه ، فساروا إلى صنعاء فدخلوها ، وأخرجوا عامل القرامطة منها . ولم يلبث عامل الهادي والدعام أن عادا إلى صعدة ، خشية مِن عَوَد القرامطة عليهم . وبعد خروجهما من صنعاء قصدها القرامطة من شِبام . ثم إن أسعد بن أبى يعفر عاد إلى صنعاء ، وتوجه منها إلى شبام لحرب من فيها من هذه الفرقة الطاغية ، فهزمهم ، ودخل شبام . ثم عطف عليه القرامطة من بيت ذخار ، فأخرجوه عنها، وقتلوا عبد القاهر بن أحمد بن أبى يعفر ، وتعقب وصول مادة لأسعد بن أبى يعفر من ذمار ، فعاود الحرب على من فى شبام ، وصعد الجبل ، فهزم من فيه من القرامطة .

وفى هذا الأوان ظهرت دُعاة العبيدى فى جميع الأقطار الإسلامية ، واشتدت الفتنة وتعاظمت المحنة، وكثرت الحروب ونجمت الخطوب .

ودخلت سنة — ٢٩٨ —

فيها مات الإمام الهادى إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن القسم بن إبراهيم صلوات الله عليه . وكانت وفاته فى ذى الحجة آخر هذه السنة ، ودفن فى صعدة . وقام بعده بأمر الإمامة والرياسة العامة ولده الإمام المرتضى محمد بن الهادى عليهما السلام ، بوصية من أبيه . وكان ورعاً زاهداً متقللا ، كثير العبادة مؤثراً للعلم والعمل . وكانت بيعته فى المحرم

من السنة الآتيـة . فـكاتب العمال وقام بحرب القرامطة ؛ وما زال كذلك إلى شهر ذى القعدة من السنة الآتية . ثم جمع وجوه الجند وأعيان الناس، وخطب فيهم خطبة بليغة، عاب عليهم أشياء يكرهها . وعزم على التخلى والاعتزال ، ورفع عماله من خولان وهمدان ونجران ، ولزم منزله . وسار الطبريون إلى بلادهم ، وأقام بعض بنى عمه للنظر بين الناس. وكان أخوه الناصر أحمد بن الهادى غائباً فى بلاد الحجاز ، فقدم بعد ذلك ، فهيأه المرتضى على القيام بأمر الدين وجهاد الظالمين ، وسيأتى ذكر تاريخ قيامه ومبايعته .

وفى هذه السنة قصد على بن الفضل صنعاء ، فدخلها يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان .وخرج أسعد بن أبى يعفر منها إلى قُدُم[1] . ولما رأى على بن الفضل أن أمر اليمن قد اجتمع له ، خلع طاعة عبيد الله المهدى ، وكتب بذلك إلى منصور بن حسن ، فلامه على فعله ، وقال له مامعناه : كيف نخلع طاعة مَن لم نر خيراً إلا ببركة الدعاء إليه ، وقد أعطيناه من العهود ماقد علمته . وكان منصور أبقى الرجلين لزوماً لطاعة العبيدى ، وأقل فتكاً وجراءة من ابن فضل ، وكلاهما ناكب عن الطريق راكب فى سفن التعويق . ولما لم يتم من منصور بن حسن مساعدة ابن فضل إلى مايريد ، سار إليه فى عشرة آلاف مقاتل ، وحصره فى مِسْوَر ثمانية أشهر ، وهلك بينهما عالم . ولم يظفر ابن فضل بمنصور ، فرجع إلى صنعاء . ثم اصطلح ابن فضل وأسعد بن أبى يعفر فولاه صنعاء ، وخطب له ، ولبس البياض ، وقطع ذكر بنى العباس .

ودخلت سنة — ٣٠٠—

فيها اشتعلت نار فتنة القرامطة الأشرار فى جميع الأقطار ، وبعث ابن فضل قائدين من قواده وهما محمد بن درهم الجنابى وحسن بن محمد بن أبى الملاحف الصنعانى إلى مكة المشرفة ، فظفر بهما عُج بن ساج عامل الحرمين الشريفين ، فضربهما بالسياط حتى هلكا

(١) قدم : بضم أوله وثانيه ، مخلاف باليمن ، مقابل قرية مهجرة . (ياقوت : معجم البلدان) .

ثم صلبهما . وكذلك بعث ابن فضل رجلين من دعاته إلى بنى جيش فقتلا .

وفى هذه السنة خرج ابن فضل لغزو زبيد ، ونائبها من قبل ابن زياد رجل يسمى ملاحظا. ولقاه ابن جرّاح ـ أحد الموالين له من الشرق ـ إلى مَوْر[1] ، معيناً له على صاحب زبيد. فلما قرب ابن فضل من زبيد ، خرج عنها ملاحظ إلى المهجم ، ودخلها ابن فضل فلم يجد فيها أحداً . ووقع الحرب فيما بين ملاحظ وابن جرّاح ، فظفر ملاحظ بابن جراح وقتله فى جماعة من أصحابه ، ورجع ابن فضل إلى المذيخرة ، وملاحظ إلى زبيد .

وفيها بعث أسعد بن أبى يعفر أخاه عبد الله إلى ثَات[2] من بلاد رُدَاع ، فقبضها وخرج ابن فضل إلى حُبيش[3] لحرب مَذْحِج ، فقاتله دَارم المذحجي ، ثم اصطلحا على أن القرامطة لا يطأون بلاده .

وفى هذه المائة الثالثة ظهر مذهب الشافعى فى بلاد اليمن ، وكان الداعى إليه فى الجَنَد ومخلاف جعفر ، عمر بن محمد الحواشى السَّكْسُكِي[4] ، وقيل إنه لم يظهر إلا فى المائة الرابعة ، وهو الأقرب ، والله أعلم .

---

(١) مور : بالفتح ثم السكون ، ساحل لقرى اليمن ، وأحد مشارف اليمن الكبار ، وهو من رأس تهامة الأعظم .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) هذا هو الرسم الصحيح للفظ ، وهو مخلاف باليمن
(ياقوت : معجم البلدان) .
أما فى المتن فقد كتبه الناسخ « ثاه »

(٣) حبيش : اسم موضع فى بلاد اليمن قرب تعز .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٤٣١) .

(٤) السكاسك : جمع سكسك . ذكر ياقوت أنه لا يدرى أصل هذا اللفظ ، ورجح أنه علم مرتجل لاسم القبيلة التى نسب اليها . والسكاسك مخلاف باليمن ، وهو آخر مخاليفها ، « وهو السكسك بن أشرس بن ثور ، وهو كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا » .
(ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٣٠١ —

فى المحرم منها قدم الناصر أحمد بن الهادى من الحجاز . وفى صفر بايعه أخوه المرتضى ووجوه الناس . وكان حازماً شجاعاً كريماً ، وله فى حرب القرامطة الحظ الوافر والسهم القامر ، كما سيأتى تحقيقه إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة خالف ابنا الدعام ، وفارقا أباهما ، ووثبا على مدينة غَرو[١] فنهباها وأخرباها ، بعد أن خرج منها عبّاد بن عبد الله عامل الناصر بن الهادى إلى المراشى[٢] ، فخرج إليهما الناصر فى جيش كبير، فهزمهما إلى جبل نِهم[٣] ثم سار إلى بلاد مُراد وفيها الدعام ، فالتجأ إلى جبل ملح[٤] وترّان[٥] من بلاد نهم ومرهبة[٦] ، واستعمل الناصر عَلى غرو على بن محمد العلوى ، وعَلى أثافث أخاه القسم بن محمد . وخرج الناصر فى

---

(١) غرو : اسم موضع بالقرب من المدينة
(ياقوت : معجم البلدان ، البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٩٩١)

(٢) المراشى : موضع فى أعلى وادى الجوف باليمن (الحميرى : منتخبات ص ٢١)

(٣) نهم بكسر أوله ، جبل عند طرف الجوف باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨١ ، ٨٣ ، ١٠٩ ، ١١٠)
وفى نفس المنطقة يوجد بلد باسم نهم ، والجبل والبلد كلاهما باسم قبيلة ، قال الحميرى ان نهم حى من اليمن من همدان
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ١٠٥) .

(٤) جبل ملح : من الجبال المشهورة فى تهامة اليمن بأرض السراة ويوجد بلد ملح فى وادى المنبج بالجوف .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣ ، ١٢٥)

(٥) تران : بفتح أوله وتشديد الراء ، بلد فى وادى المنبج بالجوف قرب ملح السابق ذكرها .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣) .

(٦) مرهبة : بضم أوله وسكون الراء وفتح ثالثه ، اسم موضع بأرض السراة فى تهامة اليمن . وقد ورد لفظ مرهب فى شعر لذى الأصبع يعدد فيه ديارهم .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٣)

طلب ابنى الدعام فلم يشعر به أهل مَسْورة[1] ، حتى غشيهم ، فالتجأوا إلى ملح ، ثم إلى حَريب[2] ثم إلى خولان العالية ، فقبض الناصر رجلا من قوادهم يقال له مُرَوح ، وعاد إلى صعدة . وقدم إليه وجوه نجران وبنى الحرث وغيرهم فبايعوه ، واستعمل عليهم رجلا يسمى عبد الرحمن الأقرعى . ثم وفد إليه أهل حيدان ووشجه[3] ومن إليهم ، وهم أهل المودّة للعترة النبوية ، فبايعوه .

وفى هذه المدة وقعت مكاتبة من ابنى الدعام إلى على بن فضل وموالاة له ، فأمدهما بمال ، فخرجا إلى مَطِرة[4] من بلاد عُذر[5] — وهى أطرف بلاد الناصر — فدخلاها والتجأ أهلها إلى الجبال .

وفى صفر من هذه السنة بلغ على بن الفضل أن ملاحظاً صاحب زبيد جهز جيشاً إلى المُذَيخرة — وكان خارجاً عنها — فشن الغارة عليهم ، فوجد القوم قد انهبوها وما حولها وانقلبوا راجعين الى تهامة ، فتأسف على مافات ، وعلم أن الدهم سيأتيه بما هو آت .

---

(١) مسورة : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الراء اسم بلد فى وادى المنبج بالجوف .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣)

(٢) حريب : بفتح أوله ، موضع باليمن الشرقى بالسراة .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٠) .

(٣) وردت فى المتن بهذا الرسم بالشين ، ولم نعثر على هذا الاسم لموضع فى المراجع التى تحت أيدينا . وقد ذكر الهمدانى الوشج فى مخلاف أقيان باليمن (صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧) . كما ذكر البجاوى وشحاء بالحاء والمد وقال انها ماء بنجد فى ديار بنى كلاب (مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٤٣٨)

(٤) مطرة ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، موضع فى وادى الحارد من بلاد عذر بالجوف .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨١)

(٥) عذر : حى من اليمن من همدان ، وهم ولد عذر بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن حبران بن نوف بن همدان .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٦٩ — ٧٠) .

وفى هذه المدة قتل محمد بن الدعام بغرو ، قتله ابن عمه ابراهيم .

وفيها أيضاً قتل أبو سعيد القرمطى صاحب هجر ، بعد أن تمكن من تلك الجهات ، وهزم الجيوش ، واستفحل أمره كما تقدم ذكره ، والقاتل له خادمه فى الحمام ، لما راوده عن نفسه . وكان قد عهدالىولدهسعيد بن حسن ، فلم يقم بالأمر ، وغلبه عليهأخوهالأصغر أبو طاهرسليمان بن حسن ، وهوالذىاقتلع الحجر الأسود من البيت الحرام، كما سيأتى .

ودخلت سنة — ٣٠٢ —

فيها أغار عمال الناصر على ابن الدعام، فهزموه من مطرة إلى مُراد . وخرج الناصر من صعدة إلى خيوان . ثم جهز ابراهيم بن الحسن فى إثرابن الدعام ، فوصل إلى مرهبة ونِهَم ثم عاد إلى الناصر .

ودخلت سنة — ٣٠٣ —

فيها مات ملاحظ صاحب زبيد ، وقام بعده عبد الله بن أبى الغارات ، فلبث أقل من شهرين،وَوَلى الأمر ابراهيم بن محمد الحرملى ، وهو من قواد السلطان .

وفى هذه السنة خرج الناصر إلى نجران من غيرحدث فيها ، فتلقاه أهلها بالاكرام. وسار حتى دخل هجر — وهى مدينة نجران — فأقام فيها ، وتفقد أمورها ورجع إلى صعدة . فلما استقرفيها بلغه أن قوماً من القرامطة ظهروا فى بلاد عُذر والأهنُوم، فدعوهم إلى مذهبهم الخبيث ، فأجابوهم ، وأظهروا الفسوق ، وترك الصلاة ، وشرب الخمر فى نهار رمضان.واجتمعوا ليلة الإفاضة[1] التى سنّها لهم على بن فضل ، لعنه الله . فغضب الناصر ،

---

(١) ذكر القاضى أبو عبد الله يوسف المعروف ببهاء الدين الجندى فى (كتاب السلوك من طبقات العلماء والملوك) وصفا لليلة الافاضة التى استنها على ابن فضل للقرامطة . فقال عن على بن فضل أنه « انهمك فى المذيخرة على تحليل محرمات الشريعة ، واباحة محظوراتها ، وعمل بها دارا واسعة يجمع فيها غالب اهل مذهبه ، نساء ورجالا ، متزينين متطيبين . ويوقد بينهم الشمع ساعة ، ويتحادثون فيها بما طيب الحديث وأطربه ، ثم يطفأ الشمع ، ويضع كل منهم يده على امرأة ، فلا يترك الوقوع عليها ، وان كانت من ذوات محارمه . وقد يقع مع أحدهم مالا يعجبه اما لعجز أو لغيره ، فيريد التفلت منها ، فلا تكاد تعذره .. » وشاعت هذه الليلة بين القرامطة بليلة الافاضة . (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٧٢)

ونهض من صعدة إلى خيوان ، وأمر أبا جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك الهمدانى بالمسير إلى أصحابه من همدان ؛ أهلُ عُذر والأهنوم وظُليمة[١] وحجور[٢] ، ومعرفة ما يُجيبون به . فلما رجع أبو جعفر إلى الناصر أخبره بما هم عليه من العصيان ، فاستنفر من حوله من قبائل همدان ، وسار بهم إلى حجُور ، فنزل بالبطنة[٣] ، ولقاه أهل عذر ثم تقدم إلى السويق[٤] بعساكر جمة ، فانهزمت القرامطة ، وامتنع أهل الأهنوم عن الوصول إلى الناصر ، وأوقدوا فى بلادهم النيران . ثم رجعوا بعد ذلك إلى طاعة الناصر ، فنهض عقيب ذلك إلى رُجح ، وهو متوسط بين ظليمة والأهنوم . ووصل إليه محمد بن أحمد الظليمى فى ألف نفر ، فأصلح الناصر بينهم وبين الأهنوم فى حروب كانت بينهم ، واستأمن من كان قد دخل فى مذهب القرامطة . ثم نهض الناصر إلى الحَضَن من بنى ربيعة[٥] ، ومنه إلى أثافث ، فأقام فيه أياما ثم رجع إلى خيوان . وقد كان بث دعوته إلى كثير من البلدان ، ولما وصلت دعوته إلى حَجَّة[٦] أخذها بعضهم ومزقها ، فلم يلبثوا بعد ذلك حتى قصدتهم القرامطة ، فمزقوهم كل ممزق .

---

(١) ظليمة : من بلاد همدان باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ١١٣)

(٢) حجور : بفتح أوله وضم ثانيه من بلاد همدان عند جبال حاشد
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٣)

(٣) البطنة : بلد فى جبال حاشد فى أرض همدان
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٣)

(٤) جاء فى هامش المخطوط أمام لفظ « السويق » ما نصه :
(قال مسلم اللحجى : وأحسبه السوق الذى يقال له الحموس فى بلاد الأهنوم » .
وذكر الهمدانى أن السويق موضع فى الميزاب الشرقى ، وهو أعظم أودية المشرق باليمن (صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠)

(٥) حضن : بالتحريك ، هى فى اللغة العاج ، ويطلق على أكثر من جبل فى شبه الجزيرة العربية ، منها عدة باليمن . وهذا هو السبب فى أن المؤلف أراد التخصيص فقال : « الحضن من بنى ربيعة » . (الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ٢٥١)

(٦) حجة : بالفتح ثم التشديد ، جبل باليمن فيه مدينة مسماة به ، وهى الحاشد فى سراة قدم قرب صنعاء .
(ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩ ، ٧٢)

وأقام الناصر فى خيوان ، واستعمل على صعدة الحسن بن أحمد البغدادى،ثم رجع إلى صعدة .

وكان سبب دخول القرامطة إلى حَجّة اختلاف وقع بين أهل قُدم وبنى عَشب ، فاستعان أهل قُدم بالقرامطة الذين فى مِسْور ، فدخلوا حَجّة ، وقتلوا رئيسها عبد الله ابن بديل الحجُورى ونهبوها ، ثم استعملوا عليها رجلا منهم ، ورجعوا إلى مِسْور جبل تخلى[1] .

وفى خلال ذلك وقع حرب بين أهل قُدمُ وأهل الجَبَر[2] ، فاستعان أهل قُدمُ بالقرامطة من مِسْور — ورئيسهم يومئذ عبد الحميد بن محمد بن الحجاج المسورى — فوقع الحرب على مدرج وهو حصن الجَبَر ، فكانت الدائرة أولا على القرامطة ، ثم عطفوا على أهل الجَبَر فقتلوا منهم طائفة ، وتعلق بقيتهم فى الجبال ، فانتهبت القرامطة بلادهم وأخربوها ، وذبحوا الأطفال . ولما اشتد الأمر على أهل تلك الجهة ، سار أهلها إلى الناصر، فطلبوا منه العفو عنهم مما سبق منهم من عدم طاعته ، والتمسوا منه الإعانة على القرامطة ، فكتب الناصر إلى أبى جعفر بن الضحاك يأمره بالمسير معهم .

وفى هذه السنة أراح الله العباد ، وطهّر البلاد ، بهلاك قائد العاصين ، ورئيس المفسدين ، على بن فضل،لعنه الله . وكانت وفاته إلى عذاب الله فى يوم الأربعاء منتصف شهر ربيع الآخر ، بعد ألمٍ ألمّ به وطرفٍ من تعجيل عقوبته ، ولعذابُ الآخرة أخزى وهم لا يُنْصرون . ودفن فى المُذَيْخرة ، وانتصب للأمر بعدُه ولده ، فقتل كثيراً من أصحاب أبيه .

---

(١) مسور جبل تخلى : من جبل السراة ، بوادى مور ، فى مخلاف خولان ، ويسمى خزانة اليمن ، كان يخزن به القمح والذرة لمدة ثلاثين سنة ولا يتغير . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩ ، ٧٢ ، ١٠٨)

(٢) الجبر : بفتح أوله وثانيه ، موضع وحصن فى بلد همدان (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٣) .

ولما بلغ خبر موته إلى أسعد بن أبى يعفر ، نهض من صنعاء يوم الخميس تاسع شهر رجب من هذه السنة . وحين وصل ذمار كتب إلى أهل المخاليف ، فوصل إليه وجوه أهلها . فنهض إلى كَحْلان[1] فمكث فيه أياما ثم تقدم إلى مخلاف جَعْفر ، واجتمعت إليه القبائل ، فلم يزل يحارب أهل ذلك المخلاف ، ويُغير على حصونهم حتى ألجأهم إلى المُذيخرة .

ودخلت سنة — ٣٠٤ —

فيها أقام أسعد بن أبى يعفر الحصار على المُذَيْخرة وضيق على أهلها ، ورماهم بالمنجنيقات حتى تثلمت جوانبها . واشتد الأمر على أهلها ، وعجزوا عن المحاربة ، فدخلها عليهم قهراً بالسيف ، وذلك فى يوم الخميس لسبع ليالٍ بقين من رجب من السنة المذكورة. ولما دخلها انتهب ما فيها من الخزائن العظيمة ، وأسر جميع أهلها ، وسبى بنات على ابن فضل ـ وكن ثلاثا ـ فأعطى إحداهن ابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبى يعفر ، وبقيتهن فى اثنين من رؤساء أصحابه . واستخلف على تلك الجهة ابراهيم بن اسماعيل ابن العباس ، وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر ، وخربت المُذَيْخرة من ذلك الزمان .

وفى شهر القعدة من هذه السنة ، أمر أسعد بن أبى يعفر بضرب عنق ولد على ابن الفضل ومن معه من الأسرى ، وبعث بها إلى الخليفة العباس ببغداد ، وكانوا نيفا وعشرين رجلا .

وفى هذه السنة بعث الناصر أبا جعفر بن الضحاك إلى حَجَّة لحرب القرامطة ، فسار إليهم بقبائل الأهنوم وظليمة وهمدان ، فالتجأ القرامطة إلى أطراف بلادهم ، ومنهم من

(١) كحلان : على وزن فعلان بفتح أوله ، من أشهر مخاليف اليمن ، بينه وبين ذمار ثمانية فراسخ ، وبينه وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخا .
(ياقوت : معجم البلدان) .

رجع إلى مِسْور مستقرهم . ووصلت كتب أهل الشرف[1] إلى الناصر بالطاعة . وتقدم أبو جعفر إلى مِسْور فنزل إليه أهل الشَرَف وبايعوه للناصر ، ووصل أهل قُدُمَ من حَجَّة فبايعوه أيضا ، ورجع أبو جعفر إلى الناصر وهو فى خيوان ، فاستعمل الناصر على قُدم ونواحيها أبا حاشد ابراهيم بن محمد الضحاك .

وفيها دخّل ابنا الدعام أهل الجوف فى طاعة الناصر، فأكرمهما ، وعفا عنهما .

وفيها حصلت حروب واختلاف فى نواحى قُدم والشَرَف وتلك الجهات ، واضطراب عظيم يطول ذكره .

ودخلت سنة — ٣٠٥ —

فى المحرم منها نهض الناصر من صعدة إلى خيوان بعساكر كثيرة ، ثم سار إلى حوث ، واجتمعت القرامطة فى شَطَب[2] وهم جموع كثيرة ، فبعث إليهم الناصر الغطريف بن أحمد الصايدى بعسكر همدان ، فانهزم القرامطة من غير قتال ، فانتهب جيش الناصر تلك الجهة ، وغنموا منها غنائم واسعة . ورجع عسكر الناصر إليه ، فعادت القرامطة تارة أخرى ، ودخلوا قرن الناعى[3] . وكان إبراهيم بن محمد بن الضحاك فى جبل شَطب فحاربهم ، ثم وضعت هدنة بينهم وبين ابن الضحاك .

ودخلت سنة — ٣٠٦ —

فيها قبض أصحاب الناصر حصن مُدَرَّج فى الشَرَف بمعاملة من أهل تلك الجهة .

---

(١) الشرف : قلعة حصينة باليمن قرب زبيد (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) ذكر ياقوت فى معجم البلدان أنه يوجد باليمن جبل اسمه شطب ، كما توجد قلعة سميت به .

(٣) القرن : هو الجبل الصغير المشرف على موضع ، وذكر ياقوت أكثر من موضع أضيف له اسم قرن ، مثل قرن عشار وقرن بقل . ولعل قرن النـــاعى المذكور هنا أحد الحصون أو الأماكن باليمن .
(ياقوت معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب)

وكان فيه يوسف الوردى القرمطى ، فانهزم عنه ، ورجع القرامطة إلى تُخْلَىَ[١] وما زالت الحروب قائمة فى أكثر الجهات وسحائب الفتنة ممتدة فى أغلب الأوقات .

وفى هذه السنة كانت وقعة نُغَاش[٢] المشهورة ، وسببها أن القرامطة لما اشتدت شوكتهم فى ناحية مِسْوَر ، وعم منهم على من حولهم الضرر ، جمع الناصر أجنادَه ، وحشد قواده ، وهم إبراهيم بن المحسن العلوى ، وأحمد بن محمد بن الضحاك وعبد الرحمن ابن معمر وغيرهم ، ونهض من صعدة فى ألف وسبعمائة ٠ واجتمعت القرامطة إلى قائدهم عبد الحميد بن محمد المسورى ، فنهض بهم إلى حلملم[٣] من ناحية الأشمور[٤] وهم زهاء سبعة آلاف رجل ، وصلوا إليه من حدود تِهامَة والشَّرَف وحَجَّة ولاعةَ وحفاش وملحان[٥] ، وسائر بلاد المغارب . وأقبل الناصر بجنده ، فكان أول قتال وقع يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر شعبان فى محل يعرف ببيت الورد[٦] من الظهر إلى المغرب ، قتل فيه جماعةمن القرامطة . وفى اليوم الثانى نهض الجند الإمامى إلى قصر الحودى بالقرب من نُغَاش ، ومنعوا القرامطة من الماء . وفى اليوم الثالث وقع الحرب العظيم الذى أيّد الله فيه جند الحق ، وأذهب سورة الباطل وأزهقه ، فإن الجند الامامى قتلوا من هذه الطائفة الظالمة أمة لا يحصرها العدد ، ولا ينتهى حاسبها إلى أمد ، حتى

---

(١) تخلى : بضم أوله وسكون ثانيه جبل مشهور من الجبال الشامخة باليمن ، رأسه واسع جدا به ثلاث حصون عدا القرى والمساجد ٠٠
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٩٠ وما بعدها)
(٢) نغاش : موضع فى بلد همدان باليمن (الهمدانى ، ص ١١٢) ٠
(٣) حلملم : جبل عال فى ناحية السراة باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٦٨)
(٤) الأشمور : ناحية من نواحى حجة ، وهى منطقة جبلية غربى صنعاء (الويسى : اليمن الكبرى ص ١٠٠ ، أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٣٣٩) ٠
(٥) ملحان : اسم جبل بالسراة فى اليمن ، نسب الى ملحان ، وهو رجل من حمير (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)
(٦) بيت الورد : موضع فى بلد همدان باليمن ٠
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٢) ٠

روى أن الدماء سالت،وسمع لها دوى كدوى السيل ، واستولت العساكر الامامية على ما أجلبت به تلك الفرقة الغوية من سلاح وغيره . وانهزم بقيتهم إلى مِسْور بالخط الآخر،فتبعهم جند الإمام وحاصروهم ، حتى أيقنوا بالهلاك ، ففزعوا إلى صاحب زبيد ، وطلبوا منه النصرة ، فلم يغن عنهم شيئا . غير أن الناصر عليه السلام رأى المصلحة فى رفع المحطة عنهم . وبهذه الوقعة انحلت عروة القرامطة وكسرت شوكتهم ، وخمدت نار فتنتهم ، والحمد لله ، رب العالمين .

ودخلت سنة — ٣٠٧ —

لم يتفق فى هذه السنة — ولا فى السنتين بعدها — ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٣١٠ —

فيها مات الإمام المرتضى محمد بن الهادى عليهما السلام بصعدة ، ودفن فى مسجد أبيه الهادى . ولم يزل أخوه الناصر عليه السلام مجاهدا للظالمين ، منابذا للمعاندين ، واستولى على كثير من البلاد ، وسار الى عدن فدخلها فى ثمانين ألفا نصفهم أهل قسى ، ودانت له البلاد فى تلك الناحية ، وخضعت له الرقاب العاصية .

وفى هذه السنة وقعت حرب بين دُهمة[1] وأختها وائلة[2] ابنى شاكر ، قتل فيها ثلثمائة رجل بسبب جار لوايلة قتلته دهمة .

ودخلت سنة — ٣١١ —

لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

---

(١) دهمة : اسم قبيلة من همدان من شاكر ، والدهمة شدة السواد .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ٣٧)
(٢) وائلة : بطن من همدان من بكيل ، من ولد وائلة بن شاكر بن ربيعة ابن مالك .
(الحميرى : منتخبات ، ص ١١٣) .

ودخلت سنة — ٣١٢ —

فيها نهض أبو طاهر القرمطى فى ألف فارس وألف راجل ، واعترض ركب العراق ، فوضع السيف فيهم وأخذ ما فى أيديهم ، وسبى النسوان وتمادى فى الطغيان ، وهلك من سلم من القتل بالجوع والعطش فى المفاوز ، فلم ينج الا القليل ، وتركت صلاة الجماعة فى تلك الجهات ، وتعطلت المساجد عن الراكع والساجد .

ودخلت سنة — ٣١٣ —

فيها اعترض أبو طاهر القرمطى للركب العراقى كما فعل فى العام الماضى ، فوقاهم الله شره . ولما فاته ما يريد منهم عطف على الكوفة فاستباحها ، وفعل فى غيرها من بلاد العراق أفعالا تغضب الملك الخلاق . ثم توجه الى البحرين وهو مستقرد ، وكان الخليفة فى هذا الأوان المقتدر العباسى ، وكان ضعيف القلب ، واهى العزم ، فقامت والدته بتدبير أمره ، وجلست للنظر فى أمور الناس . وكان يحضر مقامها القضاة والكتاب فتضع خطها على الكتب . وطمع فى دولة بنى العباسى كثير من الملوك ، حتى أن ملك الروم طلب الخراج من بلادهم .

ودخلت سنة — ٣١٤ —

فى هذه السنة والسنتين اللتين بعدها استفحل أمر أبى طاهر القرمطى ، واشتدت وطأته على بلاد الإسلام ، وقصد بيت الله الحرام ، فخرج أهل مكة إلى الطائف وغيره ، ولقاه يوسف بن أبى السّاج فى ثمانين ألفا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى انكشف القتال عن قتل يوسف ، فانهزم عسكره[1] . وكان أصحاب القرمطى ألفين وسبعمائة . وتوجه بعد هذه الوقعة إلى الرقة ثم إلى سنجار ، فاستأمن منه أهلها وأهل رأس عين ، فقرر على كل شخص

---

(١) ذكر ابن الأثير هذه الأحداث تحت سنة خمس عشرة وثلثمائة للهجرة (الكامل ، ج ٨ ص ٥٧) .

ديناراً خراجا يؤديه إليه . وعاش فى تلك النواحى وخافته الأعراب ، وسام الناس سوء العذاب . ثم رجع إلى الكوفة ، وخرج إليه نصر الحاجب فى جيش من بغداد . ولم يلبث نَصر أن مرض فى الطريق ، فعاد إلى بغداد ، ومات بها .

ودخلت سنة — ٣١٧ —

فيها قصد أبو طاهر القرمطى مكة المشرفة، فوافاها يوم التروية، فأوقع بالحجيج وقعة منكرة ، وقتل منهم فى الحرم الشريف نحو ستة آلاف إنسان ، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هجر ، وقلع باب الكعبة المشرفة ، وأمر رجلا أن يصعد ليقتلع الميزاب ، فسقط ذلك الرجل وهلك فى الحال . وخرج إليه أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقتلهم عن آخرهم ، وطرح جثث القتلى فى زمزم ، ومنهم من دفن فى المسجد الحرام . وأخذ كسوة الكعبة ونهب دور مكة .

ولما بلغ عبيد الله المهدى ، لامه وعنفه ، وقال الآن حققت علينا اسم الكفر ، وأمره برد الحجر إلى موضعه ، فقيل إنه رده ، وقيل بل استفداه بعض العباسيين بمال وأرجعه إلى موضعه بعد نيف وعشرين سنة .

ودخلت سنة — ٣١٨ —

لم أقف على ما اتفق فى هذه السنة .

ودخلت سنة — ٣١٩ —

فيها ظهر رجلان من القرامطة فى الجهة التى تغلّب عليها على بن الفضل ، وملكا قلعة شكم[1] ، فوجه إليهما أسعد بن أبى يعفر جيشا ، فقتلوهما واستولوا على مامعهما .

(١) شكم : بضم أوله وثانيه ، واد به قلعة فى سرو حمير باليمن ، يسكنه الأعضود وبنو مهاجر .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٩)

ودخلت سنة — ٣٢٠ —

فيها قتل المقتدر العباسى على يد مؤنس الخادم ، وقام بعده الظاهر .وفى أيامه ظهر على ابن بويه الديلمى بفارس ، وصار أمر بنى العباس بأيدى أولاده من بعده .

وكان من أخبارهم ماهو مذكور مشهور فى كتب الأخبار ، فلا حاجة إلى ذكره لأنه يخرج بنا عما نحن بصدده من ذكر مايتعلق بأحوال اليمن .

ودخلت سنة — ٣٢١ —

لم يتفق فيها شىء يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٣٢٢ —

فيها مات عبيد الله الملقب بالمهدى أول الدعاة العبيدية المنسوبين إليه ، وموته بأفريقية من أرض الغرب ، وقام بعده ولده أبو القاسم الملقب بالقائم بأمر الله .

وفى يوم الأربعاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة مات الناصر لدين الله أحمد بن الهادى عليهما السلام ، ودعا عقيب موته ولده يحيى بن أحمد ، وعارضه أخواه القسم بن أحمد الملقب بالمختار والحسن بن أحمد ، فجرى فى أيامهم من الفتن والحروب ما يطول شرحه ، وإنما نشير إلى طرف يسير . من ذلك حصول فتنة وقعت فى صعدة قتل فيها الحسن بن الهادى ، والأقرب أنها كانت هذه الفتنة قبل وفاة الناصر رحمه الله ، وتعقبها ما وقع من الاختلاف والشقاق وعدم الاتفاق بين أولاده بعد وفاته ، حتى قيل إن خراب صعدة القديمة كان فى أيامهم ، بسبب كثرة الفتن وتتابع المحن . وما زالت أحوالهم متقلبة ، وأمورهم مضطربة من هذا التاريخ إلى سنة ثلاثين وثلثمائة .

فأول حادث وقع بعد موت الناصر عليه السلام قدوم حسان بن عثمان بن أبى يعفر من نجران إلى صعدة ، فدخلها ، وخرج العلويون منها الى قبائل خولان ، فأكرموهم ، ولم يتعرض حسان بن عثمان الى أحد من أهل صعدة . ثم إن العلويين استعانوا بأسعد بن

أبي يعفر ، فكتب لهم الى أهل خولان وهمدان ، وبلغ حسان الخبر ، فخرج الى برط . ودخل العلويون صعدة ، وأقاموا لأمرهم الحسن بن الناصر ، وبايعوه ، فخرج أخوه أبو القسم الملقب بالمختار إلى همدان ؛ فأجابه كثير منهم ، وساروا معه الى كانط[١] ؛ فوقع بينه وبين عسكر مظفر بن عليان بن الدعام حرب ؛ انهزم فيه عسكر ابن عليان . وكان من حزب حسان بن عثمان بن أبي يعفر ، فخرج من رَيْدة إلى غرو . ونهض حسان غازيا لصعدة ؛ وقد استنفر من حوله من قبائل خولان وغيرهم ، فحاربه أهل صعدة محاربة شديدة فهزموه إلى بَرَط . ثم وقع الاختلاف بين المختار بن الناصر وأحمد بن محمد الضحاك ، فمال ابن الضحاك إلى الحسن بن الناصر ، وكاتبه ، فأمده الحسن بمال ، وأغراه لمحاربة أخيه المختار ـ وكان فى رَيَدَة ـ فخرج منها إلى محل يسمى قرقر[٢] ، فخلفه ابن الضحاك على رَيْدَة ، وطلب الإعانة من ابن عليان على حرب المختار ، فأمده بمال. ولما خلصت المواد لديه ، قصد المختار إلى قرقر ، فأخرجه منه أقبح مخرج .

وبعد أيام خرج المختار إلى وَرْوَر ، فوقع بينه وبين أبي الضحاك محاربة فى موضع يقال له قطوان ، كانت الدائرة فيه على المختار ، وقتل من أصحابه عدة ، ثم رجع المختار إلى وَرْوَر . واتفقت بينه وبين ابن عليان مكاتبة . ثم التقيا ، فأشار عليه ابن عليان بالرجوع إلى صعدة ، فسار إليها حتى وصل بلاد خولان، ثم مكث فيها وجرت بينه وبين أخيه الحسن مراسلة ، وكره الحسن دخول أخيه إلى صعدة ، فخرج إلى الغيل[٣] ؛ ولقى المختار جماعة من بنى أسعد ويَرِيم[٤] وغيرهم . وأظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمال

---

(١) ذكرها الهمدانى أكانط بضم أولها ، وقال انها قرية كبيرة من بلاد همدان ، بها خليط من بكيل وحاشد
(صفة جزيرة العرب ، ص ١١٢)

(٢) قرقر : موضع من نجران باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٩)

(٣) الغيل : بلدة بصعدة اليمن
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) يريم : موضع فى وادى زبيد أحد أودية السراة
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٧١)

إليه كثير من الناس ، واصطلح هو وأخوه ، وتحالفا وأقاما على ذلك أياماً .

ثم دخل المختار إلى صعدة فانتقض الصلح من طريق الحسن ، وعامل جماعة من السفهاء على إثارة الفتنة مع دخول أخيه إلى صعدة ، فقتلوا رجلا من أصحاب المختار ، وهاجت الحرب من الظهر إلى المغرب، قتل فيها ثمانية أنفار. ثم أمر المختار أصحابه بالكف عن أموال الناس ، وثبت على ظهر فرسه تلك الليلة إلى الصباح ، حتى أتاه المخالفون يطلبون الأمان ، فأمّنهم وسكنت الفتنة . وظهر للناس نكث العهد من الحسن ، فمالوا إلى المختار وشكروه على صبره ، فسار فيهم أحسن سيرة ، وشدد على السفهاء .

ولما علم الحسن أنه قد ظهر للناس غدره ، خاف على نفسه ، فخرج إلى بني أسعد ، ثم سار إلى خيوان ، وكاتب ابن الضحاك ، فاتفقا على محاربة المختار ، واستعان بحسان بن عثمان ، واتفقوا على المسير إلى صعدة ، في يوم معين . فمرض حسان بن عثمان في ذلك اليوم ، فانتقض أمرهم . وبعد أيام ، عامل الحسن وابن الضحاك جماعة من بني كليب وبني جماعة على نهب صعدة، فدخلوها ، وانضم إليهم من أهل صعدة من كان مائلا إلى الحسن وغيرهم من السفهاء . ووقعت الحرب بينهم وبين أصحاب المختار ثلاثة أيام ، ثم مالوا إلى خديعة المختار ، فطلبوا الصلح على أنه يخرج من صعدة حتى تسكن الفتنة ، فأجابهم إلى ذلك . فلما افترق أصحابه أعادوا الحرب عليه ، فانهزموا إلى الغيل ، وتمكن القوم من صعدة ، فنهبوها نهباً شديداً ، وقتلوا من أهلها وسبوا ، وفعلوا بهم أعظم من فعل القرامطة ، وخرج أكثر أهل صعدة عنها .

ثم جمع المختار القبائل من نجران ووايلة ، ودُهمة وبني سليمان ، فاجتمع اليه عسكر عظيم ، فسار الى صعدة ، وحارب المتغلبين عليها محاربة شديدة ، كانت الدائرة فيها على المتغلبين . وكان الحسن بن الناصر فيهم كأحدهم ، ليس له من الأمر شيء إلا إثارة الفتنة ، فطلبوا الأمان من المختار فلم يجبهم إليه ، وعلموا أنه داخل عليهم ، فخرجوا ليلاً ، ودخل المختار عقيب خروجهم ، وتضعضت أحوال صعدة ، وخرب كثير منها بسبب هذه الفتن .

ثم خرج الهيضم بن عباد قائد بنى كليب إلى ابن الضحاك صاحب رَيْدَة ، مُستنجداً له على المختار ، فخرج معه ، وانضم إليهم الحسن بن الناصر ، وجرى بينهم وبين المختار حرب قتل فيه من الفريقين سبعة عشر رجلا . واختل على المختار بعض من كان معه ، فانهزم عن صعدة ، ودخلها القوم فانتهبوها ، وأقاموا فيها ثلاثة أيام . ثم ساروا إلى علَاف[1] وسار الحسن معهم خوفاً من أخيه ، ثم رجع ابن الضحاك إلى بلده . ورجع المختار إلى صعدة ، فلبث فيها أياما ، وقد تفرق أهلها ونالهم الضرر العظيم . وبعد أيام جمع ابن الضحاك عسكره ، وخرج من رَيْدة لحرب المختار ، واستخلف على رَيْدة ولده . فلما وصل علَاف جمع قبائل تلك الجهة ، وسعى بينهم بالاصلاح ، وأنهم يقيمون الحسن بن الناصر ، فكرهوا ذلك ، وجعلوا هدنة مدة مقدرة على أنهم يعزلون الأخوين جميعاً عن الأمر .

ودخل ابن الضحاك إلى صعدة فلبث فيها مدة ، وأمر بهدم الحصن الذى بناه الناصر أحمد بن الهادى عليه السلام ، وأحدث فى صعدة أحداثا . وأقام الحسن فى الغيل ، وخرج المختار إلى بعض الجهات . وتفرق أهل صعدة أيدى سَبَا ، وذهبوا تحت كل كوكب ، ولم يبق فيها أحد من الأعيان . فاجتمع بنو أسعد إلى المختار وطلبوا منه النهوض إلى صعدة ، فسار إليها ، وخرج عنها ابن الضحاك إلى علاف ، فاجتمع به الحسن وأخوته ، واتفقوا على قصد المختار إلى الغيل ، فاقتتلوا هنالك قتالا شديداً ، فانهزم ابن الضحاك إلى عَلاف ، وأُسر جماعة من أصحابه ، فمنّ عليهم المختار وأطلقهم . ولبث ابن الضحاك فى عَلاف إلى أن بلغه وفاة ولده فى رَيْدة ، فانصرف راجعاً . واعتل الحسن ابن الناصر بعَلاف ، ومات بها ودفن فيها . فهذا مختصر ماوقع فى هذه التسع السنين من الحوادث ، ولم نذكر إلا اليسير ، إذ لاسبيل الى الإحاطة بجميع ماوقع .

---

(١) علاف : اسم رجل من قضاعة ، هو ريان بن حلوان بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة . وبه سمى وادى علاف بالغرب من صعدة ، واليه ينسب بنو العلفى (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٨٣)

ودخلت سنة — ٣٣١ —

فيها مات أسعد بن أبي يعفر الحوالي في كَحْلان ، وحمل في تابوت الى شاهرة[١] التي وقفها على جامع صنعاء ، ودفن فيها .

وفي هذه السنة هلك طاغية هجر أبو طاهر القرمطي الجنابي — لعنه الله — من جدري أصابه في جسده ، حتى تقطعت أوصاله ، وأذاقه الله وباله ، وأراه عبرة في نفسه . وقام بعده أبو قاسم القرمطي في هجر من ناحية الحجاز .

وفيها هلك منصور بن حسن الكوفي صاحب مِسْوَر ، بعد أن عهد إلى ولده حسن ابن منصور ، وإلى رجل من أصحابه يسمى عبد الله الشاوري — وكان به خصيصاً — وأمرهما بملازمة مذهبه ، وأن يكتبا إلى القائم العبيْدي[٢] ، ويعتمد أمره في تولية من يراه منهما . فبعث الشاوري برسالة الى العبيْدي ، صحبة حسن بن منصور ، وهدية عظيمة ، فوافاه في المهديَّة التي بناها أبوه في القيروان من أرض الغرب . فلما قرأ العبيْدي رسالة الشاوري رجح توليته دون ابن منصور ، وبعث له بتسع رايات ، ورجع ابن منصور خائباً .

ودخلت سنة — ٣٣٢ —

لم يتفق فيها مايوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٣٣٣ ، ٣٣٤ —

في هذه السنة وما بعدها استقر ملك صنعاء وجهاتها لبني الضحاك ، ومِسْوَر وبلاده

---

(١) شاهرة : قرية في ضلع همدان ، غربي صنعاء ، على مسافة ٤٥ كيلومترا منها (أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ١٨٨)

(٢) هو الخليفة الفاطمي أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي ، وقد تلقب القائم بأمر الله (٣٢٢ ـ ٣٣٤ هـ)
(حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٩ ـ ٩٢)

لعبد الله الشاورى ، فعامل حسن بن منصور جماعة على قتل الشاورى ، فنهاه إخوته فلم ينته . وكان الشاورى يكرم أولاد منصور بن حسن ويجلّهم ، ولا يقطع أمراً دونهم ، فدخل عليه فى بعض الأيام حسن بن منصور فلم يجد عنده أحداً ، فقتله واستولى على البلاد . ولما استوثق له الأمر جَمَع رعيّته ، وأشهدهم على نفسه أنه قد خرج من مذهب القرامطة الى مذهب أهل السنة ، فأحبه الناس ودانوا له ، فلامه على ذلك أخوه جعفر بن منصور ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأقبل على من حوله من القرامطة فقتلهم وشردهم فى كل ناحية .

ودخلت سنة — ٣٣٤ —

فيها مات القائم العبيْدى بأرض الغرب ، وقام بعده إسماعيل بن محمد الملقب بالمنصور(١) ، وكان شجاعاً فصيحاً محترماً .

ودخلت سنة— ٣٣٥ —

لم يتفق فيها شىء يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٣٣٦—

فيها خرج حسن بن منصور صاحب مسْور إلى محل يعرف بعين مَحرم ، واستخلف على مِسْور إبراهيم بن عبد الحميد . ولما وصل ابن منصور المحل المذكور ، وثب عليه نائبه فيها ، وهو رجل يعرف بابن العرجاء ، فقتله ، واستولى على ماتحت يده . وبلغ الخبر إبراهيم بن عبد الحميد ، فثبت فى مِسْور وادعى الأمر لنفسه ، وأخرج أولاد منصور ابن حسن وحريمهم إلى بنى عَشَبَ ، فوثب الناس عليهم فقتلوهم عن آخرهم ، وسبوا

(١) ولى الخلافة الفاطمية فى المغرب سبع سنوات (٣٣٤ ـ ٣٤١) .
(حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٢)

حريمهم . واصطلح ابن العرجاء وابن عبد الحميد ، واقتسما البلاد . ورجع إبراهيم ابن عبد الحميد إلى مذهب أهل السنة ، وخطب للخليفة العباسى ، وكتب إلى ابن زياد صاحب زبيد ، وانتمى إلى طاعته ، واستدعى رجلا من أصحابه ، فأرسل إليه رجلا يعرف بالسرّاج . وأمره سراً بقتل إبراهيم بن عبد الحميد مهما أمكنته الفرصة . ولما وصل السرّاج الى ابن عبد الحميد ، أكرمه وأنصفه . وشرع السرّاج فى المعاملة على قتل ابن عبد الحميد ، فبلغ الخبر اليه ، فقبض على السرّاج ، وحلق لحيته ، ثم نفاه . وقطع مواصلة ابن زياد ، وتتبع القرامطة قتلا أو أسراً ، حتى أباد أكثرهم ، ولم يبق فى ناحية مِسْور إلاّ فرقة يسيرة كاتمين أمرهم .

واستمر ابن عبد الحميد على ولايته إلى أن مات ، وقام بعده ولده المنتاب بن إبراهيم ، وهو الذى ينسب إليه مِسْور ، فيقال مِسْور المنتاب . ولما استقل بالأمر فى تلك الجهة بعد أبيه ، كتب إلى المعز العبيْدى[1] إلى مصر بعد استيلائه عليه .

ولما حضرت المنتاب الوفاة استخلف رجلا من شبام يعرف بسيف بن الأسد ، فقام بالدعوة إلى أن حضرته الوفاة ، فاستخلف سليمان بن عبد الله الزواحى ، وهو رجل من حمير وأصله من قرية فى حَرَاز[2] ينسب إليها . وكان كثير المال والجاه ، فاستمال الرعاع ودعاهم إلى مذهبه ، واعتزى إلى العبيديين . وكان كلما همّ به المسلمون دافعهم بالحيل ، وقال لهم « أنا مسلم أشهد أن لا إله إلا الله » فيكفون عنه . وكان كريم النفس واسع العطاء ، فلما حضرته الوفاة استخلف على الدعوة على بن محمد الصليحى الآتى ذكره .

---

(١) يقصد الخليفة المعز لدين الله الفـــاطمى ، وكانت قواته بقيادة جوهر الصقلى قد استولت على مصر سنة ٣٥٨ هـ ، ثم رحل الخليفة المعز نفسه الى مصر سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م)

(٢) حراز : مخلاف باليمن قرب زبيد سمى باسم بطن من حمير . (ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٣٣٧ —

فلم يتفق فيها ، ولا فى التى بعدها ، مالابد من ذكره .

ودخلت سنة — ٣٣٩ —

فيها أعادت القرامطة الحجر الأسود إلى موضعه الشريف ؛ وقالوا : « أخذناه بأمر وأعدناه بأمر » .

ودخلت سنة — ٣٤٠ —

لم يتفق فيها — ولا فى الثلاث السنين بعدها — حادثة غريبة .

ودخلت سنة — ٣٤٤ —

فيها وصل المختار بن الناصر إلى ريْدة ، فخرج إليه ابن الضحاك من صنعاء ، واستمد منه التولية على صنعاء ، فولاه .

ودخلت سنة — ٣٤٥ —

فيها غدر ابن الضحاك بالمختار ، فحبسه فى قصر رَيْدة ، ونالته المشقة من أصحاب ابن الضحاك ، فإنهم كانوا يدخلون عليه بأوعية الخمر ويشربونه فى مكانه ، قصداً منهم لأذيته وتنجيس موضعه وثيابه ، فكان خادمه يدخل عليه كل يوم فيطهر ثيابه وموضع صلاته . ولم يزل كذلك إلى شهر شوال من هذه السنة ، ثم قتلوه ظلماً ، والله المستعان ، وإليه المشتكى ، وعليه المعول .

وفى هذه السنة غلب على بن وردان — أحد موالى آل يعفر — على صنعاء . وثار الأسمر بن يوسف بن أبى الفتوح الخولانى ، فعارض بنى يعفر ، فقصدوه إلى حَرَاز فهزمهم ، وقتل طائفة من عسكرهم . ومات على بن وردان بعد أن استخلف أخاه سابور ، فقام بالأمر ، وصار ابن الضحاك معه كما كان مع أخيه ، فخرجا جميعاً لقتال ابن أبى

الفتوح . وقد صار فى خَوْلان فلم يظفر منه بطائل . وبعد أيام خرج سابور قاصداً الذِمَار ، فلقاه ابن أبى الفتوح فقتله فى نَقِيل[1] يَكَلَى ، فكتب ابن الضحاك إلى صاحب زبيد ، وبذل له الطاعة ، وأثبت اسمه فى الخطبة . وكتب ابن أبى الفتوح إلى الأمير عبد الله بن قحطان بن أبى يعفر صاحب شبام ، وحثه على القيام بالأمر ، فقدم الأمير عبد الله إلى السَّرْو ، واجتمع به ابن أبى الفتوح ، فأقاما أياماً ، ثم سار الأمير عبد الله إلى كحلان ، فلبث فيه مدة من الزمان .

ودخلت سنة — ٣٤٦ —

فلم يتفق فى هذه السنة — ولا فيما بعدها إلى سنة ٣٥٢ — ماينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٣٥٣ —

فيها رجع الأمير عبد الله بن قحطان إلى صنعاء ، فخرج منها ابن الضحاك منهزماً . ولم يلبث الأمير عبد الله أن خرج عنها ، فدخلها ابن الضحاك ، وأعاد الخطبة لصاحب زبيد. ولم يستقر له أمر بل عادت البلاد للأمير عبد الله ، واشتد أمره ، ولم يزل يتتبع القرامطة حتى ظفر بوَلَدَيْنِ لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة ، فأمر بقتلهم ، وبعث برءوسهم الى مكة أيام الموسم .

ودخلت سنة — ٣٥٤ —

فلم يتفق فيها — ولا فى السنتين بعدها — مايحسن ذكره .

---

(١) النقيل بلغة أهل اليمن هو العقبة
(ياقوت : معجم البلدان) .
ويكلى واد وبلد وقبيلة فى ميزاب اليمن الشرقى ، شرقى صنعاء (الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠ ، ١٠٨)

ودخلت سنة — ٣٥٧ —

فيها ظهر طيرٌ أبيض عظيم الخلقة فى جهه عُمان ، فوقف على تل هنالك ، وصاح بصوت عالٍ ولسان فصيح ، « قد قرب الأمر » ثلاث مرات ! ثم غاص فى البحر . وظهر فى اليوم الثانى والثالث فقال كذلك ، ثم غاب ، وكان آخر العهد به . وتعقبه فتن فى العراق والحجاز والشام وغيرها من بلاد الإسلام .

ودخلت سنة — ٣٥٨ —

فيها قام الإمام الداعى يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن الهادى ، فنهض إلى نجران وجهاته ، ثم رجع منها إلى رَيْدة ، فاستخرج جسد عمه المختار بن الناصر رحمه الله ، فوجده على حالته منذ قتله ابن الضحاك ، فحمله إلى صَعْدَة ودفنه فيها ، وسار إلى صنعاء ، فدخلها ، وخرج منها ابن الضحاك إلى بيت بوس .

ثم خرج الإمام إلى الرحبة ، فوافى بها جموع ابن الضحاك ـ وفيهم أسعد بن أبى الفتوح الخَوْلانى ـ فى جند عظيم ، من مأرب وغيره . وجند الإمام يومئذ ألف فارس من همْدان وحِمير وغيرهم . فظفر جند ابن الضحاك بأواخر جند الإمام ، وقتلوا منهم جماعة . فعطف عليهم الإمام فهزمهم ، وقتل منهم عدة قتلى ، ورجع إلى صنعاء فأقام فيها أياما . ثم رجع إلى المشرق وبلاد ابن أبى الفتوح ، ثم رجع إلى البَوْن وتردد فيه ، وسار ابن الضحاك إلى خيوان ، ودخل ابن أبى الفتوح والشريف الهدَوى[1] إلى صنعاء ، فلبثوا فيها سنين .

---

(١) الهدوى ، والجمع هدوية ، نسبة الى الامام الهادى الى الحق يحيى بن الحسين القاسم الرسى ، وهو أول من دخل اليمن من الأئمة الزيدية ، ومعظم الأئمة الزيدية باليمن وعددهم تسعة وخمسون اماما ينسبون اليه ، وهم الذين يسمون بالحسنيين أما الباقون فينتسب خمسة منهم الى الحسن بن على بن أبى طالب ، واثنان الى الحسين بن على ، وهم الحسينيون . =

ودخلت سنة — ٣٥٩ —

لم يتفق فى هذه السنة ـ ولا فيما بعدها من السنين إلى سنة ٣٦٨ ـ نكت غريبة .

ودخلت سنة — ٣٦٩ —

فيها اختلف الشريف الهدَوى وابن أبى الفتوح ، فسار الهدوى إلى الإمام الداعى وقصدا صنعاء ، فقاتلهما ابن أبى الفتوح على أبواب صنعاء أربعة أيام ، ولم يظفرَا بشىء ، فأخربا ما حول صنعاء ، ورجعا إلى رَيْدة . وأقام ابن أبى الفتوح فى صنعاء ، وعضّده سلمة بن أحمد الجهم الشهابى ، فمال أهل صنعاء إلى الشهابى ، وأخرجوا ابن أبى الفتوح إلى بيت بوْس ، فكاتب الإمام الداعى ، وبذل له الطاعة واستدعاه لحرب صنعاء . ثم التقيا إلى ظلمغ ، وتقدما إلى صنعاء فدخلاها بعد حرب شديدة . والتجأ الشهابى إلى بعض الدور ، فهجم عليه عسكر الإمام فأخذوه ، وقتل جماعة من الشهابيين ، وهدم الإمام الدرب . ثم فسد ما بين الإمام وابن أبى الفتوح ، فخرج الإمام إلى خَوْلان ، وأخرب دوراً هنالك . ومكث ابن أبى الفتوح فى بيت بَوْس ، فعاد الإمام إلى صنعاء وحارب ابن أبى الفتوح . ثم اتفق الإمام وابن الضحاك ، فجعل له جباية صنعاء ، فاختلفت عليه

= وقد ولد الامام الهادى الى الحق فى المدينة المنورة سنة ٢٤٥ هـ ، وتعمق فى دراسة الدين ، واعتنق المذهب الزيدى عن أبيه الحسين عن جده الذى كان قطبا من أقطاب الزيدية ، وهو المذهب الذى ينسب الى زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على ، رضى الله عنهم . وفى سنة ٢٨٤ هـ سار الهادى الى اليمن ، فوصل صعدة ، ودعا الناس الى بيعته وجاهد فى سبيل الدعوة جهادا شديدا ، حتى توفى فى صعدة ودفن فيها سنة ٢٩٨ هـ .

وهكذا نسب الزيدية فى اليمن الى الهادى ، فعرفوا باسم الهدوية ومفردهم هدوى . وقد ذكر المؤلف بعد ذلك فى حوادث سنة ٦٥٠ هـ ما نصه « وكحلان يريم من المعاقل المشهورة ، وكان أهله زيدية هدوية » .

همدان فسار إلى عَنْس[1] فأقام فيه زمانا . وهدأت الفتنة هذه المدة ، وكل من هؤلاء ثبت على ما تحت يده وقنع به .

ودخلت سنة — ٣٧٠ —

لم يتفق فى هذه السنة ـ ولا فى الثلاث بعدها ـ ما يوجب الرقم والإثبات بالرسم .

ودخلت سنة — ٣٧٤ —

فيها سار الإمام الداعى إلى مأرب ثم عاد إلى رَيْدة ، فجمع هَمْدان ، وسار بهم إلى صنعاء ، فخالفوا عليه ، فرجع الى مكاتبة ابن أبى الفتوح ، وبذل له نصف جباية صنعاء ، فسار اليه ، وطرد عمال ابن الضحاك ، وخطب للإمام ولعبد الله بن قحطان من غير إذن الامام . فلما لامه على ذلك ، قطع الجميع ، فتوجه الإمام الى حوث ، فبنى داراً فيها ونقل أولاده اليها .

ودخلت سنة — ٣٧٥ —

لم يتفق فى هذه السنة ـ ولا فى الثلاث بعدها ـ ما يحسن ذكره .

ودخلت سنة — ٣٧٩ —

فيها سار الأمير عبد الله بن قحطان الى زبيد ، فلقاه صاحبها ابن زياد الى حجرة حَرَاز[2] فاقتتلوا هنالك ، فانهزم ابن زياد وقتل من عسكره عدة ، ثم تبعه الأمير عبدالله،

---

(١) عنس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ، مخلاف ، باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) ذكر ياقوت أن حجرة ـ بالفتح ثم السكون ـ بلد باليمن ، وذكر الحميرى ان الحجر لغة فى الحجر ، وهو الحرام (منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٢٥) . وذكر الهمدانى أكثر من موضع فى شبه جزيرة العرب باسم الحجر ، بعضها نسب الى أودية وقبائل وغيرها . أما حراز فهو بطن من بطون حمير ، ونسب اليه هذا الموضع فعرف باسم حجرة حراز .

ودخل زبيد فنهبها نهباً شديداً ، وأقام فيها ستة أيام ، ثم رجع الى كحلان ، فلبث فيه أياما . ثم خرج الى مخلاف جعفر فاستولى عليه ، وجعل فيه نائبا . ثم اضطرب عليه أهل ذلك المخلاف ، فأمر بعمارة المنظر ، وتحول اليه من أبّ[1] ، وعضده ابن أبي الفتوح على من ناوءه .

ودخلت سنة — ٣٨٠ —

لم يتفق فى هذه السنة ـ ولا فيما بعدها الى سنة ٣٨٦ ـ نكتة غريبة .

ودخلت سنة — ٣٨٧ —

فيها مات الأمير عبد الله بن قحطان ، وقام بعده بأمره ولده أسعد بن عبد الله .

ودخلت سنة — ٣٨٨ —

لم يتفق فيها شيء يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٣٨٩ —

فيها قام الإمام المنصور بالله القسم بن على العيَّانى[2] ، عليه السلام ، فى اليمن . وكان مقيما فى بلاد خثعم[3] ثم فى تَبَالَة[4] . وهو الذى استخرج غيلها القديم . ثم وصل إلى بيته

(١) أب ، بالفتح والتشديد ، بليدة باليمن ، وينطقها أهل اليمن بكسر الهمزة (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) نسبة الى عيان ، بفتح أوله وتشديد ثانيه ، ومكان عيان أى كثير العيون . ذكر ياقوت أنه بلد باليمن من ناحية مخلاف جعفر ، وان كان الهمدانى قد ذكر أكثر من موضع بهذا الاسم فى بلاد اليمن (صفة جزيرة العرب) .

(٣) خثعم : موضع باليمن ، ينسب الى خثعم بن عامر بن ربيعة (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٦ ، ١١٩)

(٤) تبالة : ذكر ياقوت أن تبالة بالفتح موضع ببلاد اليمن ، وقال أنه يظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف ، فان تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن (معجم البلدان) . وقد ربط الهمدانى بين تبالة وخثعم ، فقال ان تبالة من بلاد أو قرى خثعم (صفة جزيرة العرب ص ١١٩) .

فلقاه بنو جعفر وسلاطين خثعم. ثم سار إلى صَعْدَة فملكها، وخرج إلى نجران. ثم عاد إلى تبالة فخالف عليه أهل صَعْدة، فجمع همْدان، وسار إليها، فدخلها وأخرب دربها. وخرج منها الامام الداعي، فاستعمل عليها الإمام القسم ولده جعفر؛ وجعل له نصف خراجها، ونصفا لبنى الهادى للضرورة وضيق الوقت، ومهما حصل ما يكفيهم انتزع منهم ووضع فى موضعه الشرعى. واصطلح هو والداعى، فتنحى له الداعى وناصره، وتوجه الإمام القسم بن على إلى عَيَّان[1]، فوصلته كتب أهل صنعاء وآل الدّعام يستدعونه للوصول إلى بلادهم، فسار إليهم، ولقاه آل الدّعام، فولى عليهم ورجع إلى عيّان. ثم نهض إلى خيوان، ثم إلى وادعة، فاصلح بين أهلها فى دماء كانت بينهم. ثم خرج إلى أثافث ومنه إلى عجيب[2]، فلقاه قبائل البونَين[3] والخشب[4]، وانتشروا فى تلك الآكام وخفقت بين يديه الأعلام؛ وزالت الضغائن الكائنة بين تلك الأقوام، ببركته عليه السلام. وطلبوا منه أن يبعث عاملا على صنعاء، إذ هى قصبة بلادهم، ومستقر قوادهم، فاستعمل عليها الشريف القسم بن الحسين الزَّيْدى، فقدمها. وقد كان حصل بين أهل القطيع وأهل السرار[5] من صنعاء حروب كثيرة، حتى تضرر تجارها وضعفاء أهلها، فسكتت الفتنة.

ووفد على الإمام حمير، فسألوه القدوم إلى بلادهم، فأجابهم. ونهض إلى حلملم، فأقام

---

(١) عيان . بلد من ناحية مخلاف جعفر (ياقوت : معجم البلدان) . وقد سبق أن أشرنا اليه فى الصفحة السابقة فى نسبة الامام المنصور العيانى اليه .

(٢) عجيب : موضع باليمن فى وادى الحارد ، أحد أودية الجوف الأربعة الكبار (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٢)

(٣) البونان : كورتان ذواتا قرى ، البون الأعلى والبون الأسفل (ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢ ، ١١١)

(٤) الخشب : موضع من بنى همدان باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١)

(٥) القطيع والسرار حيان فى صنعاء ، كما يبدو من سياق العبارة فى المتن . ذكر ياقوت أن السرار بالكسر ، وادى صنعاء الذى يشتقها ويجرى اذا جاءت الأمطار (معجم البلدان) . أما القطيع ، فهو درب بأعلى صنعاء (اليمن عبر التاريخ ، ص ٢١٠) .

فيها أياما ، واستعمل عليهم الشريف اسماعيل بن أحمد الملقب بأبى البركات . ووصل الى الامام قبائل المغرب كبنى شاور[١] وغيرهم . وفى خلال ذلك خالف أهل نجران ، فجمع جمعاً عظيما ؛ وطلب الزيدى من صنعاء ، وسار إلى نجران ؛ فأسر منهم جماعة وأخرب عدة حصون ثم رجع الامام إلى عيّان ، والزيدى إلى صنعاء . وبعد أيام كتب الامام إلى الزيدى يأمره بالتقدم إلى ذمار ، فسار إليها ، ودخل أهلها فى طاعة الامام ، واستعمل الامام على صنعاء عاملا من عنده . ثم كتب الزيدى إلى أسعد بن عبد الله ابن قحطان صاحب كحلان ، يرغبه إلى الدخول فى طاعة الامام ، فأجابه ، وخطب للإمام ، وأرسل إليه بمال جزيل وخيل وخلع . وكان الامام قد نهض الى رَيْدة ، وجمع الناس لحرب نجران لما خالفوا عليه تارة أخرى . ولما دخل نجران قتل أهله قتلاً ذريعاً ، فطلب بقيتهم الصلح ، فأجابهم . ولما أصلحوا ما خرب من دورهم عادوا إلى الخلاف ، فرجع الإمام إلى عَيّان . وفى خلال ذلك فسد ما بين الزيدى وابن أبى الفتوح ، فخرج الزيدى إلى ألْهَان[٢] ، واستولى على حصن أشيح[٣] ، وكتب إلى نائب الإمام على صنعاء فلقاه ، وهدما دار ابن أبى الفتوح ، ثم سار الزيدى إلى صنعاء بعسكر عظيم ، فأقام فيها أياماً ، ثم رجع إلى ذِمَار .

وفى هذه السنة نهض الإمام الداعى من صَعْدَة إلى وادعة ، مغاضباً للامام القسم بن على ، بسبب قطع الإمام للمكوس فى صَعْدة ، وما كان يؤخذ من التجار فى مقابلة الزكوات والأعشار لما شكوا عليه جور العمال ، وأنهم يسلمون ما وجب عليهم فى صنعاء.

---

(١) بنو شاور : احدى القبائل العشرة من أولاد حاشد (حسين الويسى : اليمن الكبرى ص ١٨٧ ـ ١٨٨) .

(٢) الهان : اسم مخلاف باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) حصن أشيح : حصن منيع عال جدا فى جبال اليمن
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٨٥)

وكان للامام الداعي وأهل بيته قسط من ذلك ، فوقع فى أنفسهم ماوقع . ثم سعى فى الصلح بين الإمامين ، والحسن بن محمد بن يحيى .

وفيها بلغ الإمام القسم بن على أن رجلا من بنى خيثمة[1] أهل نجران وجماعة من أصحابه نكثوا البيعة ، ووثبوا على عاملين من عمال الإمام فقتلوهما .

ودخلت سنة — ٣٩٠ —

فيها سار الإمام إلى نجران فى ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ، فأوقع ببنى خيثمة بسبب قتلهم لعامليه ، وأخرب حصنهم ، وأمر بقطع أعنابهم ، وظفر بستين رجلا منهم ، فسار بهم إلى صَعْدة تحت الحفظ ، وطلب الإمام من التجار وغيرهم إعانة فى إقامة الُجند .

وفى هذه السنة وصل إلى الإمام جماعة من الأشراف آل أبى الطيب من الحجاز فى أبهة عظيمة ، وحاشية من الموالى والخدم ، فاستوقفهم الإمام فى صَعْدة ، ونهض إليهم من عيّان ، وقابلهم بجزيل الإحسان ، وأهدوا له هدية لائقة ، وأعانوه بشىء من المال ، وطلبوا منه الهجير معهم لفتح تُهامة الشام وتوليتهم إيّاها ، فوعدهم الإمام بذلك .

وفيها وقع بين الإمام وبنى المليح[2] اختلاف ، بسبب عزلهم عن عهدتهم ، وجرى بينهم وبين الإمام عتاب طويل أفضى إلى المحاربة فى صعدة . ولم يكن عند الإمام فى ذلك الأوان من أصحابه من فيه كفاية فى دفع المحاربين له ، فتأخر عنهم إلى أن أتته غارة

---

(١) بنو خيثمة ، هم بنو خيثمة بن الحارث ، بطن من الخزرج ، من الازد ، من القحطانية .

(الانســـاب للمقدسى ص ٣٤ ، كحالة : معجم قبائل العـــرب ، ج ١ ص ٣٦٨) .

(٢) بنو مليح : هم بنو مليح بن عمرو ، بطن من خزاعة من القحطانية يقطن نجد .

(النويرى : نهاية الارب ، ج ٢ ص ٣١٨ ، الألوسى : تاريخ نجد ص ٨٩ ، كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٣ ص ١١٣٧)

القبائل، فانهزم عنه بنوا المليح المحاربين إليه فى نجران. واتفق من القبائل الواصلين إلى الإمام انتهاب لبعض دور أهل صعدة، ما قد يتفق مثل ذلك عند دخول الجيش. ثم نهض الإمام إلى عَيَّان وسار منها إلى نجران، فوقع بينه وبين أهل نجران حرب انهزم فيه أصحابه، وقتل منهم جماعة، منهم ابن عمه الحسن بن عيسى. ولما رأى الأشراف بنو أبى الطيب كثرة اختلاف الناس على الإمام استأذنوه بالعود إلى بلادهم، فأذن لهم.

ودخلت سنة — ٣٩١ —

فيها سارت همدان إلى الإمام يطلبون منه النفقة، فكتب إلى عامله على صنعاء وتسليمها إليهم، فلم يجدوا عنده ما يقوم بها، فقصدوا ابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد، فخالفوها، ودخلوا بهما إلى صنعاء، وخرج عامل الإمام منها. ولما علم الزيدى بذلك سار من ذِمَار بجموعه حتى نزل بئر الخولانى، وأمر بقطع ما فيه من أعناب لبنى أبى الفتوح. وسار إلى قرية نُعُط[1] فأخربها، وخرج ابن أبى حاشد من صنعاء، فعاد إليها نائب الإمام، وهو يومئذ ابن أبى الصباح. وكانت الأبناء قد أسلمت ابن أبى الفتوح ومالت عن نصرته، فتوصل إلى الزيدى والى رؤساء القبائل بكل ممكن، فقبله الزيدى على أن يكون مخلاف خولان اليه من جملة بلاد الإمام، وحمل ابن أبى الفتوح الى الزيدى خمسة وسبعين ألف درهم. ودخل الزيدى صنعاء، ووقعت منه مخالفة لأوامر الإمام، ثم طلب من الإمام الاتفاق، فالتقيا الى مَدَر، واعتذر الزيدى مما جرى منه، ورجع الإمام الى وَرْوَرْ والزيدى الى ذَمار. واستعمل الإمام على صنعاء الشريف هلال ابن جعفر العلوى.

وفى هذه السنة ارتفع سعر الطعام فى صنعاء ارتفاعاً عظيما.

---

(١) نعط : قرية باليمن، وناعط جبل باليمن من حاشد كانت ملوك حمير تسكنه.

(الويسى : اليمن الكبرى ص ١٩٤)

وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن زياد الملقب بأبي الجيش صاحب زبيد ، وخلف ولدا اسمه ابراهيم ، وقيل زياد ، فتولت كفالته أخته هند بنت أبي الجيش ، وعبدحبشي من عبيد أبيه يسمى رشيدا ، فلم يلبث رشيد أن مات . وكان له عبد نجيب من موالدة النوبة يسمى حسين بن سلامة ـ نسبة الى أمه ـ حازماً لبيباً عفيفاً حسن السيرة ، قدتولى كثيراً من أعمال مولاه رشيد في حياته . فلما مات رشيد قام بعده حسين بن سلامة ، فذب عن ملك مواليه بني زياد ، وكانت دولتهم قد تضعضعت في أيام أبي الجيش كما تقدم ذكره ، فأحيا ذكرها حسين بن سلامة ، وقصد المتغلبين على أطراف البلاد ، فدانوا له ، وحملوا اليه الخراج ، ودخلوا تحت الطاعة ؛ وعاد ملك بني زياد كما كان . وهو الذي اختط مدينة الكدراء في وادي سهام ؛ ومدينة المعقر[1] في وادي دَوَال ، وحفر الآبار ، وبنى الجوامع الكبار ، وجدد عمارة الجامع بعدن ، وعمر مسجد الجنَد وغيره من المساجد والمآثر . وهو أول من أدار السور على مدينة زبيد ؛ وعلى الجملة فإن محاسن هذا الرجل كثيرة وسيرته أحسن سيرة .

وفي هذه السنة وصل جعفر بن الإمام القسم بن علي العَيَّاني إلى صنعاء عاملا لأبيه ، ولقاه ابن أبي الفتوح ، فرد عليه جميع مخالفه ، ولحق الناس من جعفر الجور . ثم وصل الإمام إلى صنعاء ، ووصل إليه ابن أبي الفتوح . وتغير قلب الإمام على الزيدي ، فخالف عليه ، ولبث في ذمار إلى أن خرج الإمام من صنعاء ، ثم قصدها وأسر جعفر ابن الإمام وإخوته وسار بهم معه ، وحارب ابن أبي الفتوح وأخرب قرية نُعط تارة أخرى . ثم إن الإمام راسل الزيدي واستعطفه ، فأطلق أولاده وأحسن إليهم . وقصد الإمام إلى رَيْدة فصلح شأنها ، وأقام الزيدي عند الإمام مدة ، ثم أولاه الإمام ولاية عامة من عجيب إلى عدن ، ورجع الزيدي الى صنعاء ، فولاها الشريف هلال بن جعفر

---

(١) معقر : بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر القاف ، واد باليمن ، اختطت فيه مدينة .

(ياقوت : معجم البلدان) .

العلوى . وسار حتى وصل ألهَان[1]، فوافاه خبر وفاة الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان صاحب كحلان ، وأن قومه من حمير أقاموا بعده أحمد بن يعفر .

وفى خلال ذلك وصل الإمام القسم بن على إلى صنعاء ، فمال عنه الشريف هلال نائب الزيدى على صنعاء ، وكتب إلى الإمام يوسف بن يحيي يستدعيه للوصول إليه ، فلقاه إلى مشرق همدان ، وتحالفا . ورجع الإمام يوسف بن يحيي إلى ريدة .

وفى أثناء ذلك ورد إلى الإمام القسم بن على كتاب من ولده سليمان ، يذكر فيه خلاف بنى المختار وبنى المليح فى صعدة ، فأمر بالرحيل من صنعاء ، واستخلف عليها ولده جعفرا . ولما وصل رَيْدة بلغه أن الزيدى خلفه بالدخول إلى صنعاء ، وقبض على ولده جعفر ، وبعث به إلى قلعة لبني شهاب ، وخطب للإمام يوسف بن يحيي . فاشتد ذلك على الإمام القسم ، وسار إلى مَدَر ، فأطلق الزيدى ولد الإمام ، وكتب اليه يسأله الصلح ، فأسعده الإمام ، والتقيا الى الصيد . ولما أقبل الزيدى بالجنود الكثيرة أرسل اليه الإمام أنه لا يلقاه الا فى نفر قليل ، فلقاه وتم الصلح بينهما ، وسارا جميعا الى رَيْدَة ، ثم افترقا ، فرجع الزيدى الى اليمن وتوجه الامام الى وادعة ، فعمر فيها دارا وأسكنها ابن عمه القسم بن عبد الله . ثم سار الى عَيَّان فاستقر فيها ، وترك الأمر والنهى لعدم وجود الأنصار الأخيار . ولم يزل كذلك الى أن مات رحمه الله تعالى فى التاريخ الآتى ذكره ، وصار الأمر لبنى المختار فى صعدة وصنعاء . وأما الامام يوسف بن يحيي فإنه توجه إلى صنعاء ، ثم سار منها الى ألْهَان ، ومنه الى ذمَار .

ودخلت سنة — ٣٩٢ —

لم يتفق فيها غير ما تقدم ذكره .

---

(١) ألهان : مخلاف باليمن واسم قبيلة ، وهو ألهان بن مالك بن زيد ابن اوسلة بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
(ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٣٩٣ —

ففي شهر رمضان منها مات الامام القسم بن على رحمه الله تعالى ، ودفن فى عيان ، فقبره فيها مشهور مزور . ومن مآثره عليه السلام استخراج غيل آلاف جنوبى صنعاء ، على يد عامله الزيدى .

وفى هذه السنة دخل ابن أبى حاشد الى صنعاء وخطب للشريف الزيدى .

ودخلت سنة — ٣٩٤ —

فيها مات الشريف الزيدى القسم بن الحسين فى مدينة ذِمار ، ودفن فى الجامع ، وقام بعده فى ذِمار ولده محمد بن القسم ، وسيأتى ذكر أخباره فى موضعها .

ودخلت سنة — ٣٩٥ —

لم يتفق فيها ما يحسن ذكره .

ودخلت سنة — ٣٩٦ —

فيها خرج ابن أبى الفتوح بجيش عظيم يريد ألْهَان ، فوثب عليه غلمانه فقتلوه ، وأقاموا ولده منصورا . وحصل الاختلاف فى اليمن ، وكثرت فيه الفتن والمحن ، ولم تزل كذلك الى آخر سنة سبعة وتسعين وثلثمائة .

ودخلت سنة — ٣٩٨ —

فيها دخل الامام يوسف بن يحيى والشريف محمد بن القسم الزيدى الى صنعاء ، فلبثا فيها قدر نصف شهر ، ولم ينتظم لهما فيها أمر ، فتوجه الامام الى مَدَرَ ، ورجع الزيدى الى ذِمَار .

وثارت الفتنة على صنعاء من خولان وهمدان وحمير والأبناء وبنى شهاب ، ففى كل

شهر لها حاكم، وفى كل يوم عليها أمير. والغالب آل الضحاك، وقد تخلوا عن الأمير[1] فى بعض الأوقات إلى آخر سنة ٣٩٩.

ودخلت سنة — ٤٠٠ —

فيها سار جماعة من همدان وبنى شهاب إلى الشريف محمد بن القسم الزيدى، وهو فى ذِمَار، وطلبوا منه القدوم إلى صنعاء، فسار إليها ولبث فيها مدة.

ودخلت سنة — ٤٠١ —

فيها وصل الإمام المهدى لدين الله الحسين بن القسم بن على العَيَّانى إلى جهة البَوْن، فأجابته حمير وهمدان والمغارب، ومالوا عن الزيدى، وقد كان خرج إلى مغارب صنعاء، ودعا إلى نفسه، ثم رجع إلى بيت بوْس، فأقام فيه أياما وأصلح جوانبه، واستخلف ولده زيد بن محمد عَلَى صنعاء، فأصلح دربها ثم بدا له أن يخرج مَن فى سجن صنعاء، وسار إلى ذمار وتعطلت صنعاء عن الإمارة بقية هذه السنة.

ودخلت سنة — ٤٠٢ —

فيها دخل الضحاك بن جعفر بن الضحاك الى صنعاء فأقام فيها مدة. وفى أيام إقامته وصل رسول من الإمام الحسين بن القسم يعرف بأبى النجم فى جماعة من أصحابه لقبض الزكاة، فلم يعترضه الضحاك.

وفى آخر هذه السنة وصل صنو[2] الإمام إلى صنعاء.

وفيها مات الحسين بن سلامة القائم بأمور بنى زياد فى زبيد والتهائم كما تقدم ذكره، ولم يبق من بنى زياد إلا صبى صغير كفلته عمته، وعبد حبشى يسمى مرجان من

---

(١) كذا فى المتن، ويفهم من سياق المعنى أنهم تخلوا عن الامارة والحكم.
(٢) الصنو هو الأخ الشقيق.

عبيد الحسين بن سلامة . وكان لمرجان المذكور عبدان فحلان وهما نفيس ونجاح ، فجعل إلى نفيس أعمال الإمارة وما يتعلق بها ، وإلى نجاح نيابة الكدراء والمهجر وموْر وما إليها . فلبثا على ذلك برهة من الزمان ثم تنافسا ، وتعاظمت الوحشة بينهما . وكان نفيس ظالما غشوما ، ونجاح عادلا محبباً إلى الرعية ، إلا أن مولاهما مرجان يفضل نفيسا على نجاح ، وابن زياد وعمته يفضلان نجاحا ويكاتبانه . فشكاهما نفيس إلى مولاه مرجان فدفعهما إليه ، فأدخلهما فى جدار وبناه عليهما وهما قائمان يناشدانه الله تعالى ، وهو لا يلتفت إلى قولهما ، حتى ختم الجدار عليهما . وبهما انقطعت دولة بنى زياد من زبيد وما إليها ، فكانت مدة ملكهم تقريبا تزيد على مائة سنة .

وقد كانوا تغلبوا على خراج ما تحتهم من البلاد ، لما علموا اختلاف حال الدولة العباسية ، واستقلوا بالأمر ، وركبوا بالمظلة[1] ، ولم يبقوا لبنى العباس الا ذكرهم فى الخطبة فقط ، سياسة منهم لقلوب الرعايا ، ودفعا فى وجوه سائر ملوك اليمن . فلما انقضت أيامهم ، وثب على امارتهم نفيس المذكور . فتكبر فى نفسه ، وركب بالمظلة وسلك مسلك مواليه فى اقامة النواميس الظاهرة . وكان نجاح غائبا فى الجهات السرُددية[2] ، فلما بلغه فعل نفيس بابن زياد وعمته ، غضب واستنفر من حوله من العرب والسودان ،

---

(١) كانت المظلة من شعار السلطنة فى العصور الوسطى ، ويقصد بشعار السلطنة المظاهر التى تحيط بالسلطان ويختص بها السلطان وحده فى المواكب وغيرها . والمقصود بالمظلة قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، فى أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب . ويقصد المؤلف أن بنى زياد استقلوا بحكم زبيد عن الدولة العباسية وظهروا فى صورة الحكام المستقلين .

(القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٧ ــ ٨)

(٢) سردد بضم أوله ، ولاية قصبتها المهجم من أرض زبيد « واهل اليمن يقولون السرددية »

(ياقوت : معجم البلدان) .

ونهض الى زبيد لمحاربة نفيس بعزيمة صادقة ، فلقاه نفيس بجموع كثيرة ، ووقعت بينهما عدة معارك هلك فيها عالم كبير ، وفى آخرها قتل نفيس على باب زبيد . ودخل نجاح الى زبيد ، فقبض على مولاه مرجان ، وسأله عن مولاته وابن مولاه من بنى زياد الذين قتلهما نفيس ، فقال هما فى هذا الجدار ، فأخرجهما نجاح ، وجهزهما وصلى عليهما ودفنهما . وجعل مرجان موضعهما — وهو حى — وضم إليه جسد نفيس ، وختم عليهما كما فعلا بابن زياد وعمته ، وكادت المبنى أن تكون دار جزاء .

ثم استولى نجاح على ملك تهامة ، وركب بالمظلة ، وضرب السكة باسمه ، وكاتب أهل العراق وبذل لهم الطاعة ، وضبط أمر التهائم وهابته الملوك . ولم يزل كذلك إلى أن قتله على بن محمد الصليحى بالسم على يد جارية أهداها له ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٤٠٣ —

ففى صفر منها مات الإمام يوسف بن يحيى فى صَعْدة ، ودفن الى جنب أبيه يحيى ابن الناصر — رحمه الله تعالى — فى مسجد الهادى عليه السلام .

وفيها قدم محمد بن القسم الزيدى إلى صنعاء بعسكر عظيم ، وأمر بهدم دور جماعة من شيعة الإمام الحسين بن القسم العَيَّانى . ولما بلغ الإمام الحسين قدوم الزيدى إلى صنعاء ، جمع عسكراً من همدان وحمير وغيرهم ، وسار بهم نحو صنعاء ، فوقع بينه وبين الزيدى حرب شديدة ، انهزم فيها الزيدى ، فتبعه الإمام إلى الحقل[1] ، فقتله ودفن فى نجد عُصفر[2] . ثم رجع الإمام إلى رَيْدة ، واستخلف أخاه جعفر بن القسم على صنعاء .

(١) ذكر ياقوت أن الحقل مخلاف باليمن ، وهو مخلاف الحقل ، ويقال له حقل جهران (معجم البلدان) . وذكر الهمدانى أكثر من حقل ببلاد اليمن أشهرها حقل صعدة وحقل بنى سليم وحقل ساحل تيماء وحقل سهمان وحقل شرعة وحقل قتاب . (صفة جزيرة العرب) .

(٢) عصيفر وعصيفرة جهة قرب تعز باليمن ، ولعل نجد عصفر المشار اليه فى المتن فى تلك الجهة . (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٣٦)

ولما علم زيد بن محمد بن القسم الزيدى بقتل أبيه نهض فى جمع عظيم من مذحج ، فوصل ألهان ، وفيها منصور بن أبى الفتوح . فوقع بينهما حرب قتل فيه جماعة من أصحاب ابن الزيدى ، وأخذت راياته ، فبعث بها ابن أبى الفتوح إلى الإمام الحسين . ورجع ابن الزيدى منهزماً ، فنزل ابن مروان من أصحاب الزيدى إلى زبيد مستمداً من صاحبها إعانة على بن أبى الفتوح ، فأمده بمال جزيل ، ولقاه ابن الزيدى إلى عنس ، ثم سارا لحرب ابن أبى الفتوح ، فكادا أن يستوليا عليه ، فاستعان بالإمام الحسين بن القسم ، فأقبل إليه فى جيوش عظيمة ، فتفرق جمع الزيدى ولم يبق معه إلاّ ابن مروان ، فخرجا فى خفية ، وترك القوم كثيراً من أجمالهم وخيلهم ، فاستولى عليها الإمام .

وفى خلال مسيره لحرب ابن الزيدى ، خالف عليه بعض أهل بلاده ، فلما رجع عاقبهم أشد العقوبة . ثم سار إلى صعدة فى جيش عظيم ، فاستولى عليها ، وأخرب فيها دوراً ، ثم استعمل عليها أخاه جعفر بن القسم وعاد إلى صنعاء . وفسد ما بينه وبين ابن أبى الفتوح ، وخالف عليه أيضاً بنو شهاب ، وأهل وادعة ، وبنو صريم ، ونهبوا دار الامارة ، وأخرجوا من فى السجن من أهل البون . ثم خرج الإمام من صنعاء بعد أن نهبت عساكره دور جماعة من أهل صنعاء ، فتنكرت له القلوب . وخرج جماعة من أعيان أهل صنعاء ، فألبوا عليه القبائل المخالفة عليه ، فحاربوه فى ريدة ، حتى هزموه إلى حمدة ، وقتل فى ذلك الحرب جماعة من أصحابه . ثم خرج من حمدة نحو الصيد[1] مختفياً . ودخلت القبائل حمدة فنهبوها ، ورجع الناس إلى أحمد بن قيس بن الضحاك فأقاموه للإمارة على صنعاء ، فلبث فيها مدة .

ثم جمع الإمام جيشاً عظيماً ، وجمع ابن الضحاك أهل الجهات المخالفة على الإمام ،

---

(١) صيد ، جبل عظيم عال جدا فى أرض اليمن من مخلاف جعفر من حقل ذمار فى راس قلعة يقال لها سمارة

(ياقوت : معجم البلدان) .

وسار بهم إلى ذِيبَين[1] فالتقيا هنالك ، ووقعت بينهما حرب ، فانهزم الإمام إلى الجوْف ، ثم رجع إلى الصَّيْد فى مائة فارس . ثم تقدم إلى رَيْدة . ولما سمعت همدان بعوده قصدوه ، وحصلت بينهم وبينه حروب شديدة ، فرّق فيها صفوفهم ، وحمل عليهم بنفسه حملات الباز الأشهب ، ووثب على جماعاتهم وثبات الأسد المغضب . وفى آخر الأمر تكاثرت عليه الرجال وجدُّوا فى القتال ، فانكشفت المعركة عن قتله ، رحمه الله تعالى ، وهو يومئذ فى حد الثلاثين سنة . وفى جَهَلَة الشيعة من يزعم أنه حىّ ، وأنه المهدى المنتظر . قال السيد صارم الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله ـ رحمه الله تعالى ـ فى بسامته[2] عند ذكر هذا الإمام عليه السلام :

وقال قوم هو المهدى منتظراً قلنا كذبتم حسين غير منتظر
كيف انتظاركم نفساً مطهرة سالت على البيض والصمصامة الذكر

ولما قتل عليه السلام سار ابن أبى حاشد إلى صنعاء ، فلم يتم له فيها أمر مع همدان ، وتعطلت عن الإمارة مدة من الزمان .

---

(١) كذا فى المتن ، وجاء فى معجم البلدان لياقوت أن الذئبين بلفظ تثنية الذئب ، اسم لموضع (ياقوت : معجم البلدان) أما الهمدانى فذكر جبل ذيبان ، وقال انه من بلد همدان وأن فيه كرم ونجدة وحده (صفة جزيرة العرب ص ١٠٩ ـ ١١٠)

(٢) البسامة المذكورة هنا قصيدة ، نظمها صارم الدين ابراهيم بن محمد للامام المؤيد محمد بن الناصر فى اليمن ، ضاهى بها قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة . واقترح الامام المذكور على بدر الدين هذا أن يشرحها ففعل . والقصيدة من ٣٦ بيتا مطلعها :

الدهر ذو عبر عظمى وذو غير وصرفه شامل للبدو والحضر

وسمى شرحه لها « مآثر الأبرار فى تفصيل مجملات جواهر الأخبار » ، وهو يشتمل على تاريخ أئمة اليمن .

(جرجى زيدان : آداب اللغة العربية ، ج ٣ ص ٢٢٠)

ودخلت سنة — ٤٠٤

لم يتفق فيها سوى ما ذكره .

ودخلت سنة — ٤٠٥ —

فيها دخل إلى صنعاء أحمد بن قيس بن الضحاك ، فأقام فيها إلى العام الثانى ، ثم خرج عنها وتعطلت عن الإمارة إلى سنة ٤٥٨ ، لكثرة الاختلاف بين أمرائها ، وعدم اجتماعهم على واحد منهم ، وثبوت كل منهم على ما تحت يده من البلاد .

قال بعضهم : وفى أيام أحمد بن قيس بن الضحاك ، تلاشى بنيان صنعاء حتى لم يبق فيها سوى ألف وأربعين دارا ، ومن المساجد العامرة مائة وستة مساجد ، واثنا عشر حماما ، بعد أن بلغت فى زمن هارون الرشيد إلى مئة ألف وعشرين ألف دار ، كما تقدم ذكره . وكان ابتداء نقصانها من أول ظهور القرامطة فى اليمن ، وذلك بسبب تتابع الفتن ، واختلاف الأيدى عليها فى كل زمن . ولقد كانت صنعاء وأعمالها كالخرقة الحمراء بين الأيدى ، وضَعُفَ أهلها ، وانتقلوا إلى كل ناحية . ولم تزل كذلك إلى أيام على ابن محمد الصليحى ، ثم عمرت بعض العمارة ، ونقصت فيما بعد . وما زالت أحوالها مضطربة من ذلك الزمان ، تارة زيادة وتارة نقصا ، إلى أيام استقرار الدولة القاسمية المنصورية ، خلد الله دوامها وأنفذ على الحق أحكامها(١) .

ودخلت سنة — ٤٠٩ —

فيها أرجعت همْدان أحمد بن قيس بن الضحاك إلى الإمارة .

ودخلت سنة — ٤١٠ —

فيها ثار ابن الزيدى بقوم من بنى شهاب ، فخرج عليه ابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد ،

---

(١) ورد فى هامش المخطوطة أمام هذه الجملة ما يلى :
(المراد بها دولة الامام القسم بن محمد بن على وأولاده رحمهم الله تعالى) .

وعضدهم القائد مرجان الحبشي صاحب الكدراء، فقبضوا على ابن الزيدي وسجنوه في حصن أشيّح . ثم سار ابن أبي الفتوح إلى تهامة، فتلقاه القائد مرجان بأحسن تلق، ثم رجع إلى ألهان فاستقر فيه، وأرسل بولد الزيدي إلى مرجان .

وفي هذه المدة كانت اليمن مشتركة بين أمرائها ، فالتهائم وجميع أعمال زبيد إلى موالي بني زياد ، وعدن ولحج وأبيَن وحضرموت والشّحر[١] إلى بني معن ، وسمدان[٢] والدّملوه[٣] وذَخِر[٤] والتعكُر[٥] إلى بني الكرندي[٦]. قال الفقيه عمارة اليمني : ولبني الكرندي سلطنه ظاهرة . وتغلب حسين بن التبعي على حصن حبٌ[٧] وعزّان[٨] وخَدَد[٩] وبيت عز[١٠] والشّعر[١١] والنقيل والسُحول[١٢] والشوافي[١٣] . وأما اليمن

---

(١) الشحر : هو الشط ، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) سمدان : حصن باليمن عظيم الخطر (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) الدملوه : بضم أوله وسكون ثانيه وضم اللام وفتح الواو. حصن عظيم باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) ذخر بفتح أوله وكسر ثانيه ، جبل بالمعافر في اليمن (الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٢٥)

(٥) تعكر : بضم الكاف ، قال عنها ياقوت « قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر ، ليس باليمن قلعة أحصن منها فيما بلغني » (ياقوت : معجم البلدان) .

(٦) بنو الكرندي : « قوم من حمير كانت لهم مكارم ومفاخر وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة » (عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص ٤٦)

(٧) حب : قلعة مشهورة باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٨) عزان : من حصون ريمة باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٩) خدد : بفتح أوله ، حصن في مخلاف جعفر باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(١٠) بيت عز : من حصون اليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(١١) الشعر : بفتح الشين وتشديدها ، من بلد الكلاع في وادي زبيد باليمن (الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٥)

(١٢) سحول : بضم أوله ، قرية من قرى اليمن ، يحمل منها ثياب قطن أبيض تدعى السحولية (ياقوت : معجم البلدان) . وذكر الهمداني أن السحول مخلاف باليمن (صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠)

(١٣) الشوافي : من مساكن مخلاف السحول باليمن . (صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠)

الأعلى فانقسم بين آل يعفر[1] وآل الضحاك[2] وبنى أبي الفتوح وأولاد الإمام الداعى يوسف بن يحيي وأولاد الامام القسم بن على العيَّانى .

ودخلت سنة — ٤١١ ، ٤١٢ —

لم يتفق فيهما غير ما ذكر .

ودخلت سنة — ٤١٣ —

فيها نهض جعفر بن الامام القسم بن على العيَّانى من صعدة إلى عيَّان ، فاستدعته حمير وهمْدان المسير إلى صنعاء ، فسار إليها وأقام فيها شهرا ، ثم طلب من الناس المسير معه إلى صَعْدة ، فسارت معه طائفة . فلما دخلها أمر بنهبها ، وإحراق بعض دورها ، وقتل جماعة ، ورجع إلى عيَّان . وقد كان بعد خروجه من صنعاء دخلها دعفان وابن أبى حاشد ، ثم اختلفا ، فنهض إليهما جعفر بن الامام من عيَّان ، فحاربهما مدة ، ودخل إلى صنعاء . ثم وقع الصلح بينهم قدر شهرين ، ونزل دعفان إلى القائد صاحب الكدراء ، مستمدا له ، فأمده بمال جزيل ، وكتب معه إلى المنتاب بن إبراهيم — صاحب مِسْوَر — بالاعانة على حرب جعفر بن الامام .

ودخلت سنة — ٤١٤ ، ٤١٥ —

لم يتفق فيهما غير ما ذكر .

---

(١) يعفر بن شاور : بطن من حجور بن اسلم بن عليان بن زيد بن عريب ابن جشم بن حاشد ، من همدان من القحطانية .

(الهمدانى : الاكليل ، ج ١٠ ص ١٠٢)

(٢) آل الضحاك : بطون كثيرة من الأثبج ، من بنى هلال بن عامر ، من العدنانية .

(تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٤ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٦٦٥) .

ودخلت سنة — ٤١٦ —

فيها اجتمعت همْدان وحمير وصاحب مِسْوَر على حرب جعفر بن الامام ؛ فخرج إلى بيت شعيب[١] ، فحاصره القوم فيه ، فهجم عليهم أهل بيت خولان[٢] ، وقتلوا مائة رجل ، وانهزم صاحب مسور . ثم فعلوا هدنة إلى آخر هذه السنة ، وأقاموا ابن أبي حاشد على إمارة صنعاء .

ودخلت سنة — ٤١٧ —

لم يتفق فيها ما ينبغي ذكره .

ودخلت سنة — ٤١٨ —

فيها ظهر رجل بناعط يدعى الأمامةَ ، ثم سار إلى مأرب ، وفيها عبد المؤمن بن أسعد ابن أبي الفتوح ، فتلقاه بالقبول ، وأقام عنده أياما . وأنفذ كتبه إلى كثير من الجهات ، فبلغ القائد صاحب الكدراء ، فكتب إلى منصور بن أسعد بن أبي الفتوح ولامه على قيام أخيه عبدالمؤمن مع هذا الرجل ، فغضب منصور بن أسعد ، وقام مع أخيه عبدالمؤمن والداعي المذكور ، وأدخلهما صنعاء ، فخطب له ابن النقوى قاضي صنعاء ، وأنفذ عماله إلى المخاليف . ثم سار إلى ألْهان مع ابن أبي الفتوح ، فلقته عَنْسٌ ومن إليهم إلى ضاف[٣]

---

(١) بيت شعيب : ذكر ياقوت أن شعيب تصغير شعب الجبل ، وهو اسم موضع جاء في الأخبار (معجم البلدان) .

ونرجح ان بيت شعيب المذكورة هنا موضع ينسب الى شعيب بن عامر بن عبد الله بن مالك بن نصر ، ونصر هو شنوءة الازدى القحطاني ، واليه ينسب بنو شعيب .

(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٠٥)

(٢) بيت خولان : حصن في تهامة اليمن ، يسمى ايضا راس حضور (الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٢٥) .

(٣) ضاف : من قرى جهران في البون من بلد همدان باليمن (الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١) .

فلبث فيه سبعة أيام ، ثم توجه إلى ذِمَار ، وأمر بعمارَة حصن هِران ، ودخل فى طاعته صاحب كحلان وساروا جميعاً إلى إب ، ثم رجعوا . وفسد ما بين الداعى المذكور وبين منصور بن أبى الفتوح وابن أبى حاشد ، ورجعوا إلى موالاة القائد صاحب الكدراء ، فخرج الداعى إلى هران عن مكاتبة من أهل عَنْس فلبث فيه أياما ، ثم تعامل عليه قوم من عَنْس فقتلوه .

وفى هذه السنة اشتد القحط باليمن ، ومات كثير من الناس وخلت عدة قرى .

ودخلت سنة — ٤١٩ —

وما بعدها إلى آخر سنة ٤٢١ .

لم يتفق فيها غير ما تقدم .

ودخلت سنة — ٤٢٢ —

فيها خلت صنعاء عن الامارة ؛ إلاّ أن لبنى مروان فيها بعض الأمر ، وإليهم ولاية ألْهان من قبل القائد مرجان ، ولصاحب مسور بعض منازعه ، ولم تزل الأمور مضطربة إلى سنة ٤٢٥ .

ودخلت سنة — ٤٢٦ —

فيها ظهر الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين ابن القسم بن ابراهيم عليهم السلام ، فقصد صنعاء ، وخرج عنها ابن أبى حاشد ، ووصل إليها منصور بن أبى الفتوح ، فبايع الإمام ورجع إلى بلده نعْط . ولبث الإمام مدة يسيرة ثم عارضه حسين بن مروان ، وما برح الاختلاف إلى سنة ٤٢٩ .

ودخلت سنة — ٤٣٠ —

فيها تعطلت صنعاء عن الإمارة .

وفيها مات أمير مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن موسى ابن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، عليهم السلام .

قال السيد أحمد بن محمد الشرفى[1] ، رحمه الله تعالى : إن أول من ولى مكة من أهل البيت جعفر بن الحسن ، ثم ابنه عيسى ، ثم ابنه الآخر أبو الفتوح الحسن بن جعفر المذكور . ثم ولى مكة محمد بن أبى الفتوح ثم ابنه شكر ، ثم وليها على بن محمد الصليحى القائم باليمن ، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . ثم أبو هاشم محمد بن جعفر ابن عبد الله الحسينى نائبا للصليحى ، ثم ولى بعدهم قتادة بن إدريس الحسنى ، ثم أولاده إلى الآن ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٤٣١ —

فيها استدعت همْدان جعفر بن الإمام القسم بن على العيَّانى ، فسار إلى صنعاء ، ثم افترقت همْدان عليه ، وعلى ابن أبى حاشد . فخرج جعفر من صنعاء إلى عَلَب . ثم سار عنها وخرج ابن أبى الفتوح إلى مخلاف جعفر[2] ، قاصداً لابن الكرندى ، وعبد الله بن يعفر ، فأقام عنده أياما قليلة . ثم رجع ، فقوى برجوعه أمر ابن أبى حاشد ، ثم فسد ما بينهما ، والتقيا للحرب ، فقتل ابن عم لابن أبى الفتوح ، وأقام ابن أبى حاشد

(١) هو أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد الحرازى الشرفى (٩٧٥ ـ ١٠٥٥) فقيه يمانى ، مؤرخ ، له اشتغال بالادب ، من أهل هجرة القويعة بالشاحل من بلاد الشرف الأسفل ، فى الشمال الغربى من صنعاء . له كتب منها اللآلىء المضية فى شرح قصيدة لصارم الدين ابراهيم بن محمد ، عارض بها البسامة ، وشرح الأزهار فى فقه الزيدية .

(الزركلى : الاعلام ، ج ١ ص ٢٢٦) .

(٢) مخلاف جعفر : يعرف بالعدين والحبيش ، وينسب الى جعفر مولى ابن زياد ، وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة ، كما ملك أبوه ثلاثين سنة .

(حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ، ص ٣٦)

فى بيت بوس وابن أبى الفتوح فى عَلَب ، واستدعت همدان جعفر بن الامام القسم إلى صنعاء تارة أخرى ، فلبث فيها أياما ، مرة يأخذ خراجها ، ومرة يضعف . ثم ابن أبى حاشد استدعى الامام أباهاشم بن عبدالرحمن، فقدم صنعاء بعد أن خرج منها جعفر بن الامام، فأقام فيها ثمانية أيام ، ثم استعمل عليها عاملا ، وخرج إلى رَيْدَة ، وسار منها إلى ناعطفمات فيه رحمه الله تعالى ، وقبره هنالك مشهور مزور . ثم حصل الاختلاف بين ابن أبى حاشد وابن أبى الفتوح والمحاربة ، وهلك من هلك ، وخلت صنعاء عن الامارة إلى سنة ٤٣٦ .

ودخلت سنة — ٤٣٧ —

فيها وصل الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الحسين بن ناصر بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، من بلاد الديلم ، فجمع العساكر ، ودخل صَعْدة ، فنهبها ، وأخرب فيها دوراً ، وقتل من خَوْلان مقتلة عظيمة ، وسار إلى صنعاء فملكها ، وقبض الزكوات والأعشار ، واستعمل عليها رجلين من ولد القسم بن الحسين الزيدى ، وولى قضاءها رجلا يسمى سعيد بن يزيد من بوادى صنعاء ، ورجع إلى ذئبين فأقام فيه بقية هذه السنة، وهو أول من اختط ظفار[1] .

ودخلت سنة — ٤٣٨ —

فيها خرج الإمام أبو الفتح من ذئبين إلى حدّان[2] أسفل وادى السِّر[3] ، ثم سار

(١) ظفار : مدينة باليمن . ذكر ياقوت أنها توجد فى موضعين احدهما قرب صنعاء ، وبها مسكن ملوك حمير ، والثانية — وهى المشهورة على أيام ياقوت — كانت قرب ساحل بحر الهند ، بينهما وبين مرباط خمسة فراسخ (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) حدان : بضم أوله ، هى من العرب من اليمن ثم من الأزد (الحميرى : منتخبات فى اخبار اليمن ص ٢٥) . وقد ذكر الهمدانى موضعين باسم حدان فى بلاد اليمن أولهما ببلاد بنى عامر والثانى فى مخلاف ذى جرة وخولان (صفة جزيرة العرب ص ٩٣ ، ١٠٨)

(٣) ذكر ياقوت أن السر من مخاليف اليمن (معجم البلدان)

إلى عَلَب خارج صنعاء ، فبنى حصن عَلَب بالآجُر ، واستقر فيه ، ودخل فى طاعته ابن أبى الفتوح . واستدعى أهل عنس ، فأقبل من رؤسائهم مائه فارس ، فبايعوا الإمام. واستدعى أيضاً جعفر بن الإمام القسم فوصل إليه ، فجعله أمير الأمراء ، وأعطاه الربع من الخراج . ثم فسد ما بينهما ، فتمالأ جعفر وابن أبى حاشد على حرب الإمام وخرجا من صنعاء ، فأمر الإمام بخراب دور بنى الحرث[1] وبنى مروان[2] . فغضب ابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد لذلك ودخلا صنعاء ، فرفعا أيدى ولاة الإمام وطردا الشيعة من أصحابه عن الجامع ، وقربا أهل السنة ، وقطعا اسم الإمام من الخطبة . فخرج الإمام من عَلَب إلى الجوف ، ومنها إلى البوْن . وخلفه جعفر بن الإمام على صنعاء ، فدخلها ولبث فيها مدة ، وجرت بينه وبين الإمام أبى الفتح حروب كثيرة فى أثافث وعجيب .

ودخلت سنة — ٤٣٩ —

فيها ثار على بن محمد الصليحى[3] فى مسار[4] من أعمال حراز ، فملك اليمن جميعه من مكة إلى عدن فى أقرب زمن ، وسيرته مشهورة ، وأخباره مذكورة . ولم يكن من أهل بيت ملكوا ، إنما كان أبوه القاضى محمد بن على الصليحى حاكما فى جهته ، شافعى المذهب ، مطاعاً فى عشيرته ، فنشأ ولده على بن محمد على طريقته فى بدايته ، ولاحت عليه مخايل النجابة فى إبان شبيبته .

---

(١) هم بنو حرث بن كعب ، وهم من بنى مذحج
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٥٨)

(٢) بنو مروان : بطن يقيم بين وادى جيزان فى الجنوب ووادى تعشر فى الشمال ، شرقه أهل حرض ، والى جنوبه بنو حسن .
(عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٣ ص ١٠٧٨)

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن على الصليحى ، وهو ينسب الى قبيلة الأصلوح ، وهو مؤسس دولة الصليحيين باليمن .
(حسين الهمدانى ، وحسن سليمان محمود : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن) .

(٤) مسار : جبل عال بأعلاه حصن ، بناحية حراز
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٢٥)

وكان الداعى عامر بن عبد الله الزواحى ممن يتصل بالقاضى محمد الصليحى فى أكثر الأوقات ، ويركب إليه عند الحاجات ، لرياسته وعلمه وصلاحه وفضله ، فظهر له من شهامة ولده على بن محمد وسمو نفسه ما أطمعه فيه ، وعرف أنه القائم بأمر دعوته ، فمال إليه بكليته ، وكشف له عن باطن سريرته ، حتى غرس فى قلبه محبة مذهب الباطنية الأشرار[1] ، والفرقة التى موردها النار . ولما حضرت الزواحى الوفاة أوصى بجميع كتبه لعلى بن محمد الصليحى ، وفيها من علْم أهل ذلك المذهب الخبيث ، ومستودعات أسرارهم وزخارف أقوالهم ، ما يدل على فساد معتقدهم وافترائهم على معبودهم . فأقبل على بن محمد على درس تلك الكتب ، وكان فطناً ذكيا ، فأحرز منها المراد ، وسمت نفسه إلى القيام بأمر الدعوة ، فغلب الأضداد . ولم يزل يحجج بالناس على طريق السَّراة منذ خمس عشرة سنة ، وتحدث كثير من الناس أنه سيملك اليمن . وكان إذا سمع ذلك من أحد ينكره غاية الإنكار ، حتى دخل العام الذى أراد فيه القيام ، فاجتمع برجال يعرفهم من مكة ، وتمالئوا على إظهار الدعاء فى اليمن إلى القائم من العبيديين أهل مصر ، وهو يومئذ للمستنصر[2] .

ثم رجع إلى اليمن فقصد مسَار ، وهو فى ذلك الوقت قمة عالية ليس فيه بناء . واجتمع النفر الذين والوه فى مكة . ولما أراد أن يبنى [حصن] مسار اجتمع إليه من أهل تلك

---

(١) يقول الاسماعيلية ان لكل نبى ناطق صاحبا يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظهيرا له فى حياته وخليفة له بعد وفاته ، وعندهم أن الصاحب امام ، ولكنهم ، يسمونه السوس أو الاساس • وهم يعتبرون ابراهيم الخليل نبيا ناطقا له شريعة ظاهرة وأساسه ابنه اسماعيل صاحب الشريعة الباطنة • وكذلك يرون فى محمد (ص) نبيا ناطقا له شريعته الظاهرة وفى ابن عمه على أساسا له شريعته الباطنة •

وهكذا ادعى أئمة الاسماعيلية علم الباطن وأن لهم قوى غير قوى البشر ، ومن ثم عرفوا بالباطنية •

(المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ص ٣٩٣) •

(٢) الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هـ)

الجهة عالم كبير ، فأنكروا عليه وشتموه وعنفوه ، فقال لهم : «إنما أردت أن أحفظه من عدو يملكه » ، فتركوه حتى أحكم ما أراد من بنيانه .

ولم يزل أمره يعلو شيئاً فشيئاً حتى قصده كثير من الناس ، وصرفوا إليه شيئا من واجباتهم ، فتقوت شوكته ، ونفذت كلمته . ولما سمع به جعفر بن الإمام القسم بن على العَيَّانى ، سار إليه بجيش عظيم ، وعضده رجل من مغارب اليمن الأعلى ، يسمى جعفر ابن عباس ، كان مُطاعاً فى جهته ، فاجتمع معهما نحو ثلاثين ألف مقاتل . ووقعت الحرب بينهم وبين الصليحى ، فقتل جعفر بن عباس ، وانهزم أصحابه ، وتفرق الناس عن جعفر ابن الإمام ، فعاد إلى بلده . واستفحل أمر الصليحى فنهض إلى حَضُور[1] فاستفتحه ، وملك حصن يَناع[2] . فخرج إليه صاحب صنعاء — وهو ابن أبى حاشد — فى جمع كبير فالتقيا فى قرية ما بين الحيمة[3] وحضور ، يقال لها صوف[4] فاقتتلوا قتالا شديدا . وكانت الدائرة على صاحب صنعاء ، فقتل ، وقتل من أصحابه ألف نفر . وبهذه الوقعة يضرب المثل فى اليمن ، فيقال قتلة صوف . ثم سار الصليحى إلى صنعاء فملكها ، وبث عماله إلى جميع المخاليف . ولم تمض مدة حتى استولى على اليمن جميعه ، كما سيأتى ذكره . ولقد حكى بعض المؤرخين أنه خطب له على منبر الجَنَد فى يوم جمعة ، ثم نزل الخطيب

---

(١) حضور : بالفتح ثم الضم ، مخلاف باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٦)
ويذكر ياقوت أن حضور بلدة باليمن من أعمال زبيد (معجم البلدان)
(٢) يناع : حصن فى مخلاف حضور باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٦)
(٣) بلاد الحيمة : تقع بين حضور وحراز .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٣٢٠)
(٤) صوف : قرية بين حضور وبنى شهاب ، كانت بها وقعة الصليحى التى ضرب بها المثل ، فقيل « قتلة صوف » .
(حسين الهمدانى وحسن سليمان : الصليحيون ، ص ٤٢٩) .

وقال : « فى مثل هذا اليوم نخطب لمولانا على بن محمد الصليحى على منبر عدن » ؛ فكان كما قال .

وفى هذه السنة تقاعد الناس عن نُصرة الإمام أبى الفتح ، لظهور الصليحى وعلو شأنه ، وقهره لمن ناوأه من أقرانه ، فجعل الإمام يتنقل من بلد إلى بلد خوفا من الصليحى حتى ظفر به فقتله ، كما سيأتى فى تاريخه .

ودخلت سنة — ٤٤٠ —

ولم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٤٤١ —

فيها هاجت ريح شديدة فى شبام وحمير تحت كوكبان ، فاقتلعت شجر البرقوق من أصوله ، وحملت الكلاب حتى سمع نباحها فى الجو ، وهدمت دوراً ومسجدا هنالك ، فسبحان القادر على ما يشاء .

ودخلت سنة — ٤٤٢ —

والتى تليها ، لم يتفق فيهما مالابد من ذكره .

ودخلت سنة — ٤٤٤ —

فيها سار الإمام أبو الفتح إلى بلد عَنْس ، فقصده الصليحى فقتله فى نيف وسبعين نفراً من أصحابه فى نجد الجاح(١) ، ودفنوا جميعا فى محل واحد بردمان(٢) من بلد عَنْس ، وقبورهم هنالك مشهورة ، رحمهم الله جميعا .

---

(١) نجد الجاح : موضع باليمن فى بلاد رداع ، وذكر ياقوت أن مخلاف رداع هو نفسه مخلاف خولان (معجم البلدان) .
(٢) ردمان : بلد فى مخلاف رداع
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٢)

ودخلت سنة — ٤٤٥ —

وما بعدها إلى آخر سنة ٤٤٧ ؛ لم يتفق فيها ما ينبغي ذكره .

ودخلت سنة — ٤٤٨ —

فيها خرج رؤساء همدان ، وهم سلامة بن الضحاك ، وعلى بن دغفان[(١)] وغيرهما من رؤساء همدان بجلالهم ، وتفرقوا فى البلدان : كبنى صريم وبلاد الدعام وغيرها . ثم جمعوا العساكر من حاشد وبكيل[(٢)] ، واستنهضوا الشريف الفاضل القسم بن جعفر بن الإمام القسم بن على العيّانى لحرب الصليحى ، فلم يجد بُدّاً من النهوض . غير أنه لم يظهر الدعوة إلى الإمامة ، لما حكاه بعض المؤرخين من أنه كان يعتقد حياة عمه الحسين ابن القسم ، وأنه المهدى المنتظر . قلت : ويأبى الله أن يكون هذا معتقده ، وهو بالمحل الأرفع من العلم والفضل .

ولما أراد القيام لحرب الصليحى عضده أخوه ذو الشرفين[(٣)] محمد بن جعفر ، وسارا

---

(١) سلامة بن الضحاك وعلى بن دغفان ، من رؤساء همدان .
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦)

(٢) بكيل : هم ولد بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان ، وكانت هذه القبيلة تملك الأرض الواقعة شرقى الخط الذى يمكن أن نرسمه من صنعاء الى صعدة . وحاشد قبيلة من اليمن من همدان ، وهم ولد حاشد بن جشم .
(الحميرى ، منتخبات فى أخبار اليمن ص ٢٧ ، الويسى : اليمن الكبرى ص ١٦٤)

(٣) الشرفان : موضع باليمن ، هو مخلاف الشرف الأعلى والشرف الأسفل ، الذى يعرف بمخلاف شبام لهمدان ، غربى صنعاء ، (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٧) .

وكانت اليمن فى عصورها القديمة تنقسم الى محافد ، والمحفد هو القصر ، وهو كالحصن أو القلعة المحاطة بسور ، يقيم فيه شيخ أو أمير يخدمه الأعوان والحاشية . ويعرف صاحب المحفد أو القصر بلقب « ذو » أى صاحب ، فيقال ذو غمدان ، وذو معين ، وذو الشرفين . وعرفت هذه الطبقة من الحكام بالأذوا ، وهم كالأقيال والملوك والمكارب والتتابعة (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٢٠٤) .

بمن اجتمع معهما من القبائل حتى وصلوا قرية حاز[١] من بلاد همدان ، فخرج إليهم قوم الصليحى ، فباتوا فى قرية قريبة من حاز تسمى قراتل[٢] . فأشار الفاضل على قومه بغزوهم ، فلم يسعدوه ، وتثاقلوا عن إجابته ، لما لديهم ، فصبحتهم عساكر الصليحى فولوا منهزمين . وثبت الفاضل وأخوه ذو الشرفين ، فى أربعة أنفار من خواص أصحابهما ، ثباتا عظيما ، وأبلوا بلاء حسنا ، وتفرق قومهم أيدى سبا[٣] . ورجع الفاضل وأخوه إلى الهرابة وهى حصن فى وادعة ، فجمع الفاضل أهله ومن يلوذ به ، وأوى إليه كثير من شيعته وأهل جهته بأهلهم وأولادهم ، حتى اجتمع منهم نحو ألف مقاتل ، فيهم ثمانمائة فارس . فنهض إليهم الصليحى بجيوش لا تحصى ، فحصرهم فيها وضيق عليهم المسالك، ومنعهم عن المائدة سبعين يوما ، ونصب عليهم المنجنيقات والعَرّادَات . فصبروا على الحصار صبرا لم يعهد مثله فى سالف الأعصار ، وقاتلوا جند الصليحى قتالا عظيما ، حتى اشتد عليهم الأمر ، ومات أكثرهم من العطش ، واضطر الفاضل ومن معه إلى النزول على حكم الصليحى . ولما وصل إليه أكرمه وخلع عليه ، ودخل الهرابة فأخربها ، وعجب من صبر أهلها ، وقال « لو ملكت رجال الهرابة لأخذت بهم الروم » . ثم رجع إلى صنعاء ، والفاضل صحبته .

ودخلت سنة — ٤٤٩ —

فيها سار الصليحى لقتال الكرندى فى مخالفيهم ، وسار الفاضل صحبته حتى وصل زبيد ، ثم عزم على التوجه إلى مكة للحج ، فأذن له الصليحى . وسار معه أخوه ذو الشرفين

---

(١) حاز : قرية فى وادى الخارد بالجوف (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٢) .

(٢) قراتل : تقع بالقرب من حاز بهمدان .
(احمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ١٩٦)

(٣) تقول العرب « تفرقوا أيدى سبا وايادى سبا » اى تشتتوا فى البلاد وصارت كل طائفة من الجماعة الى جهة وذلك تشبيها بولد سبا بن يشحب عندما مزقهم سيل العرم وفرقهم فى البلاد .

محمد بن جعفر فى نفر قليل ،حتى انتهيا إلى بلاد خَثعم بعد مشاق شديدة ، وأهوال عديدة . ولما استقرا فى بلاد خثعم تزوجا فيها ، وأقاما مدة . ثم طلق الفاضل زوجته ، وسار إلى مكة فمكث فيها تسع سنين ، ثم هم بالمسير إلى الكوفة ، فبلغه خبر قتل على بن محمد الصليحى فى المهجم ، كما سيأتى . ووردت عليه كتب من اليمن مخبرة بقيام حمزة بن أبى هاشم ، وأن الوصول متحتم لمناصرته ، فرجع إلى اليمن .

ودخلت سنة — ٤٥٠ —

لم يتفق فيها ـ ولا فى التى تليها ـ ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٤٥٢ —

فيها مات نجاح صاحب التهائم فى مدينة الكدراء . وكان سبب موته على ما ذكره أصحاب التواريخ أن عليا بن محمد الصليحى كان يخاف من نجاح لرياسته ، فما زال يعمل الحيلة فى قتله حتى أهدى له جارية جميلة ، وأمرها أن تسقيه السم ، ففعلت . وخلف نجاح خمسة أولاد وهم جيّاش وسعيد الأحول ومعادل والذخيرة ومنصور ، وكلهم يومئذ فى سن الصغر ، فقام بكفالتهم مولاهم كهلان . وسيأتى تمام أخبارهم فى أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٤٥٣ —

فيها كتب الصليحى إلى المستنصر العبيدى صاحب مصر ، ووجه إليه بهدية عظيمة ، واستأذنه فى إظهار الدعوة فى اليمن ، فأذن له وأرسل إليه بالرايات ، وكتب له الألقاب ، وعقد له ولاية على جميع اليمن . وفى جمادى الأولى من هذه السنة أكسفت الشمس كسوفا عظيما اذهب جميع جرمها ، وأظلم النهار حتى ظهرت الكواكب وتساقطت الطيور .

ودخلت سنة — ٤٥٤ —

لم يتفق فيها ما ينبغى أن يذكر .

فيها سار الصليحى إلى مكة ، فأنفق فيها نفقة عظيمة ، وحمل إليها الأقوات الواسعة ودفع منها رسوم الجور ، وظهرت منه فيها أفعال جميلة . ثم عاد إلى تهامة ، وفيها أولاد نجاح المقدم ذكرهم ، فتوارى عنه سعيد الأحول فى زبيد ، وخرج جياش ببقيتهم إلى جزيرة دهلك[١] ، وجرت لهم هناك أمور يطول ذكرها .

ولم تخرج هذه السنة حتى استولى الصليحى على اليمن سهله ووعره ، وبره وبحره ، إلا صَعْدة فإنها امتنعت عليه بعض الامتناع بأولاد الناصر ، حتى قتل القائم منهم ، فاستقر ملكه لليمن جميعه . واتخذ صنعاء دار ملكه ، وعمر فيها عدة قصور ، وجمع ملوك اليمن الذين زال ملكهم على يديه ؛ فأسكنهم صنعاء . واشتد ملكه ، وبلغت سراريه إلى أربعمائة سرية ، وكانت سيرته فيما يرجع إلى أمر الدين غير مرضية .

حكى مسلم اللحجى[٢] فى تاريخه ما معناه ، أن الصليحى لما استقر فى صنعاء بلغه أن أهلها يجتمعون فى المساجد ، ويتذاكرون قبح سيرته ، وربما خاضوا فى شىء من أمر عقيدته ، وأنه قد يعيد مذهب على بن الفضل بصفته ، فشق عليه ذلك ، وتألم منه كثيرا ، فأمسك أياما ، ثم أمر بتسمير أبواب المساجد ، ومنع من دخولها .

قال مسلم : أخبرنى القاضى أحمد بن عبد السلام بن أبى يحيى أن الصليحى لما أراد النهوض إلى مصر لزيارة العبيدى ، جعل أمواله وذخائره المعدّة لسفره فى المسجد الجامع واتخذه خزانة لذلك ، وملأه بالصناديق ، وسائر الأحمال ، فعاجله الله بالنقمة ، وقتل فى سفره ذلك ، كما يأتى ذكره .

---

(١) يقول ياقوت عن جزيرة دهلك هذه انها فى بحر اليمن ، وهى مرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، ويصفها بانها « بلدة ضيقة حرجة حارة ، كان بنو امية اذا سخطوا على احد نفوه اليها » (معجم البلدان) .

(٢) مسلم بن محمد اللحجى : أديب اليمن ، له كتاب سماه الاترنجة فى شعراء اليمن ، اجاد فيه . كان حيا حوالى سنة ٥٣٠ هـ . (ياقوت) .

ودخلت سنة — ٤٥٦ —

فيها وجه الصليحي إلى زبيد وما إليها أسعد بن شهاب عاملا . وقد كان أقسم بالله أنه لا يولى تهامة إلاّ من حمل مائة ألف دينار ، ثم ندم على يمينه ، فحملت إليه زوجته الحرّة أسماء بنت شهاب أم ولده المكرم أحمد بن على ذلك المبلغ ، وسألته أن يولى أخاها أسعد بن شهاب ، فقال لها . (أَنَّى لَكِ هَذَا ، قَالَتْ . هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ . إنَّ اللهَ يَرزقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيرِ حِسَابٍ)(١) فقبضه وقال (هذه بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلينَا)(٢) . فقالت (ونَمِيرُ أَهْلَنَا ونَحْفَظُ أَخَانَا)(٣) ، ثم ولى أسعد بن شهاب . فلما وصل زبيد أحسن إلى الرعية وسار فيهم سيرة مرضية ، وترك لأهل السُنَّة أحوالهم ، وعامل من فى زبيد من الحبشة وأرباب الدولة النجاحية معاملة حسنة ، وربما ظفر بأحدهم فعفا عنه ، فبذلك أحبوه محبة شديدة . وكان يحمل إلى الصليحى فى كل سنة مائة ألف ألف دينار ، بعد الأسباب اللازمة له وللجند وغيرهم .

ودخلت سنة — ٤٥٧ —

لم يتفق فيها ما لا يسع تركه .

ودخلت سنة — ٤٥٨ —

فيها قام الحمزة بن أبى هاشم لمحاربة الصليحى فى ثمانية آلاف راجل ، وخرج لقتاله من قبل الصليحى عامر بن سليمان الزواحى فى ألف وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل ، فوقعت بينهم عدة حروب ، وقتل فيها خلق كبير . وفى آخرها قتل الحمزة عليه السلام فى موضع يعرف بالمنوا من بلاد الخَشَبَ ، وهو واد ضيق إلتجأ إليه الحمزة وأصحابه ، فأخذ عليهم أصحاب الصليحى أعلى الوادى وأسفله ، ورموهم بالنبل والحجارة

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٧ .
(٢، ٣) سورة يوسف ، آية ٦٥ .

حتى أنخنوهم ، ووقف بين يدى الحزة سبعون شيخا من همذان ، يجادلون دونه حتى قتلوا عن آخرهم ، رحمهم الله تعالى . ولم تطل مدة الصليحى بعد قتل الحمزة عليه السلام ، بل قتل فى أواخر هذه السنة . وقام بثأر الحمزة ولده على ، والمحسّن بن الحسن ، من أولاد الهادى عليه السلام ، فقتلا عامر الزواحى وابنه يحيى فى نواحى ثلا[1] .

وفى هذه السنة تجهز الصليحى للمسير إلى مكة للحج ، وقيل بل كان قصده التوجه إلى مصر لزيارة العبيدى ، فاستخلف على اليمن ولده المكرم أحمد بن على ، وسار فى أبهة عظيمة وملك كبير ، ومعه جميع آل الصليحى ، وغيرهم من ملوك اليمن ، فى جمع كبير من الخيل والرجل ، وبين يديه خمسمائة فرس مجنْوبة[2] عليها رحايل الذهب والفضة . فلمّا وصل تهامة نزل بظاهر المَهْجَم وضرب مخيمة فى ضيعة تعرف بأم الدهيم[3] وبئر أم معبد ، وحسمت عساكره والملوك الذين معه من حوله[4] .وكان أولاد نجاح الذين قتلتهم الجارية بالسم قد تواروا فى زبيد وفى دَهْلَك — كما ذكرناه آنفا — . فلما سمع سعيد الأحول بمسير على بن الصليحى — وهو يومئذ مستتر فى زبيد ، وقد شاع على ألسنة المنجمين أنّ سعيد الأحول يقتل الصليحى — كتب إلى أخيه جياش بن نجاح يستدعيه للوصول إليه بمن أمكنه من مواليهم وأهل جلبتهم ، لغزو الصليحى والتعرض له فى طريقه . فوصل جياش فى أربعمائة نفر ، ولقاه أخوه الأحول فى سبعين رجلا ليس لهم مركوب ولا سلاح إلاّ مسامير من حديد قد جعلوها فى رءوس جرائد النخيل ، وسلكوا طريق الساحل . وبلغ الصليحى خروجهم ، فوجه إليهم طائفة من جنده أكثرها السودان ، فاختلفوا فى الطريق ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

---

(١) ثلا : حصن من حصون اليمن
(ياقوت معجم البلدان ، البجاوى : مراصد الاطلاع ج ١ ص ٢٩٨)
(٢) الجنب من كل شىء ناحيته وشقة ، ويقصد بالفرس المجنوبة انها تحمل الجنائب ـ على جانبيها ـ محملة بالمتاع وغيره .
(٣) أم الدهيم : موضع قرب المهجم .
(٤) أى بعدوا عنه ليستريح .

ولما وصل بنو نجاح بمن معهم إلى طرف المهجر ، وقد أخذ منهم التعب والعطش ، دخلوا فى غِمَارَ الناس، منتصف النهار من اليوم الثانى عشر من ذى القعدة ، فلم يظن من رآهم من أصحاب الصليحى إلاّ أنهم من بعض عبيد العسكر . فقصد بنو نجاح مضرب الصليحى ، فعرفهم أخوه عبدالله بن محمد ، فقال لأخيه : « يا مولانا ، هذا والله الأحول سعيد بن نجاح » فقال له « إنى لا أموت إلا بأم الدهيم وبئر أم معبد» ، معتقداً أنها بئر أم معبد الخزاعية ، التى نزل عليها رسول الله لما هاجر إلى المدينة المشرفة . فقال له رجل من أصحابه « قاتل عن نفسك فهذه والله بئر أم معبد » ، فلحقه زمع[1] اليأس من الحياة ، وبال فى أثوابه ، ولم يبرح من مكانه حتى قطع رأسه بسيفه . وكان أخوه عبد الله بن محمد قد أراد الركوب ، فتعلق به أصحاب الأحول حتى طرحوه ثم قتلوه ، وقتلوا من حضر من الصليحيين . وركب الأحول فرس على بن محمد الصليحى المسمى بالذيّالى ، وركب أخوه جياش فرس عبد الله بن محمد الصليحى ، ورفعوا رأسيهما على الرماح . ونادى المنادى فى المعسكر «إن الصليحى قد قتل»، فافتشلوا وارتاعوا روعة عظيمة ، وذهبوا في كل وجه ، وتخطفتهم القبائل فى الطرق والمنازل . واستولى آل نجاح على خزائن الصليحى وذخائره وخيله ورجله ، بعد أن ذهب منها فى أيدى الناس ما ذهب . واستغنى الفقير ، حتى لقد حكى أن رجلا مر بصندوق مملوء من دنانير أسعدية فرغب عنها ، وقال أريدها حاشدية[2] . ثم التفت ليأخذها فلم يجدها . والأسعدية ضربة أسعد بن أبى يعفر الحوالى[3] .

---

(١) الزمع : الخوف والدهشة .

(٢) حاشد قبيلة من اليمن ، هم ولد حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٢٧)

(٣) هو ابو حسان أسعد بن أبى يعفر ، حارب القرامطة وقتلهم وأخذ من الغنائم مالا يحصى ، وتتبع انصار على بن الفضل فى كل البلاد وقتلهم حيث وجدهم الى أن مات على بن الفضل . ثم بعد ذلك حارب القرامطة ودخل المذيخرة سنة ٣٠٤ ، وسبى نساء ابن الفضل وذبح الباقى ..
(حسين الهمدانى ، حسن سليمان : الصليحيون ، ص ٤٨) .

قال مسلم اللحجى : أخبرنى والدى محمد بن جعفر ، قال : كان بأرض عاهم[1] رجل من الأغنياء ، فسألت عن سبب غناه فقيل لى أنه استأجره بعض أهل صَعْدة على أن يحمل له بضاعة إلى المهجم للتجارة ، فصادف وصولها حصول وقعة الصليحى ، فأوقر جماله ورجع إلى بلاده .

وكانت الحرة أسماء بنت شهاب زوجة الصليحى معه ، فأسرها الأحول ، وجعل رأس زوجها وأخيه أمام هودجها ، وسار إلى زبيد ، فدخلها دخولا معظما . وعاد إلى بنى نجاح ملك تهامة بأسرها ، كما كان لأبيهم . وأقامت الحرة أسماء بنت شهاب تحت الأسر فى زبيد سنة كاملة ، حتى استنقذها ولدها المكرم ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى . فسبحان من لا يزول ملكه ، ولا إله غيره .

ودخلت سنة — ٤٥٩ —

لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٤٦٠ —

فيها أراد بعض قبائل حراز القصد لمن فى حصن مسار من عسكر الصليحى . وبلغ المكرم أحمد بن على الخبر ، فأرسل طائفة من عسكره إلى مسار ، فوصل القبائل إليهم واعتذروا مما قد كانوا هموا به . وأقام العسكر فى مسار قدر ثمانية أيام ، ثم رجعوا على طريق ألهان ، فلقاهم أهل تلك الجهة بالحرب ، فهزمهم عسكر المكرم ، وقتلوا منهم نحو ثلثمائة نفر ، ورجعوا إلى صنعاء .

وفى هذه السنة أعملت الحرة أسماء بنت شهاب الحيلة ، بأن جعلت كتابا لطيفا إلى ولدها المكرم أحمد بن على ، ذكرت فيه « إنى قد صرت حاملة من العبد الأسود » ،

(١) عاهم : حى من اليمن من همدان ، ويطلق اسم عاهم أيضا على واد غرب حجور جنوب وشحة باليمن . (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٠٧) .

والأمر يخالفه ، فإن الأحول لم يكن رآها قط ، وإنما أرادت بذلك إثارة حفيظة ولدها المكرم وسائر العرب . وتلطفت بأن جعلت الكتاب فى باطن رغيف ، ورمت به إلى رجل من أهل المشرق ، فسار بالكتاب حتى أوصله إلى المكرم . فلما قرأه ، جمع قبائل العرب وقرأ عليهم ذلك الكتاب جهراً ، فدبت الحمية فى رءوسهم وأجمعوا على المسير إلى زبيد . ثم أخذوا فى التجهيز ، وخرج المكرم فى ثلاثة آلاف فارس، غير الراجل . ولما برز القوم، قال لهم المكرم ما معناه « إنكم يا معاشر العرب إنما تقدمون على الموت ، فمن له رغبة فى الحياة فليرجع » . فرجع البعض وتقدم بالباقين ، وهم عصابة وافرة من الشجعان الأنجاد ، حتى وصلوا قرية التريبة[1] خارج زبيد ، فدخل المكرم مسجدها قبيل الفجر ، وإذا فيه رجل يقرأ « والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ والْيَوْمِ الموْعودِ[2] » إلى آخر السورة ، فتفاءل به ، وصلى الفجر . ثم ركب وركب أصحابه ، وعبأهم تعبئة الحرب ، وقصد باب الشبارق[3] — وهو الباب الشرقى فى زبيد — وخرج إليهم سعيد الأحول فى عشرين ألف حربة ؛ فصفّ أصحابه على باب المجرا[4] إلى جهة القبلة ، ثم تزاحفوا ، ودنا بعضهم من بعض ، واشتدت الحرب وحمى الوطيس ، وقاتلت الحبشة قتالا عظيما . ثم انطبق عليها الجناحان من عسكر المكرم ، ومالوا عليهم ميلة واحدة ، فانهزم الحبشة ، وأحاطت بهم الخيل فطحنتهم طحن الرحى ، وقتل منهم أمة لا تحصى ، وانهزم الأحول . وقد كان أعد خيلا على باب النخل ، وهو الباب الغربى فى زبيد ، فركب فى أهله وخواصه إلى جزيرة دَهْلَك ، ودخلت العرب إلى زبيد ، فكان أول فارس وقف تحت طاق الحرة أسماء

---

(١) التريبة : قرية بتهامة شرقى زبيد ، نزل بها المكرم ودخل مسجدها المعروف بمسجد التريبة الصغير قبل حربه ضد الحبشة للأخذ بثأر أبيه وأمه .
(أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ص ٨) .

(٢) سورة البروج ، آية ٢٢ .

(٣) باب الشبارق : الباب الشرقى فى زبيد

(٤) المجرى أو المجرا ، جهة خارج باب الشبارق
(أنباء الزمن ، ص ٦٥) .

بنت شهاب ولدها المكرم ، فلم تعرفه ، فقالت له « من أنت » فقال « أنا أحمد ابن علي » . فقالت « إن أحمد بن علي في العرب كثير » . فرفع المغفر[1] عن وجهه فعرفته ، فقالت « مرحبا بمولانا المكرم ؛ من جاء كمجيئك ، فما أبطأ ، ولا أخطأ » . وحين رفع المكرم المغفر عن وجهه ، ضربته ريح ارتعش لها جلده ، واختلجت بشرة وجهه ، وعاش بقية عمره كذلك . ودخل رؤساء العرب على أسماء بنت شهاب فسلموا عليها ،وهي بارزة لهم بوجهها ، وكذلك كانت عادتها في أيام زوجها علي بن محمد الصليحي . وكانت عاقلة لبيبة ؛ ولذلك كان الصليحي يوليها كثيراً من أعماله ، ويفاوضها في المهمات ، ويعتمد أشوارها[2] في أغلب الأوقات .

ولما استولى المكرم على زبيد ، أقام فيها أياماً قليلة ، ثم استعمل عليها أخاه أسعد ابن شهاب. ورجع إلى صنعاء ، ففوض جميع أعماله إلى زوجته الحرة السيدة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي ، وكانت من أعظم نساء وقتها عقلا وأدباً وكمالا وحسبا ، حتى قيل لها بلقيس الصغرى[3]. وكان علي بن محمد الصليحي يتوسم فيها النجابة ، ويقول : « هذه الوارثة لملكنا » . وزوّج ولده المكرم بها ، وأصدقها عنه عدن[4] ، فلم يزل بنو معن[5] يرفعون إليها خراجه إلى أن قتل الصليحي ؛ ثم تغلبوا على ماقبلهم ، فغزاهم المكرم بعد عَوده من زبيد ، وأخرجهم من عدن ، واستعمل عليها عباس ابن

---

(١) المغفر ، كمنبر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع بها المتسلح (القاموس المحيط) .

(٢) أي مشورتها .

(٣) تشبيها لها بالملكة بلقيس ملكة سبا ، ابنة الهدهاد بن شرح بن شرحبيل بن ذي سحر ، من المثامنة من ملوك حمير ، وهي التي قص الله تعالى خبرها مع سليمان بن داود عليهما السلام في سورة النمل ، فقال « اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم » .
(الحميري : منتخبات ، ص ٨) .

(٤) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن ، وهي مرفأ مراكب الهند والحجاز والحبشة (البجاوي : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٩٢٣)

(٥) معن بن حاجب : هو بطن من بكيل من همدان من القحطانية .
(الهمداني : الاكليل ، ١٠ ، ص ٢٤٧) .

مكرم الهمدانى وأخاه مسعودا ، فجعل إلى العباس حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه ، وجعل إلى مسعود حصن الخضراء[1] وباب البحر وما يدخل منه . فماز الابر فعان إلى السيدة خراج عدن فى كل سنة مائة ألف دينار ، حتى مات العباس بن مكرم ، وقام مقامه فى عمله ولده زريع بن العباس ، واستمر مسعود على ما تحت يده مدة من الزمان .

ولما رجع المكرم من عدن إلى صنعاء أقبل على اللذات ، وعكف على الشرب والسماع وآلات الملاهى ، وزوجته السيدة بنت أحمد قائمة بتدبير الأعمال . وكانت قد استعفت من ذلك واعتذرت بأنها امرأة ، فلم يقم مقامها أحد من آل الصليحى ، فأقامت مع زوجها فى صنعاء أياماً ، ثم سارت إلى ذى جِبْلَة[2] ، واتخذتها دار وطن إلى أن ماتت فيها فى التاريخ الآتى ذكره . وسميت جِبْلة باسم يهودى كان فيها يبيع الفخار فى الموضع الذى بنيت فيه دار العز[3] ، والذى اختط جِبْلة (هو) عبد الله بن محمد الصليحى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، لما ولاه أخوه على بن محمد الصليحى حصن التعكر بعد استيلائه على مخلاف جعفر .

وفى هذه السنة توجه المكرم إلى بلاد ديبان[4] ، فزحزح عنها الشريف الفاضل القسم بن جعفر بن الإمام القسم بن على العيانى . وكان أهل تلك

(١) حصن الخضراء ، حصن باليمن فى جبل وصاب من أعمال زبيد .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) ذى جبلة : مدينة اختطها عبد الله بن محمد الصليحى بأمر أخيه على ابن محمد الصليحى سنة ٤٥٧ وقيل سنة ٤٥٨ هـ . ويقول عمارة اليمنى ان جبله كان رجلا يهوديا يبيع الفخار فى الموضع الذى بنيت فيه هذه المدينة . ويصف عمارة اليمنى ذى جبلة بأنها مدينة بين نهرين جاريين فى الصيف والشتاء .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٦٢)

(٣) دار العز كناية عن ذى جبلة ، ويطلق عمارة اليمنى على ذى جبلة اسم « دار العز الأول » ، وعلى ذى بور التى اختطها المكرم بعد ذلك اسم « دار العز الثانية »
(المرجع السابق ص ٦٣)

(٤) ديبان بفتح أوله وسكون الياء ، جبل مشهور فى تهامة اليمن
(الهمدانى ـ صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥) .

البلاد قد تمالوا على نصرته . ثم قصد المغرب ، فاستولى على جبل حمدان[1] وقتل فيه جماعة . ثم رجع إلى صنعاء فلبث فيها أياماً ، ثم سار إلى ذى جبلة .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة دخل الشريف الفاضل وأخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر شَهَارَة[2] واتخذها دار وطن . وجرت بينهما وبين الصليحى عدة وقائع حول شَهَارَة ، ومصاولة كبيرة وقَتْل ذريع ، قيل إنها بلغت الوقعات بينهم إلى سبعين وقعة ، كانت الدائرة فى أكثرها على بنى الصليحى . ومن أعظمها وقعة فى أَقَر ، قتل فيها تسعمائة نفر .

ودخلت سنة — ٤٦١ ، ٤٦٢ —

لم يتفق فيهما غير ماذكره من الحروب بين الأشراف والصليحيين .

ودخلت سنة — ٤٦٣ —

فيها أراد أهل صَعْدة منع الخطبة لبنى الهادى وجعْلها لبنى الصليحى ، وحصل بينهم طرف قتال ، غلب فيه أهل صَعْدة على بنى الهادى ، ورقى خطيبهم المنبر ، فأعلن بذكر المكرم . وبلغ الخبر إلى الفاضل وأخيه ومن فى شهارة من الأشراف ، فقاموا لذلك وقعدوا ، ونهض الشريف القسم بن ابراهيم إلى الجوف ، فجمع آل الدّعام ونِهْم[3] وتوجه بهم إلى صَعْدة ، وخرج الفاضل من خميس الأهنوم[4] ، فالتقيا ، وسارا حتى بلغا

(١) جبل حمدان : تبع وادعة ، وسميت وادعة باسم من سكنها ، وهو وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح بن نافع بن مالك بن جشم بن حاشد (الهمدانى: صفة جزيرة العرب ، ص ١١٢) .

(٢) شهارة : من حصون صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) نهم بكسر أوله وسكون ثانيه ، حى من اليمن من همدان (الحميرى : منتخبات ، ص ١٠٥) .

(٤) وادى خميس بن الههيج ، وهو واد صغير باق من جبال حجور باليمن ، ويمر بالخميس شمال الواعظات ، ويعرف بخميس الواعظات ، وهو فى منحدر جبال حجور على بعد ٦٠ كيلومترا فى الشرق الشمالى من اللحية . (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٢١ ، ٩٩)

الخانق[1] ، ثم قدّما بعض الخيل لحفظ أبواب صَعْدة ، وتقدم الأشراف إلى قريب درب الناصر . ثم دخل شريفان من بنى الهادى فى مائة نفر ، فقبضوا دار الإمارة ، ولم يعلم بهم سائر أهل صَعْدة ، لأن وصول الأشراف إلى صَعْدة كان على حين غفلة من أهلها . ثم تقدم الشريف الحسن بن ابراهيم فى خمسمائة نفر ، فدخل صَعْدة من شرقيها .

ولما علم أهل صعدة باستيلاء القوم على دار الإمارة اقتتلوا ، وحصلت معهم روعة كبيرة ، وقصد بعضهم الأبواب ، فوجدوا الخيل قائمة عليها ، فطلبوا الأمان من الفاضل ، فأمنهم ، وخرج وجوه أهل صَعْدة فبذلوا أموالهم وسلاحهم للفاضل فلم يقبلها ، وقال « لاحاجة لنا فيها » ؛ ثم سجن التجار فى درب الناصر .

وجاءوا إليه بجعفر بن الحسن الشمرى الخطيب بعد أن اختفى ، فخطب للفاضل . ثم أُرسل به إلى شهارة ، فلبث فى سجنها ست سنين ، وعوقب بتسليم شيء من المال .

ولما رجع الفاضل إلى شهارة ، شنّ الغارة على شظب ، فاستولى على مدينة بارا[2] فى جبل[3] شَظَب وكانت بأيدى الصليحيين ، فأخربها وأحرق أخشابها ، لأنها كانت مستقر أهل الفسق والفجور ، وكان فيها دار للصليحيين . ومن أوى إليها من نساء تلك الجهة منعوا أهلهن من الوصول إليهن ، فاجتمع فيه عدة من الفواسق .

وفى هذه المدة توجه الفاضل وذو الشرفين إلى جهات الشرف ، فأحربا من فى نوسان[4] من عسكر الصليحى ، وهزماهم واستوليا عليه ، وأقبل أهل تلك الناحية إلى

---

(١) الخانق : من أودية صعدة (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٤) .

(٢) كذا وردت فى الأصل ، وقد ذكر ياقوت أن سوق البار بلد باليمن قرب صعدة (معجم البلدان) . كذلك ذكر الهمدانى موضعا اسمه البار (صفة جزيرة العرب ، ص ٧٣) .

(٣) فى الأصل جبر ، ولعله تحريف فى الكتابة

(٤) نوسان ، تبع ذمار ، من مخاليف بلاد عنس (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٤) .

الشريفين ، ودخلوا فى طاعتهما ، فلبثا فيه أياماً ثم رجعا إلى مستقر عزهما .

ودخلت سنة — ٤٦٤ —

فيها سار الفاضل إلى الجوف ، ولبث ذو الشرفين فى شَهَارَة ، فجاءت إليهما كتب من منصور بن حسين بن المنتاب — صاحب مِسْوَر — أنه يريد قبض جبل مِسْوَر لهما ، واستدعى وصول أحدهما إليه لخوفه من بنى الصليحى . فسار إليه ذو الشرفين ، فدخل مسور ، وكان لوصوله الموقع العظيم . ودخل أهل تلك الجهة تحت طاعته ، واشتد بوصوله أمر منصور بن حسين .

ثم كتب ذو الشرفين إلى أخيه الفاضل يستدعيه للوصول لقصد بنى شاور ، فنهض الفاضل بمن معه من الجوف ، حتى انتهى إلى الظهيرة ، ولقاه منصور بن حسين بمن معه ، فأخذوا وادى شَرِس[1] حتى وصلوا المِسْوَرة ، ثم طلع الفاضل إلى بنى شاور ، وثبت منصور فى مراخه . وانتشر العسكر فأخذوا ما وجدوه من الأموال ، وأمروا جماعة — منهم السلطان أبو القبائل بن هاشم — وأرسلوا به إلى شهارة ، وقبضوا حصنه حقيل[2] .

وطلع الفاضل مِسْوَر فاجتمع بأخيه ذو الشرفين ، ثم أجمعا رأيهما ورأى منصور بن حسين على غزو حُفَاش[3] ، وفيه يومئذ السلطان محمد بن ابراهيم الصليحى ، فساروا إليه . وخرج إليهم الصليحى بأصحابه ، فاقتتلوا ساعة من نهار ، ثم انهزم الصليحى فتبعه عسكر الشريفين ، فأسروه فى جماعة من أصحابه ، ورقى ذو الشرفين إلى حصن القُفْل[4] ،

---

(١) وادى شرس : بفتح أوله وكسر ثانيه ، من شعاب وادى مور ، من أودية السراه باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٢) .

(٢) حقيل : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) حفاش : جبل باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) حصن القفل : من حصون اليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

فاستولى على مافيه ثم أخربه . وعادوا إلى مِسْور وأرسلوا بالأسارى إلى شَهَارَة .

وفى هذه السنة وصل إلى الفاضل وأخيه — وهما فى مِسْوَر — السلطان محمد ابن ورْقا من بنى جناح ، وضمن لهما أخذ حصن يناع ، ثم عزم من عندهما . ولما أراد الاستيلاء على الحصن المذكور ، عارضه رجل من بنى جناح ، فاستبقا إلى الحصن ، فسبق محمد ابن ورقا فاستولى عليه ، وكتب بالبشارة إلى ذى الشرفين ، وهو يومئذ فى عز حاشد ، فأمده بالشريف حميدان بن القسم . فلما وصل بعض الطريق بلغه أن بنى الصليحى قد خرجوا من صنعاء وحطوا فى يفاعة[1] ، وأن محمد بن ورقا نزل من يناع وصار الحصن خاليا من الجانبين ، فأقام فى بعض محلّات تلك الجهة ، وجعل يستطلع الأخبار ، ثم أمر جماعة من أهل حَضُور بالتقدم إلى جبل بيت خَوْلان[2] . فلما وصلوا إليه أشعلوا فيه النيران ، فظن أصحاب الصليحى أن الذى فى الجبل هو الشريف حميدان ، فرجعوا إلى صنعاء . وتبعهم أهل حَضُور ، فأوقعوا بهم وقْعة عظيمة ، وقتلوا السلطان أحمد بن أسعد اللهابى وعدة من وجوه أهل حراز ، وغنموا منهم غنائم كبيرة .

ولما بلغ خبر هذه الوقعة إلى أحمد بن عبد الله اللهابى — أحد كفاة السلطان أحمد بن مظفر — وهو فى ذَرْوَه[3] ، خاف على نفسه ، فخرج منها ، واستخلف عليها المليح بن هيصَم . وبلغ خبر خروجه من ذَروَة إلى الشريف أحمد بن جعفر وهو فى وَروَر ، فنهض فى جماعة إلى ذيبين ، واجتمع إليه أهل الصيد وغيرهم ؛ فسار بهم إلى ذَرْوَه ، وحاصر من فيها ، وأقبل إليه أهل وادعة وبنو صريم وهمدان ، وخاطبوا

---

(١) ورد فى معجم البلدان لياقوت اسم « اليفاع » وقال انها من قرى ذمار باليمن .

(٢) قال الهمدانى ان رأس حضور يسمى بيت خولان ، وهو حصن على جبل باليمن (صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥) .

(٣) ذروة ، قال ياقوت أن أوله يفتح أو يكسر ، وهو اسم بلد باليمن من ارض الصيد (معجم البلدان) وقال الهمدانى أن ذروة حصن . (صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥) .

من فى ذَرْوة بالنزول فأبوا ؛ فشدت عليهم القبائل ، ورقوا الحصن قهراً بالسيف ، واستولوا على ما فيه من مال ورجال .

ودخلت سنة — ٤٦٥ —

فيها دامت الحروب فيما بين الشريفين وآل الصليحى ، وكانت الدائرة فيها على الصليحيين ، وأدبر ملكهم ، واستفتح الشريفان كثيرا من المعاقل مثل بَكْرْ[1] ، وثُلاَ ، وذِى مَرْمَر[2] ، وغيرها .

ودخلت سنة — ٤٦٦ —

فيها خرج بنو الصليحى إلى يناع ، واستنهضوا أهل دعوتهم من سلاطين حراز ، وأوهموا عامة الناس أن المنجمين قد حكموا بأن دولتهم ستعود كما كانت ، ونهض المكرم بنفسه إلى عُرُذَيب ، فأقبل إليه أهل حراز ، ورتبوا جبل بيت خولان . فخرج إليهم الحسن بن يعقوب بن الدعام نائب الشريفين فى يَنَاع ، فأحربهم فى وادى قيم حرباً شديدةً ، كانت الدائرة فيها على بنى الصليحى ، وقتل منهم بشر كثير ، وغنمت أموالهم وخيلهم ، وانكشف كذب قول الصليحى .

ثم إن الحسن بن يعقوب استدعى الشريفين للوصول لتكرير الغارات على بنى الصليحى ، فنهض إليه ذو الشرفين بعسكره . ولما وصل يَنَاع أقبل إليه الشريف الحسن بن ابراهيم والشريف حميدان بن القسم وغيرهما من الأشراف والسلاطين فى عساكر كثيرة ، فالتجأ آل الصليحى بمن معهم إلى جبل بيت خَوْلان ، وأقبل الشريف الفاضل من مِسْوَر بخيل ورجال ، فدخل ثُلا ؛ ثم توجه نحو صنعاء ؛ حتى بلغت

---

(١) بكر من قلاع صنعاء المشهورة .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢١٤)
(٢) ذى مرمر : حصن من حصون صنعاء .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٢٣٢)

خيله إلى الجِراف[1] وشَعوب ، وأغلقت أبواب صنعاء . ثم عاد إلى ثلا ، ومكث ذو الشرفين فى يَناع مدة ، وراسل بنى شهاب حتى صاروا من جملة أعوانه . وفى خلال ذلك قصد بنو الصليحى إلى حصن قرن عنتر المعروف الآن بظفار ، فوق بيت سبطان[2] من جهة الجنوب ، فأحاطوا به من جميع جوانبه ، فخرج عليهم أهل الحصن فهزموهم ، وقتلوا منهم جماعة . وما زالت عساكر الأشراف تشن الغارات على صنعاء ، حتى ضيقوا مسالكها ، واشتد الحصار على من فيها ، وغلت الأسعار فى صنعاء ومخاليفها ، وكثرت المطالب على الناس من جهة الدولة بسبب الفتن .

ودخلت سنة — ٤٦٧ —

فى المحرم منها خرج ذو الشرفين من يَناع ، واستخلف عليه الشريف حميدان ابن القسم ، والسلطان محمد بن ورقا ، وسار إلى جهة مِسْوَر ، بسبب خلاف وقع فى تلك الجهة . وكان قد أشار عليه بعض أصحابه بتقديم مناجزة آل الصليحى ؛ فلم يُسعد . وخرج أخوه الفاضل من مِسْوَر ؛ فحصلت بينه وبين قبائل تلك الجهة حروب ، وتَخلَص إلى الظهيره[3] ثم سار منها إلى شَهارَّة .

ودخلت سنة — ٤٦٨ —

فيها استقر الشريفان الفاضل وذو الشرفين فى شَهارَة ، وأعرضا عن الحروب لما كثرت عليهما مواد الأجناد ، ورأوا تغير أحوال الرعايا .

(١) الجراف : أو ذو جراف ، واد يفرغ فى السلى .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ص ٣٢١)
(٢) فى الأصل بيت سبطان ، وذكرها ياقوت بيت سبطا وقال انها من نواحى اليمن من حازة بنى شهاب . (معجم البلدان) .
(٣) الظهيرة : موضع فى مخلاف شبام من بلد همدان غربى صنعاء .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٨٥) .

ثم إن الشريف الفاضل سار إلى الجوْف[1] فاستقر فيه بأهله ومن يلوذ به ، وأقبل على أعمال الزرع وإحياء مجارى غيل الخارد[2] ، وأخذ على أهل تلك الجهة العهود الغليظة فى الاستقامة على الطاعة وحسن جواره . فلم تمض مدة يسيرة حتى غدر به بعض أهلَ تلك الجهة ، فقتله وقتل معه الشريف القسم بن ابراهيم فى شهر ذى الحجة من السنة المذكورة ، رحمهما الله تعالى . ويقال ان المعامل على قتله هو المكرم أحمد بن على الصليحى ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٤٦٩ —

فيها نهض ذو الشرفين إلى الجوف للأخذ بثأر أخيه الفاضل رحمه الله ، فأوقع بأهل القرى التى قتل فيها ؛ وقتل منهم جماعة ، وأمر بقطع رءوسهم ، وأن تحمل إلى قرية عُرْف[3] . وأقام فى تلك الجهة قدر نصف شهر لخراب منازلها ، ثم أمر بنبش قبر أخيه وقبر الشريف القسم بن ابراهيم الذى قتل معه ، وجعل جسدهما فى تابوتين ، ثم رجع . فلما وصل عَيَّان حصلت مشاجرة بين قبائل تلك الجهات على دفن الشريفين ، كل منهم يريد أن يدفنا فى محله تَبَرُّكاً بِهما ، فاستقر القول بينهم أن الشريف القسم بن ابراهيم يدفن فى عَيَّان ، والشريف الفاضل القسم بن جعفر يدفن فى الحَضَن من بلد وادعة الظاهرِ ، فقبره فيه مشهور مزور ، رحمه الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصل ، وقد ذكر ياقوت أن جوف همدان بالجيم مخلافان باليمن ، ورواه بعضهم بالحاء (معجم البلدان) .

(٢) الغيل ، بالفتح ثم السكون ، الماء الذى يجرى على سطح الأرض ، والخارد واد كبير من أودية الجوف (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨١)

(٣) عرف : بضم أوله وسكون ثانيه ، من مخاليف اليمن ، بينه وبين صنعاء عشرة فراسخ . والعرف فى اللغة هو كل موضع عال مرتفع . (ياقوت : معجم البلدان) .

ولما قتل الفاضل، كما ذكرنا، ثبت أخوه ذو الشرفين على بلادهم مدة قليلة، ثم خالف عليه كثير من البلاد، كبني صريم و بلاد الدعام وغيرهم، وكاتبوا بني الصليحي، واجتمعوا في الظاهر، واستولوا على ذَروة، وأخرجوا منها الشريف الحسين بن ابراهيم، ثم تقدموا إلى حوث ثم إلى العادية[1]. وتقدمت بعض خيلهم إلى أُقَر[2]، فوقع فيه طرف قتال وعادوا فوراً. ثم خالف أهل عُذر، وجرى بينهم وبين ذي الشرفين حرب، وحصل اختلاف فيما بين ذي الشرفين وأخيه القاسم بن جعفر، ثم اصطلحا.

وفي هذه السنة اجتمع الأشراف والسلاطين إلى ذي الشرفين وهو في شهارة، وأجمع رأي الجميع على النهوض لحرب الخارجي الثائر في الشرف، المعروف بالخطيط ابن عبد المجيد الأباضي. وقد كان اجتمع إليه أهل الشرف ومن يليهم، وادعى الامامة. والظاهر أنها كانت عقيدتهم أن الأمامة تصلح في جميع الناس. وإن كان أكثرهم غوغاء لا يعرفون أكثر الشرعيات، وإن قاموا إلى شيء فمن غير عقيدة بكونه الصواب ولا معرفة أنه الخطأ، وإنما قيامهم إن قاموا، وقعودهم إن قعدوا، متابعة لهوى النفوس وميل إلى الحطام العاجل.

ولما سار إليهم ذو الشرفين وافاهم في المحظور، فأصدقهم القتال، وهزم الخارجي، واستولى عسكر ذي الشرفين على أهل الشرف قتلاً ونهباً.

ودخلت سنة — ٤٧٥ —

فيها — أو في التي تليها — بعث ذو الشرفين ابنه جعفر بن محمد في عدة من الأشراف

---

(١) حصن العادية حصن لبني سوادة من قشير، وهم طوائع الاحساب في العروض من جزيرة العرب (الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص ١٥٩).
(٢) أقر: موضع باليمن (الهمداني صفة جزيرة العرب، ص ١٨٠).

والسلاطين إلى بلاد عُذر وبلاد الجبر[1] لأسباب أوجبت ذلك . ولما وصل جعفر إلى عُذر أصلحها وأدب أهلها ، وأقام فيها أياما ، ثم نهض إلى قرية الصاية من أعمال الجَبر ، فَقَتل كثيراً من أهلها وأسر جماعة ، وأرسل بهم إلى أبيه وهو فى شهارة .

قال صاحب سيرة الأشراف : ولقد كان فى هذه القرية من المنكرات والفساد مالم يكن فى غيرها من تلك البلاد ، فإن أهلها عكفوا على شرب الخمور وارتكاب الفجور ، وبلغ بهم البطر والأشَر إلى أن سموا الفواسد والبغايا بأسماء جماعة من كبار الأشراف ، وقال زاجرهم شعراً :

نحمى على الصاية بالسيوف — ونرمى الشيعة بالحتوف — وندفع الواجب للدفوف .
فعليهم لعنة رب العالمين إلى يوم الدين .

ودخلت سنة — ٤٧٦ —

لم يتفق فيها ما لابد من ذكره .

ودخلت سنة — ٤٧٧ —

فيها انشقت السماء ، وظهر فيها نجم وبعده دخان أبيض يشبه الملح ، فوقع فى المخلاف الأخضر من اليمن الأسفل ، فسبحان الرب الحكيم .

ودخلت سنة — ٤٧٨ —

فى المحرم منها كانت وفاة ذو الشرفين محمد بن جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ فى شَهارة ، ودفن فيها . وبايع الناس لولده جعفر بن محمد ، وهو آخر من ملك من أولاد الامام القسم ابن على العَيَّانى ، عليهم السلام . وفى أيامه ضعفت شوكتهم بسبب الاختلاف فيما بينهم .

---

(١) الجبر : موضع من بلد همدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٣ ، ١٣٥) .

ودخلت سنة — ٤٧٩ —

فيها عاد بنو نجاح إلى مدينة زبيد فملكوها ، وأخرجوا منها نائب المكرم — وهو خاله أسعد بن شهاب — على حال جميل ، مكافأة له على ما تقدم منه من رعاية من بقي فى زبيد من مواليهم ومن يتعلق بهم .

وفى هذه السنة استقرت ولاية زُرّيع بن العباس بن مكرم الهمدانى[1] فى عدن ، وتوارثها أولاده من بعده ، على ما ذكره الديْبع وغيره .

ودخلت سنة — ٤٨٠ —

فيها انتقل المكرم أحمد بن على بن محمد الصليحى إلى ذى جِبلة بعد وفاة والدته أسماء بنت شهاب ، فاختط بها دار العز ، واستخلف على صنعاء عمران بن مفضل الهمدانى وأسعد بن شهاب .

وحكى أن الحرة السيدة بنت أحمد بن محمد الصليحى زوجة المكرم قالت له فى صنعاء « اطلب الناس » فطلبهم ؛ ثم قالت له « اشرف عليهم » فأشرف . فلم يقع بصره إلاّ على لمعان السيوف وبريق الأسنة . فلما نزل ذى جِبلة ، طلبت الناس من مخلاف جعفر ، وقالت له « اشرف عليهم » فأشرف ، فلم يقع بصره إلاّ على من يحمل بُرًّا أو سمنا أو يقود كبشاً ، فقالت له « المقام بين هؤلاء أصلح من أولئك » .

(١) زريع بن العباس بن المكرم الهمدانى ، استولى من عدن بعد موت ابيه على ما كان لابيه ، وهو حصن التعكر وباب البر وما تحصص منه . وكان حصن الخضراء لعمه مسعود بن المكرم ، وكانا يحملان للحرة السيدة بنت شهاب الصليحى كل سنة من خراج عدن مائة ألف دينار . قتل على باب زبيد سنة ٥٠٣ — ٥٠٤ أثناء حرب ضد عبد الواحد بن جياش .
(أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ص ٧٨ — ٧٩) .

فيها دبرت السيدة بنت أحمد على قتل سعيد الأحول بن نجاح ، فأمرت حسين بن التبعى صاحب حصن الشِعر أن يكاتب سعيد الأحول « أن المكرم قد صار مفلوجاً ، وعكف على اللذات والملاهى ، ولم يبق أمره إلا فى يد امرأة ، وأنت الآن أقوى ملوك اليمن ، وتملكك لبلادنا أحب إلينا من آل الصليحى ، فإن رأيت أن تنهض إلى ذى جبلة من تهامة وأنا من الجبل ، فافعل » . فلما وصل كتاب ابن التبعى إلى الأحول حسُن موقعه عنده ، واستخفه الطمع ، فخرج من زبيد فى ثلاثين ألف حربة . وكانت السيدة قد كتبت إلى عمران بن مفضل وأسعد بن شهاب أن يخلفا سعيد الأحول على زبيد ، فخرجا فى ثلاثة آلاف فارس ، فوصلا زبيد بعد خروج الأحول منها ، فدخلاها ، وتفرق بقية أولاد نجاح فى الجهات ، ولحق جياش بأرض الهند . وأما سعيد الأحول فإنه لما قرب من حصن الشعر أطبقت عليه جيوش ابن التبعى ومن انضم إليهم من أصحاب السيدة فى واد ضيق ، فقتل الأحول وأصحابه عن آخرهم ، إلاَّ من شَرد . وكانت « أم المعارك » زوجة الأحول صحبته ، فجعلوا يعرضون عليها القتلى ، فلما رأت زوجها عرفته ، فاجتزوا رأسه ، وحملوه أمام هودجها ، كما فعل زوجها الأحول بالحرة أسماء بنت شهاب حين قتل زوجها على بن محمد الصليحى . ثم ساروا بأم المعارك إلى السيدة بنت أحمد على الحالة المذكورة فسرت سروراً عظيما ، وقالت « ليت مولاتنا أسماء بنت شهاب شهدت هذا اليوم » . قلت وكادت الدنيا تكون دار جزاء ، فسبحان المتصرف بأمر عباده.

ولما قتل سعيد الأحول ، استعمل المكرم على زبيد خاله أسعد بن شهاب ، كما كان أولا ، فجرى على عادته من حسن المعاملة لمن فى زبيد من الحبشة .

وأما جياش بن نجاح فإنه سار إلى الهند كما تقدم ذكره ، وكان فى صحبته الوزير خلف ابن أبى طاهر الأموى ، فمكث فى الهند تسعة أشهر ، واشترى هنالك جارية فعلقت منه ، ثم رجع إلى اليمن آخر السنة . ولما وصل إلى عدن قدم الوزير خلف

إلى زبيد من طريق الساحل ، وأمره أن يخبر فى زبيد بموته فى الهند، وأن يستأمن لنفسه ويكشف له حقيقة أحوال زبيد . ثم صعد جياش إلى ذى جِبلة متغرراً قد تزيا بزى الهنود ، من تطويل الأظفار ، وإسبال الشعر ، ووضع خرقة على أحد العينين ، فكشف عن أحوال المكرم ، وعرف حقيقة أمره . ثم انحدر إلى زبيد ، فاجتمع به الوزير خلف وأخبره بما طابت به نفسه من توافر أوليائه وأقاربه ومواليه فى زبيد وما حوله ، فلبث جياش فى منزله بالقرب من دار ابن القَم وزير أسعد بن شهاب . وقد كان جرى فيما بين ابن القم وبين أسعد بن شهاب بعض منافرة ، فسمع جياش فى بعض الأيام وابن القم يقول : « لو وجدت كلباً من آل نجاح لملكته زبيد » . فطمع جياش بملك زبيد مع ما سمع من كلام ابن القم . وكانت لجياش اليد الطولى فى لعب الشطرنج ، فدخل يوما على ابن الوزير القمى ، وكان من أهل هذه الصناعة ، مشغوفاً بها ، فأنس به ، وخف عليه مقامه ، ولعب معه . وما زال يستدعيه ـ وهو مع ذلك غير شاكٍ بأنه من الهنود ـ لما يراه من زيه المشابه لزيهم . وكان جياش يظهر لولد الوزير العجز عن مقاومته فى اللعب ، ففى بعض الأيام أظهر جياش حسن صنعته وسد على ولد الوزير أبواب الشطرنج حتى غلبه ، فلطمه ابن الوزير لطمة منكرة ، فنهض جياش مغضباً ، وقال « أنا أبو الطامى » . وكانت هذه الكلمة كنية جياش[1] ، فعرفه الوزير ابن القم ، فبادر إليه وأخرج مصحفاً من تحت كمه ، وحلف له يميناً ، وانعقد القول بينهما على إظهار الأمر والوثوب على عامل الصليحى .

وكان جياش قد راسل الحبشة سراً ، فاجتمع له فى زبيد وما حولها خمسة آلاف حربة ، ثم أتاه ابن القم فقال له « إن أمرنا لا يخفى على أسعد بن شهاب » ، فقال له جياش إنه قد اجتمع فى المدينة وحولها خمسة آلاف حربة، فقال له « ملكتها . فقم وأظهر أمرك » ،

---

(١) أبو الطامى جياش بن نجاح صاحب تهامة الملقب بالملك المكين .
(أبو مخرمة تاريخ تعز عدن ، ج ٢ ص ٤٣ ـ ٤٧) .

وكانت دار الأغر الصليحى قد أخليت لجياش ، وغلقت ستورها ، ونقلت جاريته الهندية إليها ، فوضعت ولده فاتكا بن جياش .

ويحكى أن بعض المنجمين أخبره أنه يملك زبيد ليلة تضع جاريته المذكورة ، فكان كذلك ، فإن ابن القم لما حرضه على إظهار أمره ، أمر بضرب الطبول والأبواق ، فثار أصحابه،وثار معهم عامة أهل المدينة ، فقبض أسعد بن شهاب وملك المدينة . ويروى أن أسعد بن شهاب لما أسر قال لجياش « إن أسرتنى فإن نفسى تكبر أن أطلب منك العفو » فقال له جياش « مثلك يا أبا حسان لا يقتل » ، ثم أطلقه وأولاده وجميع ما يملك .

ثم أطلق أسعد بن شهاب ، وأحسن إليه وإلى أهله وجميع من يلوذ به ، وسيّره بجميع ما يملك على أجمل حال ، مكافأة له على ما صنع إلى أهل بيته ومواليهم . ولم يمض شهر حتى عاد ملك بنى نجاح كما كان ، فسبحان المعز المذل ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء . ولم يزل جياش بن نجاح مالكا لزبيد وأعمالها إلى أن توفى سنة٤٩٨، كما سيأتى .

وأما المكرم الصليحى ، فلم يكن منه بعد ذلك نكاية أكثر من غارات على أطراف زبيد .

ودخلت سنة — ٤٨٢ —

لم يتفق فيها — ولا فى التى تليها — ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٤٨٤ —

فيها مات المكرم أحمد بن على بن محمد الصليحى فى ذى جبلة،وجعل وصيته إلى الأمير الكبير الداعى سَبَأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى . وكان شجاعاً كريما شاعراً فصيحا ، يثيب على الشعر ويمدح مادحه . وكان دميم الخلقة ، قصيرا جدًّا ، ومستقر ملكه

حصنه المسمى أشْيَح فى رأس بلاد أنس[1] . وهذا الحصن نظير مسار فى الارتفاع والمنعة، وكانت بقية حصون بنى المظفر مشرفة على زبيد ، وأقرب إلى تهامة من سائر الجبال . ولذلك لم تزل الحروب فيما بينهم وبين أهل زبيد قائمة : فمنها يوم الكظائم على باب زبيد فيما بين الأمير سَبَأ بن أحمد بن المظفر وجياش بن نجاح . فإن الأمير سَبَأ توجه إلى زبيد ، فى ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وكان جياش قد أعدّ الجموع أيضاً ، واستعان بالشريف يحيى بن حمزة بن وهَّاس فجعله كمينا . وكان زعماء أصحاب جياش قد كاتبوا الأمير سَبَأ وأضمروا له الغدر ، فوافاهم الأمير سَبَأ إلى باب زبيد . ووقع بينه وبينهم القتال الشديد . وظهر الشريف يحيى بن حمزة بمن معه ، وحمل بنفسه على القاضى عمران بن مفضل ، فطعنه بعد أن قتل القاضى عمران فرس الشريف يحيى ، ومات القاضى عمران من تلك الطعنة بعد أيام . وقتل يومئذ الأمير قيس بن أحمد ابن المظفر ، وانهزم أصحاب الأمير سَبَأ بن أحمد ، وعقر فرسه ، فسار فى غمار الناس راجلا ، حتى أركبه رجل من أصحابه على جواده . وبعد مضى أيام نزل ولدا القاضى عمران ابن مفضل — وهما أحمد وحسين — إلى تهامة ، للأخذ بثأر أبيهما من الشريف يحيى بن حمزة ، فقتلاه وَهُوَ لاَ يَعْرِفهما .

ولم يزل بنو الصليحى وبنو نجاح يتصاولون على ملك تهامة ، فكان إذا أقبل الشتاء هبط بنو الصليحى إلى تهامة ، وتوجه بنو نجاح إلى دَهلك . فيقبض بنو الصليحى خراج تهامة ، ويسقطون عن الرعية ما قد سلموه إلى بنى نجاح فى أيام الصيف والخريف، ولايزالون فى تهامة إلى أيام الصيف ، ثم يرتفعون عنها إلى بلادهم ، فيخرج بنو نجاح إليها ويقبضون خراجها، ويسقطون عن أهلها ماسلموه إلى بنى الصليحى فى أيام الشتاء . وعلى هذا النمط جرت عادتهم مدة من الزمان ، فسبحان من لا يغيره الحدثان .

---

(١) أنس : موضع فى وادى سهام من أودية جبل السراه .
(الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ٧٢) .

ولما توفى المكرم فى التاريخ المتقدم ذكره ، تاقت نفس الأمير الداعى سَبأ بن أحمد إلى التزوج بزوجته الحرة السيدة بنت أحمد ، وبعث إليها خاطباً ، فكرهت ذلك أشد الكراهة ، وأنكرته غاية الإنكار ، فجمع الداعى جموعه وسار لحربها . وقد كانت جمعت أكثر من جمعه ، فوقعت بينهما حروب كثيرة . ولم يقف الداعى منها على طائل حتى قال له أخوها من أمها — وهو سليمان بن عامر الزواحى — « إنها لاتجيبك إلى ماتريد إلا بأمر العبيدى صاحب مصر » . فترك الداعى قتالها ورجع إلى حصنه أشْيَحَ ، وكتب إلى العبيدى[1] مع رسولين ، أحدهما القاضى حسين بن اسماعيل الأصبهانى . فأجاب عليه العبيدى ، وبعث إلى السيدة أستاذاً من مقامه بكتاب إليها ، يأمرها فيه بالإجابة إلى ماطلب الداعى منها ، فدخلوا عليها إلى دار العزبذى جِبْلَة ، وهى فى جمع من وزرائها ووجوه دولتها ، فقال الأستاذ الواصل من حضرة العبيدى « إن أمير المؤمنين يسلم على الحرة الملكة السيدة بنت أحمد خيرة نساء الزمن وسيدة ملوك اليمن ، ويقول لها ماقال الله تعالى فى كتابه المبين (وما كانَ لمؤمنٍ ولا مُؤْمنَةٍ إذا قَضَى اللهُ ورسولُه أمراً أنْ يكونَ لَهُم الخِيَرة من أمْرِهِم) وقد زوّجك أمير المؤمنين من الأمير المنصور عمدة الخلافة إلى أبى حمير سَبَأ بن أحمد بن المظفر على ماحضر من المال ، ومبلغه مائة ألف دينار عيناً وخمسون ألفاً أصنافاً » .

فقالت « أما كتاب أمير المؤمنين فأقول فيه ماقال الله تعالى فى كتابه العزيز (إنى أُلقى إلى كتابٌ كريم إنهُ من سُليمان وإنه بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم . ألا تَعْلُوا علىَّ وأتُونِى مُسْلِمِين . قالت يأيها الملأُ أفتُونِى فى أمْرِى ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تَشْهَدون) : وأما أنت يابن الأصبهانى فماجئت أمير المؤمنين من سبأ بنبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن مواضعه ، وسولت لكم أنفسكم أمراً، فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ماتصفون » .

ثم تقدم إليها وزيرها زريع بن أبى الفتح وابن الأصبهانى ونظراؤهما ، فما زالوا

---

(١) كان الخليفة الفاطمى بمصر وقتئذ هو الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧) هـ .

يتلطفون إليها حتى أجابتهم إلى العقد . ثم سار إليها الأمير سَبَأ فى جمع كبير ، فأقام شهراً بذى جِبلَة وأخرجت إليه وإلى أصحابه الضِّيافات الواسعة ، وأنفقت من مالها مثلما ساقه إليها ، ورأى من عالى همتها وشرف نفسها ما حقر إليه نفسه وندم على خطبتها . ثم أرسل إليها سراً يسألها أن تأذن له بالدخول إلى دارها ليتوهم الناس أنه قد خلا بها ، فأذنت له بالدخول إلى بعض مقاصير الدار ، وبعثت إليه جارية تشابهها . وعرف الأمير سَبَأ حيلتها ، فقعد لا يرفع طرفه إلى الجارية وهى قائمة على رأسه ، فلما أصبح رفع مخيمه ورجع إلى حصنه .

ودخلت سنة — ٤٨٥ —

فيها مات زريع بن العباس صاحب عدن ، وولى الأمر بعده فى عدن وأعمالها ولده سبأ بن زريع .

وفى هذه السنة جهز السلطان ملكشاه[١] عسكراً نحو اليمن،فاستولوا على كثير منها،وعاثوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد ، ثم عادوا إلى بغداد .

---

(١) هو السلطان جلال الدين أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان ، سلطان السلاجقة (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) . وبخصوص ما جاء فى المتن ، يروى ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٨٥ هـ ما نصه :

« وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان . وهو صاحب قرميسين وغيرها ، فأمره السلطان أن يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ، ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك ، فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك . فساروا حتى وردوا اليمن ، فاستولوا عليها وأساءوا السيرة فى أهلها . ولم يتركوا قبيحة ولا سيئة الا ارتكبوها ، وملكوا عدن . وظهر على ترشك الجدرى . فتوفى فى سابع يوم وصوله اليها ، وكان عمره سبعين سنة ، فعاد أصحابه الى بغداد ، وحملوه ودفنوه عند قبر أبى حنيفة ؛ رحمة الله عليه . »

ودخلت سنة — ٤٨٦ —

فيها استدعى جياش بن نجاح طائفة من الغز[١] لمحاربة الداعى سَبأ بن أحمد ، فأجابه منهم قدر ألفي فارس . ولما انفصلوا عن مكة يريدون التوجه إلى اليمن ندم جياش على مافعله من استدعائهم ، وعلم أنهم سيخرجون من البلاد ، فأمر ولاته الذين على طريقهم أن يطرحوا لهم السموم فيما يأكلون ويشربون ويلبسون ، فمات كثير منهم ، وخلص بقيتهم إلى زبيد ، فجهز جياش منهم خمسمائة نفر إلى الجبال ، ففتحوا بعضها ووصلوا إلى البَوْن ، ثم دس عليهم جياش السم أيضاً ، حتى لم يبق منهم إلا القليل ، أقطعهم وادى ذُوَال[٢] .

وفى هذه السنة مات المستنصر العبيدى بمصر .

ودخلت سنة — ٤٨٧ —

لم يتفق فيها ولا فيما بعدها إلى سنة ٤٩٠ ماينبغى ذكره .

---

(١) الغز : جماعة من عنصر الاتراك ، انقسموا الى قبائل عديدة ، قدرها البعض بأربع وعشرين قبيلة ٠ أقاموا دولة كبيرة فى منغوليا فى القرن السادس للميلاد ، حتى اذا ما سقطت هذه الدولة نزحوا غربا الى الأراضى الواقعة شرقى بحر قزوين ، حيث قامت بعض بطون الغز ـ كل على حدة ـ بفتوحات واسعة ، وبهجرات الى بلاد عديدة ، وذلك فى القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) ، مما ترك أثرا عميقا فى أحوال الشرقين الأوسط والأدنى ٠ ومن هؤلاء الغز كان السلاجقة ثم الاتراك العثمانيون ٠ (بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد سعيد سليمان) ٠

ويفهم من العبارة الواردة فى المتن أن بعض الغز قاموا فى القرن الخامس للهجرة بدور الجند المرتزقة ، فاستدعاهم جياش بن نجاح الى اليمن لمحاربة خصومه ٠

(٢) وادى ذوال : واد يتبع كورة تهامة بالوادى الحصيب ٠
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٩) ٠

ودخلت سنة — ٤٩١ —

فيها مات سَبَأ بن زريع صاحب عدن ، وولى الأمر بعده فى عدن وأعمالها أخوه أبو السعود بن زريع ومسعود بن العباس .

ودخلت سنة — ٤٩٢ —

فيها مات الأمير سَبَأ بن أحمد بن المظفر فى حصنه أشْيَح ، وبموته خرجت صنعاء وأعمالها من بنى الصليحى ، ولم يبق لهم فيها أمر ، واستولى عليها السلطان حاتم ابن الغَشم ، الآتى ذكره .

ولما مات الأمير سَبَأ بن أحمد أقامت السيدة المفضلة ، ابن أبى البركات بن الوليد الحميرى للذب عن مملكتها ، والقيام بأمر دولتها . وكان عاملا على التعكر وما إليه ، فجعلت مكانه أخاه خالد بن أبى البركات ، فلبث فى عمله قدر سنتين ، ثم قتله الفقيه عبد الله بن المصوع صاحب ذى السَفَال[1] وكان له اتصال بخالد بن أبى البركات ، حتى أمر ابن أبى البركات إنه لا يمنع ابن المصوع عن الدخول إليه فى أى وقت أراد ، لما كان يعتقده فيه من الخير والصلاح . وكان ابن المصوع صاحب ثروة كبيرة ، فدخل يوما على خالد فلم يجد عنده أحداً ، فقتله استحلالا لدمه كونه على مذهب العبيدية الإسماعيلية . ولما فرغ من قتله صاح بأهل الحصن ، فاجتمعوا إليه فقتلوه ، وطلع أخوه المفضل بن أبى البركات إلى التَعْكر وأظهر عداوة الفقهاء رهط ابن المصوع . ولم يزل مفضل قائما بدولة السيدة بنت أحمد ، نافذ الكلمة إلى أن مات فى التاريخ الآتى ذكره .

وفى هذه السنة حصل الاختلاف بين عاملى عدن — وهما أبو السعود بن زريع ومسعود ابن عباس — فاقتسما البلاد نصفين .

---

(١) ذوسفال : من قرى اليمن ، وقد نسب اليها بعض أهل العلم (ياقوت : معجم البلدان) .

قلت : ولهؤلاء الأمراء الزريعيين سيرة مستقلة ذكر بعضها الديبع فى تاريخه .

وفى هذه السنة أيضا استولى السلطان حاتم بن الغشم المغلسى الهمدانى على صنعاء وأعمالها ، فضبط أمرها ، وأطاعته قبائل همدان . وكان له من الولد ثلاثة ، وهم محمد وعبد الله ومَعْن ، فقام ولده محمد بن حاتم بكثير من أعمال أبيه فى حياته حتى حدثت منه أمور دلت على اختلال فى عقله ، منها أنه سمع يوما ضرب الطبول وأصوات المزامير ، فاهتز لذلك ، وأخذته الاريحيّة فلبس لامةَ حربه ، وركب جواده ، واعتقل رمحه ، وأمر همدان بالركوب . ثم خرج بهم الى الموضع المعروف الآن بمصب الدروع فقالوا له : « إلى أين تريد » قال : « أريد الغزو إلى نجران » : فقالوا : « إن بيننا وبين نجران مسافة بعيدة وليس معنا عدة ولا زاد ولارواحل » ، فقال « لابد من ذلك » فقالوا « دعنا نعود إلى صنعاء نتجهز ونعود إليك » فقال « صبوا دروعكم هاهنا حتى تأتونى غدا » ففعلوا ، فسمى ذلك الموضع مصب الدروع من ذلك اليوم . ثم رجعوا إلى صنعاء وخرجوا إليه ، فغزا بهم نجران ، فاستباحها وعاد إلى صنعاء .

ومنها أنه كان يتزوج المرأة ، فإذا أحبها قتلها ، فامتنع الناس من تزويجه ، حتى خطب امرأة من بنى الصليحى أهل قيضان[1] ، فامتنع أهلها عن تزويجه إياها خوفا عليها ، فلم يزل بهم حتى أجابوه على أن يكفل لهم عليه أبوه السلطان حاتم ؛ فألح على أبيه حتى كفل لهم فى محفل من رؤساء العرب . وقال له أبوه « إن قتلتها قتلتك بها » فزوجه وأقامت معه مدة ثم قتلها ، ولحق بحصن بِراش[2] خوفا من أبيه ؛ فلم يزل أبوه يراسله ويخادعه حتى ظفر به فى أكام الزبيب أسفل نُقُم ، فقتله واجتز رأسه ، ورفعه على رأس رمحه ، ودخل به صنعاء . وكان له بنت قد اشتاقت إليه ؛ فلما سمعت بخروج جدها

---

(١) قيضان أو قيظان ، مخلاف باليمن قرب ذى جبلة .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٧١ ، ياقوت : معجم البلدان)
(٢) حصن براش ، بكسر أوله ، حصن مطل على مدينة صنعاء على جبل نقم .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ١٧٤) .

إلى أبيها انتظرت وصوله ، ففوجئت برأسه ، فماتت ، وقيل بل جُنّت . وله أخبار غير ما ذكر .

ودخلت سنة — ٤٩٣ —

لم يتفق فيها ، ولا فيما بعدها إلى سنة — ٣٩٧ — ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٤٩٨ —

فيها مات جياش بن نجاح صاحب زبيد ، وولى الأمر بعده ولده فاتك بن جياش ، وهو ابن الجارية الهندية ، فعارضه أخواه ابراهيم وعبد الواحد ، وحصلت بينهم عدة وقائع . وفى آخرها ظفر فاتك بأخيه عبد الواحد ، فسجنه فى زبيد . وأما ابراهيم فلحق بأسعد بن وائل الوُحاظى ، فأكرمه .

ودخلت سنة — ٤٩٩ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٥٠٠ —

فيها جرت بين الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ بن حجور بن قَدَم بن جُشم بن حاشد[1] ، وابن أخيه سليمان بن الحسن ، خطوب وحروب ، فاستنصر سليمان بصاحب زبيد — ابن نجاح — وبالشريف السليمانى صاحب صنعاء ، واستنصر الخطاب ببنى الصميحى ، ثم تمكن الخطاب من أخيه سليمان فقتله .

---

(١) لعب الخطاب بن الحسن الحجورى دورا هاما فى عهد الملكة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية . وكان الخطاب بن الحسن أخا الملكة من الرضاع ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعى الذؤيب بن موسى ، وكان شاعرا أديبا . (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٥٦ . حسن الهمدانى وحسين سليمان الصليحيون ، ص ١٤٤) .

ودخلت سنة — ٥٠١ —

فيها قتل مسعود بن العباس صاحب عدن ، وقام بعده فى عمله ولده أبو الغارات ابن مسعود .

ودخلت سنة — ٥٠٢ —

فيها مات السلطان حاتم بن الغشم ، وولى بعده ابنه عبد الله بن حاتم ، فلبث فى الإمارة قدر سنتين ، ثم مات بالسم . فولى بعده أخوه مَعن بن حاتم ، وحصل فى ولايته قلق واضطراب ، وجور على همدان ، أنكره كبارهم ، منهم القاضى أحمد بن عمران ابن مفضل ، وكان عالم همدان ، فخلع مَعن عن الإمارة ، وجعلها إلى ابنى القبيب : هشام وحماس بمساعدة همدان ، وسيأتى تمام الخبر فى تاريخه ، إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٥٠٣ —

فيها مات فاتك بن جياش صاحب زبيد ، وخلّف ولداً صغيراً يسمى منصور ابن فاتك ، فقام بكفالته عبيد أبيه ، وأقبل عمه إبراهيم بن جياش لمحاربة العبيد الذين فى زبيد . ولما خرجوا للقائه ثار أخوه عبد الواحد بن جياش فى زبيد، فدخل دار الامارة ، وملك المدينة ، وخرج الاستاذون[1] بمنصور بن فاتك من زبيد ، خوفا عليه من عمه

---

(١) وفى تاريخ اليمن لعمارة اليمنى «وخرج الاستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك» . وأستاذون هنا جمع أستاذ ، وقد وصف أنيس الأغر فى هذا الكتاب سنة ٥٣٤هـ بأنه أستاذ حبشى ، أى من الخصيان الأحباش . ويقول القلقشندى عن الاستاذين أنهم خواص الخليفة « الاستاذون ، وهم المعروفون الآن بالخدام وبالطواشية ،وكان لهم فى دولتهم (الفاطمية) المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة» . وكان الاستاذون فى العصر الفاطمى ينهضون بعدة وظائف منها شد تاج الخليفة ، ومنهم صاحب المجلس الذى يتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة .. وغير ذلك . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ـ ٤٨٦)

عبد الواحد بن جياش . ولما علم إبراهيم بن جياش أن أخاه عبد الواحد قد استولى على زبيد ، أيس من تملكها ، فتوجه بخاصة أصحابه إلى الحسن بن أبى الحفاظ الحجوى ، وهو يومئذ بالجريب[1] .

وأما منصور بن فاتك فسار به عبيد أبيه إلى مفضل بن أبى البركات صاحب التعكر ، فأكرم مثواهم ، وبذل له عبيد فاتك ريع البلاد على أن ينصرهم على عبد الواحد ابن جياش ، فسار معهم واستولى على زبيد . ولم يبرح حتى بلغه أن فقيهاً من مخاليف التعكر قبض الحصن المذكور بإشارة من الرعية ، ومساعدة من ابن عم مفضل . واستولى على ما فى الحصن من ذخائر المفضل وأمواله وحرمه ، فخرج مفضل من زبيد لا يلوى على شىء ، حتى وصل تحت الحصن ، فحصره حصراً شديداً ، حتى مات فى شهر رمضان سنة ٥٥٤ .

ويقال فى سبب موته أن الفقيه الذى قبض الحصن ــ ومن معه ــ لما اشتد عليهم الحصار وخافوا عاقبة الأمر ، عمدوا إلى نساء مفضل وجواريه ، فأخرجوهن إلى موضع من الحصن يشرف على محطة مفضل ، وقد ألبسوهن الحلل والحلى ، وأمروهن بضرب الدفوف ورفع أصواتهن بالغناء . فلما نظرهن المفضل مات لوقته حمية وأسفاً . ولما مات كتبت السيدة بنت أحمد إلى الفقيه المذكور وأصحابه أن ينزلوا من الحصن ، ويقترحوا عليها ما شاءوا فأجابوا إلى ذلك ، وشرطوا شروطا وفت لهم بها ، وجعلت فى الحصن مولاها الفتح بن فتح ، فأقام فيه مدة ثم تغلب عليها ومنع من الحصن . فاحتال عليه جماعة يقال لهم بنو الزر ، وذلك بأن خطبوا منه ابنته لأحدهم ، فأجابهم . ولما دخلوا عليه ليلة الزفاف أخرجوه من الحصن .

وجعلت السيدة بنت أحمد فى عهدة مفضل بن أبى البركات ابن عمه أسعد بن أبى

---

(١) الجريب : من مخاليف اليمن بزبيد (ياقوت : معجم البلدان) .

الفتوح بن الوليد الحميرى . وكان عاملا على تعز[1] وصَبِر[2] بعد أبيه ، فلم يزل على عهدته حتى غدر به رجلان من أصحابه ، فقتلاه بين البابين فى حصن تعز سنة ٥١٤ .

وفى هذه المدة تغلب على السيدة بنت أحمد عاملا عدن ، وهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود ، فبعثت إليهما أسعد بن أبى الفتوح ، فقاتلهما، ثم اتفقوا على تسليم ربع الخراج ، فكانا يحملان إليها فى كل سنة خمسة وعشرين ألف دينار ، ثم تغلبا على الربع المذكور . ولم يزل كل واحد منهما موالياً للآخر حتى ماتا ، وولى بعدهما وليان هما سَبَأ بن أبى السعود ومحمد بن أبى الغارات، فاستمر كل واحد منهما على ما كان إلى أبيه مدة من الزمان ، ثم وقع الاختلاف بينهما وجرت بينهما عدة وقائع ، ولبثا فى الفتنة أياماً .

قال الفقيه عمارة اليمنى : أقامت فتنة الزعازع بين آل المكرم الهمدانى قدر سنتين، والزعازع موضع فى لحج[3] ، وكان ابن أبى الغارات فى أول الأمر ينفق جزافاً ، وابن أبى مسعود ممسكا ، فلما ضعفت حال ابن أبى الغارات ونفد ما فى يده ، بذل ابن أبى السعود من المال مالا يخطر فى بال ، وظهر على ابن عمه محمد بن أبى الغارات ، واستولى على عدن ، فانهزم ابن أبى الغارات إلى جهة صهيب[4] . وهذا تلخيص خبرهما، وفيه طول .

---

(١) تعز : قلعة عظيمة من قلاع اليمن بها دار الملك .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٦٥)

(٢) صبر : بفتح أوله وكسر ثانيه ، جبل شامخ عظيم مطل على قلعة تعز به عدة حصون وقرى ، وبه قلعة تسمى صبر (المرجع السابق ، ج ص ٨٣٢) .

(٣) الزعازع : موضع كان لبنى مسعود بن الكرم القارعين لبنى زريع (ابن خلدون : العبر) .

(٤) الصهيب : يقع على طريق الحجاج من عدن ، تالية لحج . وقد سكن الصهيب جماعة من سلالة سبأ . ولذلك يطلق عليهم اسم سبأ صهيب .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٤ ، ١٨٩) .

ودخلت سنة — ٥٠٥ —

لم يتفق فيها ـ ولا فيما بعدها إلى آخر سنة ٥٠٩ ـ ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٥١٠ —

فيها جمع القاضى أحمد بن عمران بن مفضل قبائل همدان إلى مصب الدروع ، وخلع مَعن بن حاتم بن الغشم عن الإمارة كما قدمنا ، وجعلها إلى بنى القبيب هشام وحماس ، فتقدما إلى صنعاء ، وحاصرا معَن بن حاتم فى الدرب ، حتى خرج على يد القاضى أحمد بن عمران المقدم ذكره إلى حصن براش . واستقر الأمر للأسَنّ من ولدى القبيب . وهو هشام . فاستقامت أموره على ما يوافق مراد القبائل إلى أن مات .

وفى هذه السنة قدم رجل من مصر يسمى على بن إبراهيم ، ويعرف بابن نجيب الدولة ، فى عشرين فارساً ، عن أمر العبيدى صاحب مصر[1] ، معيناً للسيدة بنت أحمد على أمورها . فأقام فى ذى جِبلة ، وكان نبيهاً لبيباً . فاستخدم من همدان وغيرهم أربعمائة فارس ، وغزا الأطراف ، وقويت شوكته . وكان أمر السيدة قد ضعف قبل ذلك لضعف القائم بأمورها ، وتغلب أكبر الجند من خولان على الرعية ، فطردهم ابن نجيب الدولة عن ذى جِبلة ، وعاقب من امتنع منهم أشد العقاب .

ثم أمرته السيدة أن يسكن الجنَد لتوسطها ، فلم يزل كذلك إلى سنة ٥١٨ . ثم بدا له الغزو إلى زبيد لحرب منصور بن فاتك بن جياش ، فوقع بينهما حرب شديد ؛ كانت الدائرة فيه على ابن نجيب الدولة ، وقتل من أصحابه مائة رجل ، وأصيب منهم ثلثمائة ، وأسر خمسمائة ، ورمى فرسه بسهم فى نحره فصرعه ، وذب عنه أصحابه حتى أردفه بعضهم ، وفر فرسه إلى الجنَد ، فوصل إليها ثانى الوقعة . فلم يشك الناس أنه قتل .

(١) كان الخليفة الفاطمى فى مصر عندئذ هو الآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٤ هـ) .

ووصل الخبر بقتله إلى ذى جبلة ، فوصل الجَنَد بعد أربعة أيام سالماً . ثم ساءت سيرته، وخالف أوامر السيدة بنت أحمد ، واستخف بها ، ونسبها إلى التفنيد وكبر العقل ، وأنها قد صارت إلى حالة تستحق فيها الحجر عن التصرف فى الأمر . فجهزت إليه جيشاً وأغرت به ملوك اليمن ، وكانوا تحت طاعتها لايخالفها أحد منهم ، فساروا إليه وحصروه فى الجَنَد ، وكانت يومئذ مُسوَّرة ، فقاتلهم أصحابه على بابها أشد القتال . ولما ضاق به الحال ، وعلمت السيدة أنه مأخوذ ، بعثت إلى وجوه القبائل المحاصرين له بعشره آلاف درهم مصرية ، وأمرت من يشيع فى الناس أن تلك الدراهم من ابن نجيب الدولة ، فطلب العسكر من قوادهم النفقة فلم يعطوهم شيئاً ، فارتحلوا وتفرقوا . وبلغ ابن نجيب الدولة فعل السيدة ، وقيل له هذا من حسن تدبير التى استخففت بها ، فسار إليها واعتذر من فعله .

ثم قدم رجل من الديار المصرية عرف بالأمير الكذّاب ، فلم يلتفت إليه ابن نجيب الدولة ، وربما أغلظ عليه فى القول. وأراد يوما انتقاصه فى محفل عام ، فقال له « أنت والى الشرطة فى القاهرة » فقال : « بل أنا أنظم فيها أخبار عشرة آلاف » .

ولما عرف أعداء ابن نجيب الدولة بما وقع بينهما ، اجتمعوا إلى الرجل المذكور ، وأكثروا من بِرّه ، وحملوا إليه الهدايا والتحف ، وذكروا له مساوىء ابن نجيب الدولة ، فضمن لهم بهلاكه ، وأمرهم أن يكتبوا معه إلى صاحب مصر - وهو الآمر بأحكام الله من بنى العبيدى - ويذكروا له أن ابن نجيب الدولة راودهم على البيعة لنفسه . ثم أمرهم أيضا أن يضربوا سكة نزارية[1] ليوصلها إلى خليفته العبيْدى ، مكراً بابن نجيب

---

(١) حدث عند وفاة الخليفة المستنصر الفاطمى سنة ٤٨٧ هـ أن بويع بالخلافة ابنه المستعلى بالله دون أخيه أبى المنصور نزار الذى ولاه أبوه عهده ، وتم ذلك بجهود الوزير الأفضل . ولما رأى نزار أن الخلافة أفلتت منه ، سار الى الاسكندرية حيث بايعه واليها وكثير من أهلها بالخلافة ، ولكن الأفضل حاربه ، وانتهى الأمر بقتل نزار . وكان الحسن الصباح فى مصر حين توفى المستنصر ، وأخذت البيعة للمستعلى ، فتبنى الحسن الدعوة لنزار ، واشتدت هذه الدعوة وبخاصة فى فارس بعد مقتل نزار سنة ٤٨٨ هـ ، وبذلك انقسمت الدعوة الفاطمية الى قسمين : المستعلية والنزارية (حسن ابراهيم حسن : الفاطميون ، ص ١٧٢) .

الدولة ، ففعلوا . ثم سار ، فلما وصل بكتابهم والسكة إلى العبيدى غضب ، وأرسل رجلا يعرف بابن الخياط فى مائة فارس لقبض ابن نجيب الدولة ، وإيصاله إليه . فقدم ابن الخياط على السيدة بنت أحمد ، وطلب منها تسليم ابن نجيب الدولة إليه ، فامتنعت أشد الامتناع ، وقالت له « إنما أنت رسول حامل لكتاب ، فخذ جوابه وانصرف ، أو قم حتى نكتب إلى الخليفة ، ويعود علينا جوابه بما يراه » . فخوفها أرباب دولتها ، وعظموا عندها سوء السمعة بالنزارية ، ولم يزالوا بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة بأربعين يمينا من ابن الخياط ، وكتبت فى شأنه إلى العبيدى ، وطلبت منه العفو عنه ، وأن يقبل شفاعتها فيه . وبعثت إليه بهدية عظيمة مع كاتبها محمد بن الأزدى ، ثم سلمت ابن نجيب الدولة إلى ابن الخياط . فلما انفصل عن ذى جِبْلَة بمقدار مرحلة نكث العهود ، وجَعَل فى رحل ابن نجيب الدولة لبنة من حديد وزنها مائة رطل ، وشتمه وأهانه وبادر به إلى عدن ، ثم أركبه فى سفينة سوا كنية إلى مصر .

وأما ابن الأزدى فإنه لما وصل إلى باب المندب أغروا به ربان المركب ، فغرقه وكان آخر العهد به . وبلغ خبرهما إلى السيدة ، فحزنت حزنا شديدا ، وندمت حيث لا ينفعها الندم . ولم يمض مدة يسيرة حتى ورد الخبر إلى اليمن بقتل الآمر العبيدى ، لمّا أساء وظلم .

ودخلت سنة — ٥١١ —

فيها وصلت إلى اليمن دعوة الإمام أبى طالب الأخير يحيى بن المؤيد بالله أحمد ابن الحسين الهارونى ، من جهة الديلم[1] ؛ فتلقاها الأمير المحسن بن أحمد بن المختار ابن الناصر بن الهادى إلى الحق — عليه السلام — بالقبول التام ، وقام بها أتم قيام ؛ ودعا الناس إليها ، فأجابه أهل جهاتٍ كثيرة — كنجران وصعدة والجوفين[2]

---

(١) الديلم : من قرى اصبهان ، بناحية جرجان
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٥٨٠)
(٢) موضع قرب نجران من بلاد همدان
(الهمدانى ، حسن سليمان الصليحيون ص ٢٣٧)

والظاهر[1] ومصانع حمير[2] . وملك حصن ثلا وغيره ، وهو الذى قتل عامر بن سليمان الزواحى قاتل حمزة بن أبى هاشم أيام الصليحى كما تقدم . ولم يزل المحسن بن أحمد أميراً إلى أن قتله الحدادون فى صعدة ، وقتلوا ولده وجماعة من أصحابه فى منزله ، وأحرقوا جسده ، بسبب أنه قتل رجلا من الباطنية كان ضيفا لهم ، فقام بثأره جماعة ، منهم الشيخ العارف محمد بن عليان البحترى ، لأنها خرجت ابنته إلى خَوْلان وعضدها محمد بن سليمان، وأمدهم الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليمانى صاحب تهامة الشامية بعشرة آلاف دينار ، فأجمعت القبائل وحاصروا صعدة ، حتى طلب أهلها الأمان ، فأمنوهم ثمانية أيام على أن يخرجوا منها أموالهم . ولما انقضت الثمانية الأيام دخلت القبائل صَعْدة ، فانتهبوا ما بقى فيها ، ثم أخربوها وبالغوا فى خراب درب الشعر الذى قتل فيه المحسن ابن أحمد ، حتى لعب الشيخ محمد بن عليان بفرسه فى ساحته . وكان حلف يمينا لابد له من ذلك ، فبرت يمينه . وكان قد وعد القبائل بتسليم مال إليهم بعد أن قضى الوطر من صعدة ، فلم يبق فى يده مما أمده به الشريف غانم إلا اليسير ، فاحتال على القبائل بأن جعل عشرة كيزان مملوءة شقفا على قدر الدنانير ، وجعل فى رأس كل كوز منها شيئا من الدنانير إيهاماً لهم أن المال باق ، فلما كمل له غرضه من صَعْدة خرج منها مختفيا ، وتفرق القبائل ، وبقيت صعدة خاربة مدة ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٥١٢ —

ولم يتفق فى سنة ٥١٢ — ولا فيما بعدها إلى سنة ٥١٤ — ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٥١٥ —

فيها قُتل السلطان أبو وايل أسعد بن عيسى الوايلى الكُلاعى ، صاحب مخلاف

(١) ذكر الهمدانى أن جبل الظاهر هو المعروف بجبل المضرب من ملحان فى سراة المصانع (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨ ، ٧٩)

(٢) مصانع حمير هى سراة المصانع من جبل السراة (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨) .

وُحاظة[1] ، وحصنه براش . وكان هذا السلطان وأبوه وأهل بيته سالمين من الابتداع ، متمسكين بمذهب أهل السنةَ ومجالسة الفقهاء والعلماء .

قال عمارة فى وصفه : هو صاحب الكرم العريض ، والثناء المستفيض .

ولما قتل ولى بعده ابنه عبد الله بن أسعد فى جهات حضرموت[2] والله أعلم .

ودخلت سنة — ٥١٦ —

وما بعدها إلى سنه — ٥١٨ — فلم يتفق فيها مالا يستغنى عن ذكره .

ودخلت سنة — ٥١٩ —

فيها قَتل منصور بن فاتك بن جياش — صاحب زبيد — الوزير أنيس الفاتكى . وكان أنيس جبارا غشوما شجاعا مهيبا ، له مع العرب عدة وقائع ، فتكبر وتجبر ، وركب بالمظلة ، وضرب السكة[3] باسمه ، وهم أن يفتك بابن مولاه منصور بن فاتك ، فظهر سره لمنصور وخواصه ، فتمالوا على قتله بحيلة دبروها ، وهى أن منصورا فعل وليمةَ ودعا إليها وجوه دولته ، فلما دخل عليه أنيس أمر بقتله ، واستولى على أمواله وجواريه . وكانت فيهن جارية تسمى عَلَمْ فاصطفاها منصور لنفسه ، فولدت له فاتك بن منصور بن فاتك ،

---

(١) وحاظة بضم الواو ، وقد يقال أحاظة ، اسم لقبيلة من حمير ينسب اليها مخلاف باليمن .

(ياقوت : معجم البلدان ، البجاوى مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١٤٢٧)

(٢) حضرموت ، والنسبة اليها حضرمى ، ناحية واسعة فى شرقى عدن قرب البحر ، لها مدينتان احداهما تريم والأخرى شبام . وقال ابن الفقيه ان حضرموت مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء اثنان وسبعون فرسخا .

(ياقوت : معجم البلدان)

(٣) السكة ، أى العملة والنقود ، والأصل فى معنى السكة الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة يضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج عليها تلك النقوش ظاهرة مستقيمة . (ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ٢١٧)

وهو الذى ولى الأمر بعد أبيه ، كما سيأتى . وكانت عَلَمْ عاقلة لبيبة ، كاملة أديبة ، فجعل إليها منصور بن فاتك تدبير ملكه. وكان لا يقطع أمراً دونها ، وأحسنت إلى فقهاء وقتها وأرباب العلم والعبادة ، وهى التى أسقطت عن على بن مهدى الرعينى[1] - الآتى ذكره - ومن إليه ، خراج أرضهم ، لما بلغها اجتهاده فى العبادة . وكانت تحج بالناس براً وبحراً .

ولما قتل الوزير أنيس ، استوزر منصور بن فاتك بعده مَنّ الله الفاتكى . وكان من أعيان الوزراء[2] ، وله الوقعات المشهورة مع العرب ، منها وقعة ابن نجيب الدولة المقدم ذكره ، ومنها وقعه أسعد بن أبى الفتوح ، قتل فيها من العرب فوق ألف نفر . وهو الذى تصدق على فقهاء الشافعية والحنفية بما أغنام من الأراضى والرباع والمرافق . وكان كريما يثيب على المدح بالمال الجزيل ، فمدحه الشعراء بعدّة قصائد ، حتى قيل إنه وجد مامُدح به من الشعر فى عشرة أجزاء كبار . وهو الذى بنى سور زبيد بعد الحسين بن سلامة المقدم ذكره . ولم يزل على تلك الحالة مدة ، ثم تغيرت نيته وساءت سيرته وخبثت سريرته ، حتى قيل إنه الذى قتل مولاه منصور بن فاتك بالسم ، وأقام بعده ولده فاتك بن منصور ، وهو يومئذ طفل صغير ليس له مشاركة فى أمر ولا نهى ، فاستبد الوزير المذكور بالأمر ، وطالت مدته ، وامتدت عيناه إلى نساء مواليه وغيرهم ، فعبث بهن .

قال عمارة : [3] مات فاتك بن جياش وابنه منصور بن فاتك وغيرهما من آل نجاح

---

(١) الرعينى : نسبة الى ذى رعين ، وهو الأكبر من ملوك حمير .

(٢) وصف عمارة اليمنى الوزير من الله الفاتكى بأنه كان كريما باهرا شجاعا مهابا (تاريخ اليمن ، ص ١٠٢ - ١٠٣)

(٣) يقصد عمارة اليمنى وهو أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على بن زيدان ابن أحمد الحكمى المذحجى اليمنى. قال عنه ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٠٩) انه « كان شافعى المذهب ، شديد التعصب للسنة ، أديبا ، ماهرا ، محدثا ممتعا » . ولكن تمسكه بمذهب أهل السنة لم يحل دون ولائه الشديد للفاطميين فى مصر ، لما صادفه منهم من احسان وكرم وعطف . وقد اتهم بالمشاركة فى المؤامرة الكبرى التى دبرها الشيعة للاطاحة بصلاح الدين الأيوبى واحياء الخلافة الفاطمية ، فاعدم سنة ٥٦٩ هـ . وكتابه الذى يشير اليه المؤلف هو « تاريخ اليمن » ، حققه الدكتور حسن سليمان محمود .

عن ألف سرية ، فلم يسلم منهن من الوزير المذكور غير عشر فقط . ولما راود بنت معارك — وكانت موصوفة بالجمال ، معروفة بسمو النفس — امتنعت ، وشكت إلى بعض أقاربها ، فلم يقدر على منعها منه . ولم تجد بداً من موافقته بعد أن بذلت له أربعين بكراً من جواريها فلم يجبها . فلما واقعها مسحت مذاكيره بمنديل مسموم ، فمات لوقته وغُيِّب قبره .

وقامت عَلَمْ أم فاتك بن منصور بتدبير أمور ولدها ، واستوزرت زريق الفاتكي[1] وكان شجاعا كريما ، فلم يلبث أن استعفى من الوزارة فجعلت مكانه مفلحا الفاتكي[2] ، وكان عفيفاً ، فلم يزل وزيراً حتى نشأ فتية من عبيد عَلَمْ ، وهم صواب وريحان وإقبال والقائد سرور وغيرهم ؛ فكانوا أعيان الدولة والذين يتكلمون على لسان السلطان؛ حتى صار الوزير مفلح معهم كالأجنبي . وحصلت الوحشة بينهم وبينه ، فدبر القائد سرور على إخراج الوزير مفلح من زبيد إلى عدن لمحاربة من فيها من آل زريع[3] . فلما فصل عن زبيد ثار فيها محمد بن فاتك ؛ فرجع مفلح عن طريقه ؛ ثم دبر سرور على خروجه تارة أخرى إلى المهجم . فلما توسط الطريق رجع عنه الناس إلى زبيد ولم يبق معه إلا خاصته ، فتوجه إلى بُرَع[4] وملك حصن الكرش[5] ؛ وجعل يغير على أطراف زبيد ، والعبيد يقاتلونه .

---

(١) قال عمارة اليمنى عن زريق الفاتكى « لم يكن له نفاذ فى سياسة العسكر ولا خبرة فى اقامة نواميس السلطنة ، فلم يلبث فى الوزارة مدة حتى استقال منها » . (تاريخ اليمن ، ص ١٠٧)

(٢) كان يكنى أبا منصور ، ومنصور ولد له . وكان مفلح الفاتكى « رشيدا من الأعيان أهل الخبرة والفقه والأدب والصباحة والشجاعة والسماحة الكامنة . وكان الناس يقولون : لو كان له نسب من قريش كملت له شروط الخلافة » . أما عن جنسه فكان من الحبشة . (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٠٧)

(٣) « لمحاربة سبأ بن أبى السعود وعلى بن أبى الغارات الزريعيين » .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١١٣) .

(٤) برع ، بضم أوله وفتح ثانيه ، جبل بناحية زبيد باليمن .
(ياقوت معجم البلدان) .

(٥) الكرش قلعة من نواحى زبيد باليمن .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ١١٥٨)

ثم أنه انتقل إلى عرب المَهْجَم ، وهم بنو مشمل وبنو عمران ، فأسكنوه حصنا لهم يقال له ديّلن بالقرب من المَهْجم . واستعان بالشريف غانم السليمانى صاحب مخلاف ابن طريف ، وشرط له إسقاط الإتاوة التى كانت عليه لصاحب زبيد ، فأجابه ، وساروا جميعا إلى زبيد ، فلقاهم القائد سرور إلى المهجم فهزمهم ، واستقر فى المهجم . ورجع مفلح إلى حصن الكرش فمات فيه ، وقام بعده ولده منصور بن مفلح ، فحارب القائد سرور حتى طال عليه الأمر ، فطلب الأمان من سرور فأمنه ، ونقله صحبته إلى زبيد ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٥٢٠ —

ولم يتفق فى سنة ٥٢٠هـ — ولا فيما بعدها إلى سنة ٥٢٣ — ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٥٢٤ —

فيها انقطعت الطريق من اليمن إلى البصرة والكوفة عن مرور التجارة والقوافل الكبار . وكانوا يسافرون فى كل عام مرتين على طريق اليمامة والحَسا . وسبب انقطاعها ضعف الدولة العباسية فى العراق ، وظهور القرامطة الفساق. ولم يسلكها بعد ذلك إلا أهل الجهات النجدية برفاقة من ساكنى تلك الأطراف . وكانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر ثم البديع[1] ثم إلى الحَسا فى اثنى عشر يوما .

وأما طريق الرمل من الجوف إلى البصرة فانقطعت بالمرة ، وقد يسلكها نادراً جماعة من البدو على الإبل المضمرة ، يجعلون على أيديها وأرجلها الأدم[2] ، لكثرة الحرشات والعقارب الناهشات . وهى طريق قريبة يقطعونها فى سبعة أيام إلى البصرة ،

(١) البديع : واد فى منطقة صنعاء ، من خولان العالية .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٧٠)
(٢) الأدم : جمع اديم ، والأديم الجلد أحمره او مدبوغه .
(القاموس المحيط) .

وكانت عامرة مسكونة أيام التتابعة[1] فمن بعدهم ، إلى أن قيل إن داود بن المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام أخربها وطم آبارها ، مع عَوده من غَزَاة غزَاها إلى البصرة ، خوفا من لحوق أهلها . وقيل إن الريح عفت آثارها وصارت كثبا من الرمل ، والله أعلم .

وأما الطريق من اليمن إلى حضرموت فسلوكه من ثلاث جهات ، أحدها طريق شبوة[2] يقطعها المارة فى ثمانية أيام من بيحان[3] إلى حضرموت ، والثانية يقطعونها كذلك فى ثمانية أيام إلى مأرب[4] ، غير أنهم يحتاجون فيها إلى حمل الماء على المطايا لانقطاعه فى أكثرها ، وهى رمال ما بين الجوف وحضرموت ، وسكانها البدو من المغضّة والغربان[5] . ولا يسلكها إلا المخفّون ، وأما أهل الأثقال فيخافون فيها من عدوان أهلها عليهم ، وإنما يسلكون طريق الساحل من عدن . ومنهم من يخرج من رداع إلى بنى أرض ثم إلى بلاد العوالقة[6] ثم إلى بلاد عبد الواحد ثم

---

(١) التتابعة ، جمع تبع ، وهو لقب أعاظم ملوك حمير فى العصور القديمة ، وسمى الواحد منهم تبعا لكثرة أتباعه ، وقيل سموا تتابعة لأن الآخر يتبع الأول منهم فى الملك . (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ١٢) .

(٢) شبوة ، تقع على ملتقى الطرق التى تربط بين صنعاء وحضرموت وهى منطقة قديمة ، كانت قديما عاصمة حضرموت .
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٤٧)

(٣) بيحان : مخلاف باليمن معروف (ياقوت : معجم البلدان) اعتبرها الهمدانى من جزر اليمن الشرقى التى هى بمثابة تهامة فى اليمن الغربى .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠)

(٤) مأرب هى بلاد الأزد باليمن ، وقيل انه اسم قصر كان لهم وأصبح اسما لكل ملك يلى سبا ، مثلما كان تبع اسما لملوك حمير فى اليمن وشحر وحضرموت (ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) أى يريد أن يصفهم بالذلة والمنقصة .

(٦) العوالقة هم أهل العوالق ، وهى الجهات الغربية من بلاد اليمن وقسمها الاستعمار حديثا الى سلطنة مركزها أنصاب ومشيخة مركزها رنشم .
(أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ص ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١)

هَيْنَن[1] ، ثم إلى حضرموت ، وهى المسلوكة الآن وتُقطع مسافتها من رداع إلى حضرموت فى عشرين يوما تقريبا ، والله أعلم .

ولم يتفق فى سنة ٥٢٥ — ولا فى التى تليها — ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٥٢٧ —

فيها مات حماس بن القبيب الهمدانى صاحب صنعاء ، وكان ولى الأمر بعد وفاة أخيه هشام بن القبيب المقدم ذكره ، فقويت شوكته ، وعظمت رياسته ، وغزا بلاد جَنْب[2] فقتل منهم مقتلة عظيمة فى هران . ولما حضرته الوفاة جمع إخوته ، وهم أبو الغارات وأبو الفتوح وعامر ومحمد ، وحثهم على الألفة وجمع الكلمة ، وأن يجعلوا أميرهم أبا الغارات ويحلفوا له على الطاعة ، فأبوا ذلك ، ومالوا إلى تقديم محمد ، وهو أصغرهم ، فعند ذلك بكى حماس بكاء شديدا ، خوفا عليهم من تفرق الكلمة بعده ، فكان الأمر كما توسمه فيهم ، فإنهم تفرقوا واختلفوا ، حتى عزلهم أهل صنعاء .

ودخلت سنة — ٥٢٨ —

وما بعدها إلى سنة — ٥٣٠ — فلم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة - ٥٣١ —

فيها قام على بن زيد بن إبراهيم — من ذريّة الهادى عليه السلام — بدرب يرسم[3] من أعمال صعدة ، وسار إليه الإمام أحمد بن سليمان قبل دعوته من الجوف لمناصرته ،

---

(١) هينن : قرية كبيرة بأرض حضرموت أسفلها سوق وأعلاها حصن .
(الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ٨٥)

(٢) جنب ، بالفتح ثم السكون ، مخلاف باليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) يرسم أو يرسوم ، عشيرة ورد اسمها فى عدد من الكتابات ، غير أن معرفتنا عنها لا تزال قليلة .
(جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ص ٢٠٨ ، ٢٧٢)

ومعه أخواه يحيى وعبد الله، والقاضي نشوان بن سعيد الحميرى . وكان من الأسباب الداعية لعلى بن زيد إلى القيام-على ما هو عليه من قلة العلم وعدم إحراز شروط الإمامة- أن القاضى نشوان أنشأ قصيدة إلى الإمام أحمد بن سليمان ، فيها تحريض له على القيام بأمر الناس ، فأنشدها بين يديه رجل يسمى يحيى بن مفضل العمرانى ، ثم تقدم بها إلى صَعْدة فأنشدها الأشراف أولاد الهادى عليهم السلام ، وفيهم الشريف على بن زيد المذكور ، فحمله ذلك على الدعوة ، فدخل صَعْدة ، ولقاه الإمام أحمد بن سليمان كما ذكرنا، ثم أراد التوجه إلى شطب ، فأشار عليه الإمام أحمد بن سليمان بالتقدم إلى صنعاء ، فأبى ذلك .

ولما وصل شطب أقام فى جبل بنى حجاج بمن معه ، فاستثقله أهل تلك الجهة لكثرة النفقة ، وتمالئوا على الغدر به وبأصحابه . وكان أهل الجهة يحملون إليهم الطعام كل يوم ، فاجتمع منهم فى بعض الأيام قدر خمسمائة نفر وحملوا الطعام على عادتهم ، وقد ستروا أسلحتهم تحت ثيابهم . ثم وثبوا على أصحاب على بن زيد فقتلوا منهم قتلا ذريعا ، وانهزم على بن زيد ، فتبعوه وقتلوه ، وقبره فى شطب مشهور ، رحمه الله تعالى ؛ ورثاه الإمام أحمد بن سليمان بأبيات طويلة .

ودخلت سنة — ٥٣٢ —

فيها ماتت الحرة السيدة بنت أحمد بن محمد الصليحى فى مدينتها ذى جِبْلَة ؛ وعمرها ثمان وثمانون سنة ، ودفنت فى الجامع المشهور الذى من بنائها . ومن بنائها أيضا الجانب الشرقى من جامع صنعاء . وهى آخر ملوك آل الصليحى فى اليمن الأسفل . وانتقل ما كان تحت يدها من الأموال والذخائر والحصون إلى منصور بن مفضل بن أبى بركات ابن الوليد الحميرى . فلما كبر وضعف عن كثير من الحركات ، ومال إلى السكون والدعة ، باع جميع ذلك إلى الداعى محمد بن سَبَأ بن أبى السعود الآتى ذكره .

وفى هذه السنة مات الداعى سبأ بن أبى السعود صاحب عدن ؛ ودفن فى سفح

التَمْكُر ، وقام بالأمر بعده ولده على بن سبأ المعروف بالأغر ، فلم يلبث أن مات فى التاريخ الآتى ذكره . وقام بعده أخوه محمد بن سَبَأ ، وسيأتى تمام خبره فى تاريخه .

وفى هذه السنة قام الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن على ابن الناصر أحمد بن الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام ، فانتظم أمره فى بلاد صَعْدة ونجران والجوف والظاهر ، واشتهر بحسن السيرة فى جميع أقطار اليمن . وهو الذى بنى حصن تَلَمُّص[1] ، وقد كان نزل إلى الجوف بعد قتل على بن زيد ، ثم سار إلى بَرَط فتابعه قوم من دهمه ، وانتقل إلى أملح[2] ثم سار إلى نجران ، فاستبشر بقدومه الشيخ عون بن رعبه ، وبايعه أهل نجران . ثم رجع إلى أملح ودخل بَرَط ، فبات بالمراشى[3] ؛ ثم نهض إلى خيوان ومنه إلى مَسْلت[4] وسار إلى أخيه عبد الله بن سليمان ، وكان فى الشقائق[5] من وادعه ، فبايعه أهل تلك الجهة ثم سار إلى خولان صَعْدة ، وخرج إلى الخانق أطرف محل فى يام[6] مما يلى صَعْدة . ولم يكن معه فى تلك الحال إلاّ عشرة أنفار ، فلقاه أهل تلك الجهة وهم يظنون أن قصده محاربتهم . فلما رأوه كذلك أرسلوا ما فى أيديهم من النبل والحجارة ، ووقاه الله شرهم حتى تلاحق به أصحابه . ثم رجع إلى نجران ، فاستقر

---

(١) التلمص ، بفتحتين وتشديد الميم وضمها ، حصن مشهور ، بناحية صعدة من أرض اليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) أملح : من بلد شاكر ، أحد أودية وائلة بنجران .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣)

(٣) المراشى : موضع فى الجوف ، من بلد همدان
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠ ، ١١٠)

(٤) مسلت : قرية فى وادى زبيد
(أنباء الزمن ص ٤٨ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١١٨)

(٥) الشائق : موضع (ياقوت : معجم البلدان)
والشقيقة أرض تشق بين رملين (الهمدانى :صفة جزيرة العربص٢٢٣)

(٦) يام : اسم قبيلة فى اليمن ، أضيف اليها مخلاف باليمن عن يمين صنعاء . (ياقوت : معجم البلدان)

فيه أياما . ولما سمع بدعوته الأشراف أهل صَعْدة ، طلبوا من أهلها مبايعتهم ، واستقلوا بالأمر فيها .

ودخلت سنة — ٥٣٣ —

فيها اجتمعت قبائل همدان ، وطلبوا من السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن مفضل اليامى القيام بأمرهم ، فدخل صنعاء فى سبعمائة فارس من همدان . وسيأتى تمام أخباره فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٥٣٤ —

فيها مات على الأغر بن سبأ بن أبى السعود صاحب عدن فى الدملوه ، وترك أربعة أولاد . وقد كان جعل كفالتهم إلى أنيس الأغر ، وهو أستاذ حبشى . وعهد بالأمر إلى ولده حاتم بن على . وكانت بينه وبين الشيخ بلال بن جرير ــ نائبه على عدن ــ وحشة ؛ فلما بلغ الشيخ بلال موت الأغر ، كتب إلى أخيه محمد بن سبأ — وكان مستجيراً بمنصور ابن أبى البركات من أخيه الأغر — وطلب منه المبادرة بالوصول إلى عدن ، ووعده الإعانة على أمره بنفسه وماله ، فخرج محمد بن سبأ إلى عدن ، وتلقاه الشيخ بلال بأحسن تلقٍّ ، وسار بين يديه ماشياً حتى استقر فى عدن ، ثم أخذ له العهود على الجُنْد ، وزوجه ابنته ، وصرف فى زواجها أموالا جليلة . وبعد أيام أشار عليه بالتقدم إلى الدملوه لحصار الأستاذ أنيس الأغر ، ففعل واستولى على البلاد ، وأطاعه من كان مطيعاً لأبيه من أهل السهل والجبل ، بعناية الشيخ بلال .

وفى خلال ذلك قدم رجل يسمى أحمد بن على بن الزبير برسالة من العبيدى صاحب مصر[1] إلى على بن سبأ المقدم ذكره ، بتقليده الدعوة ، فوجده قد مات ، فقلد الدعوة

(١) كان الخليفة الفاطمى بمصر عندئذ هو الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤ ــ ٥٤٤ هـ) .

أخاه محمد بن سبأ المذكور آنفا، ونعته بالمعظم، وكان محمد بن سبا جواداً كريماً عادلا، وفى أيامه مات الشيخ بلال بن جرير .

ودخلت سنة — ٥٣٥ —

فيها دخل الإمام أحمد بن سليمان صعدة، وقد كان الأشراف قبل ذلك أحجموا عن موالاته، ودعوا الناس إلى طاعتهم كما أشرنا إليه . فلما تردد فى بلاد نجران، ورأى أهل صَعْدة حسن سيرته فى نجران وغيرها، اطمأنوا إليه، ودخلوا فى طاعته . واستقر فى صعدة مدة ثم تحول إلى الجَبْجَب[١] ، وفيه أقام الحد الشرعى على رجل شرب الخمر بعد أن استجار بالقبائل، فوصلوا به إلى الإمام، وطلبوا منه العفو عنه، فقال « الحق لله، ولو كان لنا عفونا عنه » فغضب لذلك جماعة من الربيعة[٢]، وهموا بالخلاف عليه، فسار الإمام إلى الجوف بمن معه من قبائل بلاد صَعْدة، فأطاعه أهل الجوف وشُوَابه[٣] وبلاد أرحب . ثم رجع إلى بلاد بنى جماعة من نواحى صَعْدة، فأصلح بينهم فى فتن وقتول كانت بينهم .

وخرج بنو ربيعة لحرب الإمام، فهزمهم، وأخرب كثيراً من ديارهم . ثم دخل نجران ووصل إليه أهل يَامْ من السهل والجبل، فحلفوا له على السمع والطاعة، وتسليم مال الله تعالى . ووصل إليه أيضاً أهل وادعة ودُهمة[٤] وقبائل نهد[٥] . ثم رجع الإمام إلى صَعْدة فى جمع كبير، ثم نهض إلى الجَبْجَب، فأقام فيه أياماً .

---

(١) الجبجب : من مخاليف ذمار من غربيها ويسكنها بعض بطون حمير (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٤)

(٢) يقصد بنى ربيعة .

(٣) شوابة : بضم أوله ، بليدة على طرف وادى ضروان من الجنوب ، بينها وبين صنعاء أربعة أميال . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) دهمة : بضم أوله ، بلد من أحد وديان الجوف . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٢)

(٥) نهد : هى من اليمن ، ولد نهد بن زيد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ١٠٥)

ودخلت سنة — ٥٣٦ —

فيها اشتهر على بن مهدى الرعينى الحميرى — الثائر فى محل من أسفل وادى زبيد يعرف بالعنبرة — ، بالعبادة والصلاح والزهد والتقشف والمكاشفة والإخبار بالمغيبات المستقبلة . وكان رقيق القلب ، سريع الدمعة ، كثير الوعظ والتحذير عن صحبة الملوك وأتباعهم ، مؤثرا للعزلة . فلبث على ذلك مدة من الزمان ، وبلغ خبره إلى عَلَمْ النجاحية أم فاتك بن منصور ، فأسقطت عنه وعن أقاربه ومن يلوذ بهم خراج أرضهم . فلم تمض مدة حتى تمولوا وركبوا الخيل ، ثم قصده قوم من الجبال فبايعوه بالقضيب[1] من وادى زبيد،وظهر أمره ، فرقى إلى الجبال ، واستقر في حصن من حصون وَصاب[2] يسمى الشَّرَف، واجتمع إليه عالم كثير ، يقال إن عددهم بلغ إلى أربعين ألفا ، فقصد بهم الكدراء . وفيها القائد ابن مرزوق السحرتى من قِبَل بنى نجاح . فوقع بينهم قتال شديد ، انكشف عن هزيمة على بن مهدى إلى الجبال . فأقام فيها مدة ، ثم كتب إلى عَلَمْ النجاحية ، وسألها الذمة له ولمن يلوذ به ، ففعلت على كره من وجوه دولتها وفقهاء بلادها ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

ولما رجع إلى وطنه استمر على قبض غلات أرضه مدة سنين كثيرة ، وليس عليه منها خراج ، وهو مع ذلك متظاهر بالنسك والوعظ والتمويهات على العامة . حتى كان يقول فى وعظه : « أيها الناس أزف الأمر ، ودنا الوقت » . ولم يزل كذلك حتى ماتت عَلَمْ النجاحية ، فقويت شوكته ، وكافح ملوك زبيد من بنى نجاح ومواليهم . حتى استوى

---

(١) قضيب : واد فى أرض تهامة . (ياقوت معجم البلدان) وقال الهمدانى ان قضيب واد بين نجران والجوف .
(صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣ ، ١١٠) .

(٢) وصاب بالفتح ، اسم جبل يحاذى زبيد باليمن ، وفيه عدة بلاد وقرى وحصون (ياقوت : معجم البلدان) .
هذا ويذكر الويسى أن وصاب من صنعاء فى جبال آنس وهى قسمان وصاب العالى ووصاب السافل (اليمن الكبرى ، ص ٥٧) .

على زبيد فى آخر أمره ، بعد وقعات عديدة ، وحروب شديدة . وسيأتى تمام خبره فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة كبر الوفد إلى الإمام أحمد بن سليمان ، وأنفذ كتبه إلى أهل صنعاء يدعوهم إلى الطاعة .

وفيها سار إلى حيدان ، فبلغه أن رجلا يعرف بابن القدمى انتهب قافلة خرجت من نجران ، معها أموال للتجار وصدقات للإمام ، وقتل رجلين وعقر أربعاً من الإبل[1] . فقصده الإمام إلى جهته ، وكان فى حصن منيع . فلما قرب الإمام من الحصن خرج منه ابن القدمى ومن معه ، فدخله الإمام ثم أمر بإخرابه وإحراق أخشابه وأبوابه . وفى خلال ذلك بلغ الإمام أن جماعة من أهل الجوف نزعوا أيديهم عن طاعته ، وقتلوا السلطان منيع بن أرحب ، وكان من أنصح الناس للإمام . ثم إن الإمام أرسل لبنى جماعة وبنى بحر ، فوصلوا إليه بابن القدمى الذى نهب القافلة ، وطلبوا من الإمام العفو عنه ، فعفا عنه لمصلحة رآها . وخاطب أهل القرى المخالفة بالدخول تحت الطاعة فامتنعوا فى حصونهم حتى قصدهم الإمام،وفتح الحرب عليهم ، فأذعنوا له الطاعة وطلبوا الأمان ، فأمنهم الإمام ، ورجع إلى محله الجَبْجَب منصوراً .

ودخلت سنة — ٥٣٧ —

لم يتفق فيها ، ولا فيما بعدها إلى سنة — ٥٤٣ — ما يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٥٤٤ —

فيها اشترى الداعى محمد بن سَبَأ صاحب عدن من السلطان منصور بن مفضل ابن أبى البركات جميع ما كان تحت يده من المدن والحصون ، كالتَّعْكر وإب وجِبْلَة

(١) عقر البعير : اى قطع احدى قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه .

وغيرها ، بمائة ألف دينار ، وسكن منصور بن مفضل بعد ذلك فى حصن تعز . وهو أول من اتخذ ثعبات[1] متنزهاً له ، وكان يقف فيها أياما . ولم يزل كذلك إلى أن توفى ، وترك ولداً يسمى أحمد بن منصور ، فقام مقام أبيه إلى أن وصل إليه ابن مهدى صاحب زبيد فى التاريخ الآتى ذكره ، فابتاع منه تعز وصبر ، وانتقل أحمد ابن منصور إلى الجَنَد ، فلبث فيه إلى أن مات .

ودخلت سنة — ٥٤٥ —

فيها نهض الإمام أحمد بن سليمان من صعدة إلى الجهات اليمانية ، بعد أن وصلت إليه الجموع الكثيرة ، ووصل إليه من أعيان صنعاء محمد بن عليان وغيره . وفى أثناء ذلك كتب إليه أخوه عبد الله بن سليمان من حُوث يذكر له انتشار الفساد فى تلك البلاد ، وارتكاب المحارم ، والتهاون فى فعل العظائم ، وأن الرأى عدم الحركة فى ذلك الوقت . فأجاب عليه الإمام بما أجاب . ثم تقدم إلى عَيَّان ، ومنها إلى وادعة ، ولقاه الشيخ عيسى الوادعى ، فأعانه على كثير من إزالة تلك المنكرات ، وأُريقت كثير من الخمور ، وأُخرب دور جماعة ممن تظاهر بشربها . وسار الإمام إلى الجوف ، فاستقر فى الخارد . وفي خلال ذلك سعى السلطان حاتم بن أحمد اليامى فى قتل محمد بن عليان على يد رجل من يام ، فقتل فى سوق بهمان[2] ، وتقدم حاتم بن أحمد لحرب الإمام ، فحال بينه وبين الوصول إليه أهل البلاد المتوسطة بينهما .

ووصل إلى الإمام كثير من قبائل اليمن يطلبون منه التقدم إلى جهات صنعاء . فسار بأهله حتى استقر فى بيت بوس ، وأقبل إليه بنو شهاب وأهل حَضُور بأجمعهم ؛

(١) ثعبات : موضع بالقرب من تعز ، وقد كتبها الجندى والخزرجى عدب (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٤٣) .

(٢) بهمان : موضع فى وادى الخشب من بلد همدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٢) .

وكثر الوفد إليه من سائر البلاد ، حتى اجتمع لديه بشر كثير ، وجم غفير . وحين سلموا عليه اجترحت كفه لكثرتهم .

وفى أيام إقامته ببيت بوس ، احتاج إلى ورق وصابون ، فأرسل رسوله على جهة الجفنة[1] إلى صنعاء يشترى له ذلك ، فعابه السلطان حاتم بن أحمد ، فاستدعاه وسأله عن الإمام ، وأعطاه كتابا إلى الإمام فيه هذان البيتان :

أبالورق الطلحى تأخذ أرضنا ولم تشتجر تحت العجاج[2] رماح
وتأخذ صنعاء وهى كرسى ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاح

فلما وقف الإمام على ذلك قال « نعم ، لنأخذنها إن شاء الله تعالى » ، ثم نهض من ساعته لمناجزة حاتم ، فوقع بينهما حرب شديد حول صنعاء ، ومال أهل السِّرَار من صنعاء إلى الإمام ، فأثاروا الفتنة على همدان ، ودخلت خيل ورجال من أصحاب الإمام إلى الميدان ، فحيل بينهم وبين أصحابهم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وأبلوا بلاء حسنا ، وأخذوا دور القطيع ، وقربوا من الدرب ، فحصروا من فيه . وكان رجل من أهل صنعاء قد أعطاه الإمام راية ليقاتل بها ، فدنا من الدرب ، وأعطى رجلا منهم الراية فنصبها فى أعلاه ، وأعلنوا بالطاعة وطلبوا الأمان ، فكف أصحاب الإمام عنهم وهو فى بيت بوس . فلما بلغه الخبر لم يسعه إلا الرضى بما فعل أصحابه من تأمين القوم .

ولما عرف حاتم بن أحمد عجزه عن مدافعة الإمام طلب الأمان لنفسه ولأصحابه ، وأنشد عن ذلك ، وكان فصيحا بليغا :

غلبنا بنى حوّاء بأساً ونجدةً[3] ولكننا لم نستطع غَلب الدهر
فلا لوم فيما لا يطاق وإنما يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

---

(١) الجفنة : موضع فى وادى زبيد .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٧١) .
(٢) العجاج : الغبار والدخان .
(٣) كذا فى الأصل ، وفى كتاب اليمن عبر التاريخ(بأسا وشدة»(ص٢٠٩) .

ثم خرج إلى الإمام مع جماعة من أصحاب الإمام من الأشراف ومشايخ مذحج إلى بيت بوس ، فأنشد عند ذلك قول كعب بن زهير :

أنبئت أن رسول الله أوعدني . . . . إلى آخره

ثم دنا من الإمام فسلم عليه ، وطلب منه العفو عنه وعن أصحابه ، فعفا عنهم وطلب منهم البيعة فبايعوه ، وباتوا ليلتهم في بيت بوس .

وسار الإمام في اليوم الثاني إلى صنعاء ، فدخلها دخولا معظماً ، وأقبل الناس إليه من كل جهة ، وخضعت له الرقاب ، وقامت الشعراء بين يديه بالتهاني . واستعمل على قضاء صنعاء القاضي العلامة جعفر بن أحمد بن عبد السلام . وخرج حاتم بن أحمد إلى المنظر[1] فاستقر فيه ، وتفرقت عنه همدان ، ولبث على ذلك الحال مدة من الزمان .

ثم وقع الاختلاف بينه وبين الإمام بسبب أكاليم حملها الناس فيما بينهما ، فالتقيا إلى عرم[2] السد ، وافترقا على غير سَدَاد ، فسار حاتم بن أحمد إلى حصن الظُّفْر[3] ووقف فيه إلى أن تفرقت جموع الأشراف ، ثم زحف على صنعاء بمن معه ، فخرج الإمام لمحاربته إلى شعب تحت بِرَاش يعرف بشعب الجن ، ووقع هنالك طرف قتال .

وفي هذه السنة وقع مطر في جميع اليمن يشبه الدم ، حتى بان أثره في الأرض وفي الثياب ، ولله الحكمة .

---

(١) المنظر : مكان يعد لاستقبال الزائرين ، أو هو المرقبة .

(٢) العرم : الذي يمسك الماء ، وهو كل حاجز بين شيئين

(الحميري : منتخبات في أخبار اليمن ص ٧١)

والسد موضع بين مأزمي مأرب في ميزاب اليمن الشرقي

(الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠)

« ملحوظة المأزم الطريق الضيق بين الجبلين

(٣) الظفر : بضم الظاء وتسديدها وسكون الفاء ، حصن من أعمال صنعاء

(ياقوت : معجم البلدان) .

وكان ينطق بالطاء أيضا فيقال طفر

(الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٤١ ، ٣٩٧) .

فيها كانت بيعة على بن مهدى صاحب وادى زبيد ، وهى البيعة الثانية بعد موت عَلَمْ النجاحية ، على جهاد من فى زبيد من بنى نجاح ومن تابعهم من العرب الأشاعرة[١]. وأمر أصحابه بقتل من خالف مذهبه ، وإن كان من قومه . وهذا أول عقائده الفاسدة . ثم ارتفع إلى محل يقال له الرأس من أعمال وَصَاب ، وانتقل منه إلى حصن الشرف ، وسَمَّى من صعد معه من تهامة المهاجرين ، ومن أتاه من الجبال الأنصار . ثم ساء ظنه بأصحابه ، فاحتجب عنهم ، وجعل على المهاجرين ابن عمه نقيباً ، وعلى الأنصار نقيباً ، وسمى النقيبين شيخى الإسلام . وكان لا يخاطبه غيرهما ، وربما احتجب عنهما أحياناً ، وهما يتصرفان فى الأمور . وما زال يكرر الغارات على زبيد حتى أخرب المحلات المتوسطة فيما بين الجبال وزبيد . وكان يَرَى جهاد الحبشة آل نجاح واجباً ، لِمَاهُم عليه من الفساد ومخالفة رب العباد . لكنه قابل المنكر بالمنكر ، ونهى عنه بما هو أنكر ، وسيأتى تمام خبره واستيلائه على زبيد فى تاريخه .

وفى هذه السنة وصل إلى الإمام أحمد بن سليمان بنو الزواحى أهل كوكبان ، وبذلوا له تسليم الحصن ، وذهبوا فى تسليمه أولادهم . فتوقف عن إجابتهم حتى طلب منه الشريف على بن يحيى وجماعة من أهل صنعاء الأذن لهم بالمسيرة لأخذ كوكبان ، فنهاهم عن ذلك فلم يمتثلوا رأيه ، بل جمعوا من أطاعهم من سنحان وهمدان وبنى شهاب ، وساروا إلى كوكبان فقابلوه من جهة الغرب . ووصل إليهم الشريف يحيى بن الحسين بجمع من أهل مسور ، فخرجت عليهم خيل كوكبان فهزمتهم ، وقُتِلَ منهم عدة ، ورجع الشريف على بن يحيى إلى صنعاء ، وحينئذ أظهر أهل همدان الخلاف على الإمام ، وساروا إلى سلطانهم

(١) الاشاعر : قبيلة من اليمن من ولد الاشعر ، وهو بنت بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الاكبر ، منهم أبو موسى الأشعرى .

(الحميرى : منتخبات ، ص ٥٦) .

حاتم بن أحمد واجتمعوا فى الرحبة ، فخرج إليهم أهل جَنْب[1] أنصار الإمام ، فاقتتلوا ، وكانت الدائرة على همدان ، فانهزموا .

ثم اجتمعت همدان بأسرها على الخلاف ، وقائدهم حاتم بن أحمد . وكان الشريف على بن يحيى قد سار إلى مَذْحِج يستنهضهم لحرب همدان ، فأجابه بعضهم . ولما بلغ خبرهم إلى حاتم بن أحمد قصدهم إلى موضع يسمى رغام[2] ، فاقتتلوا فيه قتالا شديداً ، وانهزم أصحاب على بن يحيى . وقد كان الإمام خرج من صنعاء مغيراً عليه ، فبات فى عمان ، وبلغه خبر الهزيمة فلم يسعه إلا التوجه إلى ذِمار . وخلفه حاتم بن أحمد على صنعاء ، فدخلها ، ولم يغير على أحد من أصحاب الإمام مخافة العاقِبة . ولما وصل الإمام إلى ذمار ، جمع من بلاد جَنْب زهاء ثلثمائة فارس ، وعارضه عبد الله بن يحيى فى تسعمائة فارس ، ممدًّا لحاتم بن أحمد . واجتمع مع حاتم بن أحمد أيضاً من همدان وسنحان خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ، فالتقت الجموع إلى موضع يقال له القُلَيس[3] ، ووقع القتال الشديد الذى ليس عليه من مزيد .

ثم افترق أصحاب الامام إلى ثلاث فرق ، فرقة انقلبت على الامام ، وفرقت انهزمت عنه ، وفرقة قاتلت عن نفسها حتى انفصلت عن معترك القتال . وحمل الامام فى بقية خيله ، فخالط القوم حتى مزقهم ميمنة وميسرة ، واستخرج نفسه من بينهم ، ولحق بأصحابه ، فبات ليلته فى محل يقال له كرش . ولم يقتل من أصحابه ذلك اليوم إلاّ ثلاثة رجال .

---

(١) جنب : بفتح أوله وسكون ثانيه ، مخلاف باليمن
(ياقوت : معجم البلدان)

(٢) الرغام : قصبة بنى وائل ، قرب نجران
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٥٣)

(٣) القليس : اسم الكنيسة التى بناها أبرهة على باب صنعاء ، وأصبح الاسم يطلق على محفد صنعاء .
(ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : الاكليل ، ص ٢٤١)

ثم سار على طريق نقيل سامك من نواحى السر[1] متوجها إلى هجرته عمران[2] الخارد رأس الجوف ، فأقام فيه مدة ، ووصل إليه السلاطين آل الدعام . ثم نهض إلى الجَبْجَب ، فبلغه أن حاتم بن أحمد يريد أن يقصده إلى تلك الجهة ، فخرج الإمام إلى خَوْلان ، وجمع جمعاً كبيراً .

وفى هذه السنة زالت دولة ال سُبُكْتَكين[3] من غزنة وبلادها ، باستيلاء السلطان غياث الدين الغورى ، فسبحان من لا يزول ملكه .

ودخلت سنة — ٥٤٧ —

فيها سار الإمام أحمد بن سليمان بمجموعة من خوْلان حتى وصل وادعة ، فبات فى هجر الهرائم ، وظهرت من أهل وادعة الكراهة له لدخول أصحاب الإمام بلادهم ، فسار إلى حُوْث ، ثم انتقل إلى الجوف ، فاستقر فى هجرته عمران الخارد . ثم سار إلى مسلت ، وتقدم إلى درب يعفر من بلاد حاشد ، ووصل إليه كتاب من الشريف على ابن يحيي يستدعيه للوصول إلى حصن يناع من نواحى حَضُور ، وهو فى تلك الأيام محاصر له ، فسار إليه الإمام يحيي قريبا من الحصن ، فصالح أهله الشريف على بن يحيي ،

---

(١) السر : من مخاليف اليمن ، ومقابله مرسى للبحر .
(ياقوت : معجم البلدان) .
وسامك واد فيه (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٨ ــ ١٠٩)

(٢) عمران : موضع بالجوف (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٧) .

(٣) تعرف باسم الدولة الغزنوية ، مؤسسها سبكتكين ، أحد موالى البتكين ، الذى كان بدوره من الموالى الأتراك عند السامانيين، فحل محل أبيه فى حكم غزنة سنة ٣٥٢هـ. وبعد وفاة ألبتكين وابنه اسحق آلت السلطنة الى سبكتكين الذى قام بحروب توسعية ، واستقل من الناحية العملية عن السامانيين . ويقول ابن الأثير عن آل سبكتكين « وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة ، فتكون مدة ولايتهم مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا ، وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة ، ولا سيما جدهم محمود (يمين الدولة محمود الغزنوى ٣٨٨ ــ ٤٢١ هـ) فان آثاره فى الجهاد وأعماله للآخرة مشهورة » . (الكامل فى التاريخ ، ج ١١ ص ٦٩) .

وأدخلوه الحصن ، فرجع الإمام إلى مُدَع[1] فلبث فيه أياما . ثم هبط إلى مِسْوَر وتوجه منه إلى يَناع ، فأقام فيه مدة ، ثم استعمل عليه الشريف محمد بن عبد الله ، وتقدم إلى ذِمار على طريق خَوْلان ونفذ إلى رُدَاع العرش[2] ، فبعث حاتم بن أحمد بدراهم واسعة لقبائل جَنْب ومَذحِج[3] ، ووصلت إليهم أيضا دراهم من صاحب عَدن ، فقالوا للإمام « قد أخذنا بسببك دراهم كثيرة ، ونُحبُّ أن تُسَوِّغها لنا ، وتترك صَنعاء وعَدن ، وتخرج إلى حيث تريد إما إلى بَيحان أوحضرموْت أو نَجْران أو صَعْدَة أو الجَوْف . » فقال « أما صَعْدة والجوْف فهي إلىَّ ، وأما غيرهما فأخاف أن يحصل لكم فيها مثلما قد حصل لكم فى غيرها فتأخذوه » . ثم غاضبهم ، وترك ذلك الجمع وتوجه إلى عُمْران الخارد على طريق بلاد مُرَاد ومَأرب وصِرْوَاح[4] حتى وصل عُمْران بعد اثنتى عشرة مرحلة . ولما استقر فى هجْرته المذكورة ، مال إلى إقامة الأموال الأطيان[5] ، ولبث على ذلك أياما .

وكان الفساد قد ظهر فى صَعْدة مع اشتغال الإمام فى الجهات اليمانية . ولم يستطع الأشراف بنو الهادى عليه السلام على إزالته ، فوصلوا إلى الامام وطلبوا منه النهوض الى صَعْدَة ، فأجابهم . ولما وصل صَعْدة أمر بإحضار من وجب عليه الحد الشرعى ،

---

(١) مدع : من حصون حمير باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) العرش : شعب أو فرع من ميزاب اليمن الشرقى ، وهو أعظم أودية الشرق فى اليمن ، وهذا الفرع يوجد ناحية رداع . وهذا هو السبب فى أن المؤلف نسب رداع الى العرش . لتمييزها عن غيرها من المواضع التى تحمل اسم رداع أو ذى الرداع (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠ ، ١٠٦) .

(٣) مذحج : قبيلة من اليمن ، سموا مذحجا لأن أباهم مالك بن أدد ولد على أكمة اسمها مذحج فسمى بها . (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٣٨)

(٤) صرواح : حصن باليمن قرب مأرب ، يقال بناه سليمان بن داود عليه السلام (ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) لعل المقصود بهذه العبارة أنه فرض الضرائب والأموال على الأراضى والأطيان ، بدليل ما جاء فى كتاب أنباء الزمن للمؤلف نفسه (ص ٦٩) « وأول من سن الضرائب والقبالات من الأئمة الامام عبد الله بن حمزة » .

فأقامه عليه ، وأمر بإحراق كنيسة اليهود . ثم خرج إلى الَجبْجَب ، فأقام فيه أياما ، ثم ارتحل إلى الظاهر ، ثم الَجوْف فلبث فيه مدة ، ثم عاد إلى مَسْلت . ووقع الخوض فى الصلح بينه وبين حاتم بن أحمد ، فالتقيا إلى بيت الجالد[1] ، وتقرر الصلح على منع الخطبة فى صنعاء للباطنية ، وإظهار مذهب الهادى عليه السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولما رجع حاتم بن أحمد إلى صنعاء فعل كثيرا مما عقد عليه الصلح ، وعاد الإمام إلى الَجوْف ، ثم سار منه إلى الَجبْجَب .

ودخلت سنة — ٥٤٨ —

ولم يتفق فيها ما ينبغى إثباته .

ودخلت سنة — ٥٤٩ —

فيها كانت قضية أهل المَغْلَق ، وهى قرية من قرى تُهامة ما بين الكَدْراء والمَهْجَم ، وهى أن الله تعالى أرسل عليهم سحابة سوداء مُظلمة ، أتتهم من جهة اليمن ، فيها رجف شديد ، وبرق ونار ملتهب . فلما رأوا ذلك زالت عقولهم ، والتجأ بعضهم إلى المساجد ؛ فغشيهم الأمر ، واحتملت الريح أكثر القرية من أصلها ، بمن فيها من الناس والدواب ، حتى ألقتهم فى محل نازح عن القرية بنحو خمسة أميال ، فوُجدوا حيث ألقتهم الريح صرعى ، ولبعضهم أنين ، ولم يلتبثوا أن هلكوا .

وفى هذه السنة سقط حجر من السماء ، فوقعت فى الصلاحقه ، قريبا من ذى جِبْلة ، حصلت بعدها رجفة شديدة ، تزلزلت منها تلك الجهة بأهلها .

وفيها أيضا حصلت زلزلة عظيمة فى اليمن ، من صنعاء إلى عدن ، هلك فيها عدد كثير من الناس ، وإنهدم كثير من القرى والحصون ، فسبحان المخوّف بالآيات .

---

(١) بيت الجالد : موضع فى الخشب من بلاد همدان شمالى صنعاء .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٢)

وفى هذه السنة أيضا تظاهر قوم من يام بمذهب الباطنية الطغام، وأحيوا ليلة الإفاضة التى يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم من ذوى أرحامهم المحرمات وغيرهن فى منزل واحد، ويُفْضِى بعضهم إلى بعض، فربما وقع الرجل منهم على ابنته أو أخته أو أمه، أخزاهم الله تعالى، ولعنهم لعنا وبيلا.

وأول من أحدث هذه المفسدة العظيمة فى أرض اليمن على بن فضل القرمطى[1] — لعنه الله تعالى —؛ كما سبقت الإشارة إليه. ولما أهلكه الله تعالى وأهلك أشباهه من قواد القرامطة الأشرار، والفرقة التى مصيرها إلى النار، تقللت دواعى هذا المذهب الخبيث، ولم يبق عليه إلا فرقة يسيرة، يبالغون فى كتم ما هم عليه أشد المبالغة. فلما ظهر هؤلاء القوم من يام فى هذا العام، ووصلت منهم امرأة إلى الإمام أحمد ابن سليمان عليه السلام، تسحب دوابها بين يديه، وتشتكى إليه أن ولدها غشيها فى تلك الليلة، غضب الإمام غضبا شديدا، وأزمع على قتالهم، فنهض إلى بلاد بنى شريف[2]، ودعاهم إلى قتال يام، وأقبلت إليه نهد وجَنْب وقوم من خثعم، فقصد بالجميع إلى وادعة. فوافاهم وقد لزموا جانبى وادى غيل جلاجل[3]، فجعلوا فى كل جانب مائة فارس وألف راجل. ووقع القتال الشديد، فأيد الله جنود الإمام بالنصر المبين، فقتلوا من الباطنية مقتلة عظيمة، وهزموا بقيتهم أقبح هزيمة، وغنموا أموالهم، وأخربوا ديارهم، وهى

---

(١) كان على بن فضل من عرب يقال لهم جيشان، ينسبون الى ذى جدن. وكان شيعيا على مذهب الاثنا عشرية، أقام بالمذيخرة وادعى النبوة وأحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح الأخوات. كان يجمع فى داره نساء ورجالا متزينين متطيبين. ويوقد بينهم الشمع ساعة، ويتحادثون بأطيب الأحاديث، ثم يطفأ الشمع. ويضع كل منهم يده على امرأة، فلا يترك الوقوع عليها وان كانت من ذوات محارمه. توفى سنة ٣٠٣ هـ بعد أن ظل متملكا سبع عشرة سنة.
(الجندى كتاب السلوك من طبقات العلماء والملوك)

(٢) الشريف: حصن من حصون زبيد باليمن.
(ياقوت: معجم البلدان).

(٣) جلاجل: موضع فى بلد وادعة.
(الهمدانى: صفة جزيرة العرب، ص ١٨١).

مسير ثلاثة أيام ، فلم يبق فيها أحد من أعداء الله والإسلام ، والحمد لله رب العالمين .

وفى هذه المدة بلغ الإمام أحمد بن سليمان ، أن جماعة من صَعْدة تظاهروا بشرب الخمر ، فأمر من يأتى بهم إليه ، فامتنعوا بسبب من قوّاهم على الامتناع ، فأحربهم الإمام ، وأقام الحصار على صَعْدة سبعة أشهر ، حتى ضاق أهلها ، فتضرعوا إلى الإمام ، وطلبوا منه العفو ، فعفا عنهم .

ثم نهض إلى جهة اليمن حتى وصل ذمار ، وأصلح بين قبائل مَذْحج وجَنْب فى قتول كانت بينهم .

ودخلت سنة — ٥٥٠ —

فيها نهض الإمام أحمد بن سليمان من ذِمَار بقبائل مَذْحج وغيرهم ، فيهم ثلاثة آلاف فارس ، حتى نزل فى نجد الشرزة[1] ونجد شيمان[2] ، وأقبلت عليه جنود الباطنية مع حاتم بن أحمد ، فتلازم القتال ، واشتد النزال ، وعظم الخطب ، وكثر الكرب ، وكادت الهزيمة تقع فى أصحاب الإمام أول اليوم ، فثبت الله أقدامهم ، ورفع الإمام يده بالدعاء فقال : « اللهم إنه لم يبق إلا نصرك ! اللهم إن يظهر علينا القوم يذهب دينك » . فأرسل الله تعالى ريحا عاصفا من جهة المشرق ، قابلت وجوه الباطنية ، فاستبشر الإمام ، وأيقن بالنصر من الله تعالى ، وأمر أصحابه بالحملة ففعلوا ، وأيدهم الله بتأييده ، فهزموا الأعداء ، وأعاد الله للمجاهدين النصر ، كما أيدهم ، حتى انجلت المعركة

---

(١) نجد الشرزة : يقع فى همدان من صنعاء .
(اليمن عبر التاريخ ، ص ٢١١)

(٢) ذكر الخزرجى أن سبعان أو شيعان حصن باليمن
(العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٢٧) .
وقال الهمدانى ان شيعان واد باليخضبان شمالى مخلاف السحول .
(صفة جزيرة العرب ، ص ١٠١) .

عن خمسمائة قتيل من كل جيل[1] ، وانهزم حاتم بن أحمد ببقيتهم إلى صنعاء ، ثم خرجوا عنها فورا وتعلقوا بالحصون كَبرَاش وغيره .

ونهض الإمام إلى صنعاء ، فأمر بهدم الدرب الذى بناه حاتم بن أحمد فى غُمدان ، وهو درب منيع قد اعتنى حاتم بن أحمد بتحصينه ، وبناه على صفة القاهرة بمصر ، بأن جعله دربا مدوراً ، ارتفاعه من الأرض قدر الرمح ، مختوما بالطين إلى أعلاه ، وبنى عليه سورا على أربعة سقوف ، فاستوعب فيه عدة من دور صنعاء ، وبذل فيه أموالا جليلة ، فلم تنفعه تلك الحيلة .

ودخلت سنة — ٥٥١ —

فيها دبر على بن مهدى الرعينى صاحب زبيد على قتل القائد سرور الفاتكى ، فلم يزل قاتله يرصده ، وهو رجل من أصحاب على بن مهدى يسمى محرم ، حتى تمكن منه ، فقتله فى مسجده المعروف فى زبيد بمسجد سرور ، غربى المرباع ، وهو يصلى صلاة العصر من يوم الجمعة ، الثانى عشر من رجب من هذه السنة . وأمسك أهل هذا المسجد قاتله ، فقتل به . وبقتل القائد سرور المذكور ضعف أمر الحبشة فى زبيد ، وحصلت المنافسة بين أمرائها على مرتبة القائد سرور ، فانتهز على بن مهدى الفرصة فيهم وهبط من الشَّرَف إلى الرأس[2] ، وبينه وبين زبيد قدر نصف مرحلة ، وتفرقت الرعية عن الحبشة ، فزحف على بن مهدى إلى باب زبيد بجموع لا تطاق ، وقامت الحرب بينه وبين من فى زبيد على ساق ، وظهر من ثباتهم وصبرهم ما بهر العقول ، حتى قال جماعة ممن حضر حصار زبيد ما معناه : إنها لم تَصبر أمة على الحصار ومعاودة القتال كصبرهم

(١) الجيل : الأمة والفريق من الناس

(٢) ذكر الخزرجى أن الرأس حصن فى جبل عال ، هو حصن بنى على . ويفهم من كلامه أن هذا الحصن قريب من زبيد . غير أننا نرى فى عبارة المتن « وهبط من الشرف الى الرأس » ما يتنافى مع معنى الحصن المرتفع . وربما كان يقصد بالرأس رأس وادى زبيد (الخزرجى : العقود اللؤلؤية : ج ٢ ص ١٧٢) .

زبيد على قتال على بن مهدى ، فإنها بلغت الزحوف بينهم وبينه إلى نيف وسبعين زحفا ، يقتلون فى كل زحف من عسكره مثلما يقتل منهم ، واضطروا إلى أكل الميتة فأكلوها وصبروا على الضرّ ، ودامت الفتنة بينهم وبين على بن مهدى إلى آخر سنة — ٥٥٢ — .

ودخلت سنة — ٥٥٣ —

فيها استعان أهل زبيد بالإمام أحمد بن سليمان على مدافعة على بن مهدى ، فأجابهم وتجهز إلى زبيد ، فدخله ، ولبث فيه ثمانية أيام . وأمر عبيد آل نجاح بقتل مولاهم فاتك ابن محمد بن جياش ، وهو الذى أقامه العبيد بعد فاتك بن منصور السابق ذكره ، فقتلوه عن رأى الإمام ، لأنه كان يرمى بالأبنة[1] والتمكين من نفسه ، حتى حكى أنه كان يعقد بريماً[2] على بطنه تشبهاً بالنساء ، فقتله الإمام حداً [3] ، بعد أن بُذل له فى تركه مالٌ فأبى ، وقال « لو أعطيتمونى فى تركه ملك زبيد لم أقبله » .

ثم عاد الإمام إلى ذِمَار فعاود على بن مهدى المحطة على زبيد ، وضيق عليهم التضييق الشديد .

ودخلت سنة — ٥٥٤ —

ففى يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب منها استولى على بن مهدى على زبيد قهراً بالسيف .

---

(١) الأبنة : العيب . وكان يرمى بالأبنة ، أى أنه كان يرمى بعيب خلقى أو شذوذ جنسى .

(٢) البريم ، حبل فيه لونان مزين بجوهر ، تشده النساء على الوسط والعضد (المعجم الوسيط) .

(٣) حد الرجل — فى اصطلاح الشرع — عقوبة مقررة وجبت على الجانى . (المعجم الوسيط) .

وفى ذلك يقول على بن مهدى هذه الأبيات وهى :

عناق العتاق الصافنات التوانق ألذ وأشهى من عناق العوانق
وسهرتنا فى الليل فوق ظهورها ألذّ إلينا من رقاد النمارق

وباستيلائه عليه زال ملك آل نجاح وأتباعهم ، وانقرضت دولتهم ، ولم يبق منها بقية ، فسبحان من لا يزول ملكه .

ولما تمكن على بن مهدى من زبيد ، لبث فيه إلى شوال من السنة المذكورة ، ثم مات ودفن فى المشهد القريب من مدرسة الميلين ، وأوصى ولده أن يجعله جامعاً يصلى فيه الجمعة ، ففعل . وقد خرب بعد أيام وجعله بعض ملوك الغز إصطبلا .

وقام بعد على بن مهدى ولده مهدى بن على ، فغزا الملوك ، ودوّخ البلاد ، وصالحه الداعى عمران بن محمد بن سبأ صاحب عدن بمال يحمله إليه . وسيأتى تمام خبره وخبر أخيه عبد النبي بن على فى موضعه ، إن شاء الله .

وفى هذه السنة سار الإمام أحمد بن سليمان من ذِمار إلى عَيّان على طريق الجَوْف، لما بلغه إقدام عمر بن منيع السليمانى وأقاربه على إخراج ولد القسم بن جعفر وأهله من دربهم فى عَيّان ، وإخراج ذلك الدرب . وكانوا يظنون أن ذلك يوافق غرض الإمام ، لميل ولد القسم عنه ، فلما عرفوا بقرب الإمام من عيّان ، ارتفعوا بمن معهم من دُهمة إلى جبل شرقىّ عَيّان ، فأمر الإمام بقطع ذروعهم وإخراب دورهم ، ثم عاد إلى مَسْلَت ومنه إلى الخارد بالجوف الأعلى ، فاستقر فيه ، وبنى هنالك حصناً منيعاً ، واجتمع حوله من بدو تلك الجهة جماعة للسكنى بأهلهم فى جواره ، عليه السلام .

ودخلت سنة — ٥٥٥ —

فيها خالف أهل مُقْرى[1] ورَيمة القريبة من صنعاء على الإمام ، وكان قد استعمل

(١) أرض مقرى : فى مخلاف ذمار ، ويسكنها آل مقرى بن سميع (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٤ — ١٠٥)
وقد وردت فى المتن مقرا بالألف على عادة المؤلف فى قلب الياء ألفا فى كثير من الأعلام .

عليهم ولده المطهر بن أمير المؤمنين ، فسار فيهم سيرة حسنة ، ونهاهم عن المنكرات وشرب المغيرات ، فحملهم ذلك على الخلاف ، فنهض الإمام من فوره حتى وصل بلاد حاشد . وجاءه كتاب حاتم بن أحمد أنه يمر على صنعاء ، فإنها بلده ، ولم يُرد حاتم إلاّ المكر بالإمام، فعرف مراده ، ورجع إلى الجَوْف ، ثم نهض إلى الجهة المخالفة فظفر بأهلها ، واجتمع بولده المطهر ، ثم توجه إلى ذِمار ، ومنه إلى أَبّ ، ثم رجع إلى الجوف ، ولقاه ولده المطهر ، فاستقر هنالك .

ودخلت سنة ـ ٥٥٦ ـ

فى شهر رمضان منها مات السلطان حاتم بن أحمد اليامى فى درب صنعاء ، وقام بعده ولده على بن حاتم ، فبايعه أهل همدان . ثم خرج إلى حصنه فى ظَهر ، فأقام فيه أياماً ، فخالف عليه أهل همدان ، ومالوا إلى رجل من آل القبيب ، وهو محمد بن حماس ، واجتمعوا فى داره بناحية القطيع من صنعاء . وبلغ على بن حاتم خبرهم ، فنهض إلى صنعاء فى جمع كبير من القبائل ، فيهم مائة فارس ، واجتمع من همدان سبعمائة فارس عند باب شَعُوب .

فلما وصل على بن حاتم ، تفرق عنه أكثرهم ، وقاتلته طائفة منهم قتالا شديداً ، ثم ولّوا عنه ، فدخل الدرب ، وخرج أخوه عمران بن حاتم — وهو صبي صغير — فقابلهم فى أزقة المدينة حتى قُتل بسهم ، فاضطربت همدان لقتله خوفاً من على بن حاتم ، فوهب لهم على بن حاتم دم أخيه عمران تأليفاً لهم ، وتسكيناً لاضطرابهم . واستقر فى صنعاء . وبعد أيام أخذ حصن ذى مرمر ، وكان لقوم من همدان ؛ وكوكبان والعروس[1] ، وكانا لبنى الزواحى ؛ وأخذ بكرا[2] أيضاً . وعمر هذه الحصون جميعها ، وملك بعض بلاد الظاهر والمغارب .

---

(١) العروس : حصن باليمن ، وهو فى حضور الواقعة فى الجنوب الغربى من صنعاء . (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ص ٣٤ ، اليمن عبر التاريخ ، ص ٢١٩)

(٢) بكر : « من مشهور قلاع صنعاء » .
(ياقوت : معجم البلدان) .

وكان جوادا كريما ، يقطع الرجل من همدان البلد والبلدين ويمنعه عن مصادرة أهلها . وجعل على كل مخلاف عاملا ، فمتى آن حصاد التمر ، أمر عماله أن يقتضوا من الرعية الخمس مجرداً عن غيره من سائر المطالب ، على طريقة العبيديين .

وفى هذه السنة حصل اضطراب فى صعدة ، واختلاف كبير ، فحصرها الإمام أحمد ابن سليمان من جميع جوانبها ، حتى استولى عليها ، فأخرب كثيراً من دورها ، ونقل أهله من الجبجب إلى الجوف ، ورجع بعد أيام إلى بلاد صعدة لفتنة أخرى حصلت فيها ، ثم عاد إلى مسلت ، ومنه إلى شوابة[1] لاستنهاض القبائل على بنى صريم ووادعة لما بلغه عنهم ما ينكره الشرع ، فوصلوا إليه تائبين ، فعفا عنهم .

ودخلت سنة — ٥٥٧ —

ولم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٥٥٨ —

فيها أغار مهدى بن على صاحب زبيد على لحج ، فقتل من أهله عدداً كبيراً ، وانتهب أموالهم ، ورجع إلى الجند ، فحصرها أربعة عشر يوماً ، ثم دخلها فقتل من وجد فيها من كبير وصغير ، ورمى بأجسادهم فى بئر المسجد ، وأخرب أكثر دورها ، وأحرق المسجد على من فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف ، وأموال الناس والمصاحف والكتب ، وتركها خاوية على عروشها .

ثم توجه إلى زبيد وقد أصابه الله بالطائرة فى جسده ، حتى ظهر فيه شبه إحراق النار، وسال منه الصديد ، ولم يصل إلى زبيد إلا فى محفة[2] عليها المطب ، ثم هلك .

(١) شوابة : قرية من قرى الجوف الأعلى من بلد عمدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٠)
وقال ياقوت : انها بليدة بينها وبين صنعاء أربعة أميال

(٢) المحفة : هودج لا قبة له . تركب فيه المرأة عادة .

ودخلت سنة — ٥٥٩ —

فيها قام عبد النبي بن علي بن مهدى بعد أخيه مهدى بن على ، فسلك مسلكه وعمل بسيرته ، وغزا أَبْيَن فأحرقها .

قال بعض المؤرخين ما معناه : افترق مُلك اليمن فى هذه المدة ، فكان عدن أَبْيَن والدُملوه وتعز إلى نَقِيل صَيْد لآل زريع أهل عدن ؛ وذِمار ومخاليفها لسلاطين جَنْب ؛ وصنعاء وأعمالها إلى الظاهر ، وحدود الأهنوم لعلى بن حاتم اليامى صاحب صنعاء ؛ والجوف وما إليه لآل الدعام ؛ وصَعْدَة وما يليها للأشراف بنى الهادى عليهم السلام ؛ وشَهَارَة وبلادها لأولاد الإمام القسم بن على العَيَّانى عليهم السلام ؛ والجريب وما حوله لولد عمر بن شرحبيل الحجُورى ؛ وتهامة الشامية إلى حَرَض[1] للشريف غانم بن يحيى ابن حمزة بن وهاس السليمانى ؛ وزُبيد وبلاده إلى حد حَرَض من جهة اليمن لعبد النبي ابن على . ولم يزالوا كذلك إلى أن زالت دولتهم جميعاً ببني أيوب الآتى ذكر خروجهم إلى اليمن فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

قال المؤرخ المذكور : وأما الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام فإنه لم يعمر داراً ولا جبي خراجاً ولا درب دروبا ، وإنما مضى على الجهاد ومحاربة أرباب البغى والفساد ، فجزاه الله تعالى عن الإسلام وأهله خيرا .

ودخلت سنة — ٥٦٠ —

فى آخرها أغار عبد النبي بن على بن مهدى على الأشراف بنى سليمان ، فبلغهم خبر قدومه ، فانهزموا ، وظفر بطائفة منهم فقتلهم ، وفيهم أميرهم الشريف وهاس بن غانم ، واستولى على أموالهم وسبي نساءهم ، ثم رجع إلى زبيد .

---

(١) حرض : بلد فى أوائل اليمن من جهة مكة ، نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمى به ، وهو بين خولان وهمدان .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٧١ ، ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٥٦١ —

فيها نهض أحمد بن على بن مهدى ـ أخو عبد النبي ـ فى جيش جرار إلى الجَنَد فعمرها شهرا ، ثم أغار على الجُوَّة[١] ، وفيها عسكر الداعى عمران بن محمد بن سبأ ، فانهزموا ودخلها أحمد بن على فأخربها .

وفى هذه السنة ظهر رجل من شِبَام حَرَاز[٢] ـ يسمى حاتم بن إبراهيم الحامدى ـ وبايعه قوم من أهل جهته ، فنهض بهم لمحاربة السلطان على بن حاتم بن أحمد ، فلم يظفروا بشىء . والتجئوا إلى كوكبان ، وفيه بنو الزواحى[٣] ، فخرج على بن حاتم فى أثرهم ، وأخرب شبام حمير وما حولها ، وحاصر كوكبان حتى استولى عليه بعد ثلاث سنين .

ودخلت سنة — ٥٦٢ —

فيها تحرك عبد النبي بن على بن مهدى على اليمن الأسفل ، فدخل مخلاف جعفر وأخذ بعض حصونه ، وقصد مدينة أبّ ، فاستولى عليها ، وبث السرايا فى كل وجه .

ودخلت سنة — ٥٦٣ —

فلم يتفق فيها — ولا فى السنة التى تليها — ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٥٦٥ —

فيها وقعت حرب بين الإمام أحمد بن سليمان وبين الأشراف القاسميين فى وادعة الظاهر ، فخرج الإمام فى بعض أيام الحرب ليلقى جماعة من أهل البلاد فى نفر قليل

---

(١) الجوة بالضم : قرية باليمن معروفة (ياقوت معجم البلدان) .
(٢) شبام حراز : موضع غربى صنعاء نحو الجنوب
(ياقوت : معجم البلدان) .
(٣) الزواحى : قرية من أعمال جبل السراة ، واليها ينسب عامر بن عبد الله الزواحى صاحب الدعوة الصليحية .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)

من عسكره ، فوثب عليه الأشراف ، فأسروه وسجنوه فى مصنعة أثافت ، فسار أولاد الإمام إلى السلطان على بن حاتم يستنجدونه على الأشراف ، فكتب إلى الأشراف فى إطلاق الإمام ، فأطلقوه .

وسار الإمام إلى حُوث فأقام فيه مدة . ويقال إنه وافق السلطان على بن حاتم فى كوكبان ، وشكر له ما أسداه إليه من السعى فى تخليصه من أيدى الأشراف ، واستعان به على حربهم ، فخرج معه السلطان إلى الظاهر فى جيش عظيم ، وحارب الأشراف فى مصنعة أثافت ، فامتنعوا ، فأخرب قرى بنى عبس[1] ودروبهم ، وقطع أعنابهم ، ووصل إليه الشيخ جعفر بن يعفر بأهل وادعة ، وطلبوا منه الأمان فأمنهم ، وافترق الجمع ، فتوجه الإمام يَسْنَمَ[2] ، ورجع على بن حاتم إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٥٦٦ —

فى ربيع الآخر منها توفى الإمام أحمد بن سليمان ، رحمه الله تعالى ، ودفن فى حِيدان من بلاد خَوْلان ، فقبره فيها مشهور مزور ، أعاد الله من بركته .

وفى أيامه ظهر مذهب الشيعة المعتزلة فى أرض اليمن ، بعناية القاضى العلامة جعفر ابن أحمد بن عبد السلام ، رحمه الله تعالى .

وفى هذه السنة زالت دولة العبيديين من مصر وغيرها ، بقيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان ، رحمه الله تعالى .

---

(١) بنو عبس : بطن من بهثة من سليم من العدنانية ، وهم بنو عبس بن رفاعة ابن الحارث بن حى بن الحارث بن بهثة .

(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٤٤٢)

(٢) يسنم : موضع باليمن ، سمى ببطن من بنى غالب من بنى خولان .

(ياقوت : معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٥٦٧ —

فيها قام الأمير عماد الدين يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان فى صَعْدة وبلادها، فلم يزل فيها إلى أيام السلطان طُغْتَكين بن أيوب[١] ، وسيأتى ذكر ما جرى بينه وبين عسكر السلطان المذكور فى تاريخه، إن شاء الله تعالى.

ودخلت سنة — ٥٦٨ —

فيها خالف الشيخ حسن بن يعفر وأهل وادعة الظاهر على السلطان على بن حاتم، فجهز إليهم أخاه بشر بن حاتم فى جيش كثيف، فقتل منهم جماعة وأسر آخرين، فدخل كافة أهل الظاهر تحت طاعته بعد ذلك.

وفى هذه السنة وصل السلطان حاتم بن على بن سَبَأ الزريعى صاحب عدن[٢] إلى السلطان على بن حاتم، يستنجده على عبد النبي بن على بن مهدى، فقابله على بن حاتم بالاكرام، ووعده بالنصرة على عدوه.

ودخلت سنة — ٥٦٩ —

فيها نهض السلطان على بن حاتم إلى اليمن الأسفل لنصرة آل زريع، فى جيوش وعدة وخيل معُدّة. ولما وصل ذِمَار أقام به ثلاثة أيام، ثم سار إلى بلاد السُحُول، فأقام فيها إلى أن تتابعت القبائل، وتوفرت الجحافل، ثم نهض بالجميع إلى أبّ.

وكان عبد النبي بن على بن مهدى قد قسم عسكره أثلاثا، فجعل ثلثاً فى ذى جِبْلَة،

---

(١) هو الملك العزيز سيف الاسلام ظهير الدين أبو الفوارس طغتكين بن أيوب (٥٧٨ ـ ٥٩٣ هـ) . (زامباور : معجم الأنساب ص ١٥٢) .

(٢) بنو الزريعى ، نسبة الى الزريع بن العباس بن الكرم اليامى ، نسبتهم من همدان « وكان لجدهم العباس بن الكرم سابقة محمودة وبلاء حسن فى قيام الدعوة المستنصرية مع الداعى على بن محمد الصليحى » .
(عمارة اليمنى تاريخ اليمن ، ص ٨١) .

وثلثا فى أكمة الحبالى[1] والثلث الباقى قريب من حصن السواد . فقصد السلطان على ابن حاتم أصحاب الحبالى ، إذ هم أجود عسكر عبد النبى ، فهزمهم وقتل منهم عدداً كثيراً ، وأسر نحو مائة رجل ، وغنم ستين فرسا ، وبات فى الحبالى تلك الليلة . وفى اليوم الثانى قصد ذى جِبْلة ، فلم يجد فيها من عسكر عبد النبي إلا جماعة استجاروا بدار الحرة أروى بنت على بن عبد الله بن محمد الصليحى ، فأجارهم . ثم نهض إلى الجَنَد فوجدها خالية عن عسكر عبد النبي ، فأقام فيها عشرة أيام ، وبلغه أن عبد الله فى حصن تعز فسار حتى دخل تعز ، وظفر بعسكر عبد النبى فى ذى عُدينة[2] ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهزمهم أقبح هزيمة ، وغنم من أسلحتهم وعدتهم شيئاً كثيراً .

وكان عبد النبي فى حصن تعز ، فلما رأى جموع السلطان على بن حاتم قد هزمت جموعه ، أنشد متمثلا بقول أسعد تبع[3] .

واعلم بُنَيَّ بأن كل قبيلة ستذل إن نهضت لها قحطان

ثم عاد على بن حاتم إلى صنعاء وعبد النبي إلى زبيد .

وفى هذه السنة مال كثير من همدان إلى حاتم بن براهيم الحامدى ، وملكوه حصن كوكبان ، فخرج إليهم السلطان على بن حاتم من صنعاء ، فحصرهم فى كوكبان مدة من الزمان ، وبذل لهم جملة من المال . وملّ الحامدى من كثرة المحاربة ، فخرج إلى رَيْعان وكتب إليه السلطان على بن حاتم يعاتبه على مافعله من تفريق كلمة همدان ، فرجع الحامدى

---

(١) الحبالى : اسم موضع ذكره الخزرجي ، ويفهم من عبارته أنه قرب أب . (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٠٥) .

(٢) ذو عدينة : اسم لربض تعز باليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) هو أسعد تبع الكامل بن ملكى كرب بن تبع الأكبر بن تبع الأقرن . وكان أسعد من أعظم التتابعة وأفصح شعراء العرب . ولذلك قال بعض العلماء فيه : ذهب ملك تبع بشعره ، ولولا ذلك ما قدم عليه شاعر من العرب . (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ١٢) .

إلى حراز ، فاجتمع إليه أهل جهته ، واتفقوا على طاعته ، واستقر فى بلد الظّهرة . وكان رئيس تلك الجهة فى ذلك الأوان سَبَأ بن يوسف اليعبرى ، فعمر حصن شبام البعابر ، وواصله أهل الدعوة من الهند والسند واليمن .

وفيها جاء الخبر بقدوم الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادى الكُردى الغزى[1] من الديار المصرية إلى الجزيرة اليمنية ، فى ثلاثة آلاف فارس ، وأبهة عظيمة ومملكة جسيمة ، فنزل صبْيا[2] من بلاد الشريف قاسم بن غانم السلمانى ، ثم نهض إلى زبيد ، فقاتل بنى مهدى حتى أخذ زبيد قهراً بالسيف ، وقتل عبد النبى ابن على بن مهدى ، وأسر جميع إخوته ، ثم قتلهم بعد أيام . وزالت دولة بنى مهدى من زبيد ، فسبحان من ملكه لا يبيد .

وفى هذا الموضع من كتب التواريخ أطال المؤرخون الكلام فى ذكر بنى مهدى . واختلفوا فى الأسباب الموجبة لخروج الدولة الأيوبية إلى اليمن . ونحن نشير إلى طرف يسير من ذلك لئلا يخلو كتابنا هذا من نكتة مستحسنة . وقد ذكرنا ماسنح من أمور دولتهم وحروبهم .

---

(١) لا شك فى أن وصف بنى أيوب بأنهم من الأتراك الغزفيه خلط لأن الأكراد غير الغز الأتراك . وقد ذكر ابن واصل الكثير عن نسب بنى أيوب . وأصح الآراء فيما يبدو ما ذكره ابن واصل نقلا عن ابن الأثير ، من أن أصلهم من الأكراد الروادية ، وهم فخذ من الهذبانية .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣)

وهذا لا يتعارض مع أن يكون الجيش الذى خرج بقيادة توران شاه لفتح اليمن معظمه من المحاربين الغز ، وهؤلاء استقر كثير منهم باليمن بعد عودة توران شاه الى مصر الأمر الذى جعل اسم الغز يتردد بكثرة فى المراجع التى تناولت تاريخ اليمن منذ سنة ٥٦٩ هـ ، بل ان ابن خلدون يقولها فى صراحة ان ملك اليمن صار منذئذ للغز . ومن جهة أخرى فان المراجع المعاصرة تطلق اسم الغز على بنى أيوب بوجه عام .

(٢) صبيا : بفتح أوله وسكون ثانيه ، من قرى عشر من ناحية اليمن

(ياقوت : معجم البلدان) .

وأما مذهبهم فقيل إنهم كانوا على مذهب أبي حنيفة فى الفروع[1] ، وعلى رأى الخوارج فى الأصول ، يكفرون بالمعاصى ، ويوجبون القتل على فاعلها ، ومن خالف مذهبهم قتلوه ، واستباحوا وطء نسائه واسترقاق ذريته ، وجعلوا داره دار حرب . وكان لأصحابهم فيهم عقيدة أكيدة ، حتى بلغ الحال إنهم كانوا إذا غضبوا على أحد من أصحابهم حبس نفسه ، ولا يأكل ولا يشرب ولا يشفع فيه أحد حتى يرضوا عليه . وكانوا يقتلون المهزوم من عسكرهم فى حروبهم ، ويقتلون من زنا ، ومن تأخر عن صلاة الجماعة ، وعن مجالس وعظهم ، وهذه الرسوم إنما هى على عسكرهم . وأما الرعية فالأمر فى حقهم ألطف[2] .

وأما الأسباب الموجبة لخروج بنى أيوب إلى اليمن ، فقد قيل إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما بلغه أن رجلا باليمن — يسمى عبد النبي ابن على بن مهدى — أوغل فى سفك الدماء ، ونهب الأموال ، وتطاول حتى زعم أن ملكه يطبق الأرض ويسير فيها مسير الشمس ، فغضب لذلك ، وبعث أخاه توران شاه بن أيوب . وقيل إن أهل تهامة رفعوا أمر عبد النبي إلى صلاح الدين بن أيوب ، وشكوا إليه ما نالهم منه . وقيل إن الشريف قاسم بن غانم السليمانى شكا إلى الخليفة من بنى العباس ، ما فعله عبد النبي بن على من قتل أخيه الشريف وهاس بن غانم ، وطلب منه النصرة ، فأمر صلاح الدين بالتجهيز عليه ، والله أعلم أى ذلك كان[3] .

---

(١) من الواضح أن كثيرا من هذه الآراء التى نسبها المؤلف الى الأيوبيين مبالغ فيها ان لم تكن غير صحيحة .

(٢) المرجح لدينا أن صلاح الدين كان شافعيا ، وانه عندما تم له الأمر فى مصر فوض القضاء بالديار المصرية الى قاضى القضاة صدر الدين عبد الملك الهذبانى الشافعى « فجعل صدر الدين القضاة فى سائر البلاد المصرية شافعية ، فاشتهر مذهب الشافعية » . (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٩٨) .

(٣) مازالت الأسباب الحقيقية لحملة صلاح الدين على النوبة موضع نقاش بين المؤرخين . ويمكن أن نشير الى السبب الذى ذكره ابن الأثير ورده ابن واصل وهو حرص صلاح الدين فى ذلك الدور الذى دبت فيه الوحشة بينه وبين سيده نور الدين ، على « تحصيل مملكة يقصدونها ويملكونها وتكون لهم عدة » وذلك اذا دخلت =

ولما تمكن توران شاه من زبيد والتهائم، سار إلى الجَنَد، واستولى على حصن تعز، وقاتل أهل صبر وذَخِر، فلم ينل منهم شيئا. فنهض إلى عدن فأخذها ونهبها، وقبض على أمرائها آل زريع. ومن يومئذ زالت دولتهم من عدن وما إليها. ثم خرج إلى مخلاف جعفر فأخذ حصن التَّعْكُر، ووصل إلى تقيل صيْدَد.

ودخلت سنة — ٥٧٠ —

فيها سار توران شاه إلى دروان[1]، فقاتله الشيخ عبد الله بن يحيى بن الجَنْبي[2]

= جيوش نور الدين محمود مصر وطردت منها صلاح الدين وأهله. لذلك «استقر الرأى بينهم أنهم يتملكون اما بلاد النوبة أو بلاد اليمن، حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد، فان قووا على منعه أقاموا بمصر، وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى افتتحوها».

(ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ١٤٥، ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١ ص ٢٣٧).

ونحن لا نستبعد صحة هذا الرأى واعتباره دافعا من الدوافع الكبرى التى دفعت صلاح الدين الى ارسال حملة الى النوبة ثم أخرى الى اليمن. حقيقة ان صلاح الدين استأذن سيده نور الدين محمود فى ارسال حملة الى اليمن لتأديب صاحب زبيد الذى قطع الخطبة للخليفة العباسى — وذلك كما يروى ابن الأثير. ولكن هل كان صاحب زبيد هو الحاكم الوحيد فى العالم الاسلامى الذى قطع الخطبة للخليفة العباسى عندئذ؟ وهل كان قطع الخطبة للخليفة العباسى فى زبيد يسبب قلقا كبيرا لصلاح الدين عندئذ أكثر من القلق الذى يسببه له تخوفه على ضياع مكاسبه فى مصر؟ يؤيد هذا الرأى ما يقوله ابن واصل من أن عمارة اليمنى — الذى كان بمصر عندئذ — «حسن للملك المعظم (تورانشاه) قصد اليمن، ووصف بلادها له وعظمها فى عينه، فزاده ذلك رغبة فيها». ولا نستبعد أن تكون خطة عمارة اليمنى صرف أنظار الأيوبيين عن مصر، أو توزيع قواهم بين أكثر من جبهة حتى تتاح الفرصة لاحياء الخلافة الفاطمية فى القاهرة.

(ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١ ص ٢٣٨).

(١) دروان: موضع قرب حجر وصعدة

(الخزرجى: العقود اللؤلؤية ص ٢٤٦)

(٢) نسبة الى جنب، وهو بطن من مراد من القحطانية.

قتالا شديدا ، ثم صالحه . ونهض توران شاه إلى المصنعة ، فأخذها من الشيخ محمد بن زيد ابن عمر الجَنْبي . ثم سار إلى ذِمَار فاعترضَته ، فقاتل جَنْب فى موضع يسمى رخمة شرق ذِمار ، فقتلوا من أصحابه نيفاً وستين رجلا . ثم دخل ذمار ، فأقام فيها أياما . ثم نهض إلى صنعاء ، فاعترضته جَنْب وغيرها ، فقال لأصحابه « قاتلوا على أنفسكم وإلاّ أخذتكم العرب. وأين أنتم عن ديار مصر » . فأصدقوا القتال حتى انكشفت المعركة عن تسعمائة قتيل من جَنْب ومن إليهم ، وانهزم بقيتهم إلى هران ؛ وفى ذلك يقول الشاعر :

وقال لقومه موتوا كراما   فأين ديار مصر عن ذِمَار

ولما وقعت هذه القتلة فى جَنْب ، علم السلطان على بن حاتم اليامى صاحب صنعاء أنه لا طاقة له بقتال توران شاه ، وخاف منه ، فجمع خزائنه فى حصن بِرَاش وشحنه شحنة كاملة ، وانتقل إليه بعد أن أخرب سور صنعاء ، وانتقل أخوه بشر بن حاتم إلى عران[1] .

وأقبل شمس الدولة توران شاه إلى صنعاء ، فدخلها دخولا معظما . ولما لقاه أهلها فى زى حسن ، أعجبه زيهم وحديثهم ، فأقام فى صنعاء أياما ، ثم رجع إلى تهامة على طريق نَقِيل السَّود[2] ، فتبعه قوم من سِنْحان وبنى شهاب ، فانتهبوا أواخر عسكره فلم يلتفت إليهم ، ومضى لوجهه . فلما صار فى حدود بُرَع وثب قوم على خزائنه وأثقاله ، فأخذوا أكثرها ، وكانت أموالا جزيلة من الذهب والفضة والآلات النفيسة والأمتعة العجيبة . ودخل زبيد ، فاستقر فيها أياما ثم سار إلى الجَنَد ، ووصل إليه عامل صَبِر ، وكان من بقية عمال بنى مهدى ، فسلم إليه صَبِر . ثم نهض إلى ذخر ، وفيه على بن حجاج من أهل تهامة ، فسلم إليه عشرة آلاف دينار كانت عنده وديعة لعبد النبى بن على ، وأطلق إليه

---

(١) عران ، ويكتب عزان ، حصن من حصون تعز فى جبل صبر باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) نقيل السود : بفتح السين وتشديدها ، موضع فى سراة الهان من جبل السراة . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨) .

الحصن . ثم تقدم إلى المعافر ، فحاصر حصن يُمين[1] وفيه منصور بن محمد بن سبأ الزريعى ، فسلم إليه الحصن . ثم تسلم حصن مُنيف[2] ، وتسلم أيضا حصن مَحَدَان من النائب فيه . ثم نهض إلى الدُّمْلُوه ، وفيها أولاد الداعى عمران بن محمد بن سبأ ، ومولاهم جوهر المعظمى ، فلم ينل منهم شيئا . وتوجه إلى ذى جِبْلَة ، فأقام فيها مدة ، ثم رجع إلى زبيد ، فلبث فيه إلى تمام الحول .

واشتاق إلى ديار مصر والشام ، فكتب إلى أخيه السلطان صلاح الدين بن أيوب يستأذنه بالقفول ، فأجاب عليه جوابا رغّبه فيه الإقامة باليمن ، وأنه قطر مبارك كثير الخيرات دائم البركات ، فلم يعمل برأى أخيه وعاوده بالمكاتبة ، وذكر فى آخرها شعرا ، وهو قوله :

وإذا أراد الله أن يشقى امرءاً ... وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال عن مصر بلا ... سبب وسكنه بأرض زبيد

فعلم أخوه أنه قد ضاق ذرعه من سكنى اليمن ، فأذن له بالعود .

ودخلت سنة — ٥٧١ —

فيها سافر شمس الدولة توران شاه إلى الشام . قال الجندى[3] : كانت طريقه

(١) يمين : بضم أوله وفتح ثانيه وسكون الياء ، حصن فى جبل صبر من أعمال تعز ، استحدثه على بن زريع . (ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) المنيف : حصن فى جبل صبر من أعمال تعز باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .
(٣) هو القاضى أبو عبد الله يوسف بن يعقوب ، المعروف بالبهاء الجندى صاحب كتاب « السلوك فى طبقات العلماء والملوك » ، جمع فيه غالب علماء اليمن ، وأضاف اليهم طرفا من أخبار الملوك الى سنة ٥٧٧ هـ وأخذ غالب أخبارهم من كتاب أبى حفص عمر بن على بن سمرة ، وكتاب أحمد بن عبد الله الرازى وتاريخ صنعاء لابن جرير الصنعانى وبغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد لابن الديبع ، والباقى من وفيات الأعيان لابن خلكان .
(كشف الظنون ، ج ١ ص ٤٧٥) .

ذى جِبْلَة ثم صنعاء . واستخلف على اليمن جماعة ، فجعل على زبيد وما إليها أبا ميمون مبارك بن منقذ الكنانى[1] ، وعلى تعز وبلادها ياقوت التعزى ، وعلى ذى جبْلة وجهاتها مظفر الدين قانمان[2] ، وعلى عدن ونواحيها عثمان الزنجبيلى .

ودخلت سنة — ٥٧٢ —

لم يتفق فيها — ولا فيما بعدها إلى سنة ٥٧٤ — ما يوجب الذكر .

بل ذكر فى مختصر تاريخ الذهبى المرتب على السنين أمور اتفقت فى هذه السنين ، وإن كانت غير متعلقة بأحوال اليمن ، فلا تخلو من فائدة . فقال سنة اثنين وسبعين وخمسمائة : فيها أمر السلطان صلاح الدين بن أيوب ببناء السور الكبير المحيط بمصر والقاهرة ، طوله تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ألف ذراع بالهاشمى . وأمر بإنشاء قلعة الجبل ، وأنفق فى ذلك أموالا جزيلة .

وفى سنة ـ ٥٧٣ ـ خرج السلطان صلاح الدين من مصر إلى عسقلان ، والتقى الفرنج بالرملة ، فانكسر عسكره ، وثبت هو وابن أخيه تقى الدين ، واحتوت الفرنج على ما فى معسكره ، وتقطع أصحابه فى الرمال ، وأسر الفقيه عيسى الهادى ، ونزلت الفرنج على حماة ، فحاصروها أربعة أشهر .

---

(١) هو الأمير سيف الدولة أبو ميمون مبارك بن كامل بن منقذ الكنانى ، يروى ابن واصل وأبو مخرمة أن اقامته لم تطل كثيرا باليمن ، اذ كان يهوى الشام لأنها وطنه . فلما عزم شمس الدولة توران شاه على العودة الى مصر ، استأذنه أبو ميمون فى صحبته ، وأن يستنيب على عمله (زبيد) أخاه حطان ، فاذن له فى ذلك .

(ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٠٢ ، ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٣٨)

(٢) كذا فى المتن ، وتكرر الاسم بهذه الصورة فيما بعد ، وكتبه أبو مخرمة « مظفر الدين قايماز » . (تاريخ ثغر عدن : ج ٢ ص ٣٨)

ودخلت سنة — ٥٧٥ —

فيها تجهز عثمان الزنجبيلي بمن عنده من الغُز[١] إلى حضرموت ، فاستولى عليه ، وقبض على أمرائه بني شجيعة ، ثم جعل عليه عاملا من عنده ، ورجع إلى عدن .

ودخلت سنة — ٥٧٦ —

فيها مات شمس الدولة توران شاه بن أيوب فى الإسكندرية ودفن فيها . وكانت عُمّاله على اليمن يدفعون خراجها إليه ، فلما مات أظهروا الخلاف ومنعوا الخراج ، وضرب كل منهم سكة باسمه ، ومنع أهل ولايته عن التعامل بغيرها إلاّ مظفر الدين قايماز فإنه ضعف عن ضبط مخلاف ذى جبلة ، فنهض إليه عثمان الزنجبيلي من عدن طامعاً فى بلاده . فتسلمها وتوجه إلى حضرموت فنهبها ، وقتل كثيراً من أهلها ، واستفحل أمره وتقوت شوكته ، ثم رجع إلى عدن فلبث فيها حتى قدم سيف الإسلام طُغتكين بن أيوب ، فى التاريخ الآتى ذكره[٢] .

ودخلت سنة — ٥٧٧ —

فلم يتفق فيها ولا فى التى تليها ما ينبغى ذكره .

---

(١) المقصود بالغز هنا الجند الأيوبى الذين تركهم توران شاه . ويقول ابن خلدون فى كتاب العبر ما نصه « وبانقراض دولة بنى مهدى . انقرض ملك العرب من اليمن ، وصار للغز ومواليهم » .

(٢) يذكر ابن واصل عن أحداث هذه الفترة ما نصه « ... وقع باليمن خلف بن حطان بن منقذ – والى زبيد – وعز الدين عثمان بن الزنجبيلي – والى عدن ، لما بلغهما وفاة الملك المعظم (تورانشاه) . ورام كل واحد منهما أن يغلب على ما بيده ، وجرت بينهما فتن ، واشتد الأمر . وبلغ ذلك السلطان (صلاح الدين) فخاف أن يطمع أهل اليمن فيها بسبب الاختلاف بين أصحابه . فأرسل الى اليمن عسكرا وقدم عليهم قتلغ أبه – والى مصر – ومعـــه عدة من الأمراء . فاستولى قتلغ أبه على زبيد ، وأزال حطان عنها ، ثم توفى قتلغ أبه ، فعاد حطان الى امارته بزبيد واقطاعه . وأطاعه الناس لجوده وشجاعته » .

(مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٠٤)

ودخلت سنة — ٥٧٩ —

فيها وصل إلى اليمن السلطان[١] سيف الإسلام طُغتكين بن أيوب بن شادى[٢] ، فى ألف فارس وخمسمائة راجل ، فمكث فى زبيد أياماً ، وقبض على خطاب بن سعد وأخذ أمواله . ووصل إليه ياقوت التعزى وسلم إليه مفاتيح الحصن ، فأعجبه وأعاده على عمله ، وأرسل معه خطاب بن سعد تحت الحفظ ، فأودعه سجن تعز ، وقتله بعد ذلك سِراً ، فلما سمع عثمان الزنجيلى بقتل خطاب ، حمل أمواله فى مركب ، وتوجه نحو العراق على متن البحر الشرقى المتصل ببحر فارس .

ودخلت سنة — ٥٨٠ —

ولم يتفق فيها ما لا يستغنى عن ذكره .

ودخلت سنة — ٥٨١ —

فيها توجه سيف الإسلام إلى مكة للحج ، وأمر بالمحطة على حصن حَبّ .

ودخلت سنة — ٥٨٢ —

فيها رجع سيف الاسلام إلى اليمن ، وتولى بنفسه حصار حصن حَبّ ، حتى تسلمه وقتل من فيه إلا القليل ، فنزلوا اليمن بأسره لذلك ، وأقبل إليه وجوه أهل البلاد ، ودخلوا تحت طاعته .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف لقب سيف الاسلام طغتكين بلقب « سلطان » تجاوزا . وهذا اللقب كان خاصا برأس الدولة الأيوبية ، وان كان لا يوجد ما يثبت أن صلاح الدين نفسه اتخذ هذا اللقب فى حياته . وانما لقبه به المؤرخون والكتاب تعظيما له واجلالا لقدره . أما بقية أمراء بنى أيوب ممن تولوا حكم أجزاء الدولة الأيوبية فى الشام واليمن وغيرهما فتلقبوا بلقب « ملك » و « ملوك » .

(٢) لقبه واسمه بالكامل : « الملك العزيز سيف الاسلام ظهير الدين أبو الفوارس طغتكين بن أيوب » (زامباور : معجم الأنساب . ج ١ ص ١٥٢) .

فيها نهض سيف الإسلام إلى ذِمَار فاستولى عليه . فلما علم السلطان على بن حاتم بذلك أخرب قصر غُمدان ، وسور صنعاء ، وأمر الناس بالخروج إلى حيث يمتنعون فيه عن معرة(١) الجيش . ووقف هو وأخوه فى حصن بِرَاش . وخرج ابن عمهم القاضى حاتم ابن أسعد إلى سيف الإسلام — وهو يومئذ في شرقى ذِمَار — فصالحه على ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان ، ومدة الصلح سنة كاملة .

ورجع سيف الإسلام إلى اليمن الأسفل ، واستعمل على ذِمَار مظفر الدين قايماز مملوك أخيه شمس الدولة ، فجمع الشيخ زيدان عمر الجَنْبي جموعاً كثيرة من بلاد جَنْب وعَنْس وغيرها وقصد بهم ذِمَار ، فأخذها ونهبها ، وامتنعت منه رتبة السلطان ، وكتبوا إليه بما فعل الشيخ زيد ، فرجع من ذى جبلة على الفور . فلما عاينه أهل جَنْب انهزموا ، فوضع فيهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار إلى موضع من تلك الجهة ، كان أهل جنب يأوون إليه ، فقتل منهم ستمائة نفر ، وصالحه السلطان على بن حاتم على العام المقبل مثلما صالحه فى العام الماضى ، ورجع طُغتكين إلى اليمن الأسفل .

ثم وجه جيشاً تقدمه مظفر الدين قايماز لحصر من فى دروان ، فأقام الحصار عليه سبعة أشهر حتى نفد عليهم الماء ، فسلموا الحصن . وبعد خروجهم منه وقع المطر فامتلأت مناهل ذلك الحصن . ثم أمر طغتكين بالمحطة على حصن قَيْضَان وفيه السلطان أسعد بن على بن عبد الله الصليحى وأولاده وأقاربه ، فحاصروهم نحو سبعة أشهر حتى سلموا بأمان وشرطوا أن يكون خروجهم إلى السلطان على بن حاتم .

وفى هذه السنة كانت دعوة الإمام فخر الآل الكرام عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن حمزة بن على بن حمزة بن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى

(١) المعرة هى الأذى والمساءة والمكروه (المعجم الوسيط) .

ابن عبد الله بن الحسين بن القسم بن إبراهيم ، عليهم السلام . وهى الدعوة الأولى فى الجوف ، وسيأتى ذكر الدعوة الثانية فى موضعها إن شاء الله .

ولما دعا عليه السلام ، كتب إلى الاميرين الكبيرين العالمين عماد الدين يحيى وبدر الدين محمد ، ابنى أحمد بن يحيى بن يحيى ، يخبرهما بدعوته وقيامه بأمر الأمة . ثم نهض إلى صَعْدَة فى جيش عظيم ، فيهم مائة فارس ، فلقاه الأميران المذكوران إلى حقل صَعْدة فى جمع كبير من خَوْلان وغيرهم . وكان الناس ينتظرون قيام الأمير عماد الدين ، لمحله من العلوم المشروطة فى حق الإمام ، ولكنه جنح إلى السلامة عن تحمل أعباء الإمامة ، وطلب منه الإمام المنصور بالله القيام ، ويكون من أعوانه على تشييد أركان الإسلام ، فاعتذر عن ذلك .

وجاءت كتب الأشراف والمشايخ من ميتك[١] إلى المنصور بالله ، يطلبون منه الوصول إليهم ليدفع عنهم عسكر السلطان على بن حاتم ، وكانوا قد استولوا على ميتك فى هذه السنة ، فاعتذر فلم يقبلوا عذره . فسار إلى صَبِرة ثم قصد حصن جُزَّع[٢] فتسلمه وأمَّن من فيه . ولما استقر فى الحصن المذكور أرسل لأهله وقال لهم « قد ملكت هذا الحصن ولكم فيه العمارة ولست أقيم فيه إلا برضاكم ، فإن تأذنوا لِى ، وإلاّ خرجت عنه » . فقالوا بأجمعهم « رضينا بك » . فأقام سنتين وثلاثة أشهر ، وبعث عماله إلى بنى عُشب . وما زالت الحرب قائمة بينه وبين أصحاب على بن حاتم فى تلك الجهة ، وفى الشاهل[٣] من بلاد الشرق ، حتى خرج عمر بن على بن حاتم من كوكبان فى عسكر كبير ، ولقاه محمد بن حسين صاحب مِسْور ، وحالفت بنو عُشب على عمال الإمام .

---

(١) ميتك : حصن بهمدان .
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢٢٠)
(٢) جزع : حصن باليمن
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٢٠)
(٣) الشاهل : من بلاد الشرفين ، تبع منطقة حجة
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٠٧) .

وفى خلال ذلك وصل سيف الإسلام طغتكين بن أيوب إلى صنعاء فى قوة عظيمة ، وأخذ الأهجر[1] والفَصّ[2] والظفر .

ودخلت سنة — ٥٨٤ —

فيها رجع السلطانُ طغتكين إلى اليمن الأسفل ، فحصر جوهر المعظمى[3] وأولاد مَوْلاه الدُّمْلُوه . فلما رأى جوهر أن السلطان غير تاركه ، وطال عليه الحصار ، باع الدُّمْلُوه من السلطان بعشرة آلاف دينار ملكية ، وشرط أنه لا ينزل من الدُّمْلُوه ، ولا يطلع إليه أحد حتى يصل أولاد مولاه أىّ موضع يريدونه من جزائر بحر اليمن ، فأجابه السلطان إلى ما طلب . ولما استوثق له الأمر وقبض المال ، جهز جميع أولاد مولاه ومن يلوذ بهم ونفائس ذخائرهم ، وخرج معهم فى زي امرأة حتى نزل بساحل المَخَا[4] ، ثم ركب فى سفن قد أعدّها وسافر إلى ساحل الحبشة . وكان قد ترك نائبا فى الدُّمْلُوه ، وجعل علامته على أوراق كثيرة ، وأمر النائب أن يكتب فى تلك الأوراق المعلومة ما يريده إلى السلطان وغيره إيهاماً أنه باقٍ فى الحصن .

---

(١) الأهجر : موضع باليمن ، كانت ملوك حمير تسكنه .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ١٠٨)

(٢) الفص : من حصون صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان)
وقد ذكر أبو مخرمة والخزرجى موضعين بهذا الاسم ، أحدهما الفص الكبير والآخر الفص الصغير (العقود اللؤلؤية ، ص ١٤٧ ، ١٥٣ . تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٠٢) .

(٣) أبو الدر جوهر بن عبد الله المعظمى ، نسبة الى سيده الداعى المعظم محمد بن سبا بن أبى السعود ، كان واليا فى حصن الدملوه ، فلما توفى سيده محمد بن سبا وخلفه ابنه المكرم عمران بن محمد بن سبا ، أبقى جوهرا على نيابته فى الدملوه . فلما دنت وفاة المكرم ، جعل جوهرا المذكور وصيا على أولاده الصغار كلهم ، فنقلهم جوهر الى الدملوه وأكرمهم ، وقام بكفايتهم أحسن قيام . (أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ص ٤٢) .

(٤) المخا : موضع باليمن بين زبيد وعدن على ساحل البحر
(ياقوت : معجم البلدان) .

فلما استقر حيث أراد ، كتب بيده إلى السلطان يعلمه بمكانه ، وكتب إلى نائبه بالخروج من الحصن . فلما وصل رسوله إلى السلطان قال : « ألم يكن جوهر فى الدُّمْلُوه » فقال له الرسول . « إنه أول من خرج منها . » فعجب السلطان من وفائه لمواليه ، وحسن فعله بهم . ثم أرسل إلى النائب بكتاب جوهر ليخرج من الحصن ، فامتنع عن الخروج ، فعظم الأمر على السلطان ، وعاود المحطة على الدُّمْلُوه . وفى خلال ذلك ، وصل بشر ابن حاتم إلى مقام السلطان ، فأكرمه وأعطاه سرجاً مذهباً وسيفاً ، وأسقط عن أخيه السلطان على بن حاتم بعض الخراج ، وجدد له صلح تلك السنة . فطلب نائب جوهر الصلح بينه وبين السلطان على يد بشر بن حاتم ، فتم الصلح على تسليم عشرة آلاف دينار من السلطان للنائب ، ومؤنة حمله ومن معه إلى صنعاء ، ثم خرج منها ودخلها السلطان بنفسه .

ولما رجع بشر بن حاتم إلى أخيه أقبلا على عمارة حصونهما وشحنتها ، وإخراب ماعرفا أنه لايمتنع ،ورتّبا ذى مرمر وفدة[1] والفص والظفر والعروس وكوكبان وأُشْيَح . فلما انقضت مدة الصلح نهض السلطان من اليمن الأسفل يريد صنعاء ، فلقاه القاضى حاتم بن أسعد إلى جهران[2] وطلب منه الصلح مدة معلومة ، على تسليم ثلاثين ألفا وثلاثين فرسا ، ورهن فى ذلك رهائن . وسار إلى بنى حاتم بن أحمد وأعلمهم بما فعل من الصلح ، فلم يرضوا به ، إذ لم يكن عند رأيهم ، فرجع القاضى إلى السلطان متغير الخاطر ، وأخبره بما وقع ، فقال له السلطان « تعهد لنا وكنْ منّا ونُطْلق رهائنك » ، فتعهد له ، فكساه السلطان وأطلق رهائنه . ثم نهض السلطان لقتال من فى أُشْيَح ، فقُتل السلطان يحيى بن سليمان بن المظفر وغيره ، وقبض السلطان على بعضهم ، وأرسل بهم إلى ذى جِبْلَة ، واستولى على جبل الشَّرَف وعاد إلى جهران .

---

(١) حصن فدة : قريب من ذى مرمر · وجاء فى العقود اللؤلؤية للخزرجى فدة بالفاء وقدة بالقاف (ص ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٧) ·

(٢) جهران : من مخاليف اليمن قرب صنعاء (ياقوت : معجم البلدان) ·

فيها نهض السلطان طُغتكين إلى صنعاء فأقام فيها أياما ، وبعث عساكره إلى ذى مَرْمَر وفدة والفَصّ ، ونهض إلى سواد عِرّان من بلاد حمير . ثم أرسل الشيخ حاتم ابن سعيد الشهابى إلى المشايخ أولاد مفرح يخاطبهم فى تسليم عِران . وكان الشيخ عامر ابن مفرح فى تلك الحال غائبا ، فلم يتم الأمر . فأمر السلطان عسكره بقتال أهل ذلك الحصن ، ففعلوا حتى استولوا عليه قهراً ، وقتلوا من أهله أربعين رجلا ، وقبضوا على الشيخين عامر وعبد الله ابنى مفرح ، وقدموا بهما إلى المحطة ، وخاطبوهما بثلاثة آلاف دينار .

ثم نهض السلطان إلى العروس ، فحاصر من فيه ، وضيق عليهم ، فنزلت منهم امرأة ومعها طفل مولود فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فقالت له « إنا سمينا هذا الطفل باسمك فهب لنا هذا الحصن لأجله » . فأعجبه كلامها ، وارتفع عنهم إلى الظُّفْر ، فامتنع عليه ، فرجع إلى صنعاء . ثم نهض لمحاربة الفص فوقف فى جبل الظلمة[1] ، ونصب المنجنيق على الفَصّ ، فاستولى عليه بعد أن قتل من أصحابه جماعة . وطلب منه عمر ابن بشر بن حاتم وأخوه علوان الأمان ، فأمنهما ومن معهما ، وساروا بأهليهم إلى ذى مرمر .

ثم سار السلطان طغتكين إلى سواد عزّان ، وحارب أهل الظُّفْر حتى أخذه قهراً ، وفيه سالم بن على بن حاتم ، فأجاره السلطان ، ومضى سَالمْ إلى كوكبان سالماً . ثم أقام السلطان المحطة على كوكبان ، وبعث رجلا يسمى يحيى بن أحمد الشاورى بعسكر كبير إلى ميتك ، وبنى شاور ، فأخذ بعض حصونهما ، واضطرب أصحاب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، واستأذنوه فى الانتقال ، فأذن لهم . ولما قربت العساكر من محل

(١) الظلمة : جبل فى سراة المصانع من جبل السراة باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩)

الإمام عليه السلام خاطبه بعض أصحابه أن يتحول عن المحل الذى كان فيه فأبى ، وأمر أخاه الأمير بدر الدين محمد بن حمزة وأصحابه بالقدوم إلى صبرة لمناجزة من فى قرية شوحطين[1] من أصحاب السلطان ، فساروا إليها ، ووقع الحرب ، فقتل الأمير محمد بن حمزة رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه عند بركة شَوْحَطين . ثم نهض السلطان بنفسه حتى نصب خيامه شرقى ميتك ، فخافه أهل تلك الجهة وكاتبوه ، وكثر الإلحاح على الإمام بالذهاب فانتقل إلى شرس ، ووقع بينه وبين أهل قُدُم طرف قتال .

ثم رجع الإمام إلى الجَوْف ، وتوجه أخوه الأمير الكبير يحيى بن حمزة إلى شَهَارَة ، وصارت تلك الجهة كلها للسلطان .

ولم يزل ملازما لحصار كوكبان ، ونصب عليه المنجنيقات حتى أثرت فى سور الحصن ، وكان فيه عمر بن على بن حاتم بن أحمد اليامى فى مائة فارس وألف وخمسمائة راجل ، فقتل منهم أيام الحرب خمسمائة نفر ، ومن أصحاب السلطان أكثر من ألف نفر .

ولما طال الحصار على كوكبان وقعت المخاطبة بالصلح على أن يكون للسلطان كوكبان ، ولبنى حاتم العروس وبلاد عَيَّنها السلطان لعمر بن على ، وأطلق عليه أمواله . ولما تقرر الصلح دخل السلطان إلى كوكبان ، وقد هيأ له عمر بن على ضيافة عظيمة ، فعجب من كرمه وقال : « ما رأينا مثل هؤلاء القوم ، نأخذ بلادهم ويلقونا بالضيافة » . ثم نهض السلطان إلى فِدَةَ ، فرماها بالمنجنيق وحصرها ، حتى تسلمها وأخرب دوراً كثيرة فى وادى ظهر وغيره من بلاد همدان . وتوجه إلى ذى مرمر وفيه السلطان على ابن حاتم ، فحصره من جميع جهاته ، وضيق على أهله ، ودامت مدة الحصار له أربع سنين ، حتى تعب الجميع ، فجنح السلطان إلى الصلح ؛ فتقرر على تسليم خمسمائة دينار

---

(١) شوحطان : الشوحط اسم شجر ، وشوحطان مدينة باليمن قرب صنعاء يقال لها قصر شوحطان . (ياقوت : معجم البلدان) .

وخمسمائة كيلة[1] من الطعم فى كل عام ، وألا يكون إلى على بن حاتم شىء من البلاد . وارتفعت المحطة عن ذى مرمر ، فشحنه على بن حاتم شحنة أعظم من الأولى .

وفى هذه المدة أمر السلطان طغتكين بهدم المشاهد المنصوبة على قبور رؤساء همدان فى مقبرة صنعاء ، وعمر بآلاتها قصراً فى صنعاء .

ودخلت سنة — ٥٨٦ —

فيها سار السلطان طغتكين إلى صَعْدة على طريق الجوف ، فدخلها وأقام فيها أياماً ، ثم رتبها بثلثمائة فارس ، وتوجه إلى جبل الأهنوم ، فاستولى عليها ، ثم سار إلى بلاد نهم من أعمال حَجُور فاستولى عليها وعلى بلاد الشرَف وسائر جبال اليمن ومدنه وحصونه ومخاليفه ، من صَعْدة إلى عدن . وزالت دولة آل الصليحى وآل حاتم الإسماعيلية عن قطر اليمن من ذلك الزمن ، بعد أن ملكوا صياصيه[2] ، ودان لهم مطيعه وعاصيه . ولقد أشار السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله ، ناظم البسامة ، رحمه الله تعالى ، إلى ما ذكر ، فى القصيدة الفريدة التى كتبها إلى الزحيف، رحمه الله تعالى ، أولها .

يا أيها الغادى على غير آنية

إلى أن قال :

وتملكوا سهل البلاد وحزنها وغدوا بألوية عليهم تعقد
وبنو عبيد بالنوال تمدهم وهم دعاة للمعز وأعبُدُ

ومنها :

وكذا بنو أيوب لما ملكوا مصرا أغاروا فى البلاد وأنجدوا

(١) فى المتن « كيلجة من الطعام » والصيغة الصحيحة المثبتة من (أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ص ١٠٢)

(٢) ملكوا صياصيه . أى ملكوا نواحيه وانبسطت لهم السلطة عليه (القاموس المحيط) .

وتملكوا اليمنين واستولوا على مافى زبيد وما حواه السيد
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهم فى ظلها ما خلدوا

ودخلت سنة — ٥٨٧ —

فيها وثب الأمير عماد الدين يحيي بن الإمام أحمد بن سليمان على من فى صَعْدة من أصحاب السلطان طُغْتكين ، فطردهم عنها وملكها . وبعد مدة سار إلى صنعاء ، وأخذ ولاية من الغُز على صَعْدة ، ورجع إليها .

وفى هذه السنة تسلم السلطان طُغتكين حصن بِرَاش ، ورجع إلى اليمن بعد أن استخلف على صنعاء أميراً يعرف بالهام ، وجعل أميرين أحدهما على جَهْرَان وألهان ، والآخر على عَنْس ورُدَاع ، وأمرهما بالطاعة للهام نائبه على صنعاء . وترك عند كل أمير ما يحتاج إليه من الخيل والعسكر . ولما استقر فى تعز صرف همته إلى بناء الدور ، وتشييد القصور ، واستخراج الأنهار ، وغرس البساتين الواسعة بأصناف الأشجار ، حتى لقد قيل إنه أرسل لغروسها إلى أرض مصر[١] ثم قرر القواعد وأضّل[٢] الضرائب القديمة ، واختط مدينة المنصورة قبلى الجند وأجرى الغيل إليها من صِبَر .

قال الأهدل[٣] كانت مدينة المنصورة عظيمة ، وقد خربت منذ زمان أخربها بعض بنى رسول ، الآتى ذكرهم إن شاء الله .

---

(١) أى أرسل الى مصر لجلب فسائل الشجر والنبات لتغرس فى اليمن .
(٢) أى بطل .
(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الأهدل الحسينى ، كان من أسرة لها مكانة فى اليمن ، وان يكن أصلها العراق . وقد ولد — كما ذكر فى كتابه — حوالى سنة ٧٧٩ هـ ، وكان على قيد الحياة سنة ٨٤٨ هـ . ووصف كتابه « الزمن فى أعيان أهل اليمن » بأنه مختصر لتاريخ الجندى ، وان ضم اضافات تصل به الى عصر المؤلف . وتوجد من هذا الكتاب مخطوطة فى مكتبة المتحف البريطانى تقع فى ٣١٣ ورقة .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٢٥)

وذكر فى تاريخ بنى طاهر[1] أيضا أن لطغتكين عمارات باليمن ، منها مدينة المنصورة فى وادى نخلان ، بنى فيها قصراً وحماماً ، وأمر معظم جنده بالإقامة فيها. ومن مبانيه قصر الجَنَد القديم ، وتجديد عمارة حصن التَّعْكُر بعد أن هدمه. وكذلك حصن حَبّ ، وحصن تعز ، وسور زبيد ، وسور صنعاء بعد أن هدمه على بن حاتم ، وزاد فيه من الجانب الغربى من مجرى السيل إلى باب السبحة[2]. وأدخل فى صنعاء البستان المعروف ببستان السلطان — نسبة إليه — وبنى فيه الدور والمعارج، وأجرى إليه غيل البرمكى. وبنى الدار السلطانية فى صنعاء ، وبالغ فى بنائها ، وزخرف غرفها بالذهب وألوان الصناعات ، وجعل فيها حماما وبركة يطلع منها الشاذروان[3] ، وأجرى الأنهار حولها. وكانت البساتين حافة بها ، فيها صنوف الأشجار وأنواع الرياحين والأزهار ، فأخرب بعض هذه الدار الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام ،

---

(١) تاريخ بنى طاهر ، كتبه وجيه الدين عبد الرحمن بن على الديبع الشيبانى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ، وكتابه اسمه « قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون » ، ويشمل « كتاب الكفاية » الى آخر الدولة الرسولية ، وهو مقسم الى ثلاثة فصول ، يحتوى تاريخ بنى طاهر الى نهاية دولتهم ، وحتى فتح اليمن على يد جيوش المماليك الجراكسة زمن السلطان الغورى ·

(حسن سليمان محمود : مقدمة كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ، ص ٢٤) ·

(٢) باب السبحة من صنعاء ، يقع فى الجانب الغربى ، وتسمى هذه المنطقة السبحة ، والمتداول على الألسن الآن باب السبح بين صنعاء وبئر العزب ·

(حسين الهمدانى : وحسن سليمان محمود : الصليحيون ، ص ٢٩٢)

(٣) الشاذروان : لفظ معرب عن الفارسية ، ورد فى المراجع العربية بمعنى الزخارف والحلى والزينات المختلفة (الأزرقى : أخبار مكة ، باب صفة الشاذروان وذرع الكعبة ، ص ٢٠٩) · وقد ذكر المستشرق دوزى معانى عديدة لهذا اللفظ ، لعل أقربها الى المقصود من النص الوارد هنا هو أن الشاذروان تركيبة من الزجاج أو المعدن ، توضع وسط نافورة فى فسقية أو بركة ، فاذا أخرج الماء من النافورة وسقط على الأجزاء الزجاجية أو المعدنية أحدث صوتا يجذب الأسماع ·

(Dozy : Supp. Dict. Ar.)

ونقل بعض أبوابها وأخشابها إلى ظَفَار ؛ هكذا حكاه رواة الأخبار[1] .

ثم إن السلطان طُغتكين سار بنفسه إلى حضرموت ، فدخله واستولى على حصونه كشِبام وتَريم[2] . ثم رجع إلى تعز ، وجعل إلى ولده المعز اسماعيل بن طغتكين ولاية كوكبان وبلاد الظاهر ، فساءت سيرة أصحابه فى تلك البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، فاجتمعت قبائل حاشد وبَكِيل من أقاصى بلادهم ، وباشروا أصحاب السلطان بالحرب فى أثافت والمَصنَعة ، فقتلوا منهم نحو سبعمائة نفر ، وعقروا خيلهم ، وانتهبوا مافى أيديهم . واجتمعت القبائل القريبة من ثُلاَ على مَنْ فيه من أصحاب السلطان ، فأخرجوهم ، واستولوا على ما معهم من الخيل وغيرها . فجهز السلطان طُغتكين العساكر إلى بلاد الظاهر مع قائد من قواده ، فلما وصل رَيْدة بذل للمشايخ مالاً ، ثم نهض إلى عجيب ، فلقته جموع الأشراف آل حمزة وأهل الظاهر ، وقبائل حاشد وبَكِيل ، مع الإمام المنصور بالله . ووقع الحرب فانهزمت القبائل ، وثبت الامام والأشراف ثباتا حسنا ، حتى قتل ممن ثبت معهم نحو مائتى نفر بين يدى الأمام . ولم يبرح الامام عليه السلام من موقفه حتى دقة أخوه الأمير عماد الدين فى صدره بأسفل الرمح .

ودخلت سنة — ٥٨٨ —

لم يتفق سوى ما تقدم ذكره .

ودخلت سنة — ٥٨٩ —

فيها مات السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى ، رحمه

---

(١) أجمع الكتاب والمؤرخون المعاصرون على عظمة شخصية سيف الاسلام طغتكين، واشادوا بأعماله فى اليمن. وقد وصفه بامخرمة بأنه كان «ملكا شهما شجاعا اديبا لبيبا عاقلا أريبا حازما عازما .. فقيها له مقروءات ومسموعات .. وهو الذى قرر قواعد الملك باليمن ، وضرب الضرائب السلطانية ، وقنن القوانين » .
(تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٠١ ـ ١٠٣)

(٢) تريم : احدى مدينتى حضرموت ، لان حضرموت اسم للاقليم بجملته ، ومدينتاها شبام وتريم . (ياقوت : معجم البلدان) .

الله تعالى . وكانت وفاته فى دمشق ، فقام بعده فيها ولده على ، واستولى ولده الظاهر على حلب ، وولده العزيز على مصر . وأما أخوه الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، فإنه كان غائبا فى الكرك مع موت أخيه .

ودخلت سنة — ٥٩٠ —

لم يتفق فيها — ولا فى السنتين بعدها — ما يحسن ذكره .

ودخلت سنة — ٥٩٣ —

فيها مات السلطان طُغتكين بن أيوب فى مدينة المنصورة ، ودفن أولا فى حصن تعز ، ثم نقله ولده المعز إلى المدرسة المعروفة بالسيفية فى تعز . وكان فى موضعها دار الأتابك سنقر ، فاشتراها المعز وجعل فى موضعها المدرسة المذكورة ، ووقف عليها وادى الضباب ، ورتب فيها سبعة من القراء[1] .

قال الجَندى والخزرجى إن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب لما استولى على اليمن وأطاعه أهله ،دعته نفسه إلى شراء أرضهم حيث كانت ، فندب المثمنين إلى سائر البلاد بأسرها ، وأمرهم أن يثمنوها ، وأراد أن تكون أرض اليمن كلها للديوان ، ويكون من أراد حرث شىء منها وصل إلى أهل الديوان ، فاستأجر منهم ، كما هو فى ديار مصر وغيرها من أرض الخراج . فشق ذلك على أهل اليمن غاية المشقة ، فأجمع جماعة من الصالحين ، واتفق رأيهم على أنهم يدخلون مسجداً ولا يخرجون منه حتى تُقضى الحاجة . فدخلوا المسجد ، فأقاموا به ثلاثاً صياماً بالنهار وقياما بالليل . فلما كان اليوم الثالث أو الرابع ، خرج أحدهم فى السحر ونادى بصوت عال ؛ وقال : « يا سلطان

(١) واضح من النص أن الذى أقام المدرسة السيفية ـ نسبة الى سيف الدين طغتكين هو ابنه الملك المعز اسماعيل . ويقـــول بامخرمة انه لما مات طغتكين اخفى موته ، الى أن طلعوا به حصـــن تعز ، فقبر فى الحصـــن . ولكن ابنه المعز اسماعيل لم تطب نفسه بطلوع القراء الى الحصن ، فاشترى دار سنقر الأتابك وجعلها مدرسة ونقل والده اليها . (بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ص ١٠٤)

السماء أكف المسلمين سلطان الأرض » : فقال له أصحابه « قليلا قليلا » ، فقال « قد قضت الحاجة ، وحق المعبود » ، قالوا : « وكيف ذلك ؟ » قال « سمعت قارئا يقرأ (قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ[1]) . ويقال إن أحد الجماعة خرج فى اليوم الثالث فذكر الله تعالى ، وقال لأصحابه : « أبشروا فقد قضيت الحاجة » قالوا : « بم علمت ؟ » قال « رأيت السلطان سيف الإسلام بارزا وسهاما تأتيه من نواح شتى ، فأصابه شىء منها ، فوقع ميتا فلا تشكوا فى موته » . فلما كان وقت الظهر من ذلك اليوم — وهو يوم الأربعاء السادس والعشرون من شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة — توفى ؛ وقد شرع المثمنون فى تثمين الأراضى ، فبطل ذلك الأمر كله . ولم يعتمد أحد من الملوك قبله ولا بعده ذلك الأمر . ويقال إنه لما أحسّ بالموت جعل يتقلقل ويقول [مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه[2]] . وكان ملكه أربع عشرة سنة وأربعة وعشرين يوما ، ويقال إنه مات مسموما . انتهى كلام المؤرخين بأكثر لفظه .

وقام بعده ولده الملك المعز إسماعيل بن طُغتكين[3] ، فولى اليمن جميعا بعد أن كان قد خرج من تعز مغاضبا لأبيه ، لما أنكر عليه الميل إلى مذهب العبيدية الباطنية ، فأراد التوجه إلى مصر واللحوق بأعمامه بنى أيوب . فلما وصل حَرَض أدركته الرسل

---

(١) سورة يوسف ، آية ٤١

(٢) سورة الحاقة ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) هو الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، كان أكبر أولاد أبيه سيف الاسلام ، وكان يعول فى كثير من الأمور عليه ، فظهر لأبيه منه الخروج عن مذهب السنة ، فطرده وخرج مغاضبا لأبيه يريد بغداد ، فتوفى أبوه عقب خروجه ، فبعث اليه أعيان الدولة فرجع الى اليمن ، ودخل زبيد فى ١٩ ذى القعدة سنة ٥٩٣ هـ ، وقد قويت به الاسماعيلية فى اليمن ، وكان فارسا شجاعا شهما جوادا على الشعراء وأهل اللهو ، ولكنه كان سفاكا للدماء سريع البطش شديد العقوبة . يروى انه حدث له خلط فى عقله ، فولع بذبح بنى آدم واكلهم . وطال ظلمه للرعية الى أن قتل سنة ٥٩٨ هـ

(با مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ص ١٩ — ٢٠) .

من أعيان أبيه، فأخبروه بوفاته، وحرضوه على العود لضبط أمر اليمن، فرجع من حَرَض بعد أن قتل الناظر فيه — وهو القاضى الأسعد — واستصفى أمواله، وسبى جاريته فحظيت عنده. والسبب أن الناظر المذكور لم يكرمه عند وصوله، فحقد عليه.

وفى هذه السنة جدّد الإمام المنصور بالله الدعوة، وأخذ البيعة من أعيان علماء الهدوية. وكان أول من أجابه وأعانه السلطان على بن حاتم، وبعث أخاه بشر بن حاتم إلى حضرة الإمام فى هجرة معين، من أعمال صعدة.

وفى هذه الأيام شرى السلطان على بن حاتم كوكبان وبُكُر[1] والظُّفْر من عمال طُغتكين بن أيوب.

وفيها نهض الإمام المنصور بالله إلى ثلا، فوفدت إليه العرب من كل جهة، وبعث الأمير محمد بن المفضل والأمير محمد بن على بعسكر إلى جهة حضور، فلما علم بهم الغُز خرجوا من صنعاء، فأحاطوا بهم، وقتلوا الأمير محمد بن على، رحمه الله تعالى.

ودخلت سنة — ٥٩٤ —

فى المحرم منها نهض الملك المعز إلى صنعاء، فقتل الأمير الهمام نائب أبيه على صنعاء، وجعل فى عهدته الشهاب الجزرى. وكتب إلى السلطان على بن حاتم يستميله إلى طاعته، وأنه سيعطيه صنعاء، وحلف له بذلك يمينا، فبعث إليه على بن حاتم أخاه بشر ابن حاتم وولده عمر بن على. فلما وصلا أمسكهما وخرج إلى الحقل[2] ونكث عهده، فثبت على بن حاتم على موالاة الإمام المنصور بالله عليه السلام.

---

(١) بكر: بضمتين « من مشهور قلاع صنعاء، وبالقرب منها قلعة يقال لها ظفر، وهما أبعد قلاع صنعاء عنها ».
(ياقوت معجم البلدان).

(٢) الحقل: مخلاف باليمن، يقال له حقل ميران
(ياقوت: معجم البلدان).

وفى هذه السنة سار المعز والأمير حكوا بن محمد الكردى لمحاربة الإمام ، فوقع بينهما وبينه قتال ، ثبت فيه الأمير حكوا ، وكان شجاعا مقداما . ورجع المعز إلى صنعاء ، ثم سار منها إلى ذى جِبْلَة ، فأخرب فيها دار العز التى بناها المكرم الصليحى .

وفيها سار الإمام إلى صَعْدة ، وبعث عماله إلى البلاد الداخلة تحت طاعته ، وخرج إلى بَرَط ، ثم إلى بلاد الظاهر ، ووصل إليه قوم من حَجَّة يقال لهم بنو بطاين[1] يشكون إليه من بنى برام . وكانت بينهم فتن وحروب ، فبعث الإمام معهم أخاه الأمير عماد الدين بن يحيى بن حمزة . وأما بنو برام فقصدوا الأمير يحيى بن الإمام أحمد ابن سليمان وهو فى صَعْدة ، فاستجاروا به فأجارهم ، وسار معهم فى جُند من خَوْلان ، والتقى بالأمير يحيى بن حمزة ، فاحتربا ، وحصلت بعد هذا معاتَبة من الإمام لولد الإمام على ما فعل .

وفيها وقع فساد من أهل يام ودهمة وبنى الحرث من نجران ، وقتلوا رجلا من وادعة قاصداً الأمير يحيى بن حمزة ، وهو يومئذ عامل عليها ؛ فخرج الأمير يحيى بن حمزة إلى أسفل الوادى ، فظفر بستة رجال منهم ، وسار بهم إلى صَعْدة ، فلم يبرحوا تحت الحفظ حتى وصل زعيمهم وكفل بما ذهب .

ولما استقرت أمور الإمام فى جهات صَعْدة ، رجع إلى الجوْف ، فمكث فى مَعِين ثم فى بَرَاقش[2] ، ووردت إليه كتب الأشراف والسلاطين فى كل جهة يطلبون منه الوصول كل منهم إلى جهته ، لما يرجونه من الفرج على يديه مما هم فيه من سوء معاملة الدولة الأيوبية لهم . وجعل إليه القاضى على بن نشوان قصيدة يحرِّضه فيها على النهوض ،

---

(١) بنو بطين ، بطن من أحمد ، من بنى نمير ، من حكيم ، من علاق ، من سليم ، من العدنانية . (تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٢) .

(٢) براقش : « براقش ومعين حصنان باليمن » .
(ياقوت : معجم البلدان) .

فخرج من الجوف إلى أثافت ، ثم نهض إلى بنى شاور ، ومنه إلى بني قطيل[1] ووصل إليه جماعة من الأمراء من جهات كثيرة ، بجيوش عظيمة ، وخطب الإمام بالناس خطبة بليغة ، حثهم فيها على الطاعة والقيام بواجب الجهاد . ثم نهض إلى مُدع وامتدحه القاضى على بن سليمان الجندرة بقصيدة محبّرة . وسار إلى كوكبان ، فلقاه الأمير عمر ابن على بن حاتم ، ومشى بين يديه حتى دخل الحصن . ثم انتقل إلى شبام ، لما كثرت الوفود إليه .

وأمر جماعة من أصحابه بالخروج ليلا إلى حصن الظّفْر ، فكمنوا خارج الحصن حتى أمكنهم الدخول ، ثم دخلوا واستولوا على القلعة السفلى ، وقتلوا فيها رجلين ، وامتنع الباقون فى القلعة العليا ، فخرج إليهم الإمام والأمير عمر بن على ، ووقع القتال بينهم . وبلغ الخبر إلى عامل المعز فى صنعاء فخلفهم بخيله ورجله على شبام ، فوجد الأمير عمر بن على قد رتّبها ترتيباً محكما ، ورأى من قوة مَنْ فى شبام بسبب الإمام مالم يكن يعهده فى ماضى الأيام ، فرجع إلى صنعاء .

ثم أجمع رأى السلاطين والأمراء على قصد حَضُور ، فأسعدهم الإمام ، وجعل قائدهم الأمير الشريف محمد بن المفضل والأمير بشر بن حاتم ، ووصل إليهم الأمير الحسن بن على ابن داود الناعمى من المغرب بأصحابه ، وسار الجميع إلى حَضُور بعد أن أخربوا محلات كان يأوى إليها عسكر الغُز ، وهى قصبة محْيَب[2] ودرب ظلمان . ثم نهضوا إلى بيت خَوْلان ، فخرج إليهم الغُز من صنعاء مع الشهاب الجزرى وسيف الدين حكوا بن محمد حتى وقفوا فى مَتْنَة ، فانهزم عسكر الأمراء أصحاب الإمام ، بعد أن قتل جماعة . وتفرق

---

(١) بنو قطيل بن شاور : بطن من حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عرب ابن جشم بن حاشد ، من همدان ، من القحطانية .
(الهمدانى : الاكليل ج ١٠ ص ١٠٢ ، كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٣ ص ٩٦٢)

(٢) محيب : موضع فى وادى الخارد ، أحد أودية الجوف باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)

الناس ، وعاد الغز إلى قرية بيت خَوْلان ، فانتهبوا ما بها ، وقتلوا من أهلها رجلين .

وفى هذه السنة وقع نـكث من أهل درب ظالم فى الجوف الأعلى ، ووثبوا على سوق دعام ، وأخربوا بعض الدروب . ووقع فساد أيضاً فى راحة بنى شريف[1] والطرَف[2] ، فتصدهم الأمير إبراهيم بن حمزة من صَعْدة ، ونهض الأمير يحي بن حمزة إلى بلاد خولان لاصلاح خلالها ، وسكنت هذه الفتنة فى الجوف وجهات صعدة ، عن قريب .

وفيها ابتدأت الوحشة فيما بين الشهاب الجزرى والأمير حكوا بن محمد الـكردى ، وكان الجزرى يقدم حكوا فى كثير من الحروب ، فلما تنافسا وفسد ما بينهما كتب حكوا إلى الإمام على جهة الـكتمان ، يخبره بما يريده من موالاته ومباينة الغُز . فأجابه الإمام بما يشفى الأوام ، وبعث إليه الشريف على بن موسى العباسى . وقد كان الأمير حكوا انتقل إلى مغارب ذمَار عن أمر الجزرى ، فاجتمع به الشريف العباسى هنالك ، وأخذ عليه البيعة الإمام ، وسار الأمير حكوا إلى ذمَار .

ولما بلغ الملك المعز مَيْل حكوا إلى جانب الإمام ، أرسل طائفة من جنده للقبض على حكوا حيث كان ، فوافوه فى ذِمار ، فأنصنهم وأظهر لهم أنه قاصد نائب مخدومه المعز ، فصدقوه وأظهروا له المجاملة . وسار الجميع إلى الحتْل ، فباتوا فيه ، فانسلّ عنهم حكوا وخاصته راجعاً إلى كِنَن[3] وأمر الإمام أهل سنْحان بلقائه ففعلوا : وسار حكوا بمن معه إلى حصن لاحج[4] فاستولى عليه وغنم ما فيه وقتل جماعة من رتبته ثم أخربه . وسار

---

(١) بنو شريف : بطن من جنب ، من قحطان نجد ، منهم بنو هاجر .
(قلب جزيرة العرب ، ص ١٨٩) .

(٢) الطرف : موضع فى مخلاف شبام باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧) .

(٣) كنن : بكسر أوله وفتح ثانيه ، جبل باليمن من بلاد خولان .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) لاحج : من قرى صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

إلى محل يقال له برتان[1] من بلاد نهد[2] فنهبه ، وقتل جماعة ممن فيه .

وفى أثناء ذلك أرسل المعز إلى الشهاب الجزرى عامل صنعاء بخزانة عظيمة ، وصحب رسله بالخزانة جماعة من المسافرين ، معهم بضاعة كبيرة ، فاعترضهم حكوا واستولى على جميع ما معهم . وكان الجزرى قد بعث جماعة يحمون الخزانة ، فأوقع بهم حكوا وأسر بعض المماليك . وأمر الإمام عامله على مَذْحج — وهو الأمير أبو الفتح بن محمد — أن يمد حكوا بشىء من المال . فزادت محبة حكوا للإمام ، وسار إلى حضرته بشِبَام بعد أن مَرّ إلى ذى مَرْمَر ، وفيه السلطان على بن حاتم . فمكث عنده أياماً يغير على البلاد الموالية للغز ، ثم ترك أثقاله فى ذى مَرْمَر وسار إلى الإمام ، فقابله بالإكرام وأخذ الذى عليه وعلى أصحابه .

وطلب حكوا من الإمام أن يقدمه على الأجناد ففعل ، وأمر الجند بالركوب معه ، وحمل الغاشية بين يديه ، ورفع منزلته . ثم جهزه إلى الجنات[3] لمناصرة من فيها من الغز ، وأمر الأمير عمر بن على بن حاتم بالمسير معه . وكتب إلى الأمير محمد بن إبراهيم بلقام من جهة المشرق بحاشد وبَكِيل والظاهر ، فلما علم بهم من فى الجنات ارتفعوا إلى صنعاء ؛ فتقدم حكوا إلى ريعان قاصداً لمحاصرة صنعاء .

وفى هذه المدة أصلح الإمام مواضع الخلل فى سور شِبَام ، وتسلم حصن ثلا من بنى الضريوة طوعاً .

---

(١) برتان : هضبتان فى ديار بنى سليم ، وقيل جبلان بالنطلى وهى أرض لبنى أبى بكر بن كلاب ، وقيل غير ذلك .

(٢) بنو نهد من قضاعة ، سكنوا اليمن جوار خثعم ، والعامة تسميهم السرو ، لأن بلادهم من السروات ، والسروات بين تهامة والجبال ونجد من اليمن والحجاز (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٥٥)

(٣) الجنات : موضع فى بلد همدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١) .

وفيها وصل الملك المعز من اليمن الأسفل إلى صنعاء ، وهمَّ بالمسير إلى شِبَام لمحاربة الإمام ، فخالف عليه شمس الخواص ، وخرج إلى عُصْر[1] فى ستمائة نفر ، مابين فارس وراجل ، وهم معظم جند المعز . والسبب فى ذلك أنه بلغ شمس الخواص أن المعز يريد أن يقتله بالسم ، فخافه ، وهذا من العنايات الربانية للإمام عليه السلام . ورجع المعز إلى اليمن الأسفل ، فأرسل شمس الخواص إلى الإمام أنه يلقاه فى عُصر . فكثر الإرجاف على الإمام من أصحابه خَشْيَةَ أن تكون مكيدةً من القوم ، فلم يلتفت الإمام إلى قولهم ، وخرج متوكلا على الله تعالى حتى وافى شمس الخواص فى عُصْر ، ثم نهض إلى صنعاء ، وفيها جنود المعز إلى سبعمائة فارس . ففتح أهل صنعاء للإمام فدخلها فى سبعة أفراس ، وبقية قومه خارج صنعاء ، فقصد المسجد الجامع .

ولما علمت به الغُز أحاطت به ، فلبث فى الجامع إلى المغرب ، ثم أذّن المؤذن بحىّ على خير العمل ، وصلى الإمام ، وقعد ينتظر الفرج من الله تعالى ، وأمر أخاه أن يشرف عليهم فآذوه وسبّوه ، فأشرف عليهم الإمام من ذلك الموضع ، فلم ينطق أحدهم بكلمة ، وهذه من كرامات الإمام عليه السلام . ثم إن أهل صنعاء أخرجوا الإمام من الجامع فى جملتهم ووقاه الله شر الأعداء ، حتى دخل بعض دور صنعاء ، فلبث فيها هنة من تلك الليلة . ثم خرج بمن عنده إلى أحد أبواب صنعاء ، فوجده محفوظاً بالحرس الكثير . وخاف عليه أهل صنعاء لشدة محبتهم له ، فرأوا إبقاءه فى دار رجل لاتعرفه الغز ، واعتنى أهل صنعاء فى تخذيل الغُز واستمالتهم ، فلم يصبح الصباح حتى انتظم لهم مايريدونه ، وفتحت الأبواب لجند الإمام ، وبايعه الخاص والعام ، والحمد لله رب العالمين .

وأما شمس الخواص فإنه استأذن الإمام بالمسير إلى زُبيدْ فأذن له ، فلما وصل زبيد ظفر به المعز فسجنه فى دهلك ، حتى مات فيه .

---

(١) عصر : بضم اوله وسكون ثانيه ، موضع قرب صنعاء .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ص ٣٤) .

فيها وقع اختلال فى جهة نجران ، وفتن وحروب بين بنى الحرث ويام وشاكر ، قتل فيها من الأعيان على بن المحسن ورجلين من آل عباد[١] ؛ فخرج عليهم عامل صَعْدَةَ فى ثمانين فارساً وسبعمائة راجل ، فانهزم أهل الفساد فى أول ذلك اليوم ، وتفرق أصحاب الأمير للانتهاب وقبض الأسلاب ، فعطف عليهم العدو ، فقُتل أميرهم فى سبعين رجلا من أصحابه .

ولما بلغ خبرهم إلى الإمام ، اغتم لذلك ، وهمَّ بالنهوض عليهم بنفسه ، فعاقته عوائق وأشغال من الجهة اليمانية ، فكتب إلى الجوْف وصَعْدة وإلى خَوْلان ، يأمرهم بحرب أهل الفساد فى تلك البلاد ، فاجتمع ممن كتب إليهم أربعة آلاف نفر ، ونهضوا إلى بلاد يام ، فتعلق أهلها بالجبال ، فأخرب المجاهدون دروباً كثيرة ثم ساروا إلى نجران ، فأذعن أهلها بالطاعة ، وسلموا معونة للإمام .

وفى هذه الأيام سار الإمام إلى ذِمَار ، فدخلها عنوة بعد حرب شديدة ، وقتل من الفريقين نحو سبعين رجلا ، وأسر الإمام جماعة ممن فى ذِمَار ، واستولى على الخزانة التى فيها ، وامتدحه الفقيه على بن سليمان المطرفى[٢] بقصيدة رائعة ، هنأه فيها بفتح ذِمَار .

وفى خلال ذلك خالف الشهاب الجزرى على الإمام ، وقصد صنعاء ، فمنعه أهلها ومن فيها من أصحاب الإمام عن دخولها ، فتوجه لمحاربة حصن بِرَاش ، فلم يظفر بشىء ،

---

(١) آل عباد بطن من بنى لخم من القحطانية ، كان منهم ملوك اشبيلية بالاندلس (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٥٦ ، كحالة معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٧١٩)

(٢) مطرفى ومطرفية — أنظر الشرح بعد ذلك فى حوادث سنة ٥٩٩ هـ .

فرجع إلى بلاد سِنحان . وبلغ الإمام الخبر ، فنهض مبادراً من ذِمَار إلى صنعاء وأُتى إليه بالجزرى أسيراً خاضعاً ، فأودعه وأصحابه السجن ، ثم نقلهم إلى فدة .

وفى هذه السنة خالف الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان فى حصن مبين[1] من بلاد حَجّة ، فجهز إليه الإمام أخاه الأمير يحيى بن حمزة فى أربعة آلاف نفر ، فوقع بينهما حرب شديدة . ولم يتهيأ لأصحاب الأمير عماد الدين فتح مُبين لمنعته .

وفيها أيضاً نهض الملك المعز من اليمن الأسفل بجموع يشق حصرها ، فلقاه الأمير حكوا بن محمد بأمر الإمام إلى الحقل ، قريبا من نقيل صَيْد ، ووقع هنالك الحرب العظيمة ، والخطبُ الجسيم ، حتى انكشفت المعركة عن قتل الأمير حكوا ، وانتهبت محطته ، وانهزم أصحابه إلى ذِمَار . وكان الإمام قد نهض من صنعاء مُمداً الحكوى ، فلما وصل جَهْران ، بلغه قتل حكوا وهزيمة أصحابه ، فرأى العود إلى شِبَام ، أولى من البقاء فى صنعاء .

وأقبل الملك المعز إلى صنعاء فدخلها ، واستعمل عليها الشهاب الجزرى بعد خروجه من سجن الامام ، وتوجه الامام من شِبَام إلى جهة الظاهر ، فأقام فى أثافت ، وأنفذ دعوته إلى الحجاز ، فأقيمت له الخطبة فى ينبع وخيبر ، ووصلت إليه الحقوق من تلك الجهة . وبعث دعاة إلى الَحيْل[2] والديلم[3] ، فتلقاهم أكثر أهلها ، وأقاموا له الخطبة .

وفى أيام إقامته فى أثافت ، بلغه نهوض الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان إلى جهة الظاهر ، وقد كان الإمام أرسل إليه الشريف الحسن بن ابراهيم الحمزى يدعوه

---

(١) مبين : بضم أوله ، من حصون حجة .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٦٠ ، ١٥٧)

(٢) الحيل : بفتح الحاء وسكون الياء ، موضع بين المدينة وخيبر
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) الديلم : ماء فى أرض اليمامة .
(ياقوت : معجم البلدان) .

إلى الدخول فى الطاعة وجمع الكلمة ، وأرسل له بحصان ، فقبضه ووعد باللقاء فى يوم معلوم . فأمر الإمام جماعة من وادعة[1] وبنى صريم ، يأتونه فى ذلك اليوم المعيّن ، فحصل الاختلاف من الأمير يحيى وأرجع الحصان ، وأظهر الخلاف وهم بالمسير إلى الغز . فأمر الامام أخاه يحيى بن حمزة وجماعة من الأشراف أن يلقوه ، ففعلوا ، وبالغوا فى استمالته ، وبذلوا له ما يرضيه من الامام فأجابهم ، وسار إلى حظوة الإمام ، فتلقاه بالاجلال والاكرام ، وأجابه إلى ما طلب من توليته صَعْدة وأعمالها والهَجَر ، وأعطاه حصانا جواداً ، وجدّد عليه البيعة ، وأخذ عليه المواثيق الأكيدة . وأقام عند الامام فى أثافت بعض أيام .

ثم سار [يحيى] إلى بيت مساك[2] ، ودعا إلى الخلاف ، وجنح إلى الشقاق ، فقصد محطة الغزفى الجنات . ثم سار إلى صنعاء فلقاه الشهاب الجزرى إلى خارج المدينة ، واستبشر بقدومه وأعانه بشر بن حاتم ، مُعارضة للإمام . ثم رجع الأمير يحيى يريد صَعْدة ، ولما وصل قاعة[3] دعا الناس إلى موالاة الملك المعز ، فأجابه من أجاب طوعا وكرها ، وكتب إلى الإمام وسبّه سبّا فاحشاً . ثم نهض إلى هجرة الهرائم ، فاستقر فيه . ونهض الأمير يحيى بن حمزة من حلملم إلى العرة القريبة من الهَجر . ووقع بينه وبين الأمير يحيى بن أحمد حرب انهزم [فيها] أصحاب الأمير يحيى بن أحمد ، وأسر منهم جماعة .

وأمر الامام بالغارة مدداً لأخيه ، ثم نهض الامام فى الأثر فحصر الهَجَر من جميع جوانبه حتى دخله أصحاب الامام قهرا بالسيف ، وقتلوا جماعة ، منهم الأمير عمر بن قاسم ابن محفوظ ، وكان من أعوان الغز ، وأسروا الأمير يحيى بن أحمد ، فأمر الامام بحفظه ،

(١) وادعة : حى من اليمن .
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ص ١١٤)
(٢) مساك : من قرى الجوف فى وادى الخارد
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)
(٣) قاعة : من مصانع وادى الخارد بالجوف .
(المرجع السابق نفس الصفحة) .

ووكل به جماعة . وأقام الامام فى تلك الجهة حتى أخربت البلد ، ثم رجع إلى أثافت . وأودع الأمير يحيى السجن فى بعض الدور ، ولم يضيّق عليه . فشرع الأمير يحيى فى أعمال حيلة يتخلص بها من السجن ، فجعل فى طعام الموكلين بحفظه شيئا من البنج[1] ، وكان عندهم الشيخ مرحب بن سليمان السهلى ، فعرف الحيلة فلم يأكل من الطعام إلاّ اليسير ، فلم يتغير حاله . وكان الأمير يحيى قد عامل جماعة من أهل تلك الدار على أن يخرجوه ، فأرسل مرحب إلى الامام يخبره بما اتفق من الأمير يحيى ، فبعث إليه الامام من يحفظه ، وبطل على الأمير يحيى ما دبره ، ولم يلبث أن مات عقب ذلك .

ثم نهض الامام إلى الُخموس من بلاد الأهنوم ، وسار منه لمحاربة أهل المطرح لما امتنعوا عن تسليم الواجبات . ولما بلغهم وصول الامام تعلقوا بالجبال ، فاستولى على محلهم ، وأقام فيه حتى أصاب أصحابه مرض هنالك ، فانتقل إلى حوْث ، وأراد الغزو منه إلى نجران ، فبلغه أن الشهاب الجزرى قد خرج إلى بيت الجالد فى خمسمائة فارس يريد الظاهر ، ومعه بشر بن حاتم . فرجع الامام إلى أثافت واستنفر القبائل ، فرجع الجزرى إلى صنعاء . وأقبل الإمام على تجهيز العساكر إلى نجران مع الأميرين يحيى ابن حمزة ومحمد بن ابراهيم . فلما بلغ أهل نجران مسير العساكر إليهم ، تحولوا عن محلاتهم حتى ورد العسكر الامامى ، وأقبل إليهم أهل الوادى مذعنين بالطاعة .

ودخلت سنة — ٥٩٦ —

فيها سار الامام المنصور بالله إلى صَعْدة ، فأقام فيها مدة يسيرة ثم عاد إلى الجوْف ، وطلب أهل مأرب وبيحان إلى بَرَاقش[2] ، فوصل إليه السلطان جحاف بن حميدان فى خمسين فارسا من بنى منبه[3] ، [ووصل[4]]عمران بن فليتة بأصحابه . ووصل إلى الامام

---

(١) البنج : بفتح الباء . نبات مخدر . (المعجم الوسيط)

(٢) براقش : من بلد همدان (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٥٩)

(٣) بنو منبه ، بطن من سعد العشيرة ، من القحطانية .
(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٤٢٦)

(٤) ما بين الحاصرتين من كتاب أنباء الزمن ص ٦٠ .

كتاب من السلطان عبد الله بن راشد بن شجيعة صاحب حضرموت ، منبها للإمام بما فتح الله له من البلاد ، ومتعرضا لخدمته ، وفى صدر الكتاب ما مثاله :

الآن قرّت على الأساس أركان وطال للدين والإسلام بنيان

ولما وصل إلى الإمام من ذكر من السلاطين حثهم على الصلح ، واجتماع الكلمة وترك الاختلاف .

وفى هذه المدة سار بشر بن حاتم إلى الملك المعز بإشارة من الشهاب الجزرى ، فلما وصل إليه تبعه الجزرى بنفسه ، فأغرى به المعز حتى قبض عليه ، وأودعه السجن بحصن التَعْكر .

وفيها نهض الامام إلى شُوابَة(١) ، وطلب الناس فأقبلوا إليه من كل وجه ، فسار بهم إلى الجنات . وخرج إليه أهلها يطلبون منه الأمان ، فاستقر الخطاب على خراب السور وبعض الدور ، ودفن الخندق ، وتسليم ثلاثة آلاف صلحا ، عمّا ألزمهم من الحقوق . وقبض الامام رهائنهم ، ثم نهض إلى حلملم ووصل إليه أهل المغارب ، ومن الجهة الصَعْدية القضاة آل نشوان فى عسكر من حِيدان والأداهم(٢) ، وبنى ذؤيب ، وأهل شعب(٣) حى ، زهاء سبعمائة فارس . فأمرهم الامام بالمسير إلى بنى عشب وميتَك ونهض فى أثرهم . ثم تقدم إلى بلاد حَجّة ودخل حصن مُبين ، وتفرق عسكره فى بلاد حجة لقبض الحقوق الواجبة ، وأمر بنى بطين وبنى برام بالحضور لفصل ما شجر بينهم فى أمر مُبين ، وجعل الحكم بينهم إلى القاضى محمد بن نشوان ، فحكم لبنى بطين .

---

(١) شوابة بليدة على طرف وادى صروان من ناحية الجنوب بينها وبين صنعاء أربعة أميال . (ياقوت معجم البلدان) .

(٢) الأداهم : جمع أدهم ، اسم موضع .
(ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٨٠)

(٣) شعب حى اسم موضع فى سراة خولان من جبل السراة باليمن .
(الهمدانى صفة جزيرة العرب ص ٦٩)

وفى هذه المدة نهض الملك المعز من اليمن الأسفل إلى صنعاء فى ألف فارس وعدد كثير ، بعد أن قرر أمور الرتب فى تهامة من زبيد إلى حَرَض وجعل طريقه على بَكِيل[1] فأخرب فيه هجرة الجُبْجُب — وهدم مساجدها . ولما وصل صنعاء أقام فيها أياما ، ثم سار إلى أثافت فدخلها بعد أن أخلى عنها أهلها ، فبالغ فى عودهم فامتنعوا خوفا من الامام ، فأخرب تلك القرية . ومازالت الغارات عليه من أهل الظاهر ، والنهب لأطراف محطته ، فنهض إلى إحراق كوكبان ، وفيه عمر بن على بن حاتم فى عسكر من حمير وغيرهم ، فانهزموا من شِبَام ، ومن محلات كانوا فيها حول كوكبان ، فدخل أصحاب المعز إلى شِبَام ، وأخربوا فيها دورا ، وجعلوا جامعها إصطبلا .

وارتفع المعز إلى حرب كوكبان ، ونصب عليه المنجنيقات ، واتخذ زحافة من أخشاب مدينة شبام وأبواب مساجدها . وثبت الحصار على كوكبان ، وكان الإمام باقيا فى حَجَّة فاضطربت عساكره خوفا من الغز ، ونفر عنه أكثرهم ، فنهض إلى الظاهر ثم استقر فى حُوث ومعه جماعة من بنى حاتم بن أحمد . فبعث أخاه الأمير يحيى بن حمزة إلى ثلا .

ثم إن بنى حاتم أشاروا على الإمام بالتجهيز إلى صنعاء ، ويكون مأوى محطته ذى مَرْمر ، ليشتغل المعز عن كوكبان ويستتب الأمر عليه . فبعث الإمام إلى ذى مرمر الأمير الحسن بن حمزة وعسكر كثير ، فما زال يكرر الغارات على صنعاء حتى وصل أوائل قومه إلى قرب باب شَعُوب ؛ وحاربهم مَنْ فى صنعاء ، فأووا إلى ذى مرمر ، وأقبل عليهم أهل الرحبة[2] بما عندهم من الواجبات ، ومال أهل سِنحان إلى الإمام ، فقطعوا

(١) بكيل : وادى وجبل بسراة المصانع من جبل السراة باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٦٨ ، ٧٢)

(٢) رحبة صنعاء ، بفتح الراء ، سميت باسم صاحبها الرحبة بن الغوث بن أسعد بن عوف بن حمير .
كذلك ذكر ياقوت أن رحبة بضم الراء ، قرية قريبة من صنعاء اليمن على مسيرة ستة أيام منها . (معجم البلدان) .

على الغز طريق اليمن الأسفل . واضطربت البلاد ، وانقطعت عن محطة كوكبان المواد ، وارتفعت الأسعار ، فسعى جماعة فى الصلح فيما بين الإمام والمعز ، على أن يكون كوكبان وبكر للمعز ، وهو يطلق بشر بن حاتم من السجن . ولما تقرر الصلح دخل المعز كوكبان ، ووصل بشر بن حاتم إليه ، فأكرمه وخلع عليه .

وفى أيام إقامة المعز فى كوكبان ، وصل إليه الشريف على بن يحيى بن الحسين بن الهادى ، مبايناً للإمام المنصور بالله ، وكفل للمعز بأخذ الجهة الشامية ، وسار إليها ، فحصل بسببه خلاف فى نجران . فاستدعى الإمام أخاه الأمير يحيى بن حمزة من بلاد الطرف وبنى شاور ، فورد عليه وهو فى حوث ، فوجه معه الأمير صفى الدين ، فنهضا من فورهما ، وسارا ليلاً ونهاراً ، فلحق أصحابهما وخيلهما تعب عظيم ، حتى هجما على بدو نجران وكانوا أهل ثلثمائة بيت من الشعر ، فاستولوا على خيلهم وأسلحتهم ، وأما إبلهم فصاح بها أهلها فنفرت ومضت كالسيل المنحدر ، وكانت خمسة آلاف رأس . وتفرق أولئك البدو فى رءوس الجبال وبطون الأودية ، وهلك بعضهم فى المفاوز ، وأخذ أصحاب الأمير بعض دروبهم ، فرجعوا وطلبوا الأمان ، وانخرطوا فى سلك الطاعة بعد العصيان . ونهض الإمام عقيب ذلك إلى صَعْدَة . ولما وصل العَمَشيَّة[1] بنى فيها مسجدا ، وبالغ فى عمارته حتى شارك فى حمل بعض الأحجار على عاتقه الكريم . ولم يبرح حتى صلى فيه جماعة . ثم نهض إلى هجرة دار مَعِين[2] ، فلبث فيها مع أهله وأولاده يومين . ثم دخل صَعْدَة ، ولم يستقر فيها بل رجع مسرعا إلى محل من بلاد المغرب يسمى دوبع كان مأوى للمفسدين . فأمر الإمام بإخراب بيوتهم ، ونفى البغايا ، وإراقة الخمر ، وأقبل إليه أهل تلك الجهة مذعنين .

وفى هذه السنة سار المعز بن طغتكين إلى صَبْيا[3] فتفرق أهلها قبل أن يصل

---

(١) العمشية بفتح أوله وثانيه وكسر ثالثه وتشديد الياء ، موضع بالجوف . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٧ ، ١٠٨) .

(٢) معين : موضع بالجوف . (المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، ١٦٨) .

(٣) صبيا : بفتح أوله وسكون ثانيه ، من قرى عُشر باليمن .
(ياقوت معجم البلدان) .

إليهم ، فراسَلَهم وأمَّنهم . فلما رجعوا ضرب أعناق الرجال ، وأباح النساء لعسكره ، بعد أن أخذ منهم لنفسه مَنْ أراد ، وكذلك قُتل من أهل الضحى وما إليه خلق كثير .

ودخلت سنة — ٥٩٧ —

فيها استقر الإمام المنصور بالله فى برَاقش ، وألّف فيها حديقة الحكمة شرح السيلقية ، وهو شرح عظيم . ووصل إليه جماعة من الأشراف القاسميين ، يشكون من ولاية ولد جعفر بن القسم على بنى عبد وظليمة وحجور ، فعزله الإمام عنها . فغضب ، وكتب إلى الشهاب الجزرى . ثم سار إليه وحسّن له أخذ مواضع من بلاد الامام ، فلم يجبه الجزرى ، فرجع إلى محله .

وفى أيام إقامة الامام فى براقش جهز الأمير سليمان بن حمزة إلى مأرب وبيحان ، فوقعت بينه وبين أهل تلك الناحية حروب كانت الدائرة فيها على أهل البلاد ومن عندهم من عسكر الغز ، ثم توجه الأمير سليمان إلى جهة خوْلان وسِنحان .

وفيها نهض الامام بنفسه إلى أهل بيحان ، بعد أن كرر الكتب إليهم يأمرهم بلزوم الطاعة وإقامة الجمعة والجماعة والأذان بحىّ على خير العمل ، فلم يمتثلوا واجتمعوا للمحاربة ، ففرق الله شملهم ، وأمر الامام بقطع نخيلهم وزروعهم ، وعاد إلى براقش ظافرا . ووصل إليه القاضى أبو القاسم راشد بن شبّيب السليمانى معتذرا إليه من الطعن فى مسائله ، التى أجاب عليها الإمام بالجواب الذى وسمه « بالناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة » ، ثم أعطاه الإمام حصانا جوادا ، وبعثه برسالة إلى الأمير قتادة بن إدريس الحسنى صاحب الحجاز[1] . ثم نهض الإمام إلى حُوث فاستقر فيه مدة وتفقد أحوال بلاد

---

(١) هو الشريف أبو عزيز بن ادريس أمير مكة ، وهو السبط العاشر من ولد موسى الحسنى الهاشمى الذين كانوا من قبل يحكمون مكة فى القرن الرابع الهجرى تابعين للدولة الفاطمية . ومنذ استطاع قتادة المذكور الاستيلاء على امارة مكة ٥٩٩ هـ ، ظلت مكة بعد ذلك فى قبضة أمراء بنى قتادة حتى مجىء الوهابيين . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٦٧ ــ ٢٧٥) .

الظاهر ، وأقام فيها الحدود ، وحث الناس على إقامة الصلوات وسائر الواجبات .

وفى هذه السنة مات السلطان على بن حاتم اليامى فى حصنه ذى مرمر ، فدفن فيه .

وفيها سار الإمام إلى الذنائب[1] من بلاد حَجّة ، بعد أن وصل إليه كتاب من أخيه الأمير يحيى بن حمزة يستدعيه للوصول لإزالة ماوقع فى تلك الجهة من المعاصى والامتناع عن تسليم الواجبات . فاستولى الإمام على محلاتهم ، وأخرب مواضع الفساد ، وأصلح تلك البلاد .

وفيها نهض الشهاب الجزرى من صنعاء لمحاربة كوكبان ، وجهز العساكر إلى بلاد الظاهر ، فبلغه خلاف الأمير وردسان[2] فرجع إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٥٩٨ —

فيها وصل كتاب وردسان إلى الإمام ، يذكر خروجه من عدن ، ومباينته للغز ، ووصوله إلى مغارب ذِمار ، فأجاب عليه الإمام ، وبعث إليه بعض أصحابه . ولما بلغ الشهاب الجزرى وصول وردسان إلى الجهة المذكورة ، خرج من صنعاء إلى ألهان ومنع رسل الإمام عن النفوذ إلى وردسان ، فأمر الإمام جماعة آخرين بالنفوذ إليه ومرافقته فى الطريق . فلما وصلوا إليه وتعذر عليهم المرور من طريق صنعاء ، توجهوا جميعاً إلى ريمة ، فتلقاهم أهلها بالإكرام وبايعوا الإمام ، وأقاموا له الخطبة فى بلادهم . والسبب فى دخولهم تحت طاعة الإمام أنه حصل بين شيخ تلك الجهة وبين المعز اختلاف ، فخاف الشيخ على نفسه من المعز ، وسار مع وردسان وأصحاب الإمام إلى حضرته . وكانت طريقهم على حراز . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بلاد حَجّة ، وفيها الأمير هَكَنْدَرى من الغز ، وهو من جملة مَنْ خالف على الإمام بعد الطاعة ، فمنع وردسان ومن معه عن التوجه إلى الإمام ، فأعملوا الحيلة فى استمالة عسكره .

(١) الذنائب أو سوق الذنائب . قرية دون زبيد من أرض اليمن . (ياقوت معجم البلدان) .

(٢) تكرر هذا الاسم فى الأصل بهذه الصورة أكثر من مرة ، وفى كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى (ص ٤٣) وردسار بالراء .

وجاء الخبر بوصول المعز إلى بلاد حجة ، فنهض الجميع إلى الظهيرةومنها إلى المطرح، وسار وردسان إلى الإمام من هنالك بمن معه من أصحاب هَلَنْدَرى المباينين له ، ووقع بين الأميرين طرف قتال . ولما وصل وردسان إلى الإمام ، وهو يومئذ فى صَعْدة ، خرج الإمام للقائه ، فدخل صَعْدة دخولا معظماً ، وقابله الإمام بالإنعام . ووقع خلال ذلك فساد فى نجران ، فسار الإمام إليه ، وأصلح أموره ، ثم رجع إلى صعدة . ودخل المعز بلاد حَجَّة ، فلقاه الأمير هَلَنْدَرى ، ووالاه ، فأقطعه المعز بلاد حَرَض وخرجت بلاد حَجَّة عن يد الإمام .

وفى هذه المدة دعا المعز إلى نفسه بالخلافة ، وظهرت من أحواله السخافة ، فوردت عليه من مصر كتب أهله ، ينكرون فعله أشد الانكار ، فلم يبال بها بل تمادى على التجاهل والاضرار . وساءت سيرته وخبثت سريرته ، وقتل كبار أصحابه ، وأولع بأكل لحوم الآدميين . ولما أنكر عليه الأمير الأتابك سُنْقُر والأمير يوسف ، هم بقتلهما ، وهما من كبار الغز ، ففارقه الأتابك سُنْقر ، وخاف على نفسه من المعز فأظهر الخلاف عليه ، ومال إليه أكثر الجند ، فنهض بهم إلى المهجم فاستولى على ما فيه من الأموال ، وتردد فى تلك الجهة ، فتبعه المعز ولم يظفر به ، بل كانت الدائرة على أصحابه. فسار المعز إلى الكدراء وفيها نساؤه ، وكان لا يفارقهن فى سفر ولا حضر ، فلما وصل الكدراء سار بهن على الخيل والبغال والمحامل حتى دخل زبيد ، فى حال شديد ، وأمر بإغلاق أبواب المدينة ، فلم يبق منها إلا باب القُرْتب[1] .

ونهض الأتابك سنقر خلفه ، فدخل الكدراء واستولى على ما فيها من الطعامات وغيرها ، وأباحها للجند ، وكتب إلى الامام المنصور بالله ، ومال إليه خوفاً من المعز ، فأجابه الامام ورغّبه فى الدخول تحت طاعته . وما زالت أمور المعز مضطربة وأحواله متقلبة حتى قتل .

---

(١) القرتب : بضم أوله وسكون ثانيه ، من قرى زبيد باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

واختلف المؤرخون فى صفة قتله ، فقال بعضهم مامعناه إنه خرج يوما من زبيد راكباً على بغلة وعليه حلة طويلة الأكمام على طريقة بعض المتقدمين من ملوك الشام ، وفى يده مقرعة ، وخلفه حصان مجنون. فوثبت عليه الأكراد عند مسجد شاشة على نحو ميلين أو ثلاثة من زُبيد ، فقابلهم بالمقرعة ساعة من نهار ذلك اليوم ، ودعا بالحصان فحال دونه الأكراد ، واحتوسته خيلهم من كل جانب ، فاستل سيفه وهمّ أن يضرب به ، فانسدل عليه الكُم لطوله ، فلم يتمكن من المدافعة عن نفسه حتى قتل . وقتل معه مملوكه شرف الدين الحبشى ، واجتزوا رأسه ، ودخلوا به إلى زبيد .

وحكى بعض من كان فى زبيد أنه مرَّ على جسد المعز وهو ملقى على وجه الأرض ، والطير عاكفة عليه تأكل من مجر رأسه ، فيَالَها عبرة من أعظم العبر ، وموعظة لمن له أدنى نظر .

وذكر صاحب تاريخ بنى أيوب أن الأتابك سنقر لما تخوف من المعز سعى فى إفساد عسكره ، حتى مال إليه أكثرهم ، ثم قصد بهم المَهْجَم ، فانتهبه وانتقل إلى المدارة[1] ، وكان المعز فى الكدراء ، فانهزم منها إلى زبيد . وثارت عرب تهامة ، فجمع من بقى عنده وخرج بهم قاصداً لسنقر إلى المدارة ، وقلوب من معه مريضة منه ، فتواطئوا على قتله . فلما وصلوا إلى محل يعرف بالقوز[2] شأمى زبيد ، وقفوا فيه ، فاستراب المعز منهم ، وأمرهم بالمسير إلى العدو ، فقتلوه هنالك ، والله أعلم أى ذلك كان . ومدة ملكه خمس سنين تقريباً ، ودفن شرقى زبيد ، وعليه قبة تعرف بقبة الخليفة ، وقيل فى الدار السلطانية ، والله أعلم .

ولما قتل المعز رجع الأكراد إلى زُبيد فانتهبوها ، واضطرب أمر الغُز فى أقطار

(١) المدارة : من قرى جهران بالبون فى بلد همدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١١) .
(٢) القوز أو القور ، موضع قرب زبيد .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٤٦)

اليمن ، وأعيدت الخطبة فى زبيد وصنعاء لبنى العباس ، ورجع الأتابك سنقر إلى موالاة الملك الناصر أيوب بن طُغتكين بن أيوب ، وهو فى تعز صغير السن . والأتابك سنقر هو الذى تولى تربيته ، ولذلك قيل له الأتابك ، لأن الأتابك عندهم لقب لمن يُربى أولاد الملوك خاصة . وكان الأتابك سُنقر شجاعاً شهماً حسن السياسة ، فكاتب الأكراد واستمالهم ، وسيأتى تمام أخباره فى موضعها ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه الأيام كتب بنو حاتم بن أحمد إلى الإمام المنصور بالله ، يذكرون له اختلاف الغُز ، ويطلبون المبادرة بالنهوض واغتنام الفرصة .

وأما الشهاب الجزرى نائب صنعاء ، فإنه ضاق به الحال ، وأراد الارتفاع بنسائه وأثقاله إلى حصن براش ، فمنع عنه ، فتوجه إلى حصن عَضُدان[1] واستقر فيه . وقد كان الإمام جهز الأمير محمد بن ابراهيم والأمير وردسان إلى حَرَض ، فَبَدا له بعثهما إلى صنعاء ، وأعطى وردسان حصاناً ، وخلع عليه ، وقدمه على الجند ، ووعده بولاية صنعاء ، بعد الاستظهار على مَنْ فيها . وجعل إلى الأمير محمد بن ابراهيم قبض النصف من الحقوق الواجبة فى جميع بلاده ، وتفريق ذلك على الجند .

وفى أثناء هذا وصل كتاب إلى الإمام من الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور من جهة حُبيش ، يذكر تفريق شمل الغُز ، وأنه قد نهض إلى ذى جِبْلَة ، وأخذ بعض حصون تلك الجهة ، وأخذ على أهلها البيعة للإمام ، وأن أهل حصون اليمن قد خالفوا على الغُز ، وصار الجميع ينتظرون حركة الإمام . وتتابعت الكتب والرسل إلى الإمام من أمر الأجناد بالموالاة والانقياد . ووصل إلى وردسان كتاب من الغز الذين بصنعاء ، يستدعونه للوصول ، فطلب من الإمام تعجيل سراحه ، هو ومن معه ، ففعل . وخرجوا من حوث ، وكأنما نشطوا من عقال[2] ، لأنهم لم يتمكنوا فى تلك الجهة من الانهماك

---

(١) عضدان : قلعة من قلاع صنعاء . (ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) العقال : الحبل الذى يعقل به البعير . (المعجم الوسيط)

على اللذات، والتمتع بالشهوات . فساروا شاكرين للإمام على ما أسداه إليهم من المعروف العام، وتأمينهم في أول أمرهم من سطوة ملكهم المعز بن طُغتكين . ولكنهم كفروا تلك النعمة بعد، كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى .

ولما وصل وردسان إلى صنعاء، واجتمع بالجزري، وجده حاقاً على نفسه من أصحابه وغيرهم، فعرفه الجزري بما يريده من موالاة الإمام، والاعتصام بطاعته من تلك الحوادث الجسام، فكتب وردسان إلى الإمام بتحقيق ماظهر له من رغبة الجزري من موالاته، والدخول في طاعته، وأنه يرسل رسولا من ثقات أصحابه لأخذ البيعة . فوجه إليه الإمام الشريف علي بن موسى العباسي، فقابله الجزري بالإكرام والإنصاف التام، وطلب رجلين من خواص أصحابه، فعرفهما بمراده، وانعقد الأمر بينه وبين رسول الإمام على الموالاة الصحيحة . ورجع رسول الامام فأخبره بما عرفه من ظهور الطاعة، فكتب الامام إلى الأميرين الكبيرين يحيي ومحمد ابني أحمد يطلب وصولهما للمفاوضة، والتبرك برأيهما، فعاقهما عن المبادرة بالوصول عوائق . فتوجه الإمام إلى الظاهر، وبعث الأمير محمد بن إبراهيم برسالة إلى الجزري، فلما قرب منه وقع بين الجزري وأصحابه اضطراب كبير، فأشار على الأمير محمد بن إبراهيم بعض من حضر بالتوقف، وعدم الاقدام على الخطر حتى يتبين الأمر، فلم يفعل بل نهض متوكلا على الله تعالى . فتلقاه الجزري بالقبول، وأنزله دار الضيافة، وأزمع على النهوض صحبته إلى مقام الامام، فاختار من أصحابه الغز أربعين فارساً وسار إلى الجنات .

وأمر الامام بلقائه إلى مشوّط ونهض إلى بيت مساك . ووصل أخوه الأمير يحيي بن حمزة من ثلا إلى حضرة الامام . وبعث الجزري بكسوة عظيمة للامام قبل أن يصل إليه . ولما قرب من مقام الامام ترجّل وسار على قدميه تعظيماً للإمام حتى وصل بين يديه، فسلم عليه، وحمد الله على الاجتماع بعد الافتراق، والألفة بعد الشقاق . وسأل الخلوة بالامام لاباحة السر المكتوم، فأجابه الامام، ولما خلا به أظهر له سره وخفيّ أمره، وحلف له يميناً مغلّظة على الطاعة وبذل الاستطاعة وانقضى ذلك الموقف . ثم اجتمع به

فى موقف عام ، فسأله بأدب وتلطف — وكانت له مشاركة فى الاطلاع على الأخبار والسير ، والآثار — عن مسائل كثيرة ، منها : ما الحجة فى تقديم أمير المؤمنين على عليه السلام على غيره من الصحابة فى رأى الشيعة ، وإطلاق السب عليهم ، عليهم السلام ، وعن فرقة من الشيعة يعتمدون التيمم بالتراب مع وجود الماء . فأجابه الامام على كل مسألة بمقتضاها بمشهد من أصحابه وبيَّن له بيانا شافيا ، وأنه لا يجوز إطلاق سب الصحابة رضى الله عنهم ، وذكر مناقبهم وسبقهم إلى الإسلام ، واجتهادهم فى أمر الدين ، فطابت نفوس أصحاب الجزرى ، واعتقدوا إمامة الإمام المنصور بالله عليه السلام ، وظهر لهم خطأ صاحبهم المعز بن طُغتكين ومروقه من الدين . ثم بايعوه فى ذلك الوقت . وطلب منه الجزرى ، أن يبعث رجلا من أعيان أصحابه للقيام بأمر صلاة الجمعة ، وتنفيذ الأحكام فى صنعاء وفى نفسه أنه لا يقوم بها غيره . فعين الإمام على أخيه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة ، فامتثل الجزرى أمر الإمام ، وأظهر قبوله . وسارت الأخبار فى اليمن بموالاة الجزرى للإمام .

ونهض الأمير عماد الدين والجزرى إلى صنعاء ، وتأخر أصحاب الأمير عماد الدين عنه خشية على نفوسهم من غدر الغزُ ، فلم يخلص معه إلاَّ الشريف غانم بن على العباسى . ولما وصلا صنعاء لقاهم الجند وكثير من أهل صنعاء وأعلنوا بالدعاء للجزرى جرياً على العادة ، فزجرهم وقال ادعوا لأمير المؤمنين ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك خوفاً من الغز ولما يعلموه من تقدم العداوة للإمام ، وما نالهم من عقاب الجزرى سابقاً بسبب محبة الإمام .

ولما استقر الأمير عماد الدين فى صنعاء ، أكرمه الجزرى غاية الإكرام ، واستمر أهل صنعاء على اعتزال مجلس الأمير عماد الدين . ولما حضرت صلاة الجمعة ، بالغ الجزرى فى حضور الناس إليها وعقاب من تخلف عنها ، فرقى الأمير عماد الدين منبر الجامع وليس معه مؤذن ، فاستأجر جماعة من أهل صنعاء رجلا يؤذن ذلك اليوم بأربعة دنانير . فلما حضر وقت الأذان ارتد وترك الأذان ، فقام الشريف غانم بن على العباسى ، فأذن بحى على خير العمل . قال الشريف غانم « ولقد رأيت قاضيهم حين رفعت صوتى بحى على خير

العمل بجعل إصبعيه فى أذنيه ويستغفر الله » ، وتوقع الناس ما يحدث فى الشريف غانم من الغز ، فوقاهم الله شرهم . ولما قضيت الصلاة رقى الأمير عماد الدين المنبر ، فوعظ الناس وعظاً بليغاً وعرّفهم طاعة الشهاب الجزرى للإمام ، ثم خرج الناس من الجامع .

وكان الأمير محمد بن موسى الكردى من أشد الناس عداوة للإمام ، وقد امتلأ غضباً ، فَهمّ أن يضرب الشريف غانم بسيفه ، فدخل فى غمار الناس ، وخرج لوجهه . ومكث الأمير عماد الدين فى صنعاء ، وكتب إلى الإمام أن يبعث قاضيا إلى صنعاء ، فأرسل الإمام مفرج بن مسعود ، وكتب إلى الأمير عدلان أن يكون عوناً للقاضى على تنفيذ الأحكام ، ففعل . وأقام القاضى الحدود على مستحقيها،وحبس البغايا ، وزوج كثيراتٍ منهن، ونفذت أحكامه على الغز وغيرهم . والامام يومئذ فى بيت مساك ، وكان يهبط لصلاة الجمعة فى رَيْدَة ، وهى فى ذلك الأوان خاربة بسبب دولة أهل الظلم واستمرارها أعواماً كثيرة . ولقد قال بعض من حضر صلاة الجمعة مع المنصور بالله ـ عليه السلام ـ فى رَيْدة ، إنها لم تقم فيها جمعة من أيام الناصر بن أحمد بن الهادى عليه السلام . وكذلك القرى حول صنعاء ، فإنها خلت عن السكان مدة من الزمان ، ولم يبق فيها زرع ولا ضرع. وبلاد الامام فى ذلك الوقت معمورة بالعدل الواسع ، والخير المتتابع ، خلد الله بقاء العترة النبوية والأسرة العلوية .

وفى هذه المدة أمر الامام عليه السلام الأمير محمد بن إبراهيم الحزى بالوقوف فى رَيْدة ، لمنع المفسدين وقطاع السبيل ، فأمن الناس .

وفيها قدم على الإمام الفقيه محمد بن سليمان العَنْسى ، وجماعة من أصحابه من نواحى الكدراء بتهامة ، وهم فى الأصل هَدَوية من جهْرَان سكنوا تهامة ، فأكرمهم الامام ، وأنزلهم فى الدار التى هو فيها فى بيت مساك ، وسألهم عن موجب وصولهم ، فأخبروه أنهم فزعوا إليه من شدة ما نال جهاتهم من الفتن والمحن وانقطاع السُبُل ، وأن الناس منتظرون الفرج من الله تعالى بسببه .

وفيها أيضا وصل جواب الشريف يحيى بن على السليمانى ، على كتاب ورد إليه من

الإمام يأمره بإيفاد رسالة جعلها الامام إلى الشريف قتادة بن إدريس صاحب مكة ، وطلب منه المادة لاستفتاح التهائم ، وهى رسالة بليغة ، منها قوله عليه السلام :

فشمر وصمم يا بن إدريس واثقا ... بربك إن النصر إن غبت كاسدُ
فَإِنْ تَنْصُرُونِى تَنْصُرُوا ذَا قَرَابَةٍ ... لَهُ ولَكُمْ أَصْلُ النُبوّةِ وَاحِدُ

فأشار الشريف السليمانى فى جوابه على الامام أنه قد أنفذ الرسالة إلى صاحب مكة ، وهنّأ الامام بما هيّأ الله له من موالاة صاحب صنعاء .

وفى شوال من هذه السنة عاد جواب الشريف قتادة يعتذر عن المادة بما هو فيه من مدافعة الخصوم فى جوانب الحرمين الشريفين .

وفى هذه المدة نهض الأمير يحيى بن حمزة إلى ذمار ، وكتب إلى الامام يذكر استقامة من فيها من الجند على الطاعة للإمام .

ووصل كتاب أيضا إلى الامام من الفقيه على بن يحيى البحترى صاحب هجرة وَقَش[1] ، يهنيه بما من الله به من الفتح ، ويحذره مكر الغز ، ويحثه على إصلاح ما بينه وبين بنى حاتم بن أحمد .

وفيها أرسل الشهاب الجزرى للإمام بجارية عظيمة تركية ، وكتاب جعله إلى الملك العادل الأيوبى صاحب مصر والشام ، يذكر فيه جملا من الحوادث فى اليمن ، منها قتل المعز ابن طغتكين ، وذكر قيام الامام المنصور بالله وحسن سيرته وصحة نسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وغير ذلك . وطلب من الامام إنفاذ كتابه إلى صاحب مكة ليبلغه صاحب الشام . فأنشأ الامام رسالة بليغة ارتجلها فى الحال ، مع ضيق الوقت وتراكم الأشغال ، إلى العادل ، يدعوه إلى إجابته ، عملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) وقش : بالتحريك ، بلد باليمن قرب صنعاء ، وهجرة وقش موضع فيه كالخانقاه يسكنه العباد وأهل العلم . (ياقوت : معجم البلدان) .

« من سمع داعيتنا أهل البيت » (الخبر) ، وأرسل بالجميع إلى الشريف صاحب مكة [1] .

قال الفقيه جمال الدين بن علي بن أحمد الأكْوَع رحمه الله تعالى ، لما وصل كتاب الامام إلى مكة ، دخلتُ به أنا والشريف عقبة بن يحيي إلى مقام الشريف قتادة ابن إدريس ، وهو فى داره المعروفة عند باب بنى شيبة بعد مهبط الحاج من مِنى ، فسلمت إليه كتاب الامام ، فأخذه وقبله ووضعه على رأسه ، وأمرني بفضّه وقرأته . ثم بدا له المسير إلى ينبع ، فلقاه الأشراف أولاد يحيي يريدون قتله ، بإشارة من الأميرين محمد بن مكثر وسالم بن مهنا صاحب المدينة ، ووقاه الله شرهم . ثم جمع الأميران المذكوران بعد ذلك جمعا كبيراً ، وخلفاه على مكة ، وكان فيها الشريف بن هانى فى جيل من بنى حَسَن ، فوقع بينهم حرب كانت الدائرة فيه على الأميرين ، وقتل محمد ابن مكثر فى ثلاثين من أصحابه .

وفى هذه المدة نهض الأمير يحيي بن حمزة والشهاب الجزرى إلى اليمن الاسفل . وكان الامام قد بعث رسولا إلى سيف الدين الاتابك سُنقر ، فوافاه الرسول فى الَجنَد قبل وصول وردسان إلى سُنقر . فلما طلب رسول الامام الجواب من سُنقر ، قال : « لا يكون الجواب إلا بعد الاجتماع بوردسان » . فى أثناء ذلك ورد كتاب وردسان إلى سنقر من الَحقل ، يخبره أنه لم يتمكن من الوصول إليه لاجتماع العرب الموالين للإمام فى نقيل صَيْد ، وأنه يمده بخيل ورجال . فلم يتهيأ لسُنقر إمداده ، فأظهر وردسان طاعة

(١) ذكر ابن واصل فى حوادث سنة ٥٩٩ هـ ما نصه : « فى خامس صفر من هذه السنة ورد الى الملك المنصور صاحب حماة كتاب من المختص والى البر بحماة ، وكان حج سنة ثمان وتسعين وخمسمائة يخبره فيه بقتل الملك المعز اسمعيل ابن سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب .. » .

وليس فيما ذكره ابن واصل عن هذا الكتاب شىء عن دعوة الامام المنصور بالله . ولعله أحد الكتب التى كانت تصل الى بنى أيوب فى مصر والشام تحمل أخبار اليمن عندئذ . (مفرج الكروب ، ج ٢ ص ١٣٥) .

الامام ، ونشر علماً كان الامام قد أعطاه إياه ، فتركه العرب يمضى بعد ذلك . فلما وصل الجند استبشر سنقر بوصوله ، وخلع عليه ، وأعطاه العبيد والخيل ، ورسول الامام باق فى الجَنَد ، فتظاهر له وردسان بحسن الاخلاق ، والثناء على الامام .

قال الرسول : فلم يمض ثلاثة أيام حتى رأيت العَلَم الذى أعطاه الامام فى يد رجل يعرضه للبيع فى السوق ، فعلمت منه نكث العهد ، وأمرت رجلا من أهل صنعاء يشترى ذلك العَلَم ، ففعل .وكان وردسان يكتم أمره عنى ، وإذا دعانى إليه نزّه مجلسه عما يعلم كراهتى له ، ويظهر البقاء على بيعة الامام . وقد علمت منه خلاف ما يظهره ، ثم سألته أن يطلب من سُنقر جواب الامام ، فأطال المواعيد الكاذبة . وكنت أيام إقامتى هنالك أحضر مجالس الفقهاء فيسألونى عن الامام وسيرته ، فاذكر لهم أحواله ومكارمه ، وأملى عليهم ألفاظ دعوته ، فاستحسن ذلك جماعة منهم ، وأخذت على بعضهم البيعة للإمام . وفى خلال ذلك ورد الخبر بموالاة الشهاب الجزرى للامام ، ونهوضه مع الأمير يحيى بن حمزة إلى اليمن الاسفل ، فاضطرب الغز وتغيرت أحوالهم . وطلبت الجواب من سُنقر فلم يجب ، بل أذن لى بالعزم فحمدت الله وتوجهت راجعا . فوافيت الأمير يحيى ابن حمزة والحرزى فى جَهْرَان ، فأخبرتهما بما ظهر لى من أحوال وردسان ، وما يريده من النهوض إلى اليمن الاعلى ، وأن كتب الُجند الذين معهما إلى وردسان متواترة ، يريدون الاتصال به . ثم عزمت على المسير إلى مقام الامام ، فلم يدعنى الامير عماد الدين ، بل أخذ علىّ العَهد لحفظ أكمة سمارة[1] ففعلت .

وانتشر الخبر فى تلك الجهات بوصول الأميرين ، فجاءت إليهما القبائل من كل جهة ، ثم نهضا إلى حصن حَبّ ، وكان الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور قد أخذ على صاحب الحصن المذكور وعلى صاحب الدُّمْلُوه البيعة للامام ، كما سبقت الاشارة إليه ، فأقاما لديه

---

(١) نقيل سمارة : يقع فى وادى السحول بين صنعاء واب .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٤٥)

ثمانية أيام . وأعلن المؤذن فى محطتهما بحىّ على خير العمل ، فخرجت عجوز من أهل تلك الجهة ، فقالت لأصحاب الأمير عماد الدين « أخبرونى ماهو حىّ على خير العمل ، فما سمعت مؤذنا يذكره مدة عمرى » . وكان الشيخ عمران الحداد قد لقاهما فى الشِّعْر بجمع كبير ، وأرادوا نهب الغز أصحاب الجزرى والفتك بهم ، فنهاهم عقّالهم لما كانوا صحبة الأمير عماد الدين وسُنقر فى أبّ يومئذ . فتوجه الأميران إلى الدُّمْلُوه ، وعارضهما سُنقر إلى قاع الجوّة[1] قريب الدُّمْلوه ، فباتا فى القاهرة ، وخرجا منها إلى خَلّة[2] ومن هنالك رجع عنهما أهل حبيش إلى بلدهم ، وتفرق العسكر حتى لم يقف مع الأمير يحيى غير أربعة من أصحابه ، فسارا إلى سبا صهيب ، وهو واد منقطع من البلاد قريب من لحج ، فدخلاه على خوف ووجل . ووصل إليهما ساكنو تلك الأطراف بما أمكن من الطعام والعلف ، ومازالا يواصلان المسير ليلا ونهارا أربعة أيام حتى وصلا الدُّمْلُوه بعد تعب شديد ، وجهد جهيد ، لأنهما أوغلا فى جهة الجنوب ، ثم عادا إلى جهة الشمال خشية من سُنقر ، مع ما وقع من اختلال عسكرهما . ولما وصلا الجُوّة باتا فيها ، ولقاهما جماعة ممن فى الدُّمْلُوه . وفى اليوم الثانى نهضا إلى قريب الدُّمْلُوه ، فلقاهما صاحبها بالاكرام وأحسن إليهما ، وخلع على الأمير عماد الدين ، وصرف فى بقية العسكر دراهم كثيرة . وأقام الأمير عماد الدين هنالك أياما ، غير أنه لم يظهر من بقائه نفعاً ولا دفع ضررا ، إنما هو فى صورة المحصور ، حتى وصل إليه كتاب من الامام يستدعيه للوصول ويحثه على المبادرة بالعود ، فلم يأذن له الجزرى بذلك . فلما طال المكث عاود الجزرى ، فأذن له ، وبعث معه مملوكه ياقوت فى جماعة من أصحابه ، لافتقاد أهله الذين فى عَضُدان . ولم يزل الأمير عماد الدين سائراً حتى وصل هجرة سنع[3] ، بعد أن قاسى من المشقة ما يطول ذكره .

وفى هذه السنة نهض الامام إلى ذى مَرْمر ، وتزوج بابنة الفضل بن على بن أحمد

---

(١) الجوة : قرية باليمن معروفة (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) خلة بفتح الخاء وتشديد اللام . قرية باليمن قرب عدن أبين عند سبا صهيب . (ياقوت معجم البلدان) .

(٣) سنع بلد جنوب صنعاء . (الويسى اليمن الكبرى ، ص ١٧٢)

اليامى ، ولبث فى داره سبعة أشهر ، وجعل لبشر بن حاتم ولاية على جهة حَضُور ، وأضاف إليه بلاد حراز أيضا . ووصل إلى الامام كثير من أعيان أهل الجهات .

قال مصنف سيرة الامام ـ عليه السلام ـ مامعناه : وكتب الامام إلى أمير من أمراء الغز فى تهامة ـ يعرف بشبرباك ـ يدعوه إلى الطاعة ، وكان هذا الأمير من جملة من وصل إلى الامام مع وردسان أيام المعز بن طغتكين . فلما وصل إليه رسول الامام، وجده على حالة كبيرة ، وعنده من الخيل والمماليك مثلما كان عند المعز بن طغتكين ، وقد كبرت نفسه لما استقل بالأمر ؛ فدفع إليه رسول الامام كتابه ، وكان عنوانه من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن رسول الله . فألقى الكتاب من يده ، وقال «هل بقى فى اليمن من يدعى بهذا الاسم ؟ فما قتلنا إسماعيل بن طغتكين إلا عليه» ، فقال له الرسول : « أما أمير المؤمنين على الحقيقة فهو باق ، وأما الذى تسمى بذلك فقد قتلتموه » ، فقال : « كيف يكتب عبد الله بن حمزة بن رسول الله» قال الرسول « هو ابن رسول الله حقا ، وليس بمجهول النسب » ، ورفع نسبه إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. قال «فاذا كان ابن على بن أبى طالب ، فلم قال ابن رسول الله ؟» قال الرسول « لأنه من أولاد فاطمة رضوان الله عليها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كل بنى أنثى ينسبون إلى آبائهم إلا الحسنين فأنا أبوهما) . فشق عليه كلام الرسول وامتلأ غضبا ، لأن صاحب الأمر عندهم لا يراجع ولا ينازع . ثم قال « وما جهد المسكين وما يأخذ إلا الزكاة » ، فقال له الرسول : «إنك أردت أن تذمه فوصفته بالعدل وأخذ الحق ، وأما قولك مسكين ، فليس بمسكين من ركب إليه منكم مائة وخمسون فارسا » . فاشتد غضبه وأقسم ليطردنه إلى أطراف الأرض ، وأكثر الكلام وتوعد الرسول . فقام رجل ممن فى المكان يقال له سهيل — كان يتولى لذلك الأمير أعمال الكدراء — فأخذ بيد الرسول وأخرجه خوفا عليه من ذلك الأمير الطاغى ، وسار الرسول من فوره إلى القَحْمة[1] ، ووقاه الله من شره .

---

(١) القحمة : بليدة قرب زبيد . (ياقوت : معجم البلدان)

وأما وردسان ، فإنها لما فسدت نيتُه وخبثت طويتُه ، ونكثَ العهود ولم يبال بسطوة الملك المعبود ، ونهض إلى جهة صنعاء ، فاضطربت أمورُها ، وتشوش أهل المخاليف ، وجعل يتردد فى البلاد ويتلوّن للأمام تلوّن الحرباء على الغصن المياد . وكان من أقوى الأسباب فى نهوض وردسان إلى صنعاء أن الغز جهزوا عسكراً من اليمن الأسفل إلى ذِمَار ، وفيها من قِبَل الامام الشريف على بن موسى العباسى . فلما سمع بقدومهم أهل ذِمَار لحقهم من ذلك الخوف الشديد ، فأجمع رأيهم على مصالحة الغُز بألف دينار على يد الشيخ عمران بن زيد قائد بنى سَرْحة الموكلين بحفظ النقيل ؛ فلم ينتظم لهم أمر . فصمم الشريف العباسى وأهل ذمار على مناجزة الغز ، ولكنهم خرجوا إليهم على غير تعبئة ، فهزمهم عسكر الغز هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم مائتى رجل . ورجع عمران بن زيد إلى محله . فكتب إلى وردسان يحثه على النهوض ويكفل له بأمر بنى سَرْحة ، فتم لوردسان النهوض بهذا السبب ، والله أعلم .

وفى هذه المدة خرج الإمام المنصور بالله من ذى مَرْمر إلى حُوْث وكتب إلى وردسان يعاتبه ويذكره العهود ، فعاد جوابه بالطاعة ؛ وإنما هو منه قول بلا فعل ، وأهدى إلى الإمام ثياباً وطيباً من باب المخادعة . وأقام وردسان بصنعاء ، والبلاد مخالفة عليه . وأمر الإمام بقطع المواد عليه من جهة الظاهر والمغارب ، فضاق به الحال . ثم جمع عسكراً من سِنحان وغيرهم ، وقصد حصن عَضُدان ، فكافحه من فيه أشد المكافحة ، وعقروا من خيله سبعاً ، وجرحوا كثيراً من أصحابه ، فرجع عنهم . ثم غزاهم تارة أخرى ، فلم ينل منهم شيئاً . وما برحوا يعادونه ويراوحونه بالغارات ، ويقطعون عليه المواد فى كثير من الأوقات .

ودخلت سنة — ٥٩٩ —

فى المحرم منها ماجت النجوم وتطايرت كالجراد ، واستمر ذلك إلى طلوع الفجر ، فانزعج الناس وضجوا بالدعاء إلى الله ، واشتد القحط ، فسبحان القادر على مايشاء .

وفى هذه السنة صالح وردسان آل حاتم بن أحمد على نصف بلاد الرُّحْبَة مما يليهم ، وعلى إطلاق أملاكهم فى وادى ظَهر والمنظر[1] وشَعُوب ، وتعهد لهم على الوفاء بما ذكره .

وفيها بعث الإمام أخاه الأمير إبراهيم بن حمزة إلى جهة الجَوْف يدعوهم إلى الجهاد ونفى الضغائن بينهم والأحقاد ، وأرسل لهم بمادة ، فاجتمع منهم نحو مائتى فارس من آل الدعام وآل بدر ونِهم وأَرْحَب ، فنهض بهم الأمير ابراهيم إلى حمدة ، ولقاه الأمير محمد بن ابراهيم ، وأراد الجميع مباشرة مَنْ فى الجنات من الغز . وبلغ الإمام وقوع الصلح بين وردسان وبنى حاتم ، فأمرهم بالإمساك عن حرب مَنْ فى الجنات ، فقصدوا تَلَقُمُ[2] وهو حصن رَيْدة ، فأخربوه بعد أن عمره على بن منصور المرهبي أحد أعوان الغز ، وجعله مأوى لأهل الفساد . وعاد الأمير محمد بن إبراهيم إلى جهة المشرق وتفرق عسكره .

ولما وقع الصلح بين بنى حاتم ووردسان ، استظهر بهم ، واشتدت شوكته ، وجمع عسكراً كبيراً ، وخرج إلى الرُّحْبَة فأقام بها ، وقصده جماعة من مشايخ عذر ، كان لهم قسط من زكاة جهتهم ، فلم يسوغه لهم الإمام فطلبوا من وردسان النهوض معهم لقبض حقوق بلادهم ، فبعث معهم نواباً . وكان الإمام قد جعل واجبات تلك البلاد للأمير عدلان بن حضر ، ومن معه من الجند فى ذى مَرْمر ، فلما بلغه خروج النواب من عند وردسان ، كتب إليه يذكر له الصلح الذى وقع بينه وبين بنى حاتم ، والعهود المتقدمة والمتأخرة وما فى إرسال النواب من النقض ، وأن بقاءه فى الرُّحْبَة يدل على إخماد الفتنة ، فاستعاد النواب ولم يرتفع من الرُّحْبَة ، وكثر الضر من عسكره فى بلاد بنى حاتم . وكان

---

(١) ذكر الخزرجى أن المنظر موضع « فوق قرن سوان » باليمن .
(العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٢٤)

(٢) تلقم : جبل باليمن فيه ريدة والبئر المعطلة والقصر المشيد .
(ياقوت : معجم البلدان) .

الإمام قد أشار عليهم بعدم مصالحة وردسان، فذكروا عند ذلك مشورته، وظهر لهم عدم الوفاء من وردسان وأصحابه، فأشمروه بنقض الصلح، وأضرموا النار إشعاراً لمن حولهم من القبائل المحالفين لهم، فوصلوا إليهم، وخرج جماعة من ذى مَرْمَر، فظفروا بفارس من أصحاب وردسان، فقتلوه واجتزوا رأسه. وبلغ وردسان، فشن الغارة عليهم، ووقع بينه وبين الخارجين من الحصن حرب شديد، ثم افترقوا بعد قتل وجرح فى الفريقين جميعاً.

ولما رجع وردسان إلى محطته بعث إلى بنى حاتم رجلا يسمى بتمام الصلح، ووقعت المفاوضة، فأخذ على وردسان إزالة المفاسد من صنعاء، وإقامة الجمعة والأذان بحىّ على خير العمل، فأجابه بما ذكر، إلاّ الأذان فأرجأ الأمر فيه إلى أن يشاور الأتابك سُنقر. ثم توجه إلى جبل الظلع فلم يظفر بشىء، فسار إلى جهةَ حضُور، ثم رجع إلى صنعاء.

وفى هذه المدة امتنع أهل مأرب ومن إليهم عن تسليم الزكاة إلى عامل الإمام؛ وهو الشريف أحمد بن محمد السراجى، فجهز عليهم الإمام أخاه ابراهيم بن حمزة، فسار إليهم بالعسكر الذى جمعه لحرب وردسان من آل الدعام وآل بدر. ووصل إليه وهب ابن فلاح قائد خَوْلان، وكانت له رهينة عند الإمام،فاستشفع إلى الإمام بالسلطان على ابن هديان فى إطلاق رهينته، وأظهر الطاعة، فأطلق الإمام رهينته بشفاعة السلطان المذكور. فلما قبض رهينته وعاد إلى وطنه، أظهر الفساد، واستعد للحرب، وألَّب خَوْلان ونُهم على العناد، فقصده جند الإمام بعد أن خاطبوه بترك العصيان فلم يفعل، فناوشوه القتال. وأيدهم الله فهزموه إلى أطراف بلاده،واستولوا على دروبه فانتهبوها، ودخلت تلك الجهات فى طاعة الإمام، وسلموا الواجبات.

وفى هذه المدة أيضاً جهز وردسان عسكرا إلى الجنات، فبسطوا أيديهم فى البَوْن، وهى من بلاد الإمام، وأرادوا نقض الصلح. وكان الإمام قد رجع من حوْث إلى ذى

مرْمر ، والأمير محمد بن إبراهيم يومئذ فى حصن بيت مساك . فقصد عسكر وردسان إلى الجنات ، ومعه السلطان بشر بن على الدعفانى صاحب الحصن المذكور ، ووقع الحرب بينهم ، فقتل بشر بن على رجلا من الغز واجتز رأسه . وتكاثرت خيل الغز ، فرجع صاحب بيت مساك إلى حصنه ، وتوجه الأمير محمد بن إبراهيم إلى حضرة الإمام بذى مرْمر ، فجعل الإمام كتاباً إلى وردسان فيه إعذار وإنذار ، فلم يجد شيئًا ، واستمر على العتو والإصرار ، فأعاد الإمام الأمير محمد بن إبراهيم لقتال من فى الجنات من أصحاب وردسان ، فقاتلهم وأمر بقطع الزرع ، وخرجت خيل من صنعاء مادة لمن فى الجنات ، فارتفع الأمير محمد بأصحابه إلى الجبل خشية من صدمة الخيل فى القاع . فمالت الغز على قرية ظبر البون من بلاد الإمام فأخربوها ، ثم رجعوا إلى صنعاء . وخلت الجنات عن الغز .

ولم يزل وردسان يكرر الغارات على مخاليف صنعاء شرقا وغربا وبعداً وقرباً . ولما استولى عسكره على تَنْعُم ، استغاث أهلها بالإمام ، فلم يجتمع له غير عشرين رجلا ، لتفرق عسكره فى البلاد ، فجهز العشرين الرجل إلى شيخ تلك الجهةَ جبير بن سالم . وقد كان الشيخ جبير جمع أصحابه ، فلما وصل إليه أصحاب الامام ثار بالجميع على أصحاب وردسان فقتلوهم عن آخرهم ، وغنموا خيلهم وأسلحتهم . وبلغ وردسان خبرهم ، فخرج بخيله ورَجله ، واستنفر من حوله من بنى شهاب وسِنْحان ، حتى وقف خارج تَنْعُم . وكان الامام قد أرسل إليهم رجلين يأمرانهم بالارتفاع عن القرية ، والتحرز عن جند الغز حتى تأتيهم الغارة من عنده . فغدر الرجلان وما لا إلى وردسان ، فأخبراه الخبر ، فبعث كمينا على طريق أصحاب الامام ، فلما قربوا ثار عليهم الكمناء من كل جانب ، فقاتلوا عن نفوسهم حتى دخلوا قرية تَنْعُم ، فوجدوا أهلها قد خرجوا عنها وتعلقوا بالجبال ، فقاتلوا أصحاب وردسان حتى غلبوهم على القرية ، فخرجوا عنها ، وأخربها وردسان ، ورجع إلى صنعاء .

وفى هذه الأيام جَهز وردسان إلى الجنات — لمّا تتابعت على أهلها من أصحاب

الامام الغارات — قائدا من شجعان الأكراد — يعرف بأبي العشائر — فى أربعين فارسا . وهو ممن وفد على الامام مع الأمير حكوا بن محمد فى تلك الأيام ، فأحسن إليه ولكنه لم يرع الاحسان ، بل قابله بالكفران ، واجتهد فى نكاية حزب الامام بالسيف والسنان ، واليد واللسان . ولما استقر فى الجنات كتب الامام إلى الأمير محمد ابن إبراهيم وغيره من الأمراء ، يأمرهم بجمع العساكر لحرب العشائر ، فاجتمع من الجوف وغيره مائة فارس ، وعدد كبير من الرجال ، ونهض أصحاب الامام إلى قرية ضباعين[1] فى البوْن ، فباتوا فيها . وفى اليوم الثانى خرجوا إلى قرب الجنات ، فخرجت عليهم خيل الغُز وثبت القتال ، فانهزم الرجال من عسكر الأشراف ، وثبت الركبان ، ووقعت المصابرة ، وحمى الوطيس ، فقتل من الأشراف جماعة ، ورجع الغز إلى الجنات ، والاشراف إلى الغريانة[2] . وخرج وردسان من صنعاء فى مائة وعشرين فارسا غير الرجال ، فبات فى بركة هياش[3] ، ثم نهض إلى قرية ضباعين فأحربه أهلها ، وبلغه أن الاشراف قد هجموا على المحطة فرجع إلى الجنات ، وجنح الفريقان إلى الصلح على قسمة البلاد وترك الحرب والجهاد .

وفيها أقام المطرفيّة[4] ، أهل وقش ومن إليهم ، أميراً يعرف بالعفيف بن محمد بن

---

(١) ضباعين : من قرى وادى الخارد بالجوف فى البون .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)
(٢) ذكر ياقوت أن غريان قلعة باليمن فى جبل شطب .
(ياقوت : معجم البلدان) .
(٣) بركة هياش : تقع شرق ساقين ، جهة الغرب لصعدة .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١١٣)
(٤) ذكر محقق كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ما نصه « كثيرا ما ترد كلمة « المطرفية » فى كتب المؤرخين الزيدية ، ولم أعثر على تفسير لها فى موضع آخر ، ولكن يبدو أنها تسمية يسمى بها المسلمون من أهل السنة ، وتقترن عادة بلقب « الشقية » أى الواغلة فى الشرور والآثام » .
(حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ، ص ٣٠٥)
وهذا الرأى يتنافى مع ما ذكره نفس الكاتب فى كتاب آخر له من أن المطرفية فرقة من الزيدية .

مفضل الهَدَوى ، يتوصلون به إلى قبض ما منعهم الامام عن قبضه من الزكوات والأوقاف. فلما دار الصلح بين الإمام والغز لحق المطرفية ـ وغيرهم من المتغلبين على الحقوق ـ الخوف من تمام الصلح ، لما فى الفتنة من اشتغال الامام عن طلب الحقوق ، فسعوا فى المناقضة . فوصل إلى الامام الفقيه على بن يحيي البحترى من عند العفيف بن محمد ، يحرض الإمام على حرب الغز ، ويخبره أن أهل جهته وغيرهم قد اجتمعوا لقتالهم . وكذلك وصل جماعة من أهل صنعاء بمثل ماوصل به البحترى ، فنهاهم الامام عن ذلك فخالفوا رأيه ، فنالهم من الغز ما سيأتى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه الايام أقام الامام فى ذى مَرْمر ، وأنشأ رسالة بليغة فى النهى عن مذهب الباطنية . وحصل الوعيد الشديد للأحرار والعبيد ، سيّما لمن كان فى الحوْرَة[1] الامامية ، فإن السلطان علوان بن بشر بن حاتم اليامى قام فى هذا الامر وقعد ، وأبرق وأرعد ، عن أمر الامام عليه السلام .

ولما وقعت المدنة بين الامام ووردسان ، نهض الإمام من ذى مَرْمر إلى جهات الظاهر فى سبعين فارسا ؛ منهم السلطان بشر بن حاتم وابنه علوان ، وسالم بن على ابن حاتم ، لإزالة الفساد الحاصل فى تلك البلاد ، حتى تم له بإعانة الله تعالى إصلاح خللها ، ومداواة عللها ، بعد أن تغلب أهلها عما قِبَلهم من الواجبات ، وارتكبوا كثيرا من

= (حسين الهمدانى ، وحسن سليمان محمود : الصليحيون ، ص ٢٨٦)

والرأى الأول فى نظرنا أقرب الى الحقيقة والصواب ، بدليل ما جاء بعد قليل فى حوادث سنة ٦١١ هـ من أن الامام المنصور بالله حارب المطرفية ، فلجأ أحدهم ـ وهو ابن النساخ ـ الى الاحتماء بالخليفة العباسى واخذ يحرضه ضد الشيعة بوجه عام ، ويذكره بأن لهم ثأرا فى رقاب بنى العباس ، ويشيد بالعباسيين، وفى هذا كله دليل على أن المطرفية كانوا من أهل السنة .

(١) الحورة : بلدة فى حضرموت اليمن ، وقد ذكر الهمدانى بلدتين بهذا الاسم فى حضرموت اليمن ، ولعل المؤلف قصد بلفظ الامامية تمييز احدى البلدتين عن الأخرى . (صفة جزيرة العرب ، ص ٨٦ ، ٨٨) .

من المقبحات وقطعوا السبل ، وذلك بسبب ما وقع مع الإمام من الاشتغال عنهم بحرب الغزْ ، وإرجاف بعض الأعداء بأن الامام قد صار فى حيز الأسر عند السلاطين آل حاتم بن أحمد .

فلما وقعت الهدنة كما ذكرناه ، وخرج الامام من ذى مَرْمر ، انكشف للناس عدم ما أظهره العدو ، وتحدث به فى الرواح والغدو ، ومع ذلك لم يتحول الامام عن عادته ولم يخرج عن طريقته من لين الجانب وتأليف العدو المجانب .

وفى هذه الأيام تقدم الامام إلى حُوْث ، فلبث فيه قدر ثلاثة أشهر ونصف . وفيها تحرك وردسان على أطراف بلاد بنى حاتم الداخلة فى صلح الامام ، وأرسل طائفة من عسكره إلى حصن بيْت أنْعُم[1] ، أعلى وادى ظَهر ، وكان أهله قد قطعوا عليه كثيرا من المواد أيام الحرب بينه وبين الامام . وكان يظن أن هذا الحصن لا يمتنع عليه ، فلما وصل عسكره قريب الحصن ، خرج عليهم من فيه فهزمهم ، وقتلوا منهم جماعة ، ورجع الباقون إلى صنعاء خائبين . ولما أيس وردسان من أخذ الحصن عنوة ، مال إلى المخادعة ، فبعث إلى عامل الحصن — وهو رجل من جَنْب يسمى محمد بن أسعد الواحدى من بنى ضرار — من راوده على تسليم الحصن على مال بذل له . فتم له ما أراد من قبض الحصن ، ومنع آل حاتم عن أملاكهم فى المنظر وما إليه ، وغزا قرية البطحة من ناحية الرُحْبَة ، فقتل من أهلها نحو أربعين نفرا . ثم نهض إلى حَضُور ، فاضطربت منه أهل تلك الجهة . وكان الامام قد أرسل لقبض واجباتها رجلا يُعْرف بمرحب ابن سلمان ، فجمع القبائل ، وقبض حصن بيت الخاصم ، فخالف عمران بن الذئب ، وخرج من حَضُور إلى بلاد حمير من نواحى كوكبان ، فاستقر فى بيت خُبَان[2] وتبعه مرحب

(١) بيت انعم ، بضم العين ، حصن قريب من صنعاء اليمن . وبيت أنعم أيضا حصن أو قرية فى مخلاف سنحان باليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بيت خبان : قرية باليمن فى واد يقال له وادى خبان قرب نجران (ياقوت : معجم البلدان) .

ابن سلمان ، فوقف معارضا له بالقرب من بيت نمر[١] ، وتقدم عمران بن الذئب يريد أخذ حصن الذُبُوب[٢] ، الذى فى الطلع مما يلى الأهجر ، وكان فيه جماعة من آل الرواحى قد هموا بالخروج من الحصن . فوصل مرحب بن سلمان إلى قريب حصنهم ، فحرضهم على الثبات ومحاربة عمران ، ففعلوا وامتنعوا .

وفى خلال ذلك خالف أهل صنعاء على وردسان واعتقلوا أخاه ، وأتاه الخبر وهو فى حَضُور ، فكتم الأمر وأظهر أنه يريد المسير إلى كوكبان بعد العود إلى صنعاء ، ليأخذ منها ما يحتاج إليه من آلة الحرب . ثم نهض مسرعا فلم يقدر على دخول المدينة ، فوقف شرقيها وجعل ظهره إلى نُقَم وخاطب أهل صنعاء بالصلاح فلم يسعدوه . ووصل إليه من قبائل بنى شهاب وسِنحان عدد كبير ، وكانوا قبل ذلك يقولون « لو يخالف أهل صنعاء على الغز لكنا أول من ينصرهم » فكانوا أضر الناس عليهم ، فإنهم أحاطوا بهم من كل وجه ، وحاصروهم حصارا شديداً ، وأمدوا الغُز بما يحتاجون . وفى بعض الأيام قرب وردسان إلى تحت السور بأصحابه ، وحاول نقب السور ، فوقع بينه وبين أهل صنعاء حرب شديد ، انكشف عن جراحات كثيرة من الفريقين جميعا .

وكان السلاطين بنو حاتم قد حرّضوا الامام المنصور بالله عليه السلام على انتهاز الفرصة وإعانة أهل صنعاء على إزالة ما هم فيه من الغُصَّة ، فجمع عسكره ، وجعل مقدمهم أخاه الأمير يحيى بن حمزة . وكتب الأمير العفيف صاحب وقَش[٣] بالتقدم كذلك ، فنهض كل من جهته ، حتى وقف العفيف فى بيت بوْس . وأراد الأمير يحيى المرور بوادى ظَهر وظلع ، فمنعه أهل همدان والرحبة خوفا على زروعهم فخادعهم ، وتوجه نحو بنى شهاب ، وأصاب الله مزارع همدان بالضَّريب[٤] فلم يدع فيها شيئا .

---

(١) ذونمر : موضع فى سرو مذحج
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٤)

(٢) ذبوب : حصن باليمن قال ياقوت انه من عمل على بن أمين
(يافوت : معجم البلدان) .

(٣) وقش : بلد باليمن قرب صنعاء (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) الضريب هو الصقيع (المعجم الوسيط)

ولما اجتمع الأمير يحيى بن حمزة بمن فى بيت بوس ، وقع التمالؤ إلى هجم محطة وردسان ، فلم ينتظم لهم أمر . ولم يزالوا فى إقدام وإحجام حتى قدم الأتابك سُنقر من اليمن الأسفل فى سبعمائة فارس ، غير الرَّجل ، مغيراً على وردسان ، فتفرقت محطة بيت بوس ، ورجع كل أمير منهم إلى بلده ، فقوى أمر الغُز وضعف أهل صنعاء ، وأيقنوا بالهلاك . ودنا سنقر بطائفة من الخيل إلى قرب السور ، وعرف أهل صنعاء ببغيه ، فصاحوا بالدعاء له ، وطلبوا منه الامان ، فأمنهم وأعطاهم سيفه ، ورجع إلى مخيمه . فخرج إليه جماعة من أهل صنعاء ، وأرادوا ان يشكوا عليه أمر وردسان ، فلم يتم لهم لحضوره فى موقف سُنقر . ووقع الخطاب من سُنقر لاهل صنعاء بتسليم مال ، عقوبة لهم ، فتم الامر على عشرة آلاف دينار ، وعشر رءوس من الخيل على يد وردسان ، وأعطاهم عهدا على الامان . وسألوه الوقوف فى المحطة خوفا من معرة الجيش فساعدهم .

ولما رجعوا إلى صنعاء وجدوا عسكر وردسان قد دخلوها من شرقيها ، وانتهبوا دور القطيع ، وأخربوا بعضها ، فأنهوا الامر إلى سُنقر ، فدخل بنفسه ، وأمر بالكف عن ذلك ، ولبث فى صنعاء أياما . ثم بدا له النهوض إلى حَضُور ثم إلى الجهة الكوكبانية ، وجعل أمر صنعاء إلى وردسان ، فاستعمل عليها أخاه الذى قبضه أهل صنعاء ، وخرج مع سُنقر ، فساءت سيرة عامل وردسان ، وأمر رجلا من الغُز يسمى قَيْس بن غانم بمخاطبة أهل صنعاء بما لا يقدرون عليه من المال ، فأنزل بهم ذلك الرجل أنواع العذاب ، ومَلَأَ بهم السجون ، وقبض منهم كل مصون ، وباشرهم بالضرب والتعليق ، والعصر للأرجل والرءوس[1] ، والتحريق ، وهتكت المحارم ، وفُعلت العظائم ، وعُذبت

(١) العصر : عقوبة كانت معروفة فى العصور الوسطى ، وهى وضع وجه المعاقب أو راسه أو رجليه أو عقبيه بين خشبتين مربوطتين بحبل ، ثم تشد الخشبتان شدا وثيقا ، مما يؤدى فى كثير من الأحيان الى كسر العظام المعصورة بين الخشبتين . انظر

(سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٩٩) .

النساء بنحو ماعذبت به الرجال ، حتى أتى على جميع مافى أيديهم . ثم باعوا الأطيان بأبخس الأثمان ، وأخربت أكثر دورهم ، ولم يبق لهم بقية ، فتفرقوا بعد ذلك فى الجهات أيدى سبأ[1] ونزل بهم من البلاء مالَمْ يسمع بمثله شرقاً وغرباً ، فما أشبه حالتهم بما قاله أبو الوليد بن أحمد الأصبهانى :

فبعض منهم أوذى وبعض أسير قد أطل على النفاد
وقد طال انتظارهم وملوا تشتت شملهم فى كل واد
أسارى للخطوب وللأعادى وللدهر الملم وللبعـــاد

وهكذا عاقبة من لم ينظر فى العواقب ، ولا يلتفت إلى الرأى الراجح الثاقب ، وكان أمر الله الغالب .

وأما سُنقر فإنه خرج من صنعاء إلى بنى شهاب ، ولم يحدث على أهلها حدثاً بل رضى منهم بالطاعة ، وصالح عمران بن الذئب وأقره فى حصنه بيت رَدْم[2] . وتقدم إلى جبل الظلم غربى كوكبان ، فخافت منه البلاد ، واضطربت أهلها . ونفذ وردسان عن أمره إلى جهة المغرب ، حتى وصل سهل العَضُد[3] وكتب سُنقر إلى الأمير عماد الدين بن يحيى بن حمزة وهو فى ثلا يعرض عليه الصلح ، وأظهر فى كتابه الثناء على الامام ، وتحدث فى الناس أنه لا يريد إنزال مضرة فى بلاد الامام ، بسبب إنه لما التجأ إلى أطراف بلاد الامام أيام خوفه من إسماعيل بن طُغتكين ، أحسن إليه الامام كما سبقت الاشارة إليه ، فذكر ذلك الاحسان وابتدأ بمخاطبة الأمير يحيى بن حمزة بالصلح ، وطلب منه الوصول

---

(١) يقال فى المثل « تفرقوا أيدى سبأ » أى تشتتوا وتبددوا فى البلاد ، كما حدث لسبأ . (المعجم الوسيط) .

(٢) الردم : موضع فى بلد المعازبة قرب زبيد
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ص ٢٦٩ ، ٣٠٩ ج ٢)

(٣) سهل العضد فى وادى مور ، أحد أودية السراة .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٢)

إليه ، وبعث له بمركوب من نجائب خيلة ، فلم يسع الأمير يحيى إلاّ المساعدة ، وإن كان القدوم على خطر ، مع أنه لم يستأذن الامام لضيق الوقت وما رآه من فساد الناس وشدة خوفهم من سنقر . وبلغ الامام الأمر فشق عليه ، وأشفق على أخيه ففزع إلى الله تعالى ، والتوسل إليه بدعاء الاستفتاح لجعفر الصادق عليه السلام . فلما وصل الأمير يحيى إلى سنقر تلقاه بالاكرام ، وخلع عليه ؛ وخاض معه فى تقرير الصلح فيما بين الامام ووردسان على ما كان عليه الصلح الأول ؛ وهو وقوف كل واحد منهما على حد البلاد التى إليه مدة سنة . وحاول سنقر إخراج بنى صاع عن الصلح فلم يسعده الأمير يحيى .

ولما تقرر الأمر بين الأميرين ، أرسل سُنقر إلى حَضْرة الإمام قاضيه أبى عزيز الكرمانى لتمام الصلح ، وطلب من الامام مركوبه للتبرك به ، فأرسل إليه الامام بحصان عظيم من نجائب الخيل ، واعتذر إليه أن مركوبه الخاص موقوف للجهاد ، فعذره ، وقبل الحصان الآخر ، وشكره . ثم رجع إلى صنعاء وسار منها إلى اليمن الأسفل .

ووقع فى الصلح خيرا ، فإن الامام أقبل على تفقد أحوال بلاده ، وبعث النواب لقبض الحقوق ، وولى وعزل ، واستقر فى حُوْث حتى وفد عليه الأمير المؤيد السليمانى صاحب أبى عريش[1] فى تسعين راكبا . وكان الأمير المذكور قد استولى على تلك الجهة من بعد قتل المعز بن طُغتكين ، فلقاه الامام إلى الخموس وأنزله دار قاسم بن مطرف الأهنومى ، وهو الذى كان عاملا للإمام على الخموس وما إليه . فساءت أحواله ، وأخذ من الناس أموالا جزيلة ، وأراد الامتناع ومحاربة أصحاب الامام ، فلم يتم له أمر ؛ بل قبضه أصحاب الامام وساروا به إلى مقامه ، فعاقبه بتسليم ثلاثة آلاف دينار أرهن بها ولده . فلما وصل الأمير المؤيد طلب من الامام أن يسعفه بإطلاق ولده قاسم ابن مطرف ، وإسقاط ما بقى عليه من المال ، فأسعده .

---

(١) أبو عريش : من قرى تهامة عسير التى تعرف بالمخلاف السليمانى . (حسين الهمدانى وحسن سليمان محمود : الصليحيون ، ص ١٢٥)

ثم نهض الامام إلى صَعْدة ،وفى صحبته الأمير المؤيد ، فدخلها ، وفرغت المنازل للعسكر على كره من أهل صَعْدة وامتناع شديد ، خلاف ما عهد منهم من تفريغها لأصحاب هلندرى الغزى فى أيام بقائه فى حضرة الامام . وحضر جماعة من أهل صَعْدةَ فى دار الامام ، فسارعوا فى أمر الضيافة ، وعلت أصواتهم ، وهَمَّ بعضهم ببعض ، ولم يوقروا مجلس الامام ، فغضب الأمير المؤيد ، وتعب مما شاهده منهم ، فقام وقبض على قائم سيفه ، وسل أصحابه سيوفهم ، وانتظروا أمر الامام ، فأمرهم بالكف . وخرج أهل صعدة وقد سقط فى أيديهم ، فجعل الامام عقوبتهم الإنفاق على جميع عسكره ودوابهم مدة الإقامة ، وكانت شهرا وثلاثة عشر يوما . وفى مدة إقامة الامام في صَعْدة أمر بتفقد أحوالها وتغيير المنكرات وإقامة الشرائع .

وفى هذه المدة خالف قوم من بنى صَرِيم يقال لهم بنى غُشم ، وقتلوا الشريف محمد ابن الحسن بن عبد الكريم الحسنى فى قرية حُوْث ، واتهموا بقتل شريف فاضل من آل الهادى عليه السلام ، وأخافوا السبيل . فأرسل الله على زروعهم الجراد ، فلم يبق منها بقية ، حتى حكى أن رجلا منهم حمل على ظهره زرعا فاحطب عليه فألقاه عن ظهره ومضى . وقطعت عليهم برودا كانوا ينسجونها ، فأزعجهم ذلك .

وفيها وصل كتاب إلى الامام من القاضى مفرج بن مسعود الجندابى ، يذكر إقبال أهل خَوْلان على الطاعةَ وتسليم الواجبات إليه ، ويحكى استقامة القاضى محمد بن نشوان ، وأنه قرأ الرسالة الواردةَ من الامام وكررها ، ولم يبق لديه إشكال إلا فى مسألة الأعشار التى زادها الإمام فى بلاد الظاهر ، وطلب من الامام مزيد إيضاح فى أمرها . فأجاب عليه الامام بجواب بليغ من جملته ، « ولو علمنا من أهل الظاهر الكفايةَ والحمايةَ لم نتعرض لأخذ المال منهم ، ونحن لا ندخره ولا نستعين به لخاصتنا . وقد رفضوا الجهاد بأنفسهم ، ولا يصلح الاكراه عليه ، لأن المكره يشرد عند اللقاء ، فيكون ضرره أكبر من نفعه . وبقى الجهاد بأموالهم ، وقد أمكننا الاكراه عليه » .

وكان الامام قد جعل ولاية بلاد خَوْلان إلى القاضى محمد بن نشوان . إذ هى بلادهم ،

وفيها استقرارهم إلى الآن ، فوليها مع ولاية الحكم ، واستمر كذلك من أول دعوة الامام ص بالله[1] إلى هذا التاريخ ، ثم عزل نفسه وأظهر التبرى عن العُمالة ، وجعل عذره ما بلغه من كون عمال الامام على بلاد الظاهر قد مدوا أيديهم إلى تناول أموال الناس ، وأن الفقراء والمساكين ممنوعون عن مستحقهم من مال الله تعالى . وبعد أيام جرت للقاضي المذكور قضية عجيبة ، وهى أن رجلا من أهل تلك الجهات سمع الامام يتكلم فى شأن القاضي محمد ، فحمله ما سمع على قصده ، ثم كمن له حتى ظهر له ، ثم رماه بحجر وأضجعه وأراد أن يذبحه ، فالتوت عمامته على رقبته ، وحماه أجله ، وأقبلت إليه غارة أهل بلده ، ثم قصدوا قريةَ الرجل المقدم إليه ، فحاربوها وقتلوا رجلا من أهلها .

وأما الأمير المؤيد السليمانى ، فإنه لما أراد العود إلى وطنه من تهامة ، طلب من الامام أن يجدد له الولايةَ على مخلافه ، فحصل الاختلاف بين علماء الحضرة الإمامية ، فمنهم من رأى رأى الامام وهو الجزم بتوليته لمصلحة رأوها ، وأبى ذلك الشيخ العلامة محيي الدين محمد بن أحمد النجرانى وجماعة معه ، وقالوا إن فى توليته زيادة إعانة له على إحياء رسوم الجور التى جرى عليها الأمراء من بنى سليمان ، حتى قال الشيخ محمد للإمام « إن جددت له الولاية بغير دليل ولا حجة ، فأنا متأخر عن هذا الأمر » فقال الإمام « أنا لا أبالى بمن تأخر عنى ، مهما كنت على بصيرة فى أمرى . وإنى لأرجو أن فى توليته وما أكدته عليه من الإيمان ظهور توبته مما سلف » فوقع الإجماع على توليته بعد ذلك ، وبعث معه الإمام الفقيه أبا القسم بن حسين للمعاونة على تنفيذ الأمور المطابقة للصواب ، وأعطاه الامام أربعاً من جياد الخيل ، وخلع عليه وعلى أصحابه خلعاً نفيسة ، وعزم من حضرته شاكراً . وخرج الحجاج من صَعْدة صحبته ، فسار بهم أحسن سير ، وأقام فى حَرَض ، وأزال عن الناس المظالم والمكوس ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وأقيمت الجمعة والأذان بحىّ على خير العمل فى تلك

---

(١) يقصد بالامام ص بالله الامام المنصور بالله على بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) . وستتكرر الاشارة اليه بهذا الرمز بعد ذلك .

الجهة . وأحدث الله المطر ، فانتشرت الخيرات فى تلك الجهات بعد القحط الشديد ، والحمد لله .

وفى هذه المدة جهز الامام عسكراً لحرْبِ آل منصور ، وهم حيّ من أرْحَب ، تمالوا على منع الحقوق وقطع السبيل . فلما ورد العسكر لقوهم واستشفعوا برؤسائهم إلى الامام ، فرجعوا عنهم من غير قتال ، فعادوا لما كانوا عليه ، فأعاد الامام التجهيز عليهم إلى وادى هران ، فنهب عسكر الامام مواشيهم وفروا إلى الجوف .

وفيها انتقض الصلح فيما بين الأتابك سُنقر والأكراد الذين فى زبيد ، فاستدعى سُنقر وردسان من صنعاء لمناجزة الأكراد ، فخرج وردسان بجمع كبير ، وسار سُنقر بجموعه ، ووقع القتال فى القُرتُب (١) ، فانهزم خيل سُنقر ، وثبت وردسان عند الاعلام ، حتى عاد الاكراد إلى موضعهم . وتراجعت خيل سُنقر ، ثم حملوا على الاكراد فهزموهم أقبح هزيمة ، وقتلوا منهم قتلة عظيمة ، واستولوا على زُبيد فانتهبوها ، وقتلوا قائد المعز ابن طُغتكين . وأمر سُنقر باغلاق مدرسة المعز ، وإخراج الفقهاء الشافعية منها ، وصرف وقفها إلى مقام أبى حنيفة فى مكة ، شرفها الله تعالى .

ودخلت سنة — ٦٠٠ —

فى المحرم منها وصل وردسان من تهامة إلى صنعاء ، فنقض الصلح بينه وَ بين الامام وخرج إلى حَضُور ، فوقع بينه وبين أهله طرف قتال . وعاد إلى صنعاء ، ثم نهض منها إلى شِبَام ، فحصل بينه وبين الامير يحيى بن حمزة حرب شديد ، ورجع وردسان إلى صنعاء ، والامير يحيى توجه إلى بلاد الاهنوم ، ومنها إلى حَجُور لامتناع أهله عن تسليم الواجبات . ثم سار إلى بلاد ميتك — لقبض حقوقها بعد غفلة طويلة — ، فقبضها ورجع إلى مستقره .

---

(١) القرتب بضم القاف وسكون الراء وضم التاء . من قرى وادى زبيد باليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .

وفى صفر من هذه السنة ظهرت آية من آيات الله الباهرة ، وهى حمرة حدثت بعد المغرب ، غلب ضوؤها ضوء المصباح ، وذلك فى جبال اليمن ومشارقها ، وفى تهامة ظلمة شديدة استمرت ثلاثة أيام .

وحكى الفقيه أحمد بن محمد المحلى ، المدرس فى ذى مرمر ، عن رجل وصل من زُبيد أن هذه الظلمة حدثت ليلة الاربعاء ، بعد أن طلع القمر ، فعمت البلاد ، واستمرت إلى يوم الجمعة ، ثم انقشعت . ونزل فى هذه الايام تراب من السماء يشبه لونه لون الرماد ، وجعل يسيل إلى زبيد كالسيل ، والناس ينظرونه ، ففزع الناس فزعا شديداً ، وأظهروا التوبة ، وأمر سُنقر باخراج من فى السجون ، وكذلك فعل وردسان بالمسجونين فى صنعاء ، فسبحان المخوف بالآيات . قال الخزرجى[1] مامعناه : إن جماعة من زبيد خرجوا إلى المجرى من باب الشبارق ، فحدثت هذه الظلمة ، فلم يهتدوا إلى بيوتهم ، وكان فيهم رجل أعمى ، فقال لهم مَنْ أعطانى زبديا من الطعام دللته إلى بيته أينما كان ، فالتزموا بذلك فعاد كل منهم إلى بيته .

ومن جملة الحوادث فى الشهر المذكور القضية الحاصلة فى الاهجر من بلاد حمير ، وهى أن أهل محل فيه تعرف بمارهين[2] سمعوا حطما عظيما تحت قراهم ، ففزعوا ، وخرجوا بأنفسهم وأنعامهم إلى جبال حول محلهم ، فسالت القرى والضياع نحو ميل ثم وقفت على ضياع قوم آخرين فى أسفل الوادى ، ووقع التنازع بين الفريقين ، فترافعوا إلى الامام ص بالله عليه السلام ، فحكم بالارض لاهل الضياع السفلى ، ولاهل العليا نقل ما أمكنهم من أحجار وأخشاب .

---

(١) هو أبو الحسن على بن الحسن الخزرجى المتوفى سنة ٨١٢ هـ صاحب كتاب العقود اللؤلؤية فى الدولة الرسولية (مطبوع) وتاريخ الكفاية والاعلام فيمن ولى اليمن وسكنها قبل من أهل الاسلام (مخطوط) .

(٢) مارعين : موضع بالأهجر من بلاد حمير .

(أنباء الزمن ، ص ٦٥)

وفيه أيضاً وقعت صواعق مفزعة فى جهات المغارب ، ودخان عظيم أقام نحو ثلاث ليالى ، فأظهر الناس التوبة ، حتى رفع الله عنهم هذه الآيات . ثم غفلوا وعادوا إلى ما كانوا عليه ، وخلق الإنسان ضعيفاً . وفى هذا الشهر مات الأمير العفيف بن محمد بن المفضل الهدوى فى هجرة وقش .

وفيه أيضاً وصل الحُجاج من مكة المشرفة ومعهم من الخيل أربعاً ، منها ثلاث شريت لبيت المال ، وحصان عظيم أرسل به الأمير على بن عطية بن يعقوب صاحب حَلْى[1] إلى الإمام عن حقوق لزمته .

ووصل كتاب من بعض ولاة الحجاز يذكر أنه قد سلم ما قِبَله من حقوق ونذور إلى مأمور الإمام ، وهو الشريف حسن بن ضامن . ووصل أيضاً كتاب من الشريف المذكور إلى الإمام يذكر فيه ما معناه أن خليفة العراق بعث أربعة رجال من قوم يعرفون بالحشيشيين[2] من صفاتهم أنهم يقدمون على قتل من أغروا بقتله من الملوك ، ولا يبالون بما وقع فيهم من قتل أو غيره ، ويريدون ذلك تدينا ينالون به الفوز بزعمهم ؛ وأنه أمر نفرين منهم بقصد صاحب الحجاز يومئذ — وهو الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس الحسنى — ونفرين إلى صاحب اليمن — وهو الإمام ص بالله عليه السلام — فحذر الشريف حسن بن ضامن منهما . ولم تمض مدة يسيرة من وصول كتابه إلى الإمام حتى قدم الرجلان صَعْدة فأنكرهما أهلها لكون لغتهما أعجمية محضة ، فأشعروا بهما الإمام ، فأمر بسجنهما ، ثم رأى منعهما عن البلاد إلى تهامة ، وأباح دمهما إن وجدا بعد .

---

(١) حلى : مدينة باليمن على ساحل البحر ، بينها وبين مكة ثمانية أيام . (ياقوت معجم البلدان) .

(٢) يقصد طائفة الحشيشية ، وهم جماعة من الاسماعيلية الباطنية ، أول دعاتهم كان أحمد بن عبد الملك بن عكاش ، ثم خلفه الحسن بن الصباح . استغلوا سلاح القتل فى تنفيذ أغراضهم والتخلص من خصومهم وتركز نشاطهم بصفة خاصة فى القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر للميلاد فى فارس والشام .
(سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٥٠ ـ ٥٦٠)

وفى هذه المدة استولى الإمام على كوكبان ، بسبب أن عامل الغُز الذى كان فيه من أيام المعز بن طغتكين ضعف عن نفقة من عنده من الجند ، لما تحيرت عليه المواد من البلاد ، فعرض الحصن أولا على الإمام على تسليم خمسة آلاف دينار ، فلم يلتفت إليه الإمام ، فعرضه على رجل من بنى الرواحى فلم يسعده ، فعرضه على الأمير يحيى بن حمزة فأعرض عنه ، فمال إلى إظهار الطاعة للإمام ، وخطب له على منبر شِبَام ، وقطع ذكر بنى العباس من الخطبة . ثم استدعى وصول الأمير يحيى بن حمزة إلى شِبَام ، فوصل إليه ، وتم الأمر بينهما على إطلاق الحصن للإمام من دون مال . وكان العامل المذكور قد أخرج من الحصن من يخشى منه المعارضة ، وأطلق إلى الأمير يحيى مفاتيح الحصن ، بعد أن أخذ عليه الأمير يحيى عهداً مؤكداً بالوفاء للإمام بما عرضه من نفسه . وأظهر الأمير يحيى للخاصة والعامة ماانعقد عليه الأمر من تسليم كوكبان ، فعجب الناس من ذلك ، حتى قال بعض بنى الرواحى « أما يستحى هذا الشريف من قوله قد صار كوكبان للإمام ، بلا درهم ولا دينار » ثم ارتفع الأمير يحيى إلى كوكبان ، بعد أن كتب إلى الإمام بصفة الواقع ، فوصل الإمام إلى كوكبان بنفسه . ووفد إليه القاضى العلامة يحيى بن جعفر بن أحمد بن عبد السلام من بلاد الطَّرف وبنى شاور ، وكان الحاكم فيها والمتولى لقبض حقوقها ، فطلب من الإمام العذر عن الولاية ، وكانت له معرفة جيّدة وورع كامل ، فقبل الإمام عذره عن تلك الجهة ، وولاه الحكم فى شِبَام .

وفي هذه الأيام وصل وردسان من اليمن الأسفل إلى صنعاء ، بخيل ورجال ، وأخذ فى التجهيز إلى بلاد الظاهر وصَعْدَة ، فلبث يتأهب نحو شهرين ، وأطلق عساكره فى بلاد بنى حاتم فدمروها ، وفارقها أهلها إلى بلاد الامام كالجرف وصَعْدَة والظاهر . ثم نهض من صنعاء إلى متنَة[1] ، فأقام فيها أياماً ، وجمع الأمير يحيى بن حمزة عسكراً إلى

(١) المتن من الأرض ما ارتفع وصلب ، ومتنه موضع قرب صنعاء ، كما يفهم من النص .

شبام ، وتأهب لحرب وردسان . فطال الانتظار ، وتفرق الناس عنه حتى لم يبق إلا الأمير صعصعة بن محمد بن حسين بن المنتاب — صاحب مِسْوَر — فى جماعة من أصحابه ، فلم يشعروا يوماً إلا بخيل وردسان قد ظهرت من وادى القمة[1] ، ثم قربت من شِبَام ، فوقع القتال عامة ذلك اليوم . ولم يمنع شِبَام عن دخولها إلا دوائرها . وفى اليوم الثانى نهض وردسان لمباشرة الحرب بنفسه ، فعبأ أصحابه تعبئة الحرب ، فجعل الرجالة وبعض الخيل فى وجه المدينة ، وبقية الخيل فى الجانب الأيسر . وأمرهم بالدخول من باب الأهجر عند ملازمة القتال ، فدخلوها ، وحمى الوطيس ، واشتد النزال من أول اليوم إلى آخره ، وقتل من أصحاب وردسان أربعة عشر رجلا ، ومن أصحاب الأمير يحيى بن حمزة جماعة ، وانفصل القتال ، فرجع وردسان إلى صنعاء ، فلبث أياماً ثم رجع إلى حصن عضدان .

وفى هذه الأيام وصل إليه [أى الإمام] بشر بن حاتم اليامى ، فأرجع إليه بعض بلاده ، وصار من جملة أجناده . ووصل إليه أيضاً الشريف حاتم بن على القاسمى — صاحب بَرَاقش — وكان عاملا للامام على بلاد سفيان المتصلة بظاهر بنى صريم ، فعزله الإمام بعد أن لبث فى الولاية مدة طويلة ، وانقاد له أهل البلاد ، فكبرت نفسه . واتفق أنه قصد الإمام إلى حُوْث ، وحاول الدخول عليه حال وصوله ، فاستوقفه الحاجب حتى يستأذن له ، فانثنى مغاضباً ، وسرع فى الفساد وإحافة الطرق[2] ، فلهذا عزله الإمام . ولم يزل يغرى وردسان بغزو بلاد الإمام .

ولما أمن وردسان جانب ذى مَرْمَر ، بدخول صاحبه بشر بن حاتم فى طاعته ، جهز عسكراً إلى مَطَر[3] وعذر ، وكان الإمام قد انتزعهما من أيدى الغز . فوصل عسكر

---

(١) القمة : جبال باليمن (حسن الويسى : اليمن الكبرى ص ٩٧)
(٢) احافة الطرق أى قطعها والعبث بها وافسادها . (القاموس المحيط)
(٣) مطر : من أعمال اليمن . يقال لها بنو مطر (ياقوت : معجم البلدان)

وردسان إلى مَطَر عند حصاد الثمر . وبلغ الخبر إلى الإمام ، وهو يومئذ فى الجوف ، فنهض إلى شُوَابَة وبعث عسكراً لمحاربة أصحاب وردسان ، مقدمهم صنوه[1] الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة . فوقع القتال بين العسكرين ، وخرج وردسان من صنعاء مغيراً على أصحابه ، فاتصل الحرب ، واشتد القتال ، فانهزم أصحاب الإمام ، وقتل أخوه إبراهيم رحمه الله تعالى ، واحتز رأسه ، وحمل رأسه إلى صنعاء ثم إلى اليمن الأسفل . واستشهد جماعة من أصحابه . وعظمت هذه الحادثة على الإمام وضاق لها صدره . وكان الأمير صارم الدين عاملا على الجوف ، فلما قتل جعل الإمام ولاية الجوف لأخيه الأمير الحسن بن حمزة ، فاعتذر عنها ، فلم يقبل الإمام عذره .

وفى هذه السنة خرج وردسان إلى شِبَام تارة أخرى ، فدخله وأخربه خرابا مجْحفا ، وتحول الأمير يحيى بن حمزة وأصحابه إلى الجبل الذى داخل المدينة بعد حرب شديد . وكان الغُز قد حالوا بينه وبين الجبل ، فركض جواده حتى لحق بأصحابه سالما ، وكان فارسا شجاعا مقداما لطيف الجسم .

وفى شهر شوال من السنة المذكورة ابتدأ الإمام ص بالله بعمارة حصن ظَفَار ، وسماه بهذا الاسم ، وكان يعرف من قبل بِأَكَمَةِ أبِى الفَتح ، وبالغ فى تحصينه ، وجعله مستقر عزه .

ودخلت سنة — ٦٠١ —

فى المحرم منها عقد الصلح فيما بين الامام ووردسان مدة سنتين ، على إرجاع كوكبان لوردسان إلى مقابل ترك التعرض منه إلى بلاد الامام ، وتسكين الفتنة التى شملت الخاص والعام . وأخذ الامام على وردسان العهود الغليظة المؤكدة بطلاق زوجاته وعتق عبيده ، ثم نكث العهود ، كما يأتى تحقيقه . وبعد تمام الصلح وصل سُنقر من اليمن الأسفل إلى

---

(١) الصنو هو الأخ الشقيق (المعجم الوسيط) .

ذِمار ، فلقاه وردسان وأخبره بماوقع من الصلح ، فرجع سُنقر إلى اليمن غير طيب النفس ، وعاد وردسان إلى صنعاء .

وفى هذه المدة سار الامام إلى ذى مَرْمر ، فلقاه بنو حاتم ومشوا بين يديه ، وأقام عندهم أياما .

وفى شهر رجب من هذه السنة عاود سُنقر النهوض إلى اليمن الأعلى لقصد فى ظَفَار ، ومعه وردسان ، فحاربا من فى ظَفار من أصحاب الامام . ولم يظفرا بمرام ، فتوجها إلى الجوف ، فواجههما أهله ، ثم عطفا على صَعْدة وأخربا دار الامام فى هجرة مَعين ، وأمرا بنقل أخشابها إلى حصن تلمُّص[1] . وأقاما فى صعدة قدر عشرة أيام ، وأعادا الخطبة فيها لبنى العباس ، ثم استخلفا عليها من يحفظها ، ورجعا إلى صنعاء . فأمر الامام بالغارة على من فى صَعْدة ، وعلى من فى أثافت من الغُز ، وحث القبائل على حربهم ، فحاربوا من فى أثافت .

ولما بلغ الخبر وردسان خرج من صنعاء إلى رَيْدة مغيرا على أصحابه . وخرج الامام من ذى مَرْمر إلى ظَفَار ، فجمع القبائل من مُرْهِبة[2] وسفيان[3] ووادعة وغيرها ، فانهزم الغز الذين فى صعدة وأثافت إلى محطة وردسان فى ريْدة ، ثم انهزم الجميع إلى صنعاء . وأمر الامام باخراب الكُولة[4] ومحلات غيرها . وعادت البلاد للامام . ولبث وردسان فى صنعاء أياما ، ثم جمع جيشاً جرارا من همْدان وبنى شهاب وسِنحان ،

---

(١) تلمص : حصن مشهور بناحية صعدة من أرض اليمن
(ياقوت : معجم البلدان)

(٢) مرهبة : بضم أوله وسكون الراء وكسر ثالثه ، بلد من فروع وادى منبج ، أحد وديان الجوف
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٣)

(٣) سفيان : جبل فى أقصى بلاد وادعة فى الخشب من بلد همدان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١١٢)

(٤) الكولة : حصن من نواحى ذمار باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان)

ووصلت إليه خيل من اليمن . ثم خرج من صنعاء فى خمسمائة فارس ، وعساكر كثيرة قاصداً بلاد الظاهر ، فدخل دَمَّاج[1] ووقع بينه وبين الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة حرب عظيم ، قتل فيه من الفريقين عالم كثير ، وتقدم وردسان إلى بلاد بنى مالك ، فأخرب دوراً فى مشوط ثم سار إلى حُوْث فأخرب دار الامام ص بالله ، ومضى إلى مَسْلت ، فأخرب فيها دورا وقطع أعنابا ، ثم عاد إلى صنعاء .

وفى مستهل شهر شعبان من هذه السنة المذكورة انقض كوكب عظيم إلى ناحية المغرب أضاءت له الآفاق ، وتعقبه رجفات تزلزلت منها الأرض ، فسبحان القادر على ما يشاء .

وفى اليوم السابع من ذى الحجة من السنة المذكورة وصل سيل عظيم إلى صنعاء لم يعهد مثله فى سالف الزمن ، إلاّ السيل الذى فى عصر الامام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام ، وقد تقدم ذكره . وكان وردسان قد بنى لنفسه دارا فى بستان السلطان طُغتكين بن أيوب فى الجانب الغربى من صنعاء بالقرب من الخندق العدنى ، ونقل إليها أمواله وذخائره ، وجعل فى البستان حماماً وأجرى إليه الماء من غيل البرمكى . وكان الخندق الذى يدخل منه السيلُ مشبَّكاً بشبابيك مقفلة ، فإذا جاء المطر رفعت تلك الشبابيك ، فوصل هذا السيل قبل رفعها ، فرجع إلى قرة العين ، ثم دفع دفعة واحدة فأخرب دار وردسان ، وذهب بجميع مافيها . وكان وردسان حينئذ فى الحمام ، فدخل عليه السيل من باب الحمام ، ففر بنفسه إلى باب السبحة ، وكاد أن يهلك .

قال فى سيرة الإمام ص بالله ، ما معناه ، ولقد أخرب ذلك السيل جميع الدور المعمورة فى جانبى السائلة[2] شرقا وغربا ، وأهلك ما فيها من نفوس وأموال. ولما وصل الخندق

---

(١) دماج بفتح أوله وتشديد الميم ، موضع فى أحد وديان الجوف .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)

(٢) السائلة : موضع عند صنعاء ، ذكره الخزرجى (العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٨٧) ربما كان يقصد به مجرى السيل أو المكان الذى يجرى فيه ماء السيل ، كما يفهم من النص .

القبلى لم تسعه المخارج ، فماج فى الجانبين كالبحر المتلاطم ، وأخرب قرية بنى غانم[1] ، ومساكن بنى الطماح[2] ، وغربى السائلة ، على من فيها ، وهلك عالم من الناس والدواب ، وبلغ فى مسجد الصومعة[3] قدر القامة ، وأحاط به من جميع الجوانب حتى صار فى وسط السيل كالسفينة فى البحر ، ولم يهدم منه شيئا ، بل أخذ ما حوله ثم كسر السور من موضع الخندق وخرج منه .قلت: ولم يزل أثر العمارة القديمة وبعض العقود ومكان الشبابيك إلى أن أتى سيل فى سنة ١٠٢٩ فحمل أكثرها ، ثم جددت ووسع مجراها على ما هى عليه فى تاريخنا هذا .

وهذه القضية معدودة عند الشيعة من جملة كرامات الإمام ص بالله عليه السلام ، لأنها وقعت عقب إخراب وردسان لدار الإمام فى حَوْث ، وما وقع منه من البغى ونكث العهود .

وفى هذه السنة أمر الإمام ص بالله بضَرْبة الدراهم المنصورية ، وزن كل درهم نصف قفلة ، وبعضها ثُمن قفلة[4] . وكان التعامل قبل ذلك بالضربة العباسية فامتنع الناس عن التعامل بضربة الإمام ، فأدبهم بالجيوش وغيرها . وكانت الضربة العباسية أرجح

---

(١) بنو غانم : بطن من الحميديين ، من هلبا سويد أيضا ، وهلبا سويد بطن من بطون زيد بن حرام بن جذام .

(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ١١٦)

(٢) بنو الطماح : بطن من اياد من العدنانية ، وهم بنو الطماح بن نمارة بن اياد . (القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٦٤)

(٣) جاء فى هامش الصفحة المخطوطة أمام عبارة مسجد الصومعة ما نصه :

« هذا المسجد هو المعروف الآن بمسجد ابن الحسين ، شرقى السائلة ، غربى بيوت أهل الذمة . ولعل الامام أحمد بن الحسين عليه السلام جدده فنسب اليه ، والا فهو من المساجد القديمة فى صنعاء ، وكان فيه صومعة ، وقد خربت من زمان ، والله اعلم » .

(٤) ذكر الخزرجى أن الأوقية تساوى عشر قفال بالختم المصرى

(العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٣٠٦)

وزنا من ضربة الإمام، زايد درهما من ضربة المعتصم العباسى ، وزنه قفلة فضة طيّبة مثل ربع القرش.

وفيها وقع صلح بين الامام ووردسان مدته عشر سنين ، ولم يتم بل انتقض بعد مضى سنة .

وفيها خالف أهل الجوف على الامام،فجهز عليهم أخاه الأمير يحيى بن حمزة فى عسكر عظيم . فلما وصل نَقِيل مُراد ، قطع عليه قبائل تلك الجهة الغيل من أعلى الوادى ، فلحقت عسكره مضرة عظيمة من العطش ، فأرسل الله إليهم سيلا عظيما من جبال مطره ، فاستقوا منه وتقدموا على البلاد المخالفة ، فأذعن أهلها بالطاعة .

ودخلت سنة — ٦٠٢ —

ولم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٦٠٣ —

فيها انتقض الصلح فيما بين الامام ووردسان ، فنهض وردسان إلى البوْن ولقاه الامام بجمع عظيم ، فكانت الدائرة على وردسان ، وعاد إلى صنعاء ، ثم سار إلى بيحان فاستفتحها ، ورجع إلى صنعاء بعد أن قاسى مشقة عظيمة .

وفى هذه السنة وصلت طائفة من بنى حَرب بأهلهم وأولادهم إلى صَعْدة ، أجلاهم عن مساكنهم — وهى بين المدينتين[1] — الشريف قتادة بن إدريس الحسنى .

وفيها جهز الامام على صور[2] ، وهى بلدة شرقى شَهاَرة تظاهر أهلها بالفساد ،

(١) المقصود بالمدينتين مكة والمدينة . وقد ذكر ابن خلدون فى العبر ان موطن بنى حرب بالحجاز والمدينة .

(٢) صور : فى مخلاف جيشان باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٢) .

وتركوا كثيرا مما أوجبه رب العباد ، فأوقع بهم أصحاب الامام ، فاستقاموا وأتوا بالواجبات .

وفيها وقعت المراسلة فيما بين الامام والمطرفية ـ أهل قاعة وَوقَشْ وسَنع ـ فتوعدهم الامام ، وحكم بتكفيرهم ، وجواز تشتيتهم ، واستباحة أموالهم ، إن لم يتركوا مذهبهم الخبيث ، فتركوه خيفة ، ورجع إليه من رجع . وفى ذلك يقول الامام عليه السلام ، من أبيات :

لست ابن حمزة إن تركت جماعة يتجمعون بقاعة للمنكر
فلأوردنّ البيض فى أعناقهم وسنابك الخيل الجياد الضمر

وفى هذه السنة أيضا جهز الإمام أخاه الأمير يحيى بن حمزة إلى تهامة لقصد المَهْجم من الأعمال السُرْدُدية ، فوافاها على حين غفلة من أهلها ، فأوقع بهم ، وأحرق منازلهم .

وفيها كانت الفتنة العظيمة والحادثة الجسيمة ، وهى خروج التتار الأشرار على بلاد الإسلام ، واستيلاؤهم على معظم بلاد العراق والشام . وهى فتنة لم يسبق مثلها فى الإسلام إلاّ فتنة القرامطة . وقد ذكر أصحاب التواريخ صفة هؤلاء القوم وسبب خروجهم من ديارهم إلى الديار الإسلامية ، ومدة مكثهم فيها ، ونحن نشير إلى طرف يسير .

ذكر السيد إدريس بن على الحمزى فى تاريخه[1] ، ما معناه فى سبب خروجهم أن سلطان سمرقند لم يزل يحرض السلطان علاء الدين خوارزم شاه صاحب خُراسان

---

(١) هو الشريف عماد الدين ادريس بن على بن عبد الله بن الحسن بن حمزة ابن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة . كان شريفا ظريفا شجاعا كريما جوادا ، وكان عالما لبيبا عاقلا وشاعرا فصيحا . له عدة مصنفات فى فنون كثيرة ، منها كتاب « كنز الأخيار فى معرفة السير والأخبار » . وهو كتاب حسن ممتع . توفى سنة ٧١٤ هـ

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٤١٠) .

على حرب الخطا[1] ، وهم أمة عظيمة ، بلادهم متوسطة بين بلاد الإسلام وبلاد التتار ، ويقيم الحجة عليه بما أعطاه الله من سعة الملك وكثرة الأموال والجنود ، وتوعده الإعانة بنفسه وماله وجنده . فتجهز خوارزم لحرب الخطا بعد أن قرر أحوال بلاده ، وصالح غياث الدين ملك الغورية[2] ، ثم عبر نهر جيحون ، واجتمع بصاحب سمرقند وقصدا بلاد الخطا ، فوقعت بينهم حروب عظيمة يطول ذكرها . ولم يزل الحرب سجالا ، وفي آخرها انهزم المسلمون وكثر فيهم الأسر ، وأسر السلطان خوارزم وأمير كبير من أمرائه . وكان الذي أسرهما لا يعرفهما فلبثا في الأسر مدة ، ثم احتال ذلك الأمير في خلاص السلطان بأن ألزمه خدمته ، وأظهر أنه من بعض غلمانه . ثم جعل مالا للذي أسرهما إلى مقابل إطلاقه فرضي بذلك ، وأراد الآسر لهما أن يبعث للمال رجالاً من أصحابه ، فقال له الأمير « إن أهل بلادي لا يعرفون أصحابك ، ولا يسلمون إليهم المال حتى يكون غلامي هذا معهم » فأطلقه .

ولما دنا خوارزم من بلاده عرفه أهلها فاستبشروا به . وقد كان أهل خراسان اختلفوا عند غيبته ، ووثب كل أمير منهم على جهته فأصلح خوارزم أمورها ، ثم جمع الجموع ، ونهض لحرب الخطا ، وأيده الله بالنصر فهزمهم هزيمة عظيمة ، ورجع إلى بلاده منصورا ومعه سلطان سمرقند ، فزوجه خوارزم بابنته ، وأرجعه إلى بلاده ، وسيّر معه جماعة من أصحابه ، فساءت سيرتهم ، وعاملوا صاحب سمرقند بأقبح معاملة ، فقتلهم ومثّل بجماعة منهم ، واستمدّ الخطا ، فأمدوه . وبلغ الخبر إلى خوارزم ، فغضب غضبا شديدا ، ونهض بجيوشه إلى سمرقند فأوقع بأهلها أشد وقعة ، وقتل منهم ما يزيد

---

(١) الخطا : قبائل آسيوية موطنها الأصلي شمال الصين ، ثم نزحت في القرن السادس الهجري من بلادها الى أن استقرت غرب اقليم التركستان ، حيث كونوا دولة في ولاية كاشغر وختن عرفت باسم « القراخطائيين » وكانوا يدينون بالبوذية . (فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ ص ٢٩) .

(٢) كان سلاطين الغوريين يحكمون جزءا من أفغانستان الحالية وغرب الهند . والمقصود بغياث الدين المذكور في النص غياث الدين محمد بن سام المتوفي سنة ٥٩٩ هـ .

على مائتى نفس ، واستنزل ملكهم من حصنه ، فقتله ومن يلوذ به ، ثم جعل على البلاد من يحفظها ، ورجع إلى بلاده .

فخرج التتار من بلادهم المجاورة لبلاد الصين ، وكان بينهم وبين الخطا عداوة شديدة ، فخافهم ملك الخطا ، فأرسل إلى خوارزم شاه يطلب الإعانة على حرب التتار ، وإهدار ما بين الخطا وخوارزم من الدماء حديثا وقديما ، ويقول له ما معناه : إن التتار إذا غلبونا لم تقدر على منعهم من بلادك . وأرسل إليه ملك التتار يقول له : إن الخطاَ أعداء لنا ولكم ، فخل ما بيننا وبينهم ، ونعطيك عهدا على أنا إذا غلبناهم لا نقرب بلادك ، بل نقتصر على حد بلادهم . فأجاب خوارزم على كل فريق بما يلائمه ، وسار بجنوده حتى وقف قريبا من معترك القوم ، وكل فريق يظن أنه معه . واقتتلوا ، فانهزم الخطاَ هزيمة منكرة ، فمال خوارزم عليهم مع التتار ، فقتلوهم حتى كاد القتل يأتى على آخرهم ، وخلت أكثر ديارهم ، فتهيأ للتتار الخروج بعد ذلك إلى بلاد الاسلام فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى ، وجرى منهم إلى المسلمين ما يطول ذكره . فهذا تلخيص ذكر السبب لخروج هذه الأمة على جهة الاختصار ، ومن أراد الوقوف على أخبارها فعليه بالكتب الكبار ، وقد ذكر بعضهم سببا غير هذا ، والله أعلم[١] .

وفى هذه السنة سار الأمير الأتابك سُنقر إلى خُبّات ، لما خالف عليه أهله ، فوقع بينهم حرب ، كانت الدائرة فيه عليه ، وقتل من أصحابه عدة . وتحرك أهل اليمن الأعلى للخلاف على سُنقر ، فنهض إلى صنعاء ثم إلى ريْدة ، ووصل إليه كتاب من أهل حصن بكر يستدعونه للوصول إليهم لقبض حصنهم ، وإنما يريدون المكر به . فلما قرب من الحصن أنذره محمد بن مفرح بن منصور الضريوه الأسدى صاحب ثلا ، فرجع

(١) نشير على من يريد ان يتتبع اخبار التتار فى المصادر العربية بالرجوع الى الجزء السابع والعشرين من كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وقد قمنا بتحقيقه أخيرا ، وفيه الشيء الكثير عن اخبار التتار بالتفصيل .

إلى صنعاء ، وعقد صلحا بينه وبين الإمام ص بالله ، ورجع إلى اليمن الأسفل ، ثم خرج إلى زبيد فاستقر فيه .

ودخلت سنة — ٦٠٤ —

لم يتفق فيها ما يتوجه رقمه .

ودخلت سنة — ٦٠٥ —

فيها نهض الأتابك سُنقر من زبيد إلى صنعاء ، وكانت طريقه وادى سهام ، ما بين ريْمة وحَرَاز ، وهى طريق نافذة إلى نقيل السود[1] ، ليّنة المسلك . فوافى صنعاء على غير شعور من أهلها بقدومه ، فلبث فيها أياما ، وجدد الصلح فيما بينه وبين الإمام على يد الأمير يحيى بن حمزة على تسليم مائة حمل حديدا من صَعْدة لوردسان وعشر من الخيل ، وللإمام بلاد الظاهر والجوفين وصَعْدة ، ولوردسان البونْين ؛ ورجع سُنقر إلى اليمن الأسفل .

وفى هذه المدة وصل كتاب من الشهاب الجزرى إلى الإمام يطلب منه الإذن بالوصول إليه ، وإرسال جماعة من أصحاب الامام يسيرون معه لتخوفه من أصحابه الغُز . فأبطأ عليه جواب الامام ، فخاطر بنفسه وسار حتى وصل إلى الامام ، وهو فى حلملم من بلاد الأشمور .

وفيها تشعبت على وردسان الأمور ، وانفتقت عليه الثغور ، فاستعان بسنقر ، وكان فى تلك الأيام مشغولا بتجهيز الحجاج ، فأمر بترك السفر للحج ، ونهض إلى صنعاء بعساكر كبيرة ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار إلى شِبام ، ومنها إلى الأشمور ، ثم إلى الظاهر ، وأخرب عدة قرى ، وسار إلى حُوث فأخربها . ورجع إلى الجوف ، فأخذ بَرَاقش قهراً

---

(١) نقيل السود : يقع عند رأس وادى سهام أحد أودية السراة .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨ ، ٧١)

بالسيف ، وقتل أهلها وسلمها إلى محمد بن جحاف — وكان من أعوان الغز — ثم رجع إلى صنعاء . وجرد مخرجا إلى بلاد حَجَّة ، فقرر أمورها ، وجعل ولايتها إلى على بن حجاج . والامام فى هذه المدة باق بمدينة ثلا .

ودخلت سنة — ٦٠٦ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٦٠٧ —

فى المحرم منها نهض سنقر إلى صنعاء ثم خرج منها إلى الطويلة[1] ، وحاربها فلم ينل منها شيئا ، فعاد إلى صنعاء ، ومنها إلى اليمن الأسفل .

وفيها سلم محمد بن جحاف بَرَاقش للإمام . ولما بلغ الخبر وردسان همّ بالغارة لاستدراك بَرَاقش ، فعاقه عن ذلك خلاف وقع من عامل بَكِيل ، وتوجه إلى تلك الجهة ، فحارب أهلها ، ثم وقع الصلح بينه وبينهم ، ورجع إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٦٠٨ —

فيها سار الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة وجماعة من الأشراف ، منهم محمد ابن إبراهيم ، وسليمان بن موسى ، ومجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد . ومن أعيان أصحاب الامام الأمير مخلص الدين جابر بن مقبل ، فى عسكر من أصحاب الامام إلى المهجم ، والمحالب[2] من تهامة ، فلقاهم جند الغز ، ووقع بينهم القتال ، فقتل مجد الدين تحت دبابيس[3]

(١) الطويلة : جبل وحصن قرب صنعاء
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ص ١٥٢ ، ٣٦٩ ، ج ١)
(٢) المحالب : بليدة وناحية دون زبيد من أرض اليمن .
(ياقوت : معجم البلدان)
(٣) الدبوس ، وجمعه دبابيس ، آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى تشبه الابرة . كانت تصنع من عود طوله نحو قدمين من الخشب الغليظ ، فى أحد طرفيه راس من حديد قطرها ثلاث بوصات تقريبا .
(Dozy : Supp. Dict. Ar.)

المعز ، رحمه الله تعالى ؛ وجرح الأمير الحسن بن حمزة ، وحمل إلى الحوس فدفن مجد الدين فيه ، وحزن الإمام والأشراف على مجد الدين حزنا عظيما .

وفيها نهض سُنقر إلى صنعاء ، ثم خرج منها إلى بنى شهاب ، فصالحه الذئب ابن سلمة . ثم سار إلى ثلا فأخرب جانبا منها ، وتقدم إلى ثلا حمير ، فحصلت بينه وبين الإمام مراسلة فى الصلح ، فتم على سنتين . ثم توجه سُنقر إلى تهامة على طريق حراز ، حتى استقر فى زبيد ، وظفر بالشهاب الحرزى ، فأودعه سجن التَّعْكر ، ونهض سُنقر إلى تعز ، فأخذ فى التجهيز لسفر الحج ، فحال دون ذلك الأجل المحتوم ، فمات فى تعز ، ودفن فى المدرَسَة التى بناها بذى حريم[1] . وله من المآثر فى تعز جامع المعز ، وفى زبيد المدرسة المعروفة بالعاصمية نسبة إلى مدرِّسها الفقيه محمد بن عاصم الشافعى ، والمدرسة المعروفة بالدحمانية ، نسبة إلى مدرِّسها الفقيه محمد بن الدحمانى الحنفى . وبنى الجامع بخنفر ، ومؤخر جامع الجند ، وله فى الدُّمْلُوه مبانٍ عظيمة .

ولما مات استقل الملك الناصر أيوب بن طُغتكين بالأمر على حداثة سنة ، وجعل القائم بأعماله صاحب بابه وأستاذ داره غازى بن جبريل . فساء ظنه بوجوه الدولة ، فقتل أكثرهم بالسمّ . وكان ممن سُقى السم الأمير الحسن بن على بن رسول ، ولكنه لم يؤثر فيه ، ووقاه أجله . وكان عاملا على ريْمة ، فنقله الناصر إلى حَرَض ، وترك أخاه أبا بكر بن على بن رسول على جهة وَصاَب . ثم طلب الناصر وردسان من صنعاء ، فاشترط وردسان إطلاق الشهاب الجزرى إليه ليقتله . فاستشار الناصر وزيره غازى ابن جبريل ، فأشار عليه بتسليمه إليه . فدفعه إلى مملوك لوردسان فقتله خنقا . وسار وردسان إلى تعز ، فقابله الناصر بالإحسان ، وزاده على ولاية صنعاء حصن تَمدَان .

---

(١) حريم ، تصغير حرم ، حصن من أعمال تعز باليمن
(ياقوت : معجم البلدان)
وذو حريم موضع لبنى عروة قرب ردمان باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٤)

فيها سار الملك الناصر وردسان إلى بلاد حَجَّة على طريق المَهْجَم، وفيها أمير من أيام الأتابك سُنقر يعرف بيَكْتُمر السيفى، فتقدم معهما حتى بلغوا الذنائب[١]، فضرب الناصر مخيّمة هنالك، وأمر يَكْتمر بالتقدم إلى حَجَّة، ففعل. ولبث أياما لم يقض منها وطراً، فتكلم وردسان فى أمره، وأغرى الناصر بقتله، فعزم الناصر على ذلك، وبعث غازى بن جبريل إلى المَهْجَم للاحتفاظ بأموال يَكْتُمر. فلما عاد يكتمر من حَجَّة لقاه النذير، فأخبره بما أجمع عليه الناصر ووردسان، فعرج عن مخيم الناصر والتجأ إلى قرية الذنائب. ولما عرف المماليك البحرية[٢] بما تمالأ عليه الناصر ووردسان، أخذتهم الحمية وعزموا على الخلاف على الناصر. ووقع من بعض أصحاب وردسان الإنكار عليه، وهموا بقتله فى خيمته حمية منهم على السيفى، فأتاه النذير، فانتقل عن خيمته إلى خيمة أخرى. ثم خرج إلى الناصر ملتجئا إليه، وهجم أصحابه الخيمة فلم يجدوه، فانتهبوا خزائنه، وأخذوا ما أمكنهم من الظهر، وساروا إلى يكتمر السيفى.

---

(١) الذنائب : قرية دون زبيد من أرض اليمن (ياقوت معجم البلدان)

(٢) لعله مما يسترعى النظر ذكر اسم المماليك البحرية هنا — فى حوادث سنة ٦٠٩ هـ — أى قبل أن يظهر هذا الاسم على مسرح التاريخ فى مصر والشام. والغالب فى رأينا أن المؤلف انما يقصد بالمماليك البحرية المماليك الأتراك الذين أكثر من شرائهم ملوك بنى أيوب، فى مصر وغير مصر ليتخذوا منهم عدة فى المحافظة على ملكهم. واذا كان ملوك بنى أيوب فى مصر والشام قد أكثروا من شراء المماليك الترك، فاننا لا نستبعد أن يكون بنو أيوب فى اليمن قد فعلوا كذلك. ولا يخفى علينا أن مؤلف هذا الكتاب عاش فى العصر العثمانى وشاهد انتشار المماليك الجراكسة فى اليمن منذ أيام حملة الغورى على اليمن، فاستخدم اصطلاح البحرية تمييزا للمماليك الترك الأوائل عن المماليك الجراكسة الأواخر. ويؤيد رأينا هذا ما ذكره مؤلف هذا الكتاب بعد ذلك فى حوادث سنة ٦٤٧ هـ، من أن السلطان نور الدين على بن رسول فى اليمن « استكثر من المماليك، حتى بلغت مماليكه البحرية الف فارس، وكانوا يحسنون من الفروسية والرماية مالا يحسنونه مماليك مصر ».

وخالف على الناصر أميران من أمرائه ، وهما سنقر الزواحى[1] وقرا سنقر ، فى خمسين فارسا من المماليك . واجتمع الكل منهم فى قرية الذنائب ، فنهض الناصر إلى المَهْجَم خوفا من المماليك ، فأخذ جميع ما كان ليكْتُمر من مال وعيال ، وسار بهم إلى زُبيد ، ثم إلى تعز . فخرج يكتمر من الذنائب بمن مال إليه من أصحاب الناصر ووردسان إلى المَهْجَم ، فعاثوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد . وبلغ خبرهم الناصر ، فجمع لحربهم العساكر ، وخرج ومعه وردسان . فالتجأ يكتمر بمن معه إلى جبل بُرع ، ووقع بينه وبين الناصر عدة وقائع ، ثم وقع الصلح بينهم على أربعين ألف مثقال من الناصر ليكتمر ، عوض ما ذهب عليه من المَهْجَم . واشترط الناصر خروج يكتمر من اليمن ، فسار إلى الشام ومعه قرا سنقر . وأما سنقر الزواحى فأمّنه الناصر ورجع معه .

ولما استقر الناصر فى زُبيد سقى وردسان السم خيفة منه ، فخرج وردسان إلى حصن تَمدَانَ فهلك فيه ، وحمل إلى الجَنَد ، فدفن عند مسجد صور ، بعد أن طالت مدته فى الإمارة على صنعاء ومخاليفها ، كما تقدم ذكره ، وأكثر من محاربة إمام ذلك العصر ص بالله ، فباء بغضب الله . وكان عاقبة أمره خسرا . ومن مآثره منارة جامع صنعاء الغربية . وبعد موته استقل غازى بن جبريل بوزارة الناصر بن طُغتكين ، وسيأتى تمام خبره .

ودخلت سنة — ٦١٠ —

فيها قام رجل يسمى محمد بن منصور بن مفضل بن الحجاج مع المطرفية أهل وَقَش ، وأنكر على الإمام ص بالله ما وقع منه من تكفيرهم . وسار إلى مُدع ومِسْوَر ، وحارب أهل عِرّان والمَصْنَعَة ، وهما حصنان للإمام . وأجابه كثير من حمير ، فجهز

---

(١) ذكر الهمدانى (صفة جزيرة العرب) أن الزواحى بالحاء موضع باليمن فى جبل السراة ، فى حين ذكر ياقوت (معجم البلدان) الزواخى بالخاء وقال انها من أعمال مخلاف حراز باليمن .

عليهم الإمام أخاه الأمير يحيى بن حمزة بعسكر من حاشد وبَكِيل ، فلم يظفر بهم ، فتوجه إلى بنى الفليحى غربى مُدَّع ، فقتلهم وسباهم ، وأرعب قلوب أهل تلك الجهة ، فصالحه سلاطين مِسْوَر .

قال بعضهم : ولقد رأيت مقبرة عظيمة بالقرب من قرى بنى الفليحى على طريق المحْدَد[1] ، فأخبرنى بعض أهل تلك الجهة إن مَنْ فى تلك المقبرة قتلى ، فقلت لعلهم هؤلاء الذين قتلهم الأمير يحيى بن حمزة ، وقد يكونون الذين قتلوا فى الحرب الواقع بين الإمام مجد الدين والمطهر بن شرف الدين ، فى الموضع المذكور ، كما سيأتى تحقيقه إن شاء الله ، والله أعلم .

وفى هذه السنة ، سار الإمام ص بالله فى جمع عظيم إلى قارة حديد[2] من بلاد ظاعن ، فقتل من أهلها نحو ثلاثين نفرا واستولى عليها قهراً بالسيف ، ثم رجع إلى الشرف ، فأذن أهله بالطاعة ، إلاَّ قبيلة منهم فى جبل يسمى قيان ، فلم يطيعوا ، فقتلهم وسباهم .

وفى هذه السنة نهض الناصر بن طُغتكين إلى صنعاء بإشارة من أتابكه غازى ابن جبريل ، لليلتين بقيتا من ذى القعدة ، وهو يومئذ فى خمس عشرة سنة ، فأقام فيها أياما ، ووفد إليه العرب من كل وجه ، وقبض أموال وردسان وذخائره الحسان ، وسجن رجلاً من مماليك وردسان كان عظيم القدر عنده ، وعزل عامله على بِرَاش .

ودخلت سنة — ٦١١ —

فى المحرم منها خرج الناصر من صنعاء لمحاربة الإمام ، فلبث فى الجراف ستةَ أيام ، ثم مرض ، فرجع إلى صنعاء ، ومات بعد يومين . ويقال إن وزيره غازى سمّه ، طمعاً

(١) المحدد : موضع فى سراة المصانع باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٦٨)
(٢) القارة ، جبيل مصغر جبل ، أو هى أصغر من الجبل على قول الاصمعى .
وقارة حديد موضع من بلاد ظاعن باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

فى الملك . ولما مات انتهب المماليك جميع ما فى داره ، حتى لقد حكى أن بعضهم دخل عليه وهو ملقى على فراشه ، فانتزع الفراش حتى سقط إلى الأرض وا نسلخ بعض جسده . ثم توجهوا إلى تعز فلم يصلوا إليها إلاَّ بعد مشقة عظيمة . وأما غازى فإنه جمع الأكابر من الأمراء وفرق فيهم الأموال ، وكان قد نقلها إلى داره قبل موت الناصر ، واستحلف الأمراء لنفسه ، وتلقب بالملك الظافر ، واستعمل على برَاش محمود العجمى ، وعلى صنعاء أميراً يعرف بالقيسى فى مائة وخمسين فارساً ، وضم إليه راشد بن مظفر بن الهرش السنحانى ، ثم رجع إلى اليمن الأسفل .

ولما وصل دروان ، قتل جماعة من أهله ، ولبث أياماً فى الشِّعر ، ثم سار إلى نَقِيل فَيْضان (قيظان) ، فاجتمع عليه قبائل تلك الجهة ، فانتهبوا أمواله ، ولم يبق معه إلا الخيل والحريم . ولما وصل السُحُول لقاه أهله ، فقتل منهم ثلاثة أنفار ، فثبتوا له فى أعلى الوادى ، وانتهبوا ما بقى معه من الخيل والسلاح ، وهتكوا الحريم وقطعوا آذانهن وأخذوا ما فيهن من الحلية . ولقد قيل إن إحدى نساء وردسان ـ يقال لها الحاجية ـ ذهب عليها فى ذلك اليوم ما قيمته أربعون ألف دينار ذهباً . وخلص غازى فى نفر قليل إلى إبّ[1] ، فقتله للمماليك والجند الذين فى إب تقرباً إلى أم الناصر ابن طُغتكين ، وقدموا تعز ، ومَرَج أمر الغز ، وترددوا فيمن يقيمونه على أنفسهم . وكان للناصر أخوات ، فأجمع رأيهم على توليتهن الأمر ، وجعلوا أتابكا من المماليك يعرف بالمجاهد يقوم بأعمالهن ، وبايعوه على الطاعة .

ولما قتل غازى بن جبريل ، قام الإمام ص بالله لحرب مَنْ فى صنعاء من بقية الغُز ، فبعث أخويه يحيى والحسن ، ومقبل بن جابر ، وغيرهم ، فى عساكر عظيمة ، فقاتلوا الغز قتالا شديداً ، حتى مال أكثر أهل صنعاء إلى الإمام ، وأدخلوا أخويه المدينة ، فارتفع الغز إلى برَاش ، واستولى أصحاب الإمام على صنعاء ، وقبضوا على بقية مماليك وردسان وغيرهم ،

---

(١) أب بالفتح ، وذكر ياقوت أن أهل اليمن يكسرونها ويقولون اب . (معجم البلدان) .

وأرسلوا بهم إلى الإمام وهو فى ظَفَار . فنهض الإمام بنفسه إلى صنعاء ، فدخلها يوم الأحد ثالث شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وكان بقاؤه فى الدار السلطانية ، وأتى إليه الأشراف والأمراء من كل جهة . ثم أزمع على المسير إلى ذِمَار ، فاستخلف على صنعاء الشريف محمد بن على العلوى ، وضم إليه الشيخ منصور بن محمد الضريوه نائبا على العسكر . وسار إلى ذِمَار ، وفيه من أمراء الغز محمد بن موسى الكردى وحسين بن محمد الكبكارى ، فالتجأ الأميران المذكوران بمن معهما من الغز إلى حصن هران ودار خَوْلان . ووقف الإمام بظاهر ذِمَار ، وأقام الحصار على دار خَوْلان ؛ ثم وقعت المراسلة بينه وبين المحصورين على يدى رجل يعرف بالرسول بن موسى ، فكرهوا النزول أولا على حكم الإمام ، فأمر بالتضييق عليهم وشدة المحاصرة لهم ، فرجعوا إلى الصلح ، وطلبوا من الإمام التأمين ، فأمنهم ، وأرسل إليهم الأمير سليمان ابن موسى والشيخ راشد بن مظفر ، فنزلوا إليه ، فألزمهم الخروج بأنفسهم وأخرجهم من غير أن يتعرضوا إلى حمل شىء من المتاع . ثم دخل الإمام إلى ذِمَار ، وأمر بمحاصرة من فى هران ، ففعلوا مثلما فعل أصحابهم أهل دار خَوْلان ؛ وخرجوا من هران بأمان . ولبث الإمام فى ذِمَار خمسة عشر يوما ، ثم استخلف عليها الأمير سليمان بن موسى . ورجع إلى صنعاء ، فأمر بفتح الحرب على براش ، وفيه من الغز الأمير القيسى المقدم ذكره وولد محمود العجمى . ثم أمر عبد الله بن يرحب بإخراب مسجد المُطرفية فى سَنَع ، وإخراب وَقَش — دورها ومساجدها — فأُخربت ، وحملت أخشابها إلى قاهرة ظفار ، وخرج أهل وَقَش إلى بلاد أنس وخَوْلان ، وذهبوا كل مذهب . وعند ذلك أنشأ فتيه منهم يعرف بابن النساخ[1] رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد المستظهر ،

---

(١) هو حسن بن محمد بن النساخ ، من المطرفية من بلاد آنس ، ويقال أن ابن النساخ خرج الى بغداد ، وخاطب الخليفة العباسى بقصيدة مشهورة يستثيره فيها على امام اليمن ، وجاء فى القصيدة :

نيام يا بنى العباس أنتم ... وهذا ثوب اسرتك تردى
ويرميكم ببغداد بجيش ... وباخمرا ووقعة يوم مهدى
ويدعو أين ادريس ويحيى ... وعبد الله أين أبى وجدى

(حسين الهمدانى ، وحسن سليمان محمود : الصليحيون ، ص ٢٨٧)

يحرضه فيها على حرب الإمام . وأول الرسالة : « السلام عليك أيتها المعالم المقدسة ، بالأكناس المطهرة من الأدناس ، المحلاة بأفضل لباس ، المنتخبة بخلفاء بنى العباس » ؛ وهى طويلة ، تركناها لشهرتها اختصارا .

وفى شوال من السنة المذكورة نهض الإمام لمحاربة كوكبان ، وفيه عامل الغز من أيام وردسان ، فاستولى عليه الإمام .

وفى هذه الأيام جعل الإمام رسالة بليغة إلى خليفة بغداد الناصر بن المستظهر ، منها هذه الأبيات الرائعة :

يا أهل بغداد إن الله سائلكم ... عن ملة الدين إذ غيرتم فيها
أنتم عيون بنى الأنام قاطبة ... فى النائبات ولكن القذى فيها
قد اشتملتم على عمنا مظلمة ... لا يهتدى بنجوم الجو هاديها
إن الخلافة أمر هائل خطر ... صعب مسالكها صعب مراقيها
لو كان ما أنتم فيه على سنن ... قام المريض إلى المرضى يداويها

وهى أكبر من ذلك القدر وإنما تركناها اختصارا .

وأما الغز الذين فى تعز ، فقد تقدم ذكر ما أجمعوا عليه بعد قتل غازى بن جبريل من تولية أمرهم النساء ، وما أفلح قوم تولى أمرهم امرأة ، كما جاء فى الخبر ، عن سيد البشر صلى الله عليه ، وعلى آله الغرر . وفى خلال ما هم فيه ، قدم إلى اليمن رجل من بنى أيوب يسمى سليمان بن تقى الدين ، ويعرف بالصوفى[1] لأنه وصل إلى مكة أيام الحج من العام الماضى على هيئة الصوفية . فلما انقضت أيام الحج رحل

---

(١) هو سليمان بن تقى الدين عمربن شاهنشاه بن أيوب المعروف بالصوفى . قدم اليمن بعد وفاة الناصر أيوب بن طغتكين ، فاستدعته أم الناصر الى حصن تعز ، وقالت له « قم بملك ابن عمك » . وكان ضعيفا ، واشتغل بالشراب واللهو ، واستولى الامام المنصور عبد الله بن حمزة على صنعاء وذمار .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤ ، ج ١ ص ٣١)

إلى اليمن مع أمير الحاج ، فدخل زبيد وفيه بقية الغز ، فطلبوا منه القيام بأمرهم ، فاعتذر فلم يعذروه ، وقدموا به إلى تعز ، فقبض عليه الأتابك مجاهد ، القائم على بنات طغتكين ابن أيوب ، قبل أن يأخذ رأيهن ، فغضبن عليه ، وأطلقن إلى سليمان حصن تعز ، وزوّجنه بأمٍّ أخيهن الناصر ، وببنت لأخيهن المعز تسمى زينب ، فخاف مجاهد على نفسه ، وسار إلى حصن تَمَدان بطائفة من الجند .

وشرع سليمان فى تولية البلاد ، فجعل صنعاء ومخاليفها إلى رجل من الأمراء يعرف بأبى شامة ، وذِمَار إلى رجل يسمى صالح بن هاشم .

فبينما هو كذلك إذْ خالف أهل صبر ، فجهز عليهم الأميرين المذكورين ، فقتلا ، واستولى من معهما من الجند على صَبِر . وبلغ مجاهد أن سليمان متوجه إلى بعض البلاد ، فسولت له نفسه أن يخلف سليمان على تعز ، وأغراه بذلك بعض من عنده ، فاستعجل ودخل تعز قبل خروج سليمان ، فقبض عليه سليمان ، وطرحه فى السجن واستولى على جميع ما معه ، وقُتل بعد مدة . وخرج سليمان إلى التَّعْكُر فتسلمه ، وأتاه الخبر أن أهل السُّهلة[1] من بلاد زبيد خالفوا وقصدوا بعض الحصون بالحرب ، فجهز عليهم سليمان الأمير سيف الدين بن عصبة فهزمهم ، واستولى على محلهم ، فاستقاموا ، ثم عاد إلى تعز .

وعاد سليمان إلى إقطاع البلاد ، فجعل ولاية صنعاء إلى الأمير حسن بن على بن رسول ، فلما وصل [بلدة] الجند ، أمر سليمان بالقبض عليه ، فنجا بنفسه إلى الدُّمْلوه ، مستجيرا بعيسى بن الأتابك ، وكتب إلى سيف الدين بن عصبة — وكان صديقه — فَلَام سليمان على فعله ، وعرفه أن الأمير حسن بن على من أكابر أمراء الدولة — وأن النفع به كبير جداً ، فأمنه سليمان ، وأرجعه إلى ما كان عليه من التولية ، وهو مضمر الغدر به .

ولما وصل الأمير حسن صنعاء ، بعد خروج الإمام ص بالله منها ، جهز عليه سليمان

(١) سهلة : بكسر أوله ، من حصون ابين باليمن
(ياقوت : معجم البلدان)

عسكراً ، وأمرهم بقبضه . ولما بلغ الأمير حسن الخبر بقدوم العسكر ، خرج من صنعاء إلى الكدراء من تهامة ، فنهض سليمان لمحاربته ، ووقع بينهما قتال ، كانت النصرة فيه للأمير حسن ، وصالحه سليمان وقدر أموره ، ورجعا إلى زبيد .

ووقع الاختلاف فيما بين سليمان والغز الذين فى زبيد ، فخرجوا إلى المحالب مغاضبين لسليمان ، وكتبوا إلى الأمير يحيي بن حمزة ، ومالوا إلى جانب الإمام ، فأرسل إليهم الأمير يحيي بن حمزة الشريف عز الدين محمد بن حاتم العباسى يوصلهم إليه ، فلقاهم ، وأخذ عليهم العهود . وتقدم بهم إلى الجريب فوصل إليهم الأمير يحيي بن حمزة ، وأكرمهم ، وخرج سليمان من زبيد إلى المَهْجَمْ ، وجعل فيه عز الدين بن وردسان عاملا ، فوقعت المراسلة فيما بين عز الدين والمخالفين على سليمان من الغز المذكورين ، واتفقوا على محاربة سليمان والاشراف . فتركهم الأشراف ، وعرفوا كثرة تلوّنهم ، وعدم مبالاتهم بالعهود . ثم إن الامام جهز عسكرا إلى المَهْجَمْ ، ولقاهم عبد الله بن خلف ، فسار معهم إلى المهجم . ولما وصلوا إليه لم يجدوا فيه أحدا من الغز ، فأحرقوه ورجعوا .

وفى هذه السنة أغار الأمير سليمان بن موسى عامل الإمام فى ذِمَار على لحج وأبين ، فحصل بينه وبين نائبها طغتكين بن محمد — الملقب بالمجنون — حروب كثيرة .

وفى شهر الحجة من هذه السنة وصل الخبر بقدوم الملك المسعود بن الملك الكامل الأيوبى من الديار المصرية إلى الجزيرة اليمنية ، عاملا من قبل أبيه . قيل إن سبب خروج المسعود إلى اليمن كتاب ابن النساخ المطرفى المقدم ذكره إلى خليفة بغداد ، فإنه أمر صاحب مصر بالتجهز إلى اليمن على لئام الزمن ، والله أعلم . وهو [الملك المسعود] يومئذ حديث السن فى حد البلوغ ، وأتابكه جمال الدين فُليت ، فوافى مكة فى عساكر كثيرة ، وأبّهة كبيرة . ولقاه الشريف قتادة بن إدريس ، فخلع عليه المسعود وقابله بالإكرام والجود . ولما وصل راحة بنى شريف ، لقاه الأمير المؤيد بن قاسم ، فأحسن إليه المسعود كما فعل بأمير مكة . وخرج أمراء الغز ووجوه دولتهم للقائه ، فيهم الأميران

الـكبيران حسن بن على بن رسول ، وأخوه نور الدين عمر بن على ، فوافوه فى الهيلة ، فتلقاهم بالاجلال ؛ وخلع عليهم الخلع النفيسة ، وأعطى الامير حسن بن على حصانا جوادا ، وألف دينار ذهبا ، وأقطعه القَحْمة وأقطع أخاه نور الدين صهبان[1] . وأما سليمان بن تقى الدين فإنه التجأ إلى حصن زبيد للامتناع من المسعود ، وسيأتى تمام خبره .

ودخلت سنة — ٦١٢ —

فيها وصل الملك المسعود إلى زبيد ، وأراد المصالحة لسليمان[2] بن تقى الدين ، على أن تـكون لسليمان الجبال وله التهائم . فنهاه الأمير حسن بن على وقال له : « إنك لا تجد فى الجبال من يصدك عنها ، والرأى أن تـكتب إلى المماليك بتسليم سليمان إليك » فـكتب إليهم ، فدفعوه إليه ، فأرسل به إلى مصر تحت الحفظ .

ولبث المسعود فى زبيد إلى أن وصلت خزاينه من البحر ، ثم نهض إلى تعز . فلما استقر فيها شرع أتابكه ـ فُليت ـ فى أخذ اليمن الأسفل شيئاً فشيئاً حتى كمل . ثم جمع الجيوش الجرارة ونهض إلى ذِمَار ، فوفدت إليه الوفود من كل جهة ، ومنهم رئيسا سِنْحان ، راشد بن مظفر بن الهرش وأخوه الفضل ، بقبائل سِنْحان وبنى شهاب .

وأقام الأتابك فُليت فى ذِمَار حتى قرر أمورها ، ثم توجه إلى صنعاء ، فخرج الإمام إلى بيت أنْعُم ثم إلى كوكبان ، بعد أن أخرب دور الغز فى صنعاء . وكان دخول فُليت إليها فى شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فى ستمائة فارس ، ومعه من أمراء الغز

---

(١) صهبان : بلد باليمن جنوب اب ، يفهم من كلام الخزرجى أنها كانت موطنا لكثير من الفقهاء والعلماء .

(العقود اللؤلؤية ص ١٥٤ ، ٢٨٧ ، الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٣٢)

(٢) ورد فى هامش الكتاب المخطوط أمام ذلك ما نصه :

« قال الخزرجى وغيره : كان قيام سليمان بالملك ضعيفا ، لأنه اشتغل باللهو واللعب واللذات والنساء . وكان اذا سكر يرقص ويقول : أنا مشـغول بايرى ، انظروا للملك غيرى . فكانت عاقبته ما ذكر » .

عز الدين بن وردسان وغيره . ثم خرج إلى بيت أنْعُم فاستولى عليه قهراً بالسيف ، وتقدم إلى شِبام لحاربه من فيها ، فنهض إلى البلاد الحميرية والمصانع[1] فأثر فيها كل التأثير . ثم تقدم إلى المفتاح[2] أسفل مُدع . ووقعت المراسلة بينه وبين الإمام فى الصلح على يدى الأمير محمد بن حاتم ، فتقرر مدة معلومة قدرها ستة عشر شهرا . واشترط الامام إطلاق الأسارى الذين قبضهم ُفليت من بيت أنْعُم ، وهو اشترط إطلاق أولاد محمود العجمي ، وأن ما استفتحه من بلاد الإمام يكون له . ورجع ُفليت إلى صنعاء فلبث فيها أياما . ولم يزل يشن الغارات على مخاليفها حتى استولى على أكثرها ؛ ثم عاد إلى تعز بعد أن استخلف على صنعاء جمال الدولة كونج .

ودخلت سنة — ٦١٣ —

فيها نهض الأتابك ُفليت إلى اليمن الأعلى ، لما بلغه تغير أحوالها . وكان أهل سِنحان قد خالفوا على الغز ، وعسكروا فى جبل ِكنَن ، وقطعوا طريق اليمن الأسفل . وطلبوا من الإمام المادة بالرجال ، فأمدهم بولده الأمير عز الدين محمد بن أمير المؤمنين ، وضم إليه فتاه جابر بن مقبل . وأقبل ُفليت ، فوقف فى بئر الخوْلانى تحت ِكنَن ، وحصل بينه وبين أصحاب الامام وسِنحان عدة وقائع . وكان الغز قد جهزوا طائفة منهم لمحاربة عِرّان والمْصنَعة ، فخرج الإمام من كوكبان إلى الظلع فاستقر فى اللطبة قدر ثلاثة أشهر ونصف ، ثم سار إلى ظَفَار .

وفى هذه السنة قتل السلطان عبد الله بن راشد بن أبى قحطان صاحب حضرموت ، وكان نبيها عادلا ، وله مشاركة فى علم الحديث ، وصحب جماعة من أهل العلم والزهد . وسالمته الأيام ، فكان عصره أحسن العصور . وكان يقول « فى بلادى ثلاث خصال

(١) المصانع : منطقة من جبل السراة باليمن أعلاها جبل ذخار وحضور .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨) .
(٢) المفتاح : حصن بالشرف الأعلى باليمن .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٩٧)

أفتخر بها على السلاطين ، لا يوجد فيها خراج ولا سارق ولا محتاج » ، ثم ترك الامارة فى آخر عمره ، ومال إلى الطاعة فعوتب على تركها فقال « لم أجد من يواليني على الحق ». وخرج ليصلح بين قبيلتين فقتل ظلما ، وهو الذى سار إليه القاضى نشوان بن سعيد الحميرى ، ولبث عنده أياما .

وفى شهر ذى الحجة من السنة المذكورة ، خرج الامام ص بالله من ظَفَار إلى كوكبان، ولما وصل البوْن ابتدأه المرض ، فدخل كوكبان ومرضه يشتد ، وهو مع ذلك يظهر بالتجلد والصبر على الطاعة والنظر فى أمور الناس .

ودخلت سنة — ٦١٤ —

فى يوم الخميس الثانى عشر من المحرم مات الامام ص بالله عليه السلام ، ودفن أولا فى كوكبان ثم نقل إلى بكر ، ثم إلى حصنه ظفَار ، فقبره فيه مشهور مزور . ومدة عمره اثنين وخمسين سنة وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوما ، ومدة خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما . وكان إماماً كبيراً ، وعالماً شامخاً شهيرا ، له من المصنفات المفيدة كتب عديدة ، منها كتاب الشافى المتضمن للرد على الفقيه ابن أبى القبائل الشافعى من ذى جبِلة ، وهو صاحب كتاب الخارقة[1] الذى تضمن الشافي الرد عليها . وله المهذب وغيره من المصنفات الجليلة . ومن أعظم مآثره ظَفَار ، إذ ليس له نظير فى هذه الأقطار. ومن مبانيه حصن كحلان وتلمُّص وحصن الطويلة وغيرها . ومشاهير أولاده ثلاثة ، محمد وأحمد وداود ، وله غيرهم مثل سليمان وإبراهيم على أمهات أولاد . وكراماته ومواقفه وحسن سيرته أشهر من أن توصف ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل جزاء المحسنين .

---

(١) كتاب الخارقة ، كتاب فى مجلد ، الفه الفقيه الشافعى ابن ابى القبايل — وكان محله بذى جبلة فى اليمن الأسفل — فاجاب عليه الامام بكتاب الشافى فى مجلدين . (انباء الزمن ، ص ٦٩)

ولما مات عليه السلام قام ولده عز الدين محمد بن أمير المؤمنين محتسباً ، وهو يومئذ فى محطة كِنَن ، فتابعه من عنده من الأشراف ، والشيخ راشد بن مظفر قائد سِنحان وأصحابه . ولم يزل فى كِنَن حتى مات الأتابك فليت فى بئر الخولانى يوم الخميس آخر يوم من ربيع الأول من السنة المذكورة ، وحُمل إلى صنعاء ، فدفن بها . وبعد موت فُليت نهض الملك المسعود إلى اليمن الأعلى ، فوصل بئر الخولانى يوم السبت ثامن جمادى الأولى من هذه السنة ، وسارت محطة الأشراف من كِنَن ، فاستولى عليه المسعود ، وتسلم حصن بِرَاش من بنى الهَرس ، ثم تقدم إلى كوكبان ، فتسلمه بعد أن حاصر من فيه أياما يسيرة ، وعقد بينه وبين الأشراف الصلح . ثم رجع إلى صنعاء ، وأقر جمال الدولة كونج على عمله فيها . وسار إلى اليمن الأسفل . وكان قد دعا عقيب موت الامام ص بالله عليه السلام الامام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى ابن يحيى ، من أولاد الهادى عليه السلام ، بنواحى صعدة . وكان أهلا للإمامة ، فأجابه كثير من العلماء ، ودخل صَعْدة ، ثم تخوف من الأشراف بنى حمزة ، فخرج إلى الشام ، واستنصر بقوم من عنز وبنى شريف ، فأعانوه بنحو ثلثمائة فارس ، فتوجه بهم إلى صَعْدة ، فوجد الأشراف الحمزيين قد دخلوها ، فوقف فى درب الهادى ، ووقعت بينه وبين الأشراف مناوشَة قتال . وضعف بنو الهادى عن إعانته ، فأراد أن يخلف بنى حمزة على الظاهر ، فنهض إلى الخوس قبلى الأهنوم ، فقام معه أهل الأهنوم ، وأمر بنى القسم — أهل شهَارة — أن يتقدموا إلى حوث ، فلقاهم جابر بن مقبل مولى بنى حمزة بقبائل الظاهر . فاختلف أصحاب الامام المعتضد بالله ، وفتر عزمهم ، ثم ولوا هاربين ، فمنهم من سلك طريق جبل الأهنوم ، ومنهم من سلك طريق البطنة[1] وأخذت خيلهم ، وتوجهوا راجعين إلى بلادهم .

وأقام المعتضد فى الأهنوم فأكرموه ، ثم ارتفع إلى شهارة . ولما بلغ بنى حمزة

---

(١) البطنة : بلد ريف فى غربى وادعة ، قرب عذر .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٣)

استقراره فيها حاربوا أهل درب الظاهر ، وكان منهم جماعة من بنى الهادى مائلين إلى المعتضد ، فأخرجوهم عنه قهراً ، وقتلوا منهم على بن يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام ، وأحرقوا الدرب ، فهو خراب إلى عصرنا هذا ، وأصلحوا حصن تَلَمُّص ودوائر صَعْدة ، وجعلوا القاضى على بن زيدان عاملا على صَعْدة وبلادها .

وفى هذه السنة ظهر فى مخلاف جعفر عند قرية قريبة من ذى جِبْلة ثعبان عظيم ، له صوت يشبه نباح الكلاب ، فأذعر أهل تلك القرية ، وانقطعوا عن أعمالهم ، وهموا بالانتقال عن قريتهم ، فشكوا على بعض صالحى جهتهم وسألوه الدعاء عليه ، فقال لهم اخرجوا بأجمعكم إلى محل مقابل للموضع الذى فيه الثعبان ، ثم هللوا ونادوا « يا الله قد أرسلت علينا هذا الثعبان ولا طاقة لنا به » . ففعلوا ماأمرهم به الرجل الصالح ، فانقض على الثعبان طائر عظيم أبيض الريش ، أصفر المنقار والمخالب ، وجعل ينقر رأس الثعبان ، والثعبان متى دنا منه الطائر نفخ ، فيخرج من فيه سيل لهب النار يحرق ماقابله ، فيرتفع الطائر حتى ينقضى نفس الثعبان ، ثم يعود فينقر رأسه . وما زالا يعتركان ، حتى ضعف الثعبان ، وجعل يضطرب ، والطائر ممسك له ، حتى هلك ، فذهب الطائر . وأقبل أهل القرية فرأوا من عظم ذلك الثعبان ما لم يكونوا يعهدوه ، ثم حفروا له حفيرة عظيمة والقوه فيها . ذكر معناه الأهدل فى تاريخه . وذكر الجندى أن رجلا من ذى أشرق[1] خرج يوماً إلى محتطب مليف الشجر ، فوثب عليه ثعبان عظيم فالتقمه وجره إلى جحره فلم يسعه ، فكسره وأدخل نصفه ، وكان عند الرجل جماعة ، فلم يقدروا على تخليصه ، وهذه من عجائب ما اتفق .

ودخلت سنة — ٦١٥ —

فيها نهض الملك المسعود من اليمن الأسفل ، فتسلم حصن الشوافى[2] ، ثم ارتفع إلى اليمن

---

(١) ذو أشرق : بلدة باليمن قرب ذى جبلة (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) الشوافى أو الشواقى : من المواضع المأهولة بالسكان فى اقليم سحول وبه حصن . (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٢١٣)

الأعلى وتوجه إلى حوث فأخربه ، وعطف على الحرف[1] فتردد فيه ، ومضى إلى تحت ظَفَار ، فحاربه الأشراف فنهض إلى رَيْده ، ثم رجع إلى صنعاء ، وسار منها إلى اليمن الأسفل .

وفى هذه السنةَ خرج الإمام المعتضد من الأهنوم إلى خَوْلان ، ثم رجع إلى الأهنوم فى سمائه نفر من خَوْلان ، قائدهم أسعد بن البرعى ، فلقاهم الأمير عز الدين محمد بن المنصور ، فانهزم أهل خولان ، وقتل قائدهم فى جماعة من قومه . واستولى الأمير عز الدين على ظُلَيْمة ثم توجه إلى بلاد الشَرَف ، فأطاعه أهلها ، ثم رجع إلى الظاهر .

ودخلت سنة — ٦١٦ —

فيها وقع الصلح فيما بين الأشراف والمسعود .

وفيها سارت طائفة من جند الغز إلى حَرَض ، فاستولوا عليه ، وقتلوا صاحبه .

ودخلت سنة — ٦١٧ —

فيها نهضَ الملك المسعود إلى صنعاء ، ثم تقدم لمحاصرة بُكُر ، وفيه بعض أولاد الإمام ص بالله وأمهات أولاده ، فحصرهم ثمانية أشهر . وأراد الأمير عز الدين محمد بن المنصور وإخوته أن يشغلوه عن بُكُر ، فجمعوا جمعاً كثيراً ، وأجمعوا على غزو تهامة ، فخالف عليهم الأمير سليمان بن موسى الحمزى ، وقصد المسعود فى حال حطاطه[2] على بُكُر فأكرمه ، ووصله بصلات جزيلة ، وجهز معه طائفة من الجند لمحاربة الأشراف ، فوقع بينهم وبينه عدة وقائع فى الحرف ، وبعد أيام قتله الأشراف ، أولاد ص بالله .

(١) الحرف : موضع فى سراة قدم من جبل السراة باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٦٩)

(٢) أى وقت أن حط رحاله على بكر .

ودخلت سنة — ٦١٨ —

فيها اشترى الملك المسعود من الأشراف حصن بُكُر بعشرةَ آلاف دينار مصرية، ودخل يوم الاثنين التاسع والعشرون من ربيع الأول من السنة المذكورة، والشمس كاسفة، ثم رجع المسعود إلى اليمن .

ودخلت سنة — ٦١٩ —

فيها ظهر التتار فى أقاصى بلاد الإسلام، فأخذوا سمرقند وبخارى واستباحوها، وقتلوا أهلها . وما زالوا يطوون البلاد ويهلكون العباد حتى استولوا على مدينة السلام بغداد، وجرى منهم ما يطول ذكره .

وفيها سار الملك المسعود إلى مكة لقتال الشريف الحسن بن قتادة بن إدريس، فدخلها وأمر بالكف عن سفك الدماء وانتهاك الحرمة . ثم استعمل عليها الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول، ورجع إلى زبيد[1] . ثم نهض إلى صنعاء، فأقام فيها أياما ورجع إلى زبيد . ووصلت الأخبار أن الشريف الحسن بن قتادة جمع الجموع وقصد مكة، فقاتله الأمير نور الدين وهزم أصحابه .

وفيها سار الملك المسعود إلى الديار المصرية، وجعل أمر اليمن إلى الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول، بعد أن أودع أخويه السجن بإشارة من أخيهم نور الدين،لما يخشاه

---

(١) ذكر المقريزى عن حملة الملك المسعود ـ واسمه صلاح الدين يوسف ـ ابن الكامل، على مكة ما نصه « فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم، وما أخذ لهم من الدور بمكة والوادى، ثم عاد الى اليمن بعد ما حج، ومنع أعلام الخليفة من التقدم، وقدم أعلام أبيه (السلطان الكامل) على أعلام الخليفة (العباسى) . وبدا منه بمكة مالا يحمد من رمى حمام الحرم بالبندق من فوق زمزم ونحو ذلك، فهم أهل العراق بقتاله فلم يقدروا على ذلك عجزا عنه » .
(السلوك، ج ١ ص ٢١٣)

من معارضتهم له . ولما وصل المسعود إلى مصر استقر فيها ، ومدحه البهاء زهير بقصيدة رائعة أولها :

لـكم أينما كنتم مكان وإمكان وملك له تعنو الملوك وسلطان

وفى هذه السنة ثار رجل فى الحقل من بلاد يريم ، يعرف بمرغم الصوفى ، زعم أنه داع إلى إمام حق ، وأنه منصور حمير الذى يخرج كنوزهم ، ويناصر المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان . فأطاعه خلق من العامة ، وفعلت فيهم تمويهاته لما يسمعونه من صفات القائم بهذا الأمر ، وليس إلا كما قيل : « رُب صافٍ تحت الراعدة » فلقد استعجل فى أمر كان له فيه أناة . وذكر بعضهم أن هذا الرجل كان حائكا فى بلاد عَنْس ، فلما دعا أهل تلك الجهة أجابوه . وبلغ خبره السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول، فسار إليه بجنوده . وفيهم راشد بن مظفر صاحب سِنحان . فقال الصوفى لأصحابه : إن قاتلونا غداً هزمناهم ، وقتلنا راشد بن مظفر . فكان كما قال ، فازداد أصحابه فيه بصيرة . ثم قصده نور الدين تارة أخرى بجنود الغز فهزمهم الصوفى . وحضر نور الدين فى دَرَوان . فأغار عليه بعض إخوته من صنعاء ، ثم فتر عزم الصوفى بعد ذلك واضمحل أمره . ولم يكن صوفيا ، وإنما تلقب بالصوفى .

ومن أجل هذا الرجل كره الملك المسعود الصوفية بعد عوده إلى اليمن ، كما يأتى ، وعاقب من لبس المرقعات وتشبه بهذه الفرقة ، حتى قيل إنه خرج يوما من الجَنَد يريد الصيد فرأى الشيخ فرج النوى وعليه لباس الصوفية ، فغضب وقال « هذا يخالف أمرى » . ثم أشار إلى صاحب الفيل أن يطلقه عليه ، فلما دنا منه الفيل صرخ الشيخ فى وجهه بقوله « الله » ، فخر الفيل ميتا ، وسقط صاحبه مغشيا عليه . فنزل المسعود عن جواده ، وأقبل يمشى إلى الشيخ كاسفاً رأسه تأدبا مع الشيخ ، فقال له « تأدب مع الفقراء خير لك » ، فعاهده على التوبة وحسن ظنه بالفقراء ، وهذا ببركة اسم الله جل جلاله ، فإن هذا الرجل لما استغاث باسم الله بتواضع واستحقار لنفسه أغاثه الله تعالى .

وفيها وُجد فى خرابة مدينة بنواحى حراز — تعرف بمدينة آبى ستار — حجر مكتوب عليها ما معناه « طلبنا البر بالدر فما وجدناه » ؛ وقيل إنه كان فى هذه المدينة ثلثمائة وستون بئرا على كل بئر حجر مكتوب عليه « لا إله إلا الله موسى كليم الله » . ولعل هذه المدينة كانت قائمة على عهد موسى عليه السلام ، والله أعلم .

وفى شهر جمادى من هذه السنة مات الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس صاحب مكة ، ومدة إمارته عشرون سنة ، وكانت وفاة الشريف قتادة بن إدريس فى آخر جمادى من هذه السنة ، ويكنى أبا عزيز بن الينبعى المكى . قال الفاسى[1] : هو صاحب ينبع وغيره من بلاد الحجاز ، ولى مكة عشرين سنة أو نحوها ، وكان هو وأهله مستوطنين نهر العلقمية من وادى ينبع ، وصار له على قومه الرياسة ، فجمعهم وأركبهم الخيل ، وحارب الأشراف بنى جواب ، من ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وبنى على[2] ، وبنى أحمد[3] ، وبنى إبراهيم[4] . ثم إنه تألف بنى أحمد وبنى إبراهيم . وكان سبب طمعه فى إمارة مكة ـ على ما روى ـ انهماك أمرائها الهواشم بنى فليته باللهو ، وتبسطهم فى الجور ، فتجهز قتادة إلى مكة فى جماعة من قومه ، فلم يشعر أهل مكة إلاّ به . فلم يكن لهم بملاقاته طاقة لعدم أهبتهم ، فملكها ، وخرج مكثر بن عيسى إلى نخلة . وذكر ابن محفوظ أن فى سنة ستمائة وصل مكثر بن عيسى ، فوقع بينه وبين قتادة قتال

---

(١) هو تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المكى ، المتوفى سنة ٨٣٢ ، اسم كتابه « العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » وقد صنفه فى معرفة أعيان مكة المكرمة ، ثم اختصره فى مقدار نصف حجمه ، وسماه « عجالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى » . (كشف الظنون ، ج ٢ ص ١١٥٠) .

(٢) بنو على : بطن من جذام ، من لخم ، من القحطانية .
(كحالة : قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج ٢ ص ٨١١)

(٣) بنو أحمد : بطن من طيء من القحطانية ، يقيمون فى اليمن فى السلسلة الجبلية الواقعة بين تعز وعدن .
(القلقشندى : نهاية الأرب ، البكرى : تاريخ ثغر حضرموت السياسى)

(٤) بنو ابراهيم : بطن من مالك من جهينة
(فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب)

وتم الأمر لقتادة . وذكر ابن الأثير أن فى سنة ٦٠١ ، كان الحرب بين قتادة والأمير سالم ابن قاسم أمير المدينة . قال المؤرخون كانت فى سنة ٦٠١ بالحجاز ، وهى أم البلاد التى يخطب فيها للعادل بن أيوب ، وقعة المصارع ، قتل فيها جماعة من الطالبيين . وكانت بين قتادة وسالم وقعات كثيرة ، وقطع نخيل وإفساد زروع ، فاستنصر الأمير سالم بالسلطان صاحب دمشق ، وهو عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وأعانه بجيش كثيف ظهر بسببه على قتادة . وكان قتادة فى زمانه قد أذّن بحى على خير العمل ، وكان يقول : أنا أولى بالطاعة من الناحر ، يعنى الخليفة العباسى . وجرى له مع الناصر قضية ذكرها فى تاريخ مكة . وروى أن الملك المسعود صاحب اليمن لما ملك مكة بعد الحسن ابن قتادة أمر بنبش قبر قتادة وإحراقه ، فوجدوا فى القبر تابوتا ليس فيه شىء ، فعرف الناس أن الحسن قتل أباه ودفن التابوت فى قبر ليخفى أمره . قيل قتل خنقاً وقيل قتله بالسم ، والله أعلم .

وكان لقتادة من الولد راجح ، وهو أكبر من حسن الذى ولى أمر مكة بعد أبيه . وكان راجح ينازع حسنا وعليا الأكبر — جد الأشراف المعروفين ببنى على — وعليا الأصغر جد بنى نمى . وكانت إمارة مكة قبل قتادة بن إدريس لبعض بنى الحسن السبط ابن على عليه السلام . فأول من ولى منهم جعفر بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على عليه السلام ؛ وكان فى أيام الأخشيدية . ثم ولى بعده ابنه عيسى ، ثم أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر ، واستمرت ولايته إلى أن مات سنة ٤٣٠ . إلاّ أن الحاكم العبيْدى صاحب مصر والشام فى وقته ، عزل أبا الفتوح لخروجه عن طاعته ومبايعته لنفسه بالخلافة وتلقبه بالراشد ، وولى قريباً لأبى الفتوح يقال له أبو الطيب . ثم أعاد أبا الفتوح ، ثم ولى بعده شكر بن أبى الفتوح، إلى أن مات سنة ٤٥٣ ، ثم ولى بعده عبد الله .

وروى أن بنى الطيب الحسنيين تولوا مكة بعد شكر ، ثم ولى عليها على بن محمد الصليحى صاحب اليمن ، ثم وليها نيابة من الصليحى أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد

ابن عبد الله من أولاد الحسن عليه السلام ، ثم ابنه قاسم . قال فى تاريخ مكة ، إنه ولى مكة أصبهيذ[1] عنوة ، فجمع له الأمير قاسم وكبسه بعسفان[2] ، فانهزم أصبهيذ ودخلها الأمير قاسم فى شوال سنة ٤٨٧ . وولى بعده ابنه فليته ، وكان يتداول هو وأخوه داود الإمارة مدة ثلاثين سنة وأكثر . ثم انقرضت ولاية الهواشم من مكة وصارت إلى قتادة ابن إدريس . وفى بعض التواريخ أن أول من ولى مكة داود بن موسى الحسنى[3] ، وهو جد بنى الهواشم . والآن الولاية فى بنى نمى من أولاد قتادة ، وقد استوفى ذكرهم الفاسى فى تاريخه من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخلت سنة — ٦٢٠ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٦٢١ —

فيها مات الخليفة العباسى أحمد الناصر بن المستضىء[4] ببغداد ، ومدة خلافته سبعة وأربعون . واشتدت وطأته وقويت شوكته ، وخطب له على منابر الغرب . وكان شيعياً معتزليا ، وأمه أم ولد تُسمى زمرد . وفى أيامه تضعضعت أحوال العراق بسبب

(١) اصبهيذ : معناها « أمير العسكر » ، واللفظ مركب من كلمتين فارسيتين : أولاهما « سباه » بمعنى العسكر ، وأخرتهما « بذ » بمعنى رئيس أو أمير . (الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٧٢)

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة . (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) هو داود بن موسى بن عبد الله الصالح بن موسى الحسنى ، ولى مكة حوالى سنة ٣٤٥ هـ .
(زامباور : معجم الأنساب ، ص ٣٠)

(٤) فى الأصل « ابن المستظهر » والتصحيح من ابن الأثير .
(الكامل ج ١٢ ص ١٨٠ حوادث سنة ٦٢٢ هـ — انظر أيضا زامباور : معجم الأنساب ص ٤) .

ما أحدثه من الجور ، وقام بعده بالأمر ولده محمد الملقب بالظاهر بأمر الله ، فأظهر العدل ومحا رسوم الجور ، وأبطل المكوس ، وأطلق كثيراً مما كان اغتصبه والده ، وأمر بإعادة الخراج القديم فى نواحى العراق وأسقط المحدثات ، حتى لقد قيل إن بعض القرى كان خراجها فيما مضى عشرة آلاف دينار فلما ولى الناصر أخذ منها ثمانين ألف دينار ، فأعادها ولده الظاهر إلى ما كان عليها أولا .

ودخلت سنة — ٦٢٢ —

ولم يتفق فيها قصة مستغربة .

ودخلت سنة — ٦٢٣ —

فيها نهض الأمير عز الدين محمد بن المنصور بالله وإخوته إلى صنعاء فى سبعمائة فارس وألفى راجل ، فوقفوا فى عصر . وفى صنعاء جماعة من أصحاب الأمير حسن بن على ابن رسول ، وهو إذ ذاك فى ذِمَار ، فوصل الأمير سالم بن على بن حاتم والأمير علوان ابن بشر بن حاتم ، وخيل ورجال من ذى مَرْمر ، إعانة لمن فى صنعاء ، فحفظاها . وتقدمت خيل الأشراف إلى قريب صنعاء ، فخرج من فى صنعاء للقتال ، وأقبل الأمير حسن بن على وأخوه نور الدين عمر بن على ، فدخلا صنعاء والحرب قائمة بين أصحابهم والأشراف ، وقد قتل من الفريقين جماعة ، فلبثا فى صنعاء ريثما استراحت خيلهم ورجالهم من التعب ، ودخلا الحمام . ثم خرجا للقتال فى مائة فارس ، فوقف نور الدين ببعض الخيل فئة ، يرجع إليه المنهزم ، وتقدم أخوه فى البقية ، فعبأ أصحابه تعبئة الحرب ، وحرضهم على إصداق القتال ، والتفت فيهم يمنة ويسرة وقال : «هى! هى!» ، فقالوا « هى ! هى ! » وكان هذا شعارهم . ثم حملوا حملة رجل واحد ، فانهزم جيش الأشراف ، وقتل منهم قدر ألف نفر . وغشيهم الليل ، فتوجه الأشراف إلى ثلا وتفرق أصحابهم . وقد قيل فى صفة هزيمة جند الأشراف أن بنى رسول لما عبّوا أصحابهم تلك التعبئة ، عَبّأ الأشراف أصحابهم مثلها ، ووقف كل فريق مكانه يَنْتَظِر دُنُوّ الآخر

إليه حتى قرب الليل . وخاف أصحاب الأشراف فوات الصلاة ، فأذِن لهم الأمير عز الدين بالانصراف ، فرجعوا إلى موضعهم مختلطين من غير تعبئة . وزحف جند بنى رسول على تعبيتهم ، حتى خالطوا جند الأشراف ، فهتف الأمير عز الدين بأصحابه فلم يجبه أحد ، ومضوا لوجوههم ، فثبت فى أهل بيته وأعيان أصحابه ثباتا حسنا ، ودارت عليهم رحى الحرب ، وقتل جماعة من الفريقين ، ثم افترقوا . وسار الأشراف من ليلتهم إلى ثلا ثم رجعوا إلى ظَفَار ، فلبث فيه الأمير عز الدين أياماً ثم توجه إلى حوث ، وابتدأه المرض ، فمات هنالك فى السابع من ذى الحجة من السنة المذكورة ، وحمل إلى ظَفَار ، فدفن فى المشهد الذى بجنب مشهد أبيه رحمه الله تعالى ، وله من الولد على ودنيا ، ولا عقب لعلى .

وفى هذه المدة حصل اختلاف بين الشيعة والسنية بصنعاء ، فألزمهم الأمير حسن ابن على بن رسول السير إلى الفقيه موسى الوصابى السنى للمناظرة ، فسار إليه جماعة من الشيعة بكتاب من الأمير حسن إلى أخيه نور الدين عمر بن على بن رسول ، وكان فى وَصاب ، فجرت بينهم وبين الفقيه موسى مناظرة ومباحثة يطول ذكرها .

وفيها مات الخليفة ببغداد ، وهو الظاهر العباسى ، وولى بعده ولده أبو جعفر المستنصر بأمر الله[1] .

ودخلت سنة — ٦٢٤ —

فيها بلغ الملك المسعود الأيوبى خبر الواقعة المقدم ذكرها فيما بين الأشراف وبنى رسول ، فاشتد خوفه على اليمن من بنى رسول ، وخرج على الفور من مصر إلى اليمن . فلما دخل تعز قبض على أبى بكر بن على بن رسول وأخيه موسى ، ونهض

---

(١) فى الكامل لابن الأثير « المستنصر » (ج ١٢ ص ١٨٩) وكذلك فى زامباور (معجم الأنساب ص ٤)

إلى الحقل ، فأخرب بلد بنى سيف لقيامهم مع مرغم الصوفى ، ولبث فى الحقل ثلاثة أشهر ، ثم رجع إلى تعز .

ودخلت سنة — ٦٢٥ —

فيها تجهز الملك المسعود للسير إلى مصر، بما جمعه من أموال اليمن من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والغلمان والجوارى ، واستخلف على صنعاء الأمير تميم الدين أحمد ابن أبى زكريا ، وعلى اليمن الأسفل والتهائم الأمير قليم[1] ، وكان على عادة المصريين من الجبروت والعسف ، فصادر رجلا من أصحاب الفقيه محمد بن يعقوب السودى المعروف بأبى حربة ، وفقيها آخر من أهل عواجه ، مصادرة شديدة ، فدعا عليه الفقيه محمد ، وأشار بأصبعه إلى ناحية قليم ، وقال « قد طعنته فى أنثييه »[2] فأصابه داء فيهما مات منه . فاستناب المسعود على اليمن جميعه السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول ، ثم سار حتى وافى مكة ، فمات بها فى شهر رجب من السنة المذكورة ، وأمر أن يدفن فى مقابر الغرباء[3] .

قال الجندى : ولم يكن للمسعود من المآثر فى اليمن إلا تجديد مدرسة الميلين[4] فى زبيد . ولما أراد أن يجدد عمارة مسجد الجَنَد ، أمر بإخراب العمارة الأولى فأخربت ،

---

(١) ورد اللفظ فى المتن دون تنقيط ، وقد حققنا الاسم من مخطوطة « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد » حيث ورد اللفظ منقوطا أكثر من مرة (ورقة ١١) .

(٢) الانثيان هما الخصيتان (المعجم الوسيط)

(٣) يقال ان الملك المسعود كره المقام باليمن لما أصابه من المرض بها ، وكان قد تولاها منذ سنة ٦١٢ هـ فى عهد جده العادل ، ثم استدعاه أبوه الملك الكامل سنة ٦٢٦ ليوليه دمشق ، وذلك بعد وفاة الملك المعظم عيسى ، فسار المسعود عن اليمن قاصدا الشام ، فتوفى بمكة . وهو آخر ملوك اليمن من الأيوبيين . أنظر : (المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٣٧ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٠ — ٤٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٣٠) .

(٤) مدرسة الميلين ، قبالة الدار السلطانى بزبيد ، وهو القصر اليمانى من جهة الغرب . (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٩٩) .

ثم تعذرت إعادتها فى الحال لعدم الماء . فلما أحدث الله المطر ، بعث المسعود بمال عظيم إلى الشيخ ظهير الدين على بن عمر ، وأمره أن يبنى ذلك المسجد بناء جيداً ، ويفعل فيه ما جرت به عادة الملوك فى المبانى من التهذيب والزخرفة ، وأن يجعل على بابه منزلا لطيفا لقعوده فيه ، ففعل . فلم يعد المسعود إلى اليمن ، فسبحان المتفرد بالدوام والبقاء .

وفى هذه السنة قتل الأمير أحمد بن المنصور القاضى على بن زيدان عامله على صعدة ، وأخذ جميع ما معه واعتقل ولده ، وأخاه مقبل بن زيدان .

ودخلت سنة — ٦٢٦ —

فيها وصل الخبر إلى اليمن بوفاة الملك المسعود ، وكان السلطان نورالدين عمر بن على ابن رسول نائبه على اليمن فى زبيد(١) ، فأضمر فى نفسه الاستقلال بملك اليمن ، وأظهر البقاء على النيابة لبنى أيوب ، فلم يغير سكة ولا حوّل عنهم الخطبة(٢) . وكان حليما عاقلا حازما ، له صبر على الحروب ومقاساة الخطوب ، وشرع يولى المدائن والحصون من يرتضيه ، ويعدل عنها من يخاف منه الخلاف .

قال الجندى:واسم جده رسول محمد بن هارون بن أبى الفتح ، من ولدجبله بن الأيهم الغسانى ، الداخل فى دين النصارى ببلاد الروم أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛

---

(١) ينسب بنو رسول الى جدهم محمد بن هارون ، وقد أوفدته الخلافة العباسية رسولا فى عدة مهام ، فأطلق عليه لقب « رسول » . ثم تولى على بن رسول مكة من قبل المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل الأيوبى سنة ٦١٩ – ٦٢٠ . ومازال بنو رسول يتقربون الى الملك المسعود حتى « وثق بهم وأنس اليهم وولاهم الولايات الجليلة ، وأعجبته من حسن طاعتهم وشدة بسالتهم » .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٣٣)

(٢) يروى المقريزى أن نور الدين عمربن على بن رسول عندما سمع بوفاة الملك المسعود ، تظاهر بالولاء لبنى أيوب ، فأرسل الى السلطان الكامل عدة هدايا ، وقال « أنا نائب السلطان على البلاد » ، فاطمأن الكامل اليه وثبته فى ولايته « فاستمر ملك اليمن فى عقبه بعد ذلك » .
(السلوك ، ج ١ ص ٢٣٧) .

وإنما نسبوا إلى التركمان لأن أولاد جبلة ـ ومن انضم إليهم من غسان ـ سكنوا بلاد التركمان ، وهم قبيلة من الترك ، فاختلطوا بهم وتكلموا بلغتهم ، وبعدوا عن العرب ، فانقطعت أخبارهم عن أكثر الناس، فلهذا نسبهم من لا يعرف حقيقة خبرهم إلى التركمان. وهم أهل بيت رياسة وشجاعة . وكان محمد بن هارون جليل القدر ، عظيم المنزلة عند الملوك ، فقربه أحد الخلفاء العباسية وأدناه ، واختص به ، ورفع عنه الحجاب . وكان يرسله إلى من يريد من الملوك بما يريده من الامور الخفية ، والأسرار المكتومة من غير كتاب ، ثقةً بصدقه وأمانته . وأطلق عليه اسم رسول ، فلا يعرف إلا به عند أكبر الناس ، وأقام مدة فى العراق ، ثم انتقل إلى مصر فسكنها ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٦٢٧ —

فيها نهض السلطان نور الدين من زُبيد إلى تعز، بعد أن قرر قواعد زُبيد والتهائم، وأقطع صنعاء وبلادها ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن على بن رسول ، فالتجأ عاملها من قبل المسعود — وهو الأمير أحمد بن زكريا — إلى حصن بِرَاش .

ودخلت سنة — ٦٢٨ —

فيها تسلم السلطان نور الدين حصن حَبّ وبيت عز ، وأخذ حصن تعز صلحاً على يدى القاضى المسكين صاحب ديوان الدولة المسعودية .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة نهض السلطان نور الدين إلى صنعاء ، وأمر بالمحطة على بِرَاش وفيه ابن زكريا .

وفيها وقع الصلح بين السلطان والأشراف على أيدى السلاطين بنى حاتم ، فاجتمعوا فى ذي مَرمر وحضر الأمير الكبير يحيى بن حمزة ، وصنع لهم بنو حاتم الضيافات الواسعة . واستقرت قواعد الصلح على أصل صحيح ، وخلع عليهم الخلع العظيمة ، وحباهم بمال جزيل ، وأقرهم على بلادهم .

ولما تم الصلح بينهم اضطرب أحمد بن زكريا ، وعلم أن أسبابه قد انقطعت ، فراسل السلطان ثم نزل إليه من بِرَاش ، وحمل الغاشية بين يديه ، فخلع عليه السلطان ، وأحسن إليه كلية الإحسان ، وزوجه بأخته . ورجع السلطان إلى اليمن ومعه الأمير أسد الدين والأمير أحمد بن زكريا . فلما استقر السلطان بدر الدين فى اليمن الأسفل ، رجع الأمير أسد الدين إلى صنعاء .

وفى هذه السنة خلع السلطان طاعة بنى أيوب واستقل بأمر اليمن ، وتلقب بالملك المنصور ، وكاتب خليفة بغداد ، فجعل له نيابة على اليمن[1] ، وحارب عمال بنى أيوب على مكة المشرفة .

ودخلت سنة — ٦٢٩ —

فيها نهض السلطان نور الدين إلى اليمن الأعلى ، فتسلم حصن بِرَاش وكوكبان وبُكُر .

وفيها جهز جيشا إلى مكة مع الشريف راجح بن قتادة ، وأمير يعرف بابن عبدان ، وهو أول جيش جُهِّز من اليمن إلى الحجاز ، فنزلوا بالأبطح ، وحاصروا أمير مكة من قبل الملك الكامل الأيوبى . وقد كان أنفق على أهل مكة نفقة جيدة ، واستوثق منهم ، فراسلهم الشريف راجح ، وذكّرهم إحسان السلطان نور الدين أيام عمالته على مكة من قبل الملك المسعود ، فمال إليه رؤساؤهم . وخاف عامل بنى أيوب ، فخرج من مكة إلى ينبع . وكتب إلى الملك الكامل بما وقع ، فجهز [الملك] الكامل فخر الدين بن شيخ الشيوخ فى عسكر كثيف ، وأمر الشريف صاحب المدينة بالمسير معه . فلما وصل مكة ، حارب من فيها محاربة شديدة ، وقتل ابن عيدان ، ومن أهل مكة مقتلة عظيمة ، وأقام النهب

(١) كان الخليفة العباسى عندئذ هو أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر (٦٢٣ ــ ٦٤٠ هـ) . ويلاحظ هنا أن المنصور نور الدين استعان بالخلافة العباسية لتحقيق أطماعه فى الاستقلال بملك اليمن عن الأيوبيين . ويروى الخزرجى أن الخليفة العباسى كتب لنور الدين « مسامحة فى أرضه وأن تبقى على ذريته ما بقى منهم انسان » (العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٨)

فى مكة ثلاثة أيام ، وخاف أهلها خوفا شديدا . فلما بلغ الملك الكامل غضب عليه ، واستدعاه من مكة ، وبعث إليها أميرا يعرف بابن مجلى .

ودخلت سنة — ٦٣٠ —

فيها تسلم السلطان نور الدين بلاد علوان الجحدرى[1] وحصونه ، وبلاد الهرس ابن الرياحى . وفيها أمر أن تضرب السكة باسمه ، وخطب له على منابر اليمن .

ودخلت سنة — ٦٣١ —

فيها جهز السلطان نور الدين جيشا عظيما وخزانة واسعة إلى مكة المشرفة . وأمر الشريف راجح بن قتادة بمحاربة الجند المصرى ، فحاربهم حتى أخرجهم من مكة . وفيها أرسل السلطان نور الدين بهدية عظيمة للخليفة المستنصر بن الظاهر العباسى ، وطلب تجديد التشريف بالنيابة على اليمن ، كما جرت به عادة الملوك ، وهو يريد بما فعل المسالمة وترك التعرض إلى بلاده ، فأتاه الجواب أن التجديد سيصدر إلى مكة مع الركب العراقى . فخرج نور الدين من اليمن قاصدا للحج على النجب ، ولم يستصحب عسكراً ، فاتفق أن العرب حالوا بين أهل العراق ومكة ، وقطعوا عليهم الطريق ، فلم يقدم أحد من العراق فى ذلك العام ، فرجع نور الدين إلى اليمن .

ودخلت سنة — ٦٣٢ —

فيها أرسل خليفة بغداد بكسوة الكعبة مع رسول من عنده إلى نور الدين ، فعلق الرسول الكسوة ، وخرج إلى اليمن ، فأخبره نور الدين بوصول النيابة المطلوبة والكسوة

---

(١) هو علوان بن عبد الله بن سعيد بن الجحدرى المذحجى ، رئيس رفيع الشأن من أهل اليمن . قال الخزرجى عنه « كان قيلا من أقيال اليمن ، كريما شجاعا مقداما ، ملك ناحية عظيمة من شرق اليمن ، هى حجر ونواحيها ، وحارب ملوك الغز ، أسره السلطان نور الدين بالحيلة ، وحبسه فى حصن حب ، ثم اطلقه وأعاده الى حصونه ، وكان شاعرا » .
(العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٣٨ — ١٤١ ، الزركلى : الاعلام ، ج ٥ ص ٥١)

من بغداد على طريق عدن .

وفيها أرسل نور الدين بقناديل للكعبة المشرفة من الذهب والفضة ، وخزانة عظيمة مع ابن النصيرى إلى الشريف راجح بن قتادة ، وأمره باستخدام الخيل والرجال والاستعداد لوصول الجند المصرى . فوصل ابن النصيرى إلى مكة ، وعلق القناديل ، وأقبل الأمراء من مصر قبل الاستعداد لوصولهم ، وكانوا خمسة : البندق وابن أبى زكريا[1] ، وابن برطاس ، وحدّ السبع ، وجبريل وهو المقدم على الجميع . فدخلوا مكة فى خمسمائة فارس ، وخرج الشريف راجح وابن النصيرى منها .

ودخلت سنة — ٦٣٣ —

فيها جهز السلطان نور الدين عسكرا من اليمن إلى مكة ، قائدهم الأمير شهاب الدين ابن عيدان ، وخزانة عظيمة للشريف راجح ، وأمره باستخدام العساكر ، ففعل . ثم تقدم الجميع إلى مكة ، فخرج عليهم الجندى المصرى إلى موضع يعرف بالخريقين بين مكة والسرّين[2] فانهزم عسكر اليمن ، وأسر قائدهم ابن عيدان ، وأرسل به إلى مصر .

ودخلت سنة — ٦٣٤ —

فيها سار الأمير بدر الدين محمد بن يحيى بن حمزة إلى زبيد ، فأكرمه السلطان نور الدين غاية الإكرام ، وأقطعه المحالب . فلما رجع أطمعته نفسه بأخذ كوكبان ، فأخذه . وكان أبوه قد بنى حصن منابر ، وهو حصن منيع فى آخر الجبال المجاورة لتهامة . فلما علم نور الدين بذلك غضب غضباً شديداً . وكان الأمير محمد بن حاتم العبامى صاحب عِرّان المصانع مقيما عند السلطان ، فرأى اهتمامه بحصن منابر ، فقال له « أنا أعطيتك حصن عِرّان ، وأنا أعلم أن الشريف يحيى بن حمزة يرغب إليه ، ويترك لك حصن منابر » فقال له ، « وأنا أزيده عشرة آلاف دينار » . ثم إن السلطان أرسل

---

(١) ذكره الخزرجى « ابن ابى زكرى » (العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥)

(٢) سرين : بلفظ تثنية السر ، بليد قريب من مكة على ساحل البحر .
(ياقوت : معجم البلدان)

وزيره الشيخ ناجى بن أسعد إلى الأمير يحيى بن حمزة يعرض عليه الأمر ، فلم يساعد ، وقال « قد صرت مشاركاً لكم فى المَهْجَم » فرجع الوزير إلى السلطان فأعلمه بما أجاب به الأمير يحيى بن حمزة ، فتجهز السلطان للمسير إليه ، واستخدم العساكر ، وانفق الخزائن ، وأتلف الذخائر . وكانت أكياس الدراهم تصب بين يديه كما تصب جوالق الطعام ، وجعل على مقدمته الأمير حسن بن زكريا . ثم سار فى سبعين ألف راجل ، فأخذ حصن منابر وغيره من حصون الأشراف ، واستولى على حصون حَجَّة والخلافة فى يوم واحد ، ومثل هذا لم يتفق لأحد من قبله . وأخذ بلاد الأشراف التى صالحهم عليها . وكان الأمير محمد بن يحيى بن حمزة فى حصن الجاهلى — أحد حصون حَجَّة — فخاف على نفسه ، وعلم أن الأمر قد تفاقم ، فباع حصون الخلافة بثمن يسير . ولما رجع السلطان إلى تهامة ، راسله الأمير يحيى بن حمزة وأولاده ، واعتذروا إليه فقبل عذرهم ، وأرجع لهم حصون حَجَّة والخلافة .

ودخلت سنة — ٦٣٥ —

فيها سار السلطان نور الدين إلى مكة على طريق الساحل فى ألف فارس ، فلقاه الشريف راجح بن قتادة ، فخلع عليه السلطان وقدمه فى ثلثمائة فارس إلى مكة . ولما وصل السلطان إلى السِرَّين ، أتاه كتاب الشريف راجح يخبره بانهزام الأمراء المصريين عند مكة ، فدخلها السلطان معتمرا فى رجب من السنة المذكورة ، وتصدق فيها بأموال جزيلة ، ثم استخلف عليها أميرين وهما ابن الوليد وابن التعزى ، فى مائة وخمسين فارسا ، ورجع إلى اليمن . ولما وصل أمراء مصر إلى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم ، بلغهم خبر وفاة الملك الكامل الأيوبى .

ودخلت سنة — ٦٣٦ —

فيها مات الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ فى هجرة ساقين ، من بلاد خَوْلان صَعْدة ، ودفن فيها ، رحمه الله تعالى .

وفيها جهز السلطان نور الدين الأمير أحمد بن زكريا إلى حضر موت ، فاعترضته قبائل نَهده وأحلافها ، فقتلوه وهزموا عسكره .

وفى هذه السنة مات الأمير الكبير عماد الدين يحيى بن حمزة — رحمه الله تعالى — فى كَحْلان ، ودفن فى المشهد القريب من الجامع .

ودخلت سنة — ٦٣٧ —

فيها نهض الأمير شيحة — عامل بنى أيوب على المدينة المنورة — إلى مكة فى ألف فارس ، فخرج منها عامل السلطان نور الدين . فلما بلغه خروج عامله من مكة جهز إليها الشريف راجح بن قتادة وابن النصيرى بجيش جرار ، فانهزم الأمير شيحة عن مكة إلى الديار المصرية ، وسلطانها فى ذلك الحال الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، فجهز معه علم الدين الكبير بجيش عظيم ، فدخلا مكة ، وحجا بالناس ، واستولوا على مكة[1] .

---

(١) ذكر المقريزى فى حوادث سنة ٦٤٠ هـ ما نصه :

وكان من خبر مكة ـ شرفها الله تعالى ـ أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس ، عليهم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة ، فى سنة سبع وثلاثين . فبعث الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول من اليمن بابن النصيرى ، ومعه الشريف راجح الى مكة فى عسكر كبير . ففر الشريف شيحة بمن معه ، وقدم القاهرة . فجهز السلطان الملك الصالح معه عسكرا قدم بهم مكة فى سنة ثمان وثلاثين ، فحجوا بالناس . فبعث ابن رسول من اليمن عسكرا كبيرا ، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة ، فبعث اليهم بالأمير مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس والأمير مجد الدين أحمد بن التركمانى فى مائة وخمسين فارسا . فلما بلغ ذلك عسكر اليمن أقاموا على السرين وكتبوا الى ابن رسول بذلك ، فخرج بنفسه فى جمع كبير يريد مكة ، ففر المصريون على وجوههم ، وأحرقوا ما فى دار السلطان بمكة من سلاح وغيره . فقدم الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول مكة ، وصام بها شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ، واستناب بمكة مملوكه فخر الدين الشلاح » .

(السلوك ، ج ١ ص ٣١٣) .

ودخلت سنة — ٦٣٨ —

فيها استولى السلطان نور الدين على حصن يمين ومنيف الشواث[١] ، وقتل صاحبها عمار الشيباني ، بعد استيلائه على حصن الـكميم[٢] في العام الماضي .

وفيها جهز السلطان نور الدين جيشا عظيما إلى مكة مع الشريف على بن قتادة ، فطلب جند مصر المادة من ملـكهم ، فأمدهم بالأمير مبارز الدين على بن حسين ابن برطاس ، وابن التركماني في ماية وخمسين فارساً ، فوقف الشريف على بن قتادة في السِّرين ، وكتب إلى السلطان نور الدين يخبره بوصول الجند من مصر ، فنهض نور الدين بنفسه ، فلما علم جند مصر بقدومه ولوا هاربين ، بعد أن أحرقوا دار الامارة في مكة وما فيه من الخزانة والأسلحة . فأقام السلطان نور الدين في مكة مدة شهر رمضان ، ورجع إليه ابن برطاس في عدة من بني عمه راغبا في خدمته ، فأنعم عليه ، واشترى منه ينبع ، ثم أمر بإخرابها لأنها كانت مأوى للمصريين . وأبطل المـكوس في مكة ، وكتب في ذلك رقعة وضعت عند الحجر الأسود ، واستخلف على مـكة الأمير فخر الدين إياس[٣] وابن فيروز ، ورجع إلى اليمن .

ودخلت سنة — ٦٣٩ —

لم يتفق فيها — ولا في التي تليها — ما ينبغي ذكره .

---

(١) (الشواث : موضع بالخشب من بلد همدان
(الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢ ، ١١٢)

(٢) الكميم : حصن قريب من صنعاء

(٣) كذا في المتن ، وفي العقـــود اللؤلؤية للخزرجي (ص ٦٩ ج ١) « فخر الدين السلاخ » . وفي السلوك للقريزي (ج ١ ص ٣١٣) « الشلاح » . وقد تكرر الاسم في نسختي المخطوطة « فخر الدين ابن اياس » .

ودخلت سنة — ٦٤١ —

فيها أمر السلطان نور الدين بعمارة المنصورية[١]،على يد الأمير فخر الدين بن إياس.

وفيها حجت والدة الخليفة المستعصم العباسى ومعها الدويدار أمير الركب العراق ، فأرسل لهـا السلطان نور الدين بهدية عظيمة من اليمن ، وأمر نائبه فخر الدين بخدمتها وتعظيم حرمتها ، ففعل . قال قطب الدين فى الأعلام[٢] ، إن أم المستعصم تصدقت فى سفرها هذا بستين ألف دينار ، وأن الجمال التى كانت معها ومع ركب العراق مائة ألف وعشرين ألف جمل ، والله أعلم .

وأقام الأمير فخر الدين بن إياس نائباً فى مكة سبع سنين ، وكانت أيامه غرراً ، عمر أهل مكة فيها الدور ، وتظاهروا بالنعم ، ورخص الطعام ، حتى بلغ ستة أمداد بدينار . وكان السلطان يرسل بصدقة تصرف فى مكة ، فكثرت الخيرات .

وفيها تسلم السلطان نور الدين جبل حُفاش من معارف[٣] صنعاء ، وهو من معاقل اليمن المذكورة فى الجاهلية والإسلام .

ودخلت سنة — ٦٤٢ —

فيها تسلم السلطان نور الدين حصن سَمَاءَةَ[٤] ، وبلاد خَوْلان ، وبقية اليمن الأعلى ،

(١) المدرسة المنصورية ، نسبة الى الملك منصور نور الدين عمر بن رسول . وقد أشار المؤلف فى حوادث سنة ٦٤٧ هـ الى أنه من مآثر المنصور نور الدين أنه بنى مدرسة بمكة .

(٢) هو الشيخ الامام قطب الدين محمد بن أحمد المكى ، الحنفى ، المتوفى سنة ٩٨٨ ، ألف كتاب « الاعلام بأعلام بلد الله الحرام » . وكان تاليفه سنة ٩٧٩ ، وهو من تواريخ مكة المكرمة ، جاء مرتبا على مقـــدمة وعشرة أبواب وأهداه الى السلطان مرادخان العثمانى ، وترجم الكتاب الى التركية المولى عبد الباقى الشاعر المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ . (كشف الظنون ، ج ١ ص ٩٧)

(٣) جمع معرفة ، وهو موضع العرف من الطير والخيل ، والمعارف أيضا الأشياء المعروفة التى لا تخفى على أحد .

(٤) سماءة : حصن حصين فى جبل وصاب من ارض زبيد باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

ما خلا ذى مَرْمر ، وبيت رَدْم[1] وثلا .

ودخلت سنة — ٦٤٣ —

لم ينفق فيها ولا فى التى بعدها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٦٤٥ —

فيها استدعى السلطان نور الدين ابن أخيه الأمير أسد الدين من صنعاء ، لما بلغه عنه مالا يليق ، فوصل أسد الدين إلى السُحُول ، وأدركه الخوف من عمه ، فأراد الرجوع . ولما وصل نَقِيل السُحُول ، وجد أمر السلطان قد تقدمه إلى الشيخ ناجى صاحب السُحُول ، فمنعه عن صعود النَقِيل ، فتحير ، وكان الورد بن ناجى صديقا له ، فخرج به على طريق القفر حتى وصل ذِمَار .

وفيها أحدث السلطان نور الدين فى صَبِر وذَخِر ، وغيرهما من بلاد اليمن أحداثاً لم تكن معتادة ، منها خرص الثمار[2] ، ومطالبة الرعايا بزيادة على ما جرت به العادة ، فاعترضه الشيخ القطب أحمد بن علوان عليه السلام ، وأنشا إليه رسالة بليغة فيها وعظ وزجر .

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة وقعت قضية عظيمة وموعظة جسيمة ، رواها القاضى العلامة عبد الله بن زيد العنسى ، رحمه الله ،

(١) بيت ردم : من حصون صنعاء باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٢) خرص يخرص خرصا وتخرص أى كذب . وأصل الخرص التظنى فيما لا يستيقنه . ومنه خرص النخل والكرم اذا حزر ما عليه من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا ، لأن الحزر انما هو تقدير بظن لا احاطة .
(لسان العرب ـ باب خرص)

عن الفقيه محمد بن سليمان المنبها ، وهى أن بنى منبه[1] وبنى معين[2] — من بلاد شفيا جهة رازح[3] التقوا للقتال ، فأصيب رجل من بنى معين — يسمى مسعود بن على — بسهم ؛ ثم حمل فمات فى الطريق . فلما وصلوا به بيته ، وضعوه على سرير كبير عرضه أربعة أذرع ، واجتمع أهل محله ليحفروا له قبراً ، فخرج إليهم أخوه فقال لهم : « ادخلوا لتنظروا الميت » . فدخلوا فإذا هو قد صار كقطعة من جبل ، رأسه كالصخرة ويداه ورجلاه كالأسطوانات ، وأصابعه مثل السواعد ، وأذناه كأذنى الحمار ، وأسنانه كزبر الحديد ، وقد طلع لسانه على صدره ، واسود وجهه . ثم صرخ صرخة عظيمة أفزع من حوله فزعا عظيما ، وانكسر السرير الذى هو عليه لثقله . فلما أصبحوا ، حفروا له حفيرة عظيمة ، واجتمع لحمله ستون رجلا فلم يطيقوا حمله ، فعدلوا إلى إخراجه بالخشب كما يفعل بالصخرات الكبار ، وهدموا بعض جوانب المنزل الذى كان فيه ، وأخرجوه على تلك الهيئة حتى ألقوه فى حفرته، ثم سقفوها بالخشب والأحجار والتراب ، وجعلوا على الجميع صخرة عظيمة . ثم لم يلبثوا أن بدت رجله من الحفرة ، كأعظم خشبة ، فأزالت جميع ما وضعوه عليه ، فاستأنفوا التسقيف ، وفعلوا أضعاف ما فعلوه أولا ، حتى صار ما فوق الحفرة مثل القبة ، ثم قعدوا متفكرين فى أمره ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا صارخا أعظم من الأول ، ففزعوا وفروا من الموضع ، وما زالوا يسمعون صراخه أربعة أيام ، ثم انقطع . ففتحوا جانب الحفرة فلم يجدوه فيها ، وقد اسودت جوانبها من آثار النار . نعوذ بالله منها ومن شر عذاب القبر ، ونسأله السلامة وحسن الخاتمة بمنّه وكرمه .

---

(١) بنو منبة : بطن من العدنانية ، وهو اعصر ، من سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(النويرى : نهاية الارب ، ج ٢ ص ٣٤١)

(٢) بنو معين : بطن من بنى أسد بن خزيمة ، من العدنانية .

(كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج ٣ ص ١١٢٦)

(٣) رازح : من بلاد صعدة باليمن

(الخزرجى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٤)

قلت وفى هذا دليل واضح على صحة عذاب القبر للعصاة ، كما وردت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ذكر اليافعى فى روض الرياحين[1] كثيراً ممن ظهر له مثل هذا . ووقع مثله فى زمنه — صلى الله عليه وآله وسلم — لرجل غل عناه من الغى ، والقصة مذكورة فى السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلوات والسلام . وذكر الأوزاعى[2] وجه الحكمة فى ظهور العذاب على من ارتكب كبيرة من أهل الصلاة دون الكفار ، وهو أن الكفار لما كان عذابهم مقطوعا به عند كل أحد من المسلمين لم يظهر ، بخلاف غيرهم فقد يظهره الله فى بعض الأوقات للزجر والاعتبار . نسأل الله أن يجيرنا من عذاب القبر والنار ، برحمته ولطفه ، آمين .

ودخلت سنة — ٦٤٦ —

فى شهر صفر من السنة المذكورة كان قيام الإمام الأعظم ، طود الفضل ، الشامخ الأشم ، أمير المؤمنين ، المهدى لدين الله رب العالمين ، أحمد بن الحسين بن القسم عليه السلام ، بأمر الإمامة والرياسة العامة ، فبث دعوته فى أقطار اليمن ، وأجابه خلق كثير ، ومال إليه الأشراف بنو حمزة ، ونقضوا الصلح فيما بينهم وبين السلطان نور الدين .

---

(١) هو عبد الله بن أسعد اليافعى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، صاحب كتاب « روض الرياحين فى حكايات الصالحين » ، جمع فيه خمسمائة حكاية ، وترجمه الى التركية المولى مصطفى بن شعبان المتخلص

(كشف الظنون ، ج ١ ص ٤٤٣)

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعى ، من قبيلة الأوزاع ، كان امام الديار الشامية فى الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، وولد فى بعلبك ، ونشأ فى البقاع ، وسكن بيروت وتوفى بها ، وعرض عليه القضاء فامتنع . له كتاب السنن فى الفقه ، وكتاب المسائل . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه الى زمن الحكم بن هشام . توفى سنة ١٥٧ هـ .

(ابن النديم : الفهرست ، ج ١ ص ٢٢٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٥ ، الزركلى : الاعلام ، ج ٤ ص ٩٤)

ولم يزل الإمام عليه السلام يشن الغارات على كثير من الجهات كهمدان وشِبَام وحلب[1] ومُدَّع والمخلافة . وكان عاملها من قبل السلطان نور الدين القاضى عمارة بن على الأصبهانى ، وحصون حَجَّة بأيدى الأشراف أولاد محمد بن يحيى بن حمزة .

ولما دعا الامام ، كتب إليه الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن على بن رسول ، عامل صنعاء ، ورغب إليه الدخول فى طاعته خوفا من عمه السلطان نور الدين . فنهض السلطان لمحاربة الجميع ، فلما وصل ذِمَار لقاه أسد الدين معتذراً إليه مما تقدم منه ، فقبل عذره ، وسار بين يدى عمه إلى صنعاء . ثم تقدم السلطان إلى جهة كَوْكبان ، فاستقر فى الظلع ، وأراد التنفيس على أهل المخلافة ، فحال دون ذلك السواد الأعظم من أهل المغارب . ثم رجع السلطان إلى جوشان وضرب مخيمه فيه ، واستمر الحرب بينه وبين الإمام حول ثلا وحَضُور المصانع .

وفى أيام الحرب غزا الإمام إلى قُراضة[2] من بلاد لاعة ، ووقع بينه وبين من فيها حرب ، ثم رجع إلى ثلا ، فجهز عسكراً مع الأمير عبد الله بن الحسن بن حمزة إلى حَدَّة[3] بنى شهاب ، فدخل فى طاعته بنو شهاب وبنو الراعى وأهل حَضُور . فنهض السلطان إلى جهة بنى الراعى ، وكانوا قد بنوا موضعاً يعرف بحجر الجراد[4] فى حَضُور ، فأخربه السلطان ، وجعل فى حَضُور جماعة من أصحابه ، وكف عن حربه بنو الراعى . ثم سار إلى بنى شهاب فوقع بينه وبينهم عدة مواقع . ثم رجع إلى صنعاء ، فجهز أسد الدين إلى هداد[5]

---

(١) حلب : حصن معروف باليمن بين ثلا ومدع

(٢) قراضة : بضم اوله : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) الحدة : بالفتح ثم التشديد ، حصن باليمن (المرجع السابق)

(٤) كذا فى المتن ، وفى العقود اللؤلؤية للخزرجى « حجر الجـــواد » (ج ١ ص ٧٧) .

(٥) هداد : فى المتن دون تنقيط ، وفى الخزرجى هذاذ . (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٧٧) .

فاستولى على مصنعة بني جوال[1] وقتل أهلها ، ورجع إلى صنعاء . ولم يزل السلطان يتابع الغارات على بنى شهاب . وكان صبورا على الحروب .

وفى هذه السنة عزل السلطان نور الدين عامله على مكة ، الأمير فخر الدين إياس ، واستعمل عليها ابن المسيب ، لما التزم له بمال يؤديه من الحجاج ، بعد كفاية الجند . ولما وصل مكة أعاد المكوس ، وأحيا رسوم الجور ، واستوعب الصدقات الواصلة من اليمن ، وبنى حصنا يعرف بنخلة عطشان[2] ، واستحلف هذيلا لنفسه ، ومنع عن الجند أرزاقهم ، فتفرقوا عنه . ولما تحقق منه الشريف أبو سعد الخلاف على السلطان نور الدين ، وثب عليه ، وأخذ جميع ما معه ، ثم اعتقله ، وأحضر وجوه أهل الحرم الشريف وقال لهم « ما قبضته إلا بعد أن تحققت منه الخلاف على السلطان ، وعلمت أنه سيخرج بما معه من المال إلى العراق ، فقد حفظته وما معه إلى أن يأتى رأى السلطان فيه » فلم تمض أيام يسيرة حتى ورد إليهم الخبر بقتل السلطان نور الدين ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة —٦٤٧—

فيها خرج السلطان نور الدين إلى بيت نعامة ، فأحرب من فيه من أصحاب الإمام ، ومن انضم إليهم من أهل حَضُوُر ، وقتل منهم جماعة ، وأخرب تلك القرية . وفى اليوم السابع عشر من المحرم دخل عسكر الإمام إلى حصن كوكبان على حين غفلة من أهله ، فخرج عليهم المرتبون فيه فقتلوا منهم ثمانين رجلا . وكان الإمام قد أغار إلى تحت

(١) بنو جوال (أولاد جوال) بطن من بنى راشد بن هلبا سويد بن جذام من القحطانية .

(القلقشندى : نهاية الارب ، ص ١١٥)

(٢) فى العقود اللؤلؤية للخزرجى « وبنى حصنا بنخلة يسمى العطشان » ، ونخلة واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين ، احدى الليلتين من نخلة يحج بها حجاج اليمن وأهل نجد . (ياقوت : معجم البلدان) .

كوكبان ، ثم وقف ينتظر أمر أصحابه . فلما قتل منهم من قتل وانهزم بقيتهم ، رجع إلى ثَلا فوراً . ثم جهز عسكرا إلى بِرَاش فلم يظفروا به . ولما رجع السلطان من حَضُور إلى صنعاء ، وفد إليه الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة ، فأكرمه وأعطاه حصن بُكُر .

ثم تجهز السلطان للعود إلى اليمن الأسفل، فخيم فى قُرة العين خارج صنعاء ، ومعه ابن أخيه أسد الدين ، ثم سار فجعل طريقه على تَنْعُم لحرب الأمير محمد بن أحمد بن المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، والأمير أبو هاشم بن تقى الدين ، فاحتربوا . ثم تقدم اور الدين إلى جَهْران ، فاجتمع عليه أصحاب الإمام المهدى أحمد بن الحسين ، ومن انضم إليهم من أهل بَكِيل وعاثين(١) وتلك الجهات بأسرها ، وهم زهاء عشرة آلاف مقاتل ، وأرادوا منعه عن النفوذ ، وكان مطرَحهم فى نجد النوبة ، فهزمهم السلطان،وقتل منهم جماعة ، وأخرب عاثين .

وفى هذه المدة غزا أولاد الإمام ص بالله — موسى وداود — إلى وادى ظهر بخيل ورجال ، فخرج عليهما عز الدين بن المهندس ، نائب أسد الدين على صنعاء ، فهزمهما ، ورجع أسد الدين من ذمَار إلى صنعاء . وكان أصحاب الإمام المهدى ، ومن معهم من أهل البلاد قدأرادوا منعه عنصعود نقيل العائرة(٢) ، فأحربهم ونفذ إلى صنعاء ، فخالف عليه أهل البلاد ، وافترق عسكره ، وسار أكثرهم إلى الإمام ، فلم يبق معه إلا فتيانه .

وفى شوال من السنة المذكورة ، وقع الاختلاف بين الإمام المهدى والاشراف ، فالتقوا إلى قارن ، ووقع الحرب العظيم ، فكانت الدائرة على الاشراف بنى حمزة ، قتل من أصحابهم ثلثمائة ونيف وثمانون قتيلا ، وأسر آخرون ، فمنهم من فدى نفسه . ومنّ الإمام على جماعة منهم ، وهلك آخرون ممن خرج فى المعركة ، وتفرقوا فى الأودية ،

---

(١) عاثين : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان)
(٢) ذكر الهمدانى أن العائرة من بلد بنى عامر .
(صفة جزيرة العرب ، ص ١٨٢)

وكان يوما مشهودا . وفيه يقول ابن هتيمل شاعر الإمام ، من قصيدة :

قرنت بأهل قارن يوم سوء أرحت به الزعيم من الزعامة

ثم نهض الإمام إلى حلملم من بلاد الأشمور ، وأقبلت إليه حمير وقبائل مَسْوَر . ثم سار الإمام إلى بلاد الظاهر فى جمع كبير ، فحاصر من فى حصن ذِرْوَةَ من بنى حمزة ، وضيق عليهم حتى أذعنوا بالخروج إلى صعدة . واستولى الإمام على ذِرْوَة ، وهى من المبانى القديمة المنيعة . يقال إن البانى لها أحد ملوك بنى الصليحى . ثم سار الإمام إلى الجوْف ، فاستقر فى الزاهر ، وأقبل إليه أهل الجوف ومَأْرب ، والسلطان محمد صاحب بيْحان ، وقبائل دُهمه ونُهم وَجَنْب .

وفى شهر ذى القعدة من هذه السنة قتل السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول ، فى قصر الجَنَد ، والقاتل له جماعة من مماليكه . وكان قد استكثر من المماليك ، حتى بلغت مماليكه البحرية ألف فارس ، وكانوا يحسنون من الفروسية والرماية مالا يحسنه مماليك مصر . ويقال إن الذى أغراهم بقتل السلطان وشجعهم عليه ابن أخيه أسد الدين ، ووعدهم بما طابت به نفوسهم ، لما أراد عمه عزله عن صنعاء ، وجعلها إلى ولده المظفر يوسف بن عمر . ولما قتل ، حمله بنو فيروز إلى تعز فى محمل ، ودفنوه فى المدرسة الأتابكية بذى هزيم ، فشكرهم المظفر على فعلهم وأقطعهم الإقطاعات الواسعة ، لأنه كان غائبا يومئذ عن أبيه فى المَهْجَم ، وبقية إخوته فى حصن تعز .

ومن مآثر السلطان نور الدين مدرسة فى مكة المشرفة ، ومدرستان فى تعز ، إحداها تعرف بالوزيرية نسبة إلى مدرسها الوزيرى ، والأخرى بالغرابية نسبة إلى مؤذنها غراب . ومدرسة فى عدن . وثلاث مدارس فى زبيد ، احداها للشافعية ، والثانية للحنفية ، والثالثة لعلماء الحديث . وجعل فى كل مدرسة مدرساً ومعيداً وإماما ومؤذنا ومقيما ، ووقف على الجميع أوقافا تقوم بالكفاية . وأمر بعمارة البرْك ، وهو جبل متصل بساحل البحر بيْنَ مكة واليمن ، ورتبه بعسكر عظيم لمحاربة عسكر بنى أيوب . وكان مجاهراً بالشراب ، ويعتمد للشرب مقاما فى يوم معلوم .

ولما قتل السلطان المذكور سار المماليك إلى فَشَال[1] من ناحية تهامة، وفيها الأمير أبو بكر بن على بن رسول نائبا، فحملوه على القيام بالأمر، ولقبوه بالملك المعظم، وحلفوا له على الطاعة ثم سار الجميع إلى زبيد، فحاصروه، وكان الملك المظفر يوسف بن عمر بن على ابن رسول في المَهْجَم - كما ذكرنا - مغاضبا لأبيه، لمّا قدّم عليه أخويه المفضل والفائز لمكان أمهما المعروفة ببنت حوزه؛ مع أن المظفر — الذى هو أخوهما من أبيهما — أسن منهما وأكمل عقلا. وقد كان المظفر همَّ بالمسير إلى العراق، فلما بلغه قتل أبيه ترك ماعزم عليه. وكانت المدن والحصون مقبوضة، ولم يكن فى يد المظفر إلا قائم سيفه، فشمر الهمة، وجمع العساكر واستخدم العشائر، وتوجه بهم إلى زبيد، ففتر عزم أبى بكر ومن معه من العبيد المحاصرين لزبيد، وسقط فى أيديهم، وطلبوا الأمان من المظفر، فأمنهم بشرط القبض على أبى بكر والمباشرين لقتل أبيه، ففعلوا. وتجدد المظفر من الظفر ماسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ودخلت سنة — ٦٤٨ —

فى المحرم منها سار الإمام المهدى أحمد بن الحسين عليه السلام من الجوْف إلى صَعْدة فى عدد كبير، فلما وصل درب الحناجر، وصل إليه السيد الإمام الحسن بن محمد بن بدر الدين بعصابة من أهل بيته، والأمير الكبير شرف الدين الحسين بن محمد بن يحيى وإخوته آل يحيى بن يحيى، ومن انضم إليهم من بنى عمهم وعشائرهم من همْدان وخَوْلان، فقابلهم الإمام بالإكرام. وأقبلت قبائل صعدة والمخلاف قضهم بقضيضهم، حتى بلغ عدد الخيل إلى ثمانمائة عيان. ثم تقدم الإمام إلى غربى صَعْدة، وكان الأمير شمس الدين أحمد بن ص بالله قد انتقل إلى حصن بِرَاش، وشحن حصن تَلمُّص بالرجال والعدة، فخرج الأمير عبد الله بن وهاس من تَلمُّص إلى محطة الإمام، فطعن رجلا من أصحاب الإمام، ورجع إلى الحصن، فأمر الإمام بفتح الحرب على تَلمُّص، فأحاطت به العساكر

(١) فشال: قرية كبيرة بينها وبين زبيد مسيرة نصف يوم على وادى رمع (ياقوت: معجم البلدان).

من جميع الجوانب ، وضيقوا على من فيه تضييقا شديداً . فعلم الأمير شمس الدين أنه لا يطيق حرب الإمام ، فطلب الصلح ، فأجابه الإمام بشرط تسليم تَدَمُّص والقُفْل في بلاد الظاهر ، والمكرام في مَيْتِك ، والجاهلي وظفر في حَجَّة . واجتمع للإمام في هذا السفر من الدراهم شيء كثير ، حتى كان ينق في اليوم الواحد ألوفا .

ولما تقررت أمور صعدة نهض الإمام إلى جهات صنعاء ، فالتجأ عاملها أسد الدين إلى بِرَاش ، ودخل الإمام صنعاء دخولا معظما ، وأجابته البلاد من ذِمَار إلى صَعْدة . وكان الأمراء بنو حمزه معه ، وهو غير واثق بهم . ثم قصد الإمام إلى ذى مرمر ، فوقع بينه وبين عبد الله بن سالم بن على بن حاتم حرب ؛ قتل فيه من الجانبين تسعة أنفار . ومابرح الإمام يغادى القتال ويراوحه على أسد الدين حتى طال عليه الأمر ، فكتب إلى الأمير شمس الدين أحمد بن ص بالله أنه يسعى بينه وبين الإمام بالصلح ، فاجتمع به الأمير شمس الدين ، وأشار عليه بالمخادعة بتمام الصلح ، على أن الإمام يجهزه على ابن عمه الملك المظفر ؛ فإذا قَرُب من ابن عمه صالحه ، ودخل في طاعته وتم الأمر على هذا . وجهز معه الإمام الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى في مائة فارس ، وسار مع أسد الدين الأمير أحمد بن علوان بن بشر بن حاتم ، وجماعة من إخوته بنى حاتم ، واجتمع جيش عظيم . فلما وصلوا الشوافي خرج الملك المظفر بجنده ، فوقف مقابلا للقوم ، ثم سعى بنو حاتم وغيرهم بالصلح بين أسد الدين والمظفر ، فانتظم . وكان اجتماعهم في الموسعة ، ثم ركب المظفر ، ومشى أسد الدين بين يديه ، وحمل الغاشية . ولبث أياما ، ثم جهزه المظفر إلى صنعاء في مائة فارس . وبلغ الإمام الخبر ، فجهز عسكرا إلى نَقِيل العاثرة لمنع أسد الدين عن النفوذ ، فلم يقدروا على منعه ، بل نفذ لوجهه حتى دخل صنعاء ، بعد أن خرج منها الإمام إلى سنع ، وأخرب دار أسد الدين ، ودار أخيه ، وأوقف السيد الحسن بن وهاس وأخاه محمد وغيرهما من الأشراف ، والعرب في سمرة[1] ، فأسرهم أسد الدين ، وسجنهم في بِرَاش .

---

(١) حصن سمرة : ينسب الى أبى سمرة من جعدة .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٥٩) .

وفى شهر الحجة من هذه السنة المذكورة نهض الملك المظفر إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٦٤٩ —

فى المحرم منها تسلم المظفر حصن التَعْكر .

وفى هذا الشهر قدم الأمير حسن بن على بن رسول وأخوه أبو بكر إلى اليمن ، فخاف المظفر منهما ، وجنح إلى مصالحة الإمام ، فوقع الصلح على أن للمظفر اليمن الأسفل والتهائم وللإمام اليمن الأعلى ، وثمانين ألف محمولة إلى خزائنه ، وتسليم حصن حلب [١] المعروف بين ثلا ومُدع ، وأنهما يداً واحدة فى محاربة أسد الدين ، وأن كوكبان للإمام بعد الاستيلاء على بِرَاش . ثم إن الإمام بعد هذا شرى بِرَاش من أسد الدين بخمسمائة ألف وعشرين ألف درهم مهْدَوِيّة ، كل درهم ثلثى قفلة إسلامية [٢] ، غير الخلع والخيل للوسايط . واستعان الإمام أهل بلاده من ذِمَار إلى صَعْده على تسليم هذا المبلغ ، وجعله عاما عليهم حتى الأرامل والأيتام ، لمصلحة رآها عليه السلام . وأما المظفر فإنه أمر عماله على التهايم بإكرام عمّيه المذكورين . ولما وصلا زبيد أقاما فيه أياما ، ثم سارا إلى تعز ، فلقاهما المظفر إلى حَيْس [٣] ، وترجل كل منهم للآخر ، ثم اجتمعوا فى الدار السلطانية . فلما استقروا ، أمر المظفر خدمه بالقبض عليهما ، وأرسل بهما إلى حصن تعز مقيدين . فلما دخلاه ، قال الأمير حسن بن على « قبّحك الله من قلعة ! خرجنا منك مقيدين ودخلناك مقيدين ! » وكان ولده أبو بكر بن حسن محبوساً فيها .

---

(١) حلب : حصن معروف باليمن بين ثلا ومدع .

(٢) ذكر المقريزى : يقال درهم قفلة اى وازن ، والهاء اصلية ، وهذا من كلام أهل اليمن . وقال الأب انستاس الكرملى ان معنى الهاء اصلية انها ملازمة للكلمة وليست للتأنيث ، فلا يجوز لك أن تقول « درهم قفل » . ومعنى وازن انه ثقيل ، له وزن ، فهو تام الثقل ، لا نقص فيه ولا زيف .
(المقريزى : النقود ، ص ١٥١ ، ١٦٢) .

(٣) حيس : مخلاف بين المعافر وصنعاء غربا ، وهو بلد آل أبى النمر الركبيين . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ١٠٣)

وفى هذه السنة بعث المظفر رسولا إلى خليفة بغداد المستعصم ، فلما وصل الرسول إلى بَرَاقش اتخذ الأدلة من أهل البادية ، وسلك طريق الرمل والسواحل البحرية ، حتى وصل بغداد بعد أربعة عشر يوما . ودفع كتاب المظفر إلى المستعصم ، فأمر أن يكتب للمظفر منشورا فى ولاية اليمن . ثم قال « انظروا كم جائزة صاحب اليمن » فقالوا « عشرة آلاف وخلعة » فقال الرسول « وكم جائزة صاحب مصر ؟ » . قالوا « أربعون ألفا » ، فقال « إنى لا أقبل لصاحبى دونها » . فقال له الوزير « إن إقليم مصر أكبر من إقليم اليمن » . فأمر المستعصم بتوفيته ، وكتب إلى المظفر يأمره بمحاربة الإمام أحمد بن الحسين .

وفى هذه السنة تسلم الإمام جبل حَرام من بلاد الشَّرَف . وما زال يتردد فى جهات صنعاء وذِمَار . ولبث شهرا كاملا فى حذار[1] وعلم أسد الدين أنه لا طاقة له بمحاربة الإمام ، فخرج من صنعاء ، وتركها للإمام ، فاستقر فيها الإمام أياما . ثم رجع إلى سنَع وبنى شهاب . ورجع إلى ثلا ، ووصل إليه الأمراء بنو حمزة فأمنهم وعفى عنهم . وفى هذه الأيام استولى على مِسْوَرلاعه ، وأمر بمحاربة جعدان صاحب قلعة الريشة من بلاد المغارب . وفيها ضُرب عنق رجل من الباطنية .

ودخلت سنة — ٦٥٠ —

فى المحرم غزا الإمام إلى مأرب وبيْحان .

وفيه وقع الصلح بينه وبين أسد الدين ، ودخل فى طاعة الإمام ، بسبب ما جرى من ابن عمه المظفر من القبض على أبيه وأقاربه .

وانتقض الصلح بين الإمام والمظفر ، فجهز الإمام أسد الدين والشريف هبة بن فضل العلوى بجيوش كبيرة . فجهز المظفر لمحاربتهم الطواشى تاج الدين ، والأمير على بن يحى ،

(١) حذار : قلعة بينها وبين صنعاء يوم . (ياقوت : معجم البلدان) .

فوقع تشاجر بين الأميرين ، فرجع على بن يحيى ، وسار بالجند الطواشى . فلما تراءى الجمعان ، علم أصحاب الإمام أن ليس لهم طاقة بأصحاب المظفر، فرجعوا إلى السواد ، والتجأوا إلى بعض الجبال ، وطلبوا من الإمام المادة بالرجال ، فأمدهم بعسكر عظيم ، قائدهم الأمير شمس الدين أحمد بن ص بالله . فوقع بينهم وبين جند المظفر عدة وقائع . ولم يزل الإمام يتابع لهم الإمداد . فلما رأى أسد الدين تكاثر أصحاب الإمام ، أخذته الحمية ، فأنذر الطواشى فرجع إلى ذِمَار . وتردد أسد الدين فى البلاد ، وفسد ما بينه وبين الإمام من الصلح ، وأظهر أنه لم يقبض من قيمة بِرَاش إلا اليسير ، وهو مع هذا غير آمن من المظفر . فتوجه إلى رداع ومنه إلى المشرق ، حتى بلغ عَمْقَيْن وغُمدان وحودان ، وهى أودية فى المشرق . ثم ضاقت عليه المسالك ، ولم يجد بداً من قصد علوان الجحدرى إلى بلاده ، على ما بينهما من العداوة القديمة من أيام السلطان نور الدين ، فتلقاه علوان بالإكرام ، وحمل إليه الضيافات الواسعة ، واغتفر له ما جرى . وهكذا شأن الأحرار عند الاقتدار . وفى خلال هذا وردت العساكر المظفرية فى طلب أسد الدين ، فمنع عنه علوان ، وطلب له من عمه الأمان ، فأمنه على يدى علوان . ثم نزل إلى عمه فعفى عنه وأكرمه وأعطاه مالا جزيلا ، ورجع إلى صنعاء . وأراد الإمام تجهيزه إلى تهامة ، فظهر له ميله إلى ابن عمه ، فتركه .

وفى هذه الأيام أمر الإمام نائبه فى ذِمَار بالتقدم إلى يريم وأرْياب[1] وكَحْلان ، وفيها قوم من الباطنية ، فحاربهم ، وقتل منهم جماعة وأخرب بيوتهم . وكَحْلان بريم من المعاقل المشهورة ، وكان أهله زيديةً هَدَويّة لا يعرفون هذا المذهب الخبيث ، حتى دخل فيهم رجل من شياطين أهل هذا المذهب وحذّاقهم ، فدس إليهم مذهبه ، حتى مال إليه أكثرهم .

ودخلت سنة — ٦٥١ —

فيها نهض المظفر إلى صنعاء ومعه الأمير على بن وهاس ، فوقف فى درب عبد الله .

---

(١) ارياب : قرية باليمن من مخلاف قيظان (ياقوت : معجم البلدان)

وكان الإمام فى سَنَع فخرج منها ، وتقدم المظفر إليها فأخربها وقطع أشجارها ، ورجع إلى اليمن ، فتسلم حصن دروان من الشيخ الورد بن محمد بن ناجى .

وفى هذه السنة قتل الشريف أبو سعد صاحب مكة فى داره ، والعامل له حماد ابن حسن ، وحج حماد بالناس ، وأقام فى مكة .

وفيها وقع الاختلاف بين الإمام والأمير أحمد بن ص بالله وإخوته ، وطلبوا من المظفر النصرة على الإمام ، فكتب إلى أسد الدين بمناصرتهم ، وأيده بمال . فالتقى أسد الدين وشمس الدين إلى بَرَاقش ، وحاربا أهل الزاهر[1] حتى أخذاه ثم أحرقاه ،وسارا إلى صَعْدة والإمام فيها . وانضم إليهم الشريف المرتضى بن مفضل بن منصور . وكان ساكنا فى بلادِ أُنس ، فقصد الإمام يوماً فطلب الإذن بالدخول ، وكان الإمام فى تلك الحالة متوجها يصلى ، فأبطأ عليه رجوع الإذن من الإمام ، فسار مغاضبا إلى المظفر ، فأعطاه عطاءا واسعاً ، وصار من جملة الأعوان على الإمام . ولما قربوا من صَعْدة خرج الإمام بعسكره ، فوقف مقابلا لهم ، فتسلل الشريف المرتضى حتى دخل مسجد الهادى عليه السلام ، ثم ربط نفسه إلى سارية وأظهر التوبة . وعلم الإمام بمكانه ، فسره مافعل، وأمر بإطلاق وثاقه ، وتداركه الله . وكان من العلماء المدرسين فى أُنس ، رحمه الله تعالى . ثم سار إلى عَلاف ، واستخلف على صعدة الأمير الحسن بن وهاس بطائفة من الجند . وأقام الأميران يحاربان صَعْدة ، حتى استوليا عليها ، ونهباها نهبا شديداً ، وأسر الأمير الحسن . وأجار أسد الدين كثيرا من الناس ، وستر الحريم . وأقام بصَعْدة مدة ؛ وأظهر الجند فعل المنكرات والفواحش وشرب الخمور . وأما الإمام فإنه سار إلى حُوث ، ثم جهز عسكرا إلى الجوف ، فأسروا الأمير موسى بن ص بالله وولده . فلما علم الأميران بذلك استخلفا على صعدة الأمير محمد بن أحمد بن ص بالله ، وهبه بن فضل . ثم سار

---

(١) الزاهر : حصن قرب صنعاء .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٤٦)

إلى صنعاء فبعث الإمام أخاه سليمان بن الحسين ومحمد بن فليته فى عسكر إلى صعدة، فهزموا رتبة الأميرين ودخلوا صَعْدة.

ودخلت سنة — ٦٥٢ — .

فيها أرسل المظفر إلى الأميرين أسد الدين وشمس الدين بجراية عظيمة، وأمرهما بالخروج من صنعاء لحرب الإمام، فخرجا إلى مخلاف بنى وهاس من بلاد حاشد وأخربوا فيها عدة مواضع، ثم سارا إلى مصنعة آل أبى العديم فأخذاها، وتوجها إلى البَوْن ثم إلى الظاهر، فأخذا موضعا يعرف بالأبرق، ثم قصد الإمام إلى هَجَر بنى قطيل[1] من بلاد حمير. وكان الإمام قد جمع جموعا كبيرة وجهزهم إلى نَقِيل الُخضاب[2] فغشاهم عسكر الأميرين من جوانب النَّقِيل، فهزموهم أشد هزيمة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، من أعيانهم الفقيه العلامة حميد بن أحمد المحلى صاحب التصانيف المشهورة، رحمه الله تعالى[3]، وكان من أعيان أصحاب الإمام. وأسر الشريف أحمد بن يحيى بن حمزة. ثم رجع الأميران إلى الظاهر وقد استفحل أمرهما، فأرادا التقدم إلى حُوْث، فاختلف عسكرهما، فرجعا إلى صنعاء، وسار الإمام إلى مُدع.

وفى شوال من السنة المذكورة جهز المظفر الأمير مبارز الدين حسين بن على ابن برطاس[4] فى مائتى فارس إلى مكة المشرفة، فلقاه الأشراف إلى باب مكة، فهزمهم وقتل منهم جماعة، ودخل مكة فحج بالناس.

---

(١) قطيل بن شاور: بطن من حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد، من همدان القحطانية.

(الهمدانى: الاكليل، ج ١٠ ص ١٠٢).

(٢) خضاب: بضم أوله وآخره، موضع باليمن.

(ياقوت: معجم البلدان)

(٣) حميد بن أحمد المحلى، ذكر عنه الخزرجى أنه كان أحد أعلام الزيدية وفضلائها، وله من التصانيف الجامعة والرسائل المفردة الى الملوك والأمراء ما ليس لأحد. (العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١١٥).

(٤) ذكره المقريزى: «مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس»

(السلوك ج ١ ص ٣١٣)

وفى هذا الشهر سار الأمير أحمد بن ص بالله وأخوه داود فى جماعة من بنى حمزة إلى المظفر ، فوافوه فى زبيد ، فقابلهم بالإكرام والإنعام ، وضرب لهم الخيام والمطابخ على باب الشبارق ، فأقاموا عنده شهرا كاملا ، ووفد عيد الأضحى وهم لديه ، فأنشأ شمس الدين قصيدة رائعة ، يمدح فيها المظفر ، تركنا ذكرها كونها فى مدح سلطان[1] جائر . ولما طلب الأشراف المذكورون[2] الإذن من المظفر بالعود إلى بلادهم ، أعطاهم من الأموال والخيول ما لا ينحصر ، وأقطع شمس الدين مدينة القحمة ، وجهز معه مائة فارس من المماليك . فلما وصل الجوف ، استباحه ، وجرت بينه وبين أهله وقعات عديدة ، من أعظمها وقعة فى البيضاء ، وهى مدينة مَعِين أسفل الخارد ، وقد صارت الآن خاربة .

ودخلت سنة — ٦٥٣ —

فيها جمع أشراف مكة جمعا عظيما لحرب مبارز الدين بن برطاس نائب المظفر ، فحصروه فى مكة ، وقتلوا جماعة من أصحابه ، وأسروه ، ففدى نفسه بمال ، وخرج ببقية أصحابه إلى اليمن .

وفى هذه السنة سار الإمام المهدى عليه السلام إلى الظاهر ثم إلى حُوث ، فاستقر فيه . وفيها كتب المظفر إلى خليفة بغداد[3] يشكو إليه من الإمام ، ويذكر ميل الناس إليه ، وطاعتهم له ، فبعث إليه صاحب بغداد رجلين من الحشيشيين الفداويين ، للقدم

---

(١) ذكر الخزرجى (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١١٦) هذه القصيدة ومطلعها :

لعل الليالى الماضيات تعود وتبدو نجوم الدهر وهى سعود

(٢) فى المتن « المذكورين » .

(٣) كان الخليفة العباسى فى بغداد عندئذ هو أبو أحمد بن عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر ، آخر الخلفاء العباسيين فى بغداد ، وهو الذى قتله المغول سنة ٦٥٦ هـ .

ذكر طرف من وصفهم فى سيرة الإمام ص بالله ، وهم قوم يوجدون فى بلاد خُراسان والديلم ، ملاحِدَة إحدى الفرق المعطلة ، ومن شأنهم المخاطرة بأنفسهم ، والإقدام على قتل من أمروا بقتله ، ولو كان فيه هلاكهم .

فلما وصلا إلى المظفر أرسلهما إلى الإمام فى هيئة المصلحين ، وأغراهما بقتله ، وضمن لهما مالا يدفعه إلى ورثتهما إن قتلا . فلما وصلا إلى الإمام أكرمهما ، ولبثا فى مقامه أياما يترقبان الفرصة . ثم طلبا من الإمام الإذن لهما بالعود ، ودخلا عليه للوداع ، ولم يكن عنده إلا الفقيه قاسم بن أحمد الشاكرى ، والفقيه العلامة عبد الله البهلولى ، والشيخ عبد الله بن محمد الصعْدى ، فقال لهما الإمام « تكلما بحاجتكما » فتكلم أحدهما بكلام غير مستقيم ، ثم قال ، « مُرادى ألقى إليك حديثا سراً » ، ودنا من الإمام فاتهمه ، ومال إلى الفقيه قاسم يشاوره ، فانتهز الحشيشى الفرصةَ ، وجذب سكينا من باطن ثيابه . ثم انحط على الإمام يطعنه فى جانبه الأيسر بتلك السكين ، حتى دخلت قدر أربعة أصابع . وأراد أن يطعنه ثانية ، فقبض الفقيه قاسم على السكين ، وأوثق الرجل ، فأمر الإمام بقتله وصاحبه ، وشفى الإمام ، ونقض الله على أعدائه ذلك المرام .

ودخلت سنة — ٦٥٤ —

فيها ظهرت نار بالقرب من المدينة المشرفة ، على صاحبها أفضل الصلوات والسلام ، تأكل الحجر ولا تضر الشجر ، فلبثت قدر ثلاثة أشهر ثم ذهبت . وقد تكون النار التى ورد بها الخبر عنه صلى الله عليه وسلم ، إنها تظهر فى آخر الزمان نار شرقى المدينة ، تضيء ، لها أعناق الإبل فى بصرى من أرض الشام ، والله أعلم . وتعقبها فتنة التتار ، وقتل خليفةَ بغداد ، والقحط الذى عم الأقطار .

وفى هذه المدة : كتب أسد الدين إلى الإمام أنه يريد الرجوع إليه ، والجهاد بين يديه ، فأسعده الإمام ، ثم لم يلبث أن رجع عن رأيه الأول .

وفيها نهض الإمام من حُوث إلى الجنات ، فأخرب القصر الذى بناه الغز فيها ،

ثم سار إلى ضَرَوان[1] من بلاد همدان ، فأخربه ، وتقدم لمحاصرة صنعاء ، فوقف فى سفح نُقَم ، وأقبلت إليه القبائل من كل وجه . فخاف من فى صنعاء خوفا شديداً ، فطلبوا الصلح ، فصالحهم الإمام مدة ستة أشهر . ونهض إلى بيت ردم .

وفى هذه السنة احترق المسجد النبوى ، على صاحبه أفضل الصلوات والسلام . والسبب أن صاحب القناديل وضع النار فى المسجد الشريف ثم غفل عنها ، فأحرقت فراش المسجد ، واتصلت بالخزائن والأقفاص ، ثم بالسقف ، وتفاقم الأمر ، فلم يستطع أحد إطفاءها . قال السمهودى فى كتاب « خلاصة الوفا » ما معناه : ولعل وجه الحكمة أن النار التى ظهرت بالقرب من المدينة المشرفة ، لما لم تصل المدينة ظن أهلها السلامة من نار الآخرة لمن يستحقها ، فأراهم الله تعالى قدرته ، والله أعلم .

وفيها حدث من الآيات السماوية أن الشمس والقمر كانا يطلعان وليس لهما نور ، فخاف الناس من ذلك ، وحدثت صواعق وزلازل ، هلك منها عدد من الناس .

ودخلت سنة — ٦٥٥ —

فيها كان القحط العظيم فى اليمن ، وارتفع سعر الطعام فى صنعاء وصعدة ، ومات كثير من الناس جوعا ، وأكلوا الكلاب ، ونضبت المياه .

وفيها اجتمع جماعة من علماء الهَدَوية كالشيخ أحمد بن محمد الرصاص وغيره ، وطعنوا على الإمام فى سيرته ، ونقموا عليه ما لم يكن من صفته وطريقته ، ثم خرجوا من حُوْث مغاضبين إلى بلاد بنى صفى الدين . وكان الإمام يومئذ فى بَيْتِ رَدْم ، فترجح له أن يبعث إليهم الأمير الحسن بن وهاس للمناظرة ، فأشار على الإمام بعض خواصه بترك إرسال الأمير الحسن ، وقال له إنهم يستميلونه إلى ما هم عليه ، فلم يسعده الإمام ليقضى الله أمراً كان مفعولا . ولما وصل إليهم الأمير الحسن ناظروه وخدعوه ،

(١) ضروان : بليد قرب صنعاء . (ياقوت : معجم البلدان) .

حتى صار من جملتهم . ولما بلغ خبرهم الأمير أحمد بن ص بالله ، كتب إليهم ، وقوّى عزمهم ، ثم رجع إليهم من صنعاء ، فلقوه إلى البوْن . واجتمعت كلمتهم على حرب الإمام ، فكتبوا إليه يطلبون منه الاجتماع إلى البوْن للمناظرة ، فأجاب أنهم يصلون إليه ويتركون الشقاق ، فلم يجيبوه .

ودخلت سنة — ٦٥٦ —

فيها كان اجتماع الخارجين على الإمام إلى شُوَابة ، وظاهر اجتماعهم للمناظرة لا للحرب ، فخرج إليهم الإمام من مدع حتى وقف قريباً منهم فى موضع يعرف بالمنظر ، ثم نهض منه إلى موضع آخر ، فاعترضته طليعة الأشراف ، ووقع القتال . فأحاطت به عساكر الأشراف من كل جانب — وهم ثمانون فارساً ، وأربعمائة راجل — والإمام فى ثلثمائة فارس وألفى راجل . فانهزم أصحاب الإمام إلى موضع قريب من الموضع الذى هو فيه ، بحيث يظن أنهم لا يخذلونه ، فثبت ثباتاً حسنا ، وقاتل قتالا شديداً ، حتى عُقر فرسه تحته ، فوقع على الأرض ، وتولى قتله رجال من أهل ظَفَار . واحتزوا رأسه الكريم عليه السلام ، وجاءوا به إلى خيمة أحمد بن المنصور والرصاص ، ثم حملوه إلى ظَفَار ، وطافوا به فى السكك والأسواق . ثم أمر على بن موسى بتكفينه ودفنه فى مشهد المنصور بالله ، فمنعه أهل ظفَار ، ودفنوه تحت القاهرة[1] فى موضع الأزبال ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . ثم إن أحمد بن المنصور أمر بإرجاعه إلى شُوابة ودفنه هنالك مع جسده الطاهر ، فدفن فى موضع من شُوابة يعرف بالشرعَة[2] ، فمكث فيه ثلاث سنين ، ثم نقل إلى مشهده المقدس فى ذئبين ، فهو المزور المشهور ، الظاهر فضله وبركته على مر الدهور .

---

(١) القاهرة : حصن باليمن قرب ظفار .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٢٤)

(٢) الشرعة : موضع فى البون من بلد همدان
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ١١١) .

قال الجندى : أخبر الثقة أن موضع قبره فى شُوابة ، توجد فيه رائحة المسك .
وكراماته عليه السلام أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ، منها ما حكاه الفقيه سعيد بن محمد الحاربى رحمه الله ، قال : كنّا فى جهة المغارب ، فرأينا آية عظيمة ، وهى ظهور نور فى المغرب قبل العشاء الآخرة يشبه نور الشمس قبل طلوعها ، ففزع الناس . ثم ذهب ، وعادت ظلمة الليل ، ونمت تلك الليلة ، فرأيت فيما يراه النائم ، أن شخصاً يقول لى « هل عرفت ما شأن ذلك النور » ، فقلت « لا » ، قال « إن ذلك باب فى السماء لم يفتح منذ خلق الله الدنيا إلا الليلة ، وهو باب رحمة ، فتحه الله للناس » فلم تمض مدة يسيرة حتى قام الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام . وكان استشهاده عليه السلام فى يوم الأربعاء آخر شهر صفر من السنة المذكورة .

وكان أحمد بن ص بالله قد كتب إلى المظفر يخبره بميل الهدوية عن الإمام ، ويطلب منه المادة على حربهم ، فأمده بمائة ألف درهم مظفريّة ، مع الشريف حمزة ابن الحسن ، فوافاهم قُبيل قتل الإمام بوقت يسير ، فطرحت الدراهم بين الخيام . قال بعضهم : ولقد رأيت الدرهم المظفرى ، فإذا هو فضة خالصة ، وزنه نصف قفلة أو زيادة ، مكتوب فى الدائرة الوسطى « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله ، أرسله بالهدى ودين الحق » وفى الدائرة الخارجية « ليظهره على الدين كلّه . أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، رضى الله عنهم » . وفى الدائرة الوسطى من ظاهره « عمّر السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور » . وفى الخارجية « الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين ضرب بزبيد سنة ٦٥٠ » ، هذا لفظه . ويقرب منه الدرهم المضروب باسم الإمام صلاح الدين عليه السلام ، وزنه نصف قفلة ، إلا قليل منها فضة خالصة ، مكتوب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلاّ الله الإمام صلاح الدين » .

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام ، كتب أحمد بن المنصور إلى المظفر ما صورته « تجدَّد السعادة أوجب شكر نعمة الله إلى المقام العالى ، خلد الله ملكه . وينهى صدورها من المصاف بشُوَابة ، ورأس أحمد بن الحسين بين يدى » شعرا :

وأبيض ذى تاج أصابت رماحنا بمعترك بين الفوارس اقتما
هوى بين أيدى الخيل إذ فتكت به صدور العوالى تنضح المسك والدما

ولما انقضت هذه الواقعة ، نهض أحمد بن المنصور إلى الجوْف ثم إلى صَعْدة .

وفى اليوم الثالث من ربيع الأول من السنة المذكورة ، دعا الأمير حسن بن وهاس إلى الإمامة ، فبايعه الرصاص وجماعة من شيعة الظاهر . ثم سار إلى صَعْدة ، وشارك أحمد ابن المنصور فى نصف البلاد . ولما بلغ المظفر قيام حسن بن وهاس ، خرج بجنده إلى الموسعة ، وساء ظنه بأحمد بن المنصور ، فبعث إليه أحمد بن علوان بن حاتم ، فرجع من عنده بما أرضاه من استقامته على ما يحب ، فعاد المظفر إلى تعز . ولم تطل أيام أحمد ابن المنصور بعد قتل الإمام ، بل مات بعده بنحو شهر ، وقام بأمره من بعده أخوه موسى بن المنصور ، فلم يلبث أن مات . ومات أخوه الحسن بن المنصور وجماعة من بنى وهاس . واشتد الغلاء والقحط والبلاء بعد قتل الإمام ، وهلك كثير من الناس .

وفى هذه المدة جهز المظفر الأمير على بن حسين بن برطاس بجيش إلى بلاد حَجَّة ، فأخذ بعض حصونها ، ثم رجع . فجهز المظفر إليها الأمير أحمد بن قاسم ، أحد أقارب الإمام أحمد بن الحسين .

وفيها تسلم المظفر حصن أشْيَح والكميم .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة مات الشيخ أحمد بن محمد الرصاص ، الخارج على الإمام أحمد بن الحسين ، فكان بين موته وقتل الإمام سبعة أشهر . واندلع لسانه على صدره حال النزاع ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

وأىّ كبيرة أعظم من الخروج على إمام حق ؟ بل وأى معصية أعظم من قتله ؟ نسأل الله التوفيق والعصمة بمنّه وكرمه ، آمين .

وفى هذه السنة دخل التتار مدينة السلام ببغداد ، وقتلوا [الخليفة] المستعصم العباسى ، ومن أهل بغداد عدداً لا يحصيهم إلاّ الذى خلقهم . ومن عجيب الاتفاق

وغريب ما رقم فى الأوراق أن المظفر كتب إلى المستعصم يخبره بقتل الإمام أحمد ابن الحسين عليه السلام ، فوصل رسوله إلى بَرَاقش ، وبلغه خبر قتل المستعصم . ويقال إنه قُتل فى اليوم الذى قتل فيه الإمام ، والله أعلم . وبقتل المستعصم انقرضت دولة بنى العباس من العراق ، وانتقل بقيتهم إلى مصر . ولم يكن لهم فى مصر من الخلافة إلا الاسم ، ومن الملك إلا الرسم . بل كان الموجود منهم مع سلطان مصر كالصفر المثبت فى أحد مراتب الأعداد[1] ، كما قاله بعض خلفائهم المتقدمين ، وهو المعتمد بن المتوكل ، وكان زمام أمره بيد أخيه الموفق وليس له من الخلافة إلاّ الاسم ، فقال له :

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما قبل ممتنعا عليه
إليه تحمل الأموال طرا ويمنع بعض ما يجنى إليه
وتوحد باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شىء فى يديه

وكانت مدة ملكهم [بنو العباس] منذ قيام أبو العباس السفاح إلى هذا التاريخ خمسمائة عام ، فسبحان من لا يزول ملكه .

ومن أسباب زوال دولتهم ، ما حكاه المؤرخون من شدة بخل المستعصم وسوء تدبير وزيره ابن العلقمى وخيانته ، فإنه أشار على صاحبه بحفظ الأموال والاقتصار على قليل من الرجال الذين هم حُماة الملك ، والذابون عن الحرم من الهتك .

ودخلت سنة — ٦٥٧ —

فيها تناقش بنو حاتم بن أحمد على الرياسة ، وتنازعوا واختلفوا ، ووقع الحرب

---

(١) يشير المؤلف الى احياء الخلافة العباسية بمصر على يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩ هـ ، وذلك بعد سقوط الخلافة فى بغداد على يد التتار . وقد عبر المقريزى (المواعظ ، ج ٣ ص ٣٩٤) عن وضع الخليفة العباسى بالقاهرة بأن خلافته « ليس فيها أمر ولا نهى ، وحسبه أن يقال له أمير المؤمنين » . أنظر (سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٣٤٢ وما بعدها ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٥٥ وما بعدها)

بينهم حتى آل الأمر إلى أن قبض عليهم المظفر ، واستولى على حصنهم ذى مَرْمر كما سيأتى .

وفيها تسلم المظفر حصون حَجَّة وحصن الرَّبَعَة[1] ، ونهض إلى مخلاف ذِمار ، فأخذ برَاش العرش قهراً بالسيف ، ثم أخربه ، وأسر منه إبناً لأسد الدين . وكان الأمير محمد ابن سليمان بن موسى الحمزى قد بنى حصنا يسمى الروق فى بلاد بنى حرب[2] ، فتعب أسد الدين من بنائه ، وجهز لمحاربته فتاه أقوشُ الألفى ، فحصره حتى كاد يستولى عليه ، فعاقه عن أخذه وصول المظفر ، فاستولى عليه المظفر ، ثم أخربه . وتوجه محمد بن سليمان ابن المنصور والأمير على بن وهاس فى جيش عظيم ، فدخلوا عليه الدرب قهراً ، فالتجأ إلى بعض الدور ، فدخل عليه حسن بن محمد بن حجاف فقتله بأبيه ، وقتل فى ذلك اليوم مائة نفر . وكان الأمير داود مناصراً لابن وهاس ، ثم افترق الأمر بينهما ، وآل الحال إلى أن داود قبض على ابن وهاس وسجنه فى ظَفَار عشر سنين ، كما سيأتى . وسيأتى خبر إخراجه من السجن فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة كانت دعوة الإمام الناصر لدين الله الحسن بن بدر الدين .

ودخلت سنة — ٦٥٨ —

فى المحرم منها نهض المظفر إلى صنعاء ، فخرج منها أسد الدين إلى ذى مَرْمر خوفا من المظفر ، فأكرمه بنو حاتم غاية الإكرام . ثم وقع الصلح بينه وبين المظفر ، وطلب منه أن يجهزه إلى حضرموت ، فأسعده المظفر وزوده . فلما وصل الجوْف لقاه خضر بن محمد ابن حجاف وعبد الله بن منصور بن ضيغم ، وطلبوا منه النصرة على آل راشد[3] حلفاء

(١) الربعة ، من حصون ذمار باليمن . (ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) جاء فى العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ١ ص ١٢٧) أن الروق حصن فى « بلاد بنى ضرار » .
(٣) آل راشد أو بنو راشد ، بطن من لخم من القحطانية .
(القلقشندى : نهاية الارب ، ص ٢٥٨ ، ٤١١)

المظفر ، فأجابهم . وقتل من آل راشد طوق بن حمدان وجماعة من عشيرته .

وبلغ الخبر إلى المظفر ، فضاق صدره ، وتعذر على أسد الدين المسير إلى حضرموت ، فرجع إلى ذِمار وأقام فيه أياما ، ثم سار إلى الأمير داود بن المنصور فيمن بقي معه من مماليكه . وتقدما جميعا لحرب الحسن بن وهاس ، فالتقوا فى عصافر ، ووقع الحرب بينهم ، فانهزم عسكر ابن وهاس ، وتركوه فريداً ، فثبت ثباتا حسنا ، حتى أسر . وكان شجاعا لا ينهزم عند اللقاء . وكان هذا الأسر الثالث ، وفى كلها يأسره أسد الدين ، وهذا من عجيب ما يتفق . ولم يزل فى سجن الأمير داود عشر سنين ، كما سبق الإشارة إليه .

وفى ربيع الآخر من هذه السنة سار المظفر إلى اليمن الأسفل ، واستخلف على صنعاء الأمير على بن يحيي ، فلم يلبث أن قصده أسد الدين ، فوقف فى المدورة فوق الحمراء[1] ، وَشنّ الغارات على صنعاء ، ففى بعضها قُتل فتاه أقوش الألفى .

ولما بلغ المظفر ما وقع من أسد الدين ، جهز الأمير علم الدين سنجر الشعبي إلى صنعاء ، فانهزم أسد الدين إلى جهة المشرق ، ولم تقم له بعد ذلك راية ، ثم قصد ظَفَار ، وتردد منه إلى ظُفْر ، ولحقته مشقة شديدة حتى باع ثيابه . فأرسل إليه المظفر الأمير على بن يحيي وعبد الله بن عباس ، فما زالا يحرضانه على الدخول فى طاعة المظفر ، حتى أسعدهما . وكان بينه وبين على بن يحيي مودة أكيدة ، فشكى إليه ما وقع من المظفر من السجن لأبيه وعمه وأخيه ، وتألم وبكى ، فقال له « لعلك فى القرب أنفع لهم من البعد ، ولعلنا نظفر بفرصة من الدهر فنفعل ونفعل » فنقل كلامهما إلى المظفر بعض من حضر ، فأمر بالقبض عليهما جميعا عند وصولهما إليه إلى زبيد . ولما وصل سِنْجَر إلى صنعاء ، أقام المحطة على برَاش حتى وصل الطواشى صارم الدين نائبا للمظفر على صنعاء ، فتولى

---

(١) الحمراء : من قرى سنحان باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

أمر المحاصرة لبراش وفده والظفر . ثم وصل فيروز ، فلبث مدة يسيرة ، ثم وصل الأمير هبة بن فضل ، فاستخلص أموال الخراج كلها .

وفى هذه السنة تسلم المظفر حصن فده ثم أخربه ، وهو الذى بناه بنو وهاس .

ودخلت سنة — ٦٥٩ —

فيها تسلم المظفر حصن بِراش من الشريف أحمد بن محمد العلوى ، وعوضه عنه المَصْنَعَة وعدان من بلاد حمير . و تسلم أيضا حصن عَضُدان .

وفى رمضان من هذه السنة وصل سنجر الشعبي إلى صنعاء عاملا عليها للمظفر .

وفى شوال خرج المظفر من تعز لسفر الحج ، فسلك طريق الساحل ، والمواكب سائرة له فى البحر ، فلما قرب من مكة خرج منها الشريف إدريس بن قتادة وأبو نمىّ ابن أبى سعد بن على بن قتادة ، خوفا من المظفر . ودخل المظفر مكة ملبياً محْرماً ، فقضى مناسك الحج ، وتصدق بصدقات كثيرة ؛ وخدم البيت المعظم بنفسه ، وأقام فى مكة عشرة أيام ، ثم رجع إلى اليمن . ومن هذا التاريخ عاد النظر فى تولية مكة إلى أمراء مصر[1] ، وبطل عمل تلك الحروب الحاصلة بين السلطان عمر بن على وولده المظفر .

وفى هذه السنة دعا الإمام يحيى بن محمد السراجى عليه السلام فى ناحية مَسْور ، فقصده سِنْجر الشعبي من صنعاء ، ووقع بينهما حرب ، فانهزم الإمام إلى بلاد المغارب ،

---

(١) يشير المؤلف الى نهاية الصراع بين المظفر وحكام مصر حول السيطرة على الحرمين الشريفين ، بعد أن استقرت الأمور لسلطنة المماليك فى مصر ، واخذ السلطان الظاهر بيبرس يعمل على توطيد الأمور لدولته الواسعة ، ويستغل الخلافات بين أشراف الحجاز وأمرائه فى السيطرة عليهم جميعا . وقد ظهرت عناية السلطان بيبرس بأمر الحجاز منذ وقت مبكر ، اذ يروى المقريزى فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ « وفيها جهز الملك الظاهر بيبرس الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين اليغمورى لعمارة الحرم النبوى بالمدينة » .
(السلوك ، ج ١ ص ٤٤٥) .

ورجع سِنْجر إلى صنعاء ، فسار الإمام إلى بلد بنى فاهم من جهة حَضُور ، فبذل لهم الشعبى مالا جزيلا على إمساكه فأمسكوه ، وأتوا به إلى سنجر ، فكحله بنار حتى كف بصره ، ولبث مدة فى صنعاء يقرى العلوم . وتوفى رحمه الله تعالى بعد مدة ، فدفن فى حوطة مسجد الأجذم ، وأصاب الله الذين أمسكوه بالجذام ، حتى كان الرجل منهم يعتزل فى بعض الكهوف خوفا على الآخرين من العَدْوى ، فلا يشعرون إلا وقد أصاب الآخر منهم مثلما أصاب الأول ، حتى لم يبق ممن أعان على إمساك الإمام أحمد ، وتتنوا نتناً شديدا ، فلم يقربهم أحد .

ودخلت سنة — ٦٦٠ —

فيها وصل المظفر من سفر الحج إلى زبيد . وفيها خالف أهل بيت أنْعُمْ على سنجر ، فخرج إليهم وحاربهم . وكتب بنو حاتم إلى سنجر أنه يكف عن حربهم ، فلم يجبهم فأظهروا الخلاف ، وغيروا الدروع .

ودخلت سنة — ٦٦١ —

فيها تسلم المظفر حصن الشوافى ، وتسلم حصن الجاهلى من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى . وفيها سارت عساكر المظفر مع الشعبى لحصر بنى حاتم فى ذى مَرْمر ، فأحاطت به من جميع الجوانب ، وبذل لهم المظفر فيه حصن برَاش وفده ووادى ظَهر ومائة ألف دينار ، فلم يسعدوه . فأقام الحصار عليه إلى أن تسلمه فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله .

ودخلت سنة — ٦٦٢ —

فيها تسلم المظفر الحصون الحميرية ماعدا عِران والمَصْنَعة . وتسلم حصن مُدع من بنى وهيب ، وعوضهم عنه حصن بيت أنْعُم ، ودخل إليه سنجر — وقد كان الأمير داود بن المنصور أقام الشريف الحسن بن محمد الفطائرى قصداً منه مساعدة سنجر ، والتنفيس على ذى مرمر ومدع — فلم يجد شيئاً .

وفى هذه السنة مات الأمير حسن بن على بن رسول فى حصن تَعِز مسموما . ومن مآثره فى اليمن مسجداً فى عُكاد[1] عند قبر أبيه على بن رسول ، ووقف عليه وقفاً جيدا .

ودخلت سنة — ٦٦٣ —

فيها تسلم المظفر حصن ذى مَرْمر ، بعد أن نزل بأهله مرضاً شديداً حتى هلك أكثرهم ، فطلب بقيتهم الأمان من المظفر ، فأمّنهم وأعطاهم ستة وعشرين ألفاً ، وتصدق عليهم بحصن فده . وفيها تسلم المظفر القُفْل[2] الكبير وبَرَاقش فى الجوْف .

ودخلت سنة — ٦٦٤ —

فيها تسلم المظفر عدة حصون فى اليمن الأعلى ، منها عِرّان والمصْنَعة ، على يدى سنجر الشعبى ، بعد أن أحرب صاحبيهما الأمير عبد الله بن يحيى بن حمزة والأمير أحمد بن محمد ابن حاتم حرباً شديداً ، وكانا قد استنصرا بالشريف مطهر ، فوصل إلى حصن الطويلة . ونهض إليه سنجر فوقف فى الرجام[3] ، وعمر محلاً فوق الطويلة يسمى غراب واكن ، وأقام الحرب على الطويلة سبعة أشهر . وبعث عساكره إلى جبل تيس[4] ، فاستفتحوه . ثم تسلم عِرّان والمصْنَعة بعد ذلك ، وهما من أمنع الحصون ، فإن الأتابك فليت السابق ذكره لما حاربهما أنفق فى حربهما ألف مثقال ذهباً ، ولم يتأت له فتحهما ، بل نُهبت محطته ، ولم ينج إلا بنفسه بعد اللتيا والتى[5] . ولما فتحا للمظفر ، أنعم على صاحبيهما المقدم

(١) عكاد بضم أوله : جبل باليمن قرب زبيد (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) القفل : بضم أوله ، من حصون اليمن (المرجع السابق)

(٣) الرجام ، بالجيم ، جبل طويل أحمر ، أو هى هضبات حمر (ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٨) هذا وقد ورد بعد ذلك فى حوادث سنة ٧١٧ اسم حصن الرخام بالخاء .

(٤) جبل تيس : جبل فى سراة المصانع باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب)

(٥) يقال وقع فلان فى اللتيا والتى ، أى فى الداهية الكبيرة والصغيرة (المعجم الوسيط)

ذكرهما بثلاثين ألف دينار . وفيها تسلم حصن اللجام[1] فى حَجّه [اشتراه[2]] من أولاد الأمير سليمان بن موسى بن داود بن محمد بن على بن حَمْزة . وتسلم أيضاً حصن ذيفان[3] والقُفل الصغير وبيت رَدْم وشمْسان[4] بنى شهاب .

ودخلت سنة — ٦٦٥ —

فيها قتل الأمير مكثم القلاب فى الجوف. وكان المظفر قد أمره بعمارة الزاهر ، وضم إليه مائة فارس وخمسمائة راجل ، فقصده الأشراف آل المنصور بالله ، فقتلوه وجماعة من أصحابه ، والتجأ بقيتهم إلى بَراقش .

وفى هذه السنة جهز المظفر عسكرا إلى بلاد حَجّة ، فوقع بينهم وبين أهلها حرب عظيم ، وتفاقم الأمر ، فبعث المظفر ولده الأشرف إعانة لعسكره ، فجمع أمرهم ، وأفرغ جهده فى محاصرة مبين — وفيه الشريف مُطَهر — فخرج منه لما اشتد عليه الحصار ، فأخربه الأشرف . ثم نهض لمحاربة حصن الخلافة —وفيه الأمير أحمد بن قاسم القاسمى — فوقع بينهم طرف قتال ولم يظفر منه الأشرف بطائل . وأما بقية حصون الخلافة ، وهى الوقر وقراضه والعُكاد[5] وكحلان والغرانيق الثلاثة ، فاستولى عليها .

ودخلت سنة — ٦٦٦ —

فيها تسلم المظفر حصون علوان الجحدرى ، وهى العرائس[6] .

---

(١) اللجام : حصن فى حجة باليمن (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٥٣) .

(٢) ما بين الحاصرتين من العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ١ ص ١٥٣)

(٣) ذيفان : حصن قرب صنعاء (العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٤٧) .

(٤) شمسان : تثنية شمس ، من حصون صداء من أعمال صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٥) قراضة : بضم أوله ، حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان)
أما عكاد فهو جبل باليمن قرب زبيد (ياقوت : معجم البلدان)

(٦) ذكر ياقوت ان العرائس أماكن فى اليمامة ، وهى رملات أو أكمات =

وفيها سار الشعبي إلى صَعْدة عن أمر المظفر في خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل، فجمع الأمير داود بن المنصور وأخوته عسكراً عظيما وثبتوا له في رأس نقيل العَجَلة ، فتقدم سنجر إلى وادي مذاب[1] تحت النقيل ، وترك في محطته أميراً في مائتي فارس وألف راجل ، وسلك بالباقين طريقاً أخرى . فلم يشعر عسكر الاشراف إلا وقد خالطتهم عساكر الشعبي ، فثبت القتال ، فكان أول قتيل من الأشراف الأمير حمزة بن الحسن ابن حمزة ، وهو يومئذ فارس بني حمزة . فانكشف عسكرهم بعد قتله ، والتجأ الأمير داود إلى حصن براش صَعْدَة ، ثم دخل سنجر صَعْدَة بجموعه ، ورأس الأمير حمزة بين يديه ، وأخرب في صعدة عدة بيوت . ثم خرج إلى مخاليفه ، وانتهب ما وجده فيها ، ثم رجع إلى صَعْدَة ، فأقام فيه مدة وعاد إلى صنعاء .

وفي هذه السنة أمر المظفر بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة . ووصل إليه رسول صاحب مصر بالكتب والهدايا[2] .

= وقد جاء في هامش الصفحة المخطوطة أمام العبارة السابقة ما نصه : « ذكر في بعض التواريخ ما لفظه : ذكر في تاريخ الغز أن علوان الجحدري أظهر الخلاف على الملك وتقوم في البلاد ، فقتله المظفر في الجند سنة ٦٤٦ ٠ وفي هذا الكتاب أن المتولي في هذا التاريخ والدة الملك المنصور عمر بن علي فتحقق » ٠

(١) مذاب : أحد أودية الجوف

(الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٣)

(٢) حاكم مصر عندئذ هو السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ) وتشير المراجع الى أن العلاقة كانت طيبة بين بني رسول وسلاطين المماليك في مصر ، وأن بني رسول دأبوا على ارسال الهدايا الى سلاطين المماليك في مصر استرضاء لهم ٠ ويبدو أن ما ذكره المؤلف عن وصول رسول صاحب مصر الى اليمن سنة ٦٦٦ هـ ، ليس الا ردا على سفارة أرسلها المظفر الى السلطان بيبرس ٠ وقد ذكر المقريزي في حوادث سنة ٦٦٦ هـ : « وقدمت رسل السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن بعشرين فرسا ، عليها لامة الحرب وفيلة وحمارة وحسن عتابية اللون ، وعدة تحف وطرف ٠ فجهزت له خلعة وسنجق وهدية ، فيها قميص من ملابس السلطان كان قد سال فيه ليكون له امانا ٠ وسير اليه ايضا جيوش وغيره من آلة الحرب ٠٠ »

(السلوك ج ١ ص ٥٦٣ ـ ٥٦٤)

فيها تسلم المظفر حصن بِرَاش صَعْدة من الأمير محمد بن أحمد بن المنصور .

وفيها خرج سنجر الشعبي إلى ثلا ، فاستولى على المدينة والتعبرة[١] ، وأقام الحصار على الحصن . وكان بعض المنجمين من بنى حنظلة قد تحدث بأن سنجر يأخذ الحصن ، فلما ضاق الخناق بالمحصورين ، فزعوا إلى الله تعالى ، وجمعوا حريمهم وصبيانهم ومشايخهم ، وأحيوا ليلة كاملة بالصلوات والدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، فاستجاب الله دعاءهم ، وفرج كُربتهم .

وكان السبب لارتفاع سِنْجر عنهم ، أن جماعة من مشايخ البلاد وصلوا إليه ، فأغلظ لهم القول ، وقال « والله ما ارتقب إلاّ أخذ هذه القلعة ، ثم أتفرغ للعرب حتى أجعلها وطئة » فسار كلامه فى المحطة ، وتناقله الناس ، وأنكره جميع من فى محطته من العرب ، وأخذتهم الحمية ، فخرجوا مغاضبين . وبلغ سنجر ، فأمر بقية عسكره أن يزحفوا إلى الحصن ، فتوهموا أنه يريد الفرار ، فاقتتلوا وتفرقوا ، وخرجوا هاربين . فرآهم أهل الحصن وخيامهم تقوض ، وجمالهم تشد ، فهبطوا من الحصن . وكان أقرب القوم إليهم أهل ذمار ، فقتلوا منهم جماعة ، ونهبوا ما وجدوه ، وكفاهم الله شر من قصدهم ، ببركة حسن الالتجاء إليه ، جل وعلا ، والحمد لله رب العالمين .

وفى خلال هذه المحاصرة لثلا ، وقعت محاصرة من جند المظفر لمن فى تَلَمُّص ، فخرج جماعة من العلماء والأشراف إلى الأمير داود بن المنصور ، وسألوه أن يخرج الأمير الحسن بن وهاس من السجن لنفع الاستنصار به على هاتين المحطتين ، فأخرجه على كُره منه ، وسار به الشريف على بن عبد الله الحمزى إلى حصنه المنقاع ، ثم جمعوا عسكرا ، وقصدوا بهم صَعْدة ، فانهزم المحاصرون لتَلَمُّص إلى فلله ، وأجارهم أهل خَوْلان وساروا

(١) التعبرة : موضع قرب ثلا باليمن .

بهم إلى تُهامة . وأما أميرهم فظفر به الأشراف ، وقد أراد الفرار إلى نجران فقتلوه ، ثم نهض الأشراف إلى ثلا فأخرجوا أصحاب سنجر من التعبرة .

ودخلت سنة — ٦٦٨ —

فيها وقع الصلح بين الأشراف والمظفر .

وفيها خلع ابن وهاس نفسه عن الإمامة بعد أن حاوله الأشراف أشد المحاولة فأبى . ويقال إن السبب فى اعتذاره أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول له : « يا حسن إذا لم تكن الإمامة كالشمس الشارقة وإلا فليست بإمامة » فلما اعتذر عنها ، رجع الأشراف إلى أنفسهم واجتمعوا على محاربة أعدائهم من غير إمام .

ودخلت سنة — ٦٦٩ —

لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٦٧٠ —

فيها مات الإمام الناصر لدين الله الحسن بن بدر الدين عليه السلام فى هِجْرة تاج الدين بُرغَافة[1] ودفن فيها .

وفى هذه السنة أمر المظفر بإعادة المحاصرة لحصن ثلا .

وفى شهر ذى الحجة من هذه السنَة قام الإمام المهدى لدين الله إبراهيم بن تاج الدين ، وكانت دعوته من ظَفَار ، ثم سار إلى الرُّحْبَة . فأحجم أهل تلك الجهة عن إجابتهم ، خوفا من سنجر الشعبي . فسار إلى حَضُور ، فأجابه أهل حضور وبنو الراعى وبنو شهاب وبلاد عنس وزبيد . ثم نهض بمن معه إلى جبل ظين[2] وكان سنجر يومئذ فى الجنات ، فخافه سنجر ونهض إلى شِبام ، ورجع الإمام إلى حارة بنى شهاب .

(١) رغافة : قرية على مرحلة من صعدة باليمن ، فيها معدن حديد .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٢) جبل ظين : جبل هرمى بركانى من الناحية القبلية من صنعاء .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٨١)

ودخلت سنة — ٦٧١ —

فيها تقدم الأمير على بن عبد الله الحمزى عن أمر الإمام إلى جهة حَضُور وبنى الراعى وبنى شهاب ، فى سبعة أنفار ، فأجابوه ، واجتمع لديه منهم عدد كبير ، حتى صلى أول جمعة بسبعة آلاف نفر .

وفيها سار الأشراف آل سليمان بن موسى الحمزى — القاطنون فى جهران — بمن اجتمع معهم إلى ذِمَار ، عن رأى الإمام ، فدخلوها قهراً ، وقتلوا جماعة . ونهض الإمام والأمير داود بن المنصور ومن معهما من الأشراف إلى حَدَّة بنى شهاب . ولم يكن فى صنعاء يومئذ إلاّ ابن نجاح فى مائة فارس ، فأرسل إليه الشعبى جماعة الأَسَدية ، وهم سبعون فارساً فدخلوا إلى صنعاء ليلاً . ومرَّ الشعبى على المحطة المحاصرة لثلا ، فقرر أمورها ، وسار إلى صنعاء ، فوقع بينه وبين الإمام والأشراف عدة وقائع . وسار الشريف على بن عبد الله الحمزى إلى ثلا بجمع عظيم ، فهزم المحاصرين لثلا ، ثم رجع إلى محطة الإمام فى حَدَّة . ونهض المظفر من اليمن الأسفل إلى ذِمَار ، فعمّر درُوبها ، وقرّر أمورها ثم نهض إلى جهة صنعاء ، فوقف فى درب عبد الله ، وارتفع الإمام وأصحابه إلى بيت حَنْبص[1] ، فخرج إليهم ، وحصلت بينهم وقعة عظيمة فى قاع الناهم[2] ودخل المظفر صنعاء ، فخيم فى الميدان عند مسجد السيدة بنت أحمد الصليحى ، المعمور على شاطىء ساقية غيل البرمكى .

ودخلت سنة — ٦٧٢ —

فيها بعث المظفر عسكرا إلى بيت حَنْبَص فأخذوه قهراً ، وسار الإمام وأصحابه من حَدَّة وسَنَع فأخربهما المظفر خرابا مجحفا ، وقطع أشجارها ، وأمر بعمارة الجبل المسمى

---

(١) بيت حنبص : موضع فى وادى الحارد بالجوف .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)

(٢) الناهم : موضع قرب بيت حنبص وصنعاء .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٨٤)

قرن عنتر[1] فى جبل عينان[2] فوق بيت سَنبَطاَن[3] من جهة الجنوب ، وسماه ظَفاَر ، ونقل إليه الأخشاب الكثيرة . وخرج إلى الصافية ، ثم سار إلى اليمن الأسفل ، ومعه سنجر إلى ذِمَار .

وفى هذه السنة تسلم منجر الشعبى بَرَّاقش من الحسام بن فضل .

وفيها وقع الصلح بين المظفر والإمام والأشراف ، وقصدوا بعد الصلح إلى نجران ، فقتل منهم الشريف على بن وهاس .

وفيها نهض الأشرف بن المظفر إلى حَجة ، فحارب أشرافها ثم وقع الصلح بينهم على يدى محمد بن حاتم ، ورجع الأشرف إلى زُبيد .

ودخلت سنة — ٦٧٣ —

فيها وقع قحط عظيم فى اليمن ، ومات عالم لا يحصون .

وفى ربيع الأول من السنة المذكورة أخذ كوكبان جماعة من الجوّاليين[4] وملكوه .

ودخلت سنة — ٦٧٤ —

فيها خرج الشعبى من صنعاء إلى ذِمَار لقبض الخراج ، واستخلف على صنعاء

---

(١) جاء فى كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ١ ص ١٨٦ ، ٣٨٧) أن قرن عنتر هو قرن عنيز وذكر الهمدانى (صفة جزيرة العرب ص ١٨١) أن عنيز موضع . وواضح من المتن أن قرن عنتر قمة فى جبل عينان قرب غمدان باليمن .

(٢) عينان اسم جبل بينه وبين غمدان ثلاثة أميال .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٣) بيت سبطان : كذا فى المتن ، وذكر ياقوت أن بيت سبطا من نواحى اليمن . (ياقوت : معجم البلدان)

(٤) الجواليون : ذكر القلقشندى أن أولاد جوال بطن من راشد من هلباء سويد من القحطانية (نهاية الأرب ، ص ١١٥) . هذا وقد ذكر اللفظ محقق كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى بالخاء ، وقال ان حصن ذمار منسوب اليه فيعرف « بالخواليين » (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٧٧ ، ١٩٨ ، ٣٨٧)
وقد سبق ذكر حصن خوالة فى حوادث سنة ٢٩٢ هـ .

ابن القلاب بجماعة المماليك الأسدية . وكان أحدهم مع سنجر فقتله بعض مماليك سُنقر ، فغضب أصحابه ، وقبضوا على نائب الشعبي ، وكتبوا إلى الإمام إبراهيم بن تاج الدين يطلبون منه الوصول إلى صنعاء ، فقدّم الإمام الأمير على بن عبد الله الحمزى فى سبعة آلاف راجل ، ونهض الإمام والأمير داود بن المنصور وبقية الأشراف على الأثر ، فاستقروا فى صنعاء . وركب الإمام يوم الجمعة إلى الجامع الكبير، وأذّن المؤذن بحىّ على خير العمل ، ورقى الإمام المنبر ، فخطب خطبة عظيمة .

وكان الرأى بين الإمام والأشراف ، وانعقد على قصد ذِمَار بعد الاستيلاء على صنعاء . فلما دخلوها تقاعدوا ومالوا إلى السكون والدعة ، فدخل الأمير على بن عبد الله على الأمير داود بن المنصور للمشاورة فى الأمر ، فقال له الأمير داود « إنى أراكم لما دخلتم هذه المدينة مِلتم إلى الراحة والسكون ، وأنتم تزعمون أنكم ستخرجون إلى ذِمَار واليمن الأسفل ، وتناجزون السلطان ، وهذا رأى فاسد ، فلو نظرتم أولا فى خاصة أموركم ، ثم نظرتم بعد ذلك فى التقدم إلى ذِمَار لكان أولى ، ولعلها قد غرتكم أحاديث هؤلاء المماليك الذين دعوكم إلى هذه المدينة ، وأنهم لو قد سمعوا ريح المظفر ، وشاموا برْقه[1] ، لبان لكم دخيلة أمرهم . ثم إنكم أنظروا هل وصل إلينا أحد من أهل همدان الذين هم الجزء الأوفر ؟ وهل أحد يردهم عن صنعاء بعد خروجنا منها ؟ ألم نطلبهم يركبون معنا فقالوا : لا نركب حتى تجوزوا بلادنا ، فلما جزناها لم يأت إلينا منهم أحد ؟ وكذا أهل سنحان، هل هذا منهم إلاّ ترقب لما يأتى من اليمن ، والمظفر غير تارك لهذه المدينة وبلادها ، وماهو الأمر الذى قد شغله عنها ؟ فانظروا فى أموركم . . . فى كلام كثير هذ معناه » ، فقال له الأمير على بن عبد الله ، « النظر فى أمرنا إليك ، ونحن بين يديك » ، فقال : « إنه لم يبق من الرأى إلا البقاء فى صنعاء والغزو إلى المخاليف القريبة منها » ، فلم يتم هذا بل خرج الامام إلى الميدان ، ثم سار الجميع إلى بئر الخولانى ، ثم نهضوا منه إلى تحت الكميم .

---

(١) شام السحاب والبرق : نظر اليه يتحقق أين يكون مطره (المعجم الوسيط) .

وأمر الامام على بن راشد بن عطوة أن يسير إلى خِدار[1] ليستنهض خاله الشيخ الحسام بن فضل وجميع أصحابه من سِنحان . فلما وصل إليه أخبره بما يريد الامام من وصوله إليه بأصحابه ، فقال له ليس لنا تأخر عن الامام . فلما مضى أكثر الليل وصل رسول المظفر إلى الشيخ الحسام بكتاب فيه « صدورها من الحقل ، ونحن على نية المسير إلى صنعاء » ، فقال الحسام لرسول الامام « ما بقى إلى الاتفاق بالامام سبيل ، فقم وأخبره بما وصل »، فلما رجع الرسول إلى الامام وأخبره الخبر ،جمع الامام الكافة من الأشراف، وأخبرهم بما رجع به الرسول فاضطربوا ، وقالوا للأمير داود ، « ماترى ؟ » قال : « قد أشرت عليكم فى صنعاء فلم تقبلوا ، وأناَ اليوم واحد منكم » ، فألحوا عليه ، فقال « إن تقدمتم لم تأمنوا الهزيمة وإن تأخرتم بعد كانت كسرة الأقدام ؛ ولكن الرأى أن ترحلوا الآن قبل ظهور الخبر بوصول المظفر»، فنهضوا منحدرين فى نقيل القنابرة .

وشاع الخبر بوصول المظفر ، فتحير الناس ، ورجع مَن معهم من المماليك الأسدية ، وتقدم الامام بأصحابه إلى معبَر[2] ومنه إلى أفق[3] — وهو محل غربى ذِمَار — وأراد القدوم إلى الجُبْجُب ، فقدم الأمير عز الدين فى ستين فارسا طليعة . فلما وصل خارج ذِمَار وجد المظفر قد دخله ، فنهب من أطراف محطة المظفر ، ثم رجع إلى أفق وباتوا فيه تلك الليلة .

وفى اليوم الثانى طلع عليهم فارس من أصحاب المظفر ، فركب الأمير داود فى أربعين فارسا ، وأمر المحطة بالوقوف حتى يعود إليهم ، وتوجه نحو ذِمَار ، ثم رجع وقال لهم

(١) خدار : بكسر أوله ، قلعة بينها وبين صنعاء يوم ، ويقال لها ذو الخدار وذو الجدار وغيرها . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) معبر : من مدن صنعاء (الويسى : اليمن الكبرى ص ٦٩)

(٣) أفق : من بلاد عنس بالقرب من ذمار
(أحمد عيسى شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢٥٠)

« هذا المظفر » ، فقالوا له ، «ما الرأى؟ » قال « لا أرى إلاّ الصبر على القتال ، فإنه يوم عصيب». ثم التجأ الأمير داود بمن معه إلى أكمة هنالك ، وألزم الإمام الوقوف فى الحصن بعيداً من معترك القتال . وأقبلت عساكر المظفر مع سنجر الشعبي ، فقصدوا الأكمة التى فيها الأمير داود وأصحابه ، فكافحوا عن أنفسهم ، ولم يخلصوا إلاّ بعد جهد عظيم . وتفرقت جموع الأشراف فى الأودية والجبال ، وأحاطت عساكر المظفر بالحصن ، وقتلوا طائفة ممن بقى مع الإمام ، منهم وزيره محمد بن أحمد بن حاتم ، وقاض من بيت أبى النجم[1] ، وأسروا الإمام وجماعة معه ، وساروا بهم إلى المظفر ، فهنأ الإمام بالسلامة ، وهنأه الإمام بالظفر . ثم أكرم الإمام وآنسه ، وزجر من تعرض له بسوء ، ثم أركبه على بَغْلة وسار به إلى تعز ، فأودعه دار الاعتقال بحصن تعز ، وأجرى عليه الكفاية الفاضلة. ولم يزل الإمام مسجونا إلى أن توفى ـ رحمه الله ـ فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء[2] الله تعالى .

ورجع سنجر إلى صنعاء ، والأمير داود بن المنصور ومن معه من الأشراف إلى ظَفَار . ثم شرع الأمير داود فى المراسلة إلى الإمام المظفر بن يحيى ، وتحريضه على القيام بأمر الأمة ، فعرف توجّه الخطاب إليه ، وتعويل الناس عليه ، فقام ودعا ، وتكنى بالمتوكل على الله ، وأجابه سادات العترة وأفاضل أتباعها ، وبعث دعاته إلى الجبل والديلم ، فأجابه بعض علمائها . ثم إنها وقعت مراسلة فيما بين الأمير داود بن المنصور والمظفر في الصلح ، فتم فى آخر المراسلة . ولم يذكر الإمام المتوكل على الله ولا الأمير على

---

(١) وفى العقود اللؤلؤية للخزرجي (ج ١ ص ١٩٤) ما نصه :

« منهم الأمير أحمد بن محمد بن حاتم ووزير الامام القاضى ابن أبى النجم » .

(٢) جاء فى هامش الصفحة المخطوطة أمام هذه الجملة ما نصه :

قال السيد العلامة صارم الدين ابراهيم بن محمد بن الوزير . رحمه الله ، فى قصيدته البسامة ، ما لفظه :

وفى امام الهدى المهدى قد حكمت | فى يوم أفق بما يهوى أبو عمر
وخانه من اليه كان مرتكنا | حتى المظفر منه فاز بالظفر

ابن عبد الله الحمزى فى صلح الأمير داود والمظفر ، فأجمع رأى الإمام والأمير على ابن عبد الله على حفظ الحصون والمحاربة عليها . فلم يزل الأمير على بن عبد الله يتردد فيها ، تارة فى كوكبان وتارة فى رَدْمان وحينا فى القاهرة وعِران .

ودخلت سنة — ٦٧٥ —

لم يتفق فيها ما لا بد من ذكره .

ودخلت سنة — ٦٧٦ —

فيها نهض سنجر الشعبي لمحاربَة الحصون فى جهة حُضُور ، وهى القاهرة وعِران ، فطلب الأمير على بن عبد الله المادة من الأشراف ؛ فلم يمدّه إلاّ الإمام المتوكل على الله ، فإنه بعث عسكراً وصلوا إلى قاهر حُضُور . ولكنهم أحجموا عن قصد محطة سنجر ، فترجح للأمير على بن عبد الله الصلح ، فطلب الأمير على بن حاتم ، وأمره بالسعى فيما بينه وبين سنجر بالصلح ، فتم على تسليم الحصون بألف دينار ، ورجع الأمير على بن عبد الله إلى الظاهر .

ودخلت سنة — ٦٧٧ —

فيها مات الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن على بن رسول فى السجن بحصن تعز ، ومن مآثره فى اليمن مدرسة فى أبّ . وكان شجاعا قويا ، رمى بدبوس[1] حديد إلى هلال منارة فى صنعاء فأماله ، وكان يقبض على الركاب الحديد فيلاقى بعضه على بعض .

---

(١) الدبوس ، وجمعه دبابيس . آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى تشبه الابرة ، سبق شرحها .

ودخلت سنة — ٦٧٨ —

فيها زالت دولة بنى أيوب من الديار المصرية ببنى قلاوون بعد مائة سنة[١] ، ولم تزل دولة بنى قلاوون فى مصر إلى أن زالت بالجراكسة ، وزالت دولة الجراكسة ببنى عثمان ، فسبحان من لا يزول سلطانه مدى الأزمان .

وفى هذه السنة استفتح المظفر ظَفَار الحَبُوص . وتلخيص ما ذكره أهل التواريخ من خبر استفتاحه لظَفَار ، والأسباب الموجبة لقتل صاحبه الأمير سالم بن إدريس ، أن أهل حضرموت أصابتهم مجاعة شديدة ، فطلبوا من الأمير سالم بن إدريس أن يعطيهم مايسدوا به فاقتهم ، فأجابهم إلى ماطلبوه وأعطاهم ما سألوه ، وباعوا منهم ضياعهم . ثم خرج إلى حضر موت ، فقبض الضياع ورجع إلى محطة ظَفَار ، وهو يرى أنه قد أنجح وأفلح . فلم يكن بأسرع من ميلهم إلى ضياعهم ، وقبضهم لها كرها ، فأصبح الأمير سالم حليف الأسف على ماخرج من خزانته . ووافق ذلك أن الملك المظفر بعث بهديةَ عظيمةَ لملوك فارس مع جماعة من أصحابه على متن البحر ، فصرفتهم الريح إلى ساحل ظَفَار ، وفى صحبتهم عدة من التجار ، فنزل إليهم الأمير سالم على متن البحر ، وقبضهم ، واستولى على جميع ما معهم ، وظن فى نفسه أن ذلك رزق ساقه الله إليه عوضا عما ذهب عليه .

فلما بلغ المظفر راسله وأعذر إليه ، وذكره ما فى قطع الطريق من سوء السمعة ، خصوصا من أولى الأمر المأخوذ عليهم تأمينها ، فرجع جوابه على المظفر بغير الصواب

---

(١) من الواضح أن هذه العبارة فيها خطأ تاريخى واضح ، فحقيقة الأمر هى أن دولة بنى أيوب فى مصر سقطت سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) عند مقتل تورانشاه وقيام السلطانة شجر الدر فى الحكم ، وهى أولى المماليك . أما السلطان المنصور سيف الدين قلاون الذى ولى السلطنة سنة ٦٧٨ هـ فهو فى الواقع ثامن سلاطين المماليك فى مصر . أنظر
(سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام)

وعضده على رأيه راشد بن شجيعه صاحب الشِّحْر ، فرارا من الخراج الذى يحمله إلى صاحب اليمن . فأمر المظفر عامله على عدن وهو الأمير على بن غازى صاحب المعمار[1] بالتقدم لحرب ظَفَار ، فسار إليه ، فلم يقف منه على طائل ، فرجع إلى عدن،وتبعه صاحب ظَفَار على الأثر .

وبلغ المظفر الخبر ، فاشتد غضبه ، ونهض بنفسه إلى عدن ، فأمر بإصلاح المراكب والطواريد وأنواع مطايا البحر ، وجهز الأمراء والمقدمين والعساكر المحاربة بالخيل الجياد، والسلاح الكامل ، والعدة الوافرَة ، وشحن المراكب بأنواع الحبوب والتمر ، وأصناف مايحتاج إليه المسافر ، وضاعف آلة الحرب من السيوف والرماح والقسى والسهام والزُرد السابغات ، والمنجنيقات والعدادات . وعمر المراكب بالطباخين والخبازين وأرباب الصناعات ، وجعل المقدمة على ثلاث فرق ، الفرقة الأولى فى البحر وهى معظم الرجال ، وقوادهم ستة ، الشيخ فارس بن أبى المعالى الحرازى ، والشيخ محمد ناجى ، والشيخ الهمام بن على المليكى ، والشيخ شمس الدين الكبوس[2] ، والشيخ حسن بن على المذحجى ، وهو أكثرهم جيشا . وجعل المقدم على الجميع الأمير سيف الدين الترنجلى نقيب المماليك البحرية . والفرقة الثانية فى طريق الساحل وهم أصحاب الخيل ، وقدرهم أربعمائة فارس ، وقوادهم الأمراء بنى فيروز ، والأمير حسام الدين لؤلؤ ، والأمير أزدمر ، وهو أستاذ[3] دار السلطان . وكانت طريق هذه الفرقة أصعب الطرق ، لضيق

---

(١) فى العقود اللؤلؤية للخزرجى « والى عدن وهو الأمير شهاب الدين غازى بن المعمار » (ج ١ ص ٢٠٩) .

(٢) فى العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ١ ص ٢٠٩) « شمس الدين بن المكبوس » .

(٣) استادار ، أو استاذ دار ، وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، صاحبها يتولى شئون بيوت السلطان كلها ، من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان . وله مطلق التصرف فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى وغير ذلك .

(القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٠ ، ج ٥ ص ٤٥٧)

مسلكها وكونها بين جبال شاهقة وأودية عميقة ، فكان سيرها أضعف السير، والمراكب فى البحر معارضة لهم . وفى بعض الأوقات تسترها الجبال عليهم فيضيق زرعهم . والفرقة الثالثة سلكت طريق حضرموت فى البر ، وهم ثلثمائة نفر من العرب ، فيهم مائة فارس وقائدهم الشيخ عبد الله بن عمر الجيّد ، وكان خروجهم من صنعاء إلى الجوف ، ثم إلى بلاد المعضة . وما زالوا سائرين منها قهراً على رقاب أهلها ، وهى مشحونة بقلاع بنى الحيوصى وأحلافهم ، فلم ينفكوا عن المحاربة ليلة واحدة ، حتى وردوا حضرموت ، ثم خرجوا منه إلى ظَفَار . وتخلف عن الشيخ عبد الله أكبر أصحابه ، فلم يخلص معه إلى ظَفَار إلاّ أصحاب الخيل وثلاثة عشر رجلا ، بعد خمسة أشهر من خروجهم من صنعاء .

واتفق وصول هذه الثلاث الفرق إلى بندر سوب[1] فى يوم واحد ، وهذا من عجيب الاتفاق . وكان دخولهم إلى هذا البندر دخولا معظما ، أقبلت مطايا البحر يقدمها الحواسك والسنابيك كأنها العقبان الكاسرة ، والسيوف مسلولة والأعلام منصوبة ، والطبلخانات زاحفة ، واجتمعت الخيل خمسمائة فرس ، والرجال سبعة آلاف نفر . ثم تقدموا إلى محل يسمى عَرْقَد قريب من ظَفَار . وتواصوا بالصبر ، وقال بعضهم لبعض « قد علمتم ماقد لاقيناه من الأهوال وما أنفقناه من الأموال ، وأين تعز منا ؟ فما بقى إلاّ الصبر وإصداق العزيمة » .

وفى أثناء ذلك حصلت إرجافات من أهل تلك المحلات بأن خيل البحرين وحضرموت قد أقبلت غارة عليهم ، فلم يلتفت أصحاب المظفر إلى أقاويلهم . وكانوا يظنون أن الأمير سالم بن إدريس لا يستدنيهم بالقَصد ، فلم يشعروا إلا بخروجه إليهم ، فصفّ لهم على بعد من المدينة ، وهم أقاموا صفوفهم وتأهبوا للحرب . ثم دنا بعضهم من بعض ، واصطدموا صدمة عظيمة ، فانكشف أصحاب الأمير سالم ، وانجلت المعركة عن قتله وثلثمائة من أصحابه ، وثمانمائة أسير . ولم ينج من أهل ظَفَار إلا من استأسر .

---

(١) سوب : مخلاف باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

ثم استبق الجند المظفرى إلى ظَفار ، وضربوا خيامهم على بابه ، وكفوا عن أهل المدينة . وخطب للمظفر على منبر ظفار ، وتسلم أمراؤه شِبام ، وقبضوا كافة بنى الحبوصى ، وحملوهم إلى زُبيد ، فلم يزالوا فيه يتصدق عليهم الناس ، إلى أن انقرضوا فى أيام الملك المجاهد الآتى ذكره . ولما فرغ جند المظفر من أخذ ظفار ، بعثوا بشيرا إلى المظفر ، فوصل صنعاء بعد اثنى عشر يوما منذ خروجه من ظفار ، ولعله سلك طريق الجوف على المطايا ، والله أعلم .

قال الخزرجى[1] ، ولما افتتح المظفر ظَفار ، هابته ملوك فارس والهند والصين ، ووصلت إليه الهدايا من الصين ، ومن البحرين وعمان ، وانقادت حضرموت . وجعل الأمير ازدمر نائبا فى ظفار ، [وهو][2] الأمير سيف الدين الترنجلى ، وضم إليه عدة من مشايخ العرب ، ثم عاد إلى اليمن .

قال الأهدل ، وكان الغالب على أهل الشِّحْر الانقياد لصاحب اليمن ، فتارة يستنيب عليه نائبا من أهله ، وتارة يرسل إليه نائبا من عنده بمشارفة صاحب البلد . وهو فى عصرنا هذا بيد سعيد بن فارس الكندى ، حليف بنى النهدى[3] ، من ذرية الأسعد بن قيس ، وولاية حضرموت لبنى راصع النهدى ، وظَفار بيد بنى كثير النهديين . انتهى معنى كلام الأهدل ، رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ٦٧٩ —

فيها استعاد المظفر حصن كوكبان من بنى الحوالى ، وعوضهم عنه حصن رَدْمان ، وزيادة اثنين وعشرين ألفا .

---

(١) العقود اللؤلؤية . ج ١ ص ٢١٣

(٢) ما بين الحاصرتين من المرجع السابق الذى أخذ عنه المؤلف .

(٣) بنو النهدى أو بنو نهد ، بطن من قضاعة من القحطانية ، وهم بنو نهد ابن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحافى بن قضاعة .
(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٤٣٣) .

وفى هذه السنة فعل المظفر وليمة عظيمة ، واستدعى إليها الأشراف الحمزيين ، فسار إليه منهم الأمير على بن عبد الله بن الحسن بن حمزة ، والأمير محمد بن أحمد ابن المنصور بالله . وفى أيام مكثهما عند المظفر قبض الأمير داود بن المنصور حصونهما ، فأرسل المظفر معهما الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمرانى محاكما للأمير داود ، فوقف فى الجنات ، والأمير داود فى المصنعة ، وكانا يلتقيان بمحضر سنجر الشعبي ، فلم يتم بينهما أمر ، فكتب الصاحب إلى المظفر بما وقع ، فأجاب عليه : إن لم يدخلوا فيما شرع فانبذْ إليهم على سواء ، وأشعرهم بالنقص رجاءِ أن يعودوا . ثم رجع الصاحب والأميران إلى حصن المظفر ، فلم يبرحا حتى أطلق الأمير داود حصونهما إلى نواب المظفر .

ودخلت سنة — ٦٨٠ —

لم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٦٨١ —

فيها وصل الأميران على بن عبد الله ومحمد بن أحمد من حصن المظفر ، فلقاهما سنجر بعسكره ، وتقدموا جميعا إلى الظاهر ، فتوقف سنجر فى الكولة وشرع فى عمارتها . وتقدم الأمير على بن عبد الله لمحاربة حصن كَحل وأشيح الظاهر ، فأخذهما فى أقرب مدة . ثم إن الشعبى استناب الامير على بن عبد الله على الكولة ، وضم إليه مائة فارس وألف راجل . وتوجه الشعبي والامير محمد بن أحمد على شُوابة لمحاصرة ظَفَار من الجهة السفلى . وعمر سنجر درب شُوابَة ، وشحنه ، وترك فيه الامير محمد بن أحمد . ولم يبرح الامير على بن عبد الله بمن معه فى الكولة لمدة سنة كاملة حتى استقامت المحاصرة لظَفَار من الجهة العليا والسفلى .

ودخلت سنة — ٦٨٢ —

فيها انهدم القصر على سنجر الشعبى ومن كان عنده ، فهلكوا جميعا ، ولم يسلم

غير رجلين، فاضطرب الناسُ فى صنعاء ومخاليفها ، وجمع الامير داود بن المنصور عسكره ، وخرج بهم وبمن عنده من المماليك الأسدية إلى محطة الأمير على بن عبد الله ، فارتفعت المحاط المحاصرة لظفار . وخرج الأمير عز الدين دويدار من صنعاء إلى البوْن فى مائة فارس وخمسمائة راجل ، فسار الأمير داود بن المنصور إلى حُوْث ثم رجع إلى ظَفَار . ووصل الأمير فيروز من حَضْرة المظفر إلى صنعاء ، فتراجعت المحاط على ظَفَار ، وأقامت قدر سنة ، وانتقل الأمير على بن عبد الله من الكولة إلى المنقل[1] فعمرّه وأقام فيه مدة ، ثم ارتفع إلى المَنارة[2] فعمرها . وهجم عليه الأمير داود فى بعض الليالى ، فلم يظفر به . وأما الأمير عز الدين دويدار فإنه سار إلى المظفر فجهزه إلى صَعْدة ، فتوفى فيها ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٦٨٣ —

فيها وصل الواثق ابراهيم بن المظفر[3] إلى صنعاء ، فتسلم بِرَاش ، وقبض على سيف الدين الدويدار .

وأما الأمير داود بن المنصور فإنه لما ضاقت به الأحوال ، طلب من الأمير الحسن بن وهاس القيام معه ، فلم يسعده لكثرة تلونه ، فأقام ابن أخيه يوسف بن ابرهيم ابن المنصور إماماً ، وهو لا يَملك شروط الإمامة ، وإنما أقامه ليدفع بقيامه شر أعدائه . وأخرجه إلى ثلا ، فاجتمع معه عسكر كبير ، فنهض بهم إلى الظاهر واجتمع بعمه داود ابن المنصور ، فالتجأ منهم الأمير على بن عبد الله إلى حصنه المنقاع ، فَمَالا على الكولة

(١) منقل المستعجلة : على عشرة أميال من صعدة
(ياقوت : معجم البلدان)
(٢) المنارة : قرى بنى مجيد بجبل السراة باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٩)
(٣) هو السلطان الملك الواثق شمس الدين ابراهيم يوسف المظفر بن عمر ابن رسول ، من ملوك اليمن . كان حسن السيرة عاقلا ، له مشاركة فى فنون العلم . (الزركلى : الأعلام ، ج ١ ص ٧٧ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٧٩ ، ٣٩٨) .

فلم يظفَرا بها ، فقصدا المَنْقل والمنارة ، فأخذاها قهراً ، ثم توجها إلى صَعْدة .

وأما الأمير على بن عبد الله ، فإنه طلب المـادة من المظفر ، فأمدّه بالفهد بن حاتم فى سبعين فارسا من همدان ، والأمير أزدمر فى ثلاثين فارسا وخمسمائة راجل . فترك إخوته فى الـكولة وسار إلى صَعْدة بمن وصل إليه من عسكر المظفر وبمن اجتمع إليه من عسكره ، وقدر الجميع أربعمائة فارس وألف راجل ، فدخلها . وكان الأمير داود وابن أخيه ومن معهما من بنى حمزة حول تَلَمُّص ، فوقعت بينهم حروب شديدة ، وعقرت جملة من الخيل،وثبت القتال قدر شهرين . ولم يزل المظفر يمد الأمير على بن عبد الله بالأموال حتى ضعف الأمير داود عن مقاومته ، وانهزم إلى ثلا . وسار الأمير على ابن عبد الله معارضاً له حتى وصل الجنات ، وبعث الواثق بن المظفر عسكرا إلى المنقب لمحاصرة الأمير داود فى ثلا . ثم إن الشيـخ بدر الدين بن الحُيد سعى فى الصلح بين الأمير داود والمظفر ، على أن المظفر يطلق محمد بن الأمير داود من حصن الدُّمْلُوه ، والأمير داود يرهن حصن القُفْل بظفار إلى المظفر . وجعل المظفر فيه جماعة من أصحابه . ثم ارتفع المحاصرون لظفار ، ورجع إليه الأمير داود .

وفى شهر صفر من هذه السنة كانت وفاة الإمام المهدى لدين الله إبراهيم بن تاج الدين فى سجن تعز ، ودفن هنالك ، رحمه الله تعالى .

وفى شهر الحجة من السنة المذكورة مات الحسن بن وهاس فى صعدة .

ودخلت سنة — ٦٨٤ —

وفيها ضرب الدرهم المظفرى فى صعدة .

وفيها سار الأمير على بن عبد الله إلى المظفر ، فأقطعه الظاهرين[١] والبوْنين والَخشَب والخارد ومَطَره وحصن ذيفان .

---

(١) المقصود بالظاهرين : الظاهر الأعلى والظاهر الأسفل .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٢٩)

وفيها سعى الأمير داود بن المنصور فى فكاك حصنه القُفْل من يد المظفر ، فخرج إلى ناحية صعدة ، وأصلح جانب ابن أخيه الأمير موسى بن أحمد ، ثم كتب إلى الإمام المظفر بن يحيى وحَرَّضه على النهوض إلى صَعْدة ، فخرج الإمام من دروان حَجَّة بجموع كثيرة . فلما وصل جهة صعدة أجابه أهل خَوْلان ، فقاتل على الدرب حتى أخذه قهراً وقَتَلَ مَنْ فيه ، وهم ثمانون رجلا .

ثم توجه الإمام والأمير موسى بن أحمد إلى الجوف ، فتهيأ للأمير داود الحصار لمن فى حصنه قُفْل ظَفَار ، وأشعر الواثق بن المظفر بنقض الصلح ، فجهز الواثق مائتى فارس قائدهم الأمير على بن عبد الله إلى الظاهر ، فلم يتم له الدخول إليه ، فأمر الواثق الأمير على بن عبد الله بالمسير مع أستاذ داره ، وهو الأمير على بن الهمام ، إلى الظاهر ؛ وأصحبهما خيلا ورجالا . فارتفع الإمام المظفر والأمير موسى من الجوف إلى الظاهر ، واشتدت المحاصرة لمن فى قُفْل ظَفَار ، وكثرت عليهم الأراجيف واضطربت عليهم الأمور ، وقوى أمر الإمام والأشراف .

وخالف على المظفر أهل الجهات العليا من نقيل صيد إلى صعدة . فجهز المظفر ولده الأشرف إلى صنعاء ، واستدعى ولده الواثق . ولما وصل الأشرف إلى صنعاء خرج منها إلى ذيفان ثم إلى الظاهر ، وأخرب فيه عدة مواضع ، ووصلت عساكره خيوان وعَيَّان ، وأمر بعمارة الكوله ، وجعل فيها الأمير على بن عبد الله . وحضر الأمير وداد فى القبة ، وشدد فى محاصرة ظفار ، ثم نهض إلى بلاد الأمير عبد الله ابن على بن وهاس ، فأمر بإخرابها وقطع أشجارها ، وكان فيها دور من زمن الجاهلية . ثم رجع إلى صنعاء فدخلها فى تيه عظيم ، وفُرِش لحصانه ثياب الحرير الملمعة بالذهب ، ونثر على الناس الذهب والفضة .

وكان الإمام والأشراف قد نهضوا إلى بنى شهاب ، وحاصروا قرن عنتر ، وفيه عصابة من أصحاب المظفر قدر مائتى نفر ، فوقع بينهم وبين الأشراف قتال عظيم ،

حتى عجز جند الأشراف عن دخول الحصن لسبب أنه كان على بابه رجل من أصحاب المظفر من أعظم الشجعان المعدودين ، فهو الذى كان يدفع عنه . وكان فى محطة الأشراف السيد محمد بن المرتضى ، وهو من أرْمَى خلق الله ، فرماه بسهم فقتله ، فتهيأ للأشراف أخذ ذلك الحصن عنوة ، وقتلوا ممن فيه مائة رجل ، وتسلم بقيتهم . ثم سار الإمام إلى تنْعُم ، فاستقر فيه بأهله .

ودخلت سنة — ٦٨٥ —

لم يتفق فيها ولا فى التى بعدها ما يتوجه رقمه .

ودخلت سنة — ٦٨٧ —

فيها وقع الصلح بين الإمام والأشرف بن المظفر والأمير داود بن المنصور ، بعد استيلائه على حصنه قُفْل ظَفَار . ثم سار الأشرف إلى حضرة أبيه . ووصل إلى صنعاء أخوه المؤيد بن المظفر ، فوفد إليه الأمير على بن عبد الله الحمزى وغيره . وقرر الصلح الحاصل بين أخيه الأشرف والإمام .

ودخلت سنة — ٦٨٨ —

فيها وثب جماعة من جُشَم على حصن بيت أنْعُم ، فأمر المؤيد بن المظفر بمحاصرتهم .

ودخلت سنة — ٦٨٩ —

فى اليوم التاسع من شهر صفر مات الأمير داود بن المنصور . قال فى بعض كتب التاريخ ما معناه : كان الأمير داود بن المنصور شجاعاً فاتكاً ، وله مواقف فى الحروب مشهورة معدودة ، ويقال إنه غزا — لبعض الأسباب — إلى البصرة على طريق الرمل القديمة التى كانت مسلوكة فى زمن حمير ، وأنه مع عوده دفن آبارها خشية من أن يلحق .

وبسبب ذلك انقطت تلك الطريق ألبتة . وقد سبقت إشارة إلى ما ذكر ، والله أعلم .

وفى هذه السنة أعذر المظفر لأولادِ أولادِه فى زبيد[1] ، فسار إليه ولده المؤيد ، ومن الأشراف الأمير على بن عبد الله ، والأمير موسى بن أحمد ، فقويت بسبب مسيرهم شوكة الأمير سليمان بن القسم بعد موت عمه الأمير داود بن المنصور ، وملك حصون ظَفار ، وسار إلى تَلَمُّص .

وفيها رجع المؤيد إلى صنعاء ، ووفت مدة الصلح بينه وبين الإمام المظفر بن يحي ، فوقع الحرب بينهما . وكان الإمام قد انتقل بنفسه من تَنْعُم إلى جبل اللوز[2] ، وترك عند أهله وأولاده أحد أقاربه . واشتدت الحروب ، وتكاثرت على الإمام جنود المؤيد ، وقتلت طائفة من عسكره ، وضيقوا عليه أشد التضييق ، فخرج من الجبل ، وسلك طريقا صعبة المسلك فى شعوب لم يكن قد سلكها قبله أحد. ويسّر الله له ولمن معه غَمامَة مترا كمة سترت ما بينهم وبين أصحاب السلطان ، حتى خلصوا من تلك الجهة إلى بلاد بنى وهاس ، ثم إلى الظاهر ثم إلى دروان حَجّة . وعطف المؤيد على تَنْعُم فأخذها ، وأمر بتجهيز أولاد الإمام وأهله إليه ، فلحقوا به وأخرب المؤيد تَنْعُم ، وعاد إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٦٩٠ —

لم يتفق فيها ولا فى التى بعدها نكتة مستغربة .

ودخلت سنة — ٦٩٢ —

فيها أقطع المظفر ولده إبراهيم ظَفار الحبّوضى ، فسار إلى عدن وركب منه إلى ظَفار ، فمكث فيه إلى أن مات ، وقام أولاده من بعده على عمله .

---

(١) عذر وأعذر الغلام والجارية عذرا ، أى ختنهما (المعجم الوسيط)

(٢) جبل اللوز أو اللوذ فى جبل نهم .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨١ ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٥٧ ، ٢٦٤) .

وفى هذه السنة حصلت وحشة فيما بين الأمير على بن عبد الله الحمزى والمؤيد ابن المظفر، فخرج الأمير على مِنْ صنعاء بأهله ليلا، وبلغ خبره المظفر، فلامه على فعله، فأجاب أنه لم يأمن غائلة المؤيد مع كونه شابا يغلب عليه رأى الغير. فكتب إليه المظفر معاذ الله أن المؤيد يخالف أباه. فلم يظهر الأمير علىّ، واستمر على الخلاف على السلطان، ومال إلى الإمام المطّهر بن يحيى، وحشد جموعه من الظاهر وشطب وغيرهما. واجتمع بالإمام، فقصد الجميع إلى السكولة فلم يظفروا بها.

ثم اجتمع الأشراف كلهم، وهدموا ما بينهم من قتول وذحول[1]، وتمالئوا على حرب السلطان المظفر، فبعث [المظفر] عساكره من اليمن إلى ولده المؤيد، وأمره بمحاربة الأشراف، فخرج المؤيد من صنعاء إلى الظاهر بألف فارس وعشرة آلاف راجل، فوقف فى المأجلين، وراسل الأمير على بن عبد الله، فوصل إليه، واصطلحا، وحلف له على الوفاء. وأقام المؤيد هنالك شهرا، ثم تردد فى الظاهر، وقصد الإمام ومن معه من الأشراف إلى مأجل[2] الصعدى، فوقع بينهم قتال عظيم، والتجأ الإمام وأصحابه إلى الأكمه الحمراء، فخرج من محطة المؤيد أهل حضور وبنو شهاب إلى محطة الإمام مغاضبين للمؤيد، ثم عطفوا على محطته فهزموها أقبح هزيمة، وقتلوا عدة مقاتيل، ورجع المؤيد إلى صنعاء مغلوبا مقهوراً، وصدق فيه قول أصدق القائلين « وتلك الأيام نُداوِلُها بين الناس[3] ». ولما رجع إلى صنعاء فسُد ما بينه وبين الأمير على بن عبد الله من الصلح، وتنقل الأمير على فى جهة حَضُور.

---

(١) الذحل: الحقد والثأر، وجمعه ذحول وأذحال، والمقصود بالعبارة أنهم تناسوا ما بينهم من دم وضغائن.

(٢) المأجل: البركة العظيمة التى تستنقع فيها المياه، والمأجلان موضع. (الخزرجى: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٦٧، الهمدانى: صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٧، ص ١٨٨، ياقوت: معجم البلدان)

(٣) سورة آل عمران، آية (١٤٠)

فيها خرج المؤيد إلى حَضُور ، وجرى بينه وبين الأمير على بن عبد الله خطاب فى الصلح ، على يدى الفقيه أحمد بن على الجنّيد وزير المؤيد ، فاشترط الأمير على أن يكون تمام الصلح فى ظَفَار ، ومقصده فى الباطن المباعدة ورفع المحطة من حَضُور ، فرجع المؤيد إلى صنعاء ، وسار الأمير على إلى ظَفَار بمن عنده من مشايخ البلاد . ثم إن المؤيد بعث وزيره المذكور لتمام الصلح . فخرج من صنعاء فى سبعين فارساً من المماليك البحرية ، ومائتى راجل ، فوقف فى ورور ، ثم صعدَ إلى ظَفَار فى جماعَة ممن معه لعقد الصلح . فوقع فى أثناء ذلك خلاف من الأمير موسى بن أحمد بن المنصور ، والأمير عبد الله ابن على بن وهاس ، على السلطان ، ومالاَ إلى الإمام . ثم دخلا إلى ظَفَار .

واجتمع رأى الأشراف الجميع على محاربة السلطان ؛ خلا أنهم أرادوا نقض الصلح الذى خرج لتمامه وزير المؤيد ، على وجه غير مستنكر فى ظاهر الأمر ، فشرطوا شروطا لم تجر بها عادة ، وكتبوها ، وقالوا للوزير « ارسل بهذا إلى مخدومك ، فنحن لا نصلح إلاّ عليه » فأرسل به إلى المؤيد وهو أرسل به إلى أبيه ، فرجع جوابه بحربهم . فخرج المؤيد إلى بنى شهاب وحَضُور ، وأخرب فيهما عدة مواضع ، وأخذ بيت شعيب قهراً ، وقتل جماعة من أهله .

وفى هذه الأيام وصل الأمير شهاب الدين أحمد بن يحيى بعسكر من نجران ، قدر ألفى نفر ؛ مادة للأشراف . فخرج بهم الأمير سليمان بن القسم من ظَفَار إلى محل من بلاد بنى وهاس بالقرب من الرحبة ، فكان المؤيد يحربه تارة وأهل حَضُور تارة ، حتى تعب الفريقان ، فحصل الصلح بين المؤيد والأشراف مدة ثلاثة أشهر . وسار المؤيد إلى أبيه ، والأمير على بن عبد الله توجه إلى بلاد الشرق . فبنى مصنعة تَنَعُم ، وواجه إليه أهل المشرق قاطبة ، واتصل بالأمير سليمان بن محمد وكان فى بلاد ذِمَار .

ومال الناس إلى الإمام المطهر بن يحيى والأشراف . فجهز المظفر ولده الأشرف إلى صنعاء . فلما دخلها وصل إليه جماعات من أهل المشرق وأهل حَضُور ، ورجع الأمير

على بن عبد الله إلى ظَفار ، ثم سار إلى رَدْمان ، ومعه الأمير محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة ، ومال إلى مسالمة السلطان ، فسعى بينهما فى الصلح الأمير محمد بن حاتم ، وسار الأميران صحبته إلى الأشرف ، فتلقاهما بالإكرام ، وتم الصلح بين المظفر وكافة الأشراف على يدى الأمير على بن عبد الله ، وسكنت الفتنة فى هذه المدة .

ودخلت سنة — ٦٩٤ —

فيها سار الأشرف إلى تعز ، فقلّده أبوه الأمر وخصّه به ، وكتب له مرسوما فيه ، فغضب ولده المؤيد ، لما أن أباه خصّ أخاه بالأمر دونه ؛ وسار إلى جهة حضر موت والشّحْر ، وانتقل المظفر إلى ثعبات ، فلم يزل فيها إلى أن توفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من رمضان من السنة المذكورة ، عن أربع وتسعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوما . ولما بلغ خبر موته إلى الإمام المظفر بن يحيى ، قال : مات التُبَّع الأصغر[1] ، مات معاوية الزمان ، مات الذى كانت أقلامه تكسر رماحنا .

ومن مآثر المظفر مدرسة فى تعز تعرف بالمظفرية[2] والخانقاه فى حيس ، ومدرسة فى ظفار الحبّوصى ، وجامع المحالب ، وجامع المهجم فى الأعمال السُرْدُديه ، وهو من المآثر العجيبة ، وصف بعض من عرفه أن فيه ثلثمائة وستون سارية ، وأن القرآن العظيم — شرفه الله تعالى — مكتوب جميعه فى جدرانه وسواريه . وقد انهدم أكثره فى هذا الزمن ، وصارت مدينة المَهْجَم خاربة ، لم يبق فيها إلا الجامع والمنارة ، تسكنه السباع ، والله أعلم .

---

(١) سبق أن أوضحنا أن التبع بضم التاء وفتح البـاء وتشديدها ، لقب أعاظم ملوك حمير باليمن ، وجمعه تبابعة ، وسمى تبعا لكثرة أتباعه . وقد كتبها محقق كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى « السبع الأصغر » . وهذا خطأ ، لأن رسم اللفظ واضح فى نسختى المخطوطة .

(٢) ذكر الخزرجى عن هذه المدرسة أن المظفر « جعل فيها مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة ، ورتب فيها اماما ومؤذنا ومعلما وعشرة أيتام يتعلمون فيهـا القرآن . وفيما وقف عليها ما يقوم بكفاية الجميع منهم » .
(العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧٦) .

ولما مات المظفر قام بعده ولده الأشرف ، فقبض المدن والحصون والمخاليف . وكان نبيلا عارفا ، له مشاركة فى العلوم ، ومصنفات فى الطب مشهورة ، وله كتاب « التفاحة فى معرفة الفلاحة » . وأما أخوه المؤيد فإنه لما علم بوفاة أبيه استخلفَ على الشِّحْر ، وخرج قاصداً اليمن ، فلما قرب من أبْيَن وصله كتاب من أخيه المنصور بن المظفر يحذره من الوصول إلى اليمن ، وعرض عليه حصن تَعَدَان ، وكان فى يده ، فشكر له ذلك ، وتحير فى أمره . فلم يشعر إلا بوصول كتاب إليه من القاضى على بن محمد اليحيوى يذكر فيه أنه قد شاع خبر قدومه إلى اليمن ، وأن أخاه الأشرف ، قد بعث إليه نفراً من الحشيشيين الفداويين ، وحذره منهما ، فضاق صدره ، واشتد خوفه ، ودخل إلى أبْيَن وفيه طائفة من جند أخيه الأشرف . فخرج مقدمهم إلى الأشرف ببعض من كان عنده ومال بقيتهم إلى المؤيد .

ثم إن المؤيد سير ولده وأهله إلى تَعَدَان ، وتوجه لمحاصرة عدن . فلما قرب منها رأى فى بعض جبالها درباً قد صار متشعباً ، فطلب بعض الصيادين ثم سأله عن طريق ذلك الدرب ، فأخبره الصياد أن له طريقا نافذة إلى باب البلد ، فبعث معه ثلثمائة رجل من أنجاد أصحابه ، وأمرهم بالوقوف عند الباب حتى يأتيهم . فلما أصبح ، نهض ببقية أصحابه قاصداً للمدينة ، فتأهب من فيها لقتاله ، وأرادوا الخروج ، فثارت عليهم الثلاثمائة، فصاحوا بطلب الأمان ، فأمنهم المؤيد ، وطلب منهم الخروج إليه ، فخرج العامل وأعيان من عنده رغبة ورهبة ، ثم دخلها ، وتقدم إلى لحج وأبْيَن ، فاستولى عليهما ، وهابه أهل اليمن ، وأضمروا الميل إليه . فجهز عليهم أخوه الأشرف ولده الناصر بن الأشرف فى ثلثمائة فارس ، فأقام فى الراحة[1] .

ووصل الأمير على بن عبد الله الحمزى إلى الأشرف ، فجهزه بخيل إلى ولده ، ولم يزل يمسك بالعساكر الواصلة من صنعاء وبلادها حتى تكاثرت الجموع على المؤيد ،

---

(١) الراحة : « موضع فى أوائل ارض اليمن اظنها قرية »
(ياقوت : معجم البلدان)

ولم يكن معه إلا أصحابه الذين خرج بهم من الشّحر ، ثم تقدمت العساكر الأشرفية إلى كثيب العَسْب[1] فلقام المؤيد إليه . ووقع القتال . فانهزم فى أوله جيش الأشرف ، وفى آخره حصل الاستيلاء على المؤيد وأولاده ، وأُوثقوا بالحديد . وتقدم بهم الناصر إلى أبيه ، وقد خرج من تعز إلى محل يعرف بالجوّه ، ينتظر ما يكون من أمر ولده وأخيه . فلما بلغه القبض على أخيه وأولاده وتقييدهم ، بكى بكاء شديداً ، ثم أمر بهم إلى حصن تعز ، وأجرى عليهم الكفايات الفاضلة ، وثبت أمر الأشرف فى اليمن والشحر وحضر موت .

وفى هذه السنة وقع فى اليمن مطر عظيم فيه بَرَدٌ كِبار ، وقعت فى بلدان متفرقة ، منها بردة وقعت بالقرب من راحة بنى شريف كالجبل الصغير ، يدور حولها عشرون رجلا لا يرى بعضهم بعضا،وأخرى فى بلاد عَنْس حاول قلبها أربعون رجلا فلم يقدروا ، فسبحان المخوف بالآيات ، رب الأرضين والسموات .

وفيها وثب رجل من مماليك المظفر — يعرف بالفارس — على حصن من حصون ذِمَار فى جماعة من أصحابه ، فاجتمعت عليه قبائل مذحج ، فدخلوا الحصن وقتلوه وسبعين رجلا من أصحابه .

ودخلت سنة — ٦٩٥ —

لم يتفق فيها أمر يذكر .

ودخلت سنة — ٦٩٦ —

فيها مات الملك الأشرف ، واسمه عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ، ودفن

---

(١) العسب بفتح أوله وسكون السين ، واد من أودية قرن فى سرو مذحج باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٥)

فى مدرسة المعزية بتعز[١] . وأخرج أخوه المؤيد داود بن يوسف بن عمر من سجن تعز ، فتقلد الأمر . وكان الناصر بن الأشرف فى القحمة وأخوه العادل فى صنعاء ، فوصلا إلى عمهما المؤيد فاستعفياه عن العمل فأعفاهما .

وفيها استولى الأشراف على الكولة ، فأخربوها ، وأخذوا حصن اللجام ونعمان[٢] ، واستولى الإمام المطهر بن يحيى على حصن كحلان الشرف ، ووقع الصلح بين الإمام والأشراف وبين المؤيد .

وفيها أقطع المؤيد ولده المظفر صنعاء ، وأقطع ولده الظافر جهة القحراء[٣] من تهامه الحاربين[٤] . ولما وصل المظفر صنعاء ، استرجع حصن أود من أيدى بنى الحارث ، بعد أن حاصره ورماه بالمنجنيق ، وهو الحصن الذى فوقه قرية القابل[٥] . واسترجع المؤيد حصون حَجّة والمخلافه من الأمير ابراهيم بن يوسف ، وكانت فى يده من سنة ٦٩١ واشترط الأمير إبراهيم شروطاً كثيرة ، منها مَوزع[٦] ونصف حوث .

---

(١) شيد المعز هذه المدرسة حوالى ٦٥٦ هـ ، وكان أول مدرس فيها الفقيه الصالح أبو الحسن على بن الحسين الاصابى .

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٢٨) .

(٢) نعمان : حصن فى جبل وصاب باليمن من أعمال زبيد .

(ياقوت : معجم البلدان)

(٣) القحراء : موضع فى جبل السراة باليمن ، وصف الخزرجى أهله بأنهم « من قبائل العرب المفسدين »

(العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٤)

(٤) الحاربان : اسم مكان ، وقد ذكره محقق كتاب الخزرجى بالحاء والراء أو بالجيم والزاء

(العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٠٥ ، ج ٢ ص ٤٤٥)

(٥) ذكر الهمدانى أن قابل نجران من قرى بلد يام فى مخلاف صعدة (صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥) . وفى ياقوت القابلة من نواحى صنعاء الشرقية (معجم البلدان)

(٦) موزع ، بفتح الزاى ، موضع باليمن ، وهو الموضع السادس لحاج عدن

(ياقوت : معجم البلدان)

وفى هذه السنة أظهر المسعود بن المظفر الخلاف على أخيه المؤيدَ ، وكان مقطعا فى الأعمال السُرْدُدِية ، فأوقع بأهل المحالب ، وسار إلى حَرَض فاستولى عليه ، ووصل إليه الأشراف وأهل المخلاف السليمانى ، وهبط إليه كثير من أهل الجبال ، فجهز إليه المؤيد أخاه المنصور بن المظفر وولده المظفر بن المؤيد ووزيره موفق الدين بعسكر كثير وثلاثة من الفيلة ، فالتقوا فى محل بين المحالب وحرَض ، وظهر للمسعود أنه مغلوب ، فأذعن للصلح ، فقبض عليه أخوه المنصور وعلى ابنه أسد الاسلام ، وسار بهما إلى المؤيد ، فأودعهما السجن فى حصن تعز ، فمكثا فيه نحو سنة ، ثم أطلقهما وأمرهما بسكون حَيْس ، وكفاهما — ومن يلوذ بهما — ما يحتاجون إليه .

ودخلت سنة — ٦٩٧

فيها مات الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين المطهر بن يحيى عليه السلام ، وكانت وفاته فى حصن دروان حَجَّة ، ودفن فيه ، فقبره هنالك مشهور مزور .

وفى هذه السنة جهز المؤيد عسكرا إلى حَجَّة ، فتسلموا بعض حصونها . وفيها نهض المؤيد إلى صنعاء ، ثم خرج منها إلى الظاهر ، فحارب حصن المنقاع وجهز إلى صَعْدة الأمير على بن بهرام والأمير على بن أحمد بن عز الدين بعسكر كبير ، فحاربهم الأمير موسى ابن أحمد بن المنصور ، ومن معه من الأشراف .

ودخلت سنة — ٦٩٨ —

فيها نهض المؤيد من محطته على المنقاع إلى جراف خَمِر[1] فلبث فيه ثمانية أيام ثم سار إلى ظَفار ، فتأهب من فيه من الأشراف لقتاله ، ووصل إليه الأمير محمد بن داود ابن المنصور ، فلبث عنده أياما ، ثم مات فى محطته . ورجع المؤيد لمحاربة المنقاع بجيوش

(١) جراف خمر : من بلد همدان باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١ ، ١١٢)

ملأت تلك البقاع ، ورماه بحجر المنجنيق ، وهو فى حصن الأمير على بن عبدالله الحمزى ، وفيه يومئذ ولده الأمير إدريس بن على ، فاستنصر الأمير على بن عبد الله بالأشراف ، فلم ينصروه ، فسعى الوزير موفق الدين فى الصلح بينهم حتى تقرر . ثم رجع المؤيد إلى صنعاء ، ومعه الأمير إدريس بن على ، وبعد مدة تبعه والده إلى عند المؤيد . ووصل الأمير أحمد بن على بن موسى لتمام صلح الأشراف ، فانعقد على تسليم اللجام ونعمان وصَعْدَة للمؤيد ، وقسمة بلاد مُدع بينه وبين الأشراف ، كما كانت أيام المظفر ، ثم رجع المؤيد إلى تعز ، ومعه الأمير على بن عبد الله وغيره من الأشراف ووجوه العرب ، فلبثوا مدة ثم عادوا إلى بلادهم .

وفى هذه السنة سار المؤيد إلى عدن ، فدخله دخولا معظما ، وامتدحه الأديب فخر الدين عبد الله بن جعفر بأبيات رائعة أولها :

أعلمت من قاد الجبال خيولا وأفاض من لمع السيوف سيولا

ومنها :

وافى إلى عدن كمقدم جده سيف بن ذى يزن الكريم أصولا

ودخلت سنة — ٦٩٩ —

فيها مات الأمير على بن عبدالله ـ رحمه الله تعالى ـ عن نيف وسبعين سنة ، وكان من أعيان بنى حمزة . وأجمع رأى الأشراف على إقامة ولده الأمير إدريس مقامه على أعماله . وكان الأمير إدريس فارساً شجاعاً مقداماً ، وله مشاركة فى العلم والأدب ، وهو مؤلف كتاب كنز الأخبار فى التاريخ ، وغيره من المصنفات[1] .

---

(١) الشريف عماد الدين ادريس بن على بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة ، كان شريفا ظريفا شجاعا كريما جوادا متلافا . وكان عالما لبيبا عاقلا ، وكان شاعرا فصيحا ، وله عدة مصنفات فى فنون كثيرة . وهو مصنف كتاب « كنز الأخبار فى معرفة السير والأخبار » . وهو كتاب حسن ممتع ، توفى سنة ٧١٤ هـ (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٤١٠)

وفى هذه السنة استولى المظفر بن المؤيد على عراس[1] وأرياب قهراً بالسيف ، وأهلهما فرقة من الاسماعيلية .

وفيها كان ابتداء دولة السلطان عثمان ، جد ملوك الروم ، الباقى ملكهم إلى زماننا ، وأصله من التركمان أحد طوائف الترك ، يتصل نسبهم بيافث بن نوح عليه السلام . وكان جده سليمان شاه أميراً على ماهان من بلاد التركمان المجاورة لبَلْخ ، فلما خرج التتار ، وزالت على أيديهم دولة خوارزم شاه من أرض المشارق ، خرج سليمان هارباً من التتار قاصداً إلى بلاد الروم فى خمسين ألف بيت من التركمان ، فمرّ بحلب ، ثم عبر نهر الفرات بفرسه ، فغرق فيه وتفرق من معه من التركمان فى أطراف البلاد . وكان لسليمان أربعة أولاد ، فرجع منهم اثنان إلى بلاد العجم ، واثنان قدما الروم ، فعثمان هذا ولد أحدهما . ولم أقف على اسم أبيه . وتولى الروم أولاً نيابة عن بعض بنى سلجوق الذين كانوا ولاته قبل العثمانية من جهة بنى العباس ، ثم استقرت دولته وأولاده فى الروم ، وانبسطت أيديهم على كثير من الأقاليم كالشام ومصر والعراق واليمن ، وسيأتى ذكر أخبارهم قريباً إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٧٠٠ —

فيها تسلم نواب المؤيد حصون الأمير على بن عبد الله الحزى من ولده الأمير إدريس ، وأبقاه المؤيد على عادة أبيه من الإمارة والركوب تحت الأعلام السلطانية ، ومنحه العطايا الوافرة ، وولاه القَحْمَة .

وفيها نهض المؤيد إلى زبيد ، وخرج منه إلى المَهْجَم ، ثم رجع إلى زبيد ، وسار ولده الظافر إلى صنعاء . وفيها خالف المعازبة على المؤيد ، فبعث إليهم جنداً فقتلوا منهم عدداً كبيراً ونهبوا أموالهم .

---

(١) كذا فى المتن دون تنقيط ، وكذلك جاءت بهذا الرسم فى كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ١ ص ٣٢٣) .

وفى هذه السنة كانت الفتن الكبار بين المسلمين والتتار فى بلاد الشام، قتل فيها من التتار قدر عشرة آلاف، ومن المسلمين عالم كثير .

ودخلت سنة — ٧٠١ —

فيها أراد المؤيد النهوض إلى صنعاء، واستدعى الأمير إدريس بن على الحمزى من القَحْمَة . فلما وصل إليه، ورد الخبر أن الأشراف — بنى على أهل المخلاف السليمانى — وثبوا على الراحة وقتلوا المقدم خطلبا، وانتهبوا من الخيل أربعين فرساً . فجهز المؤيد الأمير إدريس بن على إليهم . فلما قرب من ديارهم فرّوا، فتبعهم العسكر إلى قريب اللؤلؤة، وأحرقوا ديارهم، فطلبوا الصلح وأرجعوا الخيل .

وفى هذه السنة كانت دعوة الإمام المهدى لدين الله محمد بن المطهر بن يحيي . ولما بلغت دعوته المؤيد نهض إلى اليمن الأعلى حتى وصل القبة، وورد إليه الأمير موسى بن أحمد والأمير عبد الله بن وهاس، وتردد فى الظاهر، وحاصر ظَفَار أياماً، ثم وقع الصلح على أن الأمير سليمان بن القاسم صاحب ظَفَار يطلق إلى المؤيد حصن تَلَمُّص بعوض من المؤيد قدره خمسون ألف دينار، وشرط الأمير سليمان إخراب تعز المعمور لمحاصرة ظَفَار والقبة، وشروط غير هذين الشرطين، ورهن الأمير سليمان أحد أولاده ووزيره الشيخ محمد بن على بن دحروج . وعاد المؤيد إلى صنعاء، ثم خرج منها لحرب حصن خربان[1]، فوقع بينه وبين من فيه قتال شديد، ونصب عليهم المنجنيق، ثم قرر أمر المحطة على الحصن المذكور، ورجع إلى صنعاء، والمحطة أقامت مدة فلم تظفر من ذلك الحصن بشيء .

ودخلت سنة — ٧٠٢ —

فيها وصل الأمير طغريل من لحج، فأقطعه المؤيد صنعاء، وأرسل المؤيد أميراً

(١) خربان : فى المتن دون تنقيط والصيغة المثبتة عن العقود اللؤلؤية للخزرجى، وهو حصن قرب ورور فى بلد همدان باليمن (ج ١ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥) .

إلى الأشراف لتمام ماعقد عليه الصلح من تسليم تَلَمُّص . فلما وصل إليهم طلبوا المهلة مدة ستة أشهر ، ورجع رسول المؤيد إليه ، وأخبره بما طلبه الأشراف ، فغضب ، وجهز إليهم الأمير طغريل ، فخرج من صنعاء ، والشيخ محمد بن على دحروج أحد الرهينين معه تحت الحفظ ، وقد تكفل للمؤيد بأخذ ظَفَار . فلما وصل طغريل إلى وَرْوَر ، أرسل عسكراً إلى القبة ، وأمر بعمارتها . ووقع خلال ذلك قحط عظيم عم جميع اليمن ، وبلغ الزبدى[1] الطعام فى المحطة ثلاثين درهماً ، واشتدت الحال ، ومل الناس القتال ، فجنحوا إلى الصلح ، على أن الأشراف يرجعون ماقبضوه من المؤيد إلى مقابل تسليم تَلَمُّص ؛ فأرجعوه .

وفى هذه السنة أقطع المؤيد الأمير إدريس بن على لحجاً ، فسار إليه ، ووقع بينه وبين أهله الجحافل[2] والعجالم[3] حروب وخطوب ، ذهب فيها عدة من أعيانهم .

وفيها رجع المؤيد إلى اليمن الأسفل .

وفيها مات الأمير موسى بن أحمد بن المنصور بالله ، رحمه الله .

ودخلت سنة — ٧٠٣ —

فيها مات الظافر بن المؤيد فى حصن تعز ، ودفن فى مدرسة أبيه بمعزية[4] تعز .

---

(١) عبرة الزبدى خمسون أوقية حبا ، والأوقية عشر قفال بالختم المصرى . وزبدى السمن اثنا عشر رطلا ، كل رطل عشرون أوقية .

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٣٠٦)

(٢) الجحافل : قوم يسكنون لحج وغيرها بجنوب شبه جزيرة العرب

(تاريخ لحج للعبدلى ، كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٧٥٦)

(٣) العجالم : من قبائل لحج بجنوب شبه جزيرة العرب .

(تاريخ لحج للعبدلى ، كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٧٥٦)

(٤) معزية تعز ، أى المدرسة المعزية التى بناها المعز فى تعز

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٢٨)

وفيها مات الشريف أبو سلطان نائب حصن تَلَمُّص ، فتسلمه الأمير على بن موسى بن أحمد من أصحابه ، وشحنه بالطعامات وغيرها. فخرج إليه ابن بهرام عامل المؤيد على صعدة ، فجرت بينهما حروب شديدة . ووصل فى أثناء ذلك الإمام المهدى لدين الله محمد بن المطهر من ظليمة إلى الجهات الصعْدية . فلقاه الأمير العلامة المؤيد بن أحمد ، وجماعة الأشراف ، بخيل ورجال ، وقصدوا جميعاً ناحية تَلَمُّص . فخرج إليهم نائب المؤيد من صَعْدة ، ووقع الحرب بينهم ، فانهزم نائب المؤيد . وقتل جماعة من أعيان أصحابه ، واستولى الإمام على مدينة صَعْدة . فجهز المؤيد إليها جيشاً قائدهم الأمير عباس بن محمد فحاصرها .

وفى هذه السنة وصلت إلى اليمن أخبار بانتصار المسلمين على التتار الأشرار ، بعد الحروب العظيمة ، والخطوب الجسيمة ، التى ذهب فيها من جنود التتار مايزيد على مائة ألف ، كما رواه أهل السير والأخبار[1] . وقد ذكرنا نبذة يسيرة من أخبار هذه الفرقة الكافرة ، والفئة الخاسرة ، وأسباب خروجهم على بلاد المسلمين ، ووعدنا بذكر بقية أخبارهم وأخذهم لكثير من الأمصار ، على جهة الاختصار . وهى أنهم لما أخذوا بلاد الخطا المشار إليها فيما سبق ، تهيأ لهم الخروج إلى بلاد الإسلام ، وضعف السلطان خوارزم شاه عن محاربتهم ، والتجأ إلى بلاد فارس ، ، فما زالوا يطوون مدن الإسلام ، ورساتيقه ، حتى استولوا على حلب وغيرها من أرض الشام . ومدة مكثهم فى البلاد الاسلامية منذ خروجهم إلى هذا التاريخ سبع وثمانون سنة ، وبسببهم انقطعت الخلافة عن العراق والشام ومصر[2] وتغلب عليها السلاطين ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

---

(١) يشير المؤلف الى انتصار جيوش المماليك بزعامة السلطان الناصر محمد بن قلاون فى سلطنته الثانية سنة ١٣٠٢ م على جيوش تتار فارس التى غزت الشام بقيادة غازان ، فحلت الهزيمة بالتتار فى موقعة مرج الصفر قرب دمشق (المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٩٣٠ ـ ٩٣٨)

(٢) من الواضح أن عبارة المؤلف فيهـا قدر من عدم الدقة ، لان الخلافة العباسية التى سقطت فى بغداد على أيدى التتار سنة ٦٥٨ هـ تم احياؤها بعد ذلك فى مصر على أيدى سلاطين المماليك سنة ٦٥٩ هـ ومن ثم غدت مصر قاعدة الخلافة العباسية حتى الغزو العثمانى .

وفى هذه السنة تواترت الأخبار بوصول عسكر جرار من الديار المصرية إلى مكة المشرفة ، فخافهم المؤيد صاحب اليمن ، وجهز جيشاً إلى البِرك ، مقدمهم الأمير موسى بن أبى بكر ، وأمره بعمارته .

ودخلت سنة — ٧٠٤ —

فيها وصل العامل على حَرَض من قبل المؤيد إلى جهة صَعْده ، مدداً للأمير عباس ابن محمد ، فاستوليا على صَعْدة وبلادها ، ثم ترك فيها الأمير عباس ثلاثين فارسا وثلثمائة راجل ، ورجع إلى صنعاء .

وفيها قبض المؤيد على الأمير محمد بن أحمد ، والأمير شكر بن على القاسمى بسبب ما وقع من الأشراف فى صَعْدة .

وفيها رجع الأمير موسى بن أبى بكر من البِرك فاعترضتهم جهينة ، ونهبوا أثقالهم .

وفيها اعتذر الأمير طغريل عن ولاية صنعاء ، فأعادها المؤيد لولده المظفر .

ودخلت سنة — ٧٠٥ —

فيها غزا الأشراف إلى حَرَض ، فهزموا من فيه من عسكر المؤيد ونهبوه .

وفيها اعتذر المظفر بن المؤيد من ولاية صنعاء . وسار إلى أبيه ، فأعاد عليها الأمير طغريل .

ودخلت سنة — ٧٠٦ —

فيها تسلم المؤيد حصن القُرانع[1] فى الطويلة ، فوصل الأمير تاج الدين محمد بن أحمد ابن يحيي بن حمزة لمحاربة من فيه من أصحاب المؤيد ، فخرج إليه الأمير طغريل والأمير

(١) القرانع — بضم أوله وكسر النون — حصن حصين من حصون صنعاء اليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

عباس بن محمد من صنعاء ، فدخلا الحصن وشحناه ، وتأخر عنهما الأمير تاج الدين ، فرجعا إلى صنعاء .

وفيها أخذ بن صهيب حصن الشابة[1] فى وصّاب، فخرج عليه المؤيد من زبيد وحاصره فأذعن بالطاعة ، ثم نهض المؤيد إلى حجّة ، فأقام فى الظهرين[2] ، ولم يزل الحرب بينه وبين الامام محمد بن المطهر سجالا .

ودخلت سنة — ٧٠٧ —

فيها تسلم المؤيد شمسان بنى عكاب[3] بعد أن حاصره ورماه بالمنجنيق . ثم وقع الصلح بينه وبين الأمير تاج الدين والامام محمد بن المطهر والأشراف قاطبة على تسليم حصن عِران وبراش للمؤيد ، ووصل إليه بعد الصلح الأمير تاج الدين وجماعة من الاشراف ، ثم رجع المؤيد إلى زبيد على طريق المهجم ، وبعد أيام سار إليه الأمير تاج الدين فأكرمه وعظمه . وكان الأمير تاج الدين من أعيان الأشراف ، وهو صاحب الحصون الغربية ، كالطويلة وكحلان وغيرها .

وفى هذه السنة سار الأمير إدريس بن على الحمزى بالعساكر السلطانية إلى بلاد حجّة والشرفين[4] ، فاستولى على جبل سعد[5] فى الحبَرَ[6] والقاهرة فى الشرف الأعلى ، ثم

(١) الشابة : واد صغير قرب وادى جازان باليمن ، وربما كتب شاية بالياء . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٣) .

(٢) الظهران : جبل فى أطراف القنان (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) بنو عكاب : أودية بغرب مبين فى منطقة حجة .
(الويسى : اليمن الكبرى ص ١٠٥) .

(٤) الشرفان ، يقصد بهما الشرف الأعلى والشرف الأسفل ، كما يبدو من سياق العبارة بعد ذلك . وقد ذكر الهمدانى « ويعرف مخلاف شبام بمخلاف الشرف الأعلى ، والشرف الأسفل من بلد غريب بن جشم بن حاشد لهمدان »
(صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧)

(٥) جبل سعد ، بضم السين ، ماء وقرية ونخل غربى اليمامة
(ياقوت : معجم البلدان)

(٦) الحبر : بفتح أوله وثانيه ، مدينة فى مخلاف السحول باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠)

نهض إلى الشرف الأسفل فى خمسة آلاف نفر ، فاستولى عليه ، ولم يبق فى الشرفين إلا حصون يسيرة وقع الصلح عليها .

وفيها فتك الأكراد بالأمير طغريل ، فبعث إليهم المؤيد عسكراً فقاتلوهم ثلاثة أيام ، ثم تفرق الاكراد فى كل جهة ومنهم من مال إلى الإمام محمد بن المطهر .

وفى هذه الأيام نهض الامام إلى بنى شهاب ، ووصل إليه جماعة من الاكراد ، فتقدم إلى قرن عنتر ، وفيه قدر مائة نفر من أصحاب السلطان ، فأخذ الحصن ، وقتل من كان فيه ، وفعل كفعل أبيه ، وهكذا عادات السادات التى هى سادات العادات . ثم استولى على بيت رَدْم وبيت بِرَام[1] ، وقاهر حَضُور ، ورَدْمَان بنى خوّال . وعطف على صنعاء ، وفيها الأمير عباس بن محمد ، فحصل بينهما حرب . وقاتل أهل صنعاء على دوائرها ، ودخل بعض عسكر الامام إلى بستان السلطان . ثم رجع الإمام إلى حدَّه ، فأقام فيها ، وجهز المؤيد ولده المظفر ، فوصل إلى قاع الناهم واستولى على بيت حَنَبَص[2] ، فرجع الامام إلى مستقر عزه ، وهو حصن دروان حَجة ، وسار من كان معه من الأكراد إلى صوران[3] .

وفيها سار الامام والاشراف إلى الشرف ، فمنعهم عنه الأمير إدريس بن على الحمزى ، فرجعوا إلى الظاهر ، وحاربوا القبة ثلاثة أيام ثم افترقوا ، فمنهم من قصد صعدة ومنهم من رجع ظفار .

---

(١) برام : موضع أسفل حراز وأعلى بلد نعسان
(الهمدانى : صفه جزيرة العرب ، ص ١٠٥)
(٢) بيت حنبص : موضع وادى الحارد من الجوف
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)
(٣) صوران : قرية للحضارمة باليمن ، بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلا .
(ياقوت : معجم البلدان)

ودخلت سنة — ٧٠٨ —

فيها نهض الإمام محمد بن المطهر إلى بنى شهاب ، واستولى على قرن عنتر تارة أخرى ، وقتل من فيه من عسكر المؤيد وهم مائة وعشرون رجلا . ثم هبط إلى قاع صنعاء فحاصرها قدر شهرين حتى وصل المؤيد مغيراً عليها ، وعامل جماعة من بنى شهاب فصعدوا بولده المظفر بن المؤيد إلى بيت حَنْبَص . والإمام ومن معه فى حَدَّة فخرج منها فورا ، وسلك سفح الجبل ، وأرسل الله سحابا ، ستر ما بينه وبين القوم ، حتى وصل جانب حضور ، وتوجه منه إلى القبة[1] ، فافتتحها ، وسار إلى براش فأخذه ، وقبض صاحبه ، ثم رجع إلى حَجَّة ومعه من الأكراد[2] مائة فارس .

ودخلت سنة — ٧٠٩ —

فيها مات الأمير تاج الدين محمد بن أحمد ، رحمه الله تعالى . وفيها أخرج الأشراف بنى حمزة نائب المؤيد من صعدة وهو البَهَاء الكردى ، فسار إلى حَرَضْ .

ودخلت سنة — ٧١٠ —

فيها تسلم الأمير عباس بن محمد حصن عِرَان ، وحاصر ظَفَار ورماه بالمنجنيق ، فاضطر الأشراف إلى الصلح .

وفيها رجع المؤيد إلى اليمن الأسفل ، واستخلف على صنعاء الأمير محمد بن حسن

(١) القبة : موضع بين صنعاء من ناحية ، وحضور وبنى شهاب من ناحية أخرى . (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٦٩) .

(٢) من المعروف أن صلاح الدين كردى الأصل ، كما رجع غالبية الباحثين ، وعلى رأسهم المؤرخ المعاصر ابن الأثير . ومن الواضح أن تردد لفظ الأكراد فى النص يشير الى أن الأيوبيين وأتباعهم من بنى رسول فتحوا أبواب اليمن أمام الأكراد ، فنزحت منه أعداد كبيرة منهم . وهؤلاء بالاضافة الى المماليك — الذين أكثر ملوك بنى أيوب وأمراء بنى رسول باليمن من شرائهم — كانوا عدتهم فى الاحتفاظ بملكهم وسلطانهم .

ابن نور الدين، ورجع الأكراد إلى طاعته ، فأرجع لهم حصن هِران . ثم جهز ولده المظفر إلى الشَرَف فى ثلاثين ألفا ، فحاصر المفتاح ولكن لم يظفر به ، فمال إلى محاربة قِلْحاح[١] ، وأقبلت دِيمة[٢] لبثت أحد عشر يوما ، حتى هلك أكثر أصحابه ، ورجع إلى تعز مريضا .

وفى هذه السنة استولى الإمام محمد بن المطهر على حصن الجاهلى[٣] والقاهرة .

ودخلت سنة — ٧١١ —

فيها استفتح الشريف إدريس بن على حصن المفتاح فى الشرف عن أمر المؤيد ، فسار إليه الامام فى جمع كبير . وكان أهل الشرف قد مَلّوا ولاية السلطان لسوء معاملة عماله وأتباعهم ، فمالوا إلى الامام رغبة . واستولى الامام على جبل سُعد والشجْعة[٤] فأمر المؤيد الأمير إدريس بمحاربة الامام فى تلك الناحية فسار إلى جبل أقْناب[٥] ، وكاتب أهل البلاد فلم يجيبوه ، واستمسكوا بطاعة الامام ، وما برح عسكره فى نقصان ، فاستعان الامام بقبائل حَجَّة وشَظَب والأهنوم وغيرهم ، فاجتمع إليه ستة آلاف نفر ، فقصدهم عسكر الأمير إدريس بن على فهزمهم ، ولم يثبت سواه فى أربعة من الفرسان فأسره أصحاب الامام ، وقتلوا ابن عمه . ولبث [إدريس] فى الأسر قدر نصف شهر ، ثم خرج متغررا على حين غفلة ، ولحق بحصن ابن شرحبيل ، وتبعه الامام ، فلم يظفر منه بمرام .

---

(١) قلحاح : جبل قرب زبيد ، به قلعة يقال لها شرف قلحاح (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) الديمة : المطر الدائم

(٣) الجاهلى : من حصون اليمن ، من مخلاف مشرف جهران (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) الشجعة ، بكسر أوله وسكون ثانيه ، جبل قرب زبيد

(٥) اقناب دثر : حصن باليمن فى جبل قلحاح (ياقوت : معجم البلدان) .

وفي هذه الأيام تسلم الامام حصن المفتاح . وقد كان المؤيد جهز ولده المظفر ووزيره موفق الدين إعانة للأمير إدريس بن على ، فلما بلغهما خبر انتصار الامام على الأمير مالا إلى قِلْحاح ، ثم تقدما إلى محل آخر ، فهزمهما عسكر الامام ، وقتل الشيخ الرّياحى صاحب جبل تيس .

وبعد أن خلص الأمير إدريس من الأسر ، ولبث فى حصن ابن شرحبيل أياما ، انتقل إلى محطة للظفر بن المؤيد ، فأمره بالاقامة فى جبل الشاهل ، وضم إليه جماعة من أعيان أصحابه ، ورجع المظفر إلى تهامة . ووصل الأمير عباس بن محمد من الجهة العليا إلى حَجَّة ، فوقف فى سهل شمسان ، وحارب الأمير إبراهيم بن الامام المطهر ابن يحيى فى دروان ، ثم وقع الصلح بين الإمام والسلطان مدة سنة .

ودخلت سنة — ٧١٢ —

فيها كتب الامام محمد بن المطهر إلى الأمير إدريس بن على أنه يسعى بصلح آخر بينه وبين المؤيد قبل أن تقضى مدة الصلح الأول ، فسعى الأمير إدريس بصلح مدته عشر سنين ، على أن للإمام الشرف الأعلى والخبَر وما هو تحت يده من بلاد حَجَّة وغيرها . وكذلك بيت رَدْم ، وبنى الوشاح ، وظفر بنى وهاس ، وثلاثة آلاف دينار فى كل سنة .

وفى هذه السنة مات المظفر حسن بن المؤيد ، ودفن عند أخيه الظافر فى مدرسة أبيهما بتعز ، وأوصى أن تبنى باسمه مدرسة فى المحالب ، وألاّ يصاح عليه ، ولا يعقر بعده فرس .

ودخلت سنة — ٧١٣ —

فيها أمر المؤيد عامله على صنعاء ، وهو الأمير محمد بن حسن بن نور الدين ، بمحاربة الأكراد أهل حصن هران ، بسبب ما تقدم منهم من قتل الأمير طغريل ، فسلموا الحصن طوعا ، وخرجوا إلى ذمار ، فعفا عنهم المؤيد .

وفى هذه السنة جهز المؤيد الأمير إدريس بن على الحزى بخيل ورجال إلى صهيب ومَقْمَح[1] ، فأخرب تلك الجهة ، واستولى على طعامات كثيرة للجحافل .

وفيها أطلق المؤيد الأمير عبد الله بن على بن وهاس من سجن تعز ، بعد أن مكث فيه أربع سنين ، وأطلق الأمير عبد الله حصن الظفر واللجام للمؤيد .

وفيها أرسل الإمام محمد بن المطهر أخاه ابراهيم بن المطهر إلى جبل مسور لمناصرة بنى صعصعة[2] على بنى فيصل[3] .

ودخلت سنة — ٧١٤ —

فيها سار الأمير عبد الله بن على بن وهاس إلى المؤيد ، بعد أن أطلق الحصنين المقدم ذكرهما ، وضربت البشارة فى تعز لإطلاقهما ، بعد أن أطلقت رهائنه من صنعاء ، فأكرمه المؤيد ، وأقطعه مدينة القَحْمة .

وفى هذه السنة مات الأمير ادريس بن على الحزى ، رحمه الله ، وهو الذى ألف كتاب « كنز الأخيار في السير والأخبار » ، كما تقدمت الاشارة إليه ، وهو أربعة أجزاء : الأول فى سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء من بعده ؛ والثانى فى أخبار الملوك من معاوية إلى قريب المائة الثانية ؛ والثالث فى أخبار بنى العباس وغيرهم من ملوك الشام والعبيديه بالمغرب ومصر والقرامطة وحروب الأفرنج فى الشام ، وفى آخره نبذة مختصرة فى أخبار اليمن وملوكه خاصة إلى زمن المؤلف المذكور ، والرابع فى ذكر ملوك حمير التتابعة قبل النبوة ، ثم ما جرى من فتنة الخوارج أيام أمير المؤمنين على

(١) مقمح : بلد قرب صهيب
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٩٩٩)

(٢) بنو صعصعة : بطن من هوزان من العدنانية ، وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان (القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣١٦)

(٣) فيصل : بطن من الدرة ، من آل محمد ، رؤساء شمر الحربة .
(كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٣ ص ٩٣٤ ، عبد الجبار الراوى : البادية ، ص ٩٩) .

عليه السلام وما بعدها . فهذا تحقيق ما اشتمل عليه هذا الكتاب ، وهو أخذه من تاريخ محمد بن جرير الطبرى وتاريخ ابن الأثير وتاريخ المسعودى ، رحمهم الله .

ودخلت سنة — ٧١٥ —

فيها قتل الشريف حميضة بن أبى نمى أخاه أبا الغيث بن أبى نمى أمير مكة ، واستولى عليها ، فغضب لذلك الملك الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر ، وجهز إلى مكة الشريف سيف الدين عطيفة بن أبى نمى فى جيش عظيم ، فلما علم بقدومه الشريف حميضة ، خرج من مكة إلى نجد فتبعه الشريف عطيفة[1] .

ودخلت سنة — ٧١٦ —

فيها مرض الملك المؤيد صاحب اليمن مرضا شديدا ، وأرجف بموته ، فكتب القاضى محمد بن أبى بكر إلى الناصر ابن الأشرف كتابا يحثه على القيام بالأمر . ثم عوفى المؤيد من مرضه ، وبلغه خبر كتاب القاضى إلى الناصر ، فخرج من تعز إلى الجند ، وسُقط فى يد القاضى ، وخاف الناصر ، فالتجأ إلى جبل سورق[2] فوق الجنَد ، فبعث إليه المؤيد الأمير نور الدين بن حسّن بعسكر ، فطلب الناصر الأمان من عمه المؤيد ، فأمنه ، وأودع القاضى محمد بن أبى بكر سجن تعز ، وجعل عوضه القاضى ابن رضى الدين الأديب .

وفيها نقض المؤيد الصلح فيما بينه وبين الإمام محمد بن المطهر ، فجهز الإمام جيشا إلى الشرف الأسفل ، وقدم أخاه الأمير أحمد بن المطهر إلى العروس فاستفتحه ، ثم نهض الامام بنفسه لمحاربة صنعاء ، فصالحه عامل صنعاء . وقدم الملك المؤيد جيشا قائدهم

(١) عن الأوضاع فى مكة عندئذ ، والنزاع حول امرتهـا ، انظر المقريزى (السلوك ، ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٤٧) .

(٢) جبل سورق : جبل حصين مطل على مدينة الجند (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ص ٤١٨ ، ج ١)

الأمير نور الدين حسن إلى حَجّة، فحاربهم الأمير إبراهيم بن المطهر فى جبل عمر ومأذِن[1]، فهزمهم وقتل طائفة منهم.

وفيها أقطع الامام محمد بن المطهر الأشراف بنى القسم حصون بلادهم، وأخذ عليهم العهود على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلم يلبثوا أن خالفوا عليه، فانتزع للبلاد والحصون من أيديهم.

ودخلت سنة — ٧١٧ —

فيها أخذ عسكر المؤيد فَلَلَه من الجهات الصَعْدية.

وفيها أخذ الإمام محمد بن المطهر حصن الرخام[2] ووالاه الأشراف بنو حمزة، وقصدوا إلى تهامة فاستولوا على شامِيّها، وأحرقوا قراها.

ودخلت سنة — ٧١٨ —

فيها جهز المؤيد جيشا قائدهم الأمير حسن بن الأسد لمحاربة الامام، وخالف عليه أيضا أهل الشَّرَف وبنو القسم، فنصره الله على الجميع، ودارت رحى الحرب فيما بينه وبين المؤيد فى هذه السنة، وجرى بينهما ما يطول ذكره.

ودخلت سنة — ٧١٩ —

لم يتفق فيها قضية خارجة عما ذكر فى التى قبلها.

ودخلت سنة — ٧٢٠ —

فيها انقضى الدَّور الثانى لزُحل من أول الاسلام على ما ذكره أهل الفلك، وحدثت بعده التغييرات والاختلاف بين الملوك، والحكم لله وحده.

---

(١) مخلاف ماذن بفتح أوله وكسر ثالثه مخلاف باليمن، منسوب الى ماذن من آل رعين، ولعل عمر اسم جبل فيه.
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب، ص ٨٢، ٨٦، ١٠٦، ١٠٧)
(٢) الرخام هنا واضحة الخاء فى المتن، وقد سبق أن شرحنا الرجام.

فيها مات الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ، بعد أن جعل ولاية العهد لولده على بن داود الملقب بالملك المجاهد ، وأخذ على الأمراء والجند العهود بموالاته . ومن مآثره المدرسة المؤيدية فى تعز ، ووقف عليها من الأطيان والكتب النفائس شيئا كبيرا ، وجمع من الكتب مالم يجمعه غيره . يُقال إنها كانت كتبه قدرمائة ألف كتاب ، لكنه لم يعمل بما تضمنته ، بل كان جباراً غشوما ، شديد التحامل على أهل البيت عليهم السلام ، مدمناً لشرب الخمر ، ومما يُعزى إليه هذه الأبيات :

خذ ما تراه ودع عنك الذى غابا ... واقطع زمانك أفراحا وأطرابا
قالوا أتاك نذير بالمشيب فتب ... أما قضيت من العصيان آدابا
فقلت كيف يبالى بالمشيب فتى ... لم يدر من طول سُكرٍ أنه شابا

وكان شديدالقوة ، يحكى أنه رمى بدبوس إلى رأس منارة فأزال هلالها . وقد رُوى مثل هذه الحكاية لأسد الدين المقدم ذكره ، وقد تكون لأحدهما دون الآخر . ومن حكايات شجاعته أن جماعة من الأمراء المعتادين للأكل معه دخلوا عليه يوما كعادتهم ، فكان فيما قدم إليه خروف فأكله جميعاً ، ثم توسم فى الجماعة استكثارهم لأكله ، فأمر سُواس دوابه أن يأتوا بأسد من مربطه ، فأدخلوه عليه من غير أن يعلم الجماعة بذلك ، فقفزوا إلى شبابيك المنزل ، وحمل الأسد عليه فالتقاه بدرقةٍ[1] ، وضربه بالسيف فقتله . ومن أعظم بدعه فى الإسلام بدعة أيام السُّبوت بزبيد ، وحقيقتها على ما ذكره المؤرخون أنه كان يخرج بعسكره من زبيد إلى النخل فى يوم السبت ، ويأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم ، فتقع هنالك مفاسد عظيمة ، واختلاط فاحش وسماع وطرب ، فاشتد إنكار الخاصة منهم عليه لهذا السبب ، ورحل عن زبيد قدر سبعمائة بيت من الفقهاء وأهل النجدة والحمية منهم ، وأووا إلى الجبال كبُرع وغيره ، وأنكروا على من تخلف

(١) الدرمة : الترس من جلد ، ليس فيه خشب ولا عقب (المعجم الوسيط)

منهم عن الخروج ، حتى أن بعض الفقهاء كتب إلى بعض أقاربه — وقد تخلف عن الخروج — هذين البيتين ، وهما قوله :

تجنب عن زبيد ولا تطأها ولا تغررك يابن أخى زبيد

ففى يوم السبوت ترى مساوئ أتتها يوم سبتهم اليهـود

ويقال إنها لما طالت مهاجرة الفقهاء عن زبيد ، كتب إليهم المؤيد يستعطفهم ويعدهم ترك ما خرجوا لأجله ، فرجع بعضهم . ويقال إن ابتداء هذه البدعة أيام أخيه الأشرف ، كما تقدمت الاشارة إليه ، وهذه أصح ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٧٢٢ —

فيها قبض الملك المجاهد على ابن عمه الناصر محمد بن الأشرف ، وأودعه سجن تعز ، ثم نقله إلى سجن عدن . وكان قد أرسل إلى بعض الفلكيين أن يختار له وقتاً جيداً ولم يقل للسفر ، فعين له الفلكى ساعة من نهار ذلك اليوم . وكان المجاهد فى حصن تعز فخرج إلى دار الشِّحْرة[1] . فلما بلغ الفلكى خروجه فزع وقال : « من الذى اختار للسلطان هذا الوقت للخروج » فقالوا « ما اختاره غيرك » ، فقال « ما علمت أنه يريد الخروج فى هذا الوقت المكروه للسفر ، فانه لا يعود إلاّ عَلَى حالة معكوسة » فسار المجاهد إلى الجَنَد ، ثم إلى الدُّمْلوه ، فافتقد خزاينه فيها ، ورجع إلى تعز فأقام فى ثعبات ، ولم يعط الجند شيئاً فتغيرت قلوبهم عليه ، ومالوا إلى عمه الملك المنصور أيوب ابن الملك المظفر يوسف بن عمر ، فاجتمع إليه الأمراء الكبار والمماليك ، ثم هجموا أولا على الأمير يوسف بن منصور — وهو أتابك المجاهد ووزيره والمقدم على الُجند — فقتلوه ، وقتلوا الأمير على بن محمد الهمام — أحد الفرسان الشجعان — ثم خرجوا على الفور إلى ثعبات ، فقبضوا على المجاهد وأتوا به إلى المنصور ، فاعتقله فى دار الأمارة بحصن تعز ، وأجرى

(١) الشحرة : الشط الضيق ، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن وهمدان (ياقوت : معجم البلدان)

عليه الكفاية الفاضلة ، وأخذ العهود على الجند . ثم أرسل لابن أخيه الناصر محمد ابن الأشرف ، فأطلق من سجن عدن . ولما وصل إليه رفع منزلته ، وأقطعه المَهْجَم ، وعقد للأمير حسن بن الأسد الألوية ، وأقطعه حَرَض ، واستدعى ولده الملقب بالملك الظاهر من الدُّمْلُوه ، فوصل إليه ، وفوض نيابة الباب السلطانى إلى الأمير عمر ابن علاء الدين الشهابى ، فأقام على نيابته مدّة ، ثم عزله بالأمير يوسف بن يعقوب الجواد . ولم يزل الملك المنصور كذلك قدر أربعة أشهر .

ثم إن عبيد الطشخانة[1] موالى الملك المؤيد ، والبوابين ومن يتعلق بهم ، تمالوا على السعى فى فكاك المجاهد من السجن ، ورجوع الأمر إليه . فبعثوا رجلا منهم إلى شيخ العربيين[2] وهو بشر الرعانى فعامله على دخول حصن تعز ليلا لتخليص المجاهد ، فسار معه من العربيين أربعون رجلا . ولما قربوا من الحصن أدلى إليهم العبيد الحبال ، فتعلقوا بها حتى تكاملوا ، ولبثوا إلى أن طلع الفجر وخرج صاحب مفاتيح الحصن فقتلوه ، وقبضوا المفاتيح . وكان الملك المنصور فى الحصن ، فدخلوا عليه وأوثقوه رباطاً ، ثم نادوا بشعار المجاهد ، فخرج إليهم أمير الحصن وقاتلهم حتى قتل . وعرف من فى المدينة بدخولهم الحصن ، فانبعثوا نحو الحصن خيلا ورجالا ، وركب الناصر ابن الأشرف بمن عنده ، فلم يتهيأ لهم الارتقاء إلى الحصن ، فأقبل الأمراء على الناصر ، وقالوا له « إن كان الملك المنصور قد قتل فانت أولى بالأمر » فعرف المجاهد ما أجمعوا عليه من إقامة الناصر ، فقال : « يا سبحان الله ! أما فى هؤلاء من يذكر إحسان والدى إليه » ثم أمر منادياً من أعلى الحصن ألا أن بيوت المنصور مباحة ، فرجع الأمراء إلى بيوتهم خوفاً من النهب ، فغشيهم السواد الأعظم . وكان يوما عظيما ، لم ينتصف النهار

---

(١) كذا فى المتن ، وربما كان المقصود الطشت خاناه ، وهو بيت الطشت ، الذى يكون فيه أنواع الطشوت والمقاعد التى تلزم السلطان فى حله وترحاله . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٠ — ١١)

(٢) العربيين : واد فى مضيق الخانق ، الذى كان يعرف بسد الخانق ، وكان به السد الحميرى . (الويسى : اليمن الكبرى ص ١١٥)

حتى كتبت أم المجاهد إليه أن بنات عمه وغيرهن من نساء الملوك قد هتكن ، ولم تبق لهن باقية ، فأمر منادياً مَنْ أخذ شيئاً من بيوت الملوك فليرده ، وكتب أمانا للناصر ابن الأشرف ، فلم يستمر قراءة المكتوب حتى أتاه من قبض عليه وعلى أقاربه وأودعوه السجن .

ورجع الأمر للمجاهد ، فأخذ على الأمراء وأرباب الدولة العهود الأكيدة ، وأمنهم تأميناً صحيحاً ، وجمع أبناء ملوك بنى رسول فى السجن ، ماعدا أولاد أخيه المظفر بن المؤيد وأولاد عمه الواثق ، فلم يغير عليهم شيئا . وبعد أيام أطلق الناصر بن الأشرف ، وطلب من عمه المنصور أن يكتب إلى ولده الظاهر بإطلاق الدُّمْلُوه ، فكتب إليه بذلك ، فلم يلتفت إلى كتاب أبيه ، فجزم المجاهد بمحاربته ، فأشار عليه نور الدين بن حسن بترك التعرض إليه والاشتغال بتقرير قواعد البلاد ، فلم يسعده ، بل بعث لمحاربة الدُّمْلُوه الأمير عمر بن علاء الدين بعسكر كثير ، فطالت المحاصرة ، وقتل من الفريقين عدة ، وملّ عسكر المجاهد الحرب ، فخادعهم الظاهر ، فارتفع بعضهم إليه .

وفى هذه السنة نهض الإمام محمد بن المظفر والأشراف إلى جهة صنعاء بعساكر كثيرة ، فوقف فى صبر حدين[1] ، ووقعت بينه وبين نائب السلطان فى صنعاء عدة وقائع ، وثبت الحصار لصنعاء قدر ثلاثة أشهر ، حتى طلب نائب صنعاء الصلح ، فأجابه الإمام إليه وارتفع الإمام بجنده .

وفيها تسلم الإمام حصن المظفر ، وأخذ حصن عِرّان قهراً ، وحارب الباطنية محاربة شديدة .

وفيها وصل الأمير حسن بن الأسد بعساكر جمة من اليمن الأسفل ، وأراد الإمام محمد بن المظفر أن يلقاه للمحاربة ، فخالف عليه بنو شاور .

---

(۱) صبر حدين : موضع فى وادى السر . ومن الواضح أن الغرض من هذه الاضافة هو وجود أكثر من موضع باسم صبر . اما حدان فأشهرها فى بنى عامر وفى مخلاف خولان . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ۱۰۸)

ودخلت سنة — ٧٢٣ —

فيها مات الملك المنصور أيوب بن الملك المظفر يوسف بن عمر فى دار الأمارة بحصن تعز تحت الاعتقال ، ودفن فى مدرسة أبيه المظفر . فكتب ولده الملقب بالملك الظاهر صاحب حصن الدُّمْلُوه إلى الأمير (بدر الدين)(١) حسن بن الأسد يستدعيه إلى خدمته ، فوصل إليه بجيش عظيم ، فجهزه إلى الجند — وفيه من قبل المجاهد ابن أخيه قطب الدين بن المظفر بن المؤيد ، والأمير إبراهيم بن شكر ، وعصابة من المماليك البحرية — فمال المماليك إلى الأمير حسن بن الأسد ، فأخذ عليهم العهود للظاهر بن المنصور . وخرج قطب الدين وابن شكر إلى تعز ، فاستولى ابن الأسد على الجَنَد ، فلبث فيه أياماً ، ثم تقدم لمحاصرة تعز بجيش جرار من الأكراد والمماليك ، وأمده الظاهر بالغياث الشيبانى بعد أن حباه بمال جزيل . وأقبل إليهما الأمير محمد بن يحيى بن منصور الشيبانى من ناحية الدمينة(٢) ، فحاصروا جميعاً مدينة تعز سبعة أيام ، ثم انهزم ابن الأسد إلى الدُّمْلُوه ، فأحسن إليه الظاهر ولم يعاتبه على هزيمته .

ثم إن المجاهد أمر مناديا من حصن تعز بإباحة المماليك نهبا وقتلا وأسراً ، فقتل منهم ستة عشر رجلا ، وفرّ بقيتهم إلى زُبيد . واجتمعوا بالناصر ابن الأشرف وهو فى قرية السلامة ، لأن المجاهد لما أطلقه من السجن ، أمره أن يسكن تلك القرية ، فطلب منه المماليك المسير معهم إلى زبيد ، فاعتذر عنه فى ذلك الوقت ، ووعدهم به . فتركوه وساروا إلى زبيد وملكوها للظاهر بن المنصور صاحب الدُّمْلُوه ، وليس له من تملكها إلا الخطبة باسمه .

ولما استقروا فى زبيد ، سار الأمير أحمد بن أزدمر من قرية السلامة إلى المجاهد ، فتكفل له بأخذ زبيد من أيدى العبيد ، فجهز معه المجاهد خمسمائة فارس وستمائة

(١) ما بين الحاصرتين من الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١١

(٢) الدمينة : من قرى المعافر . وسكان هذه النواحى من بطون حمير من ولد المعافر بن يعفر (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٩)

راجل ، فوقف بموضع بين القُرْتُب وزبيد مدة يسيرة ، ثم خرج يوما فى جماعة من أصحابه إلى أرض له فى وادى زبيد ، فانتهز العبيد الذين فى زبيد الفرصة وقصدوا محطته ، فانهزم أكثرهم ، وقتل من ثبت منهم . ثم مال العبيد على الأمير أحمد بن أزدمر ومن معه ، فأسروهم وقتلوا بعضهم ، ولم يقتل ممن فى زبيد غير أيبك الدويدار ، وكان ولده عمر عاملا للمجاهد على لحج وأبْـيَنَ ، فنزع يده عن طاعة المجاهد ، وقصد إلى عدن ، فأخذه بمساعدة من بعض العسكر أهل يافع ، وخطب فيها للظاهر بن المنصور ،وقبض على عامل المجاهد فيها ، وهو الأمير حسن بن على الحلبى ، وأرسل به إلى الظاهر .

وفى هذه السنة أخرب الإمام محمد بن المطهر بلاد الباطنية كلها ، ولم يبق فيها غير الحصون .

وفيها مات الأمير الأسد بن نور الدين ــ عامل السلطان على صنعاء ـ فاستدعى أصحابه على بن إبراهيم بن الأنف الداعى ، وأمّرُوه على أنفسهم ، فعظم الأمر على الناس ، ونهض الإمام محمد بن المطهر لمحاصرتهم فى صنعاء على الفور ، وطلب الهدوية من جميع البلاد ، فاجتمع إليه عالم كبير . ولم يزل محاصراً لها حتى ملـكها بعد حروب كثيرة ، وأسباب يطول ذكرها ، منها أن الشريف الماجد المهدى بن محمد حاتم بن أحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، لما رأى اهتمام الإمام بأمر صنعاء ، قال له « أنا أكفيك أمرها » ثم سأل عمن يختص بأمراء الجند فى صنعاء وبالداعى ابن الأنف ، فأرشد إلى رجلين أحدهما من الُجند والآخر من الدعاة ، فراسلهما الشريف المهدى — وكان داهية لبيباً — وحذرهما ، من الإمام ، حتى ظناه من المائلين عنه إلى حزبهم ، فاطمأنا إليه ، وركنا إلى قوله . ثم حذر الرجل المختص بخدمة الأمراء من ابن الأنف وأصحابه ، وحذر المختص بخدمة ابن الأنف من الأمراء ، وضرب بعضهم ببعض ، فاختلفت كلمة الأمراء وهمدان حزب ابن الأنف. ولم يلبثوا أن أرسل كبير الأمراء إلى الإمام يستدعيه للدخول ، فأدخله من جانب القصر ، وخرج ابن الأنف وهمدان من صنعاء ليلا ، وملك الإمام صنعاء ،وأحسن فيها صنعاً .ولم يزل مالـكا لها إلى أن مات فى التاريخ الآتى ذكره .

وفى هذه السنة تسلم الإمام محمد بن المطهر حصن ذى مَرْمر بمساعدة من فيه من عسكر السلطان ، بعد أن فتكوا بأميرهم المعروف بابن عوسجة ، واستدعوا الإمام ، فوصل إليهم وقبض الحصن ، وهذا فى حال محاصرته لصنعاء . ولما استولى عليه رجع إلى محطته .

وفيها أمر سلطان مصر بإبطال مقام الزيدية فى مكة ، وكتب إلى أمير مكة — وهو الشريف عطيفة بن أبى نمى — بإخراجَ رئيس الزيدية من مكة ، فأخرجه إخراجا عنيفا ، وكان يدعو للإمام محمد بن المطهر عقيب الصلوات جهرًا .

ودخلت سنة — ٧٢٤ —

فيها زالت دولة بنى رسول عن أكثر اليمن الأعلى ، ووقع الاختلاف بين عسكر المجاهد وأهل تعز ، فقصد المماليك الذين فى زبيد إلى ناحية تعز ، ووصل إليهم عمر ابن أيبك الدويدار من جهة عدن ، واجتمعت كلمتهم على حرب تعز . وأرسل ابن الدويدار المنجنيق إلى عدن ، فنصبه على حصن تعز ، وكان المجاهد فيه . ولم يؤثر المنجنيق فى الحصن شيئا ، وتغيرت أخشابه . وأراد المماليك العود إلى زبيد ، فشق الأمر على ابن الدويدار ، فبالغ فى تحريضهم على الثبات خوفا على نفسه من عقاب المجاهد ، إذا استولى عليه ، فاعتذروا عليه بنفاد ما فى أيديهم من النفقة ، فأعطاهم ألف دينار . واتفق أن المعازبة قصدوا مدينة القحمة فأخربوها وكانت ولايتها إلى الشريف داود ابن إدريس بن على الحمزى ، فسار إليهم بعسكره ، فقتل منهم طائفة .

ثم إن المجاهد استدعى الأشراف الحمزيين[1] والسليمانيين[2] لحرب المماليك الذين

(١) الحمزيون : بطن من بنى الحسن السبط باليمن ، وهم بنو حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن طباطبا الحسنى ، ويدعى بالنفس الزكية .

(تاج العروس للزبيدى ، كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ١ ص ٣٠١)

(٢) السليمانيون : عشيرة من قبيلة حويطات التهمة التى تمتد منازلها على شاطىء البحر حتى مدينة الوجه جنوبا .

(فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب . كحالة : معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٥٥٠) .

فى زبيد وأمدهم بمال عظيم ، فساروا إلى زبيد فى ألف فارس وألف راجل ، وخرج إليهم المماليك من زبيد إلى الكدراء ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزم المماليك إلى زبيد . وبلغ أصحابهم الذين فى تعز ما وقع فى الكدراء ، فانسلوا ورجعوا إلى زبيد . وسار ابن الدويدار إلى لحج .

وفى هذه السنة خرج الإمام محمد بن المطهر من صنعاء لمحاربة القلعة المعروفة الآن بطيبة فى وادى ظهر ، ويقال إنه كان اسمها فى الزمان القديم دَورم ، والقلعة التى داخلها تسمى السكمة ، وكانت فى هذا التاريخ لجماعة من بقية بنى حاتم بن أحمد ، وفيها عصابة من أهل ظلع ، فامتنعوا على الامام ، ولم يجد أصحابه إلى دخول القلعة سبيلا ، حتى دلّهم بعض الخبيرين إلى كهف فى بعض جوانبها ، فدخلوه ثم نقبوا منه إلى داخل القلعة ، فلم يشعر من فيها إلاّ بلمعان السيوف ، فاقتتلوا ، وعمل فيهم السيف حتى هلك أكثرهم . ومنّ الإمام على من بقى منهم ، وثبت بنو الحرث وهمدان على أموالهم .

ولما استولى الامام على هذه القلعة خاف منه الداعى على بن ابراهيم بن الأنف ، فبالغ فى شراء حصن من الحصون المنيعة يأويه ، وبذل الأموال الواسعة حتى ظفر بحصن كوكبان ، فتسلمه من نائب بنى رسول بعشرة آلاف دينار ، وجعل فيه خيلا ورجالا .

ودخلت سنة — ٧٢٥ —

فيها نهض الإمام محمد بن المطهر إلى بلاد ثلا ، وحشد الجموع لحرب الداعى ابن الأنف فى كوكبان ، فحصل بعض اختلاف بين الامام والأشراف ، وخشى الامام على صنعاء ، فرجع إليها فورا .

وفى هذه السنة خرج عمر بن الدويدار من لحج بجموع كبيرة لمحاربة عدن ، ونائبها فى تلك الحالة رجل من بنى الصليحى ، فوقع الصلح بينهما بعد المحاصرة الشديدة ، على أن ابن الدويدار يدخل إلى عدن بجماعة من عقلاء القوم ، فدخلوا وباتوا ليلتهم

يشربون الخمر ، فهجم عليهم النائب فقتلهم عن آخرهم ، وفر عسكر ابن الدويدار ، فقبض نائب عدن لجأ للسلطان .

وفيها أراد المماليك الذين فى زبيد عزل نائب المجاهد فى زبيد ، وهو رجل يعرف بالقصرى ، ويجعلون مكانه الشهابى ، فوقع بينهم وبين أهل زبيد اختلاف كبير بسبب ذلك ، وعامل القصرى جماعة من مشايخ الغوارين على قبض رؤساء المماليك ، فخرجوا عن زبيد قبل القبض عليهم ، ورجع الغوارون على دار القصرى ودور المماليك فانتهبوها ، وتوجه المماليك إلى قرية السلامة ، وطلبوا من الناصر ابن الأشرف القيام معهم فأجابهم ، ولم يزالوا يشنون الغارات على زبيد حتى قصدهم المجاهد من تعز ، بعد أن استدعاه مشايخ الغوارين . ولما وصل زبيد أرسل للناصر بن الأشرف ثم قبض عليه وأشخصه إلى حصن تعز تحت الحفظ ، فلم يزل فيه إلى أن مات ، ودفن فى مدرسة والده الأشرف فى معزية تعز .

وفى هذه المدة وصل أربعة أمراء من مصر ، بعثهم الناصر محمد بن قلاون بألفى فارس وألفى راجل إعانة للمجاهد على من خالفه من ملوك[1] اليمن ، فخرج إليهم المجاهد من زبيد بخاصة جنده ، فأخرجوا له صندوقا من ملكهم فيه خلع نفيسة ، وخيموا خارج باب الشبارق . ثم انتقل المجاهد إلى تعز ، وتبعه الجند المصرى إليها ، فساءت سيرتهم فى تعز ، وانتشروا فى ناحيتها ، وانتهبوا ما وجدوه فى أيدى الناس من طعام

---

(١) كان ارسال هذه الحملة الى اليمن بناء على طلب الملك المجاهد ، اذ ذكر المقريزى فى حوادث سنة ٧٢٥ هـ ما نصه ، « وسال الملك المجاهد صاحب اليمن انجاده بعسكر من مصر ، وأكثر من ترغيب السلطان (الناصر محمد بن قلاون) فى المال الذى باليمن . وكان قدوم رسله فى مستهل صفر . فرسم السلطان بتجهيز العسكر صحبة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، وهو مقدم العسكر .. »
(المقريزى : السلوك ، ج ٢ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٣١ ص ٥٨)

وغيره ، وأكثروا الفساد ، فضاقت منهم البلاد وقتلوا كثيرا من الناس بالضرب . وكانوا قد نهبوا مع مرورهم من تهامة قرية غلافقة ، وسبوا حريمها ، وباعوهن فى الأسواق كما يباع الرقيق . ولما استقروا فى تعز ونواحيها ، قصد أحد أمرائهم إلى الظاهر صاحب الدُّمْلُوه بكتاب فعله إليه صاحب مصر ، أمره فيه بموالاة المجاهد ، وتوعده إن لم يفعل ، فخادعه الظاهر ، وأجزل عطاءه ، وأوهمه أنه أنفع لصاحب مصر من المجاهد ، وأغراه بقبض المجاهد . فرجع ذلك الأمير إلى تعز ، وقد عمل فيه كلام الظاهر ، ففطن المجاهد ما أراده ، واستوحش منهم ، واعتذر عن مواجهتهم ، فطفقوا يعيثون فى البلاد ويكثرون فيها الفساد . وفى بعض الأيام خرجوا إلى صَبِر ، فقابلهم أهلها ، وقتل فى ذلك اليوم عدة مقاتيل . ثم أزمعوا على العود إلى مصر ، وقبضوا على الغياث بن نور الدين وذهبوا به معهم ، فبذل لهم فيه المجاهد مبلغا من المال ؛ فلم يقبلوه ، ولما وصلوا به تهامة قتلوه . وانتهبوا عدة قرى ، إلا زبيد فحيل بينهم وبين دخولها .

وبعد خروجهم من اليمن قصد المجاهد إلى عدن ، فامتنع عليه ، فخرج إلى زبيد ، ثم خرج إلى بلد المعازبة فأوقع بهم وأحرق مساكنهم ، واستعمل على المَهْجم ابن أخيه المفضل ، فخرج إليه . فلما وصل الكدراء قبضه عاملها بإشارة من المجاهد ، وسار به إلى المَهْجَم ، فعذبه بأنواع العذاب ، ثم قتله .

وفى هذه الأيام خرج الظاهر من الدُّمْلُوه إلى عدن ، فدخله وقتل عامله الصليحى ، وبسبب هذا الاختلاف بين المجاهد والظاهر ، ضعفت دولة بنى رسول ، وانقرضت عن أكثر اليمنين[1] .

ودخلت سنة — ٧٢٦ —

فيها سار المجاهد من زبيد إلى عدن ، فوقع بينه وبين الظاهر حرب فى قرية من قرى

(١) كذا فى المتن ، وربما كان المقصود باليمنين ، يمن نجد ويمن تهامة . وقد فرق الهمدانى بين مدن اليمن التهامية ومدن اليمن النجدية . (صفة جزيرة العرب ، ص ٥٣ ، ٥٤) .

عدن تعرف بالمياه ، قتل فيه من عسكر الظاهر قدر سبعين رجلا ، وقتل جماعة من أصحاب المجاهد . ووقع حرب آخر ، ثم ظهر من الأكراد — وهم معظم أصحاب المجاهد — ما يدل على الخدع ، فرجع إلى محل يعرف باللاحنة . وورد الخبر بقدوم الامام محمد بن المطهر وابن الأسد بجمع عظيم من الخيل والرجل إلى جهة عدن ، فاضطرب عسكر المجاهد ، وكثر كلام الأكراد فانقلب المجاهد راجعا إلى تعز ، وخرج الظاهر من عدن إلى سَمَدانَ ، ودخل الإمام وابن الأسد إلى عدن ، فأقاموا فيه أياما . ويقال إن المستدعى للإمام هو الظاهر ، والله أعلم .

ولما رجع الإمام من عدن صحبه عدة من التجار ، فتعرض لهم بعض القبائل فى أحد المراحل ، فانهزم عسكر الإمام ولم يبق سواه ، فثبت فى وجوه القوم ثباتا أبان عن حسبه الكريم وعنصره الصميم ، حتى ردهم على أعقابهم ، وتراجع إليه عسكره فأوقعوا بهم .

وفى هذه السنة تغلب يوسف بن عوسجة على ذى مرمر ، فبعث إليه الامام جماعة من شجعان أصحابه ، دخلوا عليه ليلا فقتلوه وجماعة من أقاربه . وفيها أمر الامام بإخراب حصن قرن عنتر . وفيها سار المجاهد إلى زبيد ، واستولى على حصن الشَرَف ، وأوقع بالفوارين تارة أخرى ، وتوجه إلى حَرَض ، لما بلغه خروج ابن أخيه الفايز أبو بكر ابن حسن بن داود بن المظفر عن طاعته ، فقبضه ، ثم رجع إلى زبيد .

ودخلت سنة — ٧٢٧ —

فيها تسلم المجاهد ، منصورة[1] الدُمْلُوه ، بمساعدة من رتبتها . ثم سار إلى عدن لحاصره ولم يزل الحرب بينه وبين أهل عدن سجالا .

(١) المنصورة : مدينة قبلى مدينة الجند ، على اميال منها ، بناها سيف الاسلام العزيز طغتكين بن أيوب سنة ٥٩٢ . وابتنى فيها قصرا كبيرا وحماما وبيوتا كثيرة للعسكر . (أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ص ١٠٣)

ودخلت سنة — ٧٢٨ —

فيها تسلم المجاهد حصن الدُّمْلُوه من رتبتها بستة آلاف دينار وهو يومئذ محاصر لعدن ، فبعث لقبضها الأمير طلحة . وحين دخلها أرسل بأم الظاهر وأخته ونائبه إلى تعز تحت الحفظ ، وتسلم المجاهد عدن بمساعدة من رتبتها أيضاً . ولما دخلها قتل عاملها وجماعة ممن يَختص به ، وبقى فى عدن أياما ثم رجع إلى تعز .

وفى هذه المدة قصد المعازبة إلى حافة الوَدْن[1] من زبيد ، فقتلوا جماعة من الأمراء . وفيها خالف الأمير عز الدين بن صالح نائب المجاهد فى حصن تعز ، وأخرج من فيه من العسكر ونهب بيت الزعيم ، وبيت ابن مؤمن ، والمدرسة الرشيدية ، وفيها أموال جليلة للتجار . ثم أنه كتب إلى المجاهد واعتذر مما فعل ، ثم خرج إليه وهو فى الجَنَد فأمر المجاهد بضرب عنقه وولده .

ودخلت سنة — ٧٢٩ —

فيها اجتمع أهل صهبان ، وأهل الشوافى ، ونهبوا مدينة ذى جبْلة ، وحصلت بينهم مع ذلك منازعة كبيرة وشقاق عظيم . وفيها قتل القاضى محمد بن أبى بكر اليحيوى ، والقاتل له غياث السنانى ظلما وعدوانا ، فقصده ابن منير صاحب صَبِر بجمع من قبائل جهته ، وقتلوا من أصحاب غياث السنانى عدة ، وأخربوا بعض بلاده ، وألجأوه إلى حصن من حصونه .

وفيها طلب العسكر الذين سلموا منصورة الدُّمْلُوه إلى المجاهد من الظاهر أن يمدهم بمال ورجال ليخرجوا منها أصحاب المجاهد ، فتغافل عنهم ، فأخربوا فيها دار السلطان وغيره ، وسبوا كثيراً من نسائها . وبلغ خبرهم إلى المجاهد وهو فى زبيد ، فأرسل الطواشى فى مائة وعشرين فارساً فأجلاهم عنها .

---

(١) الودنة : العركة ، بكلام أو ضرب (المعجم الوسيط)

وفى اليوم الثانى والعشرين من شهر الحجة كانت وفاة الامام المهدى لدين الله أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين المطهر بن يحيى رضوان الله عليه وسلامه فى حصن ذى مَرْمر ، ودفن فيه أولا ، ثم نقل إلى مؤخر جامع صنعاء ، فدفن فيه عند قبر السيد العلامة يحيى بن الحسين بن على بن الحسين ، رحمه الله تعالى . وبذل أهل صنعاء فى نقله من ذى مَرْمر مالا ، لشدة محبتهم له . وكان إماما جليلا عظيما نبيلا ، مدحه شعراء عصره كنصور بن عيسى سحبان التهامى وغيره .

ولما مات عليه السلام وثب الأشراف بنو حمزة على صنعاء فملكوها ، ولم تزل فى أيديهم إلى قيام الامام المهدى لدين الله على بن محمد فى التاريخ الآتى ذكره . واستولى الأشراف بنو تاج الدين على ذى مَرْمر ، فحاربهم الداعى على بن ابراهيم بن الأنف أياما ، ثم وقع الصلح بينهم على أنه يطلق إليهم كوكبان لقربه من بلادهم ، وهم يطلقون إليه ذى مَرْمر ، وثبت كل منهم على ما انعقد عليه الصلح .

﴿ تم القسم الأول بعون الله تعالى ﴾

تراثنا

غاية الأماني في أخبار القطر اليماني

تأليف

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمّد بن علي
(١٠٣٥-١١٠٠هـ ، ١٦٢٥- ١٦٨٩م)

تحقيق وتقديم
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

مراجعة
د. محمد مصطفى زياده

القسم الثاني

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة
١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م

ودخلت سنة — ٧٣٠ —

فيها كان قيام أربعة أئمة من أئمة العترة الزكية عليهم السلام، وهم على بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين، والإمام الأعظم المؤيد بالله يحيى بن حمزة، والواثق بالله المطهر بن الإمام محمد بن المطهر بن يحيى، وأحمد بن على بن أبى الفتح. فأما على بن صلاح فظهر فى بلاد شَظَب من أعمال السُّوْدَة. وأما الإمام يحيى بن حمزة فظهر فى جهات صنعاء، وبلغت دعوته بلاد الظاهر وصَعْدَة والشَّرَف، واستقر فى حصن هِران قبلى ذِمَار. وأما الفتحى فظهر فى بلاد سُفيان. وكان الإمام يحيى بن حمزة أفضلهم وأشرفهم عِلْماً وعملاً، له التصانيف المفيدة والمناقب العديدة، وسيأتى ذكر طرف من سيرته وتاريخ وفاته.

وفى هذه السنة وقع الصلح بين المجاهد والظاهر، واستمسك أمر المجاهد فى اليمن الأسفل، وغزا بلاد غياث السنانى فى اثنى عشر ألف مقاتل، فاستولى عليها وولاها. واستولى أيضاً على صَبِر وذَخِر، وقتل منهم يوسف بن عمر فى أربعمائة قتيل من أهل صَبِر، ولم ينج منهم إلا الضعفاء ومن لا يحمل السلاح. وأما ابن منير ففر بنفسه، ولم يزل يتردد فى الآفاق إلى أن مات.

وفيها نهض الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة إلى صنعاء بعدة من الأشراف آل يحيى ابن الحسن الحسينى، فبايعه أعيان الشيعة وعظماء أهل الحل والعقد، ثم تقدم الإمام إلى وادى ظَهر لمحاربة همدان الإسماعيلية. وكان الداعى على بن إبراهيم – وابن عمه عبد اللطيف ابن محمد بن حاتم – فى فده، فأقبلت إليهما عسكر همدان، وحصلت بينهم وبين الإمام وقعة عظيمة، قتل فيها عدة مقاتيل. واستمر القتال، فأقبلت الغارات إلى الإمام من ظَفَار وصَعْدَة، وكثرت جموعه، وجعل يحرض الناس على الجهاد والصبر على الجلاد، فتتابعت الحروب وعظمت الخطوب حتى ملَّ الناس الحرب وجنح الفريقان إلى الصلح.

ودخلت سنة — ٧٣١ — [إلى سنة ٧٤٦].

لم يقع الإطلاع على جميع ما وقع فى هـذه السنة، وما بعدها إلى سنة ست وأربعين

وسبعمائة ، سوى ما أشرنا إليه على سبيل الإجمال والاختصار ، فمن ذلك أن الملك المجاهد جهز عسكراً إلى المخلاف فاستولى على حصن حَبّ ، ثم بعد أيام قبض بقية الحصون المخلافية ، وأذعن له أهل تلك الجهة بالطاعة ، وتحير الظاهر بن المنصور فى سَمْدان، وتفرق عنه أصحابه وضاق به الحال ، فكتب إلى القاضى محمد بن مؤمن أنه يطلب له الأمان من المجاهد فأمّنه . وبعد مدة قدم الظاهر إلى تعز ، فأودعه المجاهد دار الإمارة بحصن تعز ، فلبث فيها تحت الحفظ إلى أن مات بعد قدومه إلى تعز بثلاثة أشهر .

وفى هذه المدة(١) حج المجاهد الحجة الأولى .

وفيها سعى بعض الوشاة بالقاضى عبدالله بن على إلى ابن مؤمن ، إنه وجد ذهباً دفيناً ، فصادره ابن مؤمن مصادرة عظيمة ، فكتب القاضى عبد الله بن على إلى المجاهد يشكو إليه فعل ابن مؤمن ، فأمر المجاهد جماعة ينزعونه من يد ابن مؤمن ، وقبض منه بسبب مصادرته للقاضى عبد الله بن على عشرة آلاف دينار . ثم شرع القاضى عبد الله بن على فى المكر بابن مؤمن بسبب ماجرى منه إليه ، فجعل يحرر خطه على خط ابن مؤمن حتى أتقنه غاية الإتقان ، ثم فعل كتاباً على لسان ابن مؤمن إلى بَعْدَان(٢) والشوافى وغيرهم، فيه قَدْح فى حق المجاهد وتحدى وإثارة فتنة ، فوقع الكتاب فى يد المجاهد ، فلم يشك أنه خط ابن مؤمن ، فأمر بقتله ، وأثمرت حيلة القاضى ، « والذين إذا أصابهم البَغْىُ هُم ينْتَصِرُون » .

وفى هذه السنين وقعت حروب عظيمة فى جهة حَرَاز بين همدان الإسماعيلية ، وأخرب شِبَام اليعابر ، فقصد صاحبها إلى بلاد الزيْديّة مستنجدا لهم على أعدائه ، فأجابه كثير من الأشراف والعرب ، ومنهم الامام المهدى لدين الله على بن محمد ، قبل دعوته الآتى ذكرها إن شاء الله ، وكان فى شبام حمير .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف فى هذه الفقرة غطى بعض الأحداث التى وقعت بين سنتى ٧٣١ ، ٧٤٦ .

(٢) بعدان : مخلاف باليمن يقال لها البعدانية من مخلاف السحول . (ياقوت : معجم البلدان) .

ولما وصلوا جهة حَرّاز، وقع بينهم وبين أعداء صاحب اليمابر حرب عظيم، كانت الدائرة فيه على الأشراف والعرب، قتل منهم خلق كثير، وتردى بعضهم فى الشواهق، ووقع فى الإمام على بن محمد جراحات كثيرة، فاندس فى الفيلا[1]، فالتمسه صاحب اليمابر فداواه حتى اندملت جراحاته.

وفى أبعاض هذه السنين تسلم المجاهد الحصون السُرْدُدُية، وضرب الدرهم الجديد[2]، وأمر بعمارة المدرسة المجاهدية فى مكة[3]، ووقف عليها وقوفات جليلة فى وادى زُبيد ومخلاف المَهْجَم.

وفيها خالف المعازبة على المجاهد[4]، فسار إليهم وأوقع بهم وقعة منكرة، وقطع نخلهم المعروف بالمدنى، وأخرب قراهم، وأهانهم إهانة شديدة، حتى جعل أمرهم إلى امرأة تعرف ببنت العاطف، فكانت تركب على جمل وتقودهم بأسرهم.

وفيها حج المجاهد الحجّة الثانية[5]، وأراد أن يكسو البيت الحرام، فلم يوافيه الأشراف بنو الحسن.

وفيها نزل سيل عظيم فى وادى زبيد[6]، هلك منه أمة من الناس والدواب.

وفيها خالف المؤيد بن المجاهد على أبيه، بسبب تقديمه لأخيه المظفر بن المجاهد عليه[7]، وكان والياً فى الُجثة[8] فاستولى على المَهْجَم، فأرسل إليه والده القاضى موفق

---

(١) كذا فى المتن ولعله يقصد الفيلة أو الأفيال المستخدمة فى الحرب

(٢) سنة ٧٣٦ هـ (الخزرجى: العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٦٥)

(٣) سنة ٧٤٠ هـ (الخزرجى: العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٦٨)

(٤) ذكر الخزرجى هذه الأحداث فى سنة ٧٤١ هـ
(العقود اللؤلؤية، ج ٢ ص ٦٩)

(٥) حدث ذلك سنة ٧٤٢ هـ (الخزرجى: العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٦٩)

(٦) حدث ذلك سنة ٧٤٣ هـ (المرجع السابق ص ٧٥)

(٧) حدث ذلك سنة ٧٤٤ هـ (المرجع السابق ص ٧٦)

(٨) الجثة، موضع قرب المهجم ومور فى جبل السراة باليمن
(عمارة اليمنى: تاريخ اليمن، ص ٤٢)

الدين والأمير سيف الدين الخراسانى فى عسكر ، فما زالا يلاطفانه حتى رجع إلى طاعة أبيه[1] .

ومن عجيب ما اتفق فى هذه المدة أن جاريه فى زبيد للأمير محمد بن الفخر ولدت مولوداً على سبعة أشهر ، وجهه وجه جَدْى ، وله قرنان وعينان فى وجهه وعينان خلفه ، وأذناه فى رأس كتفه ، وأنفه مُعوجة ، وله سن وناب وأربع أرجل ، فى كل رجل أربع أصابع ، وله من أمامه ذكر ومن خلفه فرج انثى ، فسبحان الصانع الحكيم ، لا إلَه غيره.

ودخلت سنة — ٧٤٧ —

فيها سار المجاهد من عدن إلى زبيد ، وخرج إلى النخل وشهد أيام السبوت التى ابتدعها أبوه ، ثم سار إلى الساحل ، فاجتمع المماليك إلى ابن أخيه الفائز أبى بكر ابن حسن ، وراودوه على القيام بالأمر ، فأبى عليهم ، فأجمعوا على قصد المجاهد إلى موضعه ، ومطالبته بنفقتهم لأنها تأخرت عليهم ، وافترقوا على هذا . فخرج إليه أحدهم وأخبره بما عزموا عليه ، فركب من فوره إلى النخل فى غير طريقه المعهودة ، وترك طائفة مع ثقله وحريمه ، ثم قبض على الفائز وأودعه السجن حتى مات .

وفى هذه السنة كانت وفاة الإمام ، علم الأعلام ، حُجّة الله على الانام ، المؤيد بالله يحي بن حمزة ، عليه وعلى آبائه الطاهرين أفضل سلام رب العالمين ، فى حصن هِران ، ونقل إلى مدرسة ذِمار ، فدفن فيها . وسيرته وكراماته وعلمه ومؤلفاته أشهر من الشمس ، فلا حاجة إلى ذكرها .

وقام بعده بأمر صنعاء الأميران الأخوان إبراهيم بن عبد الله وداود بن عبد الله ، فلم يزالا على عملهما حتى ثار الحَوَك فى صنعاء ، ودخلوا القصر . وكان الأميران فى الحمام ، فأتى إليهما بدرعاها فلبساها وخرجا من الحمام . واجتمع الناس إليهما ، فقتلوا

---

(١) كان رجوعه الى طاعة ابيه سنة ٧٤٥ هـ
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٧٧)

من الحوك بعضا وأسروا بعضا . وأصاب الأمير داود الفالج بسبب لبسه الدرع بعد الحام ، فاستبد بالأمر الأمير إبراهيم وأولاده . وداخل الأمير داود ما يداخل البشر الضعيف من الحسد لأخيه وأولاده ، فعامل جماعة من همدان ، واستحلفهم لولديه محمد وعبد الله ، ثم خرج من صنعاء . وثار الجماعة مع ولديه ، فوقف أحدهما فى باب الدار التى فيها عمه إبراهيم والآخر فى باب القصر ، حتى دخل الجماعة القصر ، وأخرجوا منه الأمير إبراهيم ، وملكا أمر صنعاء .

ودخلت سنة — ٧٤٨ —

لم يتفق فيها — ولا فى التى تليها — ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٧٥٠ —

فيها كان قيام المهدى لدين الله أمير المؤمنين أبو محمد على بن محمد بن على بن يحيى ابن منصور بن المفضل . وكانت دعوته المباركة فى ثلا ، فاجتمع إليه كثير من علماء الهدَوية ، وبايعوه فى يوم الخميس آخر يوم من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وتنحى له الامام الواثق بالله المطهر بن محمد المطهر بن يحيى ، وجعل إليه رسالة بليغة صرّح فيها بموالاته ، من جملتها : « إذا نحن بايعنا علياً ، فحسبنا أبو حسن ، مما يخاف من الفتن » ثم نهض الإمام عقيب دعوته إلى صنعاء فى ستمائة فارس ، فأقام محاصرا لولدى الأمير داود بن عبد الله المقدم ذكرهما ، ومن معهما من همدان ، مدة ستة أشهر ثم رجع إلى ثلا . وتوجه إلى صَعْدة لما استدعاه أهلها ، ووعدوه بالنصرة على الأشراف الحمزيين فدخلها ، وطرد الأشراف عنها .

وفى هذه السنة وقع الصلح بين الإمام والأكراد ذِمار ، وكانوا فريقين : بنى الأسد وبنى شكر . وتزوج ولده الناصر صلاح الدين محمد بن على بفاطمة بنت الأمير الأسد ابن إبراهيم الكردى ، فهى أم ولده المنصور على بن صلاح الدين .

ودخلت سنة — ٧٥١ —

فيها حج المجاهد الرسولى الحجة الثالثة ، وكان معه الشريف ثقبة ابن رميثة ، فخاف الشريف عجلان بن رميثة أن يولى أخاه ثقبة على مكة بعد خروج الركب المصرى منها ؛ فأغرى به أمير الركب الملقب طاز ، فأمسك المجاهد وسار به إلى مصر . قال الخزرجى[1] ، ما معناه ، ولقد بلغ هذا الخبر إلى زبيد عقيب وقوعه فى مكة بيوم أو يومين ، وتحدث الناس به يومين أو ثلاثة ، ثم سكتوا . قال ، ولا شك أن الذى تحدث به شيطان .

ودخلت سنة — ٧٥٢ —

فيها رجع المجاهد من مصر الى اليمن[2] ، فدخل زبيد ، ثم سار الى تعز فاستقر فيها . وطلبت منه والدته أن يطلق جميع من فى السجن من بنى رسول فأطلقهم ، واسكنهم قرية السلامة ، وهم ابن عمه محمد بن المنصور بن المظفر بن عمر ، وأحمد بن الناصر ابن عمر الأشرف ، وعمر بن حسن بن داود بن يوسف المظفر .

ودخلت سنة — ٧٥٣ —

لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٧٥٤ —

وفيها نهض المجاهد إلى المخلاف الجعفرى بخمسمائة فارس وعشرة آلاف راجل ، فاستقر فى ذى جِبْلَة ، وأحاطت عساكره بجبل بَعْدان من كل جانب ومكان ، فضاق

---

(١) العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٨٦ .

(٢) ذكر المقريزى بالتفصيل الأحداث التى انتهت بأسر المجاهد على بن المؤيد فى مكة ثم احضاره الى مصر ، وما كان من حياته فى مصر الى أن تم اطلاق سراحه والسماح له بالعودة الى اليمن .

(السلوك ج ٢ ص ٨٣١ وما بعدها) .

الحال بصاحبه أبو بكر بن محمد السيرى ، ومن عنده . وكان ذا دَهاءٍ وَمكرٍ ، فبعث رجلا على هيئة الفقراء[1] وأهل السياحة ، وأمره أن يقصد المجاهد فيستأذن عليه ، فإذا حصل عنده أخبره أنه بات تلك الليلة فى بعض المساجد ، وأن جماعة من أهل الشعر اجتمعوا فى ذلك المسجد . واتفق رأيهم أنهم يتركون الحرب حتى يستقيم، ثم يميلون على عسكر المجاهد ميلة واحدة . ففعل الرجل ما أمره به صاحب بَعْدَان ، فاستوحش المجاهد من أهل الشعر ، وكانوا من جملة الُجند ، فقبض على مشايخهم وأمرهم إلى التَّعْكر ، فثارت حفائظ أهل الشّعر ، وهجموا محطة المجاهد ، وأسروا بعض الأمراء ، وأحرقوا خشب المنجنيق ، فارتفعت المحطة ، وأثمرت حيلة صاحب بَعْدَان . ولما انتقض الأمر على المجاهد رجع إلى الَجنَد ، واضطربت عليه أحوال تهامة ، واستفحل فيها أمر المعازبة وغيرهم من عرب تهامة ، وكثر شرهم ، ونهبوا من المَهْجَم أموالا جزيلة ؛ وأحرقوه مع غيره من سائر مدن تهامة كالقَحْمَة والكدراء وفشال والتربية[2] ، ولم يبق فى يدّ المجاهد إلاّ زُبيد وحَرَضَ .

وفى هذه السنة استولى الإمام المهدى على بن محمد ، على ظَفَار الأشراف ، وأخرجهم عنه ، فلحقوا باليمن الأسفل .

وفيها وصل إلى الإمام وهو فى صَعْدَه الأمير الأسد بن إبراهيم الكردى ، مستنجداً به على بنى شكر الأكراد ، ونهض الإمام إلى ذِمَار ، ثم قبض على بنى شكر وأودعهم حصن هِران تحت الحفظ ، وقرّر بنى أسد على ما كانوا عليه ، وأقام الإمام وولده الناصر صلاح الدين محمد بن على فى ذِمَار ؛ وتولى الناصر عن أبيه تدبير الحروب ونظام الأمور ، على أحسن أسلوب .

---

(١) يقصد بالفقراء عادة فى المراجع المعاصرة الصوفية والمتدينين والصالحين. وقد جاء فى بعض المراجع « ان الفقر شعار الصالحين .. » أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك ، ص ١٦٤

(٢) التربية : قرية معروفة من قرى وادى زبيد
(الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٢٣)

لم يتفق فى هذه السنة — ولا فيا بعدها إلى آخر سنة اثنين وستين وسبعمائة — ما لا بد من ذكره(١).

ودخلت سنة — ٧٦٣ —

فيها خالف الأمير الشريف محمد بن ميكائيل على الملك المجاهد الرسولى ، وكان عاملا للمجاهد على بعض مخاليف تهامة ، فأراد السلطنة لنفسه ، وضرب السكة باسمه. وكذلك أولاد المجاهد المظفر والصالح والعادل خالفوا على أبيهم . وخرج المظفر من تعز بعد أن أفسد المماليك ، وهجم الاصطبل فأخذ ما فيه من المراكيب . وتوجه إلى عدن فى عدة من قبائل تلك الجهات ، فلم يظفر منه بما يريد ، فرجع إلى لحج ، وأوقع بالعامل فيه . وكان المظفر ابن المجاهد فتاكاً مهيباً ، فسار إليه أبوه المجاهد حتى وصل الحرَّة ، ثم جهز عليه الأمير بهاء الدين السنبلى فى عدد كثير من الأشراف الحمزيين وغيرهم ، فهزمهم المظفر وقتل منهم عدة .

ودخلت سنة — ٧٦٤ —

فيها سار المجاهد إلى عدن ، فمات بها فى يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى . وكان كأبيه فى الانهماك فى آلات الملاهى والشراب ، وفيه يقول شاعره من جملة قصيدة :

---

(١) جاء فى هامش المخطوطة أمام العبارة السابقة ما نصه :

« رأيت فى بعض النقول ما معناه : كان قتل الشريف على بن محمد المعروف بابن الجارية للقائد وهاس فى شهر جمادى الأولى سنة ٧٦١ فى المحالب ، ودخل الشريف المذكور المهجم فى هذا الشهر واقام فيه أياما ، وحفر خندقا على دار السلطان ، ثم خرج عن المهجم فأحرقتها العرب فى شهر رجب من السنة المذكورة ، والله أعلم » .

هذا ، وقد ذكر الخزرجى هذا الخبر مفصلا فى حوادث سنة ٧٦١ هـ .
(العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١١٢ — ١١٤)

فاستنطق الأوتار واشرب واسقني   فالكأس طالقة إذا لم أشرب

ولما مات، أجمع الحاضرون من أهل دولته على إقامة ولده الأفضل العباس بن على ابن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، ورأوا أنه الأصلح. وكان مع أبيه فى عدن، فخرج بوالده إلى تعز، فدفنه فى مدرسته يوم الجمعة أول يوم من شهر جمادى الآخرة.

وللمجاهد من المآثر مدرسة فى مكة المشرفة، ومدرسة فى تعز، ومسجد فى زبيد عند بستان الراحة، ومسجد فى قرية النويدرة (على باب زبيد)[1]، وهو الذى مَدَّن[2] ثمبات وسوَّرها، وبنى فيها المبانى العجيبة والمساكن الرحيبة.

ولما استقر الأفضل المجاهد فى تعز، بلغه أن الأمير محمد بن ميكائيل نهض من حَرَضَ إلى المهْجَم بجيش جرار. وقدم الشهاب بن سُمير إلى زبيد بسبعمائة فارس، فأحرب أهل زبيد، وقتل منهم جماعة، وأسر آخرين، ورجع إلى القَحْمَةَ. فجمع الأفضل ابن المجاهد أكابر دولته، وفرق فيهم الأموال، واستخدم الرجال، وجعل الأمير زياد بن أحمد الكاملى مقدماً على الأشراف والأكراد، والأمير بهاء الدين السنبلى على المماليك. فمروا بزبيد، ثم تقدموا إلى فَشَال، فأقاموا فيها أياماً، ثم قصدوا ابن سُمير ومن معه إلى القَحْمة، فانهزم، وقتل أخوه الأعور وكان فارساً شجاعاً. وقتل الأمير على بن داود بن عز الدين أحد أقارب ابن ميكائيل، واستولى عسكر الأفضل على القَحْمَةَ، فسار ابن سمير إلى ابن ميكائيل، وهو فى المَهْجَم، ثم سار الجميع إلى حَرَض، فاستولى عسكر الأفضل على المَهْجَم، وتوجه ابن ميكائيل إلى صَعْدة مواليا للإمام على بن محمد. وكانت بلاد الشَّرَف وحصونها فى يده، فقبضها الناصر صلاح الدين بعد أيام.

---

(١) ما بين الحاصرتين من العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ٢ ص ١٢٦)

(٢) اى حولها الى مدينة كبيرة.

ودخلت سنة — ٧٦٥ —

فيها كثرت الفتن واشتدت المحن فى تهامة ، منها فتنة القرشيين وغيرها ، وانتقل بسببها الفقيه الزاهد الولى الشهير أبو بكر بن محمد بن يعقوب المعروف بأبى حربة ، من وطنه إلى جبل نبهان — أحد جبال تهامة — بأولاده ومن يتعلق به . فلبث مدة ثم رجع إلى وطنه ، فتوفى ، رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ٧٦٦ —

فيها تجهز الأمير زياد بن أحمد الكاملى على المعازبة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة .

وفيها سار الأمير محمد بن ميكائيل من صَعْدَة إلى حَرَض فى عسكر عظيم ، فلقاه عسكر الملك الأفضل ، وقتلوا من أصحابه مائة وسبعين رجلا ، وانهزم بالباقين .

ودخلت سنة — ٧٦٧ — [إلى آخر سنة ٧٧٠]

لم يتفق فى هذه السنة — ولا فيما بعدها إلى آخر سنة سبعين وسبعمائة — ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٧٧١ —

فيها ـ وفى التى بعدها ـ وقع من الحوادث فى اليمن ما سنذكره ملخصا .فمنها أن أشراف حَرَض خالفوا على الأمير بهاء الدين الظفارى نائب الملك الأفضل ، ووصل إليهم من قبل الإمام على بن محمد الشريف إبراهيم بن يحيى الهَدَوى والأمير محمد بن ميكائيل بعسكر عظيم من الأشراف وغيرهم ، فحصروا الأمير الظفارى ، وما زال يقاتلهم حتى أسلمه أصحابه ، فطلب الأمان من الأشراف ، وخرج إلى اليمن . وكان الأفضل قد بعث القاضى محمد بن عمر الشريف والقاضى عمر بن محمد لقبض الخراج من تهامة الشامية ، فلما وصلا المَهْجَم بلغهما استيلاء الأشراف على حَرَض ، فكتبا إلى الأفضل وطلبا منه المادّة ، فأمدهم بعسكر قائدهم الأمير على بن إسماعيل بن إياس والأمير طغا الأفضلى .

وأقبلت جموع الأشراف إلى المَهجم فدخلوه ، وخرج منه أصحاب الأفضل إلى الكدراء ، فتبعهم جند الأشراف إليها ؛ فانتقل أصحاب الأفضل إلى القَحْمَة ، وفيها الأمير زياد بن أحمد الكاملى ، فقصدهم الأشراف إليها ، ووقع بينهم حرب شديد ، كانت الدائرة فيه على أصحاب الأفضل ، وقتل منهم القاضيان المقدم ذكرهما ، والأمير طغا الأفضلى وغيرهم ، وأسر الأمير زياد بن أحمد الكاملى ، وانهزم الأمير على بن إسماعيل بن إياس ببقية القوم إلى زبيد . فثار العرب حول زبيد للخلاف على السلطان ، واجتمع الغوارون إلى زبيد . ثم دخل مشايخهم على ابن إياس ، وسألوه أن يعطيهم مثل غيرهم من العسكر السلطانى ، فانتهرهم ، وأمر العسكر بالقبض عليهم ، ولم يكن عندهم علم بمن قد اجتمع من أصحابهم ؛ فلما قبض العسكر مشايخهم ، مالت عليهم الرعية كالسيل المنحدر ، فنهبوا العسكر ، وقتلوا أميرهم ابن إياس .

وأقبلت جموع الأشراف إلى زبيد ، فحطوا فى البستان الشرقى ، وتساق منهم الشريف يحيى بن حمزة الهدوى وجماعة من أصحابه إلى زبيد من سور المدرسة ، بمساعدة من بعض الغوارين ، فداروا فيها وجعلوا يتأملون مداخلها ، ثم أمروا مناديا فى المدينة ينادى باسم الإمام المهدى على بن محمد . وطلبوا من الغوارين فتح الأبواب لعسكر الأشراف ، فقال ابن العدنى — أحد مشايخ الغوارين — « الرأى يا شريف أنك ترجع إلى أصحابك وتتركنا هذه الليلة حتى نجتمع بأكابر البلد من الفقهاء والتجار ، فإن رضوا بكم فتحنا لكم وإن لم يرضوا بكم ، فيا سيف يا سيف ، ويا حجر ، يا حجر ، ويعطى الله النصر من يشاء » . فرجع الشريف يحيى ومن معه إلى أصحابهم ؛ فاجتمع أهل زبيد وعاتبوا الغوارين على ما فعلوه من قتل ابن إياس ، والإقدام على نهب المدينة ، وهى من مدن السلطان . فقال الغوارون « نحن عبيد السلطان وغلمانه ولا نرضى بغيره ، ولو رضينا بغيره لفتحنا للأشراف ، ولكنَّ من ذاك يصلح للقيام بحفظ المدينة ؟ » فقال لهم أهل زبيد « يصلح لذلك الأمير سيف الدين الخراسانى ، فإنه عبد السلطان » . فقصدوا الأمير سيف الدين إلى داره ، فأجابهم .

وظهر جماعة من أصحاب السلطان قد كانوا اختفوا فى المدينة خوفا على أنفسهم ، ومنعوا الأشراف عن دخول زبيد ، فافتتح الحرب بينهم ، وقاتل أهل زبيد قتالا شديدا ، حتى قتل منهم أربعة عشر قتيلا رمياً بالنشاب ، ثم انفصل القتال ، ورجع الأشراف إلى الكدراء ، وبعث الملك الأفضل إلى زبيد الطواشى أمير الدين أهيف[1] بعساكر كثيرة ، فخاف منه الغوارون ، وأغلقوا باب المدينة ، فحط فى البستان الشرقى ، وأظهر أنه غير قاصد دخول المدينة ، وأنه متوجه إلى الجهة الشامية لمتابعة الأشراف ، وإنما وقوفه لاستنهاض بقية عسكره . ثم طلب مشايخ الغوارين ، ولاطفهم وكساهم ، وألزمهم حفظ أبواب المدينة ، فأمنوا . ولم يزل يترقب غفلتهم عن حراسة الأبواب حتى أمكنته الفرصة ، ثم أمر جماعة من الفرسان بالتقدم إلى الباب فملكوه ، ثم أتبعهم الرجال ، وركب فى الأثر ، فصرخ الصارخ فى المدينة ، وكان يوما عظيما ، قتل فيه من الغوارين وغيرهم عالم كثير ، وانتهبت المدينة نهبا شديدا . ثم أمر الطواشى بالكف عن النهب ، وأعلن بالأمان لأهل المدينة ، ما عدا الغوارين فكان يُؤتى بهم زُمُراً ولا خطاب لهم إلا السيف ، حتى قتل منهم أكثر من ثلثمائة نفر .

ثم خرج الطواشى من زبيد قاصدا للقرشيين إلى العرقة[2] ، فقتل جماعة منهم رجلا يسمى محمد البابلى وكان فارسا شجاعا ، فاستنصر القرشيون[3] بالأشراف أصحاب الأمام وهم فى الكدراء بالغوارين من الجبل . واجتمع الجميع ، ثم قصدوا إلى زبيد ، والطواشى مقيم فى القوز . وكان يأمر أصحابه بالركوب والمسير إلى الأماكن البعيدة يتجسسون عن

---

(١) كذا فى نسختى المخطوطة ، وفى العقود اللؤلؤية ، للخزرجى (أمين الدين أهيف) (ج ٢ ص ١٤٤)

(٢) العرقة : موضع فى جبل السراة باليمن ، وقد ذكره محقق كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى (العرمة) بالميم وهذا مخالف لرسم اللفظ فى نسختى المخطوطة .

(٣) القرشيون : قبيلة من كنانة ، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قريش على ماذهب اليه جمهور النسابين . وهم بطون كثيرة . (القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٩٨) .

أخبار القوم . فساروا يوما إلى ناحية رِمَع[1] فثار عليهم الجم الغفير من الأشراف والقرشيين والغوارين ، فثبت لهم أصحاب الطواشى ، وأرسلوا إليه ، فأقبل إليهم مسرعا ببقية عسكره ، فانهزم الأشراف ومن معهم ، وقتل منهم قتلا ذريعا .

ورجع الأشراف إلى الكدراء حتى قصدهم عسكر السلطان تارة أخرى مع الأمير أبى بكر السنبلى ، فخرج بعض الأشراف إلى المَهْجَم ، ثم ارتفعوا منه إلى جبل مِلْحان ، فأكرمهم صاحبه العفيف بن الهليس[2] ، وأرسلهم إلى الأمير زياد بن أحمد الكاملى ، بعد خلوصه من أسر الأشراف ، ونهض الشريف إبراهيم بن يحيى المهدوى ببقية الجند إلى البلاد العليا ، وتقدم أمر السلطان إلى المَهْجم وحَرَض ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٧٧٣ —

فيها تجهز الأمير محمد بن إدريس بن تاج الدين الحمزى بطائفة من الأشراف لغزو حَرَض ، ولقاه الأمير محمد بن ميكائيل ، فخرج الأمير زياد بن أحمد الكاملى نائب الملك الأفضل من حَرَض ، واستولى عليه الاشراف ، وانتشر جندهم فى نواحيها ، حتى رجع إليهم الكاملى بجيش جرار وخزانة عظيمة ، فوقع بينهم حرب شديد ، قتل فيه الأمير محمد بن إدريس ومائة نفر من أصحابه ، وجُزت رءوسهم ، وأرسل بها إلى الأفضل وهو فى تعز ، وانهزم ابن ميكائيل ببقية الأشراف ، ورجع الكاملى إلى حَرَض .

وفى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة كانت وفاة الامام المهدى لدين الله على ابن محمد عليه السلام ، فى مدينه ذِمَار ، ونقله ولده الناصر صلاح الدين إلى صَعْدة بوصية من أبيه . ومن مآثر الإمام على بن محمد ، الزيادة المعروفة فى جامع جَدِّه الإمام الهادى

---

(١) رمع : بكسر أوله وفتح ثانيه ، موضع باليمن قرب غسان وزبيد (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) فى المخطوطة (ابن الهلس) والصيغة المثبتة مأخوذة عن العقود اللؤلؤية للخزرجى (ج ٢ ص ١٤٧) .

إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام فى صَعْدة ، والعمارة على المشاهد المقدسة ، وإصلاح البئر على يدى القاضى عبد الله بن الحسن الدوارى .

وكان القائم بعده بأمر الإمامة والرياسة العامة ، ولده الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن أمير المؤمنين على بن محمد ، سلام الله عليهم أجمعين ، فأجمعت الهدوية على إمامته ، وسارعوا إلى بيعته . وكانت بيعته فى ذِمَار ، وقيل فى ظَفَار . فدوّخ الأقطار ، وجاهد أهل البغى الأشرار ، وسنشير إلى طرف من سيرته على وجه الاختصار .

ودخلت سنة — ٧٧٤ —

لم يتفق فيها ما يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٧٧٥ —

فيها نهض الإمام صلاح الدين من ذِمَار بجيش جرار ، حتى وصل حَدَّة بنى شهاب ، وأقام الحصار على صنعاء ، فلم يزل الحرب بينه وبين الأمير عبد الله بن داود بن عبد الله ومن معه من همدان سجالا ، وقتل من أصحاب الإمام الشريف على بن المطهر ، وتقدم الإمام إلى ظلع صنعاء ، فأخرب بعضه ، ورجع إلى ذِمَار وأوقع بباطنية مَرْبِخ(١) وقعة عظيمة ، وقتل منهم عدة ، واستولى على بلادهم ، قراها وحصونها ، وأجلاهم عنها .

وفى هذه السنة كانت ولادة ولده على بن صلاح الدين فى مدينة ذِمَار . ولما أدرك المكتب نقله والده إلى ظَفَار فنشأ فيه ، وتعلم القرآن العظيم .

وفى هذه السنة قُتل الأمير زياد بن أحمد الكاملى فى الُجثة من نواحى تهامة ، والقاتل له رجل من العرب ، فى بيته غيلة . وفيها أيضاً قُتل الشيخ أبو بكر بن محمد السيرى صاحب بَعْدَان ، وأتى برأسه إلى الملك الأفضل . وفيها قُتل السيد الفاضل القاسم بن

---

(١) مربخ : بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الباء ، رمل بالبادية ، وذكر ياقوت اكثر من موضع بهذا الاسم فى شبه الجزيرة العربية (معجم البلدان) .

يوسف عامل الإمام على بلاد أنس ، والقاتل له بنو الروية ، وهو يتلو القرآن ، فقصدهم الإمام صلاح الدين إلى ديارهم ، وقتل منهم سبعين رجلا ، وأخذ منهم جملة من المال ، عقوبة لهم على عظيم فعلهم .

ودخلت سنة — ٧٧٦ —

فيها خرج الإمام من ذِمَار ، معيناً لصاحب بَعْدَان ابن الستري الذى قُتل أبوه المقدم ذكره . فوصل إلى الجَنَدَ ، وأقام فيها ثلاثة أيام . فاستخدم للملك الأفضل العساكر ، وكتب إلى قبائل اليمن السفلى بحفظ الطرقات ، ووعدهم بجزيل الصلات . ونمى الخبر إلى الإمام ؛ فانثنى راجعاً فى طريق غير التى سلكها فى مسيره . وكان حازماً ، حسن التدبير ، كامل العقل . ولما رجع إلى مستقر عزه ، وقع الخوض فى الصلح بينه وبين الأمير عبد الله بن داود صاحب صنعاء ، ومن عنده من همدان ، فتم الصلح .

ودخلت سنة — ٧٧٧ —

فيها سار الإمام صلاح الدين بالجيوش الجرارة ، والعساكر المختارة ، إلى ناحية تُهامة ، فدخل المَهْجر ، ثم أمر بإخرابها ، وتوجه إلى زُبيد ، وعاملها يومئذ من قبل الملك الأفضل الطواشى أمير الدين أهيف ، فخيم الإمام فى البستان الشرقى ثلاثة أيام ، ثم انقلب راجعاً إلى الجبال .

وفى هذه السنة وصل الأمير داود بن موسى بن خناجر إلى ناحية ذِمَار بعسكر كبير ، فقبض عدة حصون فى تلك الجهة ، وأخرب قرى كبيرة .

ودخلت سنة — ٧٧٨ —

فيها جهز الإمام صلاح الدين عسكراً عظيماً لمناجزة ابن حناجر ، فلم يظفروا به ، فنهض إليه الإمام بنفسه ، حتى وصل الحقل ، وخيم فى موضع مقابل لمحطة ابن حناجر ، ولم يبرح يرسل العيون والجواسيس إلى محطة ابن حناجر حتى أتوه بخبر افتراق عسكره ،

فانتهزَ الإمام الفرصة ، وصدم محطة ابن حناجر صدمة عظيمة ، وكان فيهم جماعة من الزيدية فوثبوا عليه قبل وصول أصحاب الإمام وأسروه . وانتهب عسكر الإمام ما فى أيدى القوم ، وقتلوا منهم جماعة . فجهز الملك الأفضل عسكراً قائدهم الأمير محمد بن على ابن إياس[1] لمنع عسكر الإمام عن التقدم إلى بلاده اليمن الأسفل ، فلم يزل ابن إياس يشن الغارات فى تلك الجهات ، ويبذل الأموال التى بها تملّك قلوب الرجال ، وعليه يقع القتال .

وفى هذه السنة خالف الشريف محمد بن سليمان بن مدرك صاحب حَرَض على الملك الأفضل ، ووافقه على رأيه جماعة من الأشراف ، فبعث إليهم الأفضل طائفة من جنده ، فقتلوا منهم جماعة ، واجتزوا رءوسهم ، وأرسلوا بها إلى مقام الأفضل .

وفيها خرج الأفضل من تعز إلى زبيد ، وسكن فى قصره المعروف بالخورنق ، ثم سار إلى وادى رِمَع للصيد . ولما رجع إلى زبيد ابتدأه المرض ، فاستدعى ولده الأشرف إسماعيل بن العباس بن على بن داود بن يوسف المظفر ، وعهد إليه . ثم مات فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ، فاتفق رأى الحاضرين من رؤساء الدولة وعلماء الشافعية والحنفية على إقامة ولده الأشرف المقدم ذكره ، وحُلّف له أمراء الجند ومشايخ العرب . واشتغل بتجهيز والده ، وسار به إلى تعز ، فدفنه فيها .

ومن مآثر الملك الأفضل جامع المملاح[2] خارج زبيد ، وإصلاح سور زبيد بعد أن تثلّم . وبنى مدرسة تعز بناحية الجبل ، ومنارة عجيبة المنظر ، فيها طبقة مربّعة الشكل وأخرى مثلثة الأركان فيها طبقة مسدسة ، ومدرسة فى مكة المشرفة مقابلة للبيت العتيق ، زاده الله شرفاً . وكانت له مشاركة فى علم النحو والأدب والإنشاء ، ومن مصنفاته كتاب

---

(١) ذكره الخزرجى « الأمير بدر الدين محمد بن اسماعيل بن اياس »
(العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٥٦)

(٢) المملاح قرية من قرى زبيد
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١٨٠)

« نزهة العيون فى تاريخ الطوائف والقرون[1] » وكتاب « بغية ذوى الهمم فى أنساب العرب وأصول العجم » وكتاب « العطايا السنية فى المناقب اليمنية[2] » وكتاب « دلائل الفضل فى علم الرمل » . واختصر تاريخ ابن خلكان ، وتاريخ السيد إدريس بن على الحزى المعروف بكنز الأخيار .

قال الديبع[3] فى كتاب بغية المستفيد ما معناه ، كان الملك الأفضل عالى الهمة شديد البأس، حازماً يقظاً نبيها ، فقيهاً ، معظماً للعلم وأهله ، فإن العلامة الريمى[4] لما بعث إليه بشرحه على التنبيه فى أربعة وعشرين مجلداً ، أمر أن يزف إليه كما يزف الأمير ، وحملت أجزاؤه في أطباق الفضة ملفوفة بأثواب الحرير ، وسار العلماء والأمراء بين يديه من بيت المصنف إلى الدار السلطانية ، وأعطى مؤلفه اثنا عشر ألف دينار .

وفى هذه السنة وقع الصلح بين الإمام صلاح الدين وهمدان ، وشرط عليهم ترك موالاة الأشراف بنى عبد الله ، وهم ولاة صنعاء وبلادها ، وكانت منقسمة فيما بين الأمير إدريس بن عبد الله بن داود وابن عمه الأمير داود بن محمد بن داود . ولما تقرر الصلح بين الإمام وهمدان دبر الإمام الحيلة فى أخذ صنعاء من أيدى الأشراف المقدم ذكرهم ،

---

(١) قال الخزرجى عن هذا الكتاب « لم يحذ على مثاله ولم ينسج على منواله وهو كتاب نافع جدا » (العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٥٨)

(٢) يحتوى هذا الكتاب على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها ووزرائها . (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٥٨)

(٣) وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى ، المعروف بابن الديبع المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ، وكتابه المشار اليه هو « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد » . وقد رجعنا اليه فى تحقيق هذه المخطوطة .

(٤) هو القاضى جمال الدين محمد بن عبد الله الريمى اليمنى الشافعى ، المتوفى سنة ٧٩١ هـ . قال الأشرف اسماعيل صاحب اليمن فى تاريخه : وفى غرة ذى الحجة سنة ٧٨٨ حمل الينا القاضى جمال الدين كتابه المسمى بالتفقيه فى شرح التنبيه ، فأمرنا أن يحمل على رؤوس المتفقهة ، وكان أربعة وعشرون مجلدا ، فحبوناه بثمانية وأربعين ألف درهم ، وحملت باطباق الفضة ملفوفة بأثواب الحرير والديباج .

(بغية المستفيد ص ١٣ ، كشف الظنون ، ج ١ ص ٤٩)

فخطب والدة الأمير إدريس بن عبد الله بن داود ، فأجابه الأمير إدريس إلى مطلبه، ورغب إليه ، وكرهه ابن عمه الأمير داود بن محمد . ثم تقدم الامام إلى المنظر خارج صنعاء، ووقع عقد النكاح ، وخرجت إليه والدة الأمير إدريس المعقود عليها ، فلبثت عند الإمام أياما ، ووعدها أنه سيعطى ولدها إدريس ما يرضيه، ثم رجع الإمام إلى ذِمَار وزوجته المذكورة إلى صنعاء .

وفى هـذه السنة وصل إلى الإمام بعد رجوعه إلى ذِمَار السيد الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن المطهر بن يحيي ، لبذل البيعة ، فأكرمه الإمام غاية الإكرام وأقطعه بلاداً ، وأعطاه حصن دروان حجة ، معقل أبيه وجده .

ودخلت سنة — ٧٧٩ —

فيها مات الأمير محمد بن ميكائيل ، وكان الإمام على بن محمد عليه السلام قد أعطاه حصن المفتاح وما إليه من بلاد الشَّرَف[1] ، فلم تزل فى يده إلى أن مات .

ودخلت سنة — ٧٨٠ —

لم يتفق فيها قضية ينبغى ذكرها .

ودخلت — سنة ٧٨١ —

فيها أخذ الملك الأشرف ابن الأفضل مدينة إبّ | أبّ | قهراً بالسيف ، وخالف عليه بعض العبيد ، وتأهبوا للقتال ، فأباحهم لعبيد السلاح والغلمان ، فقتلوا منهم جماعة، وفر الباقون .

وفى هذه السنة خالف المعازبة على الأشرف ، فجهز عليهم عسكراً من عنده ، وكتب

(١) كان السلطان الأفضل قد حارب نور الدين محمد بن ميكائيل — كما مر بنا — فهزمه وطرده من البلاد . وعندئذ لجا محمد بن ميكائيل الى الامام على بن محمد الهدوى فاكرمه وأعطاه حصن المفتاح .

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ١٦٦)

إلى عامل القَحْمَة وفَشَال بالانضمام إلى عسكره ، فأتوهم من كل جهة ، ولم يبق للمعازبة مهرب إلا البحر ، فغرق بعضهم وأسر الباقون واستأمن آخرون .

ودخلت سنة — ٧٨٢ —

لم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٧٨٣ —

فيها توجه الإمام صلاح الدين للمسير إلى صنعاء بخيله ورجله ، وعدته التي من جملتها بيت من خشب مفصل ، إذا رُكِّبَ دخله قدر مأتى رجل للمحاربة . فلما قرب من صنعاء أمرت زوجته أم الأمير إدريس ولدها المذكور أن يلْقَ الإمام . وكان الأمير ادريس ووالدته قابضين القصر ، والأمير داود بن محمد فى قصر الامارة بصنعاء ، فأراد الأمير داود بن محمد تأخير ابن عمه الأمير إدريس عن الخروج إلى الإمام ، فلم يسعده . ولما وصل إلى الإمام أمر بتقييده . وبلغ الخبر إلى الأمير داود ، فبادر إلى القصر فمنعته أم إدريس ، وأغلقت عنه باب القصر ، فخرج من صنعاء بأهله وولده وخيله وسلاحه إلى حصن الفَصّ الكبير[1] ، وكان فى يده ، وترك بقية أمواله وذخائره .

وبعد أيام سار (داود) إلى الملك الأشرف بن الأفضل الرسولى ، فقابله بالإكرام ، ولم يزل عنده إلى أن مات فى زبيد سنة ٧٨٨ . ولما خرج الأمير داود بن محمد من صنعاء على الوجه المذكور ، دخلها الإمام صلاح الدين دخولا معظما ، وأطلق الأمير إدريس بن عبد الله وأسكنه ووالدته مدينة صنعاء ، وقبض القصر . ويقال إنه لم يجتمع بأم إدريس فى ذلك الوقت ، وكان عالى الهمة شريف النفس ، فإنه لم يرد بتزويج أم هذا الأمير إلا التوصل إلى قبض صنعاء التى هى كرسى مملكة اليمن ، من غير قتال ونفاد أموال ، فلله دره ما أكمل تدبيره ، وأجزل رأيه .

---

(١) الفص : من حصون صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

ودخلت سنة — ٧٨٤ —

فيها ابتدأت الوحشة بين الإمام والأمير إدريس بن عبد الله ، فخرج الأمير إدريس إلى حصن بَراش خوفا من الإمام ، وقرر أمور الحصن المذكور ، ثم سار إلى الفَصّ ، واجتمع ببني عمه ، ثم نهضوا إلى صنعاء لمحاربة الإمام ، فلبثوا على ذلك مدة ، ثم اصطلحوا وسكنت الفتنة .

وفي هذه السنة زالت دولة بني قلاون من مصر بالجراكسة ، وأولهم برقوق الجركسي ، وسيأتي ذكر من طرف أخبارهم إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٧٨٥ —

لم يتفق فيها ما لابد من ذكره .

ودخلت سنة — ٧٨٦ —

فيها خرج الملك الأشرف إلى النخل من زبيد ، فقصده المعازبة بجمع عظيم ، ولقاهم جند الأشرف فهزموهم إلى الساحل ، وقتلوا منهم طائفة ، وغرق بعضهم في البحر ، وفقد منهم أهل بيوت كثيرة لم يبق منها أحد .

ودخلت سنة — ٧٨٧ —

لم يتفق فيها أمر يحسن ذكره .

ودخلت سنة — ٧٨٨ —

فيها — أو في التي بعدها — وقع من الفتن والحروب بين الإمام صلاح الدين وهمدان[1] ما سنذكره على وجه الاختصار ، إذْ لا سبيل إلى استكمال جميع الأخبار ،

(١) جاء في هامش الصفحة أمام هذه العبارة ما نصه :

« قيل ان نسب همدان القريبين من صنعاء يتصل بنزار بن معد بن عدنان ، ونسب دعاتهم يتصل بأمية بن عبد شمس ، وهم المائلون الى مذهب العبيديين . ولذلك =

فمن الأسباب الموجبة لنقض الصلح بينهم وبين الإمام أن حصن مُنِيف الذى فى وادى ظَهر كان بأيدى الأشراف ، وفيه نائب لهم رجل يسمى أحمد بن الطرماح الداعى . فجهز عليه الإمام رجلا من قواده يسمى زيد بن ناجى ، فحارب ابن الطرماح ورماه بالعرّادة حتى سلم الحصن المذكور . ثم أرسل ابن ناجى رجلين من أصحابه بالبشارة إلى الإمام ، فاعترضهما أهل حصن فده أصحاب الداعى عبد الله بن على ، فقتلوهما . ولما بلغ الداعى قتلهما أنكر على القاتلين ، وطردهم ، وبعث إلى الإمام بثمان رءوس من الخيل ، فقبض منها الإمام أربعا ، وأرجع أربعا . وأعرض الإمام عنه فى ذلك الأوان صفحا ، لاشتغاله بمحاصرة محمد بن حسن بن على بن إبراهيم الداعى وإخوته فى ذى مَرْمر . ولما طال عليهم الحصار أطلقوا الحصن إلى نائب الداعى عبد الله بن على ، وهو ابن عمه المتسمى بأبى طالب بن عبد المطلب بن محمد بن حاتم ، بعد أن بذل لهم فيه الإمام مبلغا كبيرا من المال فلم يقبلوه ، فكتب إلى الداعى يعزله عن مساعدتهم ، فلم يلتفت إلى قوله ، فكانت هذه القضية ، وقضية قتل الرجلين المقدم ذكرهما من أسباب النقض للصلح . فسار الإمام إلى ذِمَار ، ثم رجع منه بجند وافر وعسكر متكاثر ، وبلغه أن قد اجتمع فى المنقب من بلاد جُشَم قدر خمسمائة نفر من همدان ، فقصدهم بعساكره وجياده وبواتره[1] ، ووقع الحرب ، فلم يكن بأسرع من أن دخل عليهم جند الإمام وحكموا فيهم السيف الصمصام ، حتى أتى القتل على آخرهم ، ولم ينج منهم أحد . وكان يوما عظيما اضطرب منه اليمن بأسره ، وذلت رقاب همدان لما وقع بهم من عقاب الله وزجره .

= يقال لهم الدعاة ، وقد تقدم ذكر طرف من أخبار الصليحيين الذين شرعوا هذا المذهب فى اليمن ، وتظاهروا بالدعاة الى ملوك مصر . والفرق المائلة الى هـــذا المذهب متفرقة معظمهم فى همدان صنعاء ويام ، ومنهم فرقة كانت فى يريم وعراس وفرقة فى حراز . وقد أذهب الله مذهبهم الخبيث على أيدى الأئمة الكرام من أهل البيت الأعلام ، عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام » .

(١) المقصود بالبواتر السيوف الباترة أى القاطعة .
(المعجم الوسيط)

وبعد هذه الواقعة تقدم الإمام إلى بيت غُفْر فأراد أهله الامتناع فى حصنهم ، فرمى رئيسهم محمد بن عامر بسهم فأذعنوا بالطاعة ، وخرجوا من الحصن ، فأمر الإمام بإخرابه . ثم رحل إلى صنعاء ظافراً منصوراً ، وبعث فتاه منصور لمحاصرة ذى مَرْمر ، فلم يزل يحاربهم حتى ظفر بعشرة رجال من أهل الحصن خرجوا منه للمحاربة ، فقتلهم جميعا ، فجنحوا للصلح .

ودار الكلام فيه بين الإمام والداعى على يدى محمد بن جعفر الهبرى صاحب ظلع ، بأن الداعى يطلق الحصن إلى الإمام إلى مقابل تركه قتال همدان . وأرسل الداعى محمد بن جعفر الهبرى الساعى فى الصلح ، وهو من خواص أصحابه ، إلى نائبه فى ذى مَرْمر ، وهو ابن عمه المتقدم ذكره ، يأمره بالخروج من الحصن ، وإطلاقه إلى منصور عبد الإمام . فلما وصل الهبرى قريب الحصن ، قدم رسولا إلى النائب يشعره بوصوله ، فلم يأذن له بالدخول ، وأمر جماعة بإرجاعه وزجره ، فرجع وقد أصابته جراحة ، فلاطفه منصور ، وأمره بمعاودة القوم ، فلم تزل المراجعة تدور أياما حتى ترجح للداعى الدخول بنفسه إلى ذى مَرْمر ، وصمم على مساعدة أصحابه ، واستكبر . فأعاد الإمام المحطة كما كانت ، واستولى على فده والقلمة ، فأمر بإخرابهما . ثم سار الإمام إلى جهة الحقل وخُبَّان ، وعطف على حصن اؤلؤة[1] رُدَاع ، فتسلمه . ورجع إلى صنعاء ، ثم أمر بمحاصرة بيت أنْعُم حتى تسلمه . وكان الداعى قد أمدهم بابن عمه على بن نجم الدين ، فأمنه الإمام ، وأمن أهل الحصن جميعا ، وأمرهم أن يسكنوا جروف المنقب ويزرعون أموالهم .

وفى هذه المدة دخلت طائفة من همدان إلى القلمة المعروفة بطيبة فى هذا الأوان[2] ،

---

(١) اللؤلؤة : حصن قريب من الراحة
(الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٣٣٠)

(٢) يقصد المؤلف بهذه العبارة ان القلعة المذكورة عرفت باسم طيبة على أيامه ، وكان اسمها القديم دورم . كما ذكر المؤلف نفسه في حوادث سنة ٧٢٤ هـ .

ووصل إليهم جماعة من إخوانهم همدان مَذْحِج ، فخرج عليهم الإمام بجيشه اللهام[1] فاستولى على القلعة الجنوبية . والتجأ أهل همدان إلى القلعة القبلية ، فامتنعوا فيها . واستمر القتال ، وتوصل جند الإمام إلى أخذها بكل ممكن ، حتى أنهم قطعوا الأشجار من وادى ظهر ، وأرادوا أن يردموا بها القطع الحائل ما بين القلعتين ، فلم يستطيعوا ، لكثرة الرمى بالسهام من أهل تلك القلعة ، فرماها أصحاب الإمام بالمنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئا ، فاستناب الإمام على أصحابه زيد بن ناجى ، ورجع إلى صنعاء . وكان يركب إليهم أحيانا .

وفى خلال المحاصرة لهذه القلعة أشار بعضهم على الإمام أن يتخذ زحافه من خشب مسقفة يستتر بها المحاربون ، ويكون سيرها على عجل ، ويشحن فيها العروق الكبار ، حتى إذا وصل من فيها إلى قريب القطع ألقوا العروق عليه . ثم يعبر المحاربون عليها إلى القلعة . فأمر الإمام النجارين والحدادين بالخروج من صنعاء لإصلاحها ، فلما فرغوا ، خرج الامام بنفسه ودخل رجال من أصحابه فى تلك الزحافه ، فرماهم أهل القلعة بالعرادة حتى كسروا الزحافة ، وأصابوا جماعة ممن فيها ، وخرج منها بعضهم ، وتحير بقيتهم داخلها ، فلم يخرجوا منها إلا بأمان من أهل القلعة .

وتغير خاطر الإمام ، وقال فى ذلك المقام إن بنى حاتم كانوا على غير طريقه لمصير بيوتهم فى أيدى هؤلاء القوم . فقال السيد إدريس بن عبد الله إن بنى حاتم كانوا أهل رياسة وزعامة ، وهم ناصروا الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، فقال الإمام « نعم ، هم أهل الرياسة والحسب » . وكانت مدة المحاصرة لتلك القلعة سبعة أشهر ، قتل فيها عالم كثير ، ثم وقع الصلح على تسليم ذى مَرْمَر الإمام إلى مقابل تركه لهذه القلعه . ولما رفع الإمام محطته عنها اختلف الداعى عن تسليم ذى مَرْمَر ، وأراد الإمام معاودة

---

(١) جيش لهام اى عظيم ، يلتهم كل شىء (المعجم الوسيط)

المحطة ، فوقع الصلح على تسليم حصن ذَهَبَان[1] الإمام ، فرضى به تأثيرا المصلحة ، وهى صيانة الدماء وتسكين الدهماء .

وفى هذه الأيام وصل إلى الامام الشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المكرمى صاحب حصن خربان ، فباع من الإمام حصنه المذكور .

ودخلت سنة — ٧٩٠ —

فيها نهض الامام صلاح الدين لغزو حَرَاز ، فحط على بركة متنه ، حتى توفرت الجنود وتكامل الجمع المحشود ، ثم تقدم إلى محل يعرف بالعُجْز[2] من بلاد الأغمور ، وخيم فى واد لبنى مقاتل ، وقدم زيد بن ناجى بطائفة من جنده إلى شرق العيانة[3] . فلقاه الشيخ على بن عبد الله حبرش صاحب التعابر بمائة نفر من أصحابه إلى محل يعرف عند أهل تلك الجهة بالطلفاع ، والتجأ بنو مقاتل إلى قلعة الكبيزق ووقف جماعة منهم فى قرن ثُعل[4] . وأقبلت إليهم قبائل حَرَاز ، فوقع الحرب بينهم وبين أصحاب الامام فى مغربة زجاجة ، فلم يكن بأسرع من هزيمة أصحاب الإمام ، وقتل منهم جماعة ، وتبعهم أهل حَرَاز إلى الوادى ، فحالت حيل الامام بينهم وبين أصحابه المنهزمين . ورجع الإمام إلى صنعاء وترك قتالهم ، لعلمه أن بلادهم لا تؤخذ عنوة لصعوبة طرقها ، وعدم المجال للحيل فيها .

ودخلت سنة — ٧٩١ —

فيها قدّم الامام إلى تهامة جيشا عظيما فاستولوا على شاميّها ، وانضم إليهم قوم من

---

(١) ذهبان : موضع قريب من البحرين من نواحى زبيد باليمن
(ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) العجز . قرية عظيمة فى حضرموت من اليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٨)
(٣) عيانة بالضم . حصن من حصون ذمار باليمن
(ياقوت : معجم البلدان) .
(٤) ثعل : بضم أوله . موضع بنجد .

العرب ، وظهرت شوكتهم فيها ، وارتفع عنها عمال الأشرف الرسولى إلى زبيد ، وحصل إرجاف شديد ، حتى أمر الأشرف بحفر الخندق الثانى فى زبيد الذى ردمه الطواشى أهيف ، وافتقاد عورات السور . ثم إن الإمام نهض فى أمر جيشه المقدم ، ومعه من الأعيان السيد العلامة الهادى بن ابراهيم بن على بن المرتضى المعروف بالوزير ، فأقام فى حَرضَ أياما . ثم رجع من تلك الجهة فى ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فأرجع الأشرف عماله إلى الجهة الشامية ، وضاعف معهم العساكر والحراس .

وفى شهر جمادى من هذه السنة قصد الإمام إلى زبيد بجيش عديد ، فحط على رِمَع ، وانتقل أهل المملاح والنويْدرة إلى المدينة . وحصل مع أهل زبيد رعب شديد ، وطاف الإمام بها ، ثم جعل على كل باب طائفة من جنده ، فحاربوها من جميع جهاتها . ورمى أصحاب الإمام عسكر زُبيد بالنشاب ، حتى أزالوهم عن السور ، فتركوا القتال ، وافتسلوا[1] من وقع النبال ، فصرخت النسوان من كل مكان . ولم يجد أهل البيوت فى المدينة بداً من الخروج بأنفسهم ، والقتال على حريمهم وأولادهم ، فثبتوا فى السور وقاتلوا قتالا شديدا ، حتى رجع عنهم أصحاب الإمام إلى المملاح والنويدرة فأحرقوهما ، وتوجه الإمام راجعا إلى الجبال .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة جهز الإمام جيشا إلى جهة حَرضَ ، قائدهم الفتى منصور والأمير قاسم بن المهدى والشريف يحيى الباقر ، فلبثوا فى حَرَض أياما ، ثم ساروا الى المحَالب ، وفيها من عمال الأشرف رجل يعرف بالشمسى . وكان أصحاب الامام يظنون أنه قد ارتفع إلى المَهْجَم ، فلما بلغهم بقاوه فى المحالب قال الفتى منصور « الرأى رجوعنا إلى حَرَض حتى تأتينا مادة الامام » . فقال الشريف يحيى الباقر « إنهم لو قد رأوا وجه فارس منا ما وقفوا ، وأنا أكفيكم أمرهم » . ثم تقدموا كردوساً واحدا ، وخرج إليهم الشمسى وقد عبأ أصحابه تعبئة الحرب . فوقع القتال ، واشتد

---

(١) افتسلوا ، أى جبنوا وتفرقوا . (المعجم الوسيط)

النزال حتى انكشفت المعركة عن قتل الفتى منصور ، والأمير قاسم بن المهدى ، وولده، وعدة من أصحابهم ، وهلك كثير منهم بالعطش ، واستولى الشمسى على مامعهم .

ودخلت سنة — ٧٩٢ —

فيها سار الامام لمحاربة حصن الذرح[١] من بلاد الشوافى فاستولى عليه ورجع .

ودخلت سنة — ٧٩٣ —

فيها سار الإمام إلى جبل بَعْدَان ، فقتل من أصحابه عدة ولم يظفر به .

وفى شهر رجب من هذه السنة غزا الامام الى بنى شاور ، أحد مخاليف لاعه ، وبلاد قُراضة ، فأوقع بأهلها وقعة شديدة ، واستولى عسكره على ما بأيديهم ، وقتلوا أحمد بن زيد الشاورى ، وانتهبوا من بيته جملة أموال ، يقال ان أكثرها وديعة للناس . وكان أهل هذه الجهة على مذهب الشافعى ، فانتقلوا الى مذهب الهدوية فى ذلك الأوان . وربما بلغ الامام اجتماعهم ليلة النصف من شعبان ، وما يقع هنالك من حضور النسوان . وكان هذا الفقيه أحمد بن زيد قد نهاهم عن ترك مذهبهم الأول .

ثم رجع الامام من تلك الجهة فى شهر شعبان من السنة المذكورة ، فسلك طريقا ضيقة المسلك ، راكبا على بغلة له . فبينما هو سائر فى تلك الطريق إذ أقبل طائر فنقر وجه البغله ، فنفرت وألقت الإمام عن ظهرها ، فتعلقت إحدى رجليه فى الركاب ، فازدادت البغلة نفورا . ولم يستطع أحد من الحاضرين عند الإمام إمساك البغلة لصعوبة المحل ، حتى قرب أحدهم منها فأمسكها ، وقيل عقرها ، وخلص الامام . ثم حُمل إلى ظَفَار فلبث فيه شهر رمضان . وتألم بعض تألم من تلك السقطة ، ثم صح منها . ونهض إلى صنعاء فى شهر شوال من هذه السنة ، وهناك ابتدأه المرض ، فلم يزل كذلك إلى اليوم الثالث من شهر القعدة ، ثم مات رحمه الله تعالى . وأخفى أهله موته وجعلوه فى تابوت مجصص ،

---

(١) كذا فى المتن المخطوط . وكتبه محقق العقود اللؤلؤية للخروجى « الدرج » (ج ٢ ص ٢١٤)

وذكر ياقوت ذراح بفتح أوله وتشديد ثانية من حصون صنعاء اليمن .

ثم كتبوا إلى علماء صعدة ، ولم يصرحوا لهم بموت الامام وإنما رموزا إليهم رمزا خفيا . وسيأتى ذكر وصول القاضى عبد الله بن حسن الدوارى وغيره من علماء صَعْدة ، وما وقع بعد موت الإمام من الخطب العظيم .

ولما مات الامام عليه السلام ، لم يزل جسده الكريم فى ذلك التابوت إلى شهر الحجة آخر السنة المذكورة ، ثم نقل إلى قبته المشهورة فى مدينة صنعاء ، فدفن فيها ، فقبره هنالك ظاهر البركات دائم الكرامات .

قال السيد الهادى بن إبراهيم رحمه الله تعالى ما معناه ، خُطب للناصر صلاح الدين فى ينبع والصفراء[1] وحَلْى[2] وتهامة والشِّحْر ، انتهى .

قلت : وللإمام صلاح الدين عليه السلام مآثر ومفاخر ، منها إحداث مظاهير جامع صنعاء الكبير النهارية والليلية ، وفراشه . وكان فراشه من قبل الحصباء فقط . ومنها بناء الديوان الكبير فى قصر صنعاء ، ورصّه بأحجار المرمر المسبوك بالرصاص المذاب . ومن مبانيه العجيبة قصر ظَفَار الذى ليس له نظير فى قطر اليمن إلاّ القصر الذى بناه المؤيد الرسولى فى ثعبات . ومن محاسنه رفع المطالب التى أحدثها عمال الجَوْر على أهل صنعاء ، وإلزام علمائها نشر علم الحديث النبوى ، على صاحبه أفضل الصلوات والسلام ، واعتماد كتبه الصحيحة كالسنن والصحيحين . ومن علماء الحديث فى عصره العلامة سليمان الأوزرى الصَعْدى والشاورى وغيرهما . ووفد إلى صنعاء فى أيامه عالم من علماء مصر ، فقرأ عليه فى علم الحديث جماعة من أعيان أهل صنعاء كالقاضى إبراهيم ساعد وغيره . ولما اعترضه بعض فقهاء زمانه باعتراضات ، من جملتها ضرب المزامير التى تضرب مع الطبلخانه ، تولى الجواب عنه السيد العلامة الهادى بن إبراهيم ، بكتاب

---

(١) الصفراء ، قرية فوق ينبع مما يلى المدينة ، تقع فى وادى الصفراء ، وهو واد كثير النخل والزرع والخير
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) حلى : بالفتح ثم السكون ، مدينة باليمن على ساحل البحر .
(ياقوت : معجم البلدان) .

« كريمة العناصر فى الذب عن سيرة الإمام الناصر » ، وكتاب « كاشفة الغُمّة فى الذب عن إمام الأمة » وهو فى قدر مجلدين .

وكان الامام عليه السلام شديد الإنكار على المفسدين ، كبير الحمية على الدّين ، حتى كان يخرج فى بعض الليالى ومعه بعض أصحابه متغررين ، فيتفقد أحوال الناس ، ومن علم منه العكوف على ما يوجب الحد الشرعى أقامه عليه . وكانت ضربته النفسة وزن الدرهم الإسلامى ، عن ستة كبار من دراهم وقتنا هذا ، فضة خالصة ، ليس فيها نحاس البتة .

وبعد موته عليه السلام اضطرب أهل اليمن ، وكثرت فيه الفتن والمحن ، وانتشر الخلاف فى جميع الأطراف ، والسبب (فى ذلك) حداثة سن ولده القائم بعده ، وهو على بن صلاح الدين ، وعدم إحرازه لكثير من شروط الامامة ، مع وجود من هو أولى منه بها . وكثر المخالفون من الأمراء والسلاطين ، فإن أول من أظهر الخلاف الامير إدريس بن عبد الله بن داود ، والداعى ابن الانف صاحب ذى مَرْمر ، وقبائل همدان كالهبريين[1] وبنى مكرم وبنى حاشد وجشم ، وغيرهم من أهل خَوْلان ونِهم وذِيبان وبنى شهاب وسِنحان .

ولما وصل القاضى عبد الله بن حسن الدوارى وأولاده ، ومن معهم من أعيان صَعْدة ، كالسيد داود بن يحيى بن الحسين ، والسيد صلاح بن الجلال ، والشيخ اسماعيل بن عطيه النجرانى ، بعد أن قدموا كتبا إلى الوزراء والخاصة من أصحاب الامام صلاح الدين ، لم يزل القاضى عبد الله بن الحسن يُروّض أرباب البصائر ، ويستميلهم إلى بيعة ولد الامام ، لرأى رآه وعضده عليه خاصة الإمام من الوزراء والأمراء ووجوه الدولة ، خوفا منهم على ذهاب ما هم فيه من الرياسة إن قام غيره . فلما لم يساعده أعيان العلماء توقف ، وعمل برأى الجمهور ، فلواه عنه بعض من يعز عليه لأسباب يطول شرحها ، بل الأولى عدم

---

(١) هبرة : بطن من همدان من يام
(الحميرى : منتخبات فى اخبار اليمن ، ص ١٠٨)

ذكرها . ولما عرف أعيان علماء صنعاء ، كالسيد الفاضل الورع الكامل جمال الدين ابن أبي الفضائل ، والسيد الناصر أحمد بن محمد بن المطهر بن يحيي وغيرهما ، ما أجمع عليه القاضى عبد الله الدوارى ومن هو على مثل رأيه من إقامة ولد الامام ، انزعجوا وفزعوا إلى من يقوم بالإمامة ، فاجتمعوا فى مسجد جمال الدين المعروف فى مدينة صنعاء ، وعينوا على الامام المهدى لدين الله أحمد بن يحيي بن المرتضى بعد حديث طويل ، واعتذار حصل منه ومن السيدين المقدم ذكرهما ، حتى توجه الخطاب إلى من ذكرنا آنفا لاحرازه العلوم وكماله المعلوم .

وحين عرف أرباب الدولة ما وقع من بيعة الإمام المهدى لدين الله سارعوا إلى بيعة ولد الامام ، وتلقب بالمنصور بالله ، وأجابه كثير من السادة والشيعة ، كالسيد الهادى ابن إبراهيم وأخيه محمد بن إبراهيم ، والسيد على بن محمد بن أبي القسم والفقيه محمد ابن حسن صاحب السُّودَة [1] . ولفق القاضى عبد الله الدوارى كلاما فى صحة إمامة المقلد . وأما الإمام المهدى لدين الله أحمد بن يحيي ومن بايعه من العلماء ، فإنهم خرجوا عقيب البيعة بلا فصل إلى حصن بيت بوْس ، وأعلنوا هنالك دعوة الإمام المهدى لدين الله . وبلغ الخبر إلى صنعاء ، فخرج الجند منها أفواجا ، وأقاموا الحصار على بيت بَوْس ، ورموه بالعرادة ، وقطعوا ما حوله من الأشجار . وكان المنصور بالله على بن صلاح يركب إلى المحطة كل يوم ويعود إلى صنعاء . ولبثوا فى الحصار قدر ثلاثة عشر يوما ، وقتل من الفريقين عدة مقاتيل ، ثم انعقد الصلح على يدى القاضى عبد الله الدوارى على رجوع الإمام المهدى ومن معه إلى صنعاء .

ثم تبع المفاوضة فيمن يصلح للامامه ، فدخل المهدى ومن معه ، ولبثوا فى القصر من غير منع عن الخروج إلى المدينة . فاتفق عقيب ذلك خروج على بن صلاح إلى بلاد

---

(١) السودة : بتشديد السين وضمها وفتح الدال ، موضع فى أرض البحرين (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٨)

مَذْحج ؛ فخرج المهدى وأصحابه إلى جهة حَضُور ، فأجابه قبائل تلك الجهة ، ومال إليه السيد إدريس بن عبد الله ، ووصلت إليه الكتب من جهات كثيرة . وتوجه السيد على بن أبى الفضائل إلى ناحية الكميم من بلاد سِنْحان ، ودعا أهل تلك الجهة إلى بيعة الإمام المهدى ، ووعدهم برفع المطالب عنهم ، فأجابوه ، وأعلنوا بالخلاف على على بن صلاح الدين ، فقطعوا الطريق النافذة من صنعاء إلى ذِمَار ، وانتهبوا المسافرين فيها .

ودخلت سنة — ٧٩٤ —

فيها اتصلت الفتنة ، وتعاظمت المحنة ، ووثب أهل البلاد المَذْحجية على بعض حصون جهتهم ، وأخرجوا منه العامل . وبلغ الخبر إلى على بن صلاح الدين ، فاستخلف على صنعاء الأمير إبراهيم بن يحيى بمشارفة والدته الحرة الكاملة فاطمة بنت الأسد بن إبراهيم الكردى ، وخرج إلى جَهْران فبلغه أن أهل الجَرَشة[1] دخلوا حصن النواش[2] — فى بلاد عَنْس — عنوة ، وطردوا منه العامل ، وأن إدريس بن أحمد الفضيلى — صاحب منقدة[3] — أحد الشجعان المعدودين من أصحاب الامام الناصر صلاح الدين ، قتله أخوه شكر بن أحمد غيلة فى حمام ذِمَار ، حسداً له على منزلته ومكانه من الدولة . ولم يلبث قاتله بعده إلاّ اليسير ، ثم مات .

ولما بلغت هذه الأخبار إلى على بن صلاح توجه إلى ذِمَار ، فمكث فيه قدر عشرة أيام ، ثم خرج إلى حصن الرّبعة غربى ذِمَار ، فعزل عامله ، وجعل مكانه غيره ، ورجع إلى ذِمَار ، فبلغه خلاف أهل عَنْس ومن إليهم من قبائل تلك الجهة ، وأنهم أخرجوا

---

(١) ذكر ياقوت أن جرش بضم أوله وفتح ثانيه من مخاليف اليمن من جهة مكة (معجم البلدان) . وذكر الهمدانى أن جرش هى كورة نجد العليا وهى ديار عنز ، وأن بلادها جرشه وهى موطن لعسير من عنز (صفه جزيرة العرب ، ص ١١٧ ـ ١١٨)

(٢) النواش : من حصون اليمن . (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) المنقدة : قريتان من قرى ذمار ، يقال لاحداهما المنقدة العليا وللأخرى المنقدة السفلى . (ياقوت : معجم البلدان)

العامل وهو الشيخ محمد بن على المرهبي من رُدَاع ، فلم يخلص إلى ذِمَار إلا بعد الجهد . وبذل الأموال للقتال ، فنهض على بن صلاح الدين غازيا لرداع ، فلما وصل كولة عَنْس قابله أهلها ، فقتل منهم طائفة ، وقبض خيلهم وأسلحتهم ، وأراد النفوذ إلى رُدَاع ، فبلغه أن الشيخ طاهر بن عامر النائب على جهته من قبل الأشرف الرسولى قد دخل رُدَاع بمن معه من بنى ضرار[1] وغيرهم ، فانتهبها ، واستقر فيها .

وهذا الشيخ طاهر بن عامر أول من تسلطن من أهل هذا البيت ، وملك الأمر بالنيابه عن بنى رسول ، وستأتى أخبار أولاده وأقاربه وما ملكوا من اليمن عن قريب إن شاء الله تعالى . وكان الأشرف الرسولى يمده بالأموال والرجال ، ويأمره بمحاربة الإمام صلاح الدين ، فاستفحل أمره وبلغ به الحال إلى ما سيأتى ذكره . ولما بلغ على بن صلاح الدين استيلاء الشيخ طاهر بن عامر على رُدَاع كما قدمنا ، لم يحجم عن الإقدام عليه ، بل نهض مسرعاً إلى رُدَاع ، فانهزم عنه طاهر بن عامر إلى رِيام[2] ، وتفرق أصحابه فى كل وجه . وقتل على بن صلاح من بنى ضرار سبعة أنفار ، وهم قتلوا خاله حسن بن الأسد الكردى . ووصل إليه قبائل رُدَاع مذعنين له بالطاعة ، ثم تقدم إلى رِيَام ، فالتجأ عامر بن طاهر إلى الحصن ، ووقع بين أصحابه وعسكر على بن صلاح الدين حرب ، قتل فيه جماعة من الفريقين . ورجع على بن صلاح الدين إلى ذِمَار ، وأخرب مع رجوعه قرية الُجرَشَة ، بسبب إخراجهم للعامل من حصن النواش ، وقتل منهم عدة ونهب ما فى أيديهم .

وفى هذه السنة جمع السيد إدريس بن عبد الله بن داود جموعا من القبائل المخالفين

---

(١) بنو ضرار : بطن من جحاش ، من سعد بن ثعلبه بن ذبيان،من قيس بن عيلان ، من العدنانية .
(عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٦٦٦)

(٢) ذكر ياقوت أن رئام بكسر أوله موضع باليمن (معجم البلدان) وقال الخزرجى أن ذات ريام موضع من ديار ربيعة فى أرض السراة باليمن
(صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٣)

على على بن صلاح الدين ، كخَوْلان وهمدان وغيرهم ، وأثار الفتنــة حول صنعاء .
وكان يعترى فى الظاهر إلى الامام المهدى أحمد بن يحيى ، وفى الباطن يريد أن يملك صنعاء لنفسه ، كما كانت له ولابن عمه قبل دعوة الامام صلاح الدين . فخرج لحربه من أصحاب على بن صلاح الدين السيد محمد بن يحيى المدوى ، والسيد محمد بن على بن محمد ابن أبى القاسم ، والفتى ريحان — أحد عبيد الناصر صلاح الدين — بجمع كبير .
فوقع بينهم حرب عظيم ، فى موضع يعرف الحتارش ، قتل فيه من أصحاب على بن صلاح الدين السيدان الأميران محمد بن يحيى ومحمد بن على . وحمل السيد محمد بن يحيى إلى صنعاء ، فدفن فى قبة الامام صلاح الدين . وللسيد العلامة على بن محمد بن أبى القسم مرثية عظيمة فى هذين السيدين ، وقد يكون قتلهما فى غير هذا الموضع وغير هذه السنة ، كما يفهم من عبارة بعض المؤرخين ، والله أعلم .

وفيها استولى أهل همدان على حصون بلادهم ، كالقلعة وفده وحصن بيت أنْعُم ولؤلؤه . وكانت فده فى يد بعض الأشراف أولاد يحيى بن الحسين ، فباعها منهم .
وأما حصن بيت أنْعُم فأخذوه قهراً ، وقتلوا من فيه من عسكر الدولة . وكذلك بنو الحارث أخذوا حصنهم مُنيفاً . وقويت شوكة أهل همدان ، فتجهز عليهم الفتى ريحان الناصر ، فأوقع بأهل ظلع هبره[1] وقعة منكرة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وانتهب جميع ما فى قراهم من المواشى وغيرها . ثم تقدم إلى وادى ظَهر بطائفة من الخيل والرجل ، فأقام فى القصر[2] وحجر عطشان[3] ، ووقعت بينه وبين همدان حروب كثيرة . ووصل على بن صلاح الدين من ذِمَار إلى صنعاء ، ثم خرج مغيراً على ريحان إلى قريب فده ،

---

(١) ذكر الخزرجى ان هيرة — ولعله هبرة — موضع فى مخلاف ذى رعين باليمن (صفة جزيرة العرب ، ص ١٠١)

(٢) يوجد أكثر من موضع باسم القصر فى اليمن ، ولعل المقصود هنا قصر الحميدى من بلد همدان (المرجع السابق ص ١١٠)

(٣) يوجد أكثر من موضع باسم الحجر فى اليمن ، ولعل المقصود هنا الحجر فى بلد همدان باليمن . (الهمدانى : صفة جزيرة ، ص ١١٠)

وأرسل إليه ستين فارساً ، ثم رجع إلى صنعاء ، وسار منها إلى ذِمار . ولم يزل الحرب بين ريحان وهمدان سجالا ، حتى تكاثر جند همدان على ريحان ، فهزموه وأصحابه إلى صنعاء ، واستولوا على القصر وحجر عطشان .

وأما السيد ادريس بن عبد الله والداعى ابن الأنف ومن معهم من القبائل فعسكروا فى الرحبة والمنظر ، وشددوا فى المحاصرة لصنعاء ، وقطعوا المادة عليها من الجهة القبلية . ولبثوا على ذلك قدر ثلاثة أشهر حتى قل الطعام فى صنعاء ، وتضرر أهلها . وأهل بلادها منعوا ما عندهم من الحقوق ، وتغلب كل منهم على ما لديه ، وهكذا شأن الفتن فى كل زمن .

وفى شهر ربيع من هذه السنة أزمع على بن صلاح الدين على غزو باطنية أرْيَاب ، وكانوا فى قوة ومنعة بانضمام بنى شرحه[1] وأهل الشَّعر إليهم ، وكون محلهم جبل صعب المرتقى . فشق ذلك على أصحاب على بن صلاح لما ذكر ، ولكثرة المخالفين عليه ، وراودوه على الترك فلم يسعدهم ، بل قصد المحل المذكور ، فهيأ الله له أسباب دخوله والاستيلاء عليه فى أسرع وقت ، فاضطرب منه أهل اليمن الأسفل ، وخافوه لأن والده الإمام صلاح الدين لم يصل إلى هذا الجبل إلا بقوة عظيمة .

وفى هذه المدة وثب أهل حَضُور على عاملهم صالح بن مرزوق فقتلوه ، وانتهبوا الزكاة ، واستولوا على حصون بلادهم .

وفيها جهز على بن صلاح الدين فتاه ريحان فى مائتى فارس إلى جهة صنعاء ، لمحاربة المخالفين حولها ، فتقدم إلى ناحية ذى مرمر ، وخرج إليه السيد ادريس بن عبد الله ، والداعى ، ومن معهم من همدان وغيرهم . ووقع الحرب بينهم ، فكانت الدائرة فى أول اليوم على السيد ادريس وأصحابه ، فانهزموا وقتل منهم عدة ، وحمل ريحان

---

(١) شرح ، بفتح أوله وثانيه ، اسم ملك من ملوك حمير ، وهو شرح بن شرجبيل بن ذى سحر جد بلقيس بنت الهدهاد بن شرح ملكة سبأ التى ذكرها الله تعالى فى سورة النمل .

على السيد إدريس فطعنه برمحه ، حتى ألقاه عن ظهر فرسه . وتفرق أصحاب ريحان بعد المنهزمين من أصحاب السيد إدريس ، فعطف أصحاب السيد ادريس على ريحان فقتلوه ، وعادت الهزيمة فى أصحابه ، وقتل منهم جماعة . ورجع السيد ادريس والداعى إلى موضعهم ، ثم ساروا إلى البوْن ، فأجابهم قبائل تلك الجهة .

وفيها جهز الأشرف بن الأفضل الرسولى صاحب اليمن الأسفل مملوكه ابن الشمسى بعساكر كثيرة إلى اليمن الأعلى . فلما وصل أرياب بذل الأموال ، واستخدم الرجال ، وشن الغارات على ذِمار ، وخرج جماعة من عسكر ذِمار إلى محطته رغبة ورهبة . وأقبل الإمام المهدى أحمد بن يحيي والسيد على بن أُبى الفضائل الى جهران ، وانضم اليهم طائفة من الأشراف السليمانيين ، وقطعوا المادة من صنعاء الى ذِمَار . وعلى ابن صلاح الدين وَاقف فى قصر ذمار لم يرتع لهذه الحوادث الكبار ، حتى لقد راوده أصحابه على الانتقال من ذِمَار الى بعض الحصون فلم يلتفت الى قولهم . وكان شديد البأس . ولم يبرح كذلك حتى تفرقت عنه تلك الجموع . فأما ابن الشمسى فرجع الى بريم وأخربها ثم سار الى أرْياب ، ومنه الى اليمن الأسفل .

وأما الإمام المهدى ومن معه فترددوا فى تلك الجهة حتى وصل الأمير إبراهيم ابن يحيي من صنعاء إلى ذِمَار بمال ورجال ، مدداً لعلى ابن صلاح الدين . واعترضتهم القبائل فى الطريق ، فدفعوا عن أنفسهم ، حتى بلغوا ذِمَار ، فتقوى بوصولهم على ابن صلاح الدين ، ونهض إلى وعْلان[1] ثم إلى عافش[2] . وكان الإمام المهدى وأصحابه فيه ، فوقع بينهم وبين على بن صلاح الدين حرب ، انهزم فيه أصحاب الإمام المهدى وتفرقوا . واستولى عسكر على بن صلاح الدين على عافش ، ونهبوا ما فيه . وتوجه

---

(١) وعلان : حصن باليمن فى ناحية ردمان ، وهو رثام .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) عافش : من أودية سهام ، أحد أودية آنس فى منطقة صنعاء .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٥٦)

الامام المهدى إلى بعض الجهات ، ثم تقدم على بن صلاح الدين إلى بيت برام ثم إلى بيت رَدْم ثم إلى رَيْمان ، وكان فيه قوم من همدان ، فأحربهم وقطع زروعهم وأخرب آبارهم . ثم سار إلى جهة ذى مَرْمر ، ورجع منها إلى صنعاء ، فاستقر فيها .

وأما السيد إدريس بن عبد الله فترجح له قصد الأشرف الرسولى ، يطلب منه المسادة بالمال والرجال ، لحرب على بن صلاح الدين ، فأمده بما طلب . فلما وصل الحقل أحجم عن القدوم إلى جهة ذِمَار ، ولبث فى حصن قُعيقعان[1] حتى نفد ما أمده به الأشرف ، ورجع أصحاب الأشرف إلى صاحبهم .

وفى هذه المدة استدعى الأشراف السليمانيون الإمام المهدى أحمد بن يحيى للوصول إلى جهتهم من ناحية جهران ، طمعاً فى ذِمَار مع غيبة على بن صلاح الدين عنه ، فسار إليهم . ثم نهض إلى رصابة ، ووصل إليه السيد على بن أبى الفضائل . وأراد التقدم إلى ذِمَار ، فوصل إليه على بن صلاح قبل خروجهم من رصابة ، فرجع الإمام المهدى إلى معبر[2] وترك فى رصابة السيد على بن أبى الفضائل . ثم أراد الإمام المهدى الخروج من معبر إلى جهة بنى شهاب ، فقصده على بن صلاح الدين قبل خروجه من معبر ، فالتجأ المهدى ومن ثبت معه إلى دار الشريف محمد بن مهدى بن قاسم السليمانى ، بعد أن خرج منها بنفسه . ومال جماعة من أهل معبر إلى على بن صلاح الدين فلبث فى مسجد معبر ، وأمر أصحابه بمحاصرة المهدى وأصحابه فى دار الشريف محمد بن مهدى ، واشتد القتال عامة ذلك النهار إلى أن غربت الشمس . وضاعف جند على بن صلاح الدين المحاربين على الدار حتى طلع الفجر وتكاثر عسكر على بن صلاح ، ثم حملوا على الدار حملة صادقة حتى دخلوها ، فقتلوا أكثر من فيها . وأسروا الإمام المهدى ، ومن أعيان أصحابه

---

(١) قعيقعان : بالضم ثم الفتح ، اسم جبل يبعد عن مكة اثنا عشر ميلا على طريق الحرف الى اليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) معبر : موضع فى مخلاف ألهان باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٤)

الشريف على بن الهادى ومحمد بن على العباس ، والفقيه سليمان بن ابراهيم النحوى ، والفقيه ابراهيم بن محمد الفضلى . ومن الأشراف السلمانيين عشرة أنفار . وبلغ القتلى إلى ثمانين رجلا من أصحاب الإمام المهدى ، فيهم من أهل بيت بوس عشرون قتيلا . وأخربت دار الشريف محمد بن مهدى ، وطرح القتلى فى بئر معبر ، وطُمت تلك البئر . ورجع على بن صلاح الدين بالإمام المهدى والأسارى تحت الحفظ إلى ذِمَار ، فدخله دخولا معظماً ، وقد اجتمع للنظر إليه وإلى الأسارى عالم لا يحصى ، من الرجال والنساء ، وكان يوماً عصيباً مشهوداً . ولما أسر الإمام المهدى كما ذكر ، دعا السيد على بن أبى الفضائل إلى نفسه دعوة ضعيفة ، ثم ترك الأمر والتجأ إلى حصن الكميم وجعل يحرض الناس على علي بن صلاح الدين .

وفى هذه السنة كان قيام الإمام الهادى إلى الحق المبين على بن المؤيد بن جبريل في هجرة قطابر[1] من بلاد خَوْلان صَعْدة ، وقيل بل كانت دعوته فى سنة ٧٩٦ . وأجابه من أعيان العلماء القاضى العلامة محمد بن حمزة بن مظفر والسيد العلامه أحمد بن داود بن يحيي بن الحسين ووالده السيد داود بن يحيي ، وكان ممن حضر مع القاضى عبد الله بن حسن الدوارى بيعة على بن صلاح كما تقدم . وحكى أنهما ندما على ذلك ، وأظهرا التوبة ، والله أعلم . وممن بايع الإمام الهادى السيد الفاضل أحمد بن على بن أبى الفتح ، والسيد محمد بن جبريل والقاضى العلامة يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان ، والقاضى العلامة أحمد بن سليمان النحوى ، والفقيه الفاضل محمد بن صالح الأنسى ، والفقيه العلامة محمد بن ناجى الحملانى ، وغيرهم . وبعد دعوته نهض إلى صَعْدة بجيش كبير ، وصُد عنها لأسباب يطول ذكرها ، فرجع إلى فلله ، واستقر بها .

وقد كان سبق مع قيام على بن صلاح الدين إقدام من أشراف صَعْدة على عاملها ،

---

(١) وردت بهذا الرسم فى المتن ، وذكر الهمدانى موضع قطابة قرب مخلاف صعدة من بلد خولان .

(صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩ ، ١١٣)

وهو رجل من أعيان أهلها يسمى حسن بن على الطاهر ، فقتله الأشراف طمعاً فى إمارة صَعْدة فلم يظفروا بها ، لأن القاضى عبد الله الدوارى أمر الجند فى صَعْدة بحفظ المنصورة وغيرها من حصون صَعْدة ، مع خروجه إلى صنعاء بعد وفاة الإمام القاضى صلاح الدين ، كما سبقت الاشارة إليه ، فلم يتمكن الأشراف من صَعْدة ، مع حفظ حصونها .

وفيها أيضاً خالف عَلَى عَلِيّ بن صلاح الدين أهل دروان الحقل من بلاد بريم . وخالف عليه أيضاً بنو شاور من بلاد لاعة ، وقصدوا حصن عفار[1] ، فاستنزلوا العامل الذى فيه — وهو الفهد الفضلى — وعضدهم أهل ميتك[2] والسَّوْد[3] وجبل عيال يزيد[4] وغيرهم ، واستولوا على الحصن المذكور .

وفى شهر رمضان من هذه السنة خرج على بن صلاح الدين من ذِمَار إلى صنعاء بالإمام المهدى أحمد بن يحيى وأصحابه الأسارى ، وهم نيف وعشرون رجلا ، مكبلين بالحديد على ظهور الجمال ، إلاّ الإمام والفقيه سليمان بن إبراهيم النحوى ، فجعلوهما فى محمل . ولما قربوا من صنعاء ، برز الناس للنظر إليهم ، ووقع من سفهاء أهل صنعاء وجهالهم من الشتم للإمام المهدى وأصحابه ماجرت به عادتهم . فقال الفقيه سليمان للإمام « أبرز إليهم بوجهك لعلّهم يكفوا عنّا ألسنتهم » فنظر إليهم وأشار بالسلام فكفوا واستحيوا . قلت وما أحسن ما اعتمده الإمام عليه السلام من التسليم عليهم ، عملا بقوله تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً[5]) . ولما استقر على بن صلاح الدين في صنعاء أمر بالإمام المهدى ونفرين من أصحابه إلى دار فى القصر ، وأجرى لهم الكفاية ، وأمر ببقية أصحاب الامام إلى السجن .

---

(١) عفار : موضع باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٥٤)
(٢) ميتك : حصن بهمدان
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢٢٠)
(٣) نقيل السود فى وادى سهام قرب صنعاء باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧١)
(٤) عيال يزيد : قرب دعان فى منطقة صنعاء .
(٥) سورة الفرقان ، آية ٦٣ .

ثم خرج على بن صلاح الدين إلى ذيفان لمناجزة السيد إدريس بن عبد الله ومن معه من همدان ، فالتجأ السيد إدريس إلى حصن الفَصّ ، وتقدم على بن صلاح الدين إلى عقبات[1] البوْن . وقد كان الأشراف آل يحيي بن الحسن بنوا فيها حصنين ، فامتنعوا منه بهما . ووصل إليه الشيخ داود الضربوة[2] صاحب ثلايطاب منه القدوم إلى محله ، فأجابه ، واعترضه في مسيره إلى ثلا جماعة من أهل الجنات وعمران ، فهزمهم ، وقتل منهم جماعة . ولبث فى ثلا أياماً ، ثم نهض إلى مُدَع لإعانة العامل فيه — وهو داود ابن الطهيف — على بنى وضاح المحاصرين له ، ففروا ، وأخربت قريتهم . وأقام على بن صلاح الدين أياماً فى مُدَع ، ثم رجع إلى صنعاء ، واعترضه فى رجوعه إليها السيد إدريس بن عبد الله وهمدان ، فلم يظفروا منه بشيء .

وفى شوال من السنة المذكورة خرج على بن صلاح الدين من صنعاء إلى ذِمار ، فاعترضه السيد على بن أبى الفضائل والأشراف السليمانيون وقبائل سِنْحان ، ووقع بينه وبينهم حرب شديد ، فهزمهم على بن صلاح الدين ، ودخل ذِمار . فلما استقر فيه ثار الشيخ طاهر بن عامر وبنو ضرار وقبائل مَذْحِج على عامل رُدَاع — وهو الشيخ عبيه ابن ثامر — فحصروه وقطعوا المادة عليه . فخرج على بن صلاح الدين من ذِمار مغيرا على عامله المذكور ، فلما قرب من رُداع قصده الشيخ طاهر فى ثلثمائة فارس ، وعسكر كبير ، فتحير عسكر على بن صلاح واضطربوا ، ووقف كل فريق فى موضعه . ثم تقدمت بعض خيل على بن صلاح الدين إلى أطراف جَنْب ، وقتلوا وانتهبوا ، وتظاهر الشيخ طاهر ومن معه بالهزيمة ، ثم عطفوا على على بن صلاح الدين من خلفه ، فأحاطوا به وبمن بقى عنده من أصحابه إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر . ووقع القتال ، واشتد النزال ، وحمى الوطيس ، وصدق جماعة من أنجاد أصحابه . ودارت عليهم

---

(١) عقبات : جمع عقبة وهو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه . وعقبات البون موضع باليمن .

(٢) كذا فى المتن ، وورد الاسم بعد ذلك ، فى حوادث سنة ٨٠٠ هـ (الظربوة) .

رحى الحرب وذبّوا عنه أشد الذب ، وهو فى موضعه لم يتحول عنه ، حتى انكشفت المعركة عن خمسين قتيلا من أصحاب الشيخ طاهر ، ولم يقتل من أصحاب على بن صلاح إلاّ رجل واحد رُمى بسهم ، وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم .

ودخلت سنة — ٧٩٥ —

فيها وصل الحجاج ، فأخبروا إنها أُلقيت كتب فى المقامات الأربعة نسختها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدى لدين الله ، خليفة سيد البشر محمد ابن عبد الله ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، إشارة وبشرى ، وتذكرة وذكرى ، إلى مكة أم القرى ، يدعو إلى رب العالمين ، بما ورد فى الكتاب المبين ، واستند إلى الصحيح من حديث سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله المطهرين ، أجيبوا إمامكم تجدوا الحق أمامكم ؛ فما دعوت إلى هذا الشأن حتى دعانى إليه الملك المنان ، فأجبته داعياً إليه ، راغباً فيما لديه ، فأتمروا لما أمرت ، والتزموا ما ألزمت ، وكونوا أيها الإخوان الأعيان كالبنان أو كالبنيان ، وعلى الحق أعوان ، « ولتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُون إلى الخَيْر ، ويأمُرون بالمعروفِ ، ويَنْهَوْن عن المنكر ، وأولئك هم المُفْلِحُون[1] ») قلت ويمكن إن هذا من بعض صناعات المتفيقهين ، والله أعلم .

وفى هذه السنة نهض على بن صلاح الدين من ذِمَار بثلثمائة فارس ، وعسكر كثير ، فلقاه السيد إدريس بن عبد الله ، والداعى ابن الأنف ، ومن انضم إليهم فى مائة فارس وأربعمائة راجل ، إلى بيْت حاضر ، فوقع بينهم بعض محاربة . وتقدم على بن صلاح الدين إلى صنعاء ، ولم يستقر فيها ، بل توجه إلى عمران . وقد اجتمع في تلك الجهة من الأشراف والعرب عدد كبير ، فوقع بينهم وبينه عدة وقائع ، ثم رجع إلى ذِمَار . ولم يزل يكرر الغارات إلى كثير من الجهات .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٤

ودخلت سنة — ٧٩٦ —

فيها خرج على بن صلاح الدين من ذِمَار إلى جهة رُداع، فوقع بينه وبين أهل تلك الجهة حرب، ثم صالحوه، فرجع عنهم إلى ذِمَار، وخرج منه إلى جهة صنعاء، فاعترضه أهل سنحان فى محل يسمى روب[1]، وهم زهاء ثلاثة آلاف نفر، فهزمهم. وتقدم إلى قروى[2] من بلاد خَوْلان، فاجتمع عليه من أهل خَوْلان زهاء خمسة آلاف نفر، فقتل منهم ستين رجلا، وهزم بقيتهم. ثم سار إلى مسيب[3] من بلاد حَضُور، وقد اجتمع فيه عدة من الأشراف، وأهل همدان، فحصل بينهم طرف قتال، وتوجه إلى البون، فبعث إليه صاحب ثلا مادة من الطعام. ثم رجع إلى صنعاء، فلم يلبث فيها بل رجع إلى عمران، فدخله قهراً بالسيف. وجموع الأشراف فى عقبات البوْن، فأعرض عن حربهم وسار إلى بلاد السَّوْد فأصلحها، ثم رجع إلى صنعاء، وتردد فى جهاتها. ثم سار إلى صَعْدة، فلبث فيها مدة، وعزل عاملها، واستخلف غيره باشارة من القاضى عبد الله الدوارى.

وفى هذه السنة قدم الشيخ العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى — مصنف القاموس المحيط — إلى مدينة زبيد.

ودخلت سنة — ٧٩٧ —

فيها نهض على بن صلاح الدين إلى بلاد الظاهر، وقد تظاهر أهله بالخلاف عليه، وهموا بقصده والمسير إليه، فعدل عنهم إلى ظَفَار، وترقب لدخول بلادهم وقتاً يكون

(١) كذا فى المتن، وفى العقود اللؤلؤية للخزرجى (الروبة) موضع باليمن (ج ١ ص ٣٨٨)

(٢) قروى : أحد أودية مخلاف خ لان .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٨)

(٣) مسيب ، موضع فى وادى الخارد بالجوف
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)

فيه الانتصار . ثم توجه إلى صَعْدَة ، فدخلها وطاف حصونها ، وقرر أمورها ، واستعمل عليها زيد الهنى ، ثم انفلت راجعاً إلى صنعاء ، وأخرج معه من صَعْدَة أكثر الأشراف ، لما يتوقع منهم من الشقاق والخلاف . ولما وصل دمَّاج من بلاد الظاهر اعترضتهم القبائل ، وأرادوا منعه عن صعود النقيل ، فسلك طريقاً أخرى ، وأمر طائفة من عسكره أن يقصدوا أولئك الأعداء ، فسلكوا طريقاً وعرة فى سفح الجبل ، فانهزم المجتمعون لحربه ، وتفرقوا . ثم لم يلبثوا أن أتوه مستسلمين ، فعفى عنهم ، وسار الى صنعاء ، وجموع الأشراف وهمدان معارضة له . ولما وصل صنعاء ، لم يطمأن فيها ، بل نهض الى ذِمَار ، ومنه الى جهة المشرق ، ولم يبرح فى غارات الى كثير من الجهات . وعلى الجملة فان شرح حاله وما قاساه من المشاق يطول ، ويفتقر الى أبواب وفصول .

وفى هذا العام وقع من الآيات الربانية صاعقة فى قرية من قرى مَوْر من ناحية تهامة تعرف بالدُّملة[1] وأحرقت كل دابة من دوابها ، ولم تضر أحداً من الآدميين ولا شيئاً من بيوتها ، فسبحان القادر على ما يشاء .

ودخلت سنة — ٧٩٨ —

فيها نهض على بن صلاح الدين إلى بنى شهاب ؛ فأخرب بيت حنبص وحصون حدّة وقبض بيت بِرَام . ثم دخل صنعاء ، وعزل قاضيه الفقيه على بن صالح الجرعى بسبب مكاتبة وردت منه إلى سلطان اليمن الأسفل تشتمل على تطميعه بملك صنعاء .

وفى هذه السنة أهدى على بن صلاح الدين لسلطان اليمن الأسفل ، وهو الأشرف الرسولى ، خمسا من جياد الخيل وخمسة أجمال من الأمتعه الرفيعة .

---

(١) الدملة : بضم الدال المهملة وتشديد الميم المفتوحة ، قرية من قرى مور باليمن . (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٢٨٧)
وكذلك (ياقوت : معجم البلدان) .

وفيها استولى على بن صلاح الدين على حصن البياض[1] ثم أسناف[2] وأخرب حصن المحاقرة[3] من بلاد سنْحان .

ودخلت سنة — ٧٩٩ —

لم يتفق فيها من الحوادث ما يوجب الذكر ، غير قصة وقعت فى قرية مُذَيَّح[4] المعروفة غربى مدينة صنعاء ، وهى أن رجلا من أهل تلك القرية خرج يوماً يرعى غنماً له فى بعض جبالها ، فدخل إلى كهف من كهوفه ، وإذا فيه رجل ميت ، ففزع منه الرجل وهاله مارأى . فرجع إلى القرية وأخبر جماعة من أهلها ، فساروا معه إلى الكهف ، فوجدوا رجلا ميتاً عليه سبعة أكفان ، وتحته رزمة من الثياب ، وعلى رأسه عمامة طويلة ، مستقبل القبلة بوجهه ، فى هيئة النائم ، أبيض اللون ، قصير العنق ، عريض الظهر ، طويل ، كل أصبع من أصابعه قدر شبر ، وطول ساقه قدر ذراع ونصف ، وساعده الأيمن تحت خده ، وكفه الأيسر على صدره ، وفيه ضربة فى وجهه وظهره . واعتقد عوام تلك الجهة أنه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، وذكروا أن رجلا زاره وهو أعمى فشفى ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٨٠٠ —

فيها نهض على بن صلاح الدين إلى بلاد سِنْحان ، لقبض الحتموق منهم بعد طول امتناعهم — كغيرهم — عن تسليمها ، فقرر أمورها ثم عاد إلى ذِمَار . فلم يستقر فيه حتى

(١) البياض : حصن باليمن من أعمال الحقل قرب صنعاء .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) أسناف : بالفتح ، حصن باليمن فى مخلاف سنحان (المرجع السابق)

(٣) المحاقرة : من قرى سنحان من أرض اليمن (المرجع السابق)

(٤) مذيح : قال ياقوت ان مذيح بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء ماء ببطن مسحلان (معجم البلدان) ، وفى صفة جزيرة العرب للهمدانى (ص ١٧٥) ان مسحلان موضع ذكره الحطيئة .

هذا وقد ذكره محقق كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى « مدبج » بالدال والباء ، وقال الخزرجى أنه جبل فى ناحية صنعاء (ج ٢ ص ٢٩٢)

بلغه أن عامل ذيفان يريد أن يطلق الحصن إلى السيد إدريس بن عبد الله ، فنهض مسرعاً إلى هنالك ، فاستنزل العامل من الحصن بأمان على يدى ابن الظربوة . ولما رجع على بن صلاح الدين إلى ذِمَار بلغه أن صاحب المحرنة نزع يده عن الطاعة ومال إلى سلطان اليمن الأسفل ، وتقوى بباطنية عراس واجتمعت كلمتهم ، فسار إليه بعسكره وحارب قُعَيْقِمان وعراس ودروان ، وقطع زروع أهل هذه المحلات ، ثم رجع إلى ذِمَار .

وفى آخر هذه السنة منع أهل البوْن — ومن يليهم من بلاد الظاهر — ما قبلهم من الحقوق ، فنهض إليهم على بن صلاح الدين بجيش عظيم ، وكانت هذه السنة ذات قحط فى الجانب الجنوبى من اليمن ، فصحب جيشه عالم من ذوى الحاجة رجالا و نساء . فلما وصل نقيل عجيب حاد عنه إلى الطريق اليسرى ، جرياً على عادة ملوك اليمن من اجتناب هذا النقيل و نَقِيل سمارة تشاؤماً بهما ، والأمر بيد الله تعالى ، لارَبّ غيره .

ولما دخل قرية خَمِر أمر بإخراب سورها وكثير من دورها فأُخربت ، إلا ما كان منها من الأساسات القديمة الحميرية ، فلم يمكن هدمها لقوتها ، وقد كان أهل خَمِر خرجوا عنها وتركوا ثمرتهم من العنب والزبيب والطعام ، فاستغنى المفلس من العسكر والفقراء . ثم تقدم على بن صلاح الدين إلى خَيْوان فأخربه ، ورجع إلى جبل عيال يزيد فأخرب المطلعة . ثم سار إلى السَّوْد فأذعن أهله بالطاعة ، واستعمل عليهم الشيخ على بن سعيد . ثم رجع إلى الجنات ، فأمر بإخرابها ، ووصل إليه وهو فيها أهل ثلا وكوكبان والطويلة وكحلان . ولم يلبث أهل السَّوْد أن قتلوا عاملهم المقدم ذكره ، بسبب أنه عنف عليهم فى المطالبة . وبعد قتله فروا عن محلهم ، فأمر على بن صلاح الدين بإخرابه ، وعاد إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٨٠١ —

فيها كان خروج الإمام لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى من سجن صنعاء ، بعد أن لبث فيه سبع سنين . وقد كان على بن صلاح الدين أمر بفك قيده وإكرامه والترفيه عليه فى ملبوسه وطعامه ، بشفاعة السيد الهادى بن إبراهيم بن على . وتحقيق

خبر خروجه أن السجانين — وهم أربعة أنفار من أهل الصَّيِّد[1] — مالوا إليه وأحبوه، فأخرجوه من باب القصر فى غمار الداخلين والخارجين، وقد نكر هيئته فلم يعرفه أحد. ثم أدلوه من سور المدينة ليلا وساروا معه إلى هجرة العين من ناحية ثلا، وفيها القاضى العلامة يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، وكان من المنحرفين عن على بن صلاح الدين، فسره وصول الإمام، وتلقاه بالإكرام. وأقبل إليه شيخ ثلا فأدخله مدينته، وبالغ فى رفع منزلته. وهكذا شأن الخُلَّص من شيعة الآل، لا يراقبون أحداً فى محبتهم لأهل البيت ولو كان فيها ذهاب الأنفس ونفاد الأموال.

وكان على بن صلاح الدين فى ذِمَار، فكثر كلام الناس، ووقع الإرْجاف، فكتب زعيم ثلا إلى صنعاء يهوّن عليهم الأمر. وبعد أن لبث الإمام فى ثلا أياماً توجه إلى بلاد المغارب، وتنقل فيها، فدخل مِسْوَر، ثم سار إلى ظَفير[2] حَجَّة، وأجابه أهل الشرف. وبعد أيام سار إلى نواحى صَعْدَة، واجتمع بالهادى على بن المؤيد فى فَلَله.

ودخلت سنة — ٨٠٢ —

فيها حصلت المفاوضة بين الإمامين الهادى والمهدى فى دخول مدينة صَعْدة، وكان أشرافها آل الهادى قد مالوا عن على بن صلاح الدين بسبب تخليده للباقر بن محمد بن الحسن فى سجن تَكَمُّص، فابتغوا الغوايل. ومال كثير معهم من أهل صَعْدة إلى موالاة الهادى على بن المؤيد، ونافسوا فى استيلائه على صَعْدة، خلا أن أمر الرياسة والحكم فيها للقاضى أحمد بن عبد الله بن الحسن الدوارى وغيره من أعوان على بن صلاح الدين، كالسيد الهادى بن ابراهيم وغيره، وأمْر المدينة بأيديهم، والجند على رأيهم. فترجح للمائلين إلى ابن المؤيد تقديم القبض على العُصاة بنى الدوارى ومن هو على رأيهم،

---

(١) بلد الصيد : فى وادى الخارد بالجوف باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)

(٢) ظفير ، تصغير ظفر ، وهو حصن باليمن مر شرحه ، ولعل ظفير حجة حصن فى حجة .

فدخلوا على القاضى أحمد بن عبد الله وأخيه يحيى بن عبد الله والسيد الهادى بن إبراهيم أبن على إلى مسجد الإمام الهادى عليه السلام ، فأسروهم ، وساروا بهم إلى بعض الدروب فتركوهم فيها تحت الحفظ . والتجأ الجند إلى المنصورة ، وحصلت روعة كبيرة فى صَعْدة ، وأقبل الإمامان من فَلَلَه على الفور فى عدة من الأشراف آل يحيى بن الحسن وغيرهم من قبائل خَوْلان ، فدخلوا صَعْدة . ووفد يوم الجمعة فاجتمع الناس للصلاة ، وترقب كل واحد من الإمامين تقديم الآخر له فى الخطبة ، فتأخر المهدى عن الصلاة حتى تقارب خروج وقتها ، فخطب الخطيب ، وأعلن بذكر الهادى بن المؤيد ، فلم يظهر من المهدى ما يوجب المشاقة ، بل بقى على عادته من ملازمة الهادى على بن المؤيد ، والمعاونة له ، مع كون الهادى سالكاً طريق المناصفة للمهدى ، ومعظماً لقدرة غاية التعظيم ، وله فى خروجه من السجن عناية كبيرة ، وكلاهما أعوان على علىّ ابن صلاح الدين .

ولما ملكا صَعْدة ترجح للاشراف الآسرين لبنى الدوارى والسيد الهادى إطلاقهم . فأما السيد الهادى فلم يطلبوا منه شيئا ، وأما بنو الدوارى فقبضوا منهم مالا ، وشرط لهم بنو الدوارى إطلاق صاحبهم الباقر بن محمد من تَلَمُّص بعد المسير إليه ، قصداً من بنى الدوارى للخلوص من صَعْدة والامتناع فى تَلَمُّص من الإمامين . ولما عرف الإمامان ما فعله الأشراف أنكروا عليهم ، لما كان الأمر بغير شعورهم .

وبلغ الخبر إلى صنعاء بدخول الهادى والمهدى إلى صَعْدة ، فسارعت الحرة الكاملة فاطمة بنت الأسد — والدة على بن صلاح الدين — بإرسال بعض العبيد ومن حضر من العسكر إلى صَعْدة ، وأمرتهم بالاهتمام فى المسير إليها . وكان الإمامان قد جعلا عيونا يأتون إليهما بالأخبار عن على بن صلاح الدين ، ومن يقدم من جهته ، لعلمهما بشدة إقدامه وصبره على معاوده السفر ومنع النوم بالسهر . فأتاهما الخبر بقدوم ذلك العسكر ، فاستغنيا بالجملة عن التفصيل وبالخبر عن العيان ، وخرجا من صَعْدة فوراً ، فتوجه الهادى إلى فَلَلَه ، والمهدى إلى بلاد الأهنوم ، وخرج منها إلى الخَيْمة ، ثم سار إلى ثلا ، فاستقر

فيه . وأما على بن صلاح الدين فانه كان مع ورود الخبر إلى صنعاء غائبا عنها ، فلذلك تولت والدته أمر التجهيز إلى صَعْده ، على أنها صاحبة الَحل والعقد فى صنعاء وأعمالها ، والناظرة فى كثير من الأعمال لكمالها . ولمـا وصل ولدها الى صنعاء أخذ فى التجهيز إلى صعدة بناء منه أن الإمامين باقيان فيها . فلمـا وصل بعض الطريق بلغه إنفصالهما صعدة فنفذ لوجهه ، واستقر فى صَعْدة أياما ، وأخرب فيها دور جماعة ممن مال إلى الإمامين . ووصل إليه قبائل خولان . وترقب الهـادى بن المؤيد قدومه عليه إلى فلله ، فلم يتعرض إلى ذلك ، بل رجع من صَعْدة ومعه السيد الهادى بن إبراهيم وجميع آل الدوارى بأهلهم وأولادهم ، لأنهم كرهوا المقام فى صَعْدة ، لمانالهم من المشقة والشدة ، ولم يبق منهم إلاّ القاضى أحمد بن حابس لاقامة الخطبة والحـكم .

ولما وصل على بن صلاح الدين إلى صنعاء لم يلبث فيها ، بل توجه إلى مغارب ذِمَار ، لمحاصرة عاملة الفقيه أحسن بن اسماعيل ، لمـا خالف عليه ، وتغلب على حصن كُبة . وكان هذا الفقيه عاملا بعد أبيه على تلك الجهة من أيام الامام صلاح الدين ، وقد اجتمع له مال كثير لاتصال ولايته بولاية أبيه وطولها . فلم يبرح على بن صلاح الدين محاصراً له حتى وقع الصلح بينهما ، فارتفع عنه إلى ذمار .

ووصل إليه كتاب من أهل قرية فى الَحقْل تسمى طيبة ، يطلبون منه الوصول إليهم لقبض بلدهم ، وكانت راجعة إلى ولاية سلطان اليمن الأسفل ، وفيها جماعة من أصحابه ، فطردوهم ، واستدعوا على بن صلاح الدين ، فسار إليهم من غير أن يطلب منهم رهينة . فلما أوغل فى تلك الجهة ، ثار عليه كمين من باطنية تلك البلاد ، فدافعهم ، وقتل منهم جماعة . وانتظر وصول المستدعين له فلم يصلوا ، وتألبت عليه باطنية عراس وكَحْلان وأرياب وآل حجاج ، فرجع إلى ذمار ، وقُتل من أصحابه جماعة حال الهزيمة ، وظهر أن أهل تلك القرية إنمـا أرادوا المـكْر به .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة مات الحسن ابن الإمام صلاح ، فى مدينة ذِمَار ، ودفن فى قبة الامام يحيى بن حمزة ، عليه السلام . ولم يعرف له من العقب إلاّ الشريفة

الكاملة فاطمة بنت الحسن ، وسيأتى طرف من ذكرها إن شاء الله تعالى .

وفيها ظهرت الجراد ، فطبقت أقطار البلاد ، وعم ضرها جميع البلاد . قال الخزرجى[1] حاكيا عن بعض أهل زبيد أنه نظر ثعبانا عظيما قد خرج من جُحره ، فأكل من الجراد حتى ثقل ، فانحطت عليه فأكلته . وحكى آخر أن ديكا وقعت عليه الجراد فأكلته ، حتى لم يبق منه إلا الريش ، فسبحان شديد البطش .

وفى هذه السنة خرج الفقيه محمد بن على من ذِمَار بأهله ، وكان يتولى بعض أعمال على بن صلاح الدين ، فلامه على تعميم الناس بالعطا والتأليف ، فاستعطفه السيد الهادى ابن إبراهيم ، ورجع إلى ما كان عليه .

وفيها أيضا خالف أهل السُّوْدَة ، وأخرجوا عاملها من الحصن ، فجهز عليهم على ابن صلاح الدين مملوكه مبارك بن عبد الله فى ثلثمائة راجل ، وأردفه بعسكر ، قائدهم مملوكه قاسم بن عبد الله سنقُر ، فأحاطوا بحصن السُّوْدَة من جميع جوانبه ، حتى تسلمه بعد أن قتل منهم جماعة .

ودخلت سنة — ٨٠٣ —

فيها ورد الخبر إلى أرض اليمن باستيلاء السلطان تيمور[2] صاحب بلاد المشرق على الشام ، بعد الحروب العظيمه والخطوب الجسيمة ، وانكسار جنود الشام ومصر

(١) العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٣١٤ .

(٢) يقصد تيمور لنك ، وهو ينتمى الى بيت من أشراف التتار ، ولد فى مدينة سمرقند ، وتألق نجمه فيها ، واتخذها قاعدة لأعماله التوسعية التى مكنته من الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان حتى استولى على مدينة تبريز سنة ٧٨٧ هـ (١٣٨٦ م) كما خرب الرها فى العام التالى . ثم استولى على بغداد سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ م) وخربها وقتل كثيرا من أهلها . وبعد أن غزا تيمور لنك الهند ، عاد ليغزو بلاد الشام ، فأنزل الهزيمة بجيوش المماليك ودخلت قواته حلب ثم دمشق سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) . وأخيرا تم الصلح فى العام التالى بين تيمور لنك والسلطان فرج بن برقوق وخرج تيمور لنك من الشام لينزل الهزيمة بالسلطان بايزيد العثمانى فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) . وكانت وفاة تيمور لنك فى سمرقند سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) .

عنه، لكثرة جنوده وشدة وطأته . ثم ارتفع عن بلاد الشام بعد ثمانين يوما، للقحط الحادث فيها .

وفي هذه السنة مات الملك الأشرف اسماعيل بن الملك الأفضل العباس بن على ابن داود بن المظفر يوسف بن عمر في مدينة تعز، ودفن في مدرسته الأشرفية التي بناها في ناحية عَدَينة[1] . وقام بعده ولده الملقب بالملك الناصر أحمد بن اسماعيل ابن العباس، فثبت على بلاد أبيه، وتنقل في مدن تهامه كالمَهْجَم وأبيات حسين[2] والمحالب وحَرَض، ووصل إلى جازان[3] .

وفيها نهض على بن صلاح الدين إلى رُدَاع، وتقدم منه إلى ردْمان، وطلب من الشيخ على بن طاهر بن عامر أن يطلق إليه قلعة المعسال، فأطلقها على كره منه، وأعطاه على بن صلاح الدين فرسا جوادا، وخلع عليه . وجعل في تلك القلعة أحد مماليكه . ثم سار إلى رِيام[4]، فاستولى عليه، وفيه الحرة شمس بنت الأسد بن إبراهيم الكردى، خالة على بن صلاح الدين، أخت أمه الحرة فاطمة بنت الأسد، وكانت تحت الشيخ طاهر بن عامر، وهي وولدها عامر بن طاهر، باقيان في رِيام . فسألت ابن أختها على بن صلاح الدين أن يتركها وولدها في رِيام، ففعل وأحسن إليها لموجب الرحامة . ثم رجع إلى ذمار، فبلغه حركة المشايخ بنو طاهر للخلاف، فعاود المسير إليهم، وأخرب بلادهم، ووقف في ناحية المعسال، فوفد إليه أهل الحدا[5] ورَدْمان، وطلبوا منه الأمان.

---

(١) عدينة : بفتح العين وكسر الدال، قرية بين تعز وزبيد باليمن .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) أبيات حسين : قرية من نواحي سردد، اشتهرت بأنها مركز للفقهاء والعلماء في اليمن .
(الخزرجي : العقود اللؤلؤية، ج ٢ ص ١٠١، ٢٤، ٢٠، ٨٢ . ج ١ ص ١٥٣، ١٦٦)

(٣) ينتهي كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي عند وفاة السلطان الأشرف اسماعيل سنة ٨٠٣ هـ .

(٤) ريام : كذا في المتن، ولعلها تخفيف رئام بكسر أوله، موضع مشهور في اليمن من الجاهلية (ياقوت : معجم البلدان)

(٥) الحدا : بلد في مخلاف رداع .
(الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص ٨٠، ١٠٢)

ووصل إليه الشيخ محمد بن طاهر بن عامر مستعذرا لأخيه على بن طاهر ، فقبل عذره ، ثم أخرب معاقل رَدْمَان ، لم يترك منها إلاّ المعسال والزهراء[1] ورِيام ، وتقدم إلى الحلقة من بلاد زُبيد — بضم الزاى — وهى المعروفة الآن بحلقة يافع ، ثم رجع إلى ذِمار .

وفى هذه السنة أمر على بن صلاح الدين بحفر غيل الأسْود ، عدْل صنعاء وإصلاح مجاريه ، بعد أن دثرت وتهدمت ، فظهرت المـاء ، وبلغت البستان وشَعُوب . وأصل مخرجه من قاع أرْتل تحت غيل الآف . وأما غيل البرمكى فإنه كان في هذا التاريخ عامراً ، وإنما أخربه عامر فى التاريخ الآتى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٨٠٤ —

فيها جهز الناصر أحمد بن اسماعيل الطواشى نظام الدين الخزندار على حصن زَبَمة ، فاستولى عليه .

وفى هذه السنة استظهر جُنْد على بن صلاح الدين على أهل حَرَاز ، وقتلوا منهم عدة ، واستولوا على كثير من حصونهم .

وفيها خالف عليه أهل مَصْنَعَة بنى جُوال[2] ، وطردوا عامله ، فسار إليهم ، على حصنهم ، فأخربه .

ودخلت سنة — ٨٠٥ —

فيها نهض على بن صلاح الدين إلى جهـة الظاهر ، فدخل بيت زود[3] واستولى على درب أثافث ، ودخل ظَفَار . ثم رجع إلى صنعاء ، وخرج منها إلى ذِمَار ، فوصل إليه بنو شرحة ، داخلين فى طاعته . فلما نهض سلطان اليمن الأسفل إلى ذى جِبْلة ، اضطربوا ، فأمدهم على بن صلاح الدين بفتاه قاسم بن عبد الله سُنقر ، وبلغه أن الاشراف

---

(١) الزهراء : حصن باليمن (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٠٧)
(٢) بنو جوال : بطن من راشد بن هلبا سويد بن جذام من القحطانية .
(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ١١٥)
(٣) بيت زود : موضع باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٠)

آل يحيى بن الحسن وهمدان متحزبون لحرب صنعاء ، فنهض إليها ، ووصل إليه بعض الأشراف ، تاركين للخلاف ، فأعطاهم عطاء وافرا ، وكثر الوفد إليه من كوكبان وثلا وبُكُر والطويلة وغيرها . واجتمع عنده من الخيل قدر أربعمائه فرس ، ومن الُجند عدد كبير ، فخرج بهم لحرب بقية الأشراف المخالفين ، ومن معهم من همدان . فأرادوا أن يلقونه إلى قاع المِنْجل(١) غربي صنعاء . فلما رأوا كثرة جيشه تأخروا عنه إلى جبل ظِلِع للقابل لقاع طيسان وبيت أنْعُم ، ووقف منهم جماعة فى المَصْنَعَة أسفل الوادى ، فأمر على بن صلاح الدين بإخراب ظِلِع ، وأقام الحصار على المَصْنَعة ، ثم تقدم إلى جبل مقامر المقابل لحصن فده ، وحصل بينه وبين المجتمعين عليه حرب ، انهزم فيه المجتمعون ، وقتل منهم طائفه ، فطلب الشيخ إدريس الهمدانى الصلح من على بن صلاح الدين ، فلم يجبه إليه . وأقام في ظِلِع قدر نصف شهر ، ثم غزا العرة(٢) ، فأخذها عنوة ، ورجع إلى صنعاء ، فوصل إليه مشايخ همدان بأمان وضمان ، وتقرر الصلح على أنهم يسلمون إليه حصن المنقب(٣) ومَصْنَعه ظِلِع . ثم خرج على بن صلاح الدين إلى المَصْنعة فأخربها ، وتقدم إلى ضَرَوَان ، فأخربه ورجع إلى صنعاء .

وفى هذه السنة أنشأ السيد الهادى بن إبراهيم جوابا على بعض من اعترض على على بن صلاح الدين ، بقلّة العلم ، فكان من جملة الجواب : أنه قد أحرز من العلم كتاب الله تعالى وتفسيره ، ونظر فى الحديث النبوى ومعرفة رجاله ، وما قيل فيهم من تعديل وجرح . وألف العبد محمد بن إبراهيم كتاب سماه « الحسام المشهور فى الذب عن سيرة الإمام المنصور » ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٨٠٦ —

فيها اضطربت أمور تهامه ، وعمت الفتنة الخاصة من أهلها والعامة . وثبت الأشراف

(١) المنجل : بالكسر ثم السكون . موضع بغربى صنعاء (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) العرة : موضع قرب الأشمور باليمن . ولذا يعرف باسم عرة الأشمور .

(٣) المنقب : حصن باليمن (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٣٩)

السليمانيون على حَرَض فملكوه . وثار المعازبة بنواحى زُبيد ، فأخافوا السبيل وعاثوا فى جوانبها . وتضاعفت أحوال مدينة عدن ، وانقطعت المراكب الواصلة إليها من الهند وغيره[1] .

قال الشيخ حسين الأهدل فى تاريخه ما معناه ، وهذا بسبب جور العمال ، وما استعملوه من قبيح الأعمال ، كالعكوف على الملاهى واللذات ، وشرب الخمور ، وسماع الغينات[2] .

وفى هذه السنة وصلت طائفة من همدان إلى قريب صنعاء ، فخرج جند على بن صلاح الدين فهزمهم إلى جبل مقامر ، وقتلوا رجلين من أعيانهم . ومكث السيد إدريس ابن عبد الله وابن الأنف فى بعض معاقل همدان ، وانقطعت عنهما فى هذه السنة مادة سلطان اليمن الأسفل ، فجنح السيد إدريس إلى مسالمة على بن صلاح الدين .

وفيها وقعت الهدنه بين على بن صلاح الدين وبين صاحب اليمن الأسفل ، وكذلك فيما بينه وبين همدان ، على مال يؤدونه إليه .

وفيها مات الشيخ على بن طاهر ، وكان من أكبر المعارضين لعلى بن صلاح الدين فى جهة رُدَاع كما سبق ذكره . وهذا على بن طاهر غير على بن طاهر الآتى ذكره ، فافهم .

وفى هذه السنة بعث الهادى بن المؤيد جماعة إلى نجران ، لقبض الواجبات ، فثار عليهم أصحاب على بن صلاح الدين ، فقتلوهم عن آخرهم .

---

(١) ذكر أبو مخرمة المتوفى فى القرن العاشر الهجرى معلومات طريفة عما كان يتعرض له التجار من معاملة قاسية عند وصولهم بسفنهم الى ثغر عدن « فاذا وصل المركب المرسى وأرسى ، تقدم اليهم نائب السلطان ، ويصعد المفتش ويفتش رجلا بعد رجل ، ويصل التفتيش الى العمامة والشعر والكمين ، وحزة السراويل وتحت الآباط .. وكذلك عجوز تفتش النساء .. »
كذلك ذكر كثيرا عن الضرائب القاسية التى كانت تجبى من تجار السفن الواصلين الى عدن . (تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ص ٥٨ وما بعدها)
(٢) أى الغوانى .

ودخلت سنة — ٨٠٧ —

فيها حصل اختلاف كبير بين يحيى بن كابس الجَنْبي صاحب عفار وبين بنى شاور ، فطلب صاحب عَفار المادة من على بن صلاح الدين ، فأمده بعسكر عظيم ، قائدهم الفتى قاسم بن عبد الله سُنقر ، وجهز الشيخ معوضه بن حسين إلى بلاد حَجَّه ، فأخذ حصن قَيْضان (قيظان) ، ورجع إلى صنعاء .

وفى شهر ربيع الأول من هذه السنة خرج على بن صلاح الدين من صنعاء إلى ذِمار ، وجعل أعمال صنعاء إلى قاسم بن عبد الله سنقر ، بمشارفه والدته الحرة فاطمه بنت الأسد ، فجهزت العبد المذكور إلى بلاد المصانع ، فانتزعها من يد داود بن الطهيف المتغلب عليها ، ولم يبق فى يده غير مُدَع .

ودخلت سنة — ٨٠٨ —

فيها غزا السلطان الناصر أحمد بن اسماعيل إلى بلد المقاطرة [1] ، فقتل منهم جمعا كثيرا ، وانتهب بلادهم ، وأخرب ديارهم ، وبلغ إلى مدينة دَثِينة [2] فى المشرق ، فدخلها قهرا بالسيف وأنهبها . ووصل إليه فى هذه السنة — أو فى التى قبلها — الشريف المنتصر ، فوصله بمائة ألف دينار .

ودخلت سنة — ٨٠٩ —

فيها سار الناصر الرسولى إلى جازان [3] ، فطلب منه صاحبها الأمان ، فأمنه من القتل ، وبعث به إلى زُبيد مع الأمير محمد بن زياد الكاملى . ثم سار إلى حَلْى فلقاه

(١) المقاطرة : قلعة حصينة من قلاع تعز ، على بعد عشرين كيلومترا جنوب شرق التربة . (الويسى : اليمن الكبرى ص ٣٠)

(٢) دثينة ، بفتح أوله وكسر ثانيه وسكون الياء ، موضع باليمن . (الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٣٥)

(٣) جازان : موضع فى طريق حاج صنعاء . (ياقوت : معجم البلدان) .

صاحبه إلى البِرك[1] بهدايا وتحف ، ومشى تحت ركابه ، وطلب منه العفو عنه ، وأن يجنب بلده معرة الجيش . ففعل ، وشرط عليه أن يقود فى كل عام خمسين فرسا ، فامتثل . ورجع الناصر إلى جازان ، فاستعمل عليها رجلا من أقارب عاملها الأول . ورجع إلى زبيد ، فاستشفع صاحب جازان المسجون ، بعلماء زُبيد ، وكان محبوبا عند الناس لكرمه ، فشفعهم فيه السلطان ، وأطلقه وخلع عليه ، وأعطاه عشرين ألف دينار ، وخمسين مملوكا ، وجدد له الولاية على بلده ، فعاد إليها مكرما .

ودخلت سنة — ٨١٠ — (إلى ٨١٥)

فى هذه السنة وما بعدها إلى سنة خمس عشرة وثمان مائه ، سكنت الفتن فى قطر اليمن . وتماسك أمر السلاطين ، وضعف حال المتغلبين . ولم يتفق فيها قضية غريبة يشتاق إلى سماعها الرجل الأديب ، ويتعظ بذكرها الحازم اللبيب ، إذ موضوع هذا الفن الاعتبار والتأسى بمن سلف من الأمم الكبار ، فى قديم الأعصار .

ودخلت سنة — ٨١٦ —

فيها سار الإمام المهدى أحمد بن يحيى من ثلا إلى جبل مَسْور المنتاب[2] فاستقر فيه ، وتزوج من السلاطين أولاد يوسف بن سليمان ، وأطاعه أهل تلك الجهة ، واستولى الأشراف آل حمزه على ثلا ، فحاربهم على بن صلاح الدين .

ودخلت سنة — ٨١٧ —

فيها سار الشيخ طاهر بن معوضه إلى الناصر أحمد بن اسماعيل ، فأكرمه غاية

(١) برك ، بوزن قرد ، ناحية باليمن بين ذهبان وحلى.
(ياقوت : معجم البلدان) .
(٢) المنتاب : حصن باليمن من حصون صنعاء .
(ياقوت : معجم البلدان) .

الإكرام ، وأمر أن يبنى له دارا فى المقرانة [1] ، فبنى له دارا سماها دار النعيم . قلت : وما كان أجدرها أن تسمى بدار الخطب المقيم ، إذ لا يحق هذا الاسم إلا لدار الخلود ، التى لا يدخلها إلا من أطاع الملك المعبود ، أرشدنا الله إلى طريق السلامة ، الموصلة إلى دار المقامة ، آمين .

ودخلت سنة — ٨١٨ —

فيها قصد على بن صلاح الدين إلى بلاد بنى طاهر [2] فاستعانوا بالسلطان أحمد ابن اسماعيل ، فلقى على بن صلاح الدين إلى موضع يعرف بالصرام ، فيه وقع الصدام ، فانهزم جند على بن صلاح الدين ، وقتل جماعة من أصحابه ، وتبعهم السلطان إلى وادى خُبَّان [3] ، ثم دخل المقرانه ، ونظر الدار المعمورة برسمه ، فأعطى البنائين عشرين ألف دينار ، وسار إلى بلاد العجالم . ثم دخل عدن ، ورجع إلى زبيد .

وفى هذه السنة خالف عليه أهل وَصَاب ، فسار إليهم ، وأخذ أربعين حصنا من حصونهم ، ورجع إلى حصن قوارير [4] فاستحسنه ، وبنى فيه القصور المشيدة بخشب الصندل .

ودخلت سنة — ٨١٩ — (إلى ٨٢١)

لم يتفق فيها ولا فى السنتين بعدها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٨٢٢ —

فيها خالف حسين بن اسماعيل الأشرف على أخيه الناصر ، وقبض زُبيد . فسار

---

(١) المقرانة : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بنو طاهر : من قبائل اليمن ، مقرها وادى الواعظات ، وهم فخذ من بنى قاصد من يافع . (كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٦٧٤)

(٣) خبان : وادى باليمن قرب نجران ، به قرية تعرف بنفس الاسم . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) قوارير : من حصون زبيد باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

إليه أخوه من تعز ، فقبض عليه وبعث به إلى حصن تعز ، فأحدث فيه حدثا . فنهض إليه أخوه الناصر من زبيد وحصره ، حتى نزل على حكمه ، فأمر به إلى سجن ثعبات ، وأودع أخاه يحيي بن اسماعيل حصن تعز ، فلم يزل فيه مسجونا إلى التاريخ الآتي ذكره . وأما حسين بن اسماعيل فإن أخاه الناصر أمر أن تُسمل عيناه ، ثم ندم على ذلك ، وصارت سبة فى بنى رسول .

ودخلت سنة — ٨٢٣ —

فيها قدم إلى اليمن رسول من عند ملك الصين ، بثلاثة مراكب مشحونة ، فيها من الهدايا العظيمة ماقيمته عشرون لكاً[1] من الذهب ، فاتصل بالسلطان الناصر أحمد بن إسماعيل . ولما دخل عليه لم يفعل كغيره من تقبيل الأرض ونحو ذلك ، بل قال له « سيدى صاحب الصين يسلم عليك ، ويوصيك بالعدل فى رعينك » فقال له « مرحباً بك ، ونعم المجىء جئت » . ثم أنزل الرسول دار الضيافة ، وبالغ فى إكرامه ، وكتب إلى ملك الصين كتاباً يقول فيه « والأمر أمرك والبلد بلدك » ، وأهدى إليه من الثياب السلطانية ، ومن الوحوش البرية ، جملة مستكثرة .

ودخلت سنة — ٨٢٤ —

فيها ارتفعت الأسعار فى قطر اليمن ارتفاعا عظيما ، وجاع الناس جوعاً شديداً ، وأنفقت أهل اليسار على أهل الأعسار نفقة عظيمة . يقال إن الفقيه الفاضل إسماعيل بن إبراهيم بن عجيل صاحب تهامة أطعم فى ليلة واحدة ثلاثة آلاف نفس ، تقبل الله منه .

ودخلت سنة — ٨٢٥ —

فيها قدم ولدا سعد الدين المجاهد من الحبشة إلى بندر البقعة منهزمين من المشركين ،

---

(١) اللك — فى العدد — عند أهل ايران والهند واليمن — مائة الف وعند المولدين عشرة ملايين . (المعجم الوسيط) .

ثم دخل زبيد ، فنهض إليهما السلطان الناصر من تعز ، فأكرمهما وجهزهما بمائتى فرس، وما يتبعها من آلة الحرب ، إلى وطنهما ، فقويت شوكتهما .

ودخلت سنة — ٨٢٦ —

لم يتفق فيها ما يحسن ذكره .

ودخلت سنة — ٨٢٧ —

فيها مات السلطان الناصر أحمد إسماعيل بن العباس فى حصن قوارير ، وحمل إلى مدينة تعز ، فدفن فيها .

قال الأهدل — رحمه الله — فى تاريخه ما معناه ، أحدث الناصر أحمد بن إسماعيل فى آخر مدته أحداثاً غير مستحسنة ، منها تقريب المبتدعة كابن الأنف الإسماعيلى والكرمانى الصوفى وغيرهما ، فضاقت منه صدور الناس ، وأولع بشرب الخمر ، وبئس الخاتمة .

قال بعضهم ولعل مراد الأهدل بالمبتدعة من المتصوفة ، هم الذين عملوا بالمتشابهات من كلام ابن عربى صاحب الفصوص[1] ، وهم فرقتان ، الأولى أخذت بظاهر كلامه فعطلت ، والثانية تناولت [باطن] كلامه ، كالكيلانى والرداد ومجد الدين الشيرازى صاحب القاموس وعلى بن أحمد الهندى وعمر بن يوسف المحرومى (الذى) ألف كتاباً سماه « العطا بالنور الوهبى عن أسرار جواهر ابن عربى » . ومن العلماء من اعترض عليه وغلطه كابن الخياط ، وإسماعيل بن أبى بكر المقرى ، ومنهم من توقف فى أمره كالسخاوى والأسيوطى .

---

(١) محمد بن على بن محمد ، أبو بكر الحاتمى الطائى الأندلسى ، المعروف بمحى الدين بن عرب ، الملقب بالشيخ الأكبر ، من أئمة المتكلمين فى كل علم ، له مدرسة فى مرسية بالأندلس ، وانتقل الى أشبيلية ، وزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ، واستقر فى دمشق وتوفى بها سنة ٦٣٨ هـ . له نحو أربعمائة كتاب ورسالة ، منها الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، والكتاب الأخير هو المشار اليه فى المتن ، وموضوعه التصوف ، نشره وشرحه الدكتور أبو العلا عفيفى (القاهرة ١٩٤٦) .

ودخلت سنة — ٨٢٨ —

فيها - أوفى آخر التى قبلها - اتفق وزراء السلطان أحمد بن إسماعيل الرسولى وأهل دولته على إقامة ولده عبد الله بن أحمد بن إسماعيل، ولقبوه بالملك المنصور .

ودخلت سنة — ٨٢٩ —

فيها خرج الملك المنصور إلى أبيات حسين من ناحية تهامة، فظلم أهل تلك الناحية ظلماً بينا، ثم رجع إلى زُبيد .

وفى هذه السنة تسلم على بن صلاح الدين حصن ذى مَرْمر من بنى الأنف الداعى، بعد طول الحصار، ومصيرهم إلى غاية الضعف والافتقار، وعوضهم عن ذى مرمر بفده والقلعة ولؤلؤة، وزادهم عليها عشراً من الخيل .

وفيها استولى السيد إدريس بن عبد الله على حصن ثلا .

ودخلت سنة — ٨٣٠ —

فيها مات الملك الملقب بالمنصور عبد الله بن أحمد بن إسماعيل الرسولى فى زُبيد، وحمل إلى تعز فدفن فيها . وقام بعده أخوه إسماعيل بن أحمد ويلقب بالأشرف، وكان حدث السن فكثر الاختلاف والفساد فى البلاد .

ودخلت سنة — ٨٣١ —

فيها انتهبت عبيد بنى رسول دار الإمارة بتعز، وخلعوا الأشرف، وعمدوا إلى يحيى بن إسماعيل بن العباس فأخرجوه من السجن، وكان فيه من أيام أخيه أحمد بن إسماعيل، كما سبقت الإشارة إليه . وتلقب بالملك الظاهر، وقام بالأمر وساس الناس . وسجن ابن أخيه إسماعيل بن أحمد الملقب بالأشرف فى حصن الدُّمْلُوه، فلم يزل فيه إلى أن مات، وتوجه الظاهر يحيى بن إسماعيل إلى زبيد، فاستقر فيه .

ودخلت سنة — ٨٣٢ —

فيها قبض الملك الظاهر على العبيد الذين أقدموا إلى نهب دار الإمارة فى تعز وخلعوا الأشرف. ونكل بهم أشد النكال، وأذاقهم أعظم الوبال، بعد أن استفحل أمرهم، وزعموا أنهم يقيمون من شاءوا، ويعزلون من شاءوا.

وفيها — أو فى التى بعدها — صادر الملك الظاهر وزير ابن أخيه — وهو القاضى إسماعيل بن عبد الله العلوى — مصادرة عظيمة، وأخذ منه أموالا جمة. ثم أطلقه وأظهر له الرضى، وأرسل إلى زوجته ابنة المزجاجى سراً بأنها تظهر الكراهة لزوجها ليفارقها، فأعلمت زوجها، فطلقها خوفاً على نفسه، فعقد له الظاهر ولاية على المحالب. ولما انقضت عدة المرأة تزوجها السلطان المذكور. وبلغ الخبر إلى العلوى، فخرج هارباً إلى مكة، فقبض السلطان على أخيه شهاب الدين العلوى، ثم أمر بضرب عنقه، فضربت، وهو حامل للمصحف الكريم على رأسه، واستولى على أموال بنى العلوى، وأمر بهدم دورهم. ولبث القاضى اسماعيل المذكور فى مكة إلى أن مات بها غريباً. نعوذ بالله من سطوة الملوك الجبابرة، الذين لا يبالون بما سيلقونه من الجزاء فى الدار الآخرة.

ودخلت سنة — ٨٣٣ —

فيها التفت على بن صلاح الدين إلى حرب الأشراف الحزيين المتغلبين على ثلا، وأسر منهم أربعة أنفار، ولم يزل محاصراً لهم حتى أخرجهم منه فى التاريخ الآتى ذكره.

ودخلت سنة — ٨٣٤ —

فيها خالف على الظاهر عبيد السلاح المقررين فى المحالب، وهم أربعمائة نفر، والتجئوا إلى بلاد الواعظات[1]، وكرروا الغارات. وخلت المحالب عن الساكن، فخرج الظاهر إلى المهجم، وأصلح عرب تهامة، وتقدم إلى المحالب، فلبث فيها أياماً،

(١) الواعظات: موضع قرب جازان والمحالب
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٥٩)

ثم جعل عليها الشهاب الصباحى نائباً ، ورجع إلى المَهْجَم وأبيات حسين . ودخل منها إلى زبيد ، فأصلح الصباحى شأن العبيد المخالفين ، ووصلوا إليه طائعين ، وفسد ما بينهم وبين الواعظات ، فغزوا المحالب ، وقتلوا جماعة من العبيد ، وانتهبوا المحالب ، وسبوا من نساء العبيد وأولادهم مائة نفس ، فبعث الظاهر إلى المحالب أبا القسم السنبلى ، فقرر أمورها .

وفى آخر هذه السنة استفتح على بن صلاح الدين مدينة ثلا ، وأخرج الأشراف منها ، واستعمل عليها الشيخ إدريس بن داود الظربوه . واستعمل على حَضُور الشيخ وبُكُر والعروس جماعة من بنى الظربوة . وصفى الأمر لعلى بن صلاح الدين فى هذه المدة .

ودخلت سنة — ٨٣٥ —

فيها جهز الملك الظاهر الأمير شكر العدوى إلى ناحية حَرَض ، فلم يتم له دخولها لقوة شوكة العرب ، فرجع إلى المَهْجَم ، وما زالت العرب تغير على المحالب وأطراف الأعمال السُرْدُدية .

وفيها خالف الرماة أهل سهام[1] ، وأحرقوا الكدراء والقَحْمَة وفَشَالَ . والسبب جور العمال وتماديهم فى الضلال .

وفيها ظهرت نار فى أحد الجبال السبعة المعروفة بالأبغلة ، وهى جبال فى البحر الغربى مابين كران ودَهْلَك ، لها دخان عال كالسحاب ، وأصوات هائلة سمعت إلى اللُحَيَّة[2] ، فأحرقت جميع ذلك الجبل ، ثم انتقلت إلى الثانى ، فسبحان المخوف بالآلات الذى لاتغيره الأوقات .

---

(١) وادى سهام : قرب زبيد وصنعاء (ياقوت : معجم البلدان)
(٢) اللحية : تصغير لحية الرجل ، موضع فى شمال اليمن
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٦٦ ، عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٠٨)

ودخلت سنة — ٨٣٦ —

في اليوم العاشر من المحرم، مات الإمام الهادي على بن المؤيد بن جبريل، رحمه الله، في هجرة فَلَلَه، ودفن بها. وكانت أوامره نافذة على الخَولانية والأَهْنُومية والشَرفية، وطائها مراراً. واستمرت المكاتبة بينه وبين الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى عليه السلام. واشتهر بالكرم العريض، والجود المستفيض.

وفي هذه السنة كثرت الفتن في تهامة، وخالف أكثر أهلها على السلطان الظاهر، وأغاروا على ذُؤال(١) ونواحي زبيد. فجهز الشهاب المحالبي إلى الشامية ورجع عنها شكر العدوى. ثم نهض السلطان من زبيد إلى سهام، فأقام فيه أكثر من شهر، وبعث عسكره في البلاد، واشتد ظلمهم للعباد. ثم سار إلى المَهْجَم، فوصل إليه بنو سبأ أهل حَرَض مذ عنين إلى الصلح، فأرسل أبا القسم السنبلي، وانتقل إلى أبيات حسين، ثم رجع منها إلى المَهْجَم، فوصل إليه أهل الزيدية ومن إليهم يشكون اليه جور الخراج، فحط عنهم اليسير. ولم تبرح الغارات من أهل الواعظات، فرجع السنبلي إلى المحالب لمدافعتهم.

ودخلت سنة — ٨٣٧ —

لم يتفق فيها ما يوجب الذكر.

ودخلت سنة — ٨٣٨ —

فيها سار الإمام المهدي أحمد بن يحيي إلى ظفَر حجة، فاستقر فيه إلى أن مات في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وترك التلقب بأمير المؤمنين، وطوى ذلك من علامته. وما أحقه — عليه السلام — بقول القائل:

---

(١) ذؤال: بلدة قرب زبيد في تهامة اليمن
(الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٩)

إن الأمير هو الذى يضحى أميراً يوم غزله
إن زال سلطان الولاية لم يزل سلطان فضله

وفى هـذه السنة تردد السلطان الظاهر فى ناحية تهامة الشامية ، ودخل المَهْجَم ، وحارب أهل الصباحى[1] حتى سلموا الحصن . ثم رجع إلى زبيد ، وصادر الشهلب المحالبي مصادرة شديدة ، وأخذ منه أموالا عديدة .

وفيها ظهر الشعر الحمينى[2] ولم يكن يعرف من قبل هذا التاريخ . قال السيد عيسى ابن لطف الله فى أول كتابه الذى جمع فيه شعر السيد محمد بن عبد الله ابن الإمام شرف الدين ، ماصورته : الشعر الحمينى من النظم الذى ولع به المتأخرون ، ولم يسبق إليه الأولون ، وله بحور مختلفة وأوزان غير مؤتلفة ، وأول من ظهرت فيه حجته واتضحت

---

(١) الصباحى : حصن فى وادى مور قرب ملحان باليمن .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٤٦)

(٢) جاء فى مخطوطة كتاب أنباء الزمن ما نصه :
« وفى هذه السنة (٨٣٨ هـ) ظهر الشهر الحمينى ، قال السيد عيسى بن لطف الله فى خطبة كتابه الذى جمعه من شعر محمد بن عبد الله ابن الامام شرف الدين ما لفظه : الشعر الحمينى من النظم الذى ولع به المتأخرون ولم يسبق اليه الأولون ، له بحور مختلفة ، أول ظهوره فى بلاد حجة ، واتضحت محجته فى البلاد اليمنية بالفقيه شهاب الدين أحمد بن فليتة ثم الفقيه عبد الله بن أبى بكر المزاح ..
(أنباء الزمن ورقة ٢١٠١)

ويفهم من دراسة النماذج التى رأيناها لهذا النوع من الشعر أنها من النظم القصير الخفيف ، وهو من هذه الناحية شبيه بالموشحات الأندلسية ، وبالزجل العامى المصرى . ومن نماذج هذا الشعر ما نظمه عيسى بن لطف الله بن المطهر ابن الامام يحيى شرف الدين ، أحد علماء اليمن ، ومنه قوله :

مـا شاقنى سـجع الحمـامة سـحرا ولا بـرق الغمـامة
كلا ولا اذكى الجـوى ذكر العـذيب وذكر رامـة
وعليك صـلى خـالقى وحبـا ربوعك بالـكرامة
واسـلم ودم فى نعمـة يا خير من رفع العمـامة

(خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٣٦)

محجته فى الديار اليمنية الفقيه أحمد فليته ، ثم الفقيه عبد الله بن أبى بكر المزاح . قال وكلاهما من الدولة الغسانية[1] ، انتهى .

ودخلت سنة — ٨٣٩ —

فيها خالف العباس بن إسماعيل الأشرف على أخيه الظاهر يحيى بن إسماعيل ، والتجأ إلى العبيد المخالفين على السلطان ، وهم فى بلاد المسانى[2] ذلك الأوان . وقصدهم أهل الواعظات ، فقصدوا المحالب ، وفيها جماعة من الأمراء والعرب بنى حفيظ وأتباعهم . ووقع الحرب بينهم ، فكانت الدائرة على أصحاب العباس ، قتل منهم مائة نفر ، وانهزم العباس وبقية أصحابه إلى المساق ، وأرسل الظاهر للأمراء وبنى حفيظ بالكسوات والصلات وشكر فعلهم . وبعد أيام رجع العباس إلى أخيه الظاهر على أيدى جماعة من الأمراء والفقهاء ، فأسكنه قرية السلامة بناحية حَيْس ، وجعل عليه من يحفظه ، فلم يزل فيها إلى أن مات .

وفى هذه السنة ظهر الطاعون الكبير فى تعز وعدن ولحج وأبين ، هلك منه عالم لا يحصى . يقال أن عدة الموتى فى عدن ونواحيه على جهة المغرب بضع عشر ألفا ، وفى تعز مثل ذلك ، وفيما بينهما أكثر من ذلك . ولقد كان يموت فى اليوم الواحد الخمس المائة النفس والألف . وخلت قرى كثيرة ، وتهدمت دور على أهلها ، فسبحان القاهر بالموت . ولما اشتد الأمر ، فزع الناس إلي الله ، وترسلوا إليه بكتابه الكريم ، وتصدق السلطان الظاهر بصدقات عظيمة ، وأمر الناس بالدعاء وصدق الالتجاء .

وفى آخر هذه السنة اتصل الطاعون بصنعاء والظواهر وصَعده .

---

(١) بنو غسان : حى من الأزد من القحطانية ، قال أبو عبيد ، سموا غسان لماء اسمه غسان بين زبيد ورمع ، شربوا منه .
(القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٨٨)

(٢) المسانى : سلسلة جبال عالية باليمن .
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٢٠٠)

فى المحرم منها مات المنصور على بن صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، فى مدينة صنعاء بالطاعون ، ودفن فى قبة أبيه الناصر صلاح الدين . وقام بعده ولده محمد بن على ابن صلاح الدين ، فلم يلبث بعد والده إلاّ قدر شهر ثم مات ، ودفن بالقرب من قبر أبيه ، فى القبة المذكورة . ولم يبق من أهل بيته إلا الشريفة الكاملة فاطمة بنت الحسن ابن صلاح الدين ، فملكت صنعاء وجهاتها ، وقام بأوامرها الفتى قاسم بن عبد الله سُنقر ، وكان حازما لبيبا ، فأقام للإمامة والنظر فى أحوال الخاصة والعامة السيد صلاح الدين بن على بن محمد بن أبى القسم ، ويلقب بالمهدى لدين الله . قال ابن مظفر[1] رحمه الله تعالى :وكان صلاح بن على داعيا مبرزا فى علوم الاجتهاد ، وذا ورع شحيح ، وبايعه علماء صنعاء ، انتهى .

وتزوج صلاح بن على بالشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين ، وكانت قبله تحت محمد بن على بن صلاح الدين ، فولدت له الشريفة بدرة بنت محمد ، فتزوجها الناصر بن محمد ، ثم الامام المظفر محمد بن سليمان ، كما سيأتى تحقيقه ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة سرى الطاعون الى بلاد المغارب ، فهلك منه خلائق لايحصون ، ومنه مات الامام المهدى لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى عليه السلام ، فى شهر صفر من هذه السنة ، ودفن فى قبته المباركة بحصن ظَفير حَجّة[2] فقبره فيها مشهور مزور . وفضائل هذا الامام وعلمه ومصنفاته لاتحيط بوصفها الأقلام ، ولا حاجة الى ذكرها ،

(١) هو محمد بن أحمد بن يحيى الصنعائى اليمنى الزيدى ، المعروف بابن المظفر ، فاضل ، مشارك فى بعض العلوم ، توفى فى حدود سنة ٩٧٠ هـ . من آثاره « الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان » و « البستان فى شرح كتاب البيان » و « البستان الجامع للفواكه الحسان المثمر للياقوت والمرجان » .. وغير ذلك (البغدادى : هدية العارفين ، ج ٢ ص ٢٤٩)

(٢) ظفير : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

لأنها ظاهرة للخاص والعام ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل ما جزى آبائه الكرام ، عليه وعليهم وعلى جده سيد المرسلين أفضل الصلاة والسلام .

نكتة تناسب المقام : روى عن الأمام شرف الدين بن شمس الدين بن أمير المؤمنين عليه السلام أن أهل الظفير كانوا قبل هذا الطاعون ألف وثلثمائة رجل ، فلم يبق منهم الا قدر أربعين رجلا ، حتى طمع أهل القبيلة التى حولهم فى الاستيلاء على الظفير ، وكانوا ألف وخمسمائة ، فلم يزالوا ، يحاربون من بقى من أهل الظَّفير ، حتى ألقى بعض أهل الظفير فروًا قد مات فيه سبعة أنفار من أهل الظفير بالطاعون — فى بعض مناهل تلك القبيلة وأشعرهم بالفرو ، فأصاب الطاعون تلك القبيلة حتى لم يبق منهم إلاّ قدر ما بقى من أهل الظفير ، فسبحان القاهر فوق عباده ، والحاكم فيهم بمراده .

وفى هذه السنة كانت دعوة الأمام المتوكل على الله المطهر بن محمد سليمان فى الأَهْجَر من بلاد حمير ، فأجابه كثير من علماء المغرب ، وسيأتى ذكر دخوله صنعاء ، وما حدث بعد ذلك على جهة الاختصار ان شاء الله .

وأما الامام صلاح بن على فإنه لما رأى إقبال الناس على قاسم بن عبد الله سنقر وتصرفه فى الأعمال ، وحفظه للأموال ، أراد القبض عليه ، فعامل ثلاثة أنفار من الحاشية على قبضة متى دخل عليه كعادته . فنمى الخبر وعرف به العبد ، فدخل بجماعة من خاصته ، وأبتدأ الامام ومن عنده بالكلام والتأنيب والملام . ثم أشار الى أصحابه ففتكوا بالثلاثة المعاملين على قبضه ، ورموا برؤوسهم الى خارج الدار . وأودع الأمام صلاح بن على دار الأعتقال ، فلم يزل فيه الى أن احتالت زوجته الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين فى فكاكه ، وسار معها إلى صَعْده .

ثم إن قاسم بن عبد الله سنقر أقام الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الامام المظلل بالغمام المطهر بن يحيى عليه السلام ، ودعا الناس إلى بيعته ، وضرب السكة باسمه ، وتلقب بالمنصور بالله ، وأمه الشريفة مريم بنت على بن صلاح الدين . وهو فى تلك الحالة صغير السن فى أوان البلوغ ، فصار المتولى للأمور العبد المذكور . ثم لم يلبث أن

همّ بالقبض على الناصر بن محمد ، ففهم الناصر مراده ، فخرج فى سبع نسوة مختفيا . حتى وافى حصن هِران — قبليّ ذمار — وانضم إليه جماعة من عبيد جدّه — أب أمه — على ابن صلاح الدين ، أنفوا من خدمة قاسم سنقر — وهو مملوك مثلهم — فاشتد بهم أمر الناصر بن محمد ، واهتم لشأنهم قاسم سنقر ، فاستدعى وصول الامام المطهر بن محمد ابن سليمان إلى صنعاء ، فدخلها ، وخطب على منبرها ، وحرض الناس على حرب المعارضين له ، وهما صلاح بن على والناصر بن محمد .

وفى خلال ذلك قدم صلاح بن على على جيش إلى حَدّه . فخرج إليه الإمام المطهر ابن محمد وقاسم سنقر ، ووقع بينهم حرب ، إنهزم فيه صلاح بن على إلى ثلا ، وقتل جماعة من أصحابه ، ثم جمع جمعا ثانيا ، ورجع إلى حضور ، فخرج إليه قاسم سُنقر ، فهزمه ، ورجع إلى صنعاء . ثم أراد الغزو للناصر بن محمد ، فخرج والإمام المطهر بن محمد معه ، واستخلف على صنعاء ولده زيد بن قاسم سنقر . وبلغ الناصر بن محمد تجهزهما عليه ، فجمع جمعا كبيرا ، واستعان ببنى طاهر . وكان على حداثة سنه عالى الهمة ، سريع النهضة ، فالتقى الجمعان الى محل يسمى قريش من ناحية جَهْران ، ووقع بينهم القتال الشديد ، فأسر العبد والإمام المطهر بن محمد . فأما العبد فأمر الناصر بن محمد بقتله ، وأما الامام المطهر فأودعه الناصر دار الاعتقال فى حصن الرّبعة غربى ذِمار ، فلبث فيه الى العام القابل ، ثم يسر الله خروجه ، كما يأتى تحقيقه إن شاء الله .

ولما استقر الناصر بن محمد فى حصن هِران ، ودان له أهل تلك الجهة بعد الفتكة الحاصلة منه فى جَهْران ، أتاه يوماً رجل من اليهود فقال له « قم لقبض صنعاء ، فقد اقتضى الحساب ، إنك تصلى الفجر فى مسجد وهب ، والظهر والعصر فى جامع صنعاء ، والمغرب فى القصر ، من غير لا ضربةَ ولا طعنة » فقال « كيف يأتى هذا والمدينة فى يد زيد بن قاسم سنقر وأهلها على رأيه » ، فقال الذمى « أنا أسير معك فإن اختلف شىء من قولى هذا عاقبنى » . فسار الناصر من ساعته حتى وصل مسجد وهب آخر الليل فصلى فيه الفجر ، وارتاع أهل المدينة ففتحوا له أبوابها ، فأمّ الجامع الكبير وصلى فيه الظهر

والعصر ، ثم توجه إلى القصر ، ففشل العبد ومن معه ، وفتحوا له القصر ، بعد أن طلبوا منه الأمان فأمنهم ، واستولى على صنعاء وكثير من بلاد جده على بن صلاح الدين .

ودخلت سنة — ٨٤١ —

فيها كان خروج الإمام من السجن على يدى ولد صاحب الحصن المقدم ذكره ، لأنه علمه القرآن الكريم ، فختمه الولد فى أقرب مدة ، فجعل جائزة الإمام إخراجه من السجن ، وخرج الولد معه . ولم يعرف أهل الحصن بخروجهما إلا بعد مضى أكثر نهار ذلك اليوم ، فتبعوهما فلم يصلوا إليهما ، إلاّ وقد دخلا بلاداً أخرى ، فحال أهلها بينهم وبين الإمام والذى أخرجه . وتوجه الإمام إلى بلاد أنس ، وفيها جماعة من المائلين إليه ، فأكرموه غاية الإكرام ، وبعثوا معه جماعة إلى إبّ . ووصل بلاد الحيمة[1] ، وسار منها إلى الأهجر . ثم توجه إلى بلاد السَّوْدَة ، فأكرمه صاحبها المعافى بن عمر ابن المعافى وأواه ، وزوجه ، وملّكه جهته .

قال الفقيه العلامة عماد الدين يحيى بن محمد بن صالح حنش ، رحمه الله تعالى ، فى أول شرحه للقصيدة الرائعة والكلمة الفائقة الموسومة برائيته « انقضى الوطر فى مدح سيد البشر » التى نظمها الإمام المطهر بن محمد بن سليمان عليه السلام ، مالفظه « وكنت قد سمعتها عليه فيما تقدم من الزمان ، وفسر لى كثيراً من ألفاظها ومعانيها على سبيل الاختصار ، وإن كانت واسعة جمة تفتقر إلى زمان ومكان » . ووضع إلى النسخة التى وقع السماع فيها بخط يده المباركة السبب الموجب لنظمها ، وما عاين من بركتهما وفضلهما ، ما لفظه — بعد حمد الله تعالى — « رأيت فيما يراه النائم ، فى آخر أيام السجن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أتانى وقعد مظاهراً لمحراب المسجد الذى أنا فيه مستقبلا إلى ، وعن يسارى عائشة رضى الله عنها ، وكنت أغض بصرى

---

(١) الحيمة : جهة قرب صنعاء
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٥٢)

عنها ، فقال لى صلى الله عليه وآله وسلم ، لم لا تنظر إليها ، إنها أمك ؟ قلت : صدقت يارسول الله ، إلا أنى أجلك عن إلحاح النظر إليها . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،وهى تدق شيئاً فى منحار ، فلما أفرغته أعطتنى إياه لأسفه ، فقلت : ما هذا يارسول الله ؟ قال دواء لحل القيد . ثم قال لى صلى الله عليه وآله وسلم ، هل تحفظ الحلية ؟[1] قلت نعم ، فقال ، لم لا تعارضها ؟ مشيراً بذلك إلى أنى إن عارضتها تخلصت مما كنت فيه . فانتبهت مفكراً ، ماذا أقول فى مدحه صلى الله عليه وآله وسلم وما أذكر منه وما أدرى ، فجعلت ذلك مطلع الرائية وهو : —

ماذا أقول وما آتى وما أذر   فى مدح من ضمنت مدحاً له السور

وجعل الله الفرج والخلاص بعد فراغها بقدر خمسة عشر يوماً ، وكان إنشاؤها فى قدر تلك المدة ، هذا معنى المنام » .

قلت : وهذه القصيدة من أجلّ القريض لفظاً ومعنى وفصاحة وحلاوة وحسناً ، واعتنى بشرحها وتخميسها[2] جماعة من فحول العلماء ، حتى برزت فى قالب الكمال الأرفع الأسماء . وأما فضلها وبركتها فلا ينكرها من له بصيرة نقادة وقريحة وقادة ، وكيف وقد اشتملت على مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولقد قيل إنها لما بلغت صنعاء ، قال الفقيه محمد بن ابراهيم الساودى وزير الناصر بن محمد ، «انظروا

---

(١) المقصود بالحلية قصيدة دينية فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما يتبع ذلك من الأذكار والدعوات والحمد والشكر . وتوجد أكثر من قصيدة بهذا الاسم ، منها حلية الأبدال لابن عربى ، وحلية الابرار ليحيى بن شرف بن النواوى الشافعى .

(٢) للعرب نوعان من الشعر : المخمس ، والمسمط . فالمخمس أن يؤتى بخمسة أقسام على قافية واحدة ثم بخمسة أخرى على قافية أخرى الى تمام القصيدة ، وقد يستعمل على أقل من خمسة أو أكثر . والمسمط أن يؤتى ببيت مصرع ثم بأربعة أقسام على قافية واحدة غير قافية البيت الأول ، ثم يؤتى بشطر واحد متحد مع البيت الأول فى الوزن والقافية .

(محمد دياب : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠)

فلعلكم تجدون صاحب الشعر قد خرج من السجن ببركة الممدوح صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجدوا الأمر كما ذكره .

وفى آخر هذه السنة وقع حرب بين أهل الجرابح[1] والضمريين[2] أهل تهامة ، قتل فيه من الجرابح فوق مائة نفر ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٨٤٢ —

فى آخر رجب منها مات السلطان الظاهر يحيى بن اسماعيل فى تعز ، ودفن فى مدرسته الظاهرية ، وقام بعده ولده إسماعيل بن يحيى الملقب بالملك الأشرف ، وكان شاباً تغلب عليه رأى الجهل والسفه ، فسفك الدماء ، وأثار الفتن العظمى .

ودخلت سنة — ٨٤٣ —

فيها كانت الفتن العظيمة بين هذا السلطان — الملقب بالأشرف — وعرب تهامة من القرشيين والمعازبة فى أيام متعددة ، منها يوم العذيب[3] اجتمع فيه القرشيون والمعازبة ، وقصدوا دار العذيب من وادى زبيد ، فهزمهم الأشرف وقتل من القرشيين ما يزيد على الثلاثين . ومنها يوم الفَصّ ، قتل منهم مثل ذلك . ومنها يوم العُرْشة كانت الدائرة فيه على جند الأشرف ، قتل منهم جمعا كثيرا وأسر جماعة . ومنها وقعة الظاهرة بينه وبين المعازبة ، قتل فيها من عسكره عدة ، منهم الأمير شكر العدوى ، والأمير عبد الله

(١) الجرابح : من أشهر قبائل تهامة باليمن
(نعوم شقير : تاريخ سيناء ص ٦٦٧ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ج ١ ص ١٧٧)

(٢) الضمريون : نسبة الى ضمرة بن بكر ، بطن من كنانة بن خزيمة ، من العدنانية (كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٦٦٧)

(٣) العذيب : موضع فى وادى زبيد .

ابن زياد وغيرها . ومنها وقعة المسافة بينه وبين القرشيين ، لم يبق فيها من عسكره إلاّ القليل ، وفرّ بنفسه وليس فى يده إلا قائم سيفه . وبطلت أمور عامله على المَهْجَم ، وهو إسماعيل المحالبي ، لقوة شوكة العرب الزيديين أهل بيت الفقيه الزيدية .

وفى آخر هذه السنة انتهب العرب المَهْجَم وأحرقوها .

ودخلت سنة — ٨٤٤ —

فيها كانت وقعة السِّماط ، وهى أن هذا السلطان (الأشرف إسماعيل بن الطاهر) دعا جماعة من مشايخ المعازبة إلى سِماط قد أعدّه لهم ، فلما قعدوا يأكلون منه أمر بضرب أعناقهم ، فضربت على السِّماط ، وهم أربعون رجلا لم يفلت منهم إلاّ اليسير .

وفيها جهز السلطان المذكور عاملا إلى المَهْجَم يسمى عمر الصنعانى فلبث فيه مدة يسيرة ، ثم وثب عليه العرب فقتلوه ، وأحرقوا المَهْجَم تارة أخرى . ولم يثبت له أمر فى تهامة .

ودخلت سنة — ٨٤٥ —

فيها مات الأشرف بن الطاهر فى مدينة تعز ، ودفن عند والده فى المدرسة الطاهرية . وكان متهورا مقدما على الأمور من غير تدبير ، حتى قيل له المجنون . وقام بعده يوسف بن الملك المنصور الرسولى ويلقب بالمظفر . وكان العقد له فى قرية من ناحية وَصاب تسمى الصموح[1] بمساعدة من صاحبها الفقيه يحيى ، ثم سار إلى تعز ، فلبث فيها أياما .

ودخلت سنة — ٨٤٦ —

فيها مال العبيد الذين بزُبيد إلى رجل من بنى رسول يسمى محمد بن إسماعيل

(١) الصموح : ناحية بوصاب (أنباء الزمن ، ص ١٠٢) .

ابن عثمان ، فأقاموه ولقبوه بالملك الأفضل ، فاستدعى القرشيين والمعازبة إلى زبيد ، وفرق فيهم الأموال والخيل ، فقويت شوكتهم ، واستولوا على نخل زبيد ومنعوا عنه أهله ، ولم يزل فى أيديهم إلى أيام بنى طاهر .

قال الديبع ما معناه ، وفى هذه المدة جرت أمور فى زبيد يطول شرحها ، فبعث المظفر يوسف بن المنصور إلى زبيد الشيخ على بن طاهر فى جماعة ، فقبضوا على الأفضل محمد بن إسماعيل بن عثمان وساروا به إلى تعز ، فطلب العبيد من المظفر تسليم نفقتهم ، فلم يجب عليهم ، فانتهبوا غلات وادى زبيد . ثم خرجوا إلى حَيْس ، وفيها رجل يسمى أحمد بن الناصر من ولد المجاهد الرسولى ، فأقاموه ، ودخلوا به إلى زُبيد . فلم يقم بأمرهم ، فانتهبوا أكثر بيوت زبيد ، وقتلوا من وجدوه فيها . فخرج أحمد بن الناصر إلى النخل ، فثار جماعة من الغوارين ، فأغلقوا أبواب زبيد ، إلاّ باب الشبارق فلم يستطيعوا إغلاقه لحضور جماعة من أصحاب أحمد بن الناصر . فرجع الغوارون إلى بيوت المناصب[1] ، فاستجاروا بهم . وأقبل أحمد بن الناصر من النخل فأمر بنهب المدينة ، وقتل من وجد فيها من كبير وصغير ، فأصبحت زبيد حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس ، وتفرق بقية أهلها أيدى سبأ ، ولقب هذا الرجل بالجائر لما جرى فى مدته من الفتن .

وفى هذه السنة خرج صلاح بن على بن محمد بن أبى القسم من صعدة إلى جهة صنعاء ، بعد أن صادر أهل صَعْدة مصادرة عظيمة ، وقبض منهم أموالا كبيرة ، وأخذ أموالا كان قد أوصى بها آل زيدان لمسجد الذهب ومسجد زيدان . ولما انفصل عنها وأراد أن يقصد صنعاء أشار عليه بعض أصحابه أنه لا يتعرض إليها فى ذلك الأوان ، بل يقصد ثُلا ويستقر فيه ، إلى أن تلوح له الفرصة فى صنعاء ، فلم يسعد إلى ذلك ،

(١) المناصب : واد بالقرب من زبيد (أنباء الزمن ، ورقة ١٠٣) .

بل تقدم إلى حمراء علب[1] خارج صنعاء ، وخرج إليه جند الناصر بن محمد ، فوقع بينهم وبينه حرب ، أسر فيه صلاح بن على ، وأتى به إلى الناصر بن محمد ، فأودعه دار الاعتقال ، واحتوى على ما جمعه من الأموال . ثم سار الناصر محمد إلى صَعْدة ، فانتزعها من يد الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين . ولم يبق معها غير الحصون ، ثم رجع الناصر بن محمد إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٨٤٧ —

فيها أخرج الجند الذين كانوا فى زبيد أحمد بن الناصر الذى أقاموه ، وأخرجوا معه أولاده إلى محل يعرف بالطلَيْحة ، وأقاموا لهم رجلا من بنى رسول ، ولقبوه بالملك المسعود ، وبه كان انقراض دولة بنى رسول ، كما انقرضت دولة بنى أيوب بالملك المسعود وسيأتى تحقيق ما وقع فى أيام هذا الرجل .

ودخلت سنة — ٨٤٨ —

فيها سار الناصر بن محمد إلى صَعْدة فلبث فيها ثلاثة أشهر ، ووقع الصلح فيما بينه وبين الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين ، وتزوج بنتها الشريفة بدرة بنت محمد ابن على بن صلاح الدين . ثم رجع إلى صنعاء ، ومال إليه آل عمار ، وخالفوا على بنى طاهر . ووقعت بينهم حروب شديدة ، فاستدعوا الناصر بن محمد ، فسار إليهم معينا لهم على بنى طاهر ، وحط فى جبل النُّقُم المجاور لبلاد بنى طاهر وحاربهم ، ثم وقع الصلح بين الجميع . ورجع الناصر بن محمد إلى ذِمَار فلبث فيه أياما ، ثم خرج على حين غفلة

---

(١) الحمراء : من قرى سنحان باليمن ، والعلب بكسر العين وسكون اللام ، الأرض الصلبة الخشنة الغليظة (ياقوت : معجم البلدان) .
ويتضح من المتن أن حمراء علب موضع خارج صنعاء .

إلى بلاد بنى طاهر ، فنهب وأخرب دورا فيها ، والتجأ أهلها إلى حصن لهم ، ثم سار إلى هَيْوَة[1] فواجه له أهلها .

ودخلت سنة — ٨٤٩ —

فيها مات صلاح بن على بن محمد بن أبى القسم ، فى سجن الناصر بن محمد ، ودفن فى صرح مسجد موسى بمدينة صنعاء ، فأرسلت له زوجته الشريفة فاطمة بنت الحسن ابن صلاح الدين بلوح من ألواح القبور يوضع على قبره . فرآه عبد من عبيد الناصر ابن محمد ، فكسره بدبوس كان فى يده . قال الهمدانى فى تاريخ بنى طاهر[2] ، والسبب فى كسره أنهم كتبوا عليه أن صلاح بن على مات مسجونا مظلوما ، ثم خرجوا إلى ذكر جور الناصر بن محمد وتعديه .

وفى هذه السنة — أو التى قبلها — مات الأمير إدريس بن تاج الدين الحمزى صاحب كوكبان ، فاستولى عليه الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، وعلى غيره من حصون المغرب والشَّرف ، كالمفتاح وقِلْحَاح وكَحْلان .

وفيها قتل أهل خَيْوان ولداً للأمير حسين بن على بن قاسم الجوفى وقطعوا يده ، وساروا بها إلى الناصر بن محمد ، فوافوه فى ذى مَرْمَر ، فأظهر البشارة لذلك . فكتب الأمير حسين بن على والشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين صاحبة صَعْدة إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان يستدعيانه للوصول إلى صَعْدة ، لأن الشريفة فاطمة بنت الحسن كانت غير مطمئنة إلى الناصر بن محمد . فنهض الإمام المطهر بن محمد إلى صَعْدة ،

(١) هيوة : حصن لبنى زبيد باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) يقصد بتاريخ بنى طاهر كتاب « العقد الباهر فى تاريخ دولة بنى طاهر » ، للشيخ عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى المتوفى سنة ٩٣٥ هـ . وقد أخذه من كتابه « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد » وأكرمه الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب لأجله غاية الاكرام (كشف الظنون ، ج ٢ ص ١١٥٠) .

وأقام مدة ، وأمور صعدة إلى الشريفة فاطمة ، لم يغير عليها شيئا . وكانت ابنتها الشريفة بدرَة بنت محمد بن على زوجة الناصر بن محمد باقية عندها ، فوقع النظر من بعض أعيان أهل صَعْدة فى فسخ نكاح الناصر بن محمد ، بدليل أن الإمام الهادى عليه السلام يشترط عدالة شهود النكاح ، وأن شاهدى نكاح الناصر بن محمد غير عدلين ، وجزموا بالفسخ ، مع بُعد الناصر بن محمد ، واشتغاله فى الجهة اليمانية . ولما انقضت عدتها تزوجها الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، فهى أم ولده عبد الله .

وفى هذه الأيام جهز الإمام المطهر بن محمد الأمير المعافا بن عمر صاحب السَّوْدَة مع الأمير حسين بن على الجوفى إلى خَيْوَان ، للأخذ بثأره من قاتلى ولده ، فخرجوا إليه ، وقتلوا كثيرا من أهل خَيْوَان ، وأخربوه . ثم رجع الإمام المطهر بن محمد والمعافا ابن عمر إلى كوكبان ، فلم يبرح المعافا يغير على بلاد الناصر بن محمد .

ودخلت سنة — ٨٥٠ —

وفى هذه السنة والتى بعدها كثر الاختلاف فى اليمن الأسفل وتهامة ، بسبب تعارض المظفر والمسعود الرسولين ، وسيأتى عن قريب ما آل إليه أمرهم .

ودخلت سنة — ٨٥٢ —

فيها وقع الصلح فيما بين الناصر محمد وبنى طاهر ، فجمع الناصر بن محمد جيوشا عظيمة ، وقصد كوكبان لمحاربة الإمام المطهر بن محمد ، فأقام الحرب على شِبَام ، وأخرب ما حولها . وأقبلت ديمة مستمرة ، وأمطار كثيرة حتى ضعفت خيل الناصر بن محمد ، وتعب أصحابه ، فرجع إلى صنعاء .

وفى هذه السنة سار المسعود الرسولى إلى عدن ، فتبعه المظفر وبنو طاهر ، ووقعت بينهم حروب ، قتل فيها عدة من أصحاب المسعود .

ودخلت سنة — ٨٥٣ —

فيها دخل المشايخ بنو طاهر إلى لحج ، وفى أنفسهم ما فيها من الاستبداد بالملك ، لما يرون من ضعف بنى رسول وإدبار دولتهم ، وانحلال ملكهم .

ودخلت سنة — ٨٥٤ —

فيها نهض الناصر بن محمد لمحاربة كوكبان ، بعد أن وصلت إليه كتب من أهل الطويلة وبُكُر مستنصرين به على الإمام المطهر بن محمد . فحارب شِبام حتى دخله عنوة ، وارتفع عسكر شِبام إلى كوكبان ، ولم يبق إلاّ الأمير المعافا وجماعته فى حصن لباخة[1] داخل شبام ، محصورين . ولم يزل كذلك حتى أقبل أهل بكر والطويلة من جهة الظلع ، فحصروا المعافا من الجبل الذى فوق لباخة . فعند ذلك طلب المعافا الأمان لنفسه ولمن عنده فأمّنهم الناصر بن محمد فنزل المعافا على حكمه . ثم صعد الناصر إلى الظلع لمحاصرة كوكبان ، فخرج الإمام المطهر بن محمد من كوكبان بجماعة من همدان ، واستخلف على كوكبان ولده محمد بن المطهر ، فارتفع الناصر إلى كوكبان ، ثم رجع إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٨٥٥ —

فيها وفى التى بعدها استفحل أمر العبيد بزُبيد ، وأقاموا حسين بن الطاهر الرسولى ، ولقبوه بالمؤيد . وكان المسعود قد رجع من عدن إلى تعز ، ثم نهض إلى زبيد لمحاربة المؤيد والعبيد . ولما وصل قريباً منها ظهر له من أصحابه الخيانة ، فرجع إلى تعز ، وكثر الخلاف فى كل ناحية ، واستقل بالأمر العبيد فى مدينة زبيد ، وجعلوا على كل طائفة منهم والياً وحاكما . ومرج الأمر وخربت مدن تهامة كالمَهْجَم والقَحْمَة والكدراء ونواحيها .

---

(١) لباخة : موضع ذكره صاحب صفة جزيرة العرب فى ارض اليمامة (صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٩)

وفى هذه المدة وصل رجل إلى ساحل الحديدة ، كان عاملا لصاحب مصر على جدة، فعزله عنها ، فركب إلى الهند ، ثم رجع إلى الحديدة ، ومعه أموال جليلة ، فطمع فى ملك اليمن ، لما علم ضعف بنى رسول . وجمع عسكراً ، وخيم خارج الحديدة ، فقصده ابن حفيظ صاحب أبيات حسين ، فقتله وأكثر عسكره ، وانتهب أمواله . ورجع (ابن حفيظ) إلى مستقره أبيات حسين ، فقصده الزغليون فقتلوه ، وأخربوا أبيات حسين ، وكانت من أعجب مدن تهامة وأحسنها .

ودخلت سنة — ٨٥٧ —

فيها أراد الشيخ حسن بن محمد بن على بن مداعس الصعدى الخروج إلى صنعاء ، لضغن فى نفسه على الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين ، فأمرت الشريفة خدمها بقتله فقتلوه خارج باب سويدان . وخرج أخوه إلى الناصر بن محمد مستنجداً به ، فوعده النصر .

ودخلت سنة — ٨٥٨ —

فيها سار المؤيد بن الطاهر الرسولى من زُبيد إلى عدن ، فقصده بنو طاهر فقبضوا عليه ، واستولوا على جميع ما بيده . فرجع العبيد الذين فى زبيد إلى موالاة المسعود ، وأعطوه العهود ، وسار معهم إلى زبيد ، فلبث نحو شهرين تحت الأمر . ثم أرسل الشيخ عبد الله صاحب هقرة فأخرجه إلى حَيْس ، ثم خلع نفسه عن الأمر وسار إلى تعز ومنها إلى هقرة ، فأقام فيها مدة ثم سار إلى مكة . وانقرضت دولة بنى رسول ، وانصرمت أيامهم ذات الغرر والجحول[1] ، فسبحان من ملكه لا يحول ولا يزول .

(١) الجحل : العظيم من كل شيء ، والجحل يعسوب النحل ، والجمع جحول (المعجم الوسيط) .

وأقبلت دولة بنى طاهر ، فأول من استقل منهم بملك اليمن الأسفل بعد بنى رسول الملكان الأخوان على بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين الأموى القرشى ، وأخوه عامر ابن طاهر بن معوضة . وتلقب على بن طاهر بالملك المجاهد وأخوه عامر بالملك الظافر .
ووصلت كتب من أعيان زُبيد إلى الملك المجاهد على بن طاهر — وهو فى عدن — باذلين له الطاعة . وشكوا إليه سراً من فعل عبيد بنى رسول فى زبيد . فدبّر المجاهد حيلة خفية فى إخراج العبيد من زبيد ، أيّدها إقبال الدولة لبنى طاهر ، فتمت. وهى أنه حصل التواطؤ فيما بينه وبين الأمير جياش بن سليمان السنبلى ، وهو جد أمراء بنى رسول ، وبقية من بقايا صنايعهم . وكذلك التواطؤ على الفتك بأولئك العبيد الذين بسببهم زالت الدولة الرسولية ، والأسرة الغسانية . فأظهر المجاهد الغضب على جياش بن سليمان ، وأخرجه وأقاربه مطرودين من عدن ، فلحقوا بمَوْزَع ، وطلبوا من العبيد أن يأذنوا لهم بدخول زبيد ، فاختلف رأيهم فمنهم من لم يرض به ، ومنهم من رغب إليه . فمن رغب إليه يوسف بن فلفل ، أحد كبارهم ، فأدخل جياش وأصحابه كرها على بقية العبيد . ولما استقر جياش فى زبيد كتب إلى المجاهد بما شاهده من اختلافهم ، وضعف شوكتهم ، فأمره بالاجتهاد فى تفريق كلمتهم ، فما زال يسعى بينهم بالبغضاء لبعضهم بعضا ، حتى مال إلى قوله أكثرهم .

ودخلت سنة — ٨٥٩ —

فيها نهض الملك المجاهد من عدن إلى بلدة جُبَن[١] ، فجمع الأجناد . ثم رجع إلى تعز ، واستدعى عسكر تهامة ، فوصل إليه القرشيون ، وهم إذ ذاك فى غاية الكثرة والنجدة واتحاد الكلمة . ثم توجه المجاهد إلى زبيد . ولما وصل حَيْس اشتد الأمر على العبيد ، وفزعوا إلى إصلاح الدروب[٢] وأرادوا منع المجاهد عن دخول زبيد ،

(١) جبن : بضم أوله ، حصن باليمن (ياقوت معجم البلدان)
(٢) فى المتن الدورب ، وتكرر اللفظ بهذا الرسم بعد ذلك .

فجمع جياش بن سليمان السنبلي أكابرهم ، وأمر مناديا ينادى بأن زبيد قد صارت للمجاهد ، فارتاع بقية العبيد ، وطلبوا الدخول على جياش بن سليمان ، فأذن لجماعة منهم ، فقال أحدهم لجياش « من أذن لك بهذا النداء » وأراد الإقدام على جياش، فبادره إخوة جياش فقتلوه ، واجتزوا رأسه ، ورموا به إلى أصحابه ، فانهزموا وتفرقوا وقبض على بعضهم .

وأقبل المجاهد ، فدخل زبيد من غير قتال ، وانتشر عسكره من القرشيين لنهب بيوت العبيد ، ثم مدوا أيديهم إلى نهب بيوت غيرهم ، فثار الناس عليهم يقتلون ويسلبون ، فطلبوا من المجاهد أن يأذن لهم بالخروج من زبيد ، فأذن لهم ، وتبعهم أهل زبيد يصيحون عليهم ، ويرجمونهم بالحجارة .

ودخلت سنة — ٨٦٠ —

فيها نهض الناصر بن محمد إلى صعدة للأخذ بثأر ابن مداعس[1] ، فانتزع صَعْدة من يد الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين ، وقبض عليها وعلى وزرائها ، وقيدهم وسار بهم إلى صنعاء . وأما بنتها الشريفة بَدْرَة بنت محمد بن على ، فخرجت إلى الحضائر من بلاد الربيعة .

وفى خلال مسير الناصر بن محمد إلى صَعْدة ، قصد أهل همدان إلى صنعاء ، وفتحوا جانبا من سورها ، ودخلوا إلى بستان السلطان . ولم يزل الحرب بينهم وبين أهل صنعاء سجالا حتى رجع الناصر من صَعْدة ، ومرّ بظِلع فأخربه ، فاجتمع همدان والإمام المطهر بن محمد بن سليمان على حربه ، واتصل الحرب الآخر بالأول . وقتل فى هذه الحروب الفتى ريحان بن سعيد مملوك الناصر بن محمد ، وهو الذى كسر اللوح الذى أرسلت به الشريفة فاطمة بنت الحسن من صعدة ليوضع على قبر زوجها صلاح بن على .

---

(١) هو الحسن محمد بن على بن مداعس ، الذى قتل خلف باب سويدان ، وكان يريد الخروج الى صنعاء . (أنباء الزمن ، ورقة ١٠٣)

وكان بنو طاهر يحرضون الناصر بن محمد على حرب الإمام المطهر بن محمد ، ويحرضون المطهر على حرب الناصر .

وفى هذه السنة توجه الظافر عامر بن طاهر إلى زبيد ، فدخلها دخولا معظما وخطب له على منبرها . واستمرت الخطبة له ، مع كونه أصغر سناً من أخيه المجاهد . ولبث مع أخيه فى زبيد أياما ، ثم سار إلى تعز . فأقام الظافر فيها ، وتوجه المجاهد إلى عدن .

ودخلت سنة — ٨٦١ —

فيها رجع المجاهد من عدن إلى زُبيد ، وأراد الإيقاع بالقرشيين ، فاستجاروا بالشيخ إسماعيل الجبرتى ، فقبض المجاهد خيلهم ، ثم أرجعها إليهم . ورفع أيديهم من نخل زبيد ، وأرجعه لأهله ، وقد كان فى أيدى القرشيين من أيام بنى رسول كما تقدمت الاشارة إليه .

وفى هذه السنة وصل السلطان أبو دخانة محمد بن سعيد بن فارس صاحب الشِّحْر بمراكبه إلى مرسى عدن ، وحاول دخوله ، فلم يتم له ، وانكسر من مراكبه اثنان لشدة الريح . ولما بلغ الملك الظافر عامر بن طاهر وصول ابن فارس ، نهض مسرعاً إلى عدن ، فانقطع طمع ابن فارس ورجع إلى بلده ، فانفتح المركب الذى هو فيه لقوة الريح ، حتى رجع إلى ساحل عدن ، فخرج الظافر بعسكره من باب البحر ، فأسر ابن فارس وابن أخيه ، وقتل مبارك الثابتى أحد نقباء يافع ، وهو الذى أطمع ابن فارس فى عدن ، وقتل ابن عم له ، وجماعة من أصحابه . وهذا من عجائب الاتفاق ، ومن الدلائل على أن لأول الدولة إقبالا تنقاد له رقاب أهل الشقاق .

وفيها قصد المجاهد المعازبة ، فقتل منهم عشرين رجلا ، ثم صالحوه على ستين فرسا .

ودخلت سنة — ٨٦٢ —

فيها سار الناصر بن محمد من صنعاء قاصدا لبلاد بنى طاهر ، فلقاه للملك الظافر ، ووقع الصلح بينهما ، فرجع الناصر إلى صنعاء .

وفى هذه السنة استولى عبد الوهاب بن داود بن طاهر على عدة من حصون الحبشى .

وفيها قبض المجاهد على جماعة من القرشيين وبعث بهم إلى المقرانة تحت الحفظ .

وفيها خربت قرية اللحية ، وهى قرية كبيرة فى ساحل وادى مور ، لعداوة وقعت بين أهلها ، وانتقل سكانها عنها ، ثم رجعوا فعمّروها .

ودخلت سنة — ٨٦٣ —

فيها قصد الناصر بن محمد بلاد بنى طاهر ، ووقع الحرب بينهم ، فهجم الأمير جياش ابن سليمان السنبلى محطة الناصر بن محمد ، وقتل جماعة من أصحابه .

وفيها صادر المجاهد القرشيين بعشرين ألف دينار .

وفيها توجه الأمير جياش السنبلى إلى الشّحر فدخله .

ودخلت سنة — ٨٦٤ —

فيها خطب للمجاهد فى زُبيد وتَعز ، وضربت السكة باسمه بإيثار له من أخيه الظافر .

وفيها سار الناصر بن محمد من ذِمَار بجيش جرار فيه من الأعيان القاضى على ابن حسين البحترى بعساكر الجوف والسَّراة ، والأمير على بن محارش الجوفى ، وابن مداعس الصّعْدى ، قاصدين بلاد بنى طاهر . ولما وصلوا جانب رُدَاع ، لقاه بنو طاهر ، ووقع الحرب بينهم ، فقتل من أعيان أصحاب الناصر الأمير على بن محارش الجوفى ، وجماعة من أصحابه . وقتل من أعيان بنى طاهر الشيخ محمد بن طاهر ،

وانهزم عسكر بنى طاهر ، وقتل منهم مائة رجل ، وانتهب من خيلهم سبعون فرسا ، واستولى أصحاب الناصر محمد على ما فى محطتهم من جُمام[1] وعدة .

ودخلت سنة — ٨٦٥ —

فيها نهض السلطان الظافر عامر بن طاهر إلى ذِمار ، بجيوش واسعة وكتائب متتابعة . وضرب خيامه خارج المدينة ، فخرج إليه شيخ ذِمار ، وهو حسن بن إبراهيم المقمحى ،فى عدّة من وجوه أهل ذِمار ، وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ودخل ذِمار من غير قتال ، لأن الناصر بن محمد خرج منه بأهله وأولاده وطارفه[2] وتلاده[3] إلى حصن هِرّان . ولم يلتفت إلى محاربة الظافر ، بل توجه إلى صنعاء بطائفة من عسكره ، فاعترضه فى طريقه بعض القبائل، فأعطاهم من النقد والثياب ما أقنعهم، ونَفَذَ إلى صنعاء ، وفرق الأموال فى الُجند .

وأما السلطان عامر بن طاهر ، فلبث فى ذِمار أياما ، وقبض ما فيه من خزانة لبيت المال . ولم يتعرض إلى أهل ذِمار بسوء ولا ضرار ، ثم استعمل عليهم ابن أخيه على بن تاج الدين . ورجع إلى بلاده ، فمرّ ببنى قيس وبلاد ذى رُعَيْن ، ووفد إليه إدريس بن محمد بن إدريس بعساكر الدعوة ، من عراس وبنى حجاج وكَحْلان ومريح[4] وعمران ، فجعل لإدريس بن محمد ولاية على بريم .

---

(١) الجمام : ملء الاناء ، والجمام من المكيال ما تجاوز رأسه بعد امتلائه ، وربما كان المقصود باللفظ ان أصحاب الناصر استولوا على جميع ما كان فى محطة عدوهم من زاد ومتاع .

(٢) الطارف فى اللغة هو المستطرف من المال والخيل وغيره . (المعجم الوسيط) .

(٣) التلاد بالكسر ، هو المال الأصلى القديم (المعجم الوسيط)

(٤) مريح : اسم موضع (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٩)

وفى هذه السنة خرج المجاهد على بن طاهر من زبيد لمحاربة عبيد اللوّى[1] ، فهزمهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وقبض أحد حصونهم .

ودخلت سنة — ٨٦٦ —

فى شهر صفر منها تجهز السلطان عامر بن طاهر للسير إلى الشّحر ، لما بلغه أن أهله نزعوا أيديهم من الطاعة بعد موت أبى دُخانة ، وأقاموا رجلا من أقاربه ، وأرادوا قطع المراكب عن التوجه إلى عدن . فشحن الظافر مراكبه بالماء والزاد والرجال ، ونهض ببقية عسكره سالكا طريق الساحل . فاتفق أن المراكب تحيرت فى بعض المراسى ، فكاد الظافر ومَنْ معه من العساكر يهلكون عطشاً ، وقعدوا عن المسير حتى أعانهم الله بسيل أقبل إليهم من بلاد بعيدة ، فشربوا وحملوا الماء وتقدموا إلى الشّحر ، فقاتلوا أهلها حتى دخلوا تحت الطاعة ، وأخذ الظافر على كبرائهم العهود ، وجعل عليها عمالا . وصالحه صاحب ظَفَار الحيوضى ، وقيل بل استفتحه جياش بن سليمان السنبلى مقدم الظافر عنوة ، وتبعه الشيخ عبد الملك بن داود ، فأمر بانتهاب البلد . ثم دخل الظافر عقيبهم فأمر بالكف عن النهب ، وقرر أموره ، واستعمل عليه الأمير أحمد ابن إسماعيل بن سنقر اليمنى ، وأمر الكثيرى صاحب ظَفَار بمعاونته . ورجع إلى عدن على طريق الساحل ، بعد أن وردت الأخبار إلى اليمن بهلاكه ومن معه من العطش . وكان الناصر بن محمد قد جمع عسكراً ، وسار إلى ذِمَار فاستولى عليه وعلى أكثر جهاته ، بعد أن خرج منه على بن تاج الدين عامل الظافر .

ولما استقر الظّافر فى عدن كتب إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان والأمير

---

(١) اللوى ، بالكسر وفتح الواو ، هو منقطع الرحلة ، وهو موضع أكثرت الشعراء من ذكره

(ياقوت : معجم البلدان ، الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١١٦)

على بن حسن قائد همدان يحرضهما على حرب الناصر بن محمد ، فخرج الإمام المطهر من كوكبان إلى القلاظ . ولقاه الأمير على بن حسن بجموع همدان ، ووقعت بينهم وبين عسكر الناصر بن محمد مصاولة شديدة على صنعاء وذى مَرْمر ؛ وفيه عامل الناصر ابن محمد ، فتولى محاربته عبد الله بن على بن حاتم ، واستولى على حصن السِّر ، ثم أخربه وما حوله من الدروب وقطع الأعناب . ولم يزل الحرب بين همدان وعسكر الناصر سجالا ، ودخل الإمام المطهر قلعة ظَهر ، فأكرمه الأمير على بن حسن غاية الإكرام .

وفى هذه السنة نهض السلطان عامر بن طاهر بجيش كموج البحر الزاخر ، فلما وصل ذِمار علم الناصر بن محمد أنه لا طاقة له بقتال عامر ، فانتقل إلى حصن هِرّان ، وخرج أهل ذِمار إلى السلطان يصطرخون فأمّنهم ، ودخل ذِمار فاستولى على خزانته ، وأخرب القصر ودور بنى المقمحى والجراجيش ، فراسله الناصر بن محمد وبذل له تسليم حصن هِرّان ، وأن يكون للظافر ما وراء نقيل يسلح[1] إلى ذِمار ، وما عداه للناصر . فلم يجبه عامر إلى ذلك ، بل طلب منه إرجاع ذى مَرْمر لهمدان ، وأن يطلق إلى الأشراف ما طلبوا من الحصون . فكبر الأمر على الناصر ، ولم يرد جوابا . ثم خرج من هِرّان بنفسه وببعض من عسكره ، وترك أهله متوجها إلى صنعاء ، فسلك طريق عُرْقُب[2] ببعض أصحابه وسلك بقيتهم الطريق الجادة[3] حتى وصلوا صنعاء ، وأخبروا بوصول القادمين من أصحابه ، فلم يصل . والسبب أنه لما وصل عُرْقُب خرج إليه أهله ، وأظهروا أنهم من جملة أعوانه ، وطلبوا منه النزول عليهم للضيافة ، فأجابهم

---

(١) نقيل يسلح فى طريق محجة عدن العليا
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٠)

(٢) عرقب بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه ، الحد ما بين ذى جرة وخولان وبين عنس (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٩)

(٣) أى الطريق الرئيسى المستقيم .

وفرّق فيهم الكسوات ، وأدخلوه حصنهم هداد[1] ، وفرقوا أصحابه فى القرى . فلما تمكنوا منه قبضوا عليه وعلى جميع أصحابه ، وشتموهم شتماً فاحشا ، وأهانوهم ، ثم بعثوا بشيرا إلى السلطان عامر ، فأرسل جماعة من أصحابه بالسلاسل والقيود للناصر وأصحابه . فقال لأهل عُرْقُب فقيه من هَدَوية تلك الجهة « لا تهدموا المذهب بتسليم الناصر إلى الظافر ، وإنما يحسن الارسال به إلى الامام المطهر بن محمد بن سليمان » فمالوا إلى قوله ، وبعثوا رسولا إلى الامام المطهر بن محمد ، فوصل إليهم بعسكره ، وقبض الناصر وأصحابه ، وسار بهم تحت الحفظ .

ولما وصل خارج صنعاء ، أراد من فيها من عسكره الخروج لاستنقاذه ، ولو كان فيه هلاكهم . وكانت الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين ساكنة فى دار محمد ابن الناصر المعروفة الآن بدار الكيخيا ، وقد ضاعفت الخدم على كرهٍ من محمد ابن الناصر ويحيى الكرّاز — المتولى لكثير من أعمال محمد بن الناصر — فانتهزت الفرصة وظنت أنه يتأتى للإمام المطهر بن محمد بن سليمان دخول صنعاء فى ذلك الأوان ، فأمرت خدمها أن يصيحوا باسم الامام المطهر من سطاح الدار ، فانتقض على جند الناصر ما أبرموه من الخروج لتخليصه ، ومرّ به الامام المطهر من خارج صنعاء ، وأهله يبكون . فقصد محمد بن الناصر والكراز دار الشريفة فاطمة بنت الحسن، وأرادوا الدخول عليها ، فمنعهم خدمها ، ورموهم بالنبل والحجارة ، فأحْرق عليهم أصحاب محمد بن الناصر باب الدار ، ودخلوا عليهم ، وانتهبوا ما فى الدار ، وقام محمد بن الناصر على باب المنزل الذى فيه الشريفة لمنع من يريد الدخول عليها ؛ وكان سيدا جليلا وقوراً نبيلا ، وسيأتى طرف من ذكر أخباره عن قريب إن شاء الله تعالى . ثم أنه بعث بالشريفة إلى القصر ، وجعلت تهدد يحيى الكراز وتوعده .

وأما الامام المطهر بن محمد فإنه وصل بالناصر إلى مَصْنعة ظِلع ، ولقاه الأمير

---

(١) ذكر الهمدانى أن هدادة حصن فى جبل يام قرب نجران
(صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥)

على بن حسن الهمدانى إلى هنالك . ثم بعث المطهر بالناصر وأصحابه إلى كَوْكَبان ، وتبعهم فى الأثر ، فأمر بالناصر إلى حصن العروس ، فلم يزل فيه إلى أن توفى فى التاريخ الآتى ذكره .

ولما علم الظافر بمصير الناصر فى يد المطهر ، أقام الحصار على حصن هِرّان ورجع إلى بلاده . وعظم خوف محمد بن الناصر على صنعاء من الامام المطهر بن محمد ، فكتب إلى الظافر ، وبذل له تسليم صنعاء إلى مقابل خمسين ألف دينار . فأجابه الظافر إلى ما طلب ، وبعث رسولاً لتمام الأمر ، فخرج محمد بن الناصر وأهله من القصر إلى الدار التى كانت الشريفة فاطمة بنت الحسن فيها . وقبض رسول الظافر القصر ، واستعان بجماعة ممن يعرفهم . وطلب من الأمير على بن حسن الهمدانى الى جماعة من أصحابه يحفظون القصر والمدينة ، حتى يأتى عسكر الظافر ونائبه . ولما وصل كتاب رسول الظافر إليه بعث ابن عمه حاتم بن ابراهيم فى مائتى فارس إلى صنعاء ، فدخلها وخطب للظافر على منبرها . وتعقبه وصول الشيخ عبد الوهاب بن داود ابن طاهر ، عاملا لعمه الظافر ، بجيش كبير ، فجعل لمحمد بن الناصر قرى معروفة حول صنعاء . وعظمت دولة بنى طاهر ، واشتد ملكهم ، واستقروا فى هذا العام على كثير من اليمن ، كَبَعْدَان وإبّ وبلاد على بن الحسام .

ودخلت سنة — ٨٦٧ —

فيها نهض المجاهد على بن طاهر الى زبيد بجيش عديد . وفى شوال من هذه السنة توجه أخوه الملك الظافر إلى صنعاء فى ألف فارس ، وعسكر كثير ، تلقاه أهل صنعاء ، وقاتل همدان . ودخل صنعاء دخولا معظما ، فأقام فيها مدة ، وأمر طائفة من جنده لمحاربة أهل ذَهبَان ، لفساد وقع منهم ، وانتهاب للمارة . فقبضوا على جماعة منهم ، وأوصلوهم اليه . ثم أمر بقطع أشجار حَدَّة وإخراب بيوتها ؛ فصالحه أهلها بجملة من المال ، فتركها وتوجه قافلاً الى بلاده .

وقد كان الحبشى وأهل بَعْدَان تشوشوا للخلاف عليه ، وقبضوا بعض الحصون التى استولى عليها فى العام الماضى ، فدوخ بلادهم ومهدها[1] ، واسترجع الحصون .

وفى هذه المدة سار الأمير على بن حسن الهمدانى إلى الظافر ، فأكرمه ، وأمره بمحاربة ذى مَرْمر . وفيه محمد بن عيسى شارب الأسدى من أيام الناصر بن محمد ، فاستناب الأمير على بن حسن ابن عمه هاشم بن محمد لمحاربة الحصن المذكور ، فلم يزل الحرب بينه وبين محمد بن عيسى سجالا .

ودخلت سنة — ٨٦٨ —

فيها مات الناصر بن محمد مسجونا فى حصن العروس ، فطلبت والدته الشريفة مريم بنت على بن صلاح الدين من الإمام المطهر بن محمد أن يأذن لها بنقله إلى صنعاء فأذن لها ، وأُدخلت جَنازته إلى صنعاء على جمل ، ودفن فى مسجد القبة عند أهله .

وفى هذه السنة خرج محمد بن عيسى البَعْدَانى — نائب الظافر على صنعاء — لمحاصرة حصن بِرَاش ، وهو فى يد قاسم بن مظفر ، أحد نواب الناصر بن محمد ، فاستعان بمحمد بن الناصر ، فلم يقدر على إعانته ، فتسلم إلى يد الأمير على بن حسن الهمدانى .

وفيها وصل الشيخ عبد الوهاب بن داود الظاهرى إلى صنعاء ، قاصداً للسير إلى الجوْف ، فمكث فى صنعاء أياما ثم كتب إلى الظافر يعلمه أن دخول الجوف فى تلك المدة غير ممكن ، فجنح الظافر إلى قوله وأمره باستخدام العساكر لقصد بلاد دثينة[2] والتوالف ، فجمع عسكرا من صنعاء والظاهر ، وتوجه بهم إلى عمه ، ثم ساروا جميعاً إلى تلك الجهة ،

(١) المهد : الأرض السهلة المستوية (المعجم الوسيط)

(٢) الدثينة : بفتح أوله ، ناحية بين الجند وعدن (ياقوت : معجم البلدان) .

فاستولوا عليها . وتحرك بعد مسيرهم إليها أهل بَعْدَان للخلاف ، فحاربهم المجاهد على ابن طاهر ، وأخرب كثيراً من قراهم ، وشدد محاصرة حصن حَبّ .

وفي هذه المدة استعمل المجاهد على زبيد أخاه عبد الملك بن طاهر ، فبلغه أن عبد الملك أمر بإعادة الملاهي التي كانت في أيام بني غسان ، فغضب . وكان شهماً عفيفاً ، فعزل أخاه عبد الملك ، واستدعاه للوصول ، واستعمل على زبيد أبا سفين . فتوجه عبد الملك إلى أخيه الظافر ، وشكا إليه من أخيه المجاهد ، وأنه مكذوب عليه . وبلغ المجاهد مافعل عبد الملك من بث شكواه على الظافر ، فاستخفه الغضب ، ولم يسعه إلّا الخروج بنفسه منفرداً في خفية عن أخوته وأهله ، وركب على جمل وأراد التوجه إلى مكة ، وعرج عن دخول زبيد . فخرج إليه الفقهاء والأعيان ، وطلبوا منه العود إلى زبيد ، وتشفعوا إليه بالقرآن ، فأسعدهم . ولبث في زبيد مدة يسيرة ثم خرج على غفلة مختفياً إلى الساحل ، وركب في سفينة إلى ساحل الحديدة ، وتفرق الجند في طلبه ، فلم يجدوه . ونمى خبره إلى عامل الحديدة ، فأمعن في الارتقاب له حتى وافاه ، ثم منعه عن المسير ، وأشار عليه بالرجوع ، فرجع إلى ساحل زُبيد ، وأراد الركوب إلى الهند ، فألقته الريح إلى ساحل عدن . وتبعه أبو سفين وتضرع لديه ، فدخل عدن . ووصل إليه أخوه الظافر ، فما زال يترضاه حتى طابت نفسه ، وذهب عبوسه .

وفي هذه المدة سار يحيى الكرّاز إلى بني طاهر بهدايا عظيمة من الخيل والمروج والعدد ، فأكرموه غاية الاكرام ، وجعلوه مشاركا لنائبهم في صنعاء ، وهو محمد بن عيسى البَعْدانى[1] .

ودخلت سنة — ٨٦٩ —

فيها وصل أمر الظافر إلى نائبه على صنعاء محمد بن عيسى البَعْدانى في الارسال إليه

(١) نسبة الى بعدان ، وهو مخلاف باليمن كما تقدم .

بمحمد بن الناصر ، لما خشى منه الوثوب على صنعاء ، فأشعره النائب بأمر الظافر ، فلم يكن منه غير طلب المهلة إلى أن يتم له التأهب للنقلة . وعلم محمد بن الناصر أن الظافر لا يدعه بعد وصوله إليه عن إيداعه السجن إلى الممات ، أو يُحدِثُ الله بعد ذلك أمراً . فكتم أمره عن الأقربين ، ثم كتب إلى نائب أبيه محمد بن عيسى شارب الأسدى صاحب ذى مَرْمر ، وأخبره الخبر . فأجاب عليه محمد بن عيسى ، أن كُنْ فى الأهبة لخلاصك علىَّ إن شاء الله تعالى . ولم يزل محمد بن عيسى شارب يترقب الفرصة فى تخليص محمد بن الناصر ، إلى أن بلغه يوما أن عامل بنى طاهر خرج إلى بلاد سنحان لقبض الزكاة ، وأن صنعاء خالية عن أكثر الجند ، فنهض مبادراً بعسكر قليل حتى دخل صنعاء ، وأحسن فيما فعل صنعاً . ولم يكن له مطلب سوى تخليص سيده ، فقصد داره وأخرجه ، ثم حمله على جواد من عواتق الخيل ، وتوجه به قافلا إلى ذلك المعقل المنيع .

فلما عرف أهل صنعاء ، أقبل إليهم أهلها فرادى وجمعاً ، وقالوا لشارب « حيث قد أردت إخراجه فلا تخرجه حتى نهجم نحن وأنت بيت الكراز ، لأنه السبب فى تسليم المدينة إلى بنى طاهر » فأسعدهم شارب وابن الناصر ، وقصدوا جميعاً دار الكراز ، وفيها من الأموال جملة مستكثرة ، فانتهبوها . ثم قالوا لشارب ومحمد بن الناصر « اغتنما الفرصة فى قبض المدينة ، واقصدا بنا القصر لاخراج من فيه من عسكر بنى طاهر » . فأسعداهم ، وتوجه الجميع نحو القصر ، وفيه عصابة وافرة من همدان وغيرهم ، فافتشلوا وطلبوا الأمان ، وبعضهم خرج من جانب القصر ؛ فلم يصبح حتى فرغوا من قبض المدينة والقصر . وحفظ الله مُلك ابن الناصر عليه من ذلك اليوم ، وثبت على صنعاء ومخاليفها . ولم يزل قائماً بأمورها إلى أن مات بعد مدة مديدة فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى . ولما بلغ نائب بنى طاهر الخبر ، توجه إلى ذِمار حليف ذلٍ وصَغار .

وأما السلطان عامر فقام لذلك الأمر وقعد ، وأبرق وأرعد ، وتهدد وتوعد ، وجمع

الجيوش الجرارة والعساكر الموارة[1]، ثم نهض إلى صنعاء ، فأحاطت بها جيوشه من جميع الجهات ، ونصبوا عليها العَرّادات ، وهدموا ماحولها من الدور والبساتين الجامعة لأنواع الأشجار والزهور ، وطموا الآبار وغوروا الأنهار . واتصل ضررهم بناحية ذى مَرْمَر ، وأخربوا فيها شِبَام بنى السحيمى ؛ وكانت فى هذا التاريخ عامرة مستقيمة ، وفيها المآثر القديمة العظيمة ، وهى التى ذكرها الهمدانى فى الجزء الثانى من كتاب الإكليل[2]، فقال « شبام سحيم على نصف يوم من صنعاء ، فيها من المصانع الحميرية مافيه عبرة لمن اعتبر » . وهى كما ذكر ، فإنه يوجد فيها إلى زماننا أحجار مثمنة عظيمة ، ووجد فى أساسها صورة يد إنسان من نحاس ، بساعد وكتف وأصابع ، ولعلها من صنم كان فى زمن الجاهلية ، والله أعلم بغيبه .

وفى خلال حطاط السلطان عامر على صنعاء ، وفد عيد الأضحى، فسأله كبير من قومه أن يأذن لهم بالعود إلى بلادهم للاجتماع فيه بأهلهم وأولادهم ، وتشفعوا إليه بالفقهاء والصوفية ، فترجح له رفع المحطة جميعها ، والعود بنفسه إلى وطنه . وتوعد أهل صنعاء بالعود إليهم عن قريب . ثم سار إلى المقرانة مستقر ملكه ، واجتمع به أخوه على ابن طاهر .

ولما ارتفع عامر عن صنعاء ، طلب محمد بن الناصر من أهل صنعاء أربعة آلاف أوقية فضة إعانة على الجهاد ، فأعطوه إياها كاملة ، وأمر شارب بالخروج إلى بلاد سِنْحان لقبض الحقوق ، فقبض منها ما أمكن قبضه ، وبعث به إلى قصر صنعاء . وبالغوا فى

---

(١) مار ، يمور : تحرك وترافع ، ومار البحر اضطرب وماج (المعجم الوسيط) .

(٢) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ . من مؤلفاته « الاكليل فى أخبار اليمن وانساب حمير » تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٦٨ هـ ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » تحقيق محمد عبد الله النجدى ـ القاهرة ١٩٥٣ م .

الاستعداد والتأهب للحرب والجلاد . وقد كان بعث محمد بن الناصر صلاح بن عيسى شارب — أخا محمد بن عيسى — إلى بنى جبر ليحشد القبائل ، فغدر به دوار الجبرى ، وكان من المائلين إلى بنى طاهر ، فقتله وبضعة أنفار من أصحابه .

ودخلت سنة — ٨٧٠ —

فى آخر المحرم وصل السلطان عامر بجنوده لمحاصرة صنعاء ، وقد جمع من البقر ألف رأس ، لتغوير مابقى من الآبار والأنهار حول صنعاء . ولما انتهى إلى سفح بيت بوس ، أمر بتغوير غيل آلاف وغيل البرمكى ، وكان غيلا مباركا ، كثير العطوف على أوطان صنعاء ، دائم الجرى ، فعفى آثاره . وأمر أيضاً بقطع أشجار حدة وتغوير أنهارها. واجتهد فى ذلك حتى كان يمرّ بنفسه على المأمورين لمعرفة ما يفعلونه . وأمر بتحصين عثمان(١) ومحلا آخر فى سِنحان ليكونا ردءا له . ثم تقدم إلى المحاريق قريب من صنعاء ، ووصل إليه محمد بن الإمام المطهر بن محمد بمن عنده من عسكر كوكبان . فلما عرف محمد بن صلاح الظربوه صاحب ثلا بخلو كوكبان عن العسكر ، أطمعته نفسه بأخذ كوكبان ، والاستيلاء على الإمام المطهر بن محمد بن سليمان . فكتب إلى محمد بن الناصر يمده بعسكر لقصد كوكبان ، وقبض الإمام المطهر . فأرسل إليه جماعة ممن عنده ، وحرضه على اغتنام الفرصة ، فعادت بعد ذلك غُصة كما سيأتى . وكان الظربوه يوالى الامام المطهر فى ظاهر الأمر ، وفى نفسه مافيها من عداوته ، فقصده يوما إلى كوكبان فى خمسين رجلا ، وصمد نحو الدار التى فيها الامام ، فخرج رجل من أصحاب الامام بفرسه فقاتل حتى قتل ، وعقرت فرسه ، فأشرف الإمام على الظربوه ، وقال له : « الرأى رجوعك إلى محلك قبل وصول القبائل ، ولا تعرض نفسك ومن معك للهلاك » فأغلظ للإمام فى الكلام ، فقال الإمام لمن حوله « لا مقام لنا بعد هذا ، ولا عذر لنا عن

(١) عثمان : موضع قرب صنعاء (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٧٧)

الخروج إليهم حتى نُقتل ولا يأخذونا أسارى » ، ثم تقلد سيفه ، وخرج إليهم فقاتلهم حتى وصل أهل الأهجر والعروس وهمدان ، وفتح لهم باب كوكبان فدخلوا ، وقتلوا أهل ثلا عن آخرهم ، ومنهم من تردّى من الشواهق ، وأُخذ محمد بن صلاح الظربوه أسيراً ، وأودع فى السجن ملوماً مدحوراً . وكان الطيش قد استخفه ، فبعث بشيراً إلى محمد بن الناصر يخبره بدخوله كوكبان ، فضُربت البشارة فى صنعاء ، وتغير حال محمد ابن المطهر من ذلك خوفا على ابنه ، فطلب من السلطان عامر الإعانة له ؛ فبعث معه جماعة من عسكره ؛ قائدهم حسن بن ابراهيم المقمحى ، فانتهبوا ثلا ، وأخربوا جانباً منها . وساروا إلى الإمام المطهر بن محمد ، ثم رجعوا إلى محطة السلطان عامر ومعهم رءوس القتلى من أهل ثلا ، فطافوا بها فى العسكر . ولم يلبث السلطان عامر أن قوض أطنابه ورحل عن صنعاء بعد ثلاثة وعشرين يوماً ، متوجهاً نحو المشرق ؛ حتى بلغ قريب مأرب ، ثم رجع إلى بلاده .

وفى هذه السنة تسلم المجاهد على بن طاهر حصن حَبّ وغيره . وبعد ارتفاع السلطان عامر عن صنعاء ، خرج محمد بن عيسى شارب إلى بنى شهاب ، فأصلح حصن قرن عنتر المعروف بظَفَار ، وحفر فيه المواجل[1] الكبار ، وقصد إلى بيت رِجَام ، فأخذ ما فيه من الطعام ، وسار إلى مَتْنه . وتردد فى تلك الجهة مع سكون الفتنة ، فلم يشعر أهل صنعاء إلاّ بوصول السلطان عامر بجنده المتكاثر ، فحط فى حَدَّه ، ثم تقدم إلى آكام الزبيب فى سفح نُقُم ، وأهلك ما حول صنعاء من المزارع ، ولم يبق منها بقية ، ثم رجع إلى بلاده فى شهر شعبان من السنة المذكورة . وسار إلى عدن فلبث فيه إلى شهر شوال من هذه السنة .

ثم وصلت إليه كتب جماعة من أهل صنعاء يستدعونه للوصول ، فاستخفه الفرح ،

---

(١) الموجل : حفرة يستنقع فيها الماء (المعجم الوسيط) .

ونهض مبادراً من عدن ، فطوى المراحل بتلك القساطل ، حتى وصل صنعاء فى ستة أيام منذ خروجه من عدن ، فوافاها على حين غفلة من أهلها ، فارتاع أهلها روعة عظيمة ، وسارعوا إلى إغلاق أبوابها . وكان محمد بن عيسى شارب يومئذ فى جهة حَضُور ومعه عدد قليل دون الثلاثين الفارس ، فأقبل مغيرا على صنعاء . فلما قرب منها نظر إلى ما راعه ، من كثرة جنود عامر وخيله ، وقد ضربت خيامه قريب من باب السبحة ، فتقدم شارب ومن معه على خطر عظيم ، فيسر الله لهم الوصول إلى باب صنعاء ، ففتحوا له بابها ، واشتد بوصوله أهلها . ثم خرج ومعه عسكر صنعاء وكثير من أهلها ، وأصدقوا الحملة ، وأقدموا على التهلكة ، فأيدهم الله بنصره . ولم تمض ساعة من نهار ذلك اليوم ، حتى قتل السلطان عامر بن طاهر وعدد كبير من أصحابه ، وانهزم بقية الجندُ ، ووضع أهل صنعاء أيديهم ينهبون ويقتلون ، واستغنى المفلس . وكانت هذه القضية شبيهة بقضية على بن محمد الصليحى فى المَهْجَم ، وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم . ومما قيل فى هذه الواقعة من الشعر ، قول السيد العلامة بدر الدين محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير ، رحمه الله تعالى .

ديار الحى من كنعى أزالٍ سألتك كيف قتل العامرية
عداة أتوا على صنعا بجيش أجش بالضبا والسمهرية
عزانا عامر وبنو أبيه كماة بالطلا والسابرية
عزانا من ربى عدن ولحج ومن مخلاف جعفر بالعنيّة
أحاطوا بالمدينه حين جاؤا إحاطه هالة الشمس المضية
وكادوا يفلسون الدرب لما رأوا من أهل صنعا صعدنيّه
فجاءت غارة البارى علينا وغارة[1] ربنا ليست بطيّة

---

(١) يقال غار الله القوم بالخير والرزق والمطر ، أى نفعهم (المعجم الوسيط) .

وسر تلاوة القرآن لما تلى عند الصباح وبالعشية
وسر محمد المختار فينا وعترته المباركة الزكية
ألم تر عامرا فى يوم صنعا تولى كبره والعنهجية
وأخرب دورنا وجنى علينا جناية مستخف بالحنية
فعوجل بالعقوبة واستبيحت نفايسه مع النفس الأبية
وحد مرقومه الطرفين يحكى ألا دع عنك ذكر العامرية
وقصته وإن سرت وبرت دليل حقارة الدنيى الدنية

ولما ملك عامر بن طاهر ، ولم يحل بينه وبين أمر الله الملك القاهر ، مُعين ولا مُظاهر ، استقر ملك محمد بن الناصر ، وترتبت بذكره الطروس[1] والمحابر ، ونوه باسمه على المنابر ، وسالمته الأيام ، ودان له الخاص والعام . ولم يقم لحربه قائم بعد زوال عدوّه الباغى الظالم ، خلا أن الأمير الحسين بن على بن قاسم الحمزى — صاحب صَعْدَة والمالك زمام أمرها فى هذه المدة — لما ألقى مقاليدها إلى ولده الهادى ابن الحسين ، ساسها أحسن سياسة ، وتمت له فيها الرياسة . لكنها أطمعته نفسه إلى تملك صنعاء ، بعد مهلك عامر ، فخرج بجنده إلى همدان ، ولقاه الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، والداعى صاحب قلعه ظَهر ، وتقدم الجميع لحرب صنعاء . فلقاهم المؤيد محمد بن الناصر إلى قاع مقامر ، ووقع بينهم هنالك حرب شديد ، ثم رجع الهادى بن الحسين ، وتفرق عنه أصحابه ، وبعد مدة قتل فى الجوف . وتوجه محمد بن الناصر لمحاربة أشراف الزاهد ، فلبث مدة فى الجوف ، حتى كاد يستولى عليهم ، فظهر له من بعض أصحابه مداهنة للاشراف ، وفتور عن الحرب ، فرجع إلى صنعاء ، لما يخشى عليها من غائلة بنى طاهر ، فاستقر فيها ، وخفف من الجند ، ونشر العدل ، وحسنت سيرته ، وحمدت طريقته ،

(١) الطرس : الكتاب

وطالت فى الملك مدته قدر أربعين سنة . وسيأتى خبر وفاته فى تاريخه ، إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٨٧١ —

فيها اضطربت بلاد بنى طاهر على المجاهد ، بعد أن ملك أخوه عامر بن طاهر ، وثار الخلاف عليه فى كل مكان ، فانقطع طمعه عن ذِمَار وصنعاء ، واشتغل بالنظر فى إصلاح اليمن الأسفل وتهامه ، فملك ذِمَار الامام المطهر بن محمد بن سليمان ، إلى أن مات فى التاريخ الآتى ذكره .

وفى هذه السنة قدم المجاهد على بن طاهر من عدن إلى بلدة المقرانة ثم خرج إلى ذى جِبْلة ، فأقام فيها أياما ، وثار أهل تهامة إلى الخلاف ، فخرج أبو سفين — عامل المجاهد على زبيد — إلى فَشَال . ثم إنه لاطف المعازبة واستمالهم ، واستنهض المجاهد للوصول ، فسار المجاهد إلى زبيد ، ثم إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، وكرر الغارات على المعازبه ، وقتل منهم جماعة وأسر أخرين ، ونهب مواشيهم . ولم يزل يتابعهم حتى ألجأهم إلى هيجة[1] العامريين ، فحط عليهم في شحنته[2] قدر ثمانية عشر يوما حتى أذعنوا بالطاعة ، وسلموا اثنين وخمسين فرسا ، فارتفع عنهم إلى زُبيد .

ودخلت سنة — ٨٧٢ —

لم يتفق فى هذه السنة ، ولا فى التى بعدها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٨٧٤ —

فيها غزا أبوسفين الرُّماه[3] ، فقتل منهم فوق المائة ، وأسر خمسين رجلامن رؤسائهم

(١) ذكر ياقوت أن هيج اسم موضع (معجم البلدان)
(٢) الشحنة : الجماعة يقيمها السلطان فى بلد لضبطه (المعجم الوسيط) .
(٣) جهات الرماة : موضع باليمن قرب الكدراء ، أهله من العرب
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٢٦٨)

ونهب كثيراً من ماشيتهم ، وتقدم إلى بيت الفقيه الزيدية ، فكانت بينه وبين بنى حفيظ وقعة عظيمة ، قتل فيها أبو الغيث بن حفيظ فى عدد كثير يزيدون على ثمانمائة نفر ، واستولى أبو سفين على قرية الشريج[1] ثم جعل فيها الأمير سليمان بن جياش السنبلى فى جماعة من أصحابه . وكان ابن حفيظ قد عمرها ليتحصن بها ، فانعكس أمله ، ووافاه أجله ، ولبث الأمير سليمان السنبلى ومن معه فى قرية الشريج إلى شهر رمضان من هذه السنة . ثم وثب عليه الزيديون ، فقتلوا أكثر من عنده .

ودخلت سنة — ٨٧٥ —

فى المحرم منها قدم الشيخ عبد الوهاب بن داود بن طاهر وأبو سفين إلى زبيد بعسكر عظيم ، ثم خرجا مع المجاهد إلى نخل المعازبة على طريق بيت الفقيه بن عجيل ، فنهبوهم نهباً ذريعاً ، وقتلوا منهم جماعة . ثم رجع المجاهد إلى زبيد ، وتقدم عبد الوهاب وأبو سفين إلى أبيات حسين وبلد الزيديين ، للأخذ بثأر من قتل فى قرية الشريج ، فوقع بينهما وبين الزيديين حرب قتل فيه أبو سفين ، وقتل منهم مائتى نفر ، ورجع عبد الوهاب إلى زبيد .

وفى هذه المدة وصل عز الدين بن حفيظ وجماعة من أقاربه إلى المجاهد ، وحباهم ، وأعطاهم اثنى عشر ألف دينار يتألفون بها من يليهم من عرب تهامة . فلما وصل بلد الرماه وثبوا عليهم ، فانتهبوا جميع ما معهم من مال وخيل . وبلغ المجاهد ، فخرج غازياً للرماة ، فقتل منهم ثمانين رجلا ، ونهب كثيراً من مواشيهم ، ورجع إلى زبيد . ثم غزاهم غزوة أخرى فقتل شيخهم عبد الله بن حسن العنبرى ، فصالحوه على خمسة وثلاثين فرساً . ثم نهض إلى بلاد بنى حفيظ ، فصالحوه أيضاً . ورجع إلى زبيد فقلد القاضى

---

(١) شريج : يطلق هذا الاسم على أكثر من قرية فى نواحى زبيد باليمن منها شريج نابط وشريج الريان (ياقوت : معجم البلدان) .

شرف الدين محمد الأحمر أمور زبيد ، وسار إلى عدن . وبعد أيام يسيرة ثار عرب تهامة للخلاف ، وقصدوا زبيد ، فأغار عليهم المجاهد وولدا أخيد عامر أحمد ويوسف ؛ والأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى ، فلم يزل الحرب بينهم سجالا .

وفى هذه السنة ظهر كنز عظيم أكثره من الذهب الأشرفى ، وظهوره فى محل قريب من قرية واسط ، إحدى قرى وادى زبيد ، فشُدت إليه الرحال ، وأباح المجاهد للناس ما وجدوه .

ودخلت سنة — ٨٧٦ —

فيها أقطع المجاهد الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى بيت الفقيه ابن عجيل ، وما إليه من تهامة ، فأقام فى المراوعة[1] ، وكرر الغارات على المعازبة . فمن ذلك غزوة النخلتين ، قتل فيها منهم عشرين رجلا ، وسبي نساءهم ، ونهب ماشيتهم ، فصالحوه على ثمانية عشر فرساً . وبعد أيام يسيرة غدر المعازبة وأهل الحَجْبَة[2] باسماعيل بن محفوظ المصرى ومن معه من الفرسان والعبيد المأمورين لقبض الخراج . فغزاهم الأمير عمر ، فقتل منهم مأتى نفر واجتزت رؤوس كثير منهم . ودخل الأمير عمر إلى بيت الفقيه ابن عجيل دخولا معظماً بعد هذه الفتكة ، وعاقب أهل الحَجْبَة بتسعه آلاف دينار ، والمعازبة بتسع رؤوس من الخيل ، ثم سار إلى زبيد .

ودخلت سنة — ٨٧٧ —

فيها قدم الشيخ عبد الوهاب بن داود إلى زبيد ، فقبض على الأمير عمر

---

(١) المراوعة : قرية باليمن (تاج العروس) وهى من أعمال الكدراء (عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٩٣)

(٢) حجبة ، بالفتح ثم السكون ، من قرى اليمن فى بلاد سنحان (ياقوت : معجم البلدان)

ابن عبد العزيز وجماعة من الكتاب ، وسار بهم إلى عمه المجاهد ، وهو في تعز ، فأنكر على الأمير عمر أموراً نسبت إليه . ثم قيده وأمر بمحاسبة الكتاب ، وبعد أيام أطلق الأمير عمر بن عبد العزيز ، وأرجعه إلى عمله .

ودخلت سنة — ٨٧٨ —

لم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٨٧٩ —

فى صفر منها مات الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان ، عليه السلام ، فى مدينة ذِمَار ، ودفن فى مسجده المبارك ، وقام بعده فى ذِمَار ولده عبد الله محتسباً ، فلم يزل فى ذِمَار إلى أن أخرجه منه بنو طاهر فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ولما مات الإمام المطهر رحمه الله تعالى ، خرج السيد العلامة محمد بن يوسف بن صلاح بن المرتضى من آل المفضل ، من صنعاء إلى ثلا ، بجماعة قليلين ، منهم أخوه صلاح بن يوسف والفقيه محمد بن على بن حنش . وأظهر فى ثلا أنه قد دعى إلى نفسه فى صنعاء عقيب وفاة الإمام المطهر بن محمد ، وأشهد على ذلك جماعة ، فكاد الناس يجيبونه ، وبث دعوته إلى صَعْدة وفلَلَه وأكثر بلاد الزيدية فى اليمن الأعلى .

وفى هذه الأيام دعا الإمام الهادى إلى الحق المبين عز الدين بن الحسن بن على بن المؤيد عليه السلام فى هجرته فلَلَه من نواحى صَعْدة ، ثم أعرض عنها لوجوه أبداها لمن لامه على تركها . ولم يزل كذلك إلى شهر شوال من هذه السنة ، ثم جدد الدعوة المباركة ، فأول من بايعه والده السيد العظيم شرف الدين الحسن بن أمير المؤمنين وإخوته وأقاربه ، ثم من حضر من العلماء والأعيان . ولما وصلت دعوته إلى الجهة اليمانية كصنعاء وذِمَار

ومخاليفهما ومغاربهما كحَجَّة وشطب والأهنوم والشرفين وتهامة وجازان وضَمْد[1] وحَلْى وبلغت إلى مكة وينبع والصفراء[2] تلقاها الجميع بالقبول . ووصلت إليه الكتب من البعيدين بالطاعة ، وأقاموا له الجمعة والجماعة . ثم نهض إلى السَّوْدة فاستقر فيها مدة ، وبنى مسجداً عظيماً ، ووصل إليه من أعيان علماء زمانه قدر مائتى رجل ، منهم القاضى العلامة محمد بن أحمد مرغم ، والفقيه جمال الدين على بن زيد ، والفقيه العلامة لسان المتكلمين على بن محمد البكرى ، والفقيه الصدر يحيى بن صالح العلفى ، هؤلاء علماء صنعاء . وممن وصل إليه الفقيهان الأخوان العالمان أحمد ومحمد ابنى النهد الكحلانى ، وغيرهم من فقهاء الحَيْمَة والشاحذية[3] وهجرة عربومان[4] وغيرهم. وأوردوا عليه من المسائل فى كل فن ماملأ الطروس ، فأجابهم بما يشفى النفوس . فلما ظهرت لهم الحجة ، وبانت المحجة ؛ بايعوه وشايعوه ، وأعطوه زكواتهم . ومنهم من لازمه ، ومنهم من طلب منه الإذن بالعود إلى وطنه . وبالجملة فلم يخرج عن طاعته إلاّ الأشراف أهل صَعْدة ، وتمسكوا على زعمهم بطاعة الإمام محمد بن يوسف ، وأقاموا له الخطبة فى صَعْدة . وكانت الخطبة غاية طاعتهم له مدة حياته ، ولم يملك من البلاد شيئاً ، إلى أن توفى فى التاريخ الآتى ذكره .

ودخلت سنة — ٨٨٠ —

وفى هذه السنة — أو فى بقية الأولى — نهض الإمام عز الدين بن الحسن إلى

---

(١) الضمد ، بفتح أوله وسكون ثانيه ، موضع بناحية اليمن ، بين اليمن ومكة . (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) الصفراء : قرية كثيرة النخل والمزارع ، فوق ينبع مما يلى المدينة (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) شاحذ : موضع فى سراة المصانع فى جبل السراة باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)

(٤) عربوة : موضع باليمن ، وهجرة عربومان — أو الهجرة المعاذية كما سيلى بعد قليل — موضع بجوار شاحذ فى جبل السراة .

الجهة اليمانية ، فمرّ ببلاد مَسْور ، وصعد إلى جبل الظِلع ، ثم انحدر إلى الطويلة ، وهبط إلى جهة الشاحذية ، فاستقر فى الهجرة الدُمَاذية — هجرة عربومان — قدر ثلاثة أيام ، وفيها من العلماء الأعيان الفقيه العلامة النحرير محمد بن ابراهيم بن سليمان والفقيه العلامة بدر الدين محمد بن سليمان بن شاش ، والفقيه الفاضل العلامة قاسم بن على الأكوع ، وغيرهم من الفقهاء الأفاضل والشيعة الأماثل .

ثم توجه الإمام عليه السلام إلى جهة الْخَيْمة ، ووصل إليه من أهل حراز وحضور عالم كبير ، وتقدم إلى جهة أنس ، فلبث فيها أياماً ثم رجع الى الجهة الشامية ، واجتمع لديه من جند الشام[1] قدر مائة فارس وخمسة عشر ألف راجل . وما زالوا يحثونه على حرب صَعْدة ، وفيها الأمير محمد بن حسين الحمزى ، فخرج الإمام بتلك الأقوام من فَلَلَة الى صَعْدة ، فلم يكن بأسرع من هزيمة جند الامام ، وقتل منهم عدة فى ذلك اليوم ، من أعيانهم القاضى أحمد بن محمد الخالدى ، رحمه الله تعالى . ولقد سلك أهل الشام طريقة أسلافهم اللئام من الهزيمة عند الصدام ، فكم موقف ولوا فيه الأدبار وتقلدوا فيه العار والبوار . من ذلك يوم عصر مع الأشراف أولاد الإمام ص بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام ، وقد تقدم ذكره ، وغيره مثله ، حتى ضرب بهم المثل فى الجبن والفشل .

ولما اتفقت هذه الحادثة ، رجع الامام عز الدين الى وطنه ، ثم سار منه الى بلاد الظاهر ، وجرت بينه وبين الأشراف حروب كثيرة ، واستولى على حصن المِنْقَاع . ولم يزل يتردد فى بلاده الى أن مات فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٨٨١ —

لم يتفق فيها غير ماذكر من محاربة الإمام عز الدين والأشراف آل حمزة .

(١) الشام : منطقة جبلية فى جبل السر .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٧٩)

ودخلت سنة — ٨٨٢ —

فيها حصلت وحشة شديدة فيما بين الشريف محمد بن بركات أمير مكة المشرفة ، وبين الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد صاحب جازان ، أوْجبت خروج الشريف محمد لحرب الشريف أحمد . ولما وصل صاحب مكة إلى قريب جازان، ترددت الرسل بينه وبين صاحب جازان بالصلح ، فلم ينتظم لهم أمر ، بل وقع الحرب الشديد الذى ليس عليه من مزيد . فانهزم صاحب جازان ، وقتل من أصحابه عدة من الرجال والركبان ، واستولى الشريف محمد على جازان ، وأذاق أهله طعم الذل والهوان ، وانتُهكت المحارم ، وفُعلت العظائم . ولم يسلم من الهتك أحد ، حتى حريم الشريف أحمد بن دريب . وقبض الشريف محمد جميع خزائنه وذخائره وكتبه ، وكانت جملة مستكثرة ، وهُدمت دور الأمراء فى جازان ، وأخرب سورها ، ولم يبق فيها بقية . وفر ولد صاحب جازان الى زبيد ، فأكرمه الشيخ يوسف بن عامر بن طاهر غاية الإكرام، وأنّسه الإيناس التام ، وبعث به الى عمه المجاهد ، فأعطاه عطاء جزيلا ورده مكرماً .

وفى هذه السنة تسلم المجاهد حصن الشيخ إدريس الجُبَنى المعروف بحصن الخضراء[1] قريب من خدد[2].

ودخلت سنة — ٨٨٣ —

فى المحرم منها أقدم الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى[3] على قتل الشيخ ادريس ابن

(١) الخضراء : حصن باليمن فى جبل الشوافى
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ص ٢٧٩)

(٢) قلعة خدد ، فى جبل السر باليمن « وفيها قصر عظيم يقصر عنه الوصف »
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٧٨)

(٣) غير منقوطة فى المتن ، الصيغة المثبتة عن « بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد » ورقة ٢٧ م .

محمد بن الجلال الحبيشى بعد أن أخذ فيه رأى المجاهد وزعم أنه قتله بأبيه . وفى الشهر المذكور ابتدأ المرض بالمجاهد على بن طاهر بن معوضة فى عدن فنقل إلى بلد جُبَن ، واستخلف على عدن الفقيه محمد بن حسين القماط الزبيدى ، ولم يزل مريضا إلى شهر ربيع الأول من هذه السنة . ثم مات ودفن فى جُبَن ، ومن مآثره مدرسته فى تعز وأخرى فى حَيْس . وعهد بالأمر إلى ابن أخيه الشيخ عبد الوهاب بن داود بن طاهر . وكان الشيخ عبد الوهاب وأخوه الشيخ عبد الملك وولدا عمهما أحمد بن عامر ويوسف بن عامر فى زبيد ، فقام الشيخ عبد الوهاب بالأمر ، وتلقب بالملك المنصور . ثم خرج إلى عدن فورا ، فدخلها على حين غفلة من أهلها ، ثم قرر أمورها ، وأقام فيها أياماً ، ثم رجع إلى تعز . وأراد النهوض إلى زبيد ، فبلغه انحراف ابن عمه يوسف بن عامر ، وأنه يريد الاستبداد بالأمر ، فكاتبه ولاطفه ، فلم يجد شيئاً ، بل أصر على المماندة ، وتأهب للقتال ، واستعد للحرب والنزال ، وحمل أهل زبيد على ما يريد ، وتوعد من خالفه أشد الوعيد . فتركه المنصور ورجع إلى عدن ، فأخذ جميع ما فى خزائنها من النقد ، وكان قدره خمسة لكوك ، وسار بذلك إلى بلدة المقرانة ، ثم عطف على زبيد بجيش عديد ، فاضطربت أهل زبيد . وتلاشى أمر يوسف بن عامر ، فأمر جماعة ممن عنده بالخروج إلى ظاهر المدينة لمنع من وصل من عسكر المنصور ، فتوجهوا إلى مطرح المنصور . ورام يوسف سبر جمعهم ، فخرج بنفسه ، واستخلف على زبيد الأمير قاسم بن وهبان ، وكان يتظاهر بالميل إلى يوسف ، وباطنه مع المنصور .

فلما انفصل يوسف عن زبيد أغلق ابن وهبان أبواب المدينة ، فرجع يوسف إليها فلم يتم له الدخول ، ولم تبق له حيلة إلا الفرار إلى حصن قوارير . وكانت ليلة مظلمة ، فلم يجد من يرشده إلى طريق قوارير ، فتحير فى أمره ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، فأشار عليه بعض من معه بالتقدم إلى المنصور والاعتذار إليه ، ففعل . وكان أخوه أحمد ابن عامر مع المنصور ، فلما دخل عليه عاتبه عتاباً لطيفاً ، وأمر به إلى خيمة أخيه أحمد ،

ثم تقدم الجميع إلى زبيد . فلم يستقر ليوسف بن عامر حال ، وخامره الجزع ، واشتد به الفزع ، فتوسل بأخيه أحمد إلى المنصور بأن يدعه يسير إلى حيث يشاء ، فلم يزل أحمد ابن عامر يطلب له المعاذير حتى أسعده المنصور بعد امتناع شديد ، فخرج يوسف بن عامر ومعه الحاج محمد صاحب الذراع ، والشيخ محمد العنسى ، فكاد أن يفتك بهما لشدة غيظه . ثم توجه إلى بندر البقعة ، ومنه إلى مكة المشرفة ، فتلقاه الشريف محمد ابن بركات بالإكرام ، وأحسن نزله ، ومكث فى مكة أياما ثم رجع إلى جازان ، فأكرمه الشريف أبو الغوابر غاية الإكرام ، مكافأة له على ما أسداه إلى ولده لما قدم عليه إلى زبيد . ثم خرج يوسف إلى بلد بنى حفيظ ، فأكرمه الشيخ أحمد بن أبى الغيث ، وزوجه بابنته ، ولم يزل عنده إلى أن قدم المنصور فى العام الآتى .

ودخلت سنة — ٨٨٤ —

فيها نهض الملك المنصور إلى بلد بنى حفيظ ، وحاول دخولها تحت الطاعة ، فلم يتم أمر ، فباشرهم بالحرب حتى هزمهم . وقتل فى ذلك الحرب ابن عمه أحمد بن عامر . وأما أخوه يوسف بن عامر ، فدخل فى طاعة المنصور ، وانتقل معه إلى زبيد ، وخرج معه إلى تعز ، فبدا للمنصور القبض عليه وإيداعه السجن .

ودخلت سنة — ٨٨٥ —

فيها تجهز المنصور إلى بلد بنى حفيظ وأراد الهجوم على الرماة ، فتأخروا عنه إلى حازة[١] بلدهم ، فأحرقها ونهب مافيها من الطعام . ثم تقدم لمحاربة بنى حفيظ ، وقتل منهم جماعة ، وأحرق ديارهم . ولبث أياماً فيها ، ثم رجع إلى زبيد .

---

(١) حازة : بلد دون زبيد قرب حرض (ياقوت معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ٨٨٦ —

فى ليلة الثالث عشر من رمضان احترق الحرم الشريف النبوى ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، احتراقاً عظيما ، بسبب صاعقة وقعت عقيب مطر . وصفة الواقع على ماذكره بعض علماء المدينة المشرفة فى كتابه إلى صاحب مصر ، أن سحابة عظيمة نشأت فى تلك الليلة وتراكمت حتى أظلت الآفاق ، ثم وقعت صاعقة ، فزع الناس منها فزعاً شديداً ، فأصابت هلال المئذنة المعروفة بالريشة ، ورمت به إلى بعض الأزقة وهو يشتعل ناراً ، ومات المؤذن لوقته . ثم حرقت السقف المقابل للضريح المعظم ، فاحترق السقف ووقعت ضجة كبيرة ، وفتحت أبواب الحرم الشريف ، وأقبل الناس يهرعون ، وراموا أن يطفئوا تلك النار ، فغلبتهم . وتفاقم الأمر ، وجلّ الخطب ، وجعلت تسرى فى سقف المسجد المبارك كالسيل ، حتى صار يضطرم كالتنور من جميع جهاته ، وللنار فيه دوى كدوى الرعـد القاصف ، وجعلت ترمى بشرر كالصخور ، وخرجت منها ألسنة كأطراف الجبال . وأخذ الدخان بمنافس الحاضرين ، وتراكموا مراكمة شديدة ، ووطأ بعضهم بعضا ، وضجوا بالبكاء ، وأرادوا الفرار من المسجد ، فلم يهتد إلى أبوابه إلا البعض منهم ، لشدة الظلمة . ومنهم من رقى على سطحه ثم رمى بنفسه إلى خارج المسجد متدلياً بالحبال ، ومنهم من هلك بسبب تقطع الحبال ، ومنهم من رمى بنفسه إلى الدور المجاورة للحرم الشريف . ومن الناس من اقتحم النار فاحترق جسده ، ومنهم من فقد بالـكلية ، ومنهم من سلّم الأمر وقعد فى المسجد إلى اليوم الثانى فخرج سالماً بعد أن كاد يهلك . وضجت المدينة بالبكاء ، وأيقنوا بالهلاك من تلك النار ، وخرج بعضهم إلى الصحراء ، ثم لجئوا إلى الله بالدعاء والتوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فعند ذلك ظهرت آيات رحمانية ، منها أن الناس رأوا طيوراً بيضاء تحوم حول المسجد الشريف ولا تضرها النار ، بل ترجع عنها إلى خلف . واستمر الحريق إلى أن طلعت الشمس ثم خمدت النار . وقد سقط سقف المسجد ، وهلك قدر عشرة أنفار ، منهم ثابت

الخازندار . واحترق جميع ما في المسجد من الفرش والآلات العظيمة ، والكتب النفيسة والمصاحف ، ولم يسلم إلاّ البقية المحيطة بالضريح النبوى ، على صاحبه أفضل صلوات رب العالمين . هذا تلخيص ما ذكره صاحب الكتاب باختصار .

قال العلامة السمهودى[1] فى كتاب خلاصة الوفا لدار المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ما معناه : وفى ذلك عبرة عامة ، وموعظة تامة أبرزها الله للإنذار ، حيث خص به حضرة نبيه المختار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار . وقد ثبت أن أعمال أمته صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه ، فلما ساءت الأعمال المعروضة ناسب ذلك الإنذار باظهار تلك النار ، فى موضع عرضها ، وأنا فى وجل مما يعقب ذلك ، حيث لم يقع الانزجار ، قال تعالى (وما نُرْسِل بالآيات إلاّ تَخْوِيفاً[2]) وقال تعالى : (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَه ، ياعِبَادِ فاتقون[3]) . ولما احترق الحرم الشريف أصلحه صاحب مصر بعمارة عظيمة لم يسبق إلى مثلها .

وفى هذه السنة وفد الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب صاحب جازان إلى زبيد بعسكر عديد ، فلقاه الملك المنصور عبد الوهاب بن داود إلى خارج المدينة ، ودخلها دخولا معظماً ، ثم بالغ المنصور فى إكرامه ، ولبث عنده أياماً ثم رجع إلى محله مكرماً .

ودخلت سنة — ٨٨٧ —

فيها نزل السيل العظيم إلى مكة المشرفة ، فاجتحف[4] كثيراً من دورها وبلغ إلى

---

(١) انظر خلاصة الوفا للسمهودى ، ج ١ ص ٤٥٨

(٢) سورة الاسراء ، آية ٥٩ .

(٣) سورة الزمر ، آية ١٦ .

(٤) اجتحف ماء البئر ، نزحه ، واجتحف الكرة من وجه الأرض خطفها بالصولجان . (المعجم الوسيط) .

قفل باب البيت العتيق ، زاده الله شرفا ، وحمل منبر المسجد الحرام ، وهلك منه عدد كثير من الناس .

ودخلت سنة — ٨٨٨ —

لم يتفق فيها ما يتوجه ذكره .

ودخلت سنة — ٨٨٩ —

فيها استولى الملك المنصور على مدينة ذِمار قهراً بالسيف ، وفرّ منه صاحبها وهو عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بأهله وولده إلى صنعاء ، فأحسن إليه محمد ابن الناصر ، ولم يعامله بما فعله أبوه مع أبيه . ولم يزل فيها إلى أن استولى عامر بن عبد الوهاب على صنعاء فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله ، فقبض عليه ، وبعث به إلى تعز مع غيره ، ممن سيأتى ذكرهم إن شاء الله ، فكانت مدة تملك الإمام المطهر بن محمد وولده لذِمَار ست عشرة سنة ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٨٩٠ —

لم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة — ٨٩١ —

فيها تجهز الأمير قاسم بن وهبان من زبيد إلى بلاد الزيدية ومَوْر ، فقهر عرب تهامة ، وثقلت وطأته عليهم ، فتمالئوا عليه فقتلوه عند منقلبه من مَوْر إلى الزيدية . فلما بلغ المنصور عبد الوهاب الخبر وهو فى رُدَاع ، جهز الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشى إلى الزيدية فى جيش عظيم ، فأذعنوا بالطاعة ، وسلموا الخراج ، وتوجه المنصور فى أثر الأمير عمر إلى زبيد .

ودخلت سنة — ٨٩٢ —

فيها رجع الملك المنصور من زبيد إلى تعز ، واستعمل على تهامة الأمير عمر الحبيشى وجعل فى بيت الفقيه كاتبين ، فتماديا فى الظلم ، وجارا فى الحكم ، فقتلهما عرب تُهامة ، وحاربوا الأمير عمر ، فهزموه. وبلغ الخبر إلى المنصور، فسار إلى زبيد ، ووافاه خبر وفاة أخيه عبدالملك بن داود ، فصلَّى عليه فى جامع زبيد ، وتقدم إلى الزيدية فى ألف فارس ، فلم يقم لحربه قائم ، فأحرق تلك الجهة ، ثم رجع إلى زُبيد ، وسار منها إلى عدن ، ورجع من عدن إلى تعز ، وانتقل منها بأهله إلى وطنه جُبَن(١) .

وفى هذه السنة ظهرت نار فى قرية المذب من ناحية جازان فأحرقتها ، وهلك من أهلها نحو أربعة وعشرين شخصاً ، ومواشى كثيرة .

وفيها ألقى البحر إلى ساحل أَبْيَنَ دابة تعرف بالعنبرة طولها تسعة وعشرون ذراعا ، وعرض جبهتها ستة أذرع ، فسبحان الخالق الرازق .

ودخلت سنة — ٨٩٣ —

لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

ودخلت سنة — ٨٩٤ —

فى شهر جمادى الأولى منها مات الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر فى بلدة جُبَن ، ودفن فيها . ومن مآثره المدرسة المنصورية فى زبيد ، ومدرسة فى المقرانة وأخرى فى جُبَن ، ومسجد فى إبّ .

ولما مات اتفق وجوه دولته على إقامة ولده عامر بن عبد الله بن داود ، فتلقب بالملك الظافر صلاح الدين ، ولبث فى جُبَن ، قرر أمورها ثم سار إلى المقرانة ، ومنها

إلى تعز . فلم يستقر فيها حتى بلغه الخبر أن أولاد عامر بن طاهر ، وهم عبد الله ومحمد وعمر ، نكثوا العهد ، وأرادوا الاستبداد بالأمر ، فاستخدموا العساكر ، ورابطوا العشائر من بلاد جُبَن ويافع وغيرهم . ثم وثبوا على الدار التى بناها المنصور عبد الوهاب فى جُبَن ، فانتهبوها وأخربوا بعضها ، وكانت من أعجب المبانى . يقال إنها اشتملت على ثلثمائة مقصورة . وأخربوا بيوت التجار ، واستولوا على الحصن . فاشتد لذلك قلق عامر ابن عبد الوهاب ، فنهض إليهم من تعز فى عشرين ألف مقاتل ، فحصرهم فى الحصن حصرا شديدا ، وخرج إليه ممن فى الحصن القاضى عمر بن عبد السلام ، مختفيا ، فأمر المشايخ أولاد عامر بن طاهر بنهب بيته ، وكان فيه من الكتب النفائس ألف وخمسمائة كتاب . وخرج الشيخ عبد الله بن عامر إلى جبل جرير[1] ، ومنه إلى بلاد يافع ، فلبث فيها بعد أن قتل من أصحابه جماعة ، وأسر ابن أخيه داود بن أحمد بن عامر . ثم وقع الصلح بين السلطان عامر بن عبد الوهاب وبين من بقى من بنى طاهر فى حصن جُبَن ، على أن السلطان يعطيهم من خراج عدن فى كل عام أربعين ألف دينار[2] ، وأن يكون لهم من البلاد جبل جرير والشُّعَيْب . ثم رفع المحطة عنهم بعد حروب شديدة ، ذهب فيها من الفريقين خلق كثير .

وسار عامر إلى المقرانة ومنها إلى رُداع ، فلم يستقر فيه حتى بلغه أن الشيخ محمد بن عامر نقض الصلح ، وتوجه إلى تعز يريد أخذها ، وفيها الفقيه يوسف المقرى ، فحرض الناس على محاربة الشيخ محمد بن عامر وأصحابه ، فهزموهم ، ورجع الشيخ محمد خائبا لم ينل خيرا . وسار السلطان عامر إلى بلاد بنى سيف ، فأخذ حصنهم ، وتوجه إلى بلاد مهبان ، فلقاه الشيخ محمد بن عامر بمن معه ، وحصلت بينهم وقعة كبيرة فى النجد الأحمر ، انهزم فيها

---

(١) جرير : اسم واد فى ديار بنى أسد ، أعلاه لهم وأسفله لبنى عنس .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) يدل هذا المبلغ الضخم على اهمية عدن فى التجارة العالمية عندئذ .

الشيخ محمد ، وأسر من أصحابه خمسمائة نفر ، وانتهبت أمواله وخزائنه .

وفى هذه الأيام قصد عبد الباقى بن محمد بن طاهر إلى عدن وقد اتخذ السلاليم[1] وأراد أخذ عدن . فخرج إليه عامل عدن من قبل السلطان عامر ، وهو الشيخ محمد ابن عبد الملك ، فهزمه هزيمة فاضحة ، وأسر جماعة من أصحابه ، وتفرق عنه بقيتهم ، ولم ينج إلاّ بنفسه .

ودخلت سنة — ٨٩٥ —

فيهـا اشتدت الحروب والمعارك بين السلطان عامر بن عبد الوهاب وبنى عمه ، كانت الدائرة فى أكثرها عليهم وأعاد السلطان الحصار على حصن جُبَن . وقد كان الشيخ عبد الله بن عامر وعبد الباقى بن محمد جمعا أهلهما وأموالهما ومن انضم إليهما فى الرباعِيتين[2] من ناحية جُبَن ، وما زالا يغيران على محطة عامر ، فقصدهما بطائفة من أنجاد أصحابه ، فاستولى على المحل المذكور ، وقتل ممن كان فيه سبعين نفرا . وانهزم الشيخ عبد الله وعبدالباقى ، وأسر الشيخ داود بن على بن تاج الدين بن طاهر ، ومحمد بن عباس ابن الحسام صاحب الشوافى . ورجع عامر إلى محطة جُبَن ، فتسلم الحصن ، وخرج من فيه بأمان .

ولمـا اشتغل السلطان عامر بهذه الحروب ، عظم فساد أهل تهامة ، وقطعوا السُّبل ، ونهبوا الأموال ، فجهز إليهم السلطان عامر ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الملك ، فلم يزل يشن الغارات عليهم حتى أستسوف أمرهم .

---

(١) المقصود أنه اتخذ السلالم لتسلق سور عدن والنفاذ الى داخلها . وسلاليم وسلالم جمع سلم ، وهو ما يصعد عليه الى الأمكنة العالية .

(٢) الرباعيتين : بكسر العين ، موضع من نواحى جبن

(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ١٣٢٣)

وفى هذه السنة نهض السلطان عامر بن عبد الوهاب لحرب ذِمار ، وقد كان أهلها بنوا عليها سورا عظيما بعناية من الإمام محمد بن على السّراجى قبل دعوته الآتى ذكرها إن شاء الله تعالى ، فحاصرهم عامر حصاراً شديداً ، ووقع بينهم وبينه حرب شديد ، قتل فيه من أعيانهم الشريف محمد الجَوْفى . ولم يزل السلطان عامر محاصراً لهم حتى طلبوا منه الأمان فأمنهم ، وأخذ عليهم أن يخربوا ذلك السور ففعلوا . ثم دخل إليها وجعل فيها عاملا ، وانقلب راجعا إلى بلاده .

ودخلت سنة — ٨٩٦ —

فيها نهض السلطان عامر إلى زُبيد ، ثم خرج منها إلى الزيدية ، ورجع إلى المعازبة ، فقتل منهم جماعة وأحرق قراهم . ورجع إلى زبيد ، فأقام فيها أياما ، وعمر دارا على باب الشبارق ثم رجع إلى تعز ، بعد أن استخلف على زبيد الشيخ عبد الباقى بن على العَجْلى . فلم يزل (الشيخ عبد الباقى) يغير على المعازبة حتى قُتل فى آخر غزوة غزاها فى شهر شعبان من هذه السنة . وقد كانت الدائرة له فى أول الحرب ، فقتل منهم خمسين رجلا ، واجتز رءوس أكثرهم ، ثم اجتمعوا عليه ، وحملوا حملة صادقة ، فانكشف عنه أصحابه ، ولم يثبت معه إلاّ قدر سبعين رجلا ، فأحاطوا بهم ثم قتلوه . ورجع بقية أصحابه إلى زبيد ، فبعث السلطان عامر أخاه عبد الملك إلى زُبيد فى مائة فارس فأقام فيها ، وجهز الأمير أحمد بن اسماعيل السنبلى لمحاربة عبيد لاَم[1] فقصدهم إلى المواضع الوعرة وأخذ مواشيهم ، وتوجه للخروج من محلاتهم فكمنوا له فى قارعة الطريق ، حتى مرّ بهم فوثبوا عليه وقتلوه وولده وجماعة من عسكره .

وفى هذه السنة قبض السلطان عامر ، على الشيخ محمد بن عامر بن طاهر وأودعه

---

(١) لام ، بطن من آل مرا بن ربيعة ، وهم من العرب .
(القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص ٨٠) .

السجن ، وتسلم جميع ما كان بأيدى بنى طاهر من الحصون ، إلا حصن الساقة[1] والمعافرى .

وخلت سنة — ٨٩٧ —

فيها أخذ السلطان عامر حصن الساقة قهراً بالسيف ، ثم سار إلى زبيد ، وخرج منها غازيا للمعازبة ، فأقام فى بيت الفقيه ابن عجيل ، وحصر المعازبة فى بلادهم ، حتى أذعنوا بالطاعة ، وسلموا أربعين فرسا ، ثم رجع إلى تعز .

وفى هذه السنة هلك الخارجى المعروف بالسنى فى بلاد التكرور . قال العلقمى[2] فى شرح الجامع الصغير للأسيوطى : وأما هذه المائة فوقع فيها ثلاثة أمور كل واحدة منها يصلح أن يعد فتنة على انفراده ، أحدها : استيلاء الافرنج على كثير من جزيرة الأندلس كغرناطة وغيرها ، وثانيها خروج الخارجى من بلاد التكرور ، يقال له السنى على نمط تيمورلنك ، أباد العباد وأهلك البلاد ولبث نحو عشرين سنة حتى أهلكه الله تعالى سنة ٨٩٧ تمت[3] .

ودخلت سنة — ٨٩٨ —

فيها أقام السلطان عامر الحصار على بيضاء صباح ، وحِصْنها المسمى شمر جناح ،

---

(١) الساقة : حصن باليمن من حصون أبين (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) العلقمى (٨٩٧ ـ ٩٦٩ هـ) هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن على بن أبى بكر العلقمى ، فقيه شافعى عارف بالحديث ، من بيوتات العلم بالقاهرة . كان من تلاميذ السيوطى ومن المدرسين بالأزهر ، من مؤلفاته الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير ، وملتقى البحرين فى الجمع بين كلام الشيخين .
(الزركلى : الأعلام ، ج ٧ ص ٦٨)

(٣) من الواضح أن المؤلف لم يذكر الأمر الثالث ، وهو « دخول آل عثمان مصر كما تنبأ به السيوطى » (أنباء الزمن ، ورقة ١١٠) .

فخرج من كان فى حصن المعافرى من عسكر يافع يريدون الهجوم على المحاصرين للبيضاء من أصحاب السلطان عامر، فأمر بأن يؤخذ عليهم مجامع الطرق. فلما وصلوا، ظهر عليهم جند السلطان فقتلوا منهم مائة نفر، وأسروا مثل ذلك. ولم يلبث بقية من فى حصن المعافرى أن تسلموا إلى يد الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب، فاستولى السلطان على الحصن المذكور وتعقبه تسليم البيضاء، وحصنها - وهو وحصن المعافرى - من أمنع حصون تلك الجهة. وكذلك أهل حصن مفلحة وحصن الكلب وحصن رُدَاع الحرامل، أطلقوا حصونهم المذكورة، وانحسمت مادة الخلاف على السلطان عامر من الجهة الشرقية بالكلية.

ودخلت سنة — ٨٩٩ —

فيها سار السلطان عامر إلى تهامة، فحط فى التريبة، وعرج عن دخول زبيد وعن المعازبة، فقتل منهم جمعاً كبيراً ونهب أموالهم، ثم تقدم إلى الجهة الشامية من تهامه، ففعل كذلك، ثم رجع إلى زبيد.

وفى هذه السنة ولدت امرأة فى قرية المنصورية من بلاد اللامية مولودا عجيب الخلقة، عيناه فى أعلى جبهته، وحاجباه من تحتهما، وله فم كفم الكلب، ويداه كأيدى السبع عليهما شعر أسود، وكفاه مثل كفى القرد، وليس له فرج ولادبر، ولم يلبث غير ساعة ثم مات، فسبحان الخالق البارى المصور.

ودخلت سنة — ٩٠٠ —

فيها كان استيلاء السلطان سليم[1] خان بن بايزيد صاحب الروم على بلاد الشام،

(١) ذكر المؤلف « سليمان خان بن بايزيد » وهو يقصد سليم الأول خان ابن بايزيد الثانى سلطان بنى عثمان . ومن الواضح أن ورود هذا الخبر على تلك =

بعد الحروب العظيمة والخطوب الجسيمة بينه وبين الجراكسة ملوك مصر ، ولم يبق بأيديهم إلاّ الديار المصرية ، وسيأتى خبر استفتاحها فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

وفى اليوم الثالث والعشرين من رجب مات الإمام الهادى لدين الله أبو الحسن عز الدين بن الحسن المؤيدى ، رحمه الله تعالى ، فى هجرة فلَلّه ، ودفن فى قبة جده على بن المؤيد . ومن مآثره جامع سَوْدة شَطَب وغيره . ومن أعجب مصنفاته كتاب « المعراج فى شرح المنهاج » ، وسمع الحديث النبوى على شيخ السُّنة فى وقته يحيى بن أبى بكر العامرى صاحب كتاب « بهجة المحافل وبغية الأماثل » .

ولما مات الإمام عليه السلام ، دعا عقيب موته ولده الإمام الناصر لدين الله الحسن ابن عز الدين فى كُحلان تاج الدين ، وبعث رسائله إلى الجهات . فأجابه كثير من علماء الهدوية ، ووفدوا إليه فأكرمهم ، وأجزل عطاءهم . ووصلت دعوته صَعْدة فتلقاها الأمير محمد بن حسين الحمزى بالقبول التام ، وأقام له الخطبة ، ولم يكن يقيمها لأبيه ، كما تقدمت الإشارة إليه . وكان الصلح قد وقع بين الإمام عز الدين والأمير محمد بن حسين مدة معلومة ، فمات الإمام وقد مضت من مدة الصلح خمس سنين ، فتجدد الصلح بين الإمام الحسن والأمير محمد عَلى خمس سنين أخرى . وما زال الناس يفدون إلى الإمام الحسن للبيعة ، فلم يتخلف عنها إلا جماعة من آل المؤيد وصلوا إليه فأكرمهم ، وظن أنهم لا يتأخرون عن بيعته ، فأكثروا التعنت فى المسائل والاختلاف ، فتركهم ؛ وممن تخلف عنه القاضى محمد بن أحمد بن مظفر .

وفى يوم الاثنين السادس من ذى القعدة من هذه السنة كانت دعوة الإمام المنصور

= الصورة بعيد عن الحقيقة ، لأن السلطان سليم الأول لم يتول الحكم الا سنة ٩١٨ هـ ، ولم يستول على الشام الا سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) عقب انتصاره على السلطان الغورى فى موقعة مرج دابق · وربما كان ورود اسم سليمان بدلا من سليم نوعا من التحريف فى النسخ ·

بالله محمد بن على الوَشَلى السراجى فى قرية القابل من بلاد بنى الحارث ، فبين دعوته ودعوة الامام الحسن بن عز الدين نحو ثلاثة أشهر ، وبايعه القاضى محمد بن مظفر ، ومال إليه كثير من الناس لشدة كرمه ، فإنه أقطع الشيعة أكثر البلاد . وأما القاضى العلامة محمد بن أحمد مرغم ، فإنه وصل إليه فى عصابة من العلماء فذكروا له مابرره الشرع من بطلان دعوة المعارض للإمام السابق إليها ، فلم يتم لهم قول .

وفى هذه السنة شرى للسلطان عامر كتاب الزركشى[1] فى فقه الشافعى من مكة المشرفة ، وهو أربعة وعشرون مجلدا ، بالخط الرائق والديباجات الملونة .

ودخلت سنة — ٩٠١ —

فى يوم الاثنين ثامن شهر المحرم أوقع الأمير على بن محمد البَعْدانى ، أحد الأمراء الكبراء فى الدولة العامرية ، بأهل تعز من ناحية ماص ، فقتل منهم قدر مائة وسبعين نفرا ، وأسر جماعة ، وانتهب أموالهم ، ثم قدم على السلطان عامر وهو فى رُدَاع فمنّ على الأسرى .

وفى صفر من هذه السنة قدم بعض التجار الأعيان من البلد الحرام إلى زُبيد بكتاب فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للعلامة ابن حجر رحمه الله تعالى[2] ، وهو أول دخوله

---

(١) هو بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى (٧٤٥ ـ ٧٩٤ هـ) عالم بفقه الشافعية ، تركى الأصل ، مصرى المولد والوفاة . له تصانيف كثيرة فى عدة فنون ، منها « الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة » و « لقطة العجلان فى أصول الفقه » و « البحر المحيط فى أصول الفقه » و « اعلام الساجد بأحكام المساجد » و « الديباج فى توضيح المنهاج » و « التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح » و « ربيع الغزلان » .. وغير ذلك من المؤلفات التى مازال معظمها مخطوطا . (ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٣٩٧ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٦ ص ٢٨٦)

(٢) فتح البارى ، شرح الحافظ العلامة شيخ الاسلام أبى الفضل أحمد بن على ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وهو فى عشرة أجزاء ومقدمته فى جزء . (كشف الظنون ، ج ٢ ص ٢٨١)

إلى الديار اليمنية . وهو من أعجب شروح الصحيح . وللعلامة البدر العيني شرح أيضاً فى أربعة وعشرين مجلداً ، ذكر فيه جملة من الاعتراضات على ابن حجر ، فأفرد ابن حجر كتابا سماه « إسقاط الاعتراض » ، وفى ذلك يقول ابن حجر :

شرحى الذى سار فى الآفاق سايره — ونال من ورده الدانى مع القاصى
وأنت شرحك فى البيت اختليت به — مثل الذنوب التى يخلو بها العاصى

وفى هذه السنة غرقت عشرة مراكب فى البحر قريب من بندر الديو[1] ذهب فيها أموال جليلة . وكان الديو فى هذه المدة للمسلمين ، ثم غلب عليه الإفرنج .

ودخلت سنة — ٩٠٢ —

فيها ظهر أمر الامام الوشلى ، وأجابه أهل ثلا وغيرهم ، وبث رسائله إلى الجهات . ونقم فى الرسالة التى أرسلها إلى صنعاء على ملوك بنى طاهر ، وأنهم ممن يقول بالجبر[2] فلما وقف عليها السلطان عامر انطوى للإمام الوشلى أخبث السراير ، وسيأتى ذكر استيلائه عليه فى تاريخه .

وأما الامام الحسن بن عز الدين فإنه انتقل من كحلان إلى فَلَلَه ، وأجابه أهل الجهة الشامية ، وولاه أهل الشرَف وغيرهم . فلما ظهرت دعوة الإمام الوَشَلى ، نهض الإمام الحسن إلى السَّوْدَة . وبعد أيام وقع الاجتماع بينه وبين الوَشَلى فى بلاد الشرَف ، كما سيأتى .

---

(١) الديو (Diu) : جزيرة صغيرة طولها سبعة أميال ، تقع قرابة شاطىء الهند عند جيجرات ، استولى عليها البرتغاليون سنة ١٥٣٥ م (٩٤٢ هـ) .

(٢) مذهب الجبر : هو المذهب الذى يرى أصحابه أن العباد مجبورون على افعالهم ، لا اختيار لهم فيها ، فالانسان مسير لا مخير .

وفى هذه السنة أمر السلطان عامر بالقبض على رئيس الإسماعيلية فى تعز ، لأنه كان يتحدث بالمغيّبات التى لا يعلمها على الحقيقة إلاّ رب البريات .

ودخلت سنة — ٩٠٣ —

فيها نهض السلطان عامر لحرب أهل يافع ، لموجب ما تقدم منهم من القيام مع المخالفين عليه ، فدخل بلادهم بجيوش تملأ الفضاء ، وكانت تتلو بعضها بعضا ، وجعل على مقدمته الفقيه محمد بن على النظارى[1] فى موكب عظيم . فانهزم عنه أهل يافع ، فقفى أدبارهم ، وتوعد فى ديارهم حتى بلغ حصن نمر الذى أوى إليه الشيخ عبد الله بن عامر ابن طاهر ، وتفرقت عساكر السلطان فى تلك النواحى والبلدان ، واستولى على حصن حيطان ، ودوخ أرض يافع ، فوصلوا إليه من أطراف بلادهم طالبين الأمان ، فأمن منهم من دخل تحت طاعته .

وفى ليلة الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة من هذه السنة مات الشريف الفاضل الحسين بن الصديق بن عبد الرحمن الأهدل فى مدينة عدن ، ودفن فيها ، رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ٩٠٤ —

فيها أغار الامام محمد بن على الوَشَلى إلى قريب حصن هداد[2] ، وقطع الطريق على الأمير على بن محمد البَعْدانى ، فقدم الأمير على بن محمد طائفه من عسكره قدر ألف نفر سلكوا طريقا أخرى . ثم هجموا على محطة الإمام من خلفهم فقتلوا جماعة منهم ،

---

(١) نسبة الى قرية فى بعدان تسمى النظار
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٣٧)

(٢) ذكر الهمدانى موضع هدادة فى بلد يام (صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥) . وذكر الخزرجى بلاد هداذ ، وفيها مصنعة بنى خوال
(العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٧٧)

وانتهبوا ما فى المحطة ، ورجع الامام إلى قرية القابل ثم توجه إلى ثلا ، وفى مروره قبض على صاحب حجر سعيد ، وهى أطرف محل من بلاد همدان الإسماعيلية ، وكان من قطاع الطريق ، فقتله وقتل رجلا آخَرَ معه . وسار إلى بلاد الشَّرف ، واجتمع بالامام الحسن بن عز الدين فى محل قريب من مَدْوَم ، ووقفا يتراجعان فى الوجه المسوغ للمعارضة ، فلم يتم من أحدهما التسليم للآخر ، فرجع الوَشَلى إلى ثلا .

ودخلت سنة — ٩٠٥ —

فيها نهض السلطان عامر بن عبد الوهاب غازيا لبنى عيد[١] ، لما انكشف أن الذى قتل ابن محارش الجوفى فى محطة السلطان بُرداع منهم . ثم لما تحرك السلطان عليهم التجأوا إلى اليهودى الخارج فى بيحان ، وكان قد طغى وبغى — أعنى هذا اليهودى — وتكبر وتجبر ، وركب الخيل بالسرج المفضضة وانضم إليه جماعة اشتد خوفهم من السلطان ، وارتد إليه كل يهودى قد أسلم . فدبر السلطان عامر الحيلة فى أخذه ، بأن أظهر إنه إنما يريد الصيد ، وقدّم أمامه الأمير على بن محمد البَعْدَانى فى طائفة من الجند ، ففر اليهودى إلى محل مقفر يظن أنه يمتنع فيه ، فتبعه جند السلطان ، فأخذوه وأولاده وما معه وجميع من عنده ، ومنهم الرجل الذى قتل ابن محارش من بنى عيد ، وأتوا بهم إلى السلطان ، فأمر بقتلهم . وتوجه إلى بنى أرض ، فأخذ حصونهم ورجع إلى بلاده ظافرا .

ودخلت سنة — ٩٠٦ —

فيها ملك شاه اسماعيل[٢] الشرق ، وملك الافرنج جزيرة الأندلس[٣] ، وهى إقليم

---

(١) العيد : قوم من المهرة بن حيدان من قضاعة ، ثم من خولان بن عامر بقرب صعدة ، وهى غير مهرة حضرموت . (الويسى : اليمن الكبرى ص ١٨٥) .

(٢) يقصد به اسماعيل الأول الصفوى ، شاه فارس الذى تولى الحكم رسميا فى تبريز سنة ٩٠٧ هـ . (زامباور : معجم الأنساب ، ص ٣٣٨)

(٣) كانت غرناطة – آخر البقايا الاسلامية بالأندلس – قد سقطت فى قبضة =

عظيم فيه جميع ما فى الأرض من العجائب ، وفيه معادن الذهب والياقوت والفيروزج والزمرد والزجاج الأبيض ، وأهله أهل عقول راجحة وحلوم صالحة ، وهو أحسن الدنيا هواء ومحلاً ، وفتحه بنو مروان .

وفى يوم الأربعاء سلخ من ذى القعده كانت وقعة الشريف هزَاعْ بن محمد بن بركات مع أخيه صاحب الحجاز بركات بن محمد . والأصل فى ذلك أن العادل طومان باى[1] صاحب مصر لما تولى الملك بعد الأشرف خان[2] طرد رجلا من أمراء الأشرف خان يسمى قانصوه المحمدى ، فلما وصل مكة مطرودا لم يلتفت إليه أحد من أعيانها خوفا من طومان باى . فلما فقد طومان وتولى بعده الأشرف قانصوه الغورى جعل إلى قانصوه المحمدى المقيم فى مكة نيابة الشام ، فأتى إليه الشريف بركات بن محمد والقاضى أبو السعود إبراهيم بن ظهيرة فلم يأذن لهما ، لما فى نفسه من عدم مواجهته مع وروده إلى مكة مطرودا كما ذكرناه .

وكان الشريف هزَاع بن محمد فى مكة فعامله قانصوه المحمدى على أن يجعل إليه ولاية مكة ويخلع أخاه بركات بن محمد ، ثم أمره بالخروج إلى ينبع ، وكتب إلى أمير الحاج المصرى أن يطاق المراسيم السلطانية إلى هزَاع . ففعل ، وألبسه الخلعة التى قد

= الجيوش المسيحية التابعة لفردناند وايزابلا ملكى أرغونة وقشتالة سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) .

انظر :

سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٨٧ وما بعدها .

(١) يقصد السلطان العادل سيف الدين طومان باى ، تولى سلطنة مصر سنة ٩٠٦ هـ .

(٢) يقصد الأشرف جانبلاط ، الذى تولى سلطنة مصر سنة ٩٠٥ هـ .

انظر :

سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليـــكى فى مصر والشام ، ص ١٧٩ وما بعدها .

كانت معينه لأخيه بركات ، وألبس أخاه الحارث الخلعة التي كان يلبسها هَزَّاع مع أخيه بركات ، وتوجه مع الركب المصرى ومعه من بنى إبراهيم مائة فارس . فخرج الشريف بركات بن محمد لمحاربة أخيه هزاع إلى وادى مرو ، والتقى الجمعان هنالك ، فانكسر هزاع مرارا ، وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ، ورجل من الركب المصرى ، وثلاثة من الحجاج ، ونهبت أطراف القافلة . فلما رأى ركب مصر ذلك حملوا مع هَزَّاع حملة رجل واحد ، فانهزم بركات ، وقتل ولده أبو القسم فى جماعة من عسكره ، واستولى هَزَّاع والركب المصرى على محطة بركات وما فيها من الأموال والآلات والأمتعة والنساء والأطفال . ودخل بركات جدة فنهبها جنده .

ودخل هزاع والركب المصرى مكة ، واضطربت أحوال الناس ، وكثر الخوف والنهب فى الطرقات ، وانقطعت السبل ، ورجع حجاج البحر من قريب جدة . وجاء الناس إلى هزاع يصطرخون من كل جانب ، فضاق صدره ، ومرج أمره ، فدخل عليه عمه إبراهيم ، فشكا إليه هزاع ما هو فيه من التعب والمشقة والنصب ، فأشار عليه بالخروج معه إلى جدة ، فخرج . وكان أخوه بركات مقيما فيما يقال له الحد بين جُدَّه وحَدَّه[1] ، فتقدم إليه عمه إبراهيم ، فقال له « إن أخاك هَزَّاع بجده فى ألف فارس من الترك ، ولا طاقة لنا بقتالهم ، فإن أحببت أن أسعى بينكما بهدنة ، تسكن بها الفتنة ، وتذهب عن الناس المحنة ، ويأمن الناس ويحجون ، ويعطيك هزاع ثلاثة آلاف أشرفى قبل يوم النحر ، فإن فعل وإلاّ ، فلا ذمة له ، فأسعده بركات ، ظانا أن كلام عمه إبراهيم صحيح ، من كون هزاع في خيل وقوة ، فسكن خوف الناس ، ورجع هزاع

---

(١) جدة : بالضم والتشديد ، بلد على ساحل البحر ، وهى فرضة مكة ، كما انها ميناء الحجاز المعروف اليوم .

وحدة بفتح الحاء وتشديد الدال ، منزل بين جدة ومكة من أرض تهامة فى وسط الطريق . (ياقوت : معجم البلدان) .

إلى مكة . وكان الحج ضعيفا ، ولم يحج بركات . وسلم هزاع إلى أخيه بركات ما شرط عليه من المال . ولما ارتحل الركب المصرى من مكة عرف هزاع أنه لا طاقة له بمقاومة أخيه بركات ، فتوجه مع الركب المصرى إلى ينبع ، ورجع بركات إلى مكة ، فأمن الناس ، وذهب عنهم البأس .

ودخلت سنة — ٩٠٧ —

فى يوم الثلاثاء رابع شهر المحرم منها حصل حريق فى زبيد ، ابتدأ من سوق السوادة ، وأخذ فى الشرق والجنوب حتى انتهى إلى باب الشبارق ، وتلفت فيه من البيوت والأموال مالا يحصى .

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة هجم الشريف هزاع على أخيه بركات فهزمه هزيمة فاضحة ، وقُتل أخوه أبو دعج وسبعة من الأشراف بنى نمى ؛ ومن الترك الذين مع بركات أربعة عشر نفراً . ونادى للناس بالأمان ، ثم خرج إلى جُدَّه ، وجعل أخاه الشريف أحمد الجازانى على مكة . ثم دخل إليها و نشر للناس مرقوماً سلطانياً . ثم وصلت له الخلع والمراسيم من مصر على طريق البحر إلى جُده ، مع رجل يقال له إلياس . ولم يلبث أن وافاه أجله وانقطع أمله ، فقام بعده أخوه أحمد الجازانى — بمساعدة من القاضى أبى السعود ابراهيم بن ظهيره — ؛ ولما بلغ خبر وفاته إلى أخيه بركات بن محمد ، دخل مكة ، ففر منه أخوه الجازانى ، ودخل القاضى إلى الجازانى بما يريد ، فوقع الكتاب فى يد بركات ، فصادر القاضى مصادرة شديدة ، وأخذ أمواله ، ولم يبق له باقية ، ثم بعث به إلى جزيرة فى البحر ، فحبس فيها ، ثم أمر بتغريقه ، وكان آخر العهد به .

وفى هذا الشهر المذكور نهض السلطان عامر بن عبد الوهاب إلى ذِمَار بجيوش تسد الأقطار ، فأقام فيه أياماً ، وجهز طائفة من جنده إلى جمعة الجَزْع ، فأخذوها قهراً ، وفتحوا حصونها . وتوجه عامر إلى صنعاء فى شهر شعبان من السنة المذكورة ، فحصرها

من جميع جهاتها ، ورماها بالمنجنيقات واستمر الحصار إلى آخر هذه السنة .

ودخلت سنة — ٩٠٨ —

فى المحرم منها استعان أهل صنعاء بالإمام محمد بن على الوَشَلى والأمير محمد بن حسين الحمزى صاحب صَعْدة على حرب السلطان عامر ، فبعث الأمير على بن محمد البَغْدَانى لمحاربة الأمير محمد بن حسين ، فلقاه إلى البوْن ، فاحتربا ونال كل فريق من الآخر ، ثم انهزم البَغْدَانى ، فجمع السلطان عسكره ، وارتفع الى آكام الزبيب[1] فى سفح نُقُم ، ثم أقبل الإمام الوَشَلى والأمير محمد بن حسين بمن معهما من جموع الزيدية ، فأحاطوا بمحطة السلطان من كل مكان ، ولم يجد بداً من طلب الصلح على يدى الأمير محمد بن حسين ، فاشترط عليه أموراً كثيرة . ثم لم يكن بأسرع من نهوض عامر بتلك العساكر متوجهاً الى اليمن ، حليف هم وحزن ، ولم يحمل من أثقاله الا القليل ، والبقية أحرقها ، وأخرب فى مسيرة بلاد كِنَنَن وغيرها . وأما الإمام الوَشَلى والأمير محمد بن حسين الحمزى فدخلا صنعاء دخولا معظماً وتلقاهما محمد بن الناصر بأكرم تلقٍّ ، وأقيمت الخطبة للإمام الوَشَلى ، وأقاما فى صنعاء أياماً ، ثم سار الى الجوف ، فأقام الأمير محمد فى الزاهر ، وتقدم الإمام الى صَعْدَة .

وفى شهر شعبان من السنة المذكورة مات المؤيد بالعزيز القاهر محمد بن الناصر رحمه الله تعالى ، ودفن فى قبة السيد قاسم القريبة من مسجد الأبهر فى مدينة صنعاء . وقام بعده أخوه أحمد بن الناصر ، وتلقب بالمنتصر بالله ، وسيأتى ذكر طرف مما يتعلق به . ومن مآثر محمد بن الناصر الدار الحمراء فى قصر صنعاء ، وهى التى صارت سجناً فى أيام استيلاء الدولة العثمانية على اليمن السعيد ، وأهملت وخرب بعضها .

---

(١) آكام الزبيب ، موضع قرب صنعاء الى الجنوب الشرقى منها ، يبعد عنها نحو أربعة كيلومترات(أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٣٤)

وفى هذه السنة ظهرت مراكب الإفرنج — خذلهم الله تعالى — فى بحر الهند وسواحل بندر هرموز[1] واستولوا على سبعة مراكب ، فقتلوا أهلها وأخذوا أموالهم . قال قطب الدين النهروالى الحنفى فى تاريخه « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى » ما معناه : وكان هذا أول ظهور الإفرنج فى بحر الهند وسواحل بنادر اليمن ، وكانوا يخرجون من بحر الظلمات[2] من وراء جبال القُمْر[3] ، وهى أصل مخرج النيل نهر مصر ، فيصلون إلى مضيق فى البحر الشرق ، أحد جانبيه جبل والآخر بحر الظلمات . وهذا الموضع قريب من الساحل ، كثير الأمواج ، لا تستقر فيه السفن ، وقلّما خاص منه أحد إلى بحر الهند[4] . فما زالوا يواصلون إلى معرفة طريق هذا البحر بكل ممكن ، حتى دلهم عليها رجل ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد[5] بسبب أن كبير الإفرنج أحسن إليه

---

(١) هرمز : مدينة فى البحر – على بر فارس – (الخليج العربى) – اليها ترفأ المراكب ، ومنها تنقل أمتعة الهند الى كرمان وسجستان وخراسان · ومن الناس من يسميها هرموز ، بزيادة الواو (ياقوت معجم البلدان)

(٢) أطلق العرب اسم بحر الظلمات على المحيط الأطلسى ·

(٣) جبال القمر : بضم القاف وسكون الميم ، اسم أطلقه جغرافيو العرب على جبال أواسط افريقية التى ينبع منها النيل ، وتخيلوا هذه الجبال وكأنها وسط جزيرة تحيط بها المياه (ياقوت : معجم البلدان – الباب الأول ، ومادة قمر)

(٤) يشير الى موضع رأس الرجاء الصالح ، واسمه فى الأصل رأس العواصف لكثرة ما به من عواصف مما جعل بارثلميو دياز يطلق عليه هذا الاسم سنة ١٤٨٨ م (٨٩٣ هـ) ، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه بعد ذلك اسم رأس الرجاء الصالح لأنه فتح باب الرجاء والأمل فى الوصول الى الهند · انظر :

(Ley : Portuguese Voyages).

(٥) أحمد بن ماجد الملاح : هو رئيس علم البحر وفاضله ، وأستاذ هذا الفن وكامله.الشيخ شهاب الدين أحمدبن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبى معلق السعدى بن أبى الركاب النجدى ، المكنى بالمعلم وبأسد البحر وليث الليوث ، شيخ ربابنة المحيط الهندى والبحر الأحمر وخليج عمان والخليج العربى (الفارسى) وبحر الزنج وبحر جاوة وبحر الصين فى القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) ، وأوسعهم علما وتجربة · له مؤلفات قيمة فى الملاحة بعضها فى المكتبة الأهلية بباريس وبعضها فى مــكتبة =

ولاطفه ، ثم أسكره مرة وسأله عن طريق البحر ، فقال له لا تقربوا الساحل وأوغلوا فى البحر فإن الأمواج لا تأتى لكم . فلما فعلوا ما أشار به عليهم تهيأ لهم الوصول إلى بحر الهند وهرموز وكثروا فيه ، وعاثوا فى أطراف الهند ، ووصل فسادهم إلى أطراف جزيرة العرب وسواحل اليمن ، فجهز السلطان قانصوه الغورى صاحب مصر الأمير حسينا الكردى فى خمسين غراباً ، وجعل إليه أمر جُدّه وسائر البنادر السواحلية ، وأمره بمحاربة الإفرنج فى بحر الهند[١] فدخل جُده وبنى عليها سوراً عظيماً ، وهو السور الباقى إلى الآن ، ثم جمع الأموال وشحن المراكب وسار إلى بحر الهند .

قال بعضهم ، وما ذكره قطب الدين من أن أول ظهور الافرنج فى الهند كان فى هذا التاريخ محمول على طائفة من البرتقال[٢] من إفرنج المغرب ، وما يتصل به من ناحية

= لينينجراد ، وغيرها . وقد نشر بعض هذه المؤلفات وعلق عليها المستشرق الفرنسى جبرييل فران والمستشرق الروسى تيودور شوموفسكى ، وأيدوا جميعا ما ذكره قطب الدين النهروالى فى كتاب « البرق اليمانى » من أن فاسكودى جاما لم يتمكن من الوصول الى الهند الا بفضل أحمد بن ماجد الذى أرشده الى الطريق الصحيح .

انظر :

أنور عبد العليم : الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح .
بحث نشر فى مجلة تراث الانسانية ، المجلد الخامس عدد ٤ ص ٢٧٤ وما بعدها
وكذلك لنفس المؤلف : كتاب ابن ماجد الملاح (أعلام العرب ٦٣)
وانظر أيضا :

G. Ferrand : Le Pilote Arabe de Vasco de Gama au XV siecle.
(Annales de Geographie, tome 31, p. p. 289 — 307).

(١) كانت الأخبار تأتى منذ وقت مبكر من مكة الى سلطنة المماليك بمصر عن نشاط الفرنج فى البحر الأحمر ، وكيف أنهم هددوا سواكن وغيرها من موانى البحر الأحمر ، الأمر الذى جعل السلطان الأشرف قانصوه الغورى يستعد ببناء أسطول كبير فى البحر الأحمر ، ونزل بنفسه الى السويس لتفقد سير العمل فى بناء السفن (ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ص ٣٠٧ ، ٣٦٢ ..)

(٢) كذا فى المتن ، والمقصود البرتغال

الشمال . فأما اللونده والانجريز والقرنصيص[1] من الإفرنج فسكونهم فى الهند متقدم . ذكر المسعودى فى مروج الذهب — وهو من المتقدمين فى أثناء المائة الثالثة — أن من الإفرنج من سكن الهند ؛ انتهى. قلت وقد صاروا رعايا بالنظر إلى هذه الطائفة البرتقالية الخارجة فى هذا الأوان ، والله أعلم .

وفى هذه السنة خرج الشريف بركات بن محمد من مكة إلى ساحل القنفذة فارًّا من أخيه أحمد الجازانى ، ومنع الذاهب إلى مكة والآيب منها ، وجرت بينه وبين أخيه وقائع يطول شرحها . ثم إن أمير الركب المصرى قبض عليهما ، وتوجه بهما إلى مصر . وبعد مده رجع الجازانى إلى مكة ، فقُتل فى الحرم الشريف ، فقدم أخوه الشريف بركات أميرا على مكة .

قال الديبع فى « الفصل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار زبيد » وفى شهر صفر من هذه السنة لم يزل يتراءى لبعض أهل زبيد شخص فيما بين حائط دار الشجرة ومسجد الجى أسود اللون طويل القامة ، يزيد طوله على منارة جامع المملاح[2] ، خطوته مقدار ثلاثين ذراعا . وظهر فى هذا الوقت فى زُبيد من الفسق والفجور وشرب الخمور وشهادة الزور ما لم يكن يعهده مثله ، حتى لقد وجد جماعة فى نهار رمضان يشربون الخمر ، وبنى بعضهم بزوجة أبيه ، وتظاهروا بصحبة الأحداث ، وحُمل بعد الصبيان إلى الأماكن المظلمة للفحش ، وفشا فى الناس الحبوب المعروفة بالنار الفارسى[3] بسبب ذلك ، والله الواقى .

---

(١) من الواضح أنه يقصد بالانجريز الانجليز ، وبالقرنصيص الفرنسيس أو الفرنسيين ، وربما كان يقصد باللوندة الهولنديين .

(٢) المملاح : موضع خارج عدن .

(أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ص ١٩ — ٢٠)

(٣) يبدو من سياق المعنى أن المقصود مرض من الأمراض الجنسية التناسلية يثير حبوبا وبثورا فى جلد المصاب .

ودخلت سنة — ٩٠٩ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٩١٠ —

فى شهر رمضان منها تحرك السلطان عامر بن عبد الوهاب لحرب صنعاء ، فنهض إلى رُداع بجيوش ملأت تلك البقاع ، يقال إنها زادت على مائة وسبعين ألف راجل ، فيها من الخيل ثلاثة آلاف فرس . فلما وصل قاع صنعاء حطّ أولاً فى صبر حدين ، ثم زحف على المدينة ونصب عليها المنجنيقات والعرادات ، وحصرها من جميع الجهات ، وأميرها فى هذا التاريخ أحمد بن الناصر . وأقبل الإمام محمد بن على الوَشَلى والأمير محمد ابن حسين الجوفى ، مغيرين على صنعاء ، كما فعلا فى التاريخ الماضى . فهزمهما جند السلطان عامر ، وأسروا الإمام الوَشَلى وولده ، ويحيَى بن محمد بن حسين الجوفى ، وانتهبوا ما فى محطتهم . وطالت مدة الحصار لصنعاء نحو ستة أشهر حتى بنيت الدكاكين للبيع والشراء فى محطة عامر ، ولم يزل جماعة من أهل صنعاء يخرجون ليلا فيغيرون على أطراف محطة عامر ، فأمر أن يُبنى على أبوابها جدران تمنع الداخل والخارج ، فضاق الحال بأهلها ، وانقطعت عنهم المواد ، ولم يجدوا بداً من الخروج إلى السلطان عامر ، فخرج إليه أحمد بن الناصر عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، وخرج محمد بن عيسى شارب الأسدى حاملا للمصحف على رأسه ، وكفنه على عنقه خوفا على نفسه ، لأنه الذى قتل عامر بن طاهر أيام محمد بن الناصر كما سبقت الإشارة إليه ، فأمنه السلطان وعفا عنه .

ودخل السلطان عامر إلى صنعاء يوم الخميس السابع من شهر شوال ، فنزل فى دار الشريفة فاطمة بنت الحسن صلاح الدين ، المعروفة الآن بدار السكيخيا ، واشتد غضبه على الأسديين قرابة محمد بن عيسى شارب الأسدى لما تقدم ذكره . ولحقت

أهل صنعاء مشقة شديدة مع دخول الجيش إليها . ثم إن السلطان عامرا أمر بأحمد ابن الناصر وعبد الله بن الإمام المطهر وشارب وذويه إلى تعز بأهلهم وأولادهم ، وقاسوا معه ما قاسى آل الحسين فى كربلاء ، وتجرعوا من أفعاله كرباً وبلاء .

وأما الإمام محمد بن على الوَشَلى فأودعه عامر سجن صنعاء ، إلى أن توفى فى اليوم الثانى عشر من ذى القعدة من هذه السنة . يقال إن عامراً دس إليه سمّاً فى مأكول مات منه ، والذى أكل معه ، وهو المترسم عليه . وفى أيام سجنه حصلت مناظرة بينه وبين الفقيه يونس بن محمد الرومى الحنفى الواصل إلى صنعاء ، فى مسائل من الأصول والفروع ، وأورد عليه الفقيه المذكور إيرادات ، فأجاب عليه بجواب يشفى الأوام .

ولم يبرح عامر بن عبد الوهاب يقتل الأشراف الكرام ، ويوردهم موارد الحمام ، والله من ورائه محيط . قال ابن مظفر[1] فى الترجمان ما معناه : وامتلأت البلاد بالظلم والفساد وسبْي النساء ، واستعمال الذكور ، وهتك الستور ، وقبض عامر من الناس خيلهم وأسلحتهم ، وعاملهم بالاحتقار وأنزل بهم المحن الشداد ، واستولى على الحصون القريبة من صنعاء ، لم يبق منها إلا ذى مَرْمر والفصين .

ودخلت سنة — ٩١١ —

فيها رجع السلطان إلى بلاده ، بعد أن ظفر من صنعاء وناحيتها بمراده ، وجعل فيها نائبا من أعيان قواده .

ودخلت سنة — ٩١٢ —

فى يوم الاثنين العاشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، دعا الامام المتوكل

---

(١) انظر ما سبق ، فى حوادث سنة ٨٤٠ هـ

على الله أمير المؤمنين يحيي شرف الدين بن شمس الدين بن أمير المؤمنين المهدى لدين [الله][1] أحمد بن يحيي بن المرتضى ، عليه وعلى آبائه أفضل سلام رب العالمين وكانت دعوته المباركة فى ظَفير حَجَّه ، وبث رسائله إلى الجهات ، فلم تظهر الاجابة كل الظهور حتى هلك عامر بن عبد الوهاب فى التاريخ الآتى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة مات أحمد بن عبد الناصر رحمه الله تعالى فى مدينة تعز . ومات محمد بن عيسى شارب وغيره ممن حمل معه الى تعز .

وفيها استفتح عساكر عامر حصن ذى مَرْمر ، وعُملت الزينة فى المدائن قدر نصف شهر .

ودخلت سنة — ٩١٣ —

فى المحرم منها وصلت برشتان وثلاثة أغربة[2] من أوائل جيش الجراكسة[3] إلى بندر جازان ، فأخذوا منه طعاماً وتوجهوا إلى جزيرة كَمَرَان[4] ، فهرب أهلها ، ثم ساروا إلى بندر المخاَ[5] ، ومنه إلى عدن ، وارتفعوا إلى ساحل أبْيَن ، وأظهروا أنهم خرجوا

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من المتن .

(٢) البرشات ومفردها برشة ، والأغربة ومفردها غراب ، أنواع من السفن الحربية المستعملة فى العصور الوسطى .

(٣) يقصد بالجراكسة هنا سلطنة المماليك الجراكسة فى مصر ، وكان السلطان قانصوه الغورى قد أعد اسطولا كبيرا فى السويس لارساله ضد الفرنجة عندما جاءته الأنباء من مكة وغيرها بوصول الفرنجة الى مياه البحر الأحمر ، وتهديدهم بلاد المسلمين . (ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٠٧ وما بعدها) .

(٤) جزيرة كمران : جزيرة بالبحر الأحمر قبالة زبيد باليمن ، وهى حصن لمن ملك يمانى تهامة (ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) المخا : موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر (ياقوت : معجم البلدان) .

من جدة مغاضبين لقومهم . وتبعهم الأمير حسين الكردى فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة فى ثلاث برشات وثلاثة أغربة ، فمر بباب المندب ، ثم تقدم منه إلى ساحل عدن ، وأرسل رسولا إلى ساحل عدن من قبل السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وهو مُرجان الظافرى يستأذنه فى الدخول إلى حُقَّات[1] ، فأذن له ، فدخل بأدب واحتشام وتعفف واحترام . وأرسل إليه مرجان رسولين فأكرمهما غاية الإكرام ، وبعث معهما بهدية سنية لمرجان ، وقال لهما : « أبلغا مرجان عنى السلام ، وقولا له لولا أن السلطان قانصوه الغورى آخذ علىَّ أنى لا أدخل عدن لدخلت إليه ومثلت بين يديه » . ثم إنه أخذ ما يحتاج إليه من عدن لشحنة برشاتة ، وتوجه إلى بندر الديو لمحاربة الأفرنج . وذكر قطب الدين أنه اجتمع بسلطان حورران مظفرشاه بن السلطان محمود شاه الحورراني[2] فأكرمه وعظمه وأعطاه أموالا كثيرة . وعند وصوله ارتفع الإفرنج عن بنادر حورران إلى قلعة لهم منيعة من ناحية بندر الدكن[3] يقال لها أكُوَّة ، بضم الكاف وفتح الواو المشددة وهاء ساكنة ، ورجع الأمير حسين إلى بندر جُدة .

وفى هذه السنة استولى الافرنج على بندر هرموز وأمنوا من فيه من المسلمين والتجار المسافرين . ووصل الخبر بذلك إلى اليمن فى أواخر شهر شعبان .

---

(١) حقات : بضم اوله وتشديد ثانيه ، جبل قرب عدن بنى عليه دور المنظر .
(أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ص ١٧)

(٢) يقصد به مظفر شاه الثانى بن محمود شاه الأول بايقرا ، وهم من ملوك كجرات ، وكانت حاضرتهم أحمد أباد . على أنه يلاحظ أن مظفر شاه الثانى لم يتول الحكم الا فى رمضان سنة ٩١٧ ، وعندئذ بادر بطلب المساعدة من قانصوه الغورى صاحب مصر ضد البرتغاليين . (زامباور : معجم الأنساب ، ص ٤٣٥)

(٣) كان الدكن يحكمه البهمنيون (٧٤٨ هـ - ٩٣٢ هـ) وقد تولى ملكهم محمود شاه الثانى الحكم سنة ٨٨٧ هـ وتوفى سنة ٩٢٣ هـ
(زامباور : معجم الأنساب ص ٤٣٧)

ودخلت سنة — ٩١٤ —

فى آخر شهر ربيع الأول منها قبضت جنود السلطان عامر بن عبد الوهاب حصن ظفر بنى وهاس والفَصّين[١] والعروس والريشة[٢] .

ودخلت سنة — ٩١٥ —

فيها فقدت مراكب السلطان عامر فى البحر ، لم يبق منها إلا مركب واحد وطليعتان .

وفيها مات الأمير محمد بن حسين الحمزى صاحب الجوف وصَعْدة .

ودخلت سنة — ٩١٦ —

فى ربيع الأول منها أرسل الشيخ حمزة بن عبد الله الناشرى إلى السلطان عامر بكتابه الموسوم بانتهاز الفرص فى الصيد والقنص .

وفيها قدم زين الدين المحتسب ، والطواشى بشير بهدية من قانصوه الغورى صاحب مصر للسلطان عامر بن عبدالوهاب ، وكان يومئذ فى رُدَاع ، فأكرمهما وأحسن نزلها ، وشحن مركباً لصاحب مصر فيه هدايا عظيمة ، مما يصلح للملوك ، وصرف رسوليه مكرمين ، وأمر نائبه على عدن — وهو مرجان الظافرى — بإكرامهما وتجهيزهما من بندر عدن إلى ديار مصر ، وأرسل معهما لمرسلهما بفيلين من أفياله .

---

(١) يقصد بالفصين : الفص الصغير والفص الكبير ، وهما حصنان باليمن قرب بيت أردم وبراش .

(الخزرجى : صفة جزيرة العرب ، ج ١ ص ١٤٧ ، ١٥٣)

(٢) كذا وردت فى المتن ، وفى صفة جزيرة العرب الريسة بتشديد الياء وكسرها وفتح السين ، موضع فى السراة قرب وادى الجنات وجبل الرما .

(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٧)

وفيها أمر السلطان عامر بنفى جماعة من أهل زبيد ممن تظاهر بالفسوق ؛ وإخراب بيوتهم ، وإراقة خمورهم ، لما شكا عليه بعض أهل زبيد أن ولديه قتلا بهذا السبب .

ودخلت سنة — ٩١٧ —

فيها خرج عامل السلطان عامر على صنعاء وجهاتها ، وهو الأمير الكبير على بن محمد البَعْدَانى ، إلى بلاد نُهم ، فانتهبها ، وهزم أهلها ، وقتل منهم نفرا ، وسار فى أعقابهم ، حتى تسلم جبل ملح . وأوغل فى تلك الجهات حتى وصل حد الجوف ثم رجع إلى بلاد ذيبان ، وتقدم منها إلى ذيفان ، وحط على الحصن ورماه بالمنجنيق .

وفى خلال مسير الأمير على بن محمد البَعْدانى إلى جهات نُهم وذيبان قُتل شخص فى مدينة ثلا عدواناً ، فأدب أهلها بألوف من الدنانير ، ووصل إليه رأى السلطان عامر أنه لا أمان لهم إلاّ بتسليم الحصن ، فامتنعوا عن تسليمه ، فلم يزل البعدانى يدبر الحيلة فى أخذه حتى ظفر جنده بالجبل المعروف بالتعبرة[1] قديما وبالناصرة حديثاً ، فأقبلت عليهم القبائل من كل فج عميق ومكان سحيق ، وأحاطوا بالتعبرة . وكان ابن ناصر الدين صاحب كوكبان فى صَعْدة ذلك الأوان فوصل مغيراً على ثلا ، واستصرخ عدة من الأشراف وغيرهم . وبلغ الخبر على بن محمد النظارى نائب البَعْدَانى على صنعاء ، فوجه خيلا ورجالا ، وأعانه صاحب همدان بألف نفر . ونمى الخبر إلى على بن محمد البَعْدَانى فأقبل على ثلا فى سبعمائة فارس وعشرة آلاف راجل ، فدخلها قهراً بالسيف ، ثم أمر بالكف عن نهب المدينة ، وأسر ابن ناصر الدين صاحب كوكبان ، وكذلك صاحب مُدَع ، واستولى على حصن ثلا وحَضُور المصانع وكوكبان .

وفى هذه السنة كانت قضية فيل السلطان عامر بن عبد الوهاب المسمى مرزوق ،

---

(١) التعبرة : موضع قرب ثلا باليمن .

وهى أن سايسه أدخله إلى بيت بعض فقراء الشيخ أحمد بن علوان عليه السلام فى قرية من قرى يفرس[1] تعرف بالذكر ، ثم طلب من صاحب البيت بما لا طاقة له بتسليمه ، فلم يشعروا إلا وقد ذهبت قوائم الفيل فى الصفا[2] . فصرخ الفيل صرخات عظيمة ، ولم يقدروا على تخليصه حتى هلك . قال بعضهم ومثل هذه القصة ماجرى مع رجل جندى من أصحاب قيس بن محمد الحرامى . وهى أن هذا الجندى وصل بفرسه إلى بلد من ناحيَة تهامة يعرف بالَحبّ[3] ، وكان فيها الفقيه الصالح بدر الدين محمد ، بن موسى بن على بن أبى الرجال ، فطلب منه الرجل علفاً لفرسه ، فامتنع الفقيه محمد فلطمه الرجل ونهب بعض متاعه ثم وضعه تحت فرسه ، فلم يلبث الفرس أن غابت قوائمه فى الأرض ، فاجتمع جماعة لتخليصه ، فلم يقدروا عليه ، حتى غاب جميعه فى الموضع الذى انخسف به . ذكر هذه القضية فى شرح العقيدة للنهارى ، رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة — ٩١٨ —

فيها نهض السلطان عامر بن عبدالوهاب — وأخوه عبد الملك — فى عدة من بنى طاهر من المقرانه إلى تعز ، فلبث فيها أياما ، ثم توجه إلى زُبيد ، وترجح له أن يقبض نصف غلات الأوقاف للديوان ، فدخل على الفقهاء والمتعلقين بالوقف نَقْصٌ كبير ، وشملهم الضُرّ ، فابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء عليه ، فلم تطل مدته ، وكان هذا من جملة أسباب زوال دولته .

---

(١) يفرس ، ناحية من نواحى جَبَأ قرب الجند باليمن
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ص ١٦٠)

(٢) الصفاة : الحجر العريض الأملس ، ويقال أصفى الحافر أى بلغ الصفا فلم يستطع الحفر (المعجم الوسيط) .

(٣) جبل حب : بفتح الحاء وتشديد الباء وفتحها ، جبل فى مخلاف ذى رعين باليمن . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠١)

فى المحرم منها وصل الخبر إلى اليمن باقبال ستة عشر مركباً من مراكب الإفرنج ، خذلهم الله تعالى ، إلى سواحل اليمن ، فأمر السلطان عامر بالتحفظ منهم ، والدعاء عليهم فى قنوت الصلاة وخطبة الجمعة . وجهز عسكراً إلى عدن ، وأمر النائب عليها بتحصينها وافتقاد عوراتها ، والأخذ بالحزم من غير أن يبتدئهم بشىء . فلما وصل الافرنج مرسى عدن خرجت منه طائفة إلى الساحل ، وقد أعدوا السلاليم ، ثم وضعوها على أقصر جدار من سور عدن ، ورقوا عليها ، ودخل بعضهم إلى البلد ، فخرج إليهم أهلها فقتلوا جماعة من الافرنج ، وأسروا أربعة أنفار منهم . فانهزمت مراكبهم إلى باب المندب ، ثم سارت إلى ساحل بندر المَخا ، ومروا ببندر البقعة ، وحاولوا دخوله ، فلم يتم لهم . فتوجهوا إلى جزيرة كَمَران ، فدخلوها وانتهبوها وقتلوا من كان فيها من أصحاب السلطان عامر ، منهم الشريف محمد بن عبد العزيز بن سفيان . ثم رجعوا إلى ساحل عدن ، وتخلف منهم مركبان دخل من فيهما إلى زيلع[1] فأحرقوها ، ولحقوا بأصحابهم إلى ساحل عدن ، فرموها بالمدافع حتى أخربوا بعض البيوت ، وقتلوا عدة فى الأسواق والطرق ، وثبت من فى عدن لمكافحتهم ، وأصابوا جماعة من الافرنج ، ثم صرفهم الله تعالى عن ديار اليمن ، ورجعوا عنها خائبين ، والحمد لله رب العالمين .

وفى هذه السنة تواطأ جماعة من أهل صنعاء على الفتك بالأمير على بن محمد البَعْدَانى ، فظهر أمرهم ، وانكشف سرهم ، فعاقبهم أشد العقاب . وفيها رجع السلطان عامر من

(١) من الواضح أن زيلع التى تكرر ذكرها هنا غير زيلع المعروفة على شاطىء شرق افريقية . وقد ذكر ياقوت أن من جزائر اليمن جزيرة زيلع ، فيها سوق يجلب اليها المعزى من بلاد الحبشة فتشترى جلودها ويرمى باكثر مسائحها فى البحر (معجم البلدان) . كذلك ذكر الهمدانى جزيرة زيلع وقال انها من الجزائر التى تجاور ساحل اليمن . (صفة جزيرة العرب ، ص ٥٢)

زبيد إلى تعز ، واستخلف على زبيد الفقيه على بن محمد النطارى ، ووفد الى السلطان وهو فى تعز أشراف صَعْدة ، فقابلهم بالاكرام ، وأحسن إليهم الاحسان العام ، ثم استخلف على تعز وجهاتها ولده عبد الوهاب بن عامر ، فأحسن سياستها ، وارتفع السلطان عامر إلى المقرانة .

ودخلت سنة — ٩٢٠ —

فيها توجه السلطان عامر بن عبد الوهاب إلى صنعاء ، فدخلها يوم الجمعة سلخ شعبان ، ولبث فيها مدة ، وخاطب أهلها بتسليم مال ، وأراد أن يضرب عليهم خراجا ، فشكوا عليه وتضرروا ، فنهاه بعض خواصه عن التعرض إليهم ، وقال له إن أهل صنعاء لم يغير عليهم أحد من الملوك عادة الا تغيرت أحواله ، وكثر وباله . فرجع عمّا هم به . وبعد أيام عاد الى رأيه الأول ، وأحدث المظالم والبدع ، فعوجل بالنقمة .

وفى أيام بقائه فى صنعاء ، وفد إليه أشراف صَعْدة ، داخلين تحت الطاعة ، وطلبوا منه أن يبعث معهم من يقبض صعدة . فجهز معهم أميراً وجنداً ، فلما وصلوا بعض الطريق ، أراد ابن النهال القبض عليهم ، وأظهر كميناً ، فثبتوا حتى وصل اليهم الأمير على بن محمد البَغْدانى مغيرا عليهم ، فاستنقذهم ، ورجع الى صنعاء ، ولم يتم فتح صعدة تلك المدة .

وفيها وصل رسول الى السلطان عامر من الديار المصرية بهدايا من سلطانها قانصوه الغورى .

وفى آخر هذه السنة تسلم السلطان عامر حصن ذيفان وظَفار الأشراف ، وملك من عجيب[1] الى عدن ، وعند التباهى يقصر المتطاول .

---

(١) عجيب : موضع فى وادى الحارد بالجوف فى اليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢ ، ياقوت : معجم البلدان)

ودخلت سنة — ٩٢١ —

فى أولها أغار الزيديون من أهل تهامه على قرية الضحى [١] ونائبها من قبل السلطان عامر الأمير عيسى بن على الحجرى ، فهزمهم ، وقتل جماعة منهم .

وفى جمادى الأولى من السنة المذكورة جهز السلطان عامر ولده عبدالوهاب عاملا على زبيد ، فدخلها فى هيئة جميلة ، وأبهة جليلة فلبث فيها الى شهر القعدة من السنة المذكورة .

ثم بلغه وصول العساكر المصرية والأجناد الغورية [٢] إلى جزيرة كمران ، قائدهم الأمير حسين الكردى . فكتب عبد الوهاب بن عامر إلى أبيه يخبره بوصولهم ، فاهتم لذلك ، وأمر ولده المذكور أن يمنع السفن عن التوجه بالميرة إلى جهة الشام . ثم خرج السلطان من صنعاء إلى ذِمار ، وقد لاحت عليه لوائح الإدبار . ولم يستقر فى ذِمار ، بل توجه إلى رُداع ، وعيد فيه عيد الأضحى . وعطف على كثير ممن فى سجونه من بنى طاهر فأطلقهم ، وأظهر لهم الوداد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد .

ولما علم الإمام المتوكل على الله رب العالمين ، يحيى شرف الدين بن شمس الدين ابن أمير المؤمنين عليه السلام ، بوصول الجند المصرى إلى جزيرة كمران ، أنشأ رساله بليغة إلى قائدهم الأمير حسين ، يطلب منه الإعانه على حرب السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وأرسل بها رسولا من حضرته الشريفة ، وهو الفقيه العالم صلاح الدين ابن سراج الله ، رحمه الله تعالى . فلما وصل الرسول إلى الأمير حسين ، قابله بالقبول ، وعرض كتاب الإمام على من لديه من أرباب الأمر ، وطلب منهم المشورة فى الجواب على الإمام ، فشار عليه رجل منهم بتبقية رسول الإمام حتى يجعل إلى السلطان عامر

---

(١) الضحى : قرية من نواحى سردد باليمن

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣١١)

(٢) نسبة الى الغورى سلطان مصر .

كتابا يستمد منه الأعانه على حرب الافرنج ، وينظر فى جوابه ، وما يشتمل عليه من خطأ الرأى أو صوابه . فاستحسن ذلك ، وبعث رجلين من أصحابه بكتابه . فلما وصلا مقام السلطان عامر أكرمهما ، ثم استشار الفقيه على بن محمد النظارى فى الجواب ، فأشار عليه برأى موافق للصواب ، وهو الإسعاد إلى ما طلبه الأمير حسين من الامداد . وكاد يميل إلى هذا الرأى ، خلا أنه كان شديد الميل إلى الأمير على بن محمد البَغْدَانى ، يفضله على القاصى والدانى ، فعرض عليه الكتاب ، واستمد منه الرأى فى الجواب ، فأشار عليه بعكس ما رآه النظارى ، لشىء قد أراده الخالق البارى . وقال « أنا أكفيك الجواب » . ثم طلب الرسولين ، وأغلظ لهما فى القول وردهما خائبين ، فرجعا إلى أميرهما شاكيين ، ولما اتفق معهما ذاكرين . فعرف الأمير حسين وأصحابه أن دعوى الامام صادقة ، وأن أموره لسنن الحق موافقه ، فأجاب على الإمام بجواب يشفى الأوام ، وأجاز رسوله وأحسن قفوله .

ثم شرع الأمير حسين فى التوصل إلى دخول الجزيرة اليمنية ، وقد كان السلطان عامر منع عن تحميل الطعام إلى جهة الشام كما تقدم ذكره . واضطر المصريون إليه ، فأرسلوا غرابين إلى بندر الحديّدة[1] لطلب الميرة ، فخافهم أهل الحديدة ، وسارعوا برفع الخبر إلى عبد الوهاب بن عامر ، فأمدهم بخيل ورجل ، فلم يتم لهم البقاء فى أصل البندر لعجز أهله عن نفقتهم ، ولما يخشونه من هجوم الجراكسة عليهم ، فانتقلوا إلى موضع خارج البندر يعرف بالمحيبي ، وتفرق أهل البندر شذر مذر .

فلما علم الجند المصرى خلو البندر عن أهله وعن العسكر ، حركوا سفنهم إلى مرسى الحديدة ، ثم رموا ذلك العسكر إلى موضعهم بمدفع عظيم ، ذهبت من سماعه أكبادهم فزعا ، وطارت قلوبهم جزعا ، وأرسلوا بحجر المدفع إلى زبيد . ثم دخل جند مصر عقيب

---

(١) الحديدة : ميناء فى البحر الأحمر على ساحل اليمن .

ذلك إلى البندر ، فأخربوه وأخذوا مافيه من الأبواب والأخشاب ، وشحنوا به سفنهم وانقلبوا راجعين إلى جزيرة كمَرّان ، فبنوا فيها حصنا عظيما ، وجبانة صلوا فيها صلاة عيد الاضحى .

وفى خلال ذلك وصلت ثلاث سفن من جهة زيلع ، مشحونه بالطعام ، متوجهة إلى الشام ، فخيرها محمد بن نوح صاحب الحديدة ، ومن عنده من عسكر السلطان ، عملا بما أمرهم به . وكان هذا المنع من أقوى الأسباب الموجبة لخروج الجند المصرى إلى اليمن ، فإنهم لما اضطروا إلى الطعام ، وأرسل الأمير حسين إلى صاحب الحديدة رسولا يطلب منه إطلاق السفن بالطعام ، فلم يتم منه إسعاد إلى ذلك المرام ، فتوجه الأمير حسين بجنده إلى مرسى الحديدة ، ورماها بالمدافع ، حتى أخربها .

وفى أثناء ذلك وصل إليه الفقيه أبو بكر بن المقبول الزيلعى صاحب اللحية ، وكان الجند المصرى قد وصلوه بصلات ، ومنحوه بهبات من سلطانهم الغورى صاحب مصر ، فوالاهم ، وأقام الخطبه فى اللحية لسلطانهم . ولما تراءى ما جرى بينهم وبين صاحب الحديدة من المحاربة قصدهم كما ذكرنا ، فقوى عزمهم ، وأعانهم بنفسه وماله ، وفتح لهم الطريق من بندر اللحيه ، فأرسلوا معه مائة نفر بالبنادق[1] ، ولم تكن تعرف فى إقليم اليمن قبل ذلك ، فلهذا هابها أهل ذلك الزمان ، وفرق منها جند السلطان ، وارتعد منها كل جنان . وهكذا كل شيء لا يعرفه الناس ، ولا تألفه الحواس ، حتى ينطبع فى القلوب ، فيصير من جملة الأمر الذى يتم به المطلوب .

ولما وصل الفقيه أبو بكر الزيلعى بمن معه من جند الغورية إلى بندر اللحية ، قصد بهم إلى مَوْر ، وفيها من جهة السلطان عامر الأمير محمد بن سليمان السنبلى ، فخرج لقتالهم

---

(١) هذه اول اشارة فى الكتاب الى استخدام البنادق والأسلحة النارية فى اليمن .

بمن عنده ، فلم يكن بأسرع من هزيمتهم ، وقتل الأمير محمد بن سليمان وجماعة من أصحابه ، واستولى الزيلعى ومن معه على جهة مَوْر . وتقدم جماعة من الزيدية إلى الأمير حسين ، فوالوه ، وطلبوا منه طائفة من عسكره لقبض خراج بلادهم ، فارسل معهم مائتى بندقانى[1] ، فقصدوا بهم قرية الضحى ، فهزموا الحجري عامل السلطان عامر ، ودخلوا القرية ، فأحرقوها ، والتجأ بقية عسكر السلطان إلى قرية الغانمية .

ودخلت سنة — ٩٢٢ —

فيها بعث السلطان عامر بن عبد الوهاب أخاه عبد الملك بن عبد الوهاب إلى تهامه ، لترميم أمورها وسد ثغورها ، فوصل زُبيد بجيش عديد ، ثم تقدم منها إلى الزحف . فخرج الأمير حسين الكردى لمحاربته ، من جزيرة كَمَرَان إلى الزيدية بألف مقاتل بالبنادق المذكورة ، ثم تقدم لمحاربه عبد الملك ومعه الشريف عز الدين بن أحمد بن دريب صاحب جازان ، فالتقى الجمعان ، وتقابل الفريقان ، ثم وقع القتال ، واشتد النزال . وقاتل عبد الملك بن عبد الوهاب بنفسه قتالا أبان عن شجاعة كاملة وصبر عند النازلة ، وهلك تحته فى ذلك اليوم ثلاث من الخيل ، وقتل من أعيان جنده عوضه بن حسان وابن البابلى وغيرهما ، وقتل من جند الأمير حسين أربعة عشر قتيلا . وافترقوا ، فرجع عبد الملك إلى زبيد .

ثم إن بعض أعيان العرب الملازمين للأمير حسين أشار عليه باغتنام الفرصة وتجريع الجند العامرى الغُصّة بعد الغُصّة ، وأن من النظر متابعة الكرّ ولحوق عبد الملك فى الأثر . فسار إليه بجيش كثيف من الغورية ، ومن انضم إليه من أهل تهامة الزيديه ،

(١) يقصد بالبندقانى الرامى بالبندقية .

فحطوا بالتحيتاء[1] والقرشية[2] ولبثوا فيها ثلاثة أيام، ينتظرون وصول من تأخر عنهم من ذلك الجيش اللهام. ثم زحف الجميع إلى خارج باب النخل من زبيد، ضحى يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة، فخرج إليهم عبد الملك بن عبد الوهاب وابن أخيه عبد الوهاب بن عامر بجندهما، فقاتلوا قتالا شديدا، حتى أصيب عبد الوهاب بن عامر ببندق، فانهزم العسكر، وتفاقم الأمر، وحمل عبد الوهاب إلى الدار السلطانية بزبيد. وتبعه عمه عبد الملك، فصاح به، فخرج إليه، فجعله بين يديه، وتوجه به إلى باب الشبارق، وقد اصطفت له الجنود، وأرادوا أن يأسروه، فحمل عليهم حملة أبى الأشبال، وجدّ فى القتال حتى خلص بابن أخيه، وجماعة من أعيان أصحابه كالفقيه على بن محمد النظارى والشريف الموزعى. ولما وصل عبد الملك إلى تعز، لم يلبث ابن أخيه عبد الوهاب أن مات من ذلك الجرح الذى أصابه فى زبيد، وتوفى بعده الشريف الموزعى.

وأما الأمير حسين، فقدّم جنده العديد إلى مدينة زبيد، فانتهبوها وسفكوا الدماء، وأباحوها، وهتكوا المحارم وفعلوا العظائم، وبالجملة فانه جرى على زبيد ما جرى على أهل المدينة المشرفة يوم الحرة من جيش[3] يزيد. ودخل الأمير حسين إلى زُبيد عصر ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة تاسع عشر الشهر المذكور. ولما استقر فى الدار السلطانية،

---

(١) التحيتاء : ناحية تسمى سرياقوس الأسفل ، قرب زبيد باليمن .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٢٨٣)

(٢) القرشية : موضع فى تهائم اليمن قرب زبيد يسكنه العرب

(٣) يوم الحرة – اى حرة واقم – التقى فيه جيش يزيد بن معاوية بأهل المدينة سنة ٦٣ هـ ، وكان قائد الجيش الأموى مسلم بن عقبة المرى ، فكسر أهل المدينة وقتل منهم ثلاثة آلاف من الموالى وخمسمائة رجل ، ومن الأنصار الفا وأربعمائة ، ومن قريش الفا وثلثمائة ، ودخل جيش يزيد المدينة المنورة فنهبوا الأموال وأنزلوا أبلغ الضرر بالأهالى .
(ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ص ٤٨)

أمر الناس بالكف عن النهب ، فلم يمتثل أمره واستمر النهب ثلاثة أيام ، ودخل العسكر البيوت ، وأخرجوا عنها أهلها .

وأقام الأمير حسين فى زبيد سبعة وعشرين يوما ، ثم خرج إلى بندر البقعة بعد أن صادر الأغنياء من أهل زبيد بعشرة آلاف أشرفى ، بعد النهب والسلب . وأمر بالقاضى صفى الدين أحمد بن عمر الموحد إلى دار الاعتقال ، وخوطب بتسليم مال ، فأحسن الله له الخلوص بعد ثلاثة أيام . وأرسل الأمير حسين للفقيه الصالح اسماعيل ابن جَعْمان ، صاحب بيت الفقيه ابن عجيل ، فوصل إليه تحت الحفظ ، فطالبه بمال نُمِيَ إلى الأمير حسين أنه كان مودعا عند الفقيه المذكور للشريف العفيف بن سفيان ، أحد زعماء الدولة العامرية ، فأنكره ، فضرب بالسياط ، ثم حمل إلى السجن ، فمات فيه ، رحمه الله تعالى .

وأما السبب الموجب لخروج الأمير حسين الكردى إلى بندر البقعة ، فإنه كان قد وعد أصحابه أن يعطى كل واحد منهم مائة أشرفى[1] بعد الاستيلاء على زبيد ، فلما استقر فيها طالبوه بما وعدهم ، فشحت نفسه ، فهموا بقتله ، فدبر الحيلة ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى البقعه ليأتيهم بالمال الموعود به ، واستخلف على زبيد رجلا من أمراء الغورية ، يعرف ببرس باى وعضده بابن صاحب جازان . ولما وصل البقعة لقاه الأمير سليمان أحد أعيان الدولة الغورية ، فلبثوا هنالك قدر عشرة أيام .

ثم سار الأمير حسين ومن معه إلى بندر زيلع ، فأصلح مراكبه ، وشحنها بالماء والزاد ، وتوجه إلى عدن ، وفيها مرجان الظافرى ، فوصل إليها فى واحد وعشرين مركبا من الغورية والعرب . وكانت المراكب المتوجهة إلى بلاد الهند قد أقلعت من مرسى عدن قبيل وصوله بيوم واحد ، فتبعها الأمير سليمان الغورى ، فأدرك المركب السلطانى ،

(١) أى مائة دينار أشرفى نسبة الى السلطان الأشرف (الغورى)

فقبض منه الناخوذه والكرانى[1] ، وجعل فيه ناخوذه وكرانيا من قبله ، وكتب إلى صاحب الهند أن البلد قد صارت فى قبضتهم ، وأنه يوجه المراكب الهندية إليهم .

ثم وقع الحرب الشديد والمصاولة العظيمة فيما بين الأجناد الغورية ومن فى عدن من العساكر العامرية ، قتل فيها من الفريقين عدة ، وطالت بينهم المشدة ، حتى وصل عبد الملك بن عبد الوهاب مغيرا على أهل عدن ، فارتفع عنهم الجند المصرى إلى بندر البقعة ، وتوجهوا منه إلى جُدة .

وأما الأمير برس باى ، فإنه بعد خروج الأمير حسين من زبيد ضبط البلاد ، وساس الأجناد ، وأقام فى زبيد إلى شهر شعبان من السنة المذكورة ، ثم أمر بنصب الخيام خارج باب الشبارق . ولبث هنالك خمسة أيام ، يجمع الجنود ويعقد البنود . وبلغه خبر قتل أهل الواعظات للفقيه أبى بكر بن المقبول الزيلعى ، فى اثنى عشر نفرا من الجراكسة . ثم سار إلى جهة حَيْس فخيم في موضع بينها وبين قرية السلامة . ثم تقدم إلى زيلع ، وقد كان الشيخ عبد الله بن سلامة صاحب موزع صالحه بمال على أن لا يتعرض إلى بلده بسوء ، فلما دخلها ظن أن فى بيت الشيخ المذكور ودائع للناس ، فنقض الصلح وأمر بنهبه ، ثم وقع خلاف بينه وبين مقدم عسكره فقتله ، وبعد قتله خاف على نفسه من العسكر فرجع إلى زبيد .

وأما السلطان عامر بن عبد الوهاب فإنه تقدم من المقرانة إلى مدينة إبّ ، ثم سار

---

(١) الناخوذة والكرانى ، اثنان من هيئة السفن التجارية ، ويفهم مما ذكره أبو مخرمة أن الناخوذة كان بمثابة ربان المركب ورئيس طاقمها ، فاذا اقترب مركب من الميناء صعد اليه عمال السلطان ليسالوا الناخوذة من أين وصل .. أما الكرانى فهو بمثابة الكاتب او المسجل او الأمين بالمركب ، فعليه أن يكتب قائمة بجميع ما فى بطن المركب من متاع وقماش وسفن ويسلمها لموظفى الميناء .

(أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ص ٥٧)

إلى زبيد ، لحط فى محل يعرف بالقورين[1] ، وصام فيه شهر رمضان ، وعيد هنالك عيد الإفطار . ثم توجه إلى زبيد ، فأرسل إليه رئيس الجند المصرى يطلب الصلح على يدى القاضى أحمد بن عمر المزجد ، فكاد السلطان عامر يميل إلى المصالحة ، وترك المكافحة ، حتى أشار عليه بعض من لديه بعدم قبول الصلح ، وأن المصريين لم يطلبوا الصلح إلا وفى أنفسهم مكيدة ، فرجع عما قد كان هم به من قبول الصلح ، وأمسك القاضى عنده ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

ولما لم يتم الصلح ، تقدم السلطان عامر إلى التربية وخرج إليه الجند المصرى يوم الأربعاء التاسع من شوال ، فوقع القتال العظيم ، عامة ذلك النهار ، وقتل من الفريقين جماعة . وفى اليوم الثانى وقع حرب كذلك ، ورجع عسكر مصر إلى زبيد . ثم خرجوا صبح اليوم الثالث ، فاقتتلوا قتالا شديدا . وتولى السلطان عامر الحرب بنفسه ، ولم يثبت معه غير ولده أحمد بن عامر وخاله الشيخ محمد والفتى مرجان ، وانكسر عنه أكثر العسكر ، ولم يشعر إلا بهجوم العسكر المصرى على محطته ، وانتهابهم لما فيها من الأموال والآلات والعدد ، فجمع بقية عسكره ورجع بهم إلى المحل الذى كان فيه ، ولم يلحقه أحد من الغورية لاشتغالهم بالنهب . ثم رجع السلطان عامر إلى تعز ، فاستقر فيه .

وفى المحرم من هذه السنة مات السيد العلامة الهادى بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن الهادى بن إبراهيم بن الوزير المعروف بالهادى الصغير . رضوان الله عليه ، وهو شيخ الإمام شرف الدين عليه السلام فى الكشاف . وكانت وفاته عقيب رجوع عامر ابن عبد الوهاب منكسراً من الجراكسة . وكان السيد الهادى صحبة عامر فى الوقعة ،

---

(١) القوران مثنى قور . والقور هو أصاغر الجبال . والقوران قرب زبيد (الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٦٦)

لأن عامرا أجبره على العزم معه . وقد كان مريضا ؛ ويقال إن عامراً سمه ، فمات فى تعز ، وقبره فى حوطة قبة الإمام إبراهيم بن تاج الدين ، عليه السلام .

ودخلت سنة — ٩٢٣ —

فيها لمع برق الهلاك لعامر ، فهدم ركن ملكه الشامخ العامر ، ولحق بأهل الخورنق والسدير ، وأصابه الله بما أصاب به مروان فى بوصير [١]. وذلك أن الأجناد الغورية والعساكر المصرية ، توجهوا من زبيد إلى تعز فى آخر شهر المحرم من السنة المذكورة ، فانهزم السلطان إلى إبّ من غير قتال ، ودخل المصريون إلى تعز ، فاستولوا عليها ، وقبضوا حصنها ، وصادروا أهلها ، وفعلوا فيها أعظم مما فعلوه فى زبيد .

ثم توجه أميرهم برسباى بأكثر العسكر إلى المقرانة ، واستخلف على تعز أمير يعرف بأقباى ، فسبقه السلطان عامر إلى المقرانه ، فأخرج منها حريمه — وما خف من أمواله وأثقاله — وتوجه إلى الحلقة . وتعقب بعد خروجه منها دخول الجراكسة إليها ، فأخذوا بقية ما فيها من الأموال والذخائر ، وكانت جملة مستكثرة . وظفروا بجماعة كانت عندهم ودايع للسلطان عامر ، فأخذوها منهم ، واستقروا فى المقرانة أياما . ثم إن أميرهم برس باى خرج يوما إلى بلد آل عمار ، فاجتمعوا عليه ، وأمدهم الله بنصره ، فقتلوه فى نفر من عسكره ، ورجع بقيتهم إلى المقرانة ؛ فأقاموا لهم أميراً يسمى الإسكندر بن محمد . ولبثوا فى المقرانة أياماً ، وظفروا بالفقيه عمر الجبرتى سمير السلطان عامر ونديمه ، فدلهم على دفائن عامر من الذهب والفضة والجواهر ونفائس الذخائر ، فقبضوا تلك الأموال ، ثم قتلوا ذلك الفقيه . وكان ذلك جزاءه على ما فعله من الدلالة

---

(١) بوصير ، قرية من قرى مصر ، بها قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذى انقرض به ملك بنى امية .

والتنبيه . ثم أخربوا المقرانه ، فهى كذلك إلى الآن ، فسبحان من لا تعتريه الحوادث ولا تغيره الأزمان .

ولما قضوا من تلك الجهات وطراً ، ووقع بأسهم على ملكها وطرا ، نهضوا قاصدين إلى صنعاء ، فاعترضتهم قبائل الجهة المتوسطة بينهم وبين صنعاء ، فأوقعوا بهم وقعة عظيمة ، وقتلوا منهم وممن معهم من أشراف جازان عدة ، ونفذ أميرهم الاسكندر ببقيتهم إلى قاع صنعاء ، وعاملها من قبل السلطان عامر الأمير على بن محمد البَغْدَانى . وبلغ عامر ما وقع بالجراكسة من القتل ، فاستخفه الفرح . وذهب عنه النزح ، وتبعهم فى الأثر بمن اجتمع عنده من العسكر . فبرز الجراكسة إلى قتاله عقيب وصوله ، وسارعوا إليه من فتكهم قبل نزوله ، فثبت أخوه عبد الملك بن عبد الوهاب ثبات أولى الألباب ، ولم يزل يقاتلهم حتى قتل . فحين رآه أخوه السلطان عامر قتيلا ، طاش عقله ، وفر منهزما فريدا ذليلا . وأراد أن يقصد ذى مَرْمر لأنه كان في حوزته ، ومن جملة ولايته ، فلقاه شخص من سعوان[1] يعرف بالزلابيا ، فى آكام الزبيب تحت نُقُم ، فأسره وتقدم به إلى محطة الجراكسة ، فاجتزوا رأسه ، وتركوا جسده ملقى على الرغام ، يطؤه الناس بالأقدام ، وكأنه لم يكن ذلك الملك المهيب عند الصدام ، ولا خفقت على رأسه البنود والأعلام ، فتباً لملك هذه عاقبته ، وقبحاً لنعيم هذه النهاية نهايته . وكان قتله صبيحة يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الأول من السنة المذكورة . وأُسر ولده أبو بكر بن عامر ، وابن أخيه عامر بن عبد الملك .

ورفع الجراكسة رأسه ورأس أخيه على رءوس رماحهم ، وتقدموا بهما إلى قريب السور من صنعاء . فلما عاينهم الأمير على بن محمد البَغْدَانى ، انخلع قلبه وذهب لبه ، ثم

(١) سعوان : موضع بالحارد من أودية الجوف باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨١)

طلب الأمان فأمنوه ، حتى فتح لهم أبواب المدينة ودخلوها . ثم مالوا على من فيها فقتلوا من حماتها وأجنادها وغيرهم ألفاً وخمسمائة ، وقبضوا أموال البهمداني وذخائره ، وصادروا التجار . وجرى على أهل صنعاء ماجرى على أهل بغداد من التتار ، حتى لقد يحكى أنهم كانوا يحمّلون أهل صنعاء دنان الخمر من السائلة إلى القصر .

وعلى الجملة ، فإن شرح الحال يطول ، ويذهل العقول ، من وصف ماجرى من هذه الفرقة الغورية ، والعصابة المصرية ، التى ساقها الله إلى هذه الديار اليمنية ، لاستئصال شأفة سلطان الفئة الجبرية والطائفة القدرية . فأما ماذكره القوم فى تواريخهم من الثناء عليه ونسبة كل فضيلة إليه ، فإنما ذلك للموافقة في المذهب ، أو للجرى فى مدح الملوك على الأغلب . ومن عجائب الإتفاق وكرامات الأئمة المهلكة لأهل الشقاق ، أن قصة عامر معهم كقصة الإمام السراجي عليه السلام معه فى ذلك المكان ، ومثل ذلك اليوم ومثل تلك الساعة ، فسبحان من لايزول سلطانه ، ولا ينجو من أحاط به بأسه وخذلانه.

تمت من السلوك الذهبية خلاصة السيرة اليحيوية ، للسيد العلامة عز الدين بن محمد بن ابراهيم بن مفضل بن ابراهيم بن على بن أمير المؤمنين شرف الدين عليه السلام .

قال الشيخ قطب الدين المكى الحنفى في تاريخه المسمى بالبرق اليمانى فى الفتح العثمانى[1] ، ما لفظه : قال الفقيه الأجل المحدث الحافظ المؤرخ وجيه الدين عبد الرحمن ابن على الديبع الزبيدى ، رحمه الله تعالى ، فى تاريخه المسمى « الفصل المزيد فى تاريخ أهل زبيد » ، ما لفظه أو معناه ، كان السلطان الملك الظافر — يعنى به عامر بن عبد الوهاب — على جانب عظيم من الدين والتقوى ، نشأ فى طاعة الله تعالى ، لم يُعلم

---

(١) كتاب « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى » تأليف قطب الدين محمد بن احمد المكى ، المتوفى سنة ٩٨٨ . تناول فيه تاريخ الفتح العثمانى لليمن . وقد ترجم هذا الكتاب الى التركية ، توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(كشف الظنون ، ج ١ ص ١٥١)

له صبوة[1] . وكان ملازماً للتلاوة والأذكار ، كثير الصدقات ، له مآثر عظيمة ، من مساجد ومدارس وخيرات وميزات ، وله مشاهد من الحروب معدودة محمودة . ولم يكن فيه خصلة يُذم منها سوى تعرضه للأوقاف فى معارضة الفقهاء ، وأظن ذلك هو الذى كان سبباً لزوال دولته وذهاب مافى يده . وأنا ناصح لك والنصيحة هى الدين ، ولكل من ولى أمراً من أمور المسلمين ، من الملوك والسلاطين ، وسائر المتصرفين ، أن لا يتعرض للوقف وأهله ، فما سمعت بأحد اشتغل به وبأهله ، وتعرض من أولى الأمر للكلام فيه ، إلا تغيرت أحواله ، وبعثرت أذياله ، وتشتت باله ، وعظم وباله ، وانعكست آماله . فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وأنشد لنفسه فى المعنى قوله :

يا صاحبى لاتتكلم فى الوقف أولى وأصلح ... فإننا ما رأينا شخصاً تولاه أفلح

وله ، يرثى السلطان عامر بن عبد الوهاب وأخاه عبد الملك :

أخلاى ضاع الدين من بعد عامر ... وبعد أخيه أعدل الناس بالناس
فمذ فُقدا والله إننا ... عن الأمن والسلوان فى غاية الياس

وله أيضاً :

تحطم من ركن الصلاح مشيده ... وقوض من بنيانه كل عامر
فما من صلاح فيه بعد صلاحه ... ولا عامر والله من بعد عامر

رجعنا إلى ما كنا بصدده . ولما استقر الجراكسة بصنعاء ، وأساءوا فيها صنعا ، تحرك الإمام شرف الدين بن شمس الدين ، لنصرة الدين ومنابذة الظالمين . فنهض من ظَفِير حَجَّة إلى ثلا ، فى شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فاستدعى العامل فى ثلا

---

(١) صبا فلان صبوا وصبوة : مال الى اللهو . (المعجم الوسيط) .

من جهة السلطان عامر بن عبد الوهاب — وهو الليث الدودجي — فعظم وصوله إلى ثلا عَلَى الجراكسة الذين فى صنعاء ، فخرجوا لمحاربته ، حتى حطوا أثقالهم فى أسفل عقبة ثلا ، مما يلى خَوْشَان . ثم أرسلوا رسولا إلى الإمام ، ودار السفير بينهم وبينه على أنهم يتركونه فى ثلا وهو يتركهم فى صنعاء . وطلبوا من الإمام الاتفاق لتمام الأمر ، وليس لهم قصد إلاّ الغدر . وكان الإمام يميل إلى ظاهر كلامهم ويسعدهم إلى مرامهم . ونهض إلى باب ثلا وقد اجتمع لرؤيته الملأ ، فدنا منه الليث الدودجى ، إذ قد صار من أعيان أنصاره وأهل مشورته وأسراره ، فقال له ما معناه ، كيف الثقة بهذه الفرقة الفاسقة ، التى ما برحت تنقض العهود وتخالف رضاء الملك المعبود ، فالحزم فى ترك العزم . فمال الإمام إلى هذا الخطاب ، وعلم أنه عين الصواب . فقال الليث « أيها الناس إن مولانا الإمام قد ثنى عزمه عن الخروج إلى هؤلاء القوم ، فمن أحب الجهاد معه فعل ، ومن أراد الانفصال يفصل » .

فعلم الجراكسة أن سهم مكرهم قد أخطأ ، وأن الإقبال قد طامَن غاربه[1] للإمام وأوطأ ، فارتفعوا إلى التعبرة ، وفتحوا الحرب على الامام وأصحابه ، فدافعوهم أشد المدافعة ، وكانت قوة الله المانعة . ثم إن الجراكسة قد طلبوا من أميرهم الإسكندر ابن محمد المادة بالرجال والمال ، فأمدهم بعسكر عظيم ، قائدهم رجل يسمى عبد الملك بن محرم العَنْسى ، كان من جملَة المناصرين للجراكسة ، طامعاً فى الاستيلاء على ما كان لبنى طاهر من البلاد ، والطارف والتلاد . ولم يبرح الحصار على ثلا ليلا ونهاراً ، وعشية وأبكاراً ، حتى منّ الله — وله الحمد — بغارة سريعة ربانيّة ، وألطاف خفية رحمانية ، وهى وصول رسول من الديار المصرية إلى الجراكسة الذين فى اليمن بخبر لهم أن سلطانهم

(١) طأمن الرجل ظهره أو غاربه ، حناه وخفضه ، ويجوز تسهيل الهمزة فيقال طامن الرجل غاربه (المصباح المنير)

الأشرف قانصوه الغورى قتل فى الحرب الحاصل بينه وبين السلطان سليم[1] خان بن بايزيد صاحب الروم والشام ، فى مرج دابق من ناحية حلب ، فى عدة من جنده ، وانهزم بقيتهم إلى مصر ، فأقاموا لهم مشيراً ، يعرف بالدويدار طومان باى . وسار السلطان سليم فى أثرهم حتى دخل مصر ، فضرب خيامه فى الجزيرة الخضراء على ساحل النيل ، فانهزم عنه الدويدار طومان ، وتفرق أصحابه ، فأمسكه رجل وجاء به إلى محطة السلطان ، فأمر بصلبه على باب زويلة ، ليراه الناس ، كونهم ظنوا أنه ذهب ، وأن السلطان لم يظفر به .

ولما فتح سلطان الروم مصر أرسل إليه الشريف محمد بن أبى نمى — صاحب مكة — ولده للتهنئة ، بما من الله به عليه من فتح الديار المصرية ، فقابله السلطان بالإكرام ، وجعله فى أرفع مقام ، وأرجعه إلى أبيه قرير العين مسرور القلب . وأسعد الشريف محمد [ابن أبى نمى] إلى ما طلب ؛ من ذلك قتل الأمير حسين [الكردى] قائد الجراكسة ، لما سبق بينه وبين الشريف من العداوة والمنافسة .

وكان قتله فى اليوم الحادى عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، وزالت دولة الغورية من الديار المصرية بالكلية ، فسبحان الملك الذى لا يزول سلطانه .

قلت يالها من عبرة لذوى الأبصار ، وموعظة حسنة لمن عرف هذه الأخبار ، هذا سلطان مصر الغورى هلك فى هذا الشهر ، وذهب ملكه فيه ، وقومه فى اليمن ، كان على أيديهم هلاك سلطان اليمن عامر بن عبد الوهاب ، وذهاب ملكه كذلك فى هذا الشهر ، إذ لم يكن بين قتل الدويدار طومان باى المقدم ذكره وبين عامر إلا اثنا عشر يوماً ، كما ذكر ، فسبحان المتصرف بأمور العباد .

ولما تحقق المصريون المحاصرون للإمام شرف الدين قتل سلطانهم على الصفة

(١) فى المتن « سليمان » .

المذكورة ، خفقت قلوبهم ، وثارت كروبهم ، وظهر فشلهم ، وخاب أملهم ، وأرسلوا إلى الإمام رسولا يطلبون منه مواجهة رجلين ممن عنده ، وهما السيد عبد الله وهاس الحمزى وحسن بن عبد الله بن إسماعيل ، للخوض فى أمر الصلح . فأجابهم الإمام إلى الاتفاق ، ودار الكلام على ترك النزاع والشقاق . وكان الفضل لله الواحد الخلاق . ثم إن الجراكسة ارتفعوا عن ثلا صاغرين ، وولوا عنه مدبرين ، والحمد لله رب العالمين .

ولما خشى الأمير الاسكندر بن محمد أن يظهر لأهل صنعاء ما جرى على مَلِكه صاحب مصر ، فيثوروا عليه ، تظاهر بالاعتزال إلى سلطان الروم ، والموالاة له ، وخطب باسمه على منبر صنعاء ، ثم أخذ فى التأهب للسير إلى زبيد . وكان خروجه من صنعاء في الثالث عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بأكثر الجراكسة ، واستخلف على صنعاء رجلا من أصحابه يسمى حمزة بالى فى ثلثمائة من الجراكسة ، وأمر بقتل الأمير على بن محمد البَعدَانى قبل انفصاله عن صنعاء . ولما توسط فى طريق اليمن الأسفل ، اجتمع عليه أهل حبيش والشوافى وغيرهم ، فقتلوا أكثر أصحابه ، وغنموا ما معهم من الأموال الواسعة ، مما أخذوه من خزانة بنى طاهر وغيرها ، واستنقذوا من أيديهم عامر بن عبد الوهاب . ولم يخلص الإسكندر بن محمد ببقية أصحابه إلى زبيد ، إلاَّ بعد جهد جهيد ، وهول شديد . وأما بقية الجراكسة الذين فى صنعاء ، فإنهم شرعوا فى الغزو إلى مخاليف صنعاء المتاخمة لها ، وما زالوا كذلك إلى أن قصدوا فى بعض الأيام إلى بنى بهلول[1] ، فاجتمعت عليهم القبائل ، ووقع بينهم الحرب الهائل ، فانهزم الجراكسة هزيمة فاضحة ، وقتل ممن معهم الشريف أحمد بن حمزة وابن عمه محمد . وعادوا إلى صنعاء مقهورين مخذولين ، فمال عليهم أهل صنعاء ميلة رجل واحد ، وفاجئوهم فى المراقد ،

---

(١) بنو بهلول : قبيلة من قبائل اليمن
(أحمد فخرى : اليمن ماضيها وحاضرها ، ص ٣٢)

وأتاهم بأس الله وهم نائمون ،ودارت عليهم رحى المنون ، ولم يبق منهم غير فرقة يسيرة ، وعصابة حقيرة ، التجأت إلى القصد وفزعت إلى الحصْر . وكان الإيقاع بهم ليلة الأربعاء الخامس من شوال من هذه السنة .

ثم فزع أهل صنعاء إلى الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين عليه السلام ، يستنهضونه للدخول إلى صنعاء ، فتوجه إليها على كاهل السلامة وجناح النصر والكرامة ، حتى حط فى عصر . وخرج إليه أهل صنعاء ، قضهم بقضيضهم ، فبايعوه فى يوم السبت ثامن شوال من هذه السنة . ثم دخل إلى جامع صنعاء الكبير ، فصلى فيه المغرب والعشاء ، وارتفع إلى دار الشريفة فاطمة بنت الحسن ، وقد منحه الله بالمنن ، وأمر بتشديد المحاصرة لبقية الجراكسة الذين فى القصر ، فاستغاثوا بالأشراف آل حمزة ، فوصل الأمير محمد بن عبد الله الشويع فى ثمانين فارساً ، وأراد أن يمدهم بالطعام ، فلم يبلغ ذلك المرام . وحين أعيته الحيل ، وخاب الأمل ، طلب من الإمام الاجتماع ، فأجابه الإمام إلى ذلك . وكان من كلامه ، أن بأيدينا مراسيم منك بنصف البلاد ، فقال الأمر مشروط باجتماعنا على حرب الجراكسة ، وأما الآن ، فقد أمكن الله منهم من غير حضوركم . هذا معنى جواب الإمام عليه السلام . فرجع الشويع إلى بلاد همدان ، وأقبل إليه الأمير حميضة بن الحسن ، وهو أحد أقاربه ، وكان فارساً شجاعاً ، فتقدما جميعاً فى مائتين وثلاثين فارساً لمحاربة صنعاء ، وتخليص المحصورين من الجراكسة فلم يتم لهما أمر . وما برحا يترددان ويتوصلان إلى إخراج المحصورين بكل ممكن ، فلما لم يقدرا عليه ، عادوا إلى استعطاف الإمام ، وتحكيمه فى أمر تلك الشرذمة الجديرة بالانتقام ، فترجح للإمام الإغضاء عنهم ، وإطلاقهم إلى الشويع ، فطلبوا من الإمام الرفاقة من أهل صنعاء ، فبعث معهم ولده المطهر إلى مسجد فروة بن مسيك ، رضى الله عنه . وكان خروجهم من القصر يوم عيد النحر . وأراد جماعة من صنعاء الوثوب عليهم ، فمنعهم الإمام. ولما وصلوا طريق بلاد همدان، طلبوا من الداعى ابن الأنف الإذن لهم فى سلوك

بلاده ، فأجاب أنه لا يأذن لهم إلاَّ برأى من الامام ، ثم انصرفوا إلى عمران ، وكانت فى حوزة الشويع تلك الأيام .

وفى هذه السنة جهز سلطان الروم الباشا سليمان إلى بندر جُدّه بأكمل أهبة وأوفر عدة ، وسيأتى تمـام خبره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وفى خلال ذلك وصلت طائفة الإفرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ إلى ساحل عدن فى ثلاثين خشبة[1] ما بين برشة وغراب ، وأظهروا لمرجان الظافرى عامل عدن المعاونة له على المصريين ونحوهم ، فاجتمع بهم مرجان فى الساحل ، وحباهم بالضيافات إلى مراكبهم ، ثم توجهوا إلى جُدّه ، فاستعد لحربهم الباشا سليمان ، وقصدهم إلى البحر فى غرابين مشحونين بالمدافع والآلات والخزانة ، ورماهم فأتلف مركبين من مراكبهم . ثم خان المدافعي وغش البارود ، فأحرق جانب الغراب الذى فيه الباشا سليمان . ويقال إن هذا المدافعي وكان نصرانيا لخدع المسلمين حمية منه على أهل دينه الـكافرين ، فقتله سليمان على الفور ، ورجع إلى جُدّه . ثم عطف على الإفرنج فهزمهم إلى قريب اللحية[2] ، وظفر بغراب من أغربتهم فيه جماعة منهم ، فتوجه بهم إلى السلطان . ورجع بقية الافرنج إلى عدن ، فأقاموا أياما ، وأعطاهم مرجان الظافرى ماشحنوا به مراكبهم ، وساروا إلى الهند مخذولين .

ودخلت سنة — ٩٢٤ —

فيها اجتمع السيد عز الدين بن الحسن بن الإمام عزالدين بن الحسن المؤيدى صاحب حصن مُدع وكَحلان وما إليهما ، والأمير محمد بن عبد الله الشويع ، وبقيه الجراكسة

---

(١) أى ثلاثين سفينة .

(٢) اللحية : تقع شمال اليمن على الساحل قرب جدة
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٢٠٨)

الذين كانوا محصورين فى القصر ، وعقدوا الرأى على حرب إمام العصر . فقصدوا ثلا ، وفيه السيد عبدالله بن يحيي بن صلاح عاملا للإمام ، فأرسل إليه الامام طائفة من الجند ، فانتقض الأمر على القاصدين ، ورجع كل منهم إلى موضعه . ثم توجه السيد عبد الله ابن يحيي إلى حضرة الإمام ومرّ على جهة حَضُور ، فخاطبهم بمـالٍ للجند ، وتقدم إلى صنعاء ، فدخلها بجيش عظيم . وخرج الإمام عند وصوله إلى ميدان صنعاء للسلام ، فاتفق من بعض أصحاب السيد المذكور إلى بعض أصحاب الإمام بعض أقدام أوجب القبض عليه ، وتثقيله بالحديد ، مع ما قد كان يبلغ الإمام عن السيد عبد الله من السكوت عن نهى جماعة من المتعلقين به ، صدرت منهم أمور يجب نهيها ، فلم يفعل . ثم إن الإمام أمر بفك القيد عن السيد المذكور وجعل عليه رسمياً ، وهو النقيب ذيبان ، أحد أعوان الإمام ، فوصل أخوه السيد أحمد بن يحيي متشفعا له ، فأودعه الإمام مع أخيه وأولاده منزلا من منازل قصر غُمدان، يعرف بالسلوان ، وأجرى عليهم الـكفاية الفاضلة . ثم تشفع جماعة من الأعيان إلى الإمام فى إطلاقهم ، فأطلق السيد أحمد بن يحيي فقط ، ولم يبرح السيد عبد الله وأولاده فى القصر حتى اجتمع إليه نفر من أصحابه . ثم ثاروا على الرسمى المذكور ، فانهزم عنهم إلى بعض الدور ، وخرج السيد عبد الله وأولاده وأصحابه إلى ذى مَرْمر ، وفيه بقية من أصحاب عامر بن عبد الوهاب ، فأكرموه غاية الإكرام .

وعرض للإمام مرض فى تلك الأيام ، فطمع السيد عبد الله فى أخذ صنعاء ، واجتمع معه قدر ثمانين رجلا ، فقصد بهم إلى مسجد القبة ، ثم تقدم إلى باب القصر ، فخرج عليه السيد المطهر بن عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، بجند ورجل من القصر ، وجمع عليه السيد محمد بن عبد الله الُحوثى أهل صنعاء ، فأراد السيد عبد الله الخروج بأصحابه من باب شعوب فوجدوه قد أغلق ، فرجعوا إلى دار السيد المذكور فى صنعاء . وأحاط بهم عسكر الامام وأهل صنعاء ، ودخلوا إلى دار من دور جيرانه ، ووقع قتال شديد ، ذهب فيه من عسكر الإمام وأهل صنعاء أربعة وعشرون ، ومن أصحاب السيد

المذكور ثمانية وأربعون رجلا . ثم أسر السيد عبد الله وولده ، وأودعا الدار الحمراء . وشفى الإمام من ألمه بفضل الله وكرمه .

وأما السيد عز الدين وابن الشويع ومن عندهم من الجراكسة ، فإنهم عادوا إلى محاربة ثلاّ ، وفيها عدة من الأجناد الإمامية ، فقاتلوهم ، وقتلوا منهم قدر خمسة وعشرين نفراً ، واجتزوا رءوسهم ، وأرسلوا بالرءوس إلى الإمام . وما زال الشويع والمؤيدى يغيرون على أطراف بلاد الإمام ، ثم اضمحل أمرهم ، وضعفت شوكتهم ، ولحق بعض الجراكسة بتهامة .

وفى هذه السنة تحرك عامر بن عبد الملك بن عبد الوهاب الطاهرى على ذِمَار ، فدخلها ، وعين على أهلها مبلغا من المال ، ثم أمر رجلا من أصحابه بقبض ما رسمه عليهم وسار إلى رُداع ، وفيه ابن عمه محمد بن أحمد بن عامر بن عبد الوهاب ، فحاصره فى حصن رُداع . ولما بلغ الإمام الخبر ، جهز ولده المطهر وهو فى ست عشرة سنة ، وكانت هذه أول غزوة غزاها ، فدخل ذمار بعسكر جرار ، ثم توجه إلى رُداع لتخليص محمد بن أحمد الطاهرى ، فصالحه عامر بن عبد الملك على يدى ابن النطارى ، وفارق رُداع قبل وصول المطهر إليها . ولما دخلها المطهر قرر أمورها ، وتركها بيد محمد بن أحمد الطاهرى ، بعد أن أخذ عليه العهد ، وانقلب راجعا إلى صنعاءظافرا منصورا .

وفيها تسلم الإمام حصن الفَصّ الصغير وحصن جليل[1] ، وتوجه لحصر كوكبان ، فسلمه عبد اللطيف بن الظافر بن المهد الحجاجى ، وكان فيه من أيام عامر ابن عبد الوهاب . ودخله الامام من غير قتال فى يوم الاثنين لعشر بقين من شوال من هذه

---

(١) جليل : موضع على محجة نجد
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٩)

السنة . وخرج إلى بيت عز فأخربه . ورجع إلى كوكبان ، ثم توجه إلى بلاد حَضُور ، فاستفتح بيْت رَدْم وكان للسلاطين السلميين[1] ، وعاد إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٩٢٥ —

فيها توجه الإمام شرف الدين لقبض بلاد ابن المؤيد ، فاستولى على قارن[2] وبلاد الطرف وكَحْلا ن تاج الدين . وأقام الحصار على مَدع من جميع جوانبه ، وسيأتى خبر استفتاحه فى تاريخه ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه الأيام تحرك محمد بن أحمد بن عامر الطاهرى للخلاف على الإمام ، ونقض العهد ، وقصد ذِمار ، ظناً منه أن الإمام قد شغل عنه بمحاربة أهل الجهة القبلية . فلما رجع الإمام إلى صنعاء ، وجه إليه الأجناد ، فالتجأ المذكور إلى شيخ بنى مسلم ، وهو من الموالين للإمام ، فأخذ له أمانا .

وفيها قدم أشراف الجوف إلى همدان لمحاربة الامام ، فلم يتم لهم المرام ، فمالوا إلى المسالمة ، وعقد بينهم وبين الامام صلح مدة معلومة .

وفى هذه المدة خرج السيد أحمد بن محمد الهادى من صنعاء إلى بلاد الخيمة ، ودعا إلى الإمامة فأجابه ألفاف من العامة ، وكان مقيما فى مسجد القليجى . وفى خلال دعوته لخص كتاب الكشّاف[3] تلخيصا ضعيفا وأظهر مذهبا سخيفا ، أجاز فيه نكاح ما زاد

---

(١) ربما كان المقصود النسبة الى بنى سلمة .

(٢) قارن : موضع فى سراة المصانع بجبل السراه باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)

(٣) يقصد كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل ، للعلامة أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ، المتوفى سنة ٥٢٨ هـ . وهو فى علم التفسير .
(كشف الظنون ، ج ٢ ص ١٧٢)

على الأربعة. ثم انتقل إلى جبل اللوز من بلاد خَوْلان ، فأسره عامل الإمام فى محل يعرف بمحالين[١] ، وأرسل به إلى الإمام ، فأُدخل إلى صنعاء على ظهر جمل ، وطيف به فى الأسواق ، ثم سجنه الإمام فى مسجد القصر . وبعد أيام أطلقه وأحسن إليه ، فأظهر التوبة والندم ، وعرف قدر زلة القدم .

ودخلت سنة — ٩٢٦ —

فى المحرم منها مات السلطان المجاهد سليم خان بن بايزيد صاحب الروم ، وقام بعده السلطان سليمان بن سليم خان[٢] .

وفى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور توجه المطهر بن الإمام إلى جبل تيْس فاستولى عليه ، وأخذ حصونه كالأحجل وغيره ، وقبض الحقوق الواجبة ، وعاد إلى صنعاء فى ربيع الأول من هذه السنة .

وفى هذه السنة أمر الامام شرف الدين عليه السلام بعمارة مسجد الأزهر فى صنعاء ، وهو المعروف الآن بالمدرسة ، وكان فى موضعه مسجد صغير يقال إنه من مبانى سعد ابن أبى وقاص الصحابى رضى الله عنه ، فأمر الامام بنقضه وتوسيعه ، ثم عمر المشهد القريب منه ، وسبّله للقبور ، وقبر فيه عدة من الفضلاء ، منهم السيد محمد بن عبد الله الُحوْثى ، والسيد على بن عبد الله بن الامام المطهر بن محمد بن سليمان ، وإبراهيم ابن الامام شرف الدين .

وفى شهر جمادى من السنة المذكورة أمر الامام بعمارة قصر ذِمَار .

---

(١) محالين : موضع قرب صنعاء
(عيسى بن لطف الله ، روح الروح ص ٦٥)
(٢) السلطان سليمان الأول القانونى بن سليم (٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ)

وفيها تسلم الإمام ذى مَرْمر من عامل بنى طاهر ، وكان فتحه من أعظم الفتوحات ، وأكمل الكرامات .

وفى هذه السنه وصل الأمير حسين بيك إلى ساحل بندر البقعة فى ستة أغربه ، وتقدم إلى زبيد ، فبلغه وصول الافرنج إلى جزيرة دَهْلك فى نيف وعشرين خشبة ، منها برشة كبيرة ، فيها غالب أموالهم ومدافعهم ، فرجع إلى جُده . وكان قصد الإفرنج إلى عدن ، فغلط معلمهم ولم يتم لهم العود إلى عدن ، لتغير الريح ، وغرقت عليهم البرشة الكبيرة بعد أن نقلوا ما خف منها إلى بقية الخشب . وتوجهوا إلى جُده ، فبلغهم أن فيها من أصحاب السلطان عصابة وافرة ، فرجعوا إلى جزيرة دهلك ، ثم ساروا إلى عدن ، فأمدهم مرجان الظافرى بما أمكن ، ورجعوا إلى الهند .

ودخلت سنة — ٩٢٧ —

فيها انقضت أيام الهدنه فيما بين الامام شرف الدين وأشراف الجوف الحزيين ، وهم آل غرّاء كالشويع ، وحميضه ، وفارع ، وبلادهم التى كانت تحت أيديهم عمران والبوْن وما إليه . وأما آل جوده كالأمير ناصر بن أحمد بن محمد بن حسين ، والأمير بنيان بن صالح وغيرهما ، فكانوا من حزب الإمام عليه السلام . فخرج الإمام وولده الأسد الضرغام المطهر ابن أمير المؤمنين لحربهم إلى البوْن ، فلما التقى الجمعان وتقابل الفريقان ، حمل الأمير حميضه على بنيان بن صالح فطعنه طعنه أبطل بها يده . ثم حمل الإمام بأصحابه ، فانهزم الاشراف آل غرّاد إلى عمران ، فحاصرهم الامام وولده الهمام ، حتى خرج حميضه وفارع ومن عندهم من بقية الجراكسه إلى يد الامام ، فتسلم الإمام دروعهم وخيولهم وجميع أسلحتهم ، وأمر بفارع وإخوته إلى سجن ثلا . وأما الشويع فكانت له فرس من جياد الخيل تسمى الخطلاء ، فدنا بها من دائر عمران ، وزجرها فوثبت إلى خارج الدائر ، فنجا على ظهرها . ثم رجع بعد أيام ببقية أعيان إخوته ووجوه

أسرته ، وطلبوا من الإمام هدنه أخرى ، فجعل لهم هدنة مدة ستة أشهر ، ورجع الامام إلى صنعاء .

ودخلت سنة — ٩٢٨ —

فيها خرج المطهر بن الإمام إلى عمران فأخذها عنوة ، وقتل جماعة ممن أحربه فيها ، وأسر آخرين ، وغنم ما فى أيديهم ، ورجع ظافرا .

ودخلت سنة — ٩٢٩ —

فيها توجه المطهر بن الامام إلى ذِمار ، ودخل شعب المضافرة قهرا بالسيف ، فقتل من أهله عدة وطلب بقيتهم الأمان ، فأمنهم وجعل عليهم مالاً ، ثم سار إلى قاهرة عاثين[١] ، وكانت بأيدى جماعة من الأشراف آل المهدى ، فأخذها ، ورجع إلى صنعاء وتوجه والده الإمام عليه السلام إلى البوْن ، لعقد الصلح فيما بينه وبين الأشراف آل غرّاد ، وجعلت مدة الصلح عشر سنين ، وكتب فيها سجلا حضره الاعيان . وترك لهم الامام البوْن وجبل عيال بزيد ، وأطلق فارع وحميضة من السجن ، ورجع إلى صنعاء . وكذلك وقع الصلح فى هذه المدة بين الامام وبين الداعى حسين بن إدريس ابن عبد الله بن على بن محمد بن حاتم مدة عشر سنين ، على أن للإمام من بلاد الداعى حصنْ حجال فى وادى ظهر ونصف العبل[٢] من بلاد همدان جميعها . وجعل الداعى حصن فِده رهنا فى يد الامام ، وترك له الامام زكاة همدان والفطرة[٣] والعدّة .

---

(١) عاثين : حصن باليمن
(ياقوت : معجم البلدان)
(٢) عبل : واد فى أرض السراة فى تهامة اليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢١)
(٣) الفطرة : صدقة الفطر

وفى هذه السنة خرج النقيب ذبيان ، أحد الفرسان الشجعان من أصحاب الامام ، إلى الجوف مخالفا على الامام محمد أشراف الجوف على محاربة الإمام ، فلم يسعدوه ، وأنما جعلوا له كتابا إلى عبد الملك بن محمد الطاهرى . فلما وصل إليه أغراه بالفساد ، وسلك به الطريق المائلة عن الرشاد ، فحشد عبد الملك الطاهرى جموعه ، وتوجه قاصداً لبلاد الامام ، فاعترضه صاحب جبل حَبّ[1] ، وكان من المائلين إلى جانب الامام ، فحاربه ، وقتل ذبيان الفائز بالخسران . وتوجه عبد الملك إلى الحقْل ، فخرج المطهر ابن الامام لمحاربته ، ولما وصل ذِمَار ولّى عبد الملك مدبرا ولم يعقب . وأما ابن عمه محمد بن أحمد بن عامر فوصل من رُداع إلى مقام المطهر ، فأكرمه وأعطاه فرسا جوادا ، وأرجعه إلى محله .

وفى يوم الاثنين ثامن شهر شعبان من هذه السنة مات الامام الحسن بن عز الدين ابن الحسن بن المؤيد رحمه الله تعالى ، فى هجرة فلَلَه بالطاعون . وقام بعده فى تلك الجهة ولده مجد الدين بن الحسن .

ودخلت سنة — ٩٣٠ —

فيها وصل الامام مجد الدين بن الحسن المؤيدى إلى كحلان تاج الدين ، واجتمع فيه بأخيه عز الدين بن الحسن بن عز الدين ، وأمر بعمارة السبطوف[2] من بلاد الأشمورْ . ورام التنفيس على المحصورين فى مُدع فلم يتم ذلك ، بل استمر الحصار إلى أن استفتحه الأمام شرف الدين فى التاريخ الآتى ذكره ، إن شاء الله تعالى

وفى هذه السنة استولى الأمام شرف الدين وولده المطهر على حصن المنقب ، وبيت غُفْر ، وتسلم حصن فِده من الدُّعاه .

(١) حب ، بالفتح ، جبل فى اليمن من جهة حضرموت ، به قلعة مشهورة .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٢) السبطوف : موضع يقع بين كحلان والأشمور
(انباء الزمن ، ورقة ١١٩)

فيها تسلم الإمام شرف الدين مُنيف وقيظان ، من الدعاة .

وفيها خرج الإمام وولده المطهر لحصار القلعة المعروفة الآن بطيبة ، فاستوليا على القلعة الخارجه ، وأقاما الحصار على الداخلة ، التى كان اسمها السكمّة ، ونصبا عليها المنجنيقات . فكان من أسباب فتحها أن صاحب الزحافة دنا من القطع الذى بينها وبين القلعة الخارجة فنظر إلى دبب فيه قد انْسَدَّ ، وأغفلته الدهور ، فأخبر المطهر فأمر بفتحه ، وأن تحمل الأخشاب والأحجار إلى القطع ، وتوصل قنطرة يجوز عليها المحاربون إلى ذلك الدبب ، ففعل ذلك ولم يصب من العمارين إلا نفر واحد من آل مومل . ولما علم أهل القلعة بفتح تلك الغورة أشفقوا منها وداخلهم الفزع والحزن ، فطلبوا الأمان من الإمام فأمنهم ، وخرجوا من القلعة إلى مقام الإمام وهو فى حصن فِده ، فزجرهم على نكث العهد ونقض الصلح الموضوع بينهم وبينه ، فقال له رئيسهم على بن جعفر « ما نحن بأول من عصى ، ولا أمير المؤمنين بأول من عفا » ، ثم أذن لهم باخراج ما فى القلعة ، ما عدا السلاح والشحنة . ودخل الإمام إلى تلك القلعة يوم السبت الثانى عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، وأمر بأن تسمى طيبة ، ثم عمرها المطهر أبلغ عمارة ، حتى صارت نزهة للنظّاره . وبعد أيام ندم على عمارتها ، وكان يعدها هفوة من هفواته الثلاث .

وفى اليوم الثالث من شهر رجب من هذه السنة ، مات القاضى العلامة محمد بن أحمد ابن محمد مرغم ، رحمه الله تعالى .

وفيها توجه المطهر بن الامام لأخذ حَضُور المصانع ، فاستولى عليه بعد حصار شديد ، وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر :

قل للخليفة من محب وامق هنيت يا أزكى البرية عنصرا
فتح الذى حُلل الغمام غدَت له تاجا وثوبا يرتديه ومئزرا

أعنى حضورا فهو أرفع شامخ يدنو له من عِزِّه شُم الذرا

ودخلت سنة — ٩٣٢ —

فيها تسلم الإمام شرف الدين عدة حصون ، منها حصن سارع[(١)] وعوان [(٢)] وبيت أنعم وجُربان [(٣)] وكِنَن ، والكميم .

وفى هذه السنة وقع الوباء فى صنعاء ومخاليفها ، ومات منه خلق كثير من العلماء والأعيان ، منهم حاكم الإمام شرف الدين ، وهو القاضى العلامة محمد بن الحسن النحوى ، رحمه الله تعالى .

وخرج فى هذه السنة دود صغار ، خضر وسود ، أكلت الزرع والخضروات .

وفيها قدم الباشا سليمان فى أربعة آلاف نفر بولاية من السلطان سليمان بن سليم خان على جُدة واليمن ، وأمر بمحاربة الإفرنج فى البحر والسواحل الهندية . ولما وصل جُدة عاث الجند فيها ونهبوا أسواقها ، فانقطعت الميرة عن جدة ومكة ، ووقع القحط الشديد حتى صار الناس يضربون المثل بقحط سليمان . وكان خراج مكة ينقسم بين السلطان والأشراف نصفين ، فاستوعب سليمان الجميع ، وكان مبلغه فى هذا العام تسعين ألف دينار . ووقعت منافسة بين الأشراف على إمارة مكة ، فطلب الشريف رمَيثة

---

(١) حصن سارع ، فى بلاد سارع بالقرب من حراز تبع وادى سردد من منطقة صنعاء

(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٢٠)

وذكر الهمدانى أن سارع موضع فى سراة المصانع باليمن

(صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)

(٢) عوان : حصن قريب من البحر ، أو هو فى جزيرة قريبة فى البحر ، اذ يقول الخزرجى « وكان يحكم على من وراء البحر من أهل عوان وزيلع وغيرها »

(العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٤٩)

(٣) جربان ، بضم أوله ، حصن قربِ وادى الجنات

(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٧)

[والشريف] أبو الغيث نيابة من سليمان على مكة ، فلم يسعدهما ، وكانت بيد الشريف بركات [1] .

ولما انقضت أيام الحج توجه سليمان إلى اليمن ، فدخل زبيد ، وفيها من قبل السلطان الباشا مصطفى ، فحصل بينه وبين سليمان حرب واختلاف كبير . ثم خرج مصطفى إلى عدن . واستولى سليمان على زبيد ، فاستباحها . ولم يزل يتابع مصطفى حتى ظفر به ، ثم قتله واستقل بالأمر ، فقام بثأر مصطفى أحد أقاربه ، فقتل سليمان وجماعة من أمرائه . وتقدم إلى الهند فاستفتح بندر الديو وبندر هورة ، وعظم شأنه فى تلك الجهات ، فحسده بعض الأمراء ، فسقاه السم . وأما زبيد فقام بالأمر فيه الأمير الأسكندر من غير تولية ، فلم يزل على ذلك حتى مات .

ودخلت سنة — ٩٣٣ —

فيها تسلم الإمام شرف الدين عِران بنى عَشَب على يدى نائبه على العسكر المحاصرين لذلك المحل ، وهو السيد محمد بن عبد الله الرّيانى ، ثم تسلم الإمام حميمة [2] بنى الذواد ، وفتحت عقيب ذلك بلاد لاعة .

وفى هذه السنة خرجت طائفة من العسكر الأروام والجراكسة الذين فى زبيد إلى مَوْزَع ، وهو يومئذ فى حوزة عبد الملك بن محمد الطاهرى صاحب تعز ، فقصدهم إلى مَوْزَع ، وقتل منهم جماعة ، وانهزم بقيتهم إلى زبيد . فغضب أميرهم ، وثارت حفيظته ، فجمعهم وتوجه بهم إلى تعز ، وخرج عبد الملك لقتالهم ، فلم يلبث أن انهزم إلى حصن

---

(١) انظر زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ص ٣٢ — ٣٣ .

(٢) الحميمة : تصغير الحمة ، وقد ورد اكثر من موضع بهذا الاسم فى بلاد العرب . ومن الواضح أن الحميمة المقصودة فى المتن تقع فى بلاد لاعة باليمن . وربما كان اللفظ جميمة — بالجيم — كما شرحناه فى حوادث سنة ٩٨٨ هـ

مصْرَح[١] ، وهو من أمنع المعاقل ، وقد كان قد جمع فيه أهله وأمواله . ودخل الأروام والجراكسة تعز فملكوه ، ثم خرجوا لمحاربة عبد الملك فى مَصْرح ، وأعانهم على حربه رجل من أقاربه يسمى طاهر بن عمر ، وثبت الحصار على عبد الملك . وكانت القبائل قد تعاقدوا على مباينة الأروام والجراكسة ومحاربتهم ، ومنع المادة لهم . وأما محمد بن أحمد بن عامر وطاهر بن عمر فاتحدت كلمتهما ، وقبضا المقرانة وجُبَناً ، ودَمتاً[٢] .
ولما اشتد الحصار على عبد الملك بن محمد ونفذ ماعنده من العدة والمدد ، أخرج أهله وماخف من ذخائره من طريق فى ذلك الحصن لا يعرفها سواه ، وتوجه بما معه إلى الشيخ الغيلانى ، وكان نائباً له على بعض الحصون ، فغدر به الغيلانى المذكور ، وقبض عليه ، وأرسل إلى المحاصرين له فى مَصْرح فوصلوا إليه ، ثم أسروا عبد الملك وتوجهوا به وبأهله إلى أميرهم ، وهو فى خُبّان ، فأمر بضرب عنقه فى الحال ، وصار أولاده وحريمه فى أضيق حال ، وفيهم الحرة عائشة بنت الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر أخت السلطان عامر بن عبد الوهاب ، فحملهم الشيخ الهمام الحلى الشرعبي إلى المشايخ بنى سرحه ، فشكروا له تلك المندوحة .

ولما بلغ الخبر إلى ذِمَار وصنعاء ، بما فعلت هذه الطائفة الخارجة من زبيد من قبض عبد الملك والاستيلاء على تعز ومَصْرح وغيرهما من اليمن الأسفل ، داخلهم الرعب والفشل ، وكثرت الأراجيف ، وخرج منهم من خرج بأهله وماله إلى كثير من الجهات . وكان الامام شرف الدين وولده المطهر فى ثلا تلك الأيام ، فلما بلغهما ماوقع مع أهل صنعاء وذِمار من الخوف العظيم ، المقعد المقيم ، خرج المطهر من ثلا بخيله وجنده إلى صنعاء ، فسكّن روعة أهلها ، ولامهم على إظهار الجزع والقلق ، ومافيه من تقوية العدو الأزرق .

وفى أول شعبان من هذه السنة وقع الطاعون فى صنعاء وجهاتها ، فهلك منه خلائق

---

(١) مصرح : بفتح أوله وسكون ثانيه ، حصن باليمن الاسفل قرب تعز .
(٢) جبل دمت بفتح أوله وسكون ثانيه ، فى وادى نخلة باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٥)

لا يحصيهم العدد ولا يحيط بقدرهم إلا الواحد الأحد ، حتى لقد كان يخرج من صنعاء فى كل يوم فوق المائة ، وفى آخر يوم من رمضان سبع عشر مائة ، وفى يوم العيد مثلها ، ويوم ثانى العيد مثلها . ولم يبق فيها إلا من النزر اليسير ، وغلقت الأبواب وأعشبت الطرق ، وتركت بعض الأموات بلا دفن لعدم وجود الحفارين . وبالجملة فالخطب عظيم والحادث جسيم ، نسأل الله السلامة وحسن الخاتمة .

وفى هذه السنة تسلم المطهر بن الإمام حصن مُدَع من بنى المؤيد ، بعد طول الحصار ، وخرج الإمام لطيافته[1] ، ثم سار إلى ذى مَرْمَر .

ودخلت سنة — ٩٣٤ —

فيها رجع الإمام شرف الدين إلى صنعاء ، فدخلها يوم الخميس الرابع عشر من المحرم ، وخرج إلى مقبرة باب اليمن ، فنظر إلى أجداث[2] من قد حَلّها . وقطَن من تلك الأجسام الفانية والعظام البالية ، فلم يملك نفسه من البكا ، حتى بكى لبكائه من حضر ، ورق له من نظر . ثم استرجع واستغفر ، وحمد الله وشكر . ورجع إلى الجامع الكبير فصلى فيه ، ثم طلع القصر وهو حليف الفكرة نديم الحسرة ، على تلك الوجوه التى ثوت فى التراب ، وفارقت الأحباب ، وسكنت اللحود إلى اليوم الموعود ، شعرا :

ليس حىّ على البسيطة باق غير وجه المهيمن الخلاق

وفى هذه السنة نهض المطهر بن أمير المؤمنين من صنعاء بجيوشه الجرارة وعساكره المختارة ، فاستفتح أولا بلاد اليمانية من الجهة الخولانية ، واسترجع حصن كِنَن والكميم ، بعد أن تغلب عليها أهل تلك الجهة ، لما بعُد الإمام وولده عن الديار اليمنية ،

---

(١) طاف طيفا ، لغة فى طاف يطوف
(المعجم الوسيط)

(٢) الجدث : القبر . وفى القرآن الكريم « ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون » .
(المعجم الوسيط)

واشتغلا باستفتاح الحصون القبلية ، كمدعَ وغيره . ثم سار إلى مُعَبِّر من ناحية جهران وتسلم حصن مفنج من السيد صلاح بن يحيى بن على بن فخر الدين . وغزا بلاد هداد ، فاستولى عليها ، وأمر بنهب أغنام بدوها الأشناف وبنى ضبيان ، وكانت جملة مستكثرة . وأسر من شياطين الأشناف خمسة عشر رجلا . ولما رجع إلى محطته فى مُعَبِّر ، أمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم توجه نحو بلاد بنى طاهر ، ومر بعراس الباطنية من بلاد يريم ، فقبض على ابن جعفر الداعى الذى أخرجه من قلعة ظهر ، وبعث به إلى حضرة والده ، فأودع سجن صنعاء . ووصل إلى المطهر عامة أهل تلك البلاد ، الحاضر منهم والباد ، داخلين تحت طاعته ، ومسارعين إلى جمعته وجماعته .

ولما قرب من بلاد بنى طاهر ، كتب إليه الجراكسة الذين فى المقرانة ودَمت ، كتباً تشتمل على الموالاة وكمال الطاعة ، فأرسل إليهم الفقيه محمد جسّار والشيخ أحمد ابن هادى الموهبى ، لقبض المقرانة . فوصلا وقد أرسل بنو طاهر الذين فى رُداع رجلا يسمى عبد الغنى ، وأمروه بحفظ المقرانة ، فقبض على رسولى المطهر وسجنهما ، فاستنقذهما الجراكسة ، وقبضوا على عبد الغنى . وكتبوا إلى المطهر ، فحث السير ، وفتح ما وصل إليه من البلاد العاصية ، حتى دخل دَمت ، ففتح حصونها ، ثم تسلم المقرانة من الجراكسة الذين كانوا فيها . وكان دخول المطهر إلى المقرانة يوم الجمعة ثالث عشر شهر صفر من هذه السنة ، وصلى فى جامعها صلاة الجمعة ، وقبض ما فيها من السلاح على أنواعه ، والمدافع والآلات الرفيعة من النحاس الغسانى المرصع بالفضة ، وأنواع الصينى .

ثم خرج إلى الفارد وهو محل من أعجب بلاد بنى طاهر ، وقد أجلى عنه أهله خوفاً من الفتكات المطهرية والسطوات الحيدرية . فوجد فيه من نفائس الذخائر مما كان لبنى طاهر جملة كافية . وذلك أن الطاهرية لما دهمتهم الجيوش الغورية نقلوا ذخائرهم إلى هذا المحل وغيره ، فذهب بأيدى الغورية ما ذهب ، وبقيت هذه البقية التى ثقل حملها ، وصارت بيد المطهر . ومنها الكتب الواسعة المشتملة على الفوائد النافعة ، مما حمله السلطان عامر بن عبد الوهاب من صنعاء وغيرها أيام ولايته ، وانبساط دولته ،

فحازها المطهر . ومنها صروف الذهب التى نقلها عامر بن عبد الوهاب من ظَفَار الأشراف أيام وصوله إليه واستيلائه على المقرانة ، فأمر المطهر بردها إلى ظَفَار والظِفير ، وهى التى علقت فى الدار البيضاء بالظِفير . وكادت الدنيا تكون دار جزاء ، إنما الدنيا وما فيها عوار مستردة ، نسأل الله أن يعصمنا وكافة المؤمنين عن الاغترار بزخارف هذه الدار المشوبة بالأكدار ، بحق محمد وآله الأطهار .

ولما قضى المطهر من قبض بلد بنى طاهر ونفائسهم غاية الوطر ، نهض إلى جُبَن ، فدخل فى طاعته أهل جبل جرير وما إليه ، طوعا وكرها . ثم توجه إلى رُداع ، وكان فيها حدث من بنى طاهر قد انضمت إليه طائفة من الجراكسة ، وراموا التمنع فى قلعة رُداع . فلما عاينوا جيش المطهر عرفوا أنهم لا طاقة لهم بقتاله ، ولا قدرة لهم على نزاله ، فسلموا القلعة المذكورة إلى المطهر .

وبعد هذه الفتوحات العظيمة توجه المطهر قافلا إلى حضرة والده بالطائر الميمون والملك المصون ، تثنى أعلامه من التيه ، وتخف من بأسه قلوب أعاديه . ولبعض شعراء عصره عند قدومه إلى صنعاء ، فى يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، أبيات مطلعها :

أطاعك إذعاناً لهيبتك الدهر وقابلك الإقبال والفتح والنصر
ولست تهنى بالذى أنت نائل لأنك للدنيا وسكانها فخر
إذا ما رُداع ملكتك زمامها فدون علاك الشمس والأنجم الزهر

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذا المقدار ميلا إلى الاختصار .

ولما استقر المطهر فى صنعاء أظهر أهل خَوْلان الشقاق ، ومنعوا ما قبلهم من الحقوق الواجبة بنص الخلاق . بل سعوا فى الأرض فسادا ، وأخافوا منها أغوارا وأنجادا . فأعذر إليهم المطهر وخوفهم عاقبة البغى ، وحذر . وكانت رهائنهم فى القصر ، فعرفهم المطهر إنهم إن لم يتركوا الخلاف فرهائنهم إلى تلاف . فأجابوا بغير الصواب ، وسلكوا

مسلك أهل الشك والارتياب . فعند ذلك أمر المطهر برهائنهم ، — وكانوا زهاء مائتى رجل — فقطعت أيديهم وأرجلهم . ولما بلغ أهلهم ما وقع بهم سقط فى أيديهم ، وعلموا أن تحت ذلك العارض بروق مُقْلِقة وصواعق محرقة . فتأهبوا للحرب العوان ، وصمموا على العدوان . ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزاً .

وكان من جملة أحداثهم أن رجلا من أشرارهم قصد إلى باب اليمن ، مريداً لإحراقه ، وأضرم ناراً ، ففطن له الحماة ، فخاب مسعاه ، وتبعوه فلم يظفروا به . وتوجه إليهم المطهر بجنود لاقبل لهم ، بها فحاربوه محاربة أفضت إلى هزيمتهم، وانحلال عزيمتهم . فدخل المطهر بلادهم ، وأخذ طارفهم وتلادهم[1] ، وأمر بقطع أعنابهم ، فأذعنوا بالطاعة والانقياد ، والدخول فيما دخل به سائر العباد . فضرب عليهم المطهر مبلغاً من المال عقوبه لهم على فعلهم ، وقبض من فتاكهم قدر ثلثمائة نفر . ثم أمر بعمارة حصن يَفْعان[2] ، وجعل فيه عدة من عسكره الأعيان . وطلب من أهل خوْلان إيصال الرجل الذى أحرق الباب ، ولو كان فى السحاب ، فطلبوه طلب المعدم للدرهم ، والجريح للمرهم ، حتى ظفروا به فى قرية وديد ، فأتوا به إلى المطهر ، فأمر أن تسمر كفاه فى باب اليمن ، لينزجر غيره من ذوى الإحن[3] . ورجع المطهر إلى صنعاء ، وقد أحسن فيما فعل صُنْعاً .

ودخلت سنة — ٩٣٥ —

فيها توجه المطهر لقبض حصن ظُفُرْ بنى وهاس برضى أهله .

ودخلت سنة — ٩٣٦ —

لم يحدث فيها ما يحسن ذكره .

---

(١) التلد : هو المال الأصلى القديم وجمعه أتلاد وتلاد (المعجم الوسيط)

(٢) يفعان : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٣) الاحنة : الحقد والضغن (المعجم الوسيط)

ودخلت سنة — ٩٣٧ —

فيها تعاقد الأشراف آل حمزة وآل المؤيد على حرب الامام شرف الدين ، عليه السلام ، وأقاموا الخطبة فى صَعْدة للقائم من بنى المؤيد . وسيأتى تحقيق ما آل إليه أمرهم إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٩٣٨ — [٩٣٩]

لم يتفق فيها — ولا فى التى بعدها — ما يوجب الرسم .

ودخلت سنة — ٩٤٠ —

فيها ثار الأشراف أهل الجوف إلى الخلاف على الامام شرف الدين ، ودخلوا فى حرب المفسدين . فسار الأمير ناصر بن أحمد بجموعه إلى مأرب ، وهم من الداخلين فى طاعة الامام والمائلين إليه ، فجعل الامام إلى الأشراف رسالة عظيمة ، حذرهم فيها عاقبة التعدى ، وما فى نقض العهود من العذاب الأبدى . فلم تعمل فيهم الرسالة ، ولا أجدت عندهم تلك المقالة . فعند ذلك نهض الإمام وولده المطهر بجيوشهما الواسعة ، وكتائبهما المتتابعة .

وكان خروج الإمام من ذى مَرْمر يوم الخميس سادس عشر شهر المحرم من هذه السنة . وكان طريقه بلاد نُهم . وقدم ولده المطهر بأكثر العسكر لقتال الأشراف المسارعين إلى الخلاف . فلما تراءى الجمعان ، وتقابل الفريقان فى مكان يعرف بالسواد ، حمل الأشراف على المطهر حملة رجل واحد ، فانهزمت ميسرة المطهر ، ودنا منه الأشراف . وجعل الأمير صالح بن أحمد ينادى بأعلى صوته « مطهر ياطلابية لا يفوت » . والمطهر مع ذلك ثابت فى القلب على جواده ، غير مكترث من إبراق العدو وإرعاده ، لما أيده الله به من قوة الجنان ، والصبر على منازلة الأقران . ولما اشتد القتال ، واتصل الرجال بالرجال ، أنجز الله وعده ، ونصر عبده ، فعادت الدائرة على الأشراف ، فقتل منهم الأمير صالح بن أحمد

والأمير حاجب بن قاسم بن محمد بن حسين ، والشريف أحمد بن عبد الله ، من أعيان آل سليمان ، وغيرهم من الأشراف والملازمين لذلك المصاف . وانهزم بقيتهم هزيمة فاضحة ، فتبعهم المطهر فى الأثر ، حتى دخل الزاهر بنصر الله العزيز القاهر . ووصل إليه والده الإمام شرف الدين قرير العين ، وصلى الجمعة فى الزاهر .

ولما تمهدت تلك البلاد وزال عنها أرباب العناد ، توجه الإمام وولده إلى صَعْدة بأوفر عدد وعدة ، وسمع بقدومهما أهل صَعْدة وجهاتها ، فداخلهم الفشل ونزل بهم الخوف والوجل ، ولم يجدوا بداً من الدخول تحت طاعة الإمام ، وترك القتال والصدام . وخرج جماعة من الأعيان إلى الإمام مواجهين ، وعن رضاه غير ناكصين . وكان دخوله عليه السلام إلى صَعْدة يوم الجمعة الثانى والعشرين من صفر من هذه السنة ، فقصد جامع جده الهادى إلى الحق القويم ، يحيى بن الحسين بن القسم بن إبراهيم عليه السلام ، وزار قبره المبارك ، وأنشد فى ذلك المقام ارتجالا :

زرناك فى زرد الحديد وفى القنا والمشرفية والجيـاد الشزَّب
وجحافل مثـل البحار تلاطمت أمواجهن بكل أصـيد أغلب
من كل أبلج من ذؤابة هاشم وبكل أروع من سـلالة يعرب
وأعاجم ترك وروم قادة وأحابش مثل الأسود الوثب

وهى أكبر مما أوردناه ، وإنما تركناها اختصاراً .

ولم يتخلف عن الحضور من أعيان صُعْدة إلا الأشراف آل حمزة ، فإنهم خرجوا عنها قبل دخول الإمام إليها . وأما بنو المؤيد فوصل منهم السيد العلامة أحمد ابن الإمام عز الدين وأخوه صلاح الدين ، وابن أخيهما السيد الأديب البليغ يحيى بن الحسن عز الدين . ولم يتخلف منهم غير الداعى مجد الدين بن الحسن بن عز الدين ، لأنه توجه بأهله ومن يلوذ به إلى الحَرَجة(١) . ولم يزل بها إلى أن توفى رحمه الله ، ودفن هنالك فى التاريخ الآتى ذكره .

---

(١) الحرجة ، بفتح الحاء والراء ، من قرى اليمامة . (ياقوت : معجم البلدان)

وأما الأشراف آل حمزة فما زالوا منذ خرجوا من صَعْدة ، يجمعون القبائل ، ويحشدون الجحافل ، حتى اجتمع لهم من دهمه ووايله ويام ونجران ووادعة الشام زهاء خمسة عشر ألف راجل وثلثمائة فارس ، وغاية قصدهم محاربة الإمام . وكان مستقرهم وموضع معسكرهم محل يعرف بالحسينيّات[1] ، فقصدهم المطهر ابن الإمام بجيشه اللهام ، ووقع الحرب الشديد من أول النهار إلى قريب الأصيل ، والفريقان متكافئان . ثم حمل عليهم المطهر حملة الباز الأشهب والأسد المغضب ، فانكشفت جنود الأشراف عن ذلك المصاف ، ووقع القتل فيهم حتى انجلت المعركة عن ألف قتيل وستمائة أسير ، ما بين جريح وكسير . ثم رجع المطهر إلى حضرة أبيه بعد أن منحه الله النصر على أعاديه . ولما استقر فى صَعْدة أمر بالأسارى ، فضربت أعناقهم عن آخرهم . وكان قائد جيش الأشراف الأمير ناصر بن أحمد بن محمد بن حسين الحزى والأمير داود بن حسين . وهذه الوقعة تعرف بوقعة الخلاف ، وبها انحل عقد نظام أهل الخلاف ، وقد قيل فيها من الأشعار ، ما هو مذكور فى كتب الأخبار .

وفى أيام بقاء الإمام شرف الدين فى صَعْدة أمر بعمارة سور صَعْدة ، فتمت بمعونة الله فى أقرب مدة .

وفيها خالف أهل خَوْلان صعدة ومن انضم إليهم من القبائل ، وقصدوا ساقين[2] فى عشرة آلاف مقاتل ، فجهز عليهم الإمام شرف الدين الفقيه المجاهد عماد الدين يحي ابن ابراهيم النصيرى ، فهزمهم فقتل منهم قدرأربعمائة نفر وأسر مثلهم ، واحتوى على أسلحتهم وأمتعتهم . فانقادوا بعد ذلك بزمام الطاعة ، وسلموا ما قبلهم من الحقوق ،

---

(١) الحسينيات : موضع شمالى صعدة
(أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، ص ٢٤٤)

(٢) ساقين المقصودة هنا فى سراة خولان من جبل السراة باليمن ، وهى غير ساقين اخرى فى بلاد الحجر .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩ ، ١٢٢)

ودخل أهل رازح تحت وطأته، وأذعنوا لسطوته، وكذلك أهل الأهنوم وشهارة .

ودخلت سنة — ٩٤١ —

فى المحرم منها خرج الامام شرف الدين من صَعْدة إلى جبل برط، فدخله قهراً على أهله، وسار فى تلك الجهة حتى بلغ الرمل الذى يتصل بالبصرة . وخيم فى موضع يعرف بالمصراخ، وأقام فيه قدر عشرين يوماً، ثم نهض منه، وتردد فى تلك الناحية، وذلت له الرقاب العاصية . وفى أيام إقامته فيها قتل أهل برط رجلا من أصحاب الامام، ثم خافوا وبذلوا تسليم الدية الكاملة، وتوسلوا بجماعة من أصحاب الامام فى قبولها، فضرب عليهم ألفى أوقية فسلموها .

ثم توجه إلى نجران ومعه ولده المطهر . وكانت نجران فى ذلك الأوان هجرة الأشراف آل حمزة ومأواهم، فخرجوا عنها إلى الرملة المتوسطة بين البصرة ونجران، وطلبوا من الامام الأمان، فأمنهم، ووصل إليه منهم جماعة كالأمير محمد بن أحمد بن حسين وغيره، وتقرر الكلام بينهم وبين الامام على صلح صحيح مدة سنة كاملة، وشرط عليهم الامام أن لايواصلوا له عدواً ولا يعادوا ولياً . وفى أيام إقامة الامام بنجران أمر بإقامة مشهد، على قبر عبد الله بن الثامر، الذى استشهد قبل مبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وله حديث مذكور وخبر مشهور، وليس هذا موضع ذكره . وبعد أن لبث الامام فى نجران أصاب أصحابه مرض شديد، مات منه كثير منهم، فأمر بحمل المرضى إلى صَعْدة، ورجع الامام إليها . ثم سار قافلا إلى صنعاء، فدخلها يوم الجمعة الخامس عشر من شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

ولما أراد الله أن يفتح له بقية الديار اليمنية، والجهات الباقية تحت أيدى الطاهرية، تحرك منهم للمشاقة رجل يسمى عامر بن داود، كان له وزير سوء، وهو الشريف يحيى السراجى أحد الخارجين عن طاعة الإمام، الناقضين للعهد والذمام . فما زال يغريه بالإقدام على أطراف البلاد الأمامية، وانتهاز الفرصة مع غيبة الإمام وولده فى الجهة

الصَّعْدية ، وما نزل بعسكرها من المرض فى نجران ، وظن أن عودها من هناك دونه القارصان . فجمع الطاهرى ألفافاً من القبائل ، وجعل قائدهم السراجى وعلى بن محمد البَغْدانى المعروف بالشرمانى ، فعاثوا فى أطراف بلاد الإمام . ولما وصلوا ذَمَت ، تأخر عنهم جماعة من ولاة الحصون ، كالدارم وهيوه وغيرها . ثم انفرد البَغْدانى عن السراجى ، فتقدم السراجى إلى موكل بذلك الجمع الأذل ، فعند ذلك كتب الامام إلى ولده المطهر ، وكان باقياً فى صعدة وجهاتها ، يخبره بمكان القوم ، فجمع المطهر ألف ناقة من ذوات القوة والطاقة ، وحمل أصحابها عليها سالكا طريق الجوف ، لا يلوى على شيء ولا يأوى إلى فيء . وكان السراجى مستبعداً وصول المطهر من تلك الجهات ، كما يستبعد لمس النيرات ، فلم يشعر إلا بالسيوف عاملة ، ومن دماء أصحابه ناهلة ، وكانوا زهاء ألفين وستمائة ، فقتل منهم فى أول الصدمة ثلثمائة نفر ، وأسر الباقون عن آخرهم . فأمر المطهر بضرب أعناق ألف نفر من الأسارى ، فكان يؤتى بهم زمراً فتضرب أعناقهم بين يدى المطهر وهو راكب على بغلة ، حتى اغتمرت حوافر البغلة فى الدم ، ثم أمر أن كل أسير يحمل رأساً من رءوس القتلى ، وأرسل بالجميع إلى أبيه ، فكان لدخولهم صنعاء على هذه الصفة موقع عظيم ، لم يعهد مثله فى الزمن الحديث والقديم . وممن ضربت عنقه فى هذه الحادثة قائد هذه الفرقة الناكثة — وهو السراجى — الذى ذهبت نار مصباحه فأظلمت عليه الدياجى . ولما وصلت الأسارى والرءوس إلى المقام الإمامى المحروس ، وجه الامام ببعضها إلى صعدة ، وفيها نائب الامام وولده الهمام ، وهو الفقيه النبيه عماد الدين عمدة المجاهدين ، يحيى بن إبراهيم النصيرى ، فعظم شأن هذه القضية فى النفوس ، وإنفاذ النافر الشموس ، وقيلت فيها الأشعار الرائعة ، والمدائح الفائقة .

وأما البَغْدانى المقدم ذكره ، فانه قصد القرانة ، وهى من بلاد الامام ، فلما بلغه قتل السراجى ومن معه ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ففر إلى موضع يعرف بالشعيب ، وكذلك عامر بن داود الطاهرى ، وخرج من قطبه إلى بعض الجهات . فكان من الأسباب الموجبة لهلاك هذا البغدانى ، والاستيلاء على بقية القطر اليمانى ،

أن المطهر بن الامام ارتفع من مخيمه بالغرفان إلى جبل صباح ، لعارض ألم به ، فرجع البعدانى إلى موضع هلاكه ، ووقوعه فى حبايل التلف وأشراكه . وشفى المطهر من ذلك العارض المذكور ، فرجع إلى مخيمه المنصور ، وبلغه عود البعدانى إلى جبل السروات[1] بالقرب من حصن الدارم ، فقصده إلى ذلك المحل ، وثبت القتال ، فأحاطت بالبَعْدانى ومن معه جنود المطهر من كل مكان ، ودقت تلك الشماريخ كأنها من الجان . فلم يكن بأسرع من هزيمة عسكر البعدانى ، فأخذتهم البوانر والبنادق فى مصطف ذلك المارق ، وقتل منهم عصابة وافرة . وأسر البعدانى وجىء به إلى المطهر فقال له : «إن رمت السلامة فخاطب من فى الدارم بتسليمه » ، ففعل ، فلم يلتفتوا إلى قوله . فأمر المطهر بقطع رأسه وإلحاقه بأناسيه .

وتوجه المطهر إلى خُبَّان فاستفتحها . وتقدم إلى المخادر ، فاستولى على تلك الأطراف ، وتسلم جميع حصون المخلاف . والتجأ عامر بن داود إلى حصن التَعْكُر فقصده المطهر ، فهرب إلى عدن حليف كرب وحزن ، واستولى المطهر على التَعْكُر قهراً بالسيف . ولم يبق إلا القُفْلة ، وكان فيها والٍ ، وهو القاضى محمد بن أبى بكر اليافعى . فعلم أنه لاخلاص له إلا بتسليم القُفلة ، فسلمها ونزل على حكم المطهر .

ولما تمهدت تلك البلاد ، وزال عنها أرباب البغى والفساد ، توجه المطهر على كاهل السلامة ،لأخذ مدينة تعز ، وفيهامن بقية بنى طاهر رجل يسمى أحمد بن محمد ، وكان غافلا عن الحقائق ، لا يميز بين الغائل والمائق . فانه لما التجأ إلى حصن تعز المعروف الآن بالقاهرة ، وحاصره المطهر فيه بجنوده الوافرة ، لم يمنعه ما هو فيه من الأمر الشديد عن الاساءة إلى من عنده من العبيد ، فانه أراد الفتك بأحدهم لسبب لطيف ، لا يوجب التعنيف . فما زال العبيد يراودونه فى صاحبهم ، وهو لا يقبل شفاعتهم ، فراسلوا المطهر ، والتزموا

---

(١) السروات هذه هى الصيغة الصحيحة للفظ كما ذكرها الهمدانى
(صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٤)
وقد جاءت فى المتن « الشروات » بالشين .

له بفتح الحصن بشرط تأمينهم والاحسان إليهم . فأجابهم إلى ما طلبوه ، ثم فتحوا الحصن لجند المطهر ، فلم يشعر ذلك الغُمر إلاّ بلمع البواتر وجلبة العساكر . فعلم أنه فرط فى عدم قبول الشفاعة ، وهيهات أن ينفع الندم تلك الساعة . ثم قُبض أسيراً وأتى به إلى المطهر ذليلا حقيراً ، فأرسل به إلى حضرة والده ، واستولى على ما فى ذلك الحصن من طارفٍ ابن طاهر وتالده[1] ، وكان شيئاً كثيراً وملكاً كبيراً .

ولما علم بقية الجراكسة الذين بزبيد بوصول المطهر إلى اليمن الأسفل ، وأخذه للحصون ، وقبضه لما فيها من المال المصون ، طمعوا فى أخذ تعز قبل دخول المطهر إليها ، فخرجوا من زبيد . ولما وصلوا بعض الطريق ، بلغهم استيلاء المطهر على تعز وقبضه لصاحبها ، فرجعوا خائبين وبما أملوه غير ظافرين . وقد كان قائد الجراكسة وهو الأمير الإسكندر بن محمد مات فى هذه المدة ، وولوا أمرهم رجلا منهم يسمى أحمد الناخوذة .

وأما المظفر ، فإنه لما استقر وبلغ النهاية من رتب العز ، اختط سور تلك المدينة ، لتصير بذلك من المواضع الحصينة ، واستدعى الفقيه عماد الدين يحيى بن ابراهيم النصيرى من صَعْدة . ولما وصل إليه قلده ولاية تعز وجهاتها ، وجعل الإمام ولاية صَعْدة لوالده عز الدين بن أمير المؤمنين . ورجع المطهر إلى حضرة والده بصنعاء ، ورماحه تهتز مرحاً ، وجياده تختال فرحاً ، والوثبة خافقة عليه ، والغنائم بين يديه .

ودخلت سنة — ٩٤٢ —

فيها مات الإمام مجد الدين بن الحسن بن عز الدين فى الحَرَجة ، ودفن فيها ، رحمه الله تعالى .

وفيها أمر الإمام شرف الدين بقتل الفقيه حسن بن على الحدر ، لما أظهر العمل

---

(١) الطارف والطريف من المال ، المستحدث ، وهو ضد التالد والتليد أى المال القديم (المصباح المنير ومختار الصحاح)

بعقيدة (الشاطحين من)[1] الصوفية ، ومال إليه كثير من الناس ، واستتابه الإمام فلم يتب .

وفيها جهز عز الدين بن الإمام شرف الدين جيشاً ، قائدهم السيد الحسن بن عز الدين، إلى بلاد المرقدات وفيْفا[2] وتلك الجهات ، فاستفتحوها .

وفى هذه السنة أمر المطهر بحصار عدن ، وقد كان أهل الجهات القريبة من عدن كَخَنْفَر[3] ولحج وأَبْيَن ، دخلوا فى طاعته . وكان فى عدن عامر بن داود الطاهرى ، الهارب من حصن التَّعْكُر ، كما سبق ذكره .

ودخلت سنة — ٩٤٣ —

فيها استفتح عز الدين بن الإمام شرف الدين ظِهران ، وقتل صاحبها ابن المهدى .

وفيها توجه شمس الدين بن أمير المؤمنين إلى أخيه المطهر ، وكان فى اليمن الأسفل ، بالجموع التى جمعها والدها . فلما وصل إلى أخيه أجمع رأيهما على التوجه إلى زُبيد لمحاربة من فيه من بقية الجراكسة . فنهضا إليه بجنود وافرة كأمواج البحار الزاخرة ، يقال إنها تزيد على مائتى ألف مقاتل ، مابين فارس وراجل . فلما قربوا من زبيد رأى من فيه رأيا كان لهم فيه السلامة من الهول الشديد والجيش العديد ، وهو أنهم أجروا غيل زبيد الكبير فى أرض التربية ، وهى معترك الجلاد ومجرى السوابق الجياد .

وأقبل المطهر وقد عبأ أصحابه تعبئة الحرب ، فجعل أخاه شمس الدين فى الميمنة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من مخطوطة أنباء الزمن

(٢) الفيفا : بفتح الفائين وسكون الياء ، بلد فى وادى قضيب بين نجران والجوف . ومن الواضح أن المرقدات موضع قريب منها .

(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٧)

(٣) خنفر : بفتح الخاء وسكون النون ، مدينة فى أبين قرب عدن ، من مدن اليمن التهامية .

(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٥٣ ، ياقوت : معجم البلدان) .

والفقيه يحيى بن إبراهيم النصيرى فى الميسرة ، وهو (المطهر) فى القلب . ولم يخرج إليهم أحد من الجراكسة حتى علموا أنهم قد توغلوا فى تلك الحماة . ثم انقضوا عليهم كالعقبان الكاسرة والأسود الخادرة ، فانهزمت تلك الصفوف ، وانكشف تلك الألوف ، ولم يبق إلاّ المطهر وشمس الدين والأمير عبد الله بن محمد بن حسين الحمزى وخمسة من العبيد ، وعليهم دارت رحى الحرب . فأصدقوا فى العدو الطعن والضرب ، وظهر من ثبات المطهر وأخيه شمس الدين ما يبهر العقول ، وعند الكريهة تظهر نجابة الفحول . وقتل من فرسان الجراكسة عدة ، منهم رجل يعرف بأبى شوارب كان يعرف المطهر ، فلم يزل يتابع عليه الكرّ حتى لاحت للمطهر فرجة فى درع أبى شوارب عند ثغرة نحره ، فحمل عليه المطهر حملة حيدرية ، ثم طعنه طعنة سلبت مهجته ، وأذهبت بهمته . فاحتجمت الفرسان ، وتأخرت الشجعان ، وانجاب رباب[1] الغنام ، وانفسخ ذلك الغمام . ورجع المطهر وأخوه ومن بقى معهما إلى محطتهما ، وقد ذهبت طائفة من أعيان جماعتهما ، منهم السيد الصدر جمال الدين على بن يحيى بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، والسيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بن الهادى الوزير ، رحمهم الله تعالى . ذكر السيد العلامة أحمد بن عبد الله الوزير ، أن هذا السيد إبراهيم بن محمد بن الهادى بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الله بن الهادى بن إبراهيم قتل وحُزّ رأسه ، وكان قبره حواصل الطير وأجواف السباع . وأما سائر الجند ، فهلكت منهم طائفة كبيرة . وهذا الحرب سجال وللأنفس آجال .

ولما بلغ عامر بن داود الطاهرى صاحب عدن خبر هذه الوقعة ، أيقن ببلوغ الوطر ، وظن أن الدهر قد قابله بوجه الرضى بعد أن اكفهر . فخرج بعسكره من عدن إلى موضع يعرف بأم قريش . وبلغ المطهر خروجه ، فقصده من تعز فلم يجده فى أم قريش ، لأنه تأخر عنها إلى غيل وزران ، لما بلغه خروج المطهر . فتتبعه المطهر إلى المحل المذكور

---

(١) الرباب : السحاب الأبيض ، ومفرده ربابة (المعجم الوسيط) .

ووقع القتال الشديد ، فكانت الدائرة على الظاهرى ، وانهزم أصحابه ، وقتل منهم أربعمائة نفر . ولم ينج بنفسه إلا بعد اللتيا والتى . وقد كادت جنود المطهر تظفر به ، لولا أن مملوكاً له كان غائباً عن محل الوقعة، فوافاه وقد انفرد عن محطته ، فحمله على فرسه فنجا على ظهرها . وأدرك جند المطهر ذلك الفتى ، فأتوا به إلى مقام المطهر ، فسأله عن مولاه فأخبره الخبر . فشكر له ما أسداه إلى مولاه ، وخلع عليه وأعطاه . ثم رجع إلى حضرة والده بصنعاء .

ودخلت سنة — ٩٤٤ —

فيها وجه الإمام شرف الدين ولده شمس الدين إلى جهة حراز فاستفتحها ، وأخذ حصونها كشِبَام التعابر[1] ومسار وغيرها . وكان أهل تلك الجهة ثلاث فرق ، فرقة زيدية ، وفرقة شافعية ، وفرقة باطنية . فلما فتح شمس الدين حصن شِبَام وجد فيه من كتب هذه الفرقة الثالثة جملة مستكثرة ، فأرسل بها إلى أبيه ، وكانت مشتملة على كثير من أقوالهم الباطنية ، وزخارفهم العاطلة ، الدالة على فساد مذهبهم ، وبطلان معتقدهم . ولقد حكى بعضهم أن كتابا صغيراً من كتبهم وقع فى يده ، وإذا فيه تصريح بتحليل ما حرم الله من نكاح المحارم .

وفى هذه السنة بنى الإمام شرف الدين مسجدا فى الجراف ، وصلى فيه صلاة الجمعة بعد ثمانية أيام ، وهى أول صلاة صلاها الإمام فى ذلك المسجد، فى يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة من هذه السنة . وأمر الخطيب أن يخطب بإحدى خطب جده الإمام المهدى لدين الله أحمد بن يحي ، عليه السلام .

---

(١) شبام : جبل عظيم فى صنعاء ، وقيل ان شبام باليمن فى أربعة مواضع هى شبام كوكبان وشبام حراز وشبام حضرموت وشبام التعابر .
(البجاوى : مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٧٧٨)

فيها أوقع عز الدين بن الإمام شرف الدين بأهل وادعة من الجهات الصعْدْية ، لما أفسدوا وقطعوا السبل واعتدوا .

وفيها وصل الباشا سليمان إلى جزيرة كَمَران فى سبعين غرابا ، وسفن كبار تحمل الأثقال . جهزه السلطان سليمان بن سليم خان لمحاربة الأفرنج فى السواحل اليمنية والتخوم الهندية ، فكتب إليه عامر بن داود الطاهرى على يدى رجل من الأروام يسمى فرحان — كان من أهل الدهاء والمكر — يطلب منه النصرة على الإمام شرف الدين . فأجاب عليه الباشا بجواب ظاهره الإسعاد إلى ما يشاء . ثم توجه بمراكبه من كمران إلى ساحل عدن ، وطلب الاذن من الطاهرى بدخول طائفة من العسكر إلى ذلك البندر لقضاء حوائجهم ، فأذن لهم بالدخول . وكان الباشا سليمان قد أودع[1] فرحان ومن دخل معه إلى عدن من العسكر الأعيان ، إنهم يقبضون عامر الطاهرى ويرسلون به إليه إلى المركب . ففعلوا ، وبعثوا بعامر وسته أنفار من خواصه إلى الباشا فشنقهم . وكان ذلك آخر العهد بهم . وانقرضت دولة بنى طاهر من اليمن بالكلية ، ولم يبق منها بقية . فسبحان من لا يزول سلطانه ولا يتغير شأنه . ولما ظفر سليمان بعدن ، جعل فيه من ثقات أصحابه من يحفظه ، وتوجه إلى بلاد الهند ، فلم يظفر بطائل ، فرجع إلى اليمن .

ولما استقر فى محل بالقرب من زبيد ، أمر جماعة من دهاة أصحابه يسعون فى الصلح بينه وبين أحمد الناحوذة أمير الجراكسة ، وفى خلال ذلك يفسدون أصحابه بالترغيب والترهيب . فمال إليهم من الجراكسة رجل يسمى سنان ، فى عدة من الشجعان . وتسللوا إلى الباشا سليمان . فعلم الناحوذه أن مدينة زبيد بعد ذلك مأخوذة ، ولم يجدْ بُدًا من الخروج إلى سليمان بعد أن طلب منه الأمان ، فأمنه وبذل له عهدا . ثم خرج الناحوذه

---

(١) أودع الناس المسافر : تركوه وسفره متمنين له دعة يصير اليها اذا رجع (المعجم الوسيط)

للاتفاق بسليمان ، فأمر سليمان طائفة من جنده أن يلقوا الناحوذه قبل أن يصل إليه فيقتلوه ، ففعلوا وقتلوا الناحوذه ومن خرج معه . واستولى سليمان على زبيد ، وقتل بقية من فيه من الجراكسة ، وانقطعت ولاية هذه الطائفة الجركسية ، من الجزيرة اليمنية ، وأقبلت الدولة العثمانية والسلطنة الخاقانية ، إلى أن انقطعت بالدولة الحسنية والولاية القاسمية ، خلد الله سعدها ومدّ أمدها .

ولما استقر الباشا سليمان فى زبيد بعد أن ملك عدن ، قيل له : « إنك لا تنتفع بهذين المحلين ، حتى تملك تعز وما يليه من البلاد » فكتب سليمان إلى الإمام شرف الدين كتابا يذكر فيه تخفيف وصوله إلى اليمن ، واستيلائه على زبيد وعدن ، بعد أن كانتا بأيدى الأعداء ذوى الأحن[1] . ورام بذلك الكتاب نيل غرض من الإمام شرف الدين ، بالتليين أوْبالتخشين ، فأجاب عليه الإمام ، بعدم الاسعاد إلى ما أراد . وحين أيس من نيل هذا الغرض ، رجع إلى مصر وفى قلبه منه مرض ، لكنه أخذ على نائبيه فى زبيد وعدن أن يقصدا بلاد الإمام متى أمكن .

وفى هذه المدة كثرت الأقاويل والمراجعات ، من أجل سكون أهل الذمة من اليهود فى جزيرة العرب ، فوضع لهم الإمام شرف الدين والقاضى محمد بن عبد الله داوع ، مرسوما يقضى بتبقيتهم على عهدهم ودينهم السابقة ، وقُرروا على هذا إلى الآن . وأجمع علماء الفريقين أن المراد بجزيرة العرب الحجاز فقط ، والله أعلم .

ودخلت سنة — ٩٤٦ —

فيها تحرك الأروام[2] الذين فى زبيدعلى تعز ، وقائدهم الأمير مصطفى عرة ، وهو الذى استخلفه الباشا سليمان على زبيد حال عزمه منها إلى الديار المصرية . فحاصروا تعز وفيها من أعيان أصحاب الإمام السيد صلاح الدين بن فخر الدين ، والأمير حسين بن الصياد .

---

(١) أحن أحنا أى حقد ، فهو أحن (المعجم الوسيط) .

(٢) يقصد المؤلف بالأرام جنود العثمانيين .

وأما عاملها الفقيه يحيي بن ابراهيم النصيرى فإنه كان فى حضرة الإمام تلك الأيام .

ولما بلغ الامام تحرك الأروام على تعز ، بادر بتجهيز الفقيه يحيي النصيرى ، وعزز بولده شمس الدين . فوقف النصيرى فى التَعْكُر حتى وصل إليه شمس الدين ، ثم تقدم إلى قريب تعز ، والأروام محاصرون لمن فيها . وقد قتل منهم عدة بالمدافع والبنادق. وفى خلال ذلك خرجت طائفة من الأروام إلى بعض جهات تعز يلتمسون الطعام ، فاعترضتهم عساكر الإمام ، ووقع بينهم حرب شديد ، ذهب فيه عشرة أنفار من الأروام ، ورجع باقيهم إلى محطتهم . فخافوا أن يحاط بهم ، فانهزموا عن ذلك المقام فى جنح الظلام ، واستولى على مدافعهم ، وما ثقل من أحمالهم .

وفى هذه المدة وصل الأمير ناصر بن أحمد بن محمد بن حسين الحمزى فى ثلاثين راكبا ، إلى مقام الامام شرف الدين ، تائبا مما جرى منه من المحاربة فى ماضى السنين ، فعفا عنه الإمام ، وقابله بالاكرام .

ودخلت سنة — ٩٤٧ —

فيها تسلم الامام سُماة بنى النوار[١] . وبعدها حصن بُقعان[٢] ، وغيرهما من البلدان ، على يدى ولده شمس الدين .

ودخلت سنة — ٩٤٨ —

فيها توجه عز الدين بن الامام شرف الدين من صَعْدَة إلى تهامة الشامية ، فاستفتح أبا عريش وجازان وغيرها من تلك البلدان .

وفى هذه السنة وفد على الإمام شرف الدين رجل من أعيان الأروام الذين فى زبيد ،

---

(١) سماة ، بضم اوله ، حصن فى بلاد خولان ، وقد وردت بعد ذلك فى حوادث سنة ٩٧٧ هـ سمات بالتاء المفتوحة .

(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٧٢)

(٢) بقعان : بالضم ، اسم موضع . (ياقوت : معجم البلدان) .

ودهاتهم المعدودين لمهماتهم ، يسمى حسن بهلوان ، فى عشرين فارسا وثلاثين راجلا ، فتلقاهم الإمام بأفضل ما يتلقى به الوافد ، ويكرم به القاصد . وما زال حسن بهلوان يتردد فى مقامات الإمام وأولاده الكرام ، ويتظاهر بالقول اللين والنصح البين ، وهو مع ذلك يترقب الفرصة فى إحداث ما يوجب للإمام الغُصَّة ، لأن السبب الباعث لوصوله إلى الإمام فى هيئة الزائر هو أن الأروام تذاكروا يوما سعة بلاد الإمام ونفوذ أوامره ونواهيه على الخاص والعام ، فقال رجل من حذّاقهم ، « إنما مثل الإمام وولديه المطهر وشمس الدين مثل الأثافى[1] ، إذا زالت إحداها بطل التكافؤ ، فمن رجل يكفينا من أحدهم وينقص من عددهم ؟ » فوقع اختيارهم ، وشخصت أبصارهم ، إلى حسن بهلوان ، إذ هو المشار إليه بالبنان فى هذا الشأن. فلما لم يقع على طائل ، ولا فاز بنائل ، تسلل إلى أصحابه تسلل السرحان ، وهبط إليهم هبوط الطل على الأوطان ، فلاموه على تقصيره ، وشرعوا فى ذمه وتحقيره ، فقال لهم ما معناه ، « لاتعجلوا بملامى حتى تسمعوا كلامى ، إعلموا أنى ما خالفتكم منذ فارقتكم . غير أنى لما وصلت مقام القوم قابلونى بالاحسان ، ورفعوا مقامى على الأقران . ولقد كنت أدخل على الإمام فى كل أوان ، ولو أردت قتله لفعلت . إلاّ أنى رأيت رجلا عاكفا على الصلوات ، لا يفتر عن تلاوة القرآن فى أكثر الأوقات ، دلائل الفضل عليه ظاهرة ، فكرهت أن ألقى الله بدمه . وأما المطهر فإنى نظرت عليه من الجلالة ما تقصر عنه المقالة ، مع شدة احتراس وتحفظ من أخلاط الناس . على أن عنده من الحُماة وأعيان الكفاة طائفة نافعة ، وعصابة دافعة ، فهيهات أن ينال من هو على ذلك الحال . وأما شمس الدين فقد كان يدنو منى دنو الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، مع لين الجانب وحسن خلق إلى الجليس والصاحب . فلم يمنعنى من قتله إلاّ أنى رأيت والده يشفق عليه ، ويميل إليه ، ويعمل برأيه فى أغلب الحالات ، وأكثر الأوقات . وهو مع ذلك يعارض

---

(١) الأثفية : أحد احجار ثلاثة توضع عليها القدر ، والجمع أثافى (المعجم الوسيط) .

المطهر وينافسه فى منزاته . فلو أنى قتلته استقل المطهر بالأمر من غير مشارك ، ومع المنازعة يحصل التفاشل ، وفى التفاشل ذهاب القوة» . هذا معنى ما اعتذر به هذا الرجل، الذى صدقت فراسته وأصابت نشابته ، فلقد كان الأمر كما توسمه ، والوهم كما توهمه . ولما وعى أصحابه كلامه ، تركوا تأنيبه وملامه ، وبسطوا عذره ، وأوسعوا شكره .

وفى هذه السنة جعل الإمام شرف الدين أمر بلاده إلى أولاده ، لما كبر سنه وناهز السبعين السنة . فثبت كل منهم على ما عُيّن له ، إلاّ ولده السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن أمير المؤمنين ، فإنه اعتذر عن التعلقات الدنيوية ، وأقبل على كسب العلوم الشرعية العقلية والنقلية ، جزاه الله خيرا ، ورفع له في الآخرة قدرا .

وفيها أمر الامام شرف الدين باثبات أسماء أولاده بعد ذكره ، وذكر ولده المطهر فى خطبة الجمعه ، فابتدأ بعض الخطباء بذكر ولده شمس الدين بعد أبيه وأخيه ، بأن قال ما لفظه أوْ معناه : « والمؤيد بتأييدك ونصرك شمس الدين بن أمير المؤمنين ، واللائذ بكنفك وحرزك عز الدين بن أمير المؤمنين . اللهم واحفظ أصناف العلوم المنطوق منها والمفهوم ، بحفظ العالم ، الصدر الراسخ ، الحبر البحر ، أبى محمد عبد الله بن أمير المؤمنين . اللهم بلغ الرجاء فى حراسة الملة المحمدية وحياطة القواعد الإسلامية من عبدك الشاب التقى على بن أمير المؤمنين ، وجميع إخوانهم وأولادهم آمين » .

ودخلت سنة — ٩٤٩ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرسم .

ودخلت سنة — ٩٥٠ —

فيها وصلت طائفة من الأروام مدداً لمن فى زبيد ، فاستولوا على جازان . وبلغ الخبر عز الدين بن الامام ، فنهض إليهم من صَعْدة ، وجرى بينه وبينهم حرب لم يظفر فيه أحد على الآخر ، فعاد إلى صَعْدة .

وفى هذه السنة ظهرت شجرة القات وكثرت فى اليمن[1] ، فرأى الامام شرف الدين تحريمها ، وأمر ولده المطهر أن يأمر الناس بقلعها ، بسبب أنه رأى شخصا قد تغير ، فقيل له إن تغيره من أكل القات . فألحقها الأمام بسائر المغيّرات ، والله أعلم . وفيها أيضا ظهرت شجرة البُن ، فانتفع الناس بها جداً .

ودخلت سنة — ٩٥١ —

فيها نهض جنـد الأروام من تهامة — قائدهم حسن بهلوان — يريدون التقدم إلى الجبال على طريق سهام ، وهى طريق قريبة ، يقطعها البريد فى يومين من تهامة

---

(١) القات : شجرة دائمة الخضرة ، ضيقة الانتشار ، يقتصر وجودها اليوم على شرق افريقيا ووسطها ، فضلا عن جنوب الجزيرة العربية . يبلغ ارتفاعها عادة من مترين الى ثلاثة ، وقد تزيد عن ذلك كثيرا اذا توافرت الظروف الطبيعية المناسبة . والقات نبات مخدر للأعصاب ، والجزء المستخدم منه هو الأوراق والأزهار والبراعم الطرفية ، كل منها على حدة ، وقد يعمل مخلوط من اثنين منها أو من جميعها . ويتوقف التأثير والفاعلية على درجة نضج هذا الجزء والمقدار المتعاطى منه . على أن الفروع الغضة الحديثة التكوين والأوراق الصغيرة الحمراء هى المفضلة ، وهى أغلى ثمنا من الأوراق الخضراء القديمة . والطريقة الشائعة لتعاطى القـــات هى المضغ (التخزين) وهى عملية مضغ واستحلاب تستعمل فيها الأوراق الطازجة فقط ، أى التى لم يمض على قطفهـا أكثر من أربعة أيام أو خمســـة ، فهى مازالت تحتفظ برطوبتها . وفى الحالات التى يتعذر الحصول على الأوراق طازجة ـ مثـل الأماكن النائية فى الصحراء ـ فانها تجفف وتسحق ، وتضاف اليها بعض التوابل ، ثم تعجن على شكل قطع كروية صغيرة تستحلب بالفم . على أن القات يدخن أحيانا مثل الطباق والحشبش . أما تأثير القات عند المدمنين ، فهو أنه يثير انتباههم وينشطهم نشاطا مؤقتا ويشعرهم بالسعادة والنشوة ، ثم يخدرهم ويخمد قواهم العقلية ، حتى يفقدوا القدرة على الانتباه والتذكر . وقد ثبت علميا أن القات ـ مثل باقى أنواع المخدرات ـ يقتل حيوية المدمنين ، ولذا طالبت منظمة الصحة العالمية التابعة لهيئة الأمم باتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع زراعته وتعاطيه . (انظر :)
(محمد السيد أيوب : اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة ـ القاهرة ١٩٦٣) .

إلى صنعاء ، مع سهولة مسلكها ، يمرها الجند راكبة والجمال محملة . ولما بلغ الإمام خروج حسن بهلوان ، جهز أولاده ، فالتقوا فى لِعْسَان[1] ، ووقع بينهم حرب شديد ، انكسر فيه الأَرْوَام ، وقتل [منهم] عصابة وافرة ، ورجع أولاد الإمام إليه بوجوه سافرة .

وفى هذه السنة تقارن الثقلان — زُحل والمشترى — فى المثلثة النارية . ولما وقع هذا القران ، سأل السيد صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين الفقيه العارف صلاح ابن محمد العنجور عن حكمه ، فأجاب عليه إن الدولة العثمانية ستملك الجزيرة اليمنيه بالقوة ، وتأخذ صنعاء عنوة . فلما قتل الباشا أويس فى الشلالة[2] — كما سيأتى تحقيقه — كتب السيد صلاح الدين إلى العنجور بما لفظه « صدق الله وكذب العنجور » ، فأجاب عليه فى غرة كتابه « يا سيدى صلاح الدين ، إذا بلغك أنه بقى من محطة الأروام جارية لم تقتل ، فهى التى تملك أرض اليمن » . وكان الأمر كما ذكر .

ودخلت سنة — ٩٥٢ —

فيها ظهر النقص على صفحات دولة الإمام شرف الدين ، وانحلال عقد ملكه المكين ، وإقبال الدولة العثمانية على الجزيرة اليمنية . وكان السبب القوى فى استيلاء الجند السلطانى على القطر اليمنى ، هو ما حدث بين الامام وأولاده من التنازع والاختلاف ، والتفرق بعد الائتلاف ، والاشتغال بما هم فيه ، عن تدارك الأمر وتلافيه ، حتى عظم الحادث ، وتفاقم الخطب الكارث ، وجعلت جنود السلطان تسرى فى اليمن سرى النار فى الهشيم ، وتعلق فى أطرافها تعلق الحرباء فى الجذع القديم .

وأما تحقيق ما وقع بين الامام وأولاده الكرام ، فإن ذكره يطول ، ويفتقر إلى بسط فى المقول ، غير أنا نشير إلى طرف يسير . وذلك أن الامام عليه السلام

(١) لعسان : بكسر اللام وسكون العين وفتح السين ، موضع قرب حراز والكدراء (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦)

(٢) الشلالتين : موضع فى اليمن من ناحية مخلاف سنحان ، ولعل الشلالة احدى قريتين تعرفان بالشلالتين .

لما سالمته الأيام ، ودخل فى طاعته الخاص والعام ، وفتح قطر اليمن على العموم ، وقام فيه بحق الحى القيوم ، شرعت عقارب الحسود الأبتر تدب بينه وبين ولده المطهر . وما برح الكاسح يلقى بينهما عطر منشم ، ويجتهد فى فعله ويهتم . ثم انتقل إلى شمس الدين ابن الإمام ، فألقى إليه من سحر الكلام ، ما يعجز عن تحمله شمام ، حتى تمكنت العداوة فى صدورهم لبعضهم البعض ، وعادت الوحشة الحاصلة بينهم بسبب النميمة على الغرض المقصود من التعاون بالنقص . على أن الدهر مولع بتسبيب حال الكرام ، متعطش إلى نثر سلكهم ، فلا يشفى لهم أوام . وكان أول ما ظهر من الداء الدفين أن الإمام شرف الدين أراد النقلة من الُجراف إلى فِده ، لما وقع فى الُجراف الطاعون على بعض الوافدين من مدينة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وكانت فِده فى يد المطهر، فأخرج منها أولاده ومن يتعلق به . ثم إن شمس الدين أشار على أبيه بعمارة داير قرية القابل ، وأماكن فى جبل مرشد قبلى وادى ظَهر ، فأسعده الإمام على ذلك المرام . وما زال ساعياً فى للعمارة ، مطاوعاً للنفس الأمّارة ، حتى صرف فيها جملة من المال . وظهر للمطهر ما يظهر للألمعى من شواهد الحال ، بأن شمس الدين لم يرد بعمارة تلك الأماكن ، إلاّ لغرض كامن . وهم بمحاصرته فى طيبة ، فزادت الوحشة فى قلبه ، وتمكن الحذَر من لبه .

ولم يزالوا على هذه الحالة ، حتى اجتمعوا لصلاة الجمعة فى المسجد الذى بناه المطهر فى وادى ظَهر ، وأجرى إليه معين ذلك النهر . وقد أزمع شمس الدين على قبض المطهر ، بعد نزول الخطيب من المنبر ، وإيداعه السجن ، فنبّهه على ذلك بعض إخوته ، بأن كتب على ظاهر كفه إن الملأ يأتمرون بك ، فقام المطهر إلى باب المسجد موهما للناس أنه يريد قضاء حاجة ، أوْ إزالة نجاسة ، ثم أمر بعض خدمه بالمسارعة إلى طيبة لاستهمام عسكره الذين فيها ، فلم يتم الخطيب خطبته ، حتى أقبل الجند المطهرى . فلما عرف بوصولهم نهض مسرعاً إليهم ، ولم يقم أحد إليه ، ولا سمت نفس أحد إلى القبض عليه حتى وافى طيبة ، وبطل على شمس الدين ما دبّره من تلك النكبة . وحينئذ برح الجفا ،

وانقطع بينهم حبل الوفاء ، وتكدرت موارد الصفا ، وظهر الأمر للناس ، وتحدث به الغوغاء على غير قياس . وما برحت طائفة من العلماء الأعلام والأعيان الكرام ، الذين عليهم مدار الحل والابرام ، يسعون فى الصلاح ، والتحريض على العود إلى محجة الفلاح ، فلم يتم لهم المراد ، ولا ظفروا ممن خاطبوه بالاسعاد ، وكان أمر الله مفعولا . وهنا ظهرت فراسة حسن بهلوان ، وعرف صدقها من عرف حقيقتها من فحول ذلك الزمان .

ولما اتفق ما اتفق ، وأعيا رتق ما انفتق ، نهض المطهر بمن يتعلق بأهدابه ، ويلوذ به من أقاربه وأصحابه ، إلى حصن ثلا ، وناهيك به معقلا . ثم غزا حائط الشوكتين(١) من ناحية البوْن ، فانتهب ما فيه . وبلغ الإمام الخبر بعد أن رحل إلى الُجراف ، فأمر ولده شمس الدين بالخروج إلى المطهر بجميع من عنده من العسكر ، فتقدم إلى نجْر(٢). وأمر ولده صلاح الدين بن شمس الدين بالتقدم إلى حصن خلب(٣) وعلم المطهر خلو الجراف عن أهل الرماح والأسياف ، فأرسل طائفة من أعيان عسكره ، قائدهم الأمير عبد الله بن أحمد بن حسين الحزى ، وكتب إلى القاضى بنيان والأمير جوهر ابن بكر ، وهما قائدا عسكره الذين فى طيبة ، بأن ينضما بمن عندهما إلى الأمير عبد الله ابن أحمد . وأمر الجميع بالتقدم إلى الُجراف ، والقبض على ولده من غير أن يحدثوا فيه حدثا . فتوجهوا إلى الُجراف ، وشرعوا فى نهب السوق فى أوان الشروق ، وفزع الناس منهم فزعا شديداً ، فكان من ألطاف الله الخفية وعناياته بالعترة النبوية ، أن عامل حراز من جهة الإمام ، وهو النقيب مبارك شعبان ، قدم إلى مقام الإمام فى ذلك الأوان ، ومعه خمسمائة نفر من العسكر الأعيان ، فتولى أمر المدافعة عن الحوزة الأمامية . وأقبل

---

(١) يوجد أكثر من موضع باليمن يعرف باسم « الحائط » ومن الواضح أن حائط الشوكتين المذكور هنا موضع من ناحية البون .
(انظر الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢١ ، ١٤٢)

(٢) نجر : بفتح أوله وسكون ثانيه ، موضع لهمدان فى مخلاف اقيان اليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٧)

(٣) خلب : بضم الخاء ، موضع فى سراة خولان من جبل السراة باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩)

إليه من صنعاء من أهل النجدة والحمية ، فانهزم عسكر المطهر ، وقتل منهم جماعة ، ورجع ببقيتهم بالخيبة . وكانت هذه القضية من القضايا الشاهدة بفضل الإمام شرف الدين عليه السلام . ثم إن المطهر جعل كتاباً إلى أهل اليمن ، يحرضهم على نزع أيديهم عن طاعة والده . ذكر السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر ما لفظه : حدثني شيخي الفقيه عبد الله ابن صلاح بن داعر ، قال حدثني القاضي الهادي اليوهمي كاتب المطهر بن الإمام ، أنه أمره أن يكتب إلى جميع قبائل اليمن ، يحثهم على الخلاف فكتب في ليلة واحدة ثمانين كتابا .

وكان المقدم على جند السلطان سليمان بن سليم خان — القاطنين بزبيد في هذا الأوان — الباشا أويس . وقد كان تقدمه رجل يعرف بالباشا فرهاد ، أقام أياماً في زبيد ، ثم رجع إلى حضرة السلطان . وكان شيعيا ، يقال إنه أول من أمر بذكر الحسنين السبطين عليهما السلام في الخطبة على منبر زبيد . فجعل المطهر بن الإمام كتاباً إلى الباشا أويس ، يحرضه على التحرك على البلاد الإمامية . ولما وصلت كتب المطهر الواردة إلى أهل اليمن ، وتيقنوا أنه قد وقع الاختلاف بينه وبين أبيه وأخيه شمس الدين ، أعلنوا بالخلاف ، ومنعوا ما عندهم من الحقوق . وكانت البلاد في هذه المدة إلى شمس الدين ، بعد التفاوت بينه وبين أخيه المطهر ، فلم يرهبوا جانبه ، وإنما كانوا يخافون صولة المطهر ، ويحاذرون وثبة ذلك الأسد الغضنفر . وأما الباشا أويس فإن كتاب المطهر قدح في قلبه زناد الشوق ، وعلم أن صغير الخطب بين الإمام وولده قد شب عن الطوق ، وأنه قد ظفر بفرصة الدهر وبَعْرة[1] النحر . فنهض بجيوشه من زبيد إلى تعز ، وجرّ المدافع العظيمة . وكان الفقيه يحي بن إبراهيم النصيري في تعز ، فدافع عساكر السلطان أشد المدافعة ، وانقطعت عنهم المواد من جميع البلاد ، حتى كاد الباشا أويس يرتفع عن تعز . فكان من الأسباب الموجبة لبقائه حتى ظفر بتعز أن عامل شمس الدين ابن الإمام شرف الدين على حصن التعكُر — وهو مرجان الزبيدي —

(١) البعر ، رجيع ذوات الخف وذوات الظلف (المعجم الوسيط) .

اشتد جوره على أهل تلك الجهة ، ولم يرفق بهم فى هذا الوقت الذى ينبغى لكل عاقل أن يلين فيه ، ويعامل الرعية بما يسكن ثورانها ويطفيه ، فأخرجوه من ذلك الحصن ، وكادوا يفتكون فيه .

وكان أكثر العسكر الذين مع الفقيه يحيى النصيرى فى تعز من حبيش ، والشوافى ، وصهبان ، والعربيين . فلما بلغهم خلاف أصحابهم أهل التَعْكُر ، وطردهم عامل الإمام وولده ، خرجوا إلى مقام الباشا أويس مذعنين بالطاعة . وتتابعت القبائل الأخرى إليه ، ولم يبق فى المدينة من يحفظها ، فالتجأ الفقيه يحيى النصيرى بمن معه من عسكر أهل البلاد العليا إلى جبل صَبِر ، فوقفوا فيه بقية يومهم ، حتى جن الليل ، ثم انحدروا عنه انحدار السيل ، وتفرقوا بعد ذلك فى الأودية ، وسلك كل منهم طريقا ، فسلم من سلم ، وذهب من ذهب . ولم يخلص الفقيه يحيى النصيرى إلى مقام المطهر بن الإمام إلا بعد جهد جهيد ، وهول شديد ؛ لأنه توجه إلى المشرق[1] ثم خرج إلى حالين ، ثم إلى حلقة الحد ، ثم إلى جهة الأعماس ، ومنها إلى بلاد الحدا ، ولقى المطهر إلى بيت عذران بعد نزوله من ثلا إلى صنعاء .

وأما أهل صنعاء فداخلهم من الخوف والفزع ما أوجب انتقال بعضهم عنها بأهله ، فأنشأ خطيبها — وهو أحد الفقهاء بنى حُليفة — خطبة ذكر فيها ما ذكره صاحب تاريخ صنعاء[2] من أنها محمية ، وأن من أرادها بسوء كبّه الله . ولعل هذا من الخطيب المذكور على جهة التأنيس لأهل صنعاء ، وإلاّ فقد نالها من الحوادث الكبار ما ليس يخاف على من له أدنى معرفة بالأخبار . ولو لم يكن إلا ما نال أهلها أيام وردسان وأيام دخول الجراكسة ، لكان كافيا فى الفتنة وشدة المحنة .

وأما الباشا أويس فإنه دخل تعز بجيوشه بكرة يوم عيد الأضحى العاشر

---

(١) المشرق : اسم مخلاف باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) تاريخ صنعاء ، لاسحق بن جرير الصنعانى ، ذكره الجندى ، وقال انه كتاب لطيف به فوائد جمة . (كشف الظنون ، ج ١ ص ١٧٦)

من ذى الحجة من هذه السنة . ومن عجيب ما جرى ، وغريب ما حدث وطرأ ، أنه بلغ الإمام شرف الدين خبر دخوله تعز عند منصرفه من صلاة العيد فى ذلك اليوم ، فيكون مقدار ما بين دخول الباشا إلى تعز ووصول الخبر إلى صنعاء أقل من أربع ساعات .

ولما تحقق الإمام شرف الدين وولده شمس الدين دخول الجند السلطانى إلى تعز ، علموا أنهم أساءوا بمعاداة المطهر ، وصح لهم خطأ ذلك الرأى وتقرر ، وأن فى العجل الزلل ، وقد سبق السيف العذل ، فما برحوا فى إقدام وإحجام ، وإسراح وإلجام ، وتارة يرجحون تقديم استعطاف المطهر والاعتذار إليه مما جرى ، ليقع الانتقام به على هذا الحادث الذى طرأ ، وتارة يعرضون عن هذا الرأى لما يظنونه من تجسد الحقد فى قلبه بسبب ما سلف منهم من معاداته وحربه . ولم يزالوا كذلك حتى قال لهم بعض من حضر ، من أهل النظر « اعلموا أن أهل الحكمة من الأطباء ، ذكروا أن العليل إذا أصيب بعلتين مختلفتين حَسُن منه أن يبدأ بعلاج أشدهما خطراً ، وأنشد فى المعنى :

إن العليل إذا ألم بجسمه   داءان مختلفان داوى الأخطرا

وقد علمت أن العساكر السلطانية ، والأجناد العثمانية ، ليس لها فى هذا الوقت حركة إلى هذه الديار ، إذ هم فى شغلٍ شاغل عن افتتاح المعاقل ، فالرأى تقديم الخصم الذى جرعتموه الغصص ، وترقبتم فيه الفرص ، وها هو منكم بمرأى ومسمع ، يطلب الوقيعة بكم ، وكأنى به قد أوقع » فقالوا له : « نعم ما دللت عليه وأشرت براجح عقلك إليه » ثم جعلوا كتاباً إلى المطهر اشتمل على لطف الاستعطاف وبذل الإنصاف ، والحثّ على الائتلاف ، وترك الخلاف ، والاستعداد إلى المراد ، وأن عند الشدائد تذهب الأحقاد . فلما وصل الكتاب إلى المطهر وهو فى ثلا ، أنشد متمثلا :

وإذا تكون كريهة أدعى لها   وإذا يُحاش الجيش يُدعى جندبُ

ثم أجاب بما معناه ، إنى لا أدفع عنكم شراً ، ولا أسد ثغراً ، ولا أقاتل العدو ، ولا أمنع من أرادكم بسوء ، إلاّ بتسليم صنعاء ، وجميع الحصون ، وما فيها من المخزون والعدة والسلاح وآلة الحرب والكفاح . فلما وصل جوابه ، وما شرطه وطلبه ، لم يجدوا

بدأً من إجابته إلى ماطلب ، وتسليم مااقترح عليهم وأوجب ، وفى الطرف قذى وفى الحلق شجا :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من ربٍّ بهن ظنين

ثم إن الإمام شرف الدين عليه السلام انتقل بجميع أهله إلى حصن كَوْكبان ، إذ هو مما استثناه لنفسه وولده شمس الدين، وكذلك العَرُوس ، ولولده على بن أمير المؤمنين حصن ذى مَرْمر ، ولولديه الحسن ورضى الدين كَحْلان تاج الدين وجُزع وعِرَان بنى عَسْب[1] ، وبقية البلاد والحصون للمطهر . وكان انتقال الإمام من صنعاء والجُرَاف إلى كوكبان فى شهر الحجة من هذه السنة أو فى أوائل شهر المحرم من العام القابل. قال بعضهم: ولقد أخبرنى الفقيه يحى بن أحمد البرطى عن رجل كان أخيراً مع الإمام شرف الدين فى بساتينه فى الجُرَاف « إن الإمام وأهله عزموا من الجُرَاف ، وألقوا طبايخ العيد فى تلك البساتين » .

ودخلت سنة — ٩٥٣ —

فيها توجه المطهر بن الإمام إلى صنعاء ، فاستقر فيها ، وضربت السكة باسمه ، ودخل الناس فى طاعته ، وحكمه ، وقبض على جماعة ممن تولى كثيراً من أعمال والده ، وهم مكاوش ، وصلاح حمزة ، والفقيه غالب ، واستخلص منهم ما جمعوه من الأموال الواسعة والذخائر النافعة . ثم طلب من أبيه أن يأمر أخاه عزالدين بتسليم الزاهر فى الجوف وشمس الدين بتسليم سوق آل الدعام ، فسلماها على كره منهما ، وكانا قد أنفقا فى عمارة هذين المحلين أموالا جزيلة .

وفى هذه السنة أخذ على بن سليمان البدوى صاحب خَنْفَر مدينة عدن ، واتحدت

---

(١) عسب : بفتح اوله وسكون ثانيه ، وقد ذكر الهمدانى أن ذا عسب احد اودية اليمن . (صفة جزيرة العرب ، ص ٩٥)

كلمته وكلمة الإفرنج على محاربة جند السلطان سليم . وسيأتى ذكر استيلاء الأروام على عدن ، وقتلهم هذا الرجل المتغلب عليه .

ودخلت سنة — ٩٥٤ —

فيها تجهزت العساكر السلطانية على عدن ، وحصروا على بن سليمان البدوى ، وأقبل إليهم القبطان بعدّة من الرجال الشجعان ، من عند الباشا داود صاحب مصر ، فأخذوا عدن قهراً بالسيف ، وقتلوا على بن سليمان وأكثر أصحابه ، وأسروا بقيتهم . ذكر قطب الدين فى البرق اليمانى[1] أنه سمع محمد حلبي دفتر دار مصر يفاوض داودباشا فقال « مارأينا مشبكا مثل اليمن لعسكر بأكلها ، جهزنا إليه عسكراً أذاب وديان الملح ولا يعود منهم إلا الفرد النادر . ولقد راجعنا الدفاتر من زمن إبراهيم باشا إلى الآن ، فرأينا قد جهز من مصر إلى اليمن فى هـذه المدة ثمانون ألفاً ثم لم يبق منهم ما يكمل سبعة آلاف » ، انتهى كلامه . قال قطب الدين : والذى يلوح لى أن سبب فقدها بهم ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يصعد من دعاء المظلومين الصادر عن قلوب منكسرة ليس لها ناصر إلاّ الله تعالى .

ولما ملك الجند السلطانى أكثر اليمن الأسفل ، وظفروا منهم بغاية الأمل ، وفد إليهم جماعة من أهل أرْيَاب وبنى سرحة[2] يحرضونهم على النهوض إلى اليمن الأعلى .

---

(١) هو العلامة قطب الدين محمد بن أحمد النهروانى المكى الحنفى المتوفى سنة ٩٨٨ هـ ، وقد سبقت الاشارة الى كتابه واسمه « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى »، يتناول فيه الفتح العثمانى لليمن ، ويقع فى مجلد يحوى أربعة أبواب وخاتمة ، وقد الفه للوزير سنان باشا (كشف الظنون ، ج ١ ص ٢٣٩)

ويوجد من هذا الكتاب أربع نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية أهمها تحمل أرقام (٨٢٥٦ ، ٩٤٥٠ ، ٩٥١٨ فن ح)

(٢) سرحة بطن فى بنى حليجة بن اكلب ربيعة بن عفرس •
(عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٥٠٩ ،
الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٢)

فترجح للباشا أويس تقديم أزدمر، وهو يومئذ أمير الصناجق[1] ، فنهض في أربعمائة فارس وأربعمائة راجل حتى دخل ذِمَار، وتبعه الباشا أويس يحث السير على كثرة أثقاله وصعوبة انتقاله إلى أن وصل وادي خُبَّان، فوجده أحد الجنان، أنهاره جارية، وأشجاره بالثمار دانية، فاستقر فيه. وقد كان قدّم إلى ذِمار ما يحتاج إليه المحارب من البارود والرصاص وحجار المدافع الكبار، فامتلأت صدور الناس منه هيبة ورعبا، وخوفاً وكرها، إلاّ أنه قد كان وعدهم به قبل فتح تعز. ولما طالبوه بذلك، أمر بضرب أعناق جماعة منهم، فتمالوا على قتله. وبعث أزدمر جماعة ممن عنده لإعانتهم، فدخل عليه يوماً حسن بهلوان الذى وفد على الإمام شرف الدين تلك المدة إلى مقام قد عقده لشرابه، وغفل عن تغير الدهر وانقلابه، فقتله بهلوان طمعاً فى التقدم على الأقران. ثم استمال العسكر إلى طاعته، وبسط آمالهم، وظن أن أزدمر ومن عنده من الأروام الذين فى ذِمَار يجيبونه ويقدمونه، فأظهروا إجابته، وطلبوا منه التقدم إلى ذِمَار. فلما وصل إليه خرج أزدمر فنشر صنجقاً سلطانياً، ونادى فى الناس ألا إنه من كان فى طاعة السلطان فليدخل تحت هذا الظل الممدود واللِّوى المعقود. فانثال إليه العسكر، وظهر لبهلوان الشر وتقدر، ففر فى اثنى عشر نفراً إلى أن وصل محل بلاد أنس يعرف ببنى غصين، وهم من أهل بلاد المطهر، فقتلوه ومن معه، وأتوا برأسه إلى حضرة المطهر وهو فى صنعاء، فسكن اضطراب الناس بعد قتل الباشا أويس وقاتله بهلوان، وذهب بعض البأس وهان.

ثم إن أزدمر ضبط أمر عساكر السلطان، وساس الأعيان، وأقام فى ذِمَار أياما يترقب الفرصة فى قصد صنعاء. فبينما هو كذلك إذ أتاه الخبر أن رجلا من أصحاب بهلوان يسمى حيدر وثب على زبيد فأخذها، وساعده على ذلك جماعة، وهم الكيخيا صفر، ومحمد كاشف بيت الفقيه ابن عجيل، وغيرهما. فجهز عليهم ازدمر الأمير موسى، وأمره بالقبض على كل من تعدى وأساء. فوصل إلى زبيد، وخرج لحربه حيدر وجماعته، فقبض عليهم موسى، ودخل بهم إلى زبيد بعد صلاة الجمعة. فلما استقر فى الدار

(١) الصناجق : جمع صنجق، وهو الراية أو العلم .

السلطانية ، أمر بنهب بيوت حيدر ومن يلوذ به ، واستحضر جماعة ممن نسبت إليه الإعانة على قتل الباشا أويس ، وهم أربعة عشر رجلا ، فقتل بعضهم ، ووصل إليه الأمر بقتل حيدر والكيخيا صفر ، وكاشف بيت الفقيه المقدم ذكرهم ، فقتلهم ، وزال الفساد عن زبيد .

فرجع أزدمر إلى عزمه الأول من قصد صنعاء ، فكان نهوضه إليها فى شهر جمادى الأخرة من هذه السنة . فلما قرب منها رجح المطهر بن الامام خروجه منها إلى طيبة ، لتمكينه الغارة إلى صنعاء ، وترك فيها من الأعيان ابن أخيه صلاح الدين بن شمس الدين ، والسيد حسين بن عز الدين بن الحسن بن الامام عز الدين ، والأمير حسن بن الصياد ، والسيد على بن زيد بن محمد ، والفقيه على بن حميدان ، وغيرهم من الأعيان ، بقدر مائتين وخمسين فارسا ، وثلثمائة بندقانى . وأقبل أزدمر ثانى خروج المطهر إلى طيبة ، فحط على صنعاء . وقد كان أراد المطهر تجهيز أحد إخوته على محطة السلطان الذين فى ذِمار قبل هذا الأوان ، فتمانعت الأمور ، لما بين أولاد الامام من الادواء الكامنة فى الصدور ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، وإلى الله عاقبة الأمور .

ولما استقر أزدمر خارج صنعاء كما ذكرناه آنفا ، قصده المطهر فورا ، ووقع القتال ، واشتد النزال ، فقتل من عسكر أزدمر فوق العشرين ، وخرج من فى صنعاء من جند المطهر فقتلوا جماعة ، وأخذوا خيامهم ، وانفصل القتال ، فرجع المطهر إلى السنينات . وفى اليوم الثانى ضربت مدافع الأروام على صنعاء من جهة باب السبحة ، فأثرت فى مواضع منها ، فأمر المطهر أخاه شمس الدين بالتقدم بطائفة من الجبل لمشاغلة الأروام عن حرب المدينة . فلما رأوهم أقبلوا إليهم كالسيل المنحدر ، فانهزمت تلك الطائفة بقلوب واجفة . فلما رأى المطهر ما نزل بقومه حمل بمن عنده حملات الأسود الخادرة ، والعقبان الكاسرة ، وقامت الحرب على ساق ، وضاق الخناق . ثم لم يكن بأسرع من هزيمة بعض من حضر من أعيان قواد عسكر المطهر لأمرٍ ما ، فانهزم المطهر عقيب ذلك ، وسلّمه الله من المهالك . ثم توجه إلى ثلا ، وشمس الدين إلى كوكبان .

وأما على بن الامام فإنه قد كان طلب الأذن من أخيه المطهر بالعود إلى حصنه ذى مَرْمر ، لزيارة أهله ، مع وصول الباشا أويس إلى خُبَّان . فلما وصل حصنه كتب إلى أخيه المطهر يعتذر من العود إليه . ولم يلبث أن بلغه قتل الباشا أويس وبهلوان ، فاشتد خوفه من المطهر ، وأيقن بوقوع الشر ، فتوصل إلى دفع ما وقع في نفسه من المخافة بكل ممكن . من ذلك استمالته للقبائل الداخلة فى طاعة المطهر ، وترغيبهم بالعطا ، ثم متابعة الرسل إلى محطة الأروام الذين فى ذِمَار ، يحرضهم على التقدم لحرب المطهر ، حتى كان ما كان ، والله المستعان .

رجعنا إلى ما كنا بصدده من ذكر محطة أزدمر على صنعاء ، فإنه بعد انفصال المطهر عنه ، شدد فى المحاصرة لصنعاء . وكان على خندق باب شَعُوب رجل من أهل الرحبة يعرف بالعنجرى ، فحصلت منه المساعدة للأروام بدخولهم من جانبه . فلم يشعر أهل صنعاء عند شروق شمس اليوم السابع من وصول الأروام إلاّ بالأعلام على دايرها مركوزه ، والأرماح نحوهم مهزوزه ، فعظم الخطب ، واشتد الخوف والكرب ، وارتفع الصراخ ، وضرب باذل الفتنة جرانه[1] وأناخ . وكان يوما عصيبا ، قتل فيه من أهل صنعاء أحد عشر مائه إنسان ، ونهبت البيوت ، وهتكت المحارم ، وبيعت النساء فى الأسواق ، ومنهن من زال عقلها ، ومنهن من قتلت نفسها . وفقد من أعيان صنعاء عدة ، وألوت بهم الشدة .

وكان السيد صلاح الدين بن شمس الدين — ومن عنده من الجند — قد برزوا فى أول النهار ، لمحاربة الأروام فى السائله ، ثم انهزموا فورا ، وتوجهوا إلى القصر ، وخرجوا من ساعتهم من بابه . ولم يقف أثرهم أحد من الأروام ، لاشتغالهم بأمر صنعاء ، حتى وافوا المطهر فى ثلا ، فأخبروه بما نزل بأهل صنعاء من البلاء ، فندم على ما أمرهم به من الامتناع عن مواجهة الأروام ، ولا دافع لما أراده الملك العلام .

---

(١) يقال القى فلان على هذا الأمر جرانه ، اى وطن نفسه عليه .

وحين استقر أزدمر فى المدينة ، أمر برفع السيف وترك النهب .

ولما بلغ عز الدين بن الأمام شرف الدين خبر استيلاء الجند السلطانية على صنعاء ، جمع الجيش لمحاربتهم ، واستخلف على صَعْدة الشريف محمد بن أحمد الحمزى ، والشريف حسين بن عز الدين المؤيدى ، وهو الذى كان فى صنعاء مع صلاح الدين بن شمس الدين أيام دخول الأروام إلى صنعاء ، وكان شجاعا ثابتا . ثم نهض عز الدين بجيشه إلى الظاهر فاشتدت وطأته على أهله ، وطلب منهم الرهائن . وكان أول أمر نزل به ودخل عليه النقص بسببه ، انخذال الأشراف عنه ، بمن هو على رأيهم ، ثم موالاتهم للأروام ، واجتماعهم لحربه . وكان المطهر قد كتب إليه يحثه على الانتقال من الظاهر إلى جبل عيال يزيد ، لما يخشاه عليه من غائلة العدو ، والمهلك المبيد ، فمهما كان بالقرب من وطنه المحروس ، أمكنه الأمداد له إن قصده العدو بالبؤس . ولما وصل كتاب المطهر إلى أخيه أجاب عليه بما لا يليق ، ولا ينبغى من الأخ الشقيق . وما ذاك إلاّ أن الحقد قد عم والنقص قد تم . ثم لم يكن بأسرع من هجوم الأشراف بعسكرهم ، ومن انضم إليهم من الأروام على محطة عز الدين بن الامام . ووقع القتال والصدام ، فكانت الدائرة فى ذلك اليوم على الأشراف فى جبل صبيح . ثم كتب عز الدين إلى أبيه يطلب منه المادة بالرجال والمال ، فاعتذر عليه . وبلغ المطهر ، فأدركته الشفقه على أخيه ، فكتب إلى أبيه يطلب منه الإعانه لعز الدين بإرسال شمس الدين من كَوْكبان ، وهو يلقاه فى ثلا ، فلم يجبه الامام إلى ذلك المرام ، واعتذر عليه بحاجته إلى بقاء شمس الدين لديه . وخشى المطهر إنه إذا سار من ثلا لأعانة عز الدين ، خلفه شمس الدين على ثلا . فكتب إلى عز الدين معتذرا من الوصول إليه ، بعد أن قدم إليه من المشورة ما يجب عليه .

وكان عز الدين كثير الاعجاب بخيله ورجله ، كبير التبجح برأيه وفعله ، فركن إلى من عنده من قبائل الظاهر ، ووثق منهم بالظاهر . ولما أراد القصد لمحطة الأشراف ، أرسل قائدهم — وهو الأمير ناصر بن أحمد — بعد ذلك المطاف ، إلى قبائل الظاهر ، رجلا يعرف بعامر العريجى — من أهل خُمر — يقول لهم إن الأشراف يقولون لكم إنهم إنما

وأما على بن الامام فإنه قد كان طلب الأذن من أخيه المطهر بالعود إلى حصنه ذى مَرْمر ، لزيارة أهله ، مع وصول الباشا أويس إلى خُبَّان . فلما وصل حصنه كتب إلى أخيه المطهر يعتذر من العود إليه . ولم يلبث أن بلغه قتل الباشا أويس وبهلوان ، فاشتد خوفه من المطهر ، وأيقن بوقوع الشر ، فتوصل إلى دفع ما وقع في نفسه من المخافة بكل ممكن . من ذلك استمالته للقبائل الداخلة فى طاعة المطهر ، وترغيبهم بالعطا ، ثم متابعة الرسل إلى محطة الأروام الذين فى ذِمَار ، يحرضهم على التقدم لحرب المطهر ، حتى كان ما كان ، والله المستعان .

رجعنا إلى ما كنا بصدده من ذكر محطة أزدمر على صنعاء ، فإنه بعد انفصال المطهر عنه ، شدد فى المحاصرة لصنعاء . وكان على خندق باب شَعُوب رجل من أهل الرحبة يعرف بالعنجرى ، فحصلت منه المساعدة للأروام بدخولهم من جانبه . فلم يشعر أهل صنعاء عند شروق شمس اليوم السابع من وصول الأروام إلا بالأعلام على دايرها مركوزه ، والأرماح نحوهم مهزوزه ، فعظم الخطب ، واشتد الخوف والكرب ، وارتفع الصراخ ، وضرب باذل الفتنة جرانه[1] وأناخ . وكان يوما عصيبا ، قتل فيه من أهل صنعاء أحد عشر مائه إنسان ، ونهبت البيوت ، وهتكت المحارم ، وبيعت النساء فى الأسواق ، ومنهن من زال عقلها ، ومنهن من قتلت نفسها . وفقد من أعيان صنعاء عدة ، وألوت بهم الشدة .

وكان السيد صلاح الدين بن شمس الدين — ومن عنده من الجند — قد برزوا فى أول النهار ، لمحاربة الأروام فى السائله ، ثم انهزموا فورا ، وتوجهوا إلى القصر ، وخرجوا من ساعتهم من بابه . ولم يقف أثرهم أحد من الأروام ، لاشتغالهم بأمر صنعاء ، حتى وافوا المطهر فى ثلا ، فأخبروه بما نزل بأهل صنعاء من البلاء ، فندم على ما أمرهم به من الامتناع عن مواجهة الأروام ، ولا دافع لما أراده الملك العلام .

---

(١) يقال القى فلان على هذا الأمر جرانه ، أى وطن نفسه عليه .

وحين استقر أزدمر فى المدينة ، أمر برفع السيف وترك النهب .

ولما بلغ عز الدين بن الأمام شرف الدين خبر استيلاء الجند السلطانية على صنعاء ، جمع الجيش لمحاربتهم ، واستخلف على صَعْدة الشريف محمد بن أحمد الحزى ، والشريف حسين بن عز الدين المؤيدى ، وهو الذى كان فى صنعاء مع صلاح الدين بن شمس الدين أيام دخول الأروام إلى صنعاء ، وكان شجاعا ثابتا . ثم نهض عز الدين بجيشه إلى الظاهر فاشتدت وطأته على أهله ، وطلب منهم الرهائن . وكان أول أمر نزل به ودخل عليه النقص بسببه ، انخذال الأشراف عنه ، ممن هو على رأيهم ، ثم موالاتهم للأروام ، واجتماعهم لحربه . وكان المطهر قد كتب إليه يحثه على الانتقال من الظاهر إلى جبل عيال يزيد ، لما يخشاه عليه من غائلة العدو ، والهلاك المبيد ، فيما كان بالقرب من وطنه المحروس ، أمكنه الأمداد له إن قصده العدو بالبؤس . ولما وصل كتاب المطهر إلى أخيه أجاب عليه بما لا يليق ، ولا ينبغى من الأخ الشقيق . وما ذاك إلا أن الحقد قد عم والنقص قد تم . ثم لم يكن بأسرع من هجوم الأشراف بعسكرهم ، ومن انضم إليهم من الأروام على محطة عز الدين بن الامام . ووقع القتال والصدام ، فكانت الدائرة فى ذلك اليوم على الأشراف فى جبل صبيح . ثم كتب عز الدين إلى أبيه يطلب منه المدد بالرجال والمال ، فاعتذر عليه . وبلغ المطهر ، فأدركته الشفقة على أخيه . فكتب إلى أبيه يطلب منه الإعانة لعز الدين بإرسال شمس الدين من كوكبان ، وهو يومئذ فى ثلا ، فلم يجبه الامام إلى ذلك المرام ، واعتذر عليه بحاجته إلى بقاء شمس الدين لديه . وخشى المطهر إنه إذا سار من ثلا لأعانة عز الدين ، خلفه شمس الدين على ثلا . فكتب إلى عز الدين معتذرا من الوصول إليه ، بعد أن قدم إليه من المشورة ما يجب عليه .

وكان عز الدين كثير الاعجاب بخيله ورجله ، كثير التبجح برأيه وفعله ، وركن إلى من عنده من قبائل الظاهر ، ووثق منهم بالظاهر ولما أراد القصد لمحطة الأشراف ، أرسل قائدهم — وهو الأمير ناصر بن أحمد — بعد ذلك الصف . إلى قبائل الظاهر ، رجلا يعرف بعامر العربجى — من أهل خُمر — يقول لهم إن الأشراف يقولون لكم إنهم ،

أرادوا مدافعة ولد الامام عنكم ، لما قدمكم من جوره ، وما بقى فى نفسه من الغيظ عليكم ، فإن أحببتم قيامنا معكم ، اجتمعتم على القيام معنا عليه ، وإن لم تفعلوا تركناكم وإياه ، ومضرته عليكم . فمالوا إلى هذه المقالة ، وأزمعوا على الغدر بعز الدين فى أسرع حالة . ثم توجه عز الدين لمحاربة الأشراف والأروام بتلك الأقوام ، ولم يترك فى محطته من يحفظ أثقاله وخزائنه . فحين التقى الجمعان ، وتقابل الفريقان ، وثبت قبائل الظاهر على ما فى محطته من الآلات والخيام ، فانتهبوها وأعلنوا بالفساد ، وظهر منهم الأحقاد . فانهزم عز الدين بخاصته إلى ظَفَار ، وكانت له فيه شحنة وعدة .

ولما بلغ أزدمر انحصاره فى ظَفَار ، نهض من صنعاء مبادراً ، وجرّ المدافع على ظَفَار ، فتحير عز الدين فى أمره ، وتاجاج رأيه فى صدره ، ثم بدا له الفرار من ظفار على جهة الخَفِيّة[1] . فبينما هو كذلك إذ بصارخ من أعلى القلعة يقول لمحطة الأروام « ألا إن عز الدين بن الإمام خارج من الحصن فى صورة امرأة ، فاحفظوا الطرقات » ، فرجع ، وقد أيس من الخروج ، إلا إلى يد أزدمر . ثم دار الخطاب بينه وبين أزدمر على أيدى الأشراف الحزبين بخروجه إلى أزدمر . ثم خرج فقبضه أزدمر أسيرا ، وتوجه به إلى صنعاء ، ثم أرسل به إلى الأبواب السلطانية ، مع رجل يقال له شُقَل أحمد ، كان لايبالى بسفر الروم ولا يأخذ له أهبة . فلما وصل عز الدين إلى ينبع مات فيه ، وحيداً غريباً ، لم تر عينيه قريبا . وأما شقل أحمد فتوجه إلى باب السلطان بكتاب أزدمر ، وطلب السلطان المادة لمن فى اليمن من أجناده ، ليقع التمكين من جبال هذا القطر ووهاده .

وحين تم لأزدمر قبض عز الدين بن الإمام ، خامره التيه ، وتبختر فى ناديه ، واستفحل أمره ، وعظم خطره ، فكتب إلى المطهر يطلب منه تسليم مافى يده من المعاقل ، أو مال عنها . وحصلت مراجعة بينه و بين المطهر ، على يد رجل من الأروام يسمى إبراهيم حلبي ، فأجابهم المطهر إلى تسليم ماطلبوه من النقد . فظنوا أنه قد عجز

(١) خفية : موضع فى نواحى اليمامة (ياقوت : معجم البلدان)

عن حربهم ، فأعرضوا عن ذلك المطلب ، ثم قصدوه للحرب ، وجروا المدافع ، وليس المدفع مع حماية الله بالنافع . وقد كان الأكثر من عسكر المطهر فارقوه فى ذلك الوقت لمظنة عدم الحاجة إليهم ، فلم يبق معه إلاّ الخلّص من فتيانه ووجوه أعوانه . ولما وصل الجند السلطانى محلا يعرف بالمائدة[1] ، قبلى ثلا ، حاولوا أخذ الناصرة ، وكان فيها من الحماة وأعيان الرماه شرذمة يسيرة ، غير أنها مع إعانة الله قامت مقام العصابة الكثيرة ، و (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ، واللهُ مَعَ الصَّابِرِين) . ولما امتنعت الناصرة على تلك الأجناد المتكاثرة وجهوا إليها جميع المدافع ، حتى أخذت دوائرها وحطت عمائرها ، ثم حملوا عليها حملة رجل واحد ، فثبت من فيها ثباتا أبان عن شجاعتهم ، وقوة أفئدتهم ، وقتلوا من ذلك العسكر فوق مائتى نفر . ودام القتال بين الفريقين قدر أربعين يوما . ولما علم الناس أن المطهر قد امتنع فى غيله ، وأيس محاربوه من نيله ، أتوا إليه أفواجا من كل مكان ، حتى ضاق الحال بالمحاصرين له من جند السلطان . وانقطعت عنهم المادة من كوكبان ، فطلبوا من المطهر الأمان ، ودار الخطاب فى هذا الشأن ، فطلب منهم المطهر العهود الأكيدة فى ترك الحرب المكيدة ، فأجابوه إلى ما طلب ، فأرسل المطهر إليهم السيد عماد الدين يحي بن الحسن المؤيدى ، والفقيه صلاح بن داود بن داعر لقبض العهود المطلوبة . قال السيد عيسى بن لطف الله ، رحمه الله[3] : وكان يحدّث — يعنى الفقيه صلاح بن داعر — قال لما وصلنا إلى المائدة وجدنا عسكر الروم فى ضيق وشدة ، فقابلنا أزدمر بأحسن قبول ، وكان من ذوى الرجاحة والمعقول ، واصطفت أجناده صفين ، فأخرج السيد يحي بن الحسن مصحفا ،

---

(١) المائدة : جبل باليمن (ياقوت معجم البلدان)
والمائدة — كما جاء فى المتن — محل قرب ثلا .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(٣) هو عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام يحيى شرف الدين ، أحد علماء اليمن ونبلائها ، من أهل كوكبان ، كان عالما بالأدب والتاريخ وغلب عليه علم النجوم . من كتبه « روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح » و « الأنفاس اليمنية فى الدولة المحمدية » و « الوسيلة العائقة »
(الزركلى : الأعلام ، ج ٥ ص ٢٩٢)

وكان كلما قال لأزدمر قل « والله العظيم » ، قال « والله العظيم » ، وقالت تلك العساكر « والله العظيم » . ثم قوض[1] ازدمر أطنابه ، وقلقل من ذلك المقام ركابه . ومما عَرف به ازدمر وفاء المطهر ، إعراضه عن الإيقاع به وبعسكره عقيب انفصالهم من الموضع الذى كانوا فيه ، مع ماهم عليه فى تلك الحالة من الوجل وشدة الفشل . على أن بعض ملازميه أشار عليه بذلك ، وقال إن الفرصة قد أمكنت ، فقال « قد بذلنا لهم الأمان ونكثه حلاوة الإيمان » .

ولما انفصل ازدمر عن حرب المطهر داخل شمس الدين الخوف من أخيه والحذر ، فأرسل ولده محمد بن شمس الدين إلى أخيه يطلب منه الصلح ويدمل بالتودد الُجرح ، فأجابه المطهر إلى مراده ، وعاد إلى إشفاقه ووداده .

ودخلت سنة — ٩٥٥ —

فيها نقض أزدمر الصلح الواقع بينه وبين المطهر ، ونكث العهود ، وجنح إلى قول الكاشح الحسود ، فنهض إلى البوْن ، وانضم إليه الأمير محمد بن حسين الحمزى فى مائتى فارس من أهل الجوْف . فخرج إليهم المطهر بجنده الأوفر ، ثم اقتتلوا قتالا ألان الحديد . وأضعف قوة الباسل الشديد ، آل الأمر فيه إلى انهزام لأروام والأشراف عن ذلك المصاف ، بعد أن قتل منهم عدة ، واستولى جند المطهر على مافى محطتهم من العدة . ورجع المطهر إلى موضع عزه مؤيداً منصوراً . وعاود شمس الدين الوجل ، ولازمه الفشل ، فسار بنفسه إلى صنعاء ، وبذل جهده فى تحريض الأروام على حرب أخيه الهمام ، ورجّح لهم عمارة عمران وأن يجعلوا فيه عصابة من العسكر الأعيان ، واستمد جماعة منهم للوقوف معه فى شِبَام .

---

(١) يقال قوض الصفوف والمجالس أى فرقها . (المعجم الوسيط)

فيها طلب شمس الدين من الإمام شرف الدين خروج أزدمر من صنعاء لمحاصرة بيت عِزْ القريب من كوكبان ، وكان فيه من عسكر المطهر قدر ثمانين رجلا . فوصل أزدمر فشدد فى محاصرتهم ، ورماهم بالمدافع ، فصبروا حتى نفد ماعندهم وعيل صبرهم ، ثم خرجوا على حكم أزدمر ، فأمر بضرب أعناقهم عن آخرهم ، ورجع إلى صنعاء . ثم لم يبرح يتردد إلى جهة الظاهر ، ويتربص بالمطهر الدوائر ، فلم يظفر منه بمراده ، ولاسمح الدهر بإسعاده ، فارتفع إلى جبل الظلع لمناصرة شمس الدين . ثم أراد القدوم على شمات[1] . وكانت تلك الجهة منقسمة بين المطهر وشمس الدين ، فطلب أهل شمات أصحاب المطهر المادة منه ، فأرسل إليهم جماعة من جنده مع رجل يسمى على بن داعر الملاهى . وزحف عليهم أزدمر بجنده وجياده فخرج المطهر من ثلا ، ولقاه الفقيه يحيى بن ابراهيم النصيرى من الطويلة بمن عنده من العسكر المطهرى . ووقع القتال الشديد ، والحرب الذى أذهب قوة كل بطل صنديد ، قتل فيه من الأروام فوق مائة نفر وعدة من الخيل ، ومن عند المطهر دون هذا القدر . ودهم الليل ، فافترقوا ، ورجع المطهر إلى ثلا . فصمد أهل شمات وأقبلوا ، ولم يجدوا بدا من الخروج إلى أزدمر ، فطلبوا منه الأمان ، حتى حصل الاستيلاء عليهم ، ثم مال عليهم نهباً وأسرا .

وكان فى فتك أزدمر بأهل شمات قوة للمطهر ، فإن قبائل جبل تيس والَخيْمة قد كانوا أرادوا الدخول تحت طاعة أزدمر ، فلما بلغهم ما فعل بأهل شمات انقبضوا وأعرضوا ، خوفا من غدره وجوره ومكره . ثم إن المطهر توجه عليه تارة أخرى . واجتمعت عليه القبائل ، فعلم أزدمر أنه مغلوب ، فارتفع عن تلك الجهة راجعا إلى صنعاء . وأمر بجر المدفع على الفور خشية عليه من استيلاء المطهر . فسكو به ثقيل مطلوب ، وهو ثقيل صعب ، فهلك جماعة بسببه . ولم يخلص لهم إلا بعد مشقة شديدة .

(١) شمات العليا وشمات السفلى . بقضاء الخحرية من منطقة تعز .
(انوسى اليمن الكبرى ، ص ٣٠)

دخلت سنة — ٩٥٧ —

فيها تكررت الحروب ، واشتدت الخطوب ، وسئمت النفوس ، وحضرت عندها أيام عبس وذبيان والبسوس[١] ، وذلك فيما بين المطهر بن الامام والأروام . وتغيرت أحوال اليمن ، وتكدرت صفوة الزمن ، لكثرة الفتن ، وفارق جماعة من الأعيان أوطانهم ، وانقلب عليهم زمانهم .

قال الفقيه العلامة عماد الدين يحيى بن حسن حميد — رحمه الله تعالى — فى آخر كتاب نقله بخط يده ، كان تمامه فى قرية بيت سور من بلاد الأحبوب غربى جبل القاهر ، حال الاقامة فيه بعد خروج إمامنا من صنعاء . وقال فى موضع آخر ما معناه ، ولقد ظهر علينا زمان غاب فيه ما كان ثابتا ظاهرا من إقامة الشرائع وإجراء الحق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم انعكس ذلك وصار المأمور والمنهى فى ذلك الزمان آمراً وناهياً فى هذا الأوان . وربما وافقه بعض الأمر من هناك على انكار ما تقدم منه ، ومنهم من انكر فعله ، ونزّه نفسه عن أن يكون قد أمر ونهى ، بل ربما سكت سكوتا يوهم الرضا . وبسبب ذلك لحق من بقى على الحال الأول ضرر عظيم من تلف المال ، وهتك الحرمة ، حتى انتهى الأمر إلى إخراب بعض دور من أراد الإنكار ، وهو وأهله فيها . انتهى معنى كلامه باختصار .

ودخلت سنة — ٩٥٨ —

فيها خرج ازدمر من صنعاء قاصداً حرب المطهر بن الامام ، وجر عليه المدافع . فلما وصل المنقب من بلاد همدان ، استقر فيه ، وعمر القبة القريبة من البركة لخزانته ، وهذه القبة باقية إلى الآن . ولم يقع بينه وبين المطهر حرب فى هذه الأيام ، بل كل واحد منهما حافظ لأطرافه ، مغمد لأسيافه .

---

(١) يوم البسوس ، كان من أعظم حروب العرب ، بين بكر ووائل وتغلب بن وائل . واستمرت هذه الحرب أربعين سنة . فقالت العرب « اشأم من البسوس » . (القلقشندى : نهاية الارب ، ص ٤٥٧ . ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٥٨)

وفى المصابرة ترجح للشريف صلاح بن أحمد من أهل الطويلة ضبط الحصن ، فعامل جماعة من أهل مَرَابض[1] وكتب إلى أهل لاعة ، وظن أن المطهر مشغول عنه بمقاتلة الأروام . ثم رقى بمن معه إلى الحصن على حين غفلة ، فاستولوا على القفلة ، — وكان فى أحد أماكنها رجل من بنى العباس يقال له نزار — فرموا به إلى خارج الحصن . وعرف أهل الطويلة بما فعل ، فأقبلوا بأجمعهم إلى تحت الحصن ، وحصروه فيه ، ثم كتبوا إلى المطهر بصفة الأمر . وكان المطهر لا يحتقر عدوه وإن كان ضعيفا ، فخرج من ثلا مبادراً حتى وصل محلا قريبا من حصن الطويلة ، يقال له أحزان الأهزام ، فوقف . فلما شاهد ذلك الشريف — جيش المطهر — عضّ على يديه ، وضرب من الندم لصدريه ، ولم يقرْبِهِ قرار ولا ساعده اصطبار ، فطاب النزول على حكم المطهر . ولما وصل إليه لاَمَهُ على فعله ، ثم أمر بأصحابه الذين ساعدوه فربطت أرجلهم إلى جمال ، ثم سحبوا على وجوههم فى تلك الطرقات الخشنة ، حتى تقطعت أجسادهم ، وذهب سوادهم . ثم ركب من ساعته ، وألزم بإركاب ذلك الشريف على بغلة ، فتلكأ عن الركوب ، فأشار المطهر إلى رجل يسمى محمد الخياطى أن يضرب عنقه ، فضربه ضربات لم تجد شيئا ، فعمد عليه عبد من عبيد ركاب المطهر فضربه ضربة واحدة ، أبان بها رأسه ، ثم ترك جسده ملقى على وجه الأرض . قال السيد عيسى بن لطف الله : رأيت قبر هذا الرجل في عرم حربه على غير أساليب القبور ، فسألت رجلا من ذوى الأسنان العالية[2] يسمى محمد بن رفيق الله ، فقال لى « أنا الذى قبرته على هذه الهيئة ، ومعى شخص آخر بعد عزم المطهر ، فجمعت أحجارا وواريت شخصه بها ، فهو كما ترى من ذلك الزمان إلى هذا الأوان » . فعجبت من لعب الدنيا بأهلها وانخداعهم بأفلاك[3] . انتهى أكثر كلامه .

---

(١) مرابض : قرية قريبة من الطويلة
(عيسى بن لطف الله روح الروح ص ٧٦ ب)

(٢) أى سأل رجلا مسنا .

(٣) هذه العبارة غير واضحة بالنسخ ، واعتمدنا فى تصحيحها على ما ورد فى « روح الروح » لعيسى بن لطف الله ، ورقة ٧٦ ب

وفى هذه السنة قدم الباشا مصطفى ـ المعروف بمصطفى نشار ـ إلى أرض اليمن ، عن أمر السلطان سليمان بن سليم خان ، وصحبته شُقل أحمد ، العادم[1] بعز الدين بن الإمام فى المدة الماضية . وكان الإفرنج ـ خذلهم الله ـ قد أخذوا أرض الحبشة فى هذه المدة ، واستولوا على بلاد المسلمين الذين فيها . فلما وصل الباشا مصطفى نشار إلى تهامة ، لبس للمطهر أثواب المخادعة ، وأظهر أنه ماوصل إلاّ لأجل المدنة والموادعة ، وأن السلطان أمره أن يرفع جميع من فى اليمن من الأروام لقتال الإفرنج المتغلبين على الحبشة .

ولما وصل تعز ، أرسل إلى المطهر برسالة من السلطان سليمان بن سليم ، أولها : «هذا مثالنا الشريف السامى السلطانى، وخطابنا المنيف العالى الخاقانى ، لازال نافذاً مطاعاً بالعون الربانى واليُمن الصمدانى » . وهى طويلة ، يحثه فيها على الدخول فى طاعته ، ويحذره عن مخالفته . وجعل الباشا مصطفى كتاباً إلى المطهر يطلب منه إرسال جماعة من أعيان أصحابه ليودعهم ماأودعه السلطان ، فأرسل المطهر إليه الأمير الحسين بن محمد من بنى الهادى ، والفقيه صلاح بن داعر ، وأصحبهما جواباً على مصطفى وجواباً على السلطان سليمان بن سليم ، أنشأه السيد البليغ عماد الدين بن يحيى بن الحسن بن عز الدين المؤيدى على لسان المطهر ، أوله ، بعد البسملة « الحمد لله الذى نور شموس الإسلام وأطلعها ، وفجر عيون معين الشريعة النبوية وأنبعها ، وفتح أكمام ثمار السعادة الأبدية وأينعها » وهو جواب بليغ طويل ، ليس هذا موضعه . وحين وصل رسل المطهر إلى تعز ، قابلهم الباشا مصطفى بالإكرام والتجليل والإعظام ، وأظهر المسرة بوصولهم ، وحقق لهم مافى نفسه من محبه الصلاح . ثم أرجعهما إلى المطهر ، وأرسل معهما رجلا من أعيان علماء الشافعية ، يقال له الشيخ أحمد بن عثمان العمودى ، ليعرف ما عند المطهر

---

(١) عدم المال عدما ، أى فقده ، فهو عادم . والمقصود بالعبارة أن شقل أحمد كان مكلفا باصطحاب عز الدين بن الامام ـ بعد أسره ـ الى السلطان العثمانى . ولكن عز الدين توفى فى الطريق فى ينبع ، كما مر بنا ، وبذلك عدمه شقل أحمد ، أى فقده .

من الطاعة للسلطان أو عدمها . فلما وصلوا إلى محطة أزدمر فى المنقب ، منع رسول مصطفى عن الوصول إلى المطهر ، وقال له « ستطلع على حقيقة الأمر » .

ثم إن الباشا مصطفى نهض من تعز إلى اليمن الأعلى ، فلقاه أزدمر إلى ذِمَار ، وقد كان الباشا مصطفى كتب إلى المطهر يشعره بخروجه من تعز ، وأنه يرسل إليه أحد أولاده يلقاه إلى ذِمَار . فلما وصل ذِمَار ، واجتمع فيها بأزدمر ، حرضه أزدمر على حرب المطهر ، فانتظر الباشا مصطفى وصول أحد أولاد المطهر فلم يصل ، لأن المطهر لم يستحسن إرسال أحد أولاده قبل معرفة الحقائق ، بل أجاب على الباشا مصطفى إن ذلك لا يكون إلا بعد عقد الصلح ، وتسليم ما وصل به من السلطان من الخلع والسنجق . فلما وصل هذا الجواب على مصطفى علم أن حيلته لم تعمل فى المطهر شيئاً . واجتمع رأيه ورأى أزدمر على مناصرة المطهر ، فأرسلا المدفع الذى فى تعز ، وتقدما إلى المنقب . وكان شمس الدين فى العَرُوس فاستدعياه ، فوصل إليهما ، ودار بينهم كلام كثير فى شأن المطهر . ثم إن الباشتين[1] عزما بكتاب إلى المطهر يشتمل على تخشين وتليين . وأن الرأى إرسال أحد أولاده إلى مقام سلطان الإسلام ، كما فعل الشريف صاحب مكة المشرفة حين أرسل ولده إلى الديار المصرية عند دخول السلطان إليها ، وأن الشاه إسماعيل صاحب العجم[2] لما امتنع عن الدخول تحت طاعة السلطان قصده بنفسه ، فأخذ بلاده وأهلك جموعه وفؤاده ، فى كلام كثير هذا معناه .

وأرسلا بهذا الكتاب إلى المطهر ، ثم عقباه بإرسال رجل من أعيان أصحابهم يقال له بهرام الدفتر دار إلى حضرة المطهر لتمام القواعد . فلما وصل قريب مدينة ثلا منعه الموكلون بحفظ الطريق من أصحاب المطهر عن النفوذ إليه ، إلا بعد أخذ رأيه : وكان رجلا عظيماً فى نفسه ، فشمخ بأنفه وتكبر ، فرجع إلى أصحابه مغاضباً ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا . ولما وصل بهرام إلى الباشتين وأخبرهما أنه منع عن المقصود ، نهضا من

---

(١) يبدو من سياق المعنى أنه يقصد بالباشتين مصطفى باشا وأزدمر .
(٢) يقصد اسماعيل الصفوى .

ساعتهما ، وأمرا بجر المدافع ، وتقدما إلى محل منكل فخيما فيه ، وتكررت المراسلة بينهم وبين المطهر فى شأن الهدنة وترك الفتنة . وكاد الأمر يتم . ثم تعقبه اختلاف من أحد الباشتين ، وظن أن ذلك التوفيق مختص به دون غيره .

ودخلت سنة — ٩٥٩ —

فى المحرم منها نهض الباشا مصطفى بعسكره إلى رأس المعينين[١] ، فلم يلقه أحد من أصحاب المطهر . وكان أزدمر قد تأخر عنه ، وجنح إلى الهدنة ، وإطفاء نار الفتنة ، بعد أن أثارها وأطار شرارها . فلم علما استقرار مصطفى فى المحل المذكور من غير قتال ، منعه فى الحال ، فلبثا فى ذلك المخيم أربعة أيام . ثم إن المطهر وجه لمحاربتهما ابن أخيه صلاح الدين بن شمس الدين ، والسيد الماجد الحسين بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين المؤيدى ، والفقيه المجاهد يحيى بن ابراهيم النصيرى ، فى عسكر عظيم إلى المشهد القريب من مدينة ثلا . فوقعت بين الفريقين الحروب ، واشتدت الخطوب ، وتعاظمت الكروب ، وثبت جند المطهر ثباتاً لم يعرف مثله فى الأيام الماضية ، والأعوام الخالية ، مع كثرة أجناد السلطان ، واتساع آلات حربهم من المدافع والزيارات[٢] وغيرها ، حتى إن جند المطهر اتخذوا لهم أخاديد فى الأرض يعتصمون بها من أحجار المدافع . واشتدت المداناة بين الفريقين ، وكاد أن ينصل سواد الفيلقين ، وقتل من أصحاب المطهر عدة معدودة ، وأمة حميدة مفقودة ، من أعيانهم السيد الهمام الحسين بن عز الدين المؤيدى ، والشيخ محمد بن عبد الله العبيدى ، وغيرهم .

---

(١) المعينان : موضع فى مخلاف أقيان باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب . ص ١٠٧) .

(٢) فى المتن الزيارط ، والصحيح الزيارات ومفردها زيار ، وهو آلة حربية ضخمة تستخدم فى رمى النفط وغيره من القذائف على العدو . وتحمل كل أربعة زيارات على عجلة . ويكون فى كل زيار ثلاثة جروخ لرمى القذائف وخمسة طبول لتنظيم الرمى .

(Dozy : Supp. Dict. Ar.).

وفى خلال تلك المصابرة أصيب الفقيه يحيى بن إبراهيم النصيرى ، وعنده جماعة من قبائل الظاهر فى محل يسمى مخلف[1]، فانهزموا ، وخلا ذلك المحل عن جماعته . فتوجهت إليه طائفة من الأروام ، فلم يشعر جند المطهر - وهم فى محاجيهم - إلا والسيف عامل فيهم ، فانهزموا أيضاً . وكان المطهر فى محل من المدينة يعرف بباب الحاميت ، فلما رأى ما نزل بقومه ارتفع لوقته إلى الحصن ، فوجد الباب قد غص بالرجال والنساء والأطفال ، وقد صاروا فى أمر مريج ، فرقى على الأعناق ، وقد التفت الساق بالساق . ومات فى الزحمة عدة ، وكان يوماً عبوساً قمطريرا . وأما جند السلطان ، فإنهم اشتغلوا بنهب المدينة عن لحاق أهلها ، فكان ذلك من الألطاف ، فإن المطهر أمر أهل ثلا بالخروج فوراً إلى جَنْب يأمنون على أنفسهم وأهليهم ، قبل أن تصدهم الأجناد السلطانية عن الذهاب ، ويتمكن الخلل على المحصورين ببقائهم أجمعين ، فساروا فى نجاة وأمان ، ولم يبق عند المطهر إلا من يعتمد عليه ، ويفتقر فى القتال إليه . ثم إنه جعل فى الناصرة ابن أخيه صلاح الدين بن شمس الدين ، فى أعيان العسكر .

وأحاطت أجناد السلطان بثلا إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر . ودام القتال ، وثبت وطال ، وجرى بين الفريقين حروب يقصر عن وصفها الواصفون ، ويعجز عن رقمها الكاتبون . وتوصل أجناد السلطان إلى أخذ الناصرة بكل ممكن ، حتى أنهم حفروا حفيرا فى أحد جوانبها ، وما برحوا مجتهدين فى حفرة حتى انتهوا إلى قريب وسط الناصرة . وكانوا يحفرون بالليل ويتركون النهار ، ففطن لهم بعض حفظة الحصن ، بأن سمع وقع الفأس فى الحجر ، فأشعر بذلك صلاح بن شمس الدين ، فتقدم به إلى عمه المطهر فأعلنه الخبر ، فأمر المطهر أن يحفروا أمام ذلك الحفير من داخل الناصرة ، ففعلوا حتى أفضوا إلى ذلك الحفير ، ثم أمر المطهر جماعة من شجعان عسكره أن يكمنوا فيه . فلما وصل الحفارون ومن معهم من الأروام إلى ذلك الغار كعادتهم ، لم يشعروا إلا بلمعان السيوف ، فنجا من نجا ، وهلك من هلك .

(١) ذكر الهمدانى وياقوت « المخلفة » وهو موضع فى أرض حجور باليمن .

ولما اشتدّ الحرب وعبس ، وأطبق ليله وعسعس ، وطال الكفاح ، وضاقت الأرواح ، وعظمت الشدّة ، وامتدت فى الحرب المدة ، عرض أزدمر بالصلح ، ومداواة ذلك الجرح . وأرسل إلى الأمير ناصر بن أحمد الحزى يطلب منه السعى فى الصلح بينه وبين المطهر ؛ فانعقد الصلح على أن المطهر يترك للسلطان الطويلة وبلادها ، وبقية بلاده وحصونه له . وتقرر الأمر على هذا ، ووضعت الحرب أوزارها . ثم إن أزدمر عقد للمطهر لواء سلطانياً ، واجتمع بالمطهر فى عارضة حصن ثلا ، ومعه شمس الدين ابن الإمام شرف الدين . ولما اتفق المطهر وازدمر تعانقا ، فقال شمس الدين : « يا لكما من جبلين اصطدما ، أو بحرين التطما » ثم صنع لهم المطهر ضيافة سنية أحضر فيها أنواع المأكول ، والفواكه الطرية ، فعجب أزدمر مما رأى مع طول المحاصرة ، وتعهد كل منهما للآخر . ودخل مصطفى عقيب ذلك ، فلم يحصل بينه وبين المطهر من الإنس مثلما حصل بينه وبين أزدمر ، ثم انفصل الباشا بعد تقرير القواعد ، وقوضا خيامهما ، وأمرا بجر المدافع ، ورجعا إلى صنعاء .

ثم توجه مصطفى إلى الأبواب السلطانية ، وخرج عقيبه أزدمر لاستفتاح اليمن الأسفل والتهائم ، حتى انتهى إلى جازان . وكذلك المطهر توجه إلى تمهيد بلاده ، لأن أهلها قد كانوا نزعوا أيديهم عن الطاعة ، مع اشتغال المطهر بقتال الأروام ، خصوصاً أهل حبر الشرف ، فقصدهم وأخرب قراهم ، فها هى خاربة إلى هذا الزمان . والموجود فى هذا الأوان قرى غير تلك القرى ، والله أعلم .

وكانت جملة الوقائع فيما بين المطهر وأزدمر نحو أربعين وقعة . ومن عجيب ما اتفق فى حال حصار أزدمر ومصطفى للمطهر — على ما ذكره السيد عيسى بن لطف الله فى تاريخه — أن أزدمر سأل الشيخ الماهر المحقق عبد الرحيم بن محمد التبريزى ، وكان لا يفارق مقامه ، ما معناه : « هل تظفر بالمطهر » . فقال : « لا » ، فقال : « هل يملك اليمن مرة أخرى » فقال : « آخذ الطالع وأنظر المطالع وآتيك بالجواب » . فلما أخذ الارتفاع وجد الطالع فى ذلك الوقت برج العقرب ، والشمس فى ذلك اليوم فى ثمانية وعشرين درجة من

برج الأسد فى بيت قوبها[1] ، فقال : « نعم يملك اليمن سنتين ونصف » . فقال له : « من أين أخذت ذلك ؟ » فقال « الشمس فى العاشر من بيتها وقوبها ، وإذا كانت كذلك دل على أن المسئول عنه عظيم القدر بعيد الصيت ، ولكونها كذلك يدل على أنه يملك القطر اليمانى » فقال : « من أين علمت المدة ؟ » فقال : « الباقى للشمس في برج الأسد درجتان ونصف ، والبرج ثابت دليل السنين ، فعرفت من جهة التيسير أن لكل درجة سنة ويبقى نصف درجة فقلت نصف سنة » . واتفق ما ذكره التبريزى على ما سنذكره فى موضعه . وهذه من نوادر أهل هذا العلم ، وعجيب ما يتفق لهم . ونحن نقول إن التأثير لمكون الكائنات ، وخالق الباريات ، ورب النجم يفعل ما يشاء .

ودخلت سنة — ٩٦٠ —

فيها دعا السيد الحسن بن حمزة بن على بن محمد بن سليمان القاسمى فى بلاد شَطَب ، وتلقب بالمهدى . وكان الإمام شرف الدين قد انتقل من كوكبان إلى ظَفِير حَجَّة ، فلم يزل فيه إلى أن توفى فى التاريخ الآتى ذكره . وكف بصره فى آخر مدته ، فجعل رسالة إلى بلاده ، وقف عليها جماعة من العلماء الملازمين لحضرته ، كالقاضى يحيى ابن محمد بن حسن المقرانى ، والزريقى ، وغيرهما ، وعهد بأمر الإمامة إلى ولده على ابن أمير المؤمنين ، لما توسمه فيه من القيام بأمرها ، فلم يتم ذلك ، لدخول الجميع تحت كنف المطهر. فجعل الإمام شرف الدين رسالة أخرى إلى آل المؤيد أهل صعدة خاصة ، يحرضهم فيها على إقامة من يصلح للقيام بأمر الإمامة والرياسة العامة ، وأشار إلى إقامة السيد العلامة أحمد بن عز الدين بن الحسن المؤيدى ، أو السيد بدر الدين بن محمد بن يحيى ابن أحمد بن الإمام عز الدين ، وأخبرهم بما قد ابتلى به من ذهاب البصر . فأجابوا عليه بجواب مضمونه أنه لا يمكنهم نصب إمام مع وجوده ، فإنه إن ذهب بصره ففيه من

---

(١) القاب المقدار ، والقاب من القوس ما بين المقبض وطرف القوس ، وقوب البيض ، وقوب الكوكب منزله ومداره ونحوه .

الخير والتدبير ما لم يكن فى غيره من أهل العصر الأخير . فعاد جوابه بإلزامهم ما لمح إليه ، فحينئذ رجح الحاضرون إقامة السيد أحمد بن عز الدين ، وأجابوا على الإمام شرف الدين ، فشكرهم على ما صنعوه ، واستحسن ما فعلوه .

واستقام الأمر للإمام أحمد بن عز الدين فى جهات صَعْدة ، وبلغت دعوته إلى بلاد الأهنوم وعذر والسَّوْدة ، وقبض عماله واجبات تلك البلاد . ثم إن الأمير ناصر بن أحمد الحمزى ، نابذه ، وجرت بينهما حروب شديدة ، آل الأمر فيها إلى استيلاء الأمير ناصر ابن أحمد على صَعْدة ، فتوجه الإمام إلى الحَرَجة واستقر فيها . وتوجه السيد أحمد بن الحسين بن عز الدين إلى أزدمر ، وهو يومئذ فى أبى عريش ، فطلب منه الإعانة على الأشراف الحمزيين ، فوعده بذلك إلى وصوله صنعاء .

ومع عود أزدمر من تهامة ، استفتح رِيمَة ووَصاب وعُتُمة[1]. ولما استقر فى صنعاء ، جهز مع السيد أحمد بن الحسين الأمير اسكندر فى عدة من الجند ، فكانت طريقهم على تهامة . ولما وصلوا أطراف بلاد صَعْدة قصدهم الأشراف ، ووقع الحرب بينهم ، فكانت الدائرة على الأشراف ، فانهزموا . وفى خلال ذلك وصل أزدمر بنفسه قاصداً لصَعْدة ، ففر الأمير ناصر بن أحمد إلى الجوْف . وحصل مع أهل صعدة عند وصول أزدمر مالا يزيد عليه من الخوف ، فأمنهم ، ودخل صَعْدة ، فلبث فيها مدة ، ثم استعمل عليها الأمير اسكندر ، وجعل الأعمال الشامية إلى السيد أحمد بن الحسين ، وعاد إلى صنعاء .

وأما السيد الحسن حمزة القاسمى ، فلم يزل يتردد فى بلاد شَظَب والأهنوم ، ولم ينتظم له أمر فى تلك الجهة لقوة يد المطهر عليها ، حتى طلب له جماعة من المشايخ وبنى المعافا[2]

---

(١) عتمة : بضم أوله وثانيه ، حصن فى جبال وصاب من أعمال زبيد .
(ياقوت : معجم البلدان)

(٢) كذا فى المتن بالألف . والمعافى بطن من الجفيل من أهل الحجلة ، من الزكاريط ، من عيدة ، من شمر القحطانية . وهناك أيضا بنو معافى . وهم بطن من يزيد بن زغبة من هلال بن عامر من العدنانية . وهؤلاء استقروا فى شمال افريقية .
(كحالة : ج ٣ ص ١١٥ ، تاريخ ابن خلدون ، الغزاوى : عشائر العراق) .

الأمان من المطهر ، فأمنه ، وأمر بعمارة بيته فى شطب ، وأجرى عليه الكفاية ، فتوفى بعد مضى نصف شهر من بعد تمام الصلح بينه وبين المطهر .

ودخلت سنة — ٩٦١ —

فيها بلغ أزدمر عزله عن اليمن بمصطفى نشار ، فكتم الأمر وأخذ فى التأهب للسير إلى الروم .

ودخلت سنة — ٩٦٢ —

فيها نهض أزدمر متوجهاً إلى أبواب السلطان ، وجعل طريقه على بلاد الحبشة . ثم سار منها إلى مصر عن طريق البر ، قهراً على ساكنيه من بدو الحبشة . ولما وصل الروم حسّن للسلطان فتح الحبشة ، وطلب منه الإذن له فى ذلك ، فأذن له ، وأمر على باشا عامله على مصر أن يُعينه ، فأعانه بثلاثة آلاف نفر من العسكر . وارتحل أزدمر من مصر إلى الحبشة عن طريق البر التى سلكها أولا ، فاستفتح سواحل الحبشة ، وبنى فيها قلاعاً حصينة ، ولم يزل فيها إلى أن مات . ومن مآثره فى اليمن القبة القريبة من باب شَعُوب فى مدينة صنعاء ، ووقف عليها وقفاً جيداً .

وفى هذه السنة قدم الباشا مصطفى نشار إلى اليمن ، فسارع باسعاد المطهر بن الإمام بوصوله بولاية اليمن . وطلب من شمس الدين بن الإمام الوصول إليه فى تهامة . فأرسل إليه ولده الأمير محمد بن شمس الدين ، فوافاه فى بيت الفقيه ابن حسين ، وأقام عنده أياماً . فظهر له من نفثات مصطفى ما غير خاطره ، فرجع إلى والده ، وأخبره بما رآه وتممه . ثم أشار عليه بمسالمة المطهر ، فجنح إلى ذلك ، وأرسل إلى صلاح الدين بن شمس الدين إلى ثلا ، وأمره أن يسعى بينه وبين أخيه المطهر بالصلح ، ففعل . وتم الأمر بينهما على أتم الوجوه . وكان المطهر تلك المدة فى الرُّغيل فانتقل شمس الدين إليه ببعض عسكره .

ولبث أياماً فى الرُغيل[1] ، ثم خرج منه لطيافة بلاده . فلم يزل يتنقل فيها حتى وصل برَاش من بلاد الطويلة ، فشرع به المرض ، واستمر كذلك إلى شهر صفر من العام القابل . ثم توفى رحمه الله تعالى ، ونقل إلى كوكبان ، فدفن فيه ، وكتموا موته عن والده عليه السلام . ومن مآثره مدرسة فى ذِمَار .

وأما الباشا مصطفى فابتدأه المرض قبل دخوله زبيد ، فحمل إليها ، ومات فيها .

وفى هذه السنة ارتفع أسعار الطعام فى اليمن ، حتى بلغ الزبدى الصنعانى من البُرّ[2] أربعين أوقية ، والأوقية حرفان[3] من دراهم الوقت ، وبلغ الزبدى الذرة بثلاثين أوقية . وكان القدح الصنعانى فى ذلك الوقت يأتى نصف قدح فى زمننا هذا . واستمر القحط إلى آخر هذه السنة .

وفيها وقع الخلاف بين السيد أحمد بن الحسين والأمير اسكندر ، العامل على صَعْدة من أيام أزدمر . وحصل حرب شديد بين المذكور وأصحاب اسكندر ، انهزم فيه أصحاب الاسكندر ، فخرج من صَعْدة بنفسه إلى محل يعرف بالعينا[4] . وأقبل الإمام أحمد بن عز الدين معيناً للسيد أحمد بن الحسين فى ثمانين فارساً من خيل الشام ، فانهزم اسكندر إلى صَعْدة ، ثم قصد إلى الحضاير فقصده السيد أحمد بن الحسين . وكانت بينهما وقعة عظيمة ، انهزم فى آخرها اسكندر ، وتعقبها خروج الأروام من صنعاء لحرب السيد أحمد ابن الحسين ، فكتب المطهر بن الإمام إليه وإلى الإمام أحمد بن عز الدين ، أن الأروام

---

(١) كذا فى الأصل ، والرغيل تصغير رغل وهو نبات حامض ورقه مفتول . والرغيل اسم موضع .

(٢) البر بالضم : حب القمح

(٣) الحرف ـ بالضم ـ حب كالخردلة . والحبة حرفة . قال الصنعانى الحرف حب الرشاد (لسان العرب) .

(٤) كذا فى المتن . وذكر ياقوت ما نصه « عينان اسم جبل باليمن . بينه وبين غمدان ثلاثة أميال » . (معجم البلدان) .

قد توجهت إليكم بجيش عظيم ، فانظروا لأنفسكم . فرجع الإمام أحمد بن عز الدين إلى الحَرَجة وسار السيد أحمد بن الحسين بأهله إلى مقام المطهر فأكرمه غاية الإكرام ، وأسكنه حصن الجاهلي من بلاد حَجّة .

ودخلت سنة — ٩٦٣ —

فيها أقام الأروام الذين في زبيد لأمرهم الأمير سليمان الدفتردار بعهد من مصطفى نشار ، فغلب عليه الأمير أمرزة بن نصوح كاشف تعز ، ومنعه عن التصرف ، وضبط البلاد . ولما خالف عليه أهل وصَاب قصدهم ، وأوقع بهم وقعة منكرة ، وأخرب ديارهم . وقتل الفقيه العارف عبد الوهاب الخولاني الشافعي ، وكان عليه مدار أهل وصَاب في الفتيا وفصل القضايا . ولم يزل أمرزة متغلباً على تعز وأعمالها حتى قدم الباشا مصطفى غرة ، من الأبواب السلطانية بولاية اليمن ، فدخل صنعاء في أواخر هذه السنة ، وهو أبو الباشا رضوان وبهرام الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٩٦٤ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٩٦٥ —

فيها اقترن الثقلان ـ زحل والمشترى ـ في برج الحمل ، ووقع طاعون في صنعاء ذهب منه أكثر أعيانها . وفي ليلة الأحد السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة مات الإمام الأعظم والطود الشامخ الأشم ، أمير المؤمنين يحيى شرف الدين بن شمس الدين . في حصن الظفير . ودفن في قبته التي بناها لنفسه بالقرب من قبة جده الإمام المهدى لدين الله أحمد بن يحيى . عليه السلام . وحضر موته من أولاده الأكرمين المطهر وعبد الله ورضى الدين . ومن مآثره عليه السلام مسجد الأزهر بصنعاء ، وقد تقدم ذكره . ومنها توسيع مسجد الأجذم وغيره ، ووقف على الجميع وقوفات متسعة . ولقد كانت دولة هذا الإمام غرة

فى وجه الزمان ، وحسنة لم تسمح بها الأيام ، إلا فى ذلك الأوان ، عُمرت فيها ربوع الدين ، وشيدت أركان شريعة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وآله الأكرمين ، وظهر الحق وبسق ، وذهب الباطل وزهق . ومع هذا فلم ينس نصيبه من الدنيا على الوجه اللائق ، بحاله المعروف من سيرة أمثاله ، مثل الترفيه على النفس والأهل والأولاد والأصحاب والأمجاد والعلماء الأعلام والأعيان الكرام . ولقد بنى فى صنعاء والجُراف والروْضَة المبانى العجيبة ، المحفوفة بالبساتين الروحية ، المشتملة على أصناف الأشجار المتدلية بأنواع الثمار . من ذلك حصن فاضل فى أعلى حَدّة بنى شهاب ، اشتمل على منازل عدة وساحات ممتدة ، ولم يبرح يتنقل فى تلك الحدائق والمبانى ، ويفك من أيدى الزمان الأسير والعانى ، ويقصده من العفاة القاصى والدانى ، حتى قصدته الأيام بقسط من نوائبها ، وأجليتْ عليه بخيلها وركابها ، إلى أن مضى لسبيله حميداً فقيدا ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيرا ، وعوضه جنة وحريرا ، آمين .

وفى هذه السنة مات الشيخ العارف عبد الرحيم التبريزى ، وخرج فى جنازته الباشا مصطفى غرة . وقد تقدم ذكر هذا الرجل وصحبته لأزدمر ، وهو الذى أهدى للمطهر بن الإمام كتاب الأسباب والعلامات فى الطب ، بشرحه المرقوم بخط مصنفه ابن نفيس المصرى[1] .

ودخلت سنة — ٩٦٦ —

لم يحدث فيها ما يوجب الرقم والإثبات بالرسم .

---

(١) هو على بن أبى الحزم القرشى الدمشقى المصرى الشافعى ، المعروف بابن النفيس . طبيب مشارك فى الفقه والأصول والحديث والعربية . من تصانيفه الشامل فى الطب ، والرسالة الكاملية فى السيرة النبوية ، وبغية الطالبين وحجة المتطلبين . كان رئيسا للمستشفى الناصرى بالقاهرة ، وتوفى فى مصر فى ذى القعدة سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) (كحالة : معجم المؤلفين ، ج ٧ ص ٥٨)

ودخلت سنة — ٩٦٧ —

فى المحرم منها بلغ الباشا مصطفى غرة عزله عن اليمن ، بالباشا محمود ، فتجهز للمسير إلى الروم وكان عادلا ، بالنظر إلى غيره من نواب السلطان . وفى صفر قدم محمود إلى اليمن ، وكان جباراً سفاكا للدماء ، فأول ما اتفق منه فتكه بالفقيه عبد الملك اليمنى ، أمير دار الضرب ، واستولى على جميع أمواله ، وقتل معه الكيخيا كيوان ، بسبب ما جرى بينهما من غش السكة بالنحاس . وجعل على عهده كيوان الكيخيا مراد ، وهو الذى صار باشا فى اليمن ، كما سيأتى .

ودخلت سنة — ٩٦٨ —

فيها وصل الباشا محمود إلى صنعاء ، وأرسل إلى المطهر رجلا من النبلاء لتقرير قواعد الصلح ، فقابله المطهر بالإكرام ، وخلع عليه وأعطاه .

وفى آخر السنة جهز الباشا محمود الأمير اسكندر بن حسام الكردى بطائفة من الجند السلطانى ، لمحاربة الفقيه على بن عبد الرحمن النظارى ، صاحب حصن حَبّ .

ودخلت سنة — ٩٦٩ —

فى المحرم منها تجهز الباشا محمود لمحاربة النظارى ، وقد كان وقع حرب فيما بين الأمير اسكندر والنظارى فى جبل الشَّعر ، انهزم فيه عسكر النظارى ، إلى حصن حَبّ . وتقدم محمود إلى قريب حَبّ ، فخيم هنالك ، وأحاطت عساكره بحصن حَبّ من كل جانب ، وحاصروه حصاراً منع الذاهب والآيب . وكان النظارى قد ملأ حصنه من اللفيف الذين لا فائدة فيهم غير اتلاف المشحون وإذهاب المصون . فشتد عليهم الخطب ، ونزل بهم الكرب ، وقلت عليهم الماء . وشحت السماء . فعرف النظارى أن نظره قد أخطأ بجمعه ذلك اللفيف والعدد الكثيف ، فمال إلى طلب الصلح على يد الأمير محمد بن عبد الله بن جعفر الداعى الإسماعيلى — وكان جبارا ماكرا — فدار الكلام على أن النظارى يخرج بأهله وجميع ما عنده إلى حيث يريدون .

ولما تقرر الصلح ، أرسل النطارى ولده إلى حضرة محمود ، فكساه وعظمه ، وأعطاه عهداً على تمام ماشرع من الصلح . وفى اليوم الثانى نزل النطارى إلى محمود بجماعة من عبيده وأعيان أصحابه ، فأمر محمود بضرب أعناق الجميع فى ذلك الموقف . وارتفع من فوره إلى الحصن، فاستولى على جميع مافيه من النفائس والذخائر، وسبيت حريم النطارى، وبيعت جواريه فى الأسواق ، وقاسى بقية أهله أنواع المشاق . وكانت هذه القصة من أعظم مساوئ محمود فى أرض اليمن . وسبب ذلك تحسين الإسماعيلى لمحمود ، وحمله على الغدر الممقوت فى الدنيا وفى اليوم الموعود . وقد جزاه الله تعالى بعقوبة من جنس فعله ، سيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى .

ودخلت سنة — ٩٧٠ —

لم يحدث فيها نكتة طريفة ، ولا قصة لطيفة .

ودخلت سنة — ٩٧١ —

فيها وصل إلى صنعاء أمير يقال له القَرْمَانى ، يدعى أن فى يده مرسوما من السلطان فى ولاية اليمن. وكان الباشا محمود يومئذ فى تعز . وفى صنعاء نائب من جهته، وهو الأمير محمد بن حسن قزل باش . فلما ظهر له عدم صحة دعوى القَرْمانى أمر بمحاصرته ، وقد كان قبض دار الجامع ، وظن أنه قد أخذ من المدينة بالجامع . وفى خلال المحاصرة فتح بعض كُوى[1] الدار لحاجة ، فلاح شخصه لرجل من المحاصرين له ، فرماه ذلك الرجل ، وهو من أهل شَعُوب ، فأورده مورْد شَعوب[2] . وكان ذلك آخر العهد بذلك الأمير الكذوب .

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة توفى السيد المجاهد صلاح الدين بن شمس الدين ،

---

(١) الكو والكوة : الخرق فى الجدار ، يدخل منه الهواء والضوء ، والجمع كوى وكوات (المعجم الوسيط) .

(٢) شعوب بفتح اوله ، علم على المنية (المعجم الوسيط) .

رحمه الله تعالى. وكانت وفاته فى مدينة ثلا، ودفن فى القبة المعروفة بقبة صلاح، عدنى[1] حصن ثلا. وحزنه عمه المطهر حزنا عظيما، لأنه لم يزل مطيعاً له، وكان له مع عمه مواقف من الحروب معدودة محمودة، جزاه الله خيرا.

وفى هذه السنة مات الأمير ناصر بن أحمد الحزى فى الزاهر، ومات ولده صالح بن ناصر — أحد أنصار المطهر — فى الدار الحمراء من قصر صنعاء.

وفيها قتل الباشا محمود الأمير اسكندر بن حسام الكردى المقدم ذكره. وكان أميراً سَرِياً، ذا عقل وتدبير ومعروف كبير، له المآثر الحسَنَة فى السُبل والمناهل، منها بركة حوْرة[2] فى حَجَّة، وبركة فى الصفقين[3] من بلاد حفاش، وأصلح بركة مِتْنة، وقبة مسبّلة للماء فى باب السبحة، وغير ذلك. ولما بلغ المطهر خبر قتله تعب عليه، وقال: والله أنه يضاق على الرجل العاقل ولو كان من جانب الغير.

وفيها وقعت ديمة وطفا[4]، أقامت نحو شهر، فخربت منها الدور وتشعبت القصور وهلاك خلق كثير، فسبحان العلى الكبير.

ودخلت سنة — ٩٧٢ —

فى رجب منها توجه الباشا محمود إلى الأبواب السلطانية، لما بلغه عزله وقدوم الباشا رضوان بولاية اليمن من جهة السلطان.

---

(١) كذا فى المتن بالدال والنون المنقوطة. وربما كان المقصود بها أن هذه القبة تقع قرب حصن ثلا من ناحية عدن.

(٢) حورة: موضع فى حضرموت اليمن.
(الهمدانى: صفة جزيرة العرب، ص ٦٨، ٨٨)

(٣) الصفقين: موضع فى بلاد حفاش قرب صنعاء.
(الويسى: اليمن الكبرى، ص ١٥٩٣)

(٤) الديمة: المطر الغزير، والمقصود بطفا أن الماء طفا فأحدث طوفانا.

فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة توفى السيد العلامة ، الفطن الفهامة ، صاحب التصانيف المفيدة ، المشتملة على الأنظار السديدة ، فخر الدين بن عبد الله المفضل بن أمير المؤمنين يحيي شرف الدين ، عليه وعلى آبائه الأكرمين أفضل سلام رب العالمين . وكانت وفاته ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، فى مدينة ثلا .

وفى هذه السنة مات الأمير بهرام ، النائب فى صَعْدة من أيام الباشا مصطفى ، وكان أميراً هماما ثابتاً متداما ، وهو الذى بنى الدار العظيمة فى صنعاء التى أخربها الوزير سنان ، لما عمل الزحافة على كوكبان ، كما سيأتى تحقيقه فى موضعه ، إن شاء الله .

وفيها قدم الباشا رضوان إلى اليمن ، فدخل صنعاء فى ربيع الآخر بأبهة عظيمة ، وتيه كبير ، وجيش جرار ، وعسكر مختار . ولم يفعل كفعل من تقدمه ، من المسارعة بالكتب إلى المطهر ، بل ربما أطمعته بالاستيلاء على المطهر وأخذ بلاده بالقهر . وبعد مضى مدة من وصوله إلى صنعاء ترجح له إرسال القاضى صالح الكورانى إلى حضرة المطهر . وكان هذا القاضى من خواص أصحاب رضوان ، وأعيان جلسائه ، وأعظمهم رتبة ، وأجلهم قدرا ، لما هو عليه من الذكاء والفطنة ، والمشاركة فى كثير من العلوم الأدبية وغيرها . غير أنه كان معجبا بنفسه ، نابها على أبناء جنسه . ولما أراد صاحبه إرساله إلى المطهر ، قدم إشارة مشعرة بذلك ، فأجاب المطهر بالاسعاد إلى وصوله إليه ؛ ولكن بعد المرور على أخيه على ابن الامام ، صاحب ذى مرمر فى تلك الأيام . فتوجه القاضى صالح إلى هنالك ، فقابله على ابن الامام بالاجلال والاكرام ، وجرت بينهما مذاكرة علمية ، ومباحث أدبية . وبعد أن لبث عنده أياما ، أراد التوجه إلى المطهر ، فقال له على ابن الامام ما معناه « اعلم أيها القاضى أن من حسن الصحبة وتمام العشرة حُسن المشورة ، وأنت عازم إلى رجل ألمعى ، يعرف دقيق الإشارة وخفى الرمز فى العبارة ، فإياك والاسترسال فى المقال ، ومعاملته بالإدلال ، وأن تقيس حاله بحالنا ، ومقامه بمقامنا .

فأما نحن وإياك ، فقد رفعت عناية المودة حجاب المحافظة ، وحصل الأنس بيننا وبينك مع كثرة المحادثة والمفاوضة » .

ولما وصل مقام المطهر ابن الامام ، قابله بالاكرام . وقد كان المطهر جمع لوصوله عامة أجناده ، وعيون أهل بلاده ، وضرب مخيما عظيما ، فدخل القاضى ومن معه من أصحاب الباشا رضوان ، وأطلقوا ما بعث به الباشا معهم من الكسوات والرسالة إلى المطهر . وأجازهم المطهر بمثلما وصلوا به من الحال النفيسة ، وصرفهم إلى دار عجيبة ، وأجرى عليهم الكفاية الفاضلة . وبعد مضى ثلاثة أيام من وصولهم ، طلب المطهر القاضى صالح ، وسأله عن موجب قدومه ، فأجابه بما أودعه الباشا رضوان من الأمور الخارجة عن قواعد الإصلاحات المتقدمة ، واسترسل القاضى فى كلامه إلى مالا يعنيه . فقال المطهر ما معناه ، « إن كان الصلح على ما مرت عليه الأعوام وكمل به النظام ، فذلك غاية المطلوب ونهاية المرام ، وإن كنتم تريدون الفتنة وإثارة المحنة ومعاملتى بالحيف ، فما عندى لكم غير السيف . فارجع إلى صاحبك وإياك أن تحمله على نقض الصلح فيندم » .

ولما رجع القاضى صالح إلى الباشا رضوان سأله عن حل المطهر وصفته ، فقال : « شخص ماله فى المخيلة نظير ، وكلام مهيب كأنه زئير » . ثم ما زال يحسن لرضوان نقض الصلح ، وأن المطهر منطو على الشر ، وإن لم يظهر له فى تلك الحال أثر ، فانخدع رضوان بكلامه ومال ، وكان فى عاقبته الخسران والوبال .

قال السيد عيسى بن لطف الله فى تاريخه : حدثنى بعض المتعلقين بخدمة المطهر ، قال : « كنت أختلف إلى صنعاء فى تلك الأيام ، وأنا كأحد الأنام لا يؤبه لى ، ولا يعرف منزلى ، لاجتنابى الناس ، وعدم اختلاطى بغير الأجناس ، إلا أنها جرت لى المعرفة بالقاضى الكورانى ، وجرتنى إليه بعض المصالح . وكان له ميل إلى العلوم وأصحابها ، وإلى الآداب وأربابها ، فنم بى إلى الباشا بعض الأعدى ، وأوهمه أن صنعاء غير بلادى ، وأن إقامتى فيها لعلة ، وخبط ذهنه بأقوال مضلة ، فلم أشعر إلا برسول من مقامه . فلما وصلت إليه ، قال لى : « دسك المطهر إلى هذه المدينة عينا وجاسوسا عينه .

تهدى إليه الأخبار وتُعلمه بما كان وصار ». فقلت « والذى شرف قدرك وأعلى ذكرك ، ما أنا من أهل هذه البضاعة ، ولا من أرباب هذه الصناعة ، وإن كان للمطهر من ياينه بالأخبار ، فهم فى حيّز الاضمار » . قال « أيظن المطهر الغافل أنى اتركه ولدىّ هذه الجحافل ؟ أوْ يظن أنى آخذ دياره بالمدافع وأتربص الوقائع ؟ والله لا آخذنّها إلاّ بالسيوف ، ولا أفتحنّها إلاّ بالألوف » . فقلت « أيدك الله وبلّغك » . وفى خلال ذلك دخل القاضى الكورانى ، فعرف ما دار بينى وبين رضوان من الكلام فى هذا الشأن ، فقال « هذا بمعزل عما اتهمتموه ، فلا تأخذوه بزور ولا تظلموه » . فلما سمع كلام القاضى رأيت فى محياه دلائل العفو والتغاضى . ثم خرجت وقد لفظنى الأسد من لهواته ، ووقانى الله من سطواته » .

ولما تغيرت من رضوان النية ، اشتدت وطأته على جهات همدان الإسماعيلية ، ففزعوا إلى جناب المطهر ، وتفيأوا ظلاله من هجير ذلك الحر . وكان وادى السر الأعلى إلى على ابن الإمام ، وهو داخل فى ضمن صلحهم العام ، فوجه إليه الباشا كاشفا ، صارَ منه بالُ علىٍّ كاسفاً ؛ فأمر على بن الامام جماعة من أحزابه فقتلوه .

ولما بلغ الباشا قتله ، جهز فى الحال طائفة من تلك الفيالق ، على مقدمتها ثلاثة من السناجق . جملة معترضه : قال قطب الدين فى البرق اليمانى : ولما رفع رضوان إلى مسامع السلطان ما كان عليه الباشا الأول ــ وهو محمود ــ من قبيح السيرة وخبث السريرة . لم يزل محمود يذكر لوزراء السلطان ويتوسل بهم إليه فى كل آوان أن اليمن قطر متباعد ، لا يكفى فى ضبطه الباشا الواحد ، حتى أثر كلامه ، فبعث السلطان إلى اليمن الباشا مُراد وجعل إليه نصف ولاية اليمن . انتهى .

ودخلت سنة ــ ٩٧٤ ــ

فيها مات السلطان سليمان بن سليم خان بن بايزيد ، وتولى بعده السلطان سليم ابن سليمان[١] .

(١) سليم الثانى بن سليمان القانونى (٩٧٤ ــ ٩٨٢ هـ)

وفيها جمع المطهر الأجناد ، وبعث رسله ورسائله إلى جميع البلاد ، ووجه ابن أخيه الحسين بن شمس الدين إلى بلاد الظاهر ، بطائفة من العساكر ، فاستقر في محل يقال له سكن ، ففارق طرف الباشا لذيذ الوسَن[1] ، ومَسّه الشجن[2] ، خوفا على صَعْدة من عموم الشدة ، فأمر أمراءه المجهزين على بلاد على ابن الامام بالتقدم على محطة الحسين بن شمس الدين . ولما التقى الجمعان ، وتقابل الفريقان ، انهزم عسكر الحسين ، وحل بهم الجبن ، واجتزت رءوس جماعة منهم ، فأصدق الحسين الحملة ، واسترجع رءوس أصحابه ، وانهزم عسكر الباشا إلى عُمْران .

وكتب المطهر إلى السيد أحمد بن الحسين المؤيدى ، والأمير محمد بن ناصر الحمزى يأمرهما بالتقدم على صَعْدة ، وفيها من قبل الأروام الأمير شيخ على ، فخرج منها بأمان ، وجعل طريقه الجوف حتى وافى صنعاء . واستولى السيد أحمد بن حسين والأمير محمد ابن ناصر على صَعْـدة ، ولبثا على ذلك مدة ، وسيأتى ذكر ما جرى بينهما من الاختلاف .

وأما الباشا رضوان ، فإنه ، جهز عسكراً إلى جبل بيت خَوْلان ، فأمر المطهر ابن أخيه الأمير محمد بن شمس الدين بالنهوض لمحاربتهم ، ففعل . ولم يزل يغاديهم بالحرب ، ويراوحهم ، حتى هزمهم إلى صنعاء . وقد كان وثب أهل جَنْب على الكاشف الذى بعثه الباشا رضوان لقبض خراج بلادهم فقتلوه ، لما بلغهم وصول مراد . وتقدم محمد بن شمس الدين إلى جهة حَرَاز فاستفتحها ، وانهزم من فيها من الأروام إلى صنعاء . واشتعلت نار الفتنة على رضوان من كل جانب ومكان . وعلم القاضى صبح الكورانى أن رأيه قد عاد على رضوان بالنقصان ، فطلب منه الإذن بالعود إلى بلاده خشية على نفسه من البلق[3] عند تضايق الخطب واشتداده ، فاذن له الباشا ووافقه على ما يشاء .

---

(١) الوسن : الوطر والحاجة

(٢) الشجن : الهم والحزن ، أو الحاجة المساعدة . (المعجم الوسيط) .

(٣) بلق الرجل ، تحير ودهش ، فهو بلق .

ولما بلغ المطهر عزمه ، بالغ فى قبضه ، فلم يظفر به . وكان قصد المطهر الإيقاع به ، لأنه الذى أثار الفتنة بزخرفه وكذبه . ولما عرف الباشا رضوان عجزه عن حرب المطهر مال إلى الموادعة ، فأجابه المطهر على تسليم شيء من البلاد خارجا عما قد استولى عليه أيام الحرب والجلاد . وكان تمام هذا الصلح على يدى رجل من أعيان أصحاب رضوان ، وهو الـكيخيا المسيح . ودخل تحت وطأة المطهر من البلاد نُهم وخَوْلان ، والخدا ، وقيفة ، وبلاد ذى مَرْمر ، والخَشَب ، والظواهر ، وحَرَاز ، وحُفَـاش . وأُخرجت الرهائن من حبس الأروام ، وكان تمام هذا الصلح فى شهر رجب من هذه السنة .

وفى القعدة منها خرج الباشا رضوان من صنعاء متوجها إلى الأبواب السلطانية ، فزحف المطهر بجنوده وألويته وبنوده على صنعاء ، حتى حط أثقاله فى رَيْعان ، وملأ بجنوده تلك القيعان ، وقدم ابن أخيه محمد بن شمس الدين إلى بيت خَوْلان ، وواجه جميع بلاد الحَيْمة والمخلاف وبنى مطر ، ووصل إليه الناس أفواجا . ثم تقدم إلى عِصْر فى ذى الحجة ، واتضحت له من الفتوحات المحجة .

وكان فى صنعاء من أمراء الأروام ستة عشر أميرا ، وهم الأمير محمد بن حسن قزل باش ، والأمير محمد قرا كور ، والأمير شيخ على عامل صعدة ، والأمير حسن ، والأمير جعفر ، والأمير حمزة ، والأمير يوسف ، والأمير الناصر ، والأمير القاضى ، والأمير كيوان ، والأمير محمود ، والأمير سنان الأعرج ، والأمير على طويل ، والأمير عبد الله الجعفرى ، والأمير محمد بن إسماعيل الداعى وولده حسن ، ومن الجند عدد كثير . فأحاطت بها جنود المطهر إحاطة الجفون بالأحداق ، والقلائد بالأعناق ، ووجه إلى ريمه ابن حميد أخاه عليا ، وأمره بحفظ الطرقات بكرة وعشيا ، ثم وجه الأمير أحمد الهمْدَانى إلى جهات خُبَّان ، بعصابة من العسكر الأعيان .

وبلغ الباشا مراد حصار صنعاء ومن فيها ، فشمر ساق عزمه لئلا فيها ، حتى وصل ذِمَار بعسكر جرار . ثم قدم أمامه أميرا يعرف بالأمير أحمد المجنون ، بجند وعدة ، وخيل معدة . فوجه المطهر للقائه الحسين بن شمس الدين ، ووقع الحرب بينهم ضحوة يوم

الأضحى ، فى ذراع الكلاب[1] ، فأصدق جند الحسين فى الأروام الطعن والضرب ، وقتل الأمير أحمد واجتز رأسه ، ونهبت أحماله وأثقاله ، واضمحل بأسه .

ولما بلغ أهل اليمن قتل الأمير أحمد فى الذراع ، وظهر لهم الخبر وشاع ، أعلنوا بذكر المطهر ، ونوهوا باسمه على كل منبر ، ومالوا على من عندهم من الأروام ، وحكموا فيهم الحسام . وبلغ الأمير على عامل زُبيد خبر تلك الواقعة ، فنهض من زُبيد بجمع غير مفيد ، حتى وصل الحجرية[2] فلم يتم له ما يريد .

وانقطع الباشا مراد فى ذِمَار ، فلم يجد بداً من الفرار ، وترك أثقاله وخزائنه وأحماله . فلما وصل الشَلاَلَة[3] أقبل إليه الأمير أحمد البَعْدَانى ، بعد أن استصرخ عليه أهل تلك البلاد ، وأمر بإجراء الماء فى طريق مراد . فلازموه بالحرب ، وعسر على خيله قطع تلك الحماة اللازبه ، فعمل فيهم السيف ، وقتل الباشا مراد ومن معه من الأجناد .

تنبيه :

قد كان الأمير محمد بن عبد الله اليامى المقدم ذكره عند ذكر قضية النطارى مع الباشا محمود ، أراد الفرار إلى المطهر ابن الإمام قبل خروج الباشا رضوان من صنعاء ، ولكنه شُغل عن المسارعه بكثرة أمواله وسعة أثقاله ، فلم يبرح بين إقدام وإحجام ، وإسراع وإلجام ، حتى فطن الباشا رضوان لما أضمره اليامى من العصيان ، بسبب أنه كشف سره وحقيقة أمره للأمير محمد بن اسماعيل الداعى . وكانت بينهما عداوة متقدمة ، وأحقاد مؤلمة ، فنقل الأمير محمد بن اسماعيل للباشا جميع ما أفهمه به اليامى .

---

(١) ذكر ياقوت والهمدانى رأس الكلب ، وهو جبل . كما ذكر ياقوت أن الذراع هضبة . وربما كان ذراع الكلب المذكور هنا موضع قرب رأس الكلب ، ان لم يكن هو بعينه .

(٢) الحجرية : موضع فى وادى ريما من أرض السراة باليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٢)

(٣) جاء فى معجم البلدان لياقوت أن الشلالتين قرية باليمن من ناحية مخلاف سنحان ، ولعلهما قريتان متجاورتان تعرف الواحدة باسم الشلالة .

فقبض عليه الباشا وأودعه السجن فى الدار الحمراء ، وأخذ جميع أمواله وذخائرة ، وكانت جملة مستكثرة . وحين خرج الباشا من صنعاء متوجها إلى الروم ، خاف الأمير محمد بن اسماعيل من خروج محمد بن عبد الله اليامى من السجن ، فتبع الباشا إلى ريمة ابن حميد ، وحسّن له قتل اليامى ، وأوهمه عود ضرره على السلطنة إن ترك . فأمر الباشا رجلا من أصحابه بالعود لقتله ، ففعل ، وجزاه الله مثل ما فعل بالنطارى، وهكذا عقاب كل متجارى . وكان قتله فى ذى القعدة من هذه السنة ، فبين مقتله ومقتل النطارى خمسة أعوام كأنها طيف أحلام . وبين قتله وموت محمد بن إسماعيل الداعى خمسة أعوام كذلك . فبعداً للمغتر بهذه الدار التى ما برحت ترمى أبناءها بالموابق الكبار .

ولما قتل محمد بن عبد الله اليامى ، انتقل اخوته ومن يلوذ بهم إلى حضرة المطهر ، فقابلهم بالرفق والمعروف ، وحباهم بإحسانه المألوف .

ودخلت سنة — ٩٧٥ —

فى المحرم منها قدم الأمير أحمد البَغدانى برأس الباشا مراد إلى مخيم المطهر بعِصْر ، فأرسل المطهر بالرأس إلى المحصورين فى صنعاء ، فداخلهم الفشل ، واشتد بهم الوجل ، وطلبوا من المطهر الأمان ، فأجابهم إلى مرادهم ، وجنح إلى إسعادهم . ثم خرجوا إليه بأجمعهم ، وكانت خيلهم يومئذ ستمائة فرس ، وعسكرهم زهاء ألفى نفر من الأروام وغيرهم ، فقابلهم المطهر بالإكرام ، وحباهم بالإحسان العام ، إلا الأمير محمد بن اسماعيل الداعى وولده وأخاه عبد الله ، فإنه قبض عليهم ، وأمر بهم إلى السجن فى صنعاء .

وكان خروج الأروام إلى مخيم المطهر بعِصْر فى العشر الأول من صفر من هذه السنة ، فأخذ عليهم العهود المؤكدة ، وأرجعهم إلى صنعاء . ولبث فى مخيمه إلى اليوم العشرين من هذا الشهر ، ثم دخل صنعاء دخولا معظما ، تحفه الجنود ، وتخفق على رأسه الرايات والبنود . فابتدأ بالجامع الكبير بخاصة أصحابه ، ومن يتعلق بأهدابه ، وتقدم أولاده بالعسكر إلى القصر . ولما استقر فى صنعاء ، وأقبلت عليه الوفود أفراداً وجمعا

بعث عماله إلى الجهات ، لقبض الواجبات ، فوجه إلى عدن الأمير قاسم بن الشويع فسار إليها ، واستولى عليها . وأمره المطهر بعمارة مدرسة ومنارة فيها . وجعل ولاية تعز وجهاتها إلى الأمير على بن الشويع ، وعقد لولده لطف الله ولاية على إبّ وجِبْلَة وحَبّ وما والاها . ثم استفتح ريمة ووَصَاب وبُرع وأكثر تهامة ، وجازان إلى جزيرة فى البحر تسمى فَرَسان[1] . وكان فتح بيت الفقيه ابن حسين وتهامة على يد الشريف عيسى بن المهدى ، وأمره المطهر بجر بعض المدافع من جازان .

وفى هذه السنة قتل محمود باشا الذى قتل النطارى فى حصن حَبّ باليمن كما تقدم ذكره ، وكان قتله فى مصر ، رماه بعض العسكر ببندق ، وفى تاريخ قتله يقول بعض الشعراء :

إن محمود قتله بغتة كان موعظة قيل أرخت قتله قلت تاريخه عظة

وفى هذه السنة وصل الباشا حسن — المعروف بأزمن حسن — بولاية اليمن ، فاستقر فى زبيد ، حائر الفكرة ، ظاهر الحسرة . وسارع برفع الخبر إلى مسامع السلطان ، وطلب منه المبادرة بالعساكر والفرسان .

ودخلت سنة — ٩٧٦ —

فيها ثقلت وطأة الباشا حسن على أهل زُبيد ، ونالهم منه الأمر الشديد ، والسبب أنه لم يبق فى يده من البلاد غير زبيد ، فألجأته الضرورة إلى مصادرتهم وتحصيل ما يحتاجه الجند من جهتها . قال قطب الدين : وكان هذا الفعل من أعظم سيئات حسن باشا فى اليمن ، وبسببه خرج كثير من أهل زبيد متفرقين فى البلاد . ومن جملة من صدره

---

(١) فرسان ، من جزائر اليمن . وفرسان قبيلة من تغلب كانوا قديما نصارى ، ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت على أيام ياقوت

(معجم البلدان)

الفقيه عبد الرحمن المحروق — وكان من أعيان كتاب الديوان — فأخذ جميع ما فى يده، ثم قتله وصلبه على باب داره، وترك أولاده عالة لا يملكون شيئاً .

وفى هذه السنة أمر المطهر بن الإمام، الأمير على بن الشويع، بالتقدم على من فى زبيد، فتقدم بجيش لهام، يملأ السهل والآكام، حتى وافى قرية السلامة[1] . وكان فى حَيْس عصابة من الأروام مع أمير يقال له أمر الله، فوقعت بينهم وبين الأمير على بن الشويع حروب وخطوب . فأمدهم الباشا حسن بطائفة ممن عنده مع الأمير فيروز . ووقع الحرب بين الفريقين، فانهزم الأروام، ودارت عليهم كئوس الحمام، وأخذ من خيلهم نحو الأربعين، واستولى الأمير على بن الشويع على حَيْس . ورفع الخبر إلى المطهر، فأمره أن يتخذ حَيْسَ وطناً، ويجعلها مسكناً، ويحسم المواد عن زبيد، ويقطع من مسالكها الاوداج والوريد . فلم يعتمد رأى ولى أمره، بل خالفه وأعجب بنفسه، ونهض إلى زبيد بذلك الجيش العديد . وكان الباشا حسن قد جمع العساكر المتفرقة فى التهايم، وتأهب للقتال . ولما ورد عليه الأمير على برز إليه بتلك الجموع، ووقع بين الفريقين قتال عظيم عامة ذلك النهار، ثم رجع كل فريق إلى موضعه . وفى اليوم الثانى خرجت العساكر السلطانية بعد اجتماع شملها، واتصال فرعها بأصلها، فانهزم الأمير على بن الشويع بجموعه، وأفل نجم سعده بعد طلوعه، وقتل من عسكره ثلثمائة رجل، وقتل تحت الأمير على حصانه، فأركبه شريف من أصحابه على جواده، بعد أن كادت المنية تذهب بسواده . ولما وصل إلى حَيْس، لم يستقر بها، بل خرج من فوره إلى تعز، وقد نقصت منه القوة والعز، واضطرب أهل الحجرية وتشوشوا للخلاف على الأجناد المطهرية . فأمر المطهر بقبض رئيسهم أحمد بن عبد الوهاب الحجرى، فقبض فى جماعة من أصحابه، وأرسل بهم إلى صنعاء تحت الحفظ .

وأما الباشا حسن فإنه كتب إلى حضرة السلطان بعد عوده إلى زبيد، يستنهض

---

(١) السلامة : قرية قرب حيس باليمن .
(الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٦٣)

الغارة ، ويستعجل الجيوش الجرارة . وقد كان السلطان أمده بالباشا مصطفى من مصر ، فلم تقو نفسه على الخروج إلى اليمن ، ومال إلى الموادعة والسكون والدعة ، وجعل كتاباً إلى المطهر بن الإمام يحثه على مسالمة السلطان ، وسلوك محجة الأمان . وأرسل به من طريق الشريف صاحب مكة ؛ فأجاب عليه المطهر بجواب لم يفده شيئاً . فجهز إلى اليمن الباشا عثمان بن أزدمر ، فدخل زبيد فى العشر الوسطى من جمادى الأخرى من هذه السنة. ولما استقر فى زبيد أمر بالمناقشة على الباشا حسن ، والفحص عن جملة ما قبضه من أهل زبيد ، ثم إرجاعه لهم . فغضب الباشا حسن ، وتوجه إلى مصر ، فلقاه الوزير الأعظم سنان ، فاستجار به من عثمان ، فأمره بملازمته ، والعودة فى صحبته إلى اليمن ، ففعل .

وفى هذه المدة وجدت كتب ، فعلها الأمراء من الأروام فى صنعاء إلى الباشا عثمان بن أزدمر الواصل إلى زبيد ، يحثونه على المسارعة بالنهوض إلى اليمن الأعلى . وكانت الطرقات محفوظة ، فقبضت تلك الكتب ، وأوصلت إلى المطهر ، فطلب أولئك الأمراء ، وعاتبهم على الغدر وعدم الوفاء بالعهد . ثم أمر بهم إلى دار الاعتقال ، وقبض مافى أيديهم من الأموال .

وقد كان نمى إلى مسامع المطهر خبر تجهيز العساكر السلطانية ، والسناجق الخاقانية ، من الروم ومصر إلى اليمن ، لأنها كانت لها عيون وجواسيس تغلغل فى تلك الجهات ، وتأتيه بالأخبار فى جميع الأوقات . وفى خلال ذلك وصل إليه كتاب من الأمير على بن الشويع عامل تعز ، يطلب منه المبادرة بالغارة ، ويعرفه أن الباشا عثمان متوجه إليه من زبيد ، فجمع المطهر الأجناد من جميع البلاد ، وطلب الخيل الجياد من كافة الأغوار والأنجاد . وجعل أمير تلك السرية ، والناظر فى أمرهم بكرة وعشية ، ابن أخيه الأمير محمد بن شمس الدين ، وكان شجاعاً مقداماً ، خلا أن رأيه فى تدبير الحرب غير سديد ، ونظره فى مكايده كنظر الغر [1] البليد . فإنه لما تجهز بتلك الأجناد التى ملأت الحقل والبلاد ، والخزائن الجليلة والأموال الواسعة الجزيلة ، لم يزل يتأنى فى المسير

---

(١) الغر : من ينخدع اذا خدع (المعجم الوسيط)

ويتأخر عن القدوم أى تأخير ، حتى أخذ الباشا عثمان مدينة تعز عنوة ، وأذهب عن ساكنيها القوة . والتجأ بعض أصحاب المطهر إلى القاهرة ، لما غشيتهم تلك الجنود المتكاثرة . وأما الأمير على بن الشويع ، فخرج من تعز إلى محطة محمد بن شمس الدين ، وأقام الباشا عثمان على من فى القاهرة الحصار فى الليل والنهار .

ولما بلغ المطهر دخول الأروام إلى تعز ، قام وقعد وأبرق وأرعد ، وطلب بقية العرب ، فانتخب منهم كل همام أغلب ، وجهزهم إلى محمد بن شمس الدين صحبة أولاده — لطف الله ، وحفظ الله ، والهادى — ، وكانوا ثلاثة يتزين بهم النادى ، وتهابهم الليوث العوادى . ولما وصلت إلى محمد بن شمس الدين هذه الزيادة ، ووافته من عمه هذه المادة ، وقد انضم إلى الجميع قبائل البلاد اليمنية والجهات الشافعية ، نهض من مخيمه بجيش كالغمام ، كتائب قد ملأت السهل والآكام ، حتى استقر فى محل يعرف بالجبل الأغبر[1] ، فضرب فيه مخيمه ، وتطير من ذلك الاسم من تطير . ثم اجتمعت إليه الأكابر من أمراء العساكر ، وأشاروا عليه بالتحول عن ذلك المحل ، وأن يقدم الأمير على بن الشويع إلى المذاخر[2] وأحد أولاد المطهر إلى جبل صبر ، وتبقى فئة للجميع . فلم يلتفت إلى كلامهم ، بل أمر الأمير على بن الشويع بالتقدم إلى جبل حبش[3] ، وهو محل لا يقصده العدو للمحاربة فى صباح ولا عشاء . ثم إنه شحّ على الأجناد وحَبَسَ عنهم الخزائن ، فانطووا له على الأحقاد . وتقدم بعد ذلك إلى الحظيرية[4] بتلك السرية ، وبدا له الدخول إلى القاهرة بطائفة قليلة من أصحابه .

---

(١) الأغبر : جبل بالجوف الأعلى باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١١٠ ، ١١٧)

(٢) المذاخر : بلدة باقليم تعز قرب جبل صبر
(ابن الديبع : بغية المستفيد ، ص ١٨)

(٣) ذكر الهمدانى رأس الحبش ، وهو موضع فى سراة المصانع من جبل السراة باليمن (صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩)

(٤) كذا فى المتن فى نسختى المخطوطة بالظاء أما فى أنباء الزمن للمؤلف وكذلك فى روح الروح لعيسى بن لطف الله فقد كتبت الحضيرية بالضاد .

فعرف الباشا عثمان أنه قد صار فى قبضته ، ولم يكن ذلك فى حسابه ، فوجه فرسانه ورجاله على من فى الحظيرية فهزموهم ، ومن ذلك الموضع أجلوهم. ثم شدد فى حصار محمد ابن شمس الدين ومن عنده من الملازمين ، فاجتمع رأى من فى القاهرة على الخروج منها ، وإن كان فيه غاية المخاطرة :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا فلا رأى للمضطر إلا ركوبها

بعد أن أوجعوا أميرهم المشار إليه لوماً ، وأوسعوه ذماً ، على استبداده برأيه ، وعدم إسعاده لأقاربه وأصدقائه . ثم خرجوا من القاهرة ، وشقوا صفوف تلك الجموع المتكاثرة ، فما فازوا بالنجاة إلا بعد اللتيا ، وهيأ الله لهم من السلامة ما هيأ ، ولم يبق فى القاهرة غير أرباب ولايتها والموكلين بحمايتها .

وفى خلال هذا قدم الوزير سنان إلى تهامة بجيش كالغمامة . والباعث على خروجه إلى اليمن الكتب الواردة إلى السدة السلطانية من الباشا حسن ، فإن السلطان بعد ورودها جهز وزيره الأعظم سنان ، وجعل إليه ولاية مصر واليمن ، وأمره بقتل الباشا مصطفى ، صاحب مصر ، ومن عنده من الأمراء ، بسبب تقاعدهم عن الخروج إلى اليمن .

ولما قدم الوزير سنان مصر ، فعل ما أمره به السلطان . ثم استنفر عامة أهل مصر للخروج معه إلى اليمن ، حتى قيل إنه لم يبق فى مصر إلا المشايخ الهرماء والضعفاء والمرضى . فاجتمع معه عوالم لا يحصيهم العدد ، ولا يفتقرون إلى المدد ، وجمل تملأ الفضاء ، وتترك ما مرت عليه كأمس الذى مضى ، يقال إن عدتها ستون ألفاً . قال بعضهم ما معناه : قدم الوزير سنان إلى اليمن بجنود كأنهم الجن . من كماة الفرسان ، وأعيان الشجعان ، وخزائن قارونية ، وأبهة سليمانية ، وزى لم يعهد مثله فى الإسلام ، وزمن الملوك الأعلام ، كالأموية والعباسية وسائر الملوك الأيوبية والرسولية . انتهى معنى ما ذكره .

ولما وصل الوزير سنان إلى زبيد ، واضطرب من خوفه القريب والبعيد ، كتب

المطهر إلى محمد بن شمس الدين يأمره بالانتقال إلى التَّعْكُر، ليستظل به من هجير ذلك الحر. وأشار عليه بهذا الرأى عدة من أهل الكمال والمودة، فلم يعمل بهذا الرأى الصائب، ولا وافقه طبعه إلى اعتماد أقوال أهل التجارب. ولم يزل كذلك حتى قدم الوزير سنان إلى جهة تعز، وأمر الباشا عثمان بن أزدمر بمناجزته، فخرج لمكافحته. وحين التقى الجمعان وتقابلت الفئتان، لم يكن بأسرع من هزيمة جند محمد بن شمس الدين فى أسرع حين، واستولى الجند السلطانى على خزائنه وخيامه، وقتلوا من وجدوه من الجرحى والمرضى، وكانوا عصابة وافرة. وانتقل محمد بن شمس الدين ببقية ذلك العسكر إلى النجد الأحمر.

وأما من كان من أصحاب المطهر فى القاهرة، فإن الوزير سنان خاطبهم بالنزول، وبذل لهم الأمان، فنزلوا إليه، ووقفوا بين يديه، فجدد لهم الأمان، وأحسن إليهم غاية الإحسان، وطلب منه الباشا عثمان قتلهم، لما فى قلبه من الأحقاد المتجسدة عليهم، بسبب ما قاساه منهم من محاربته وقتلهم عدة من عصابته، فلم يساعده الوزير سنان، وعرفه أن قتل الأسير بعد الأمان من مسخطات الرحمن. فحين أيس من مساعدة الوزير، نهض مفارقاً بقلب كسير.

ولما بلغ المطهر انتقال محمد بن شمس الدين إلى النجد الأحمر، كتب إلى ولده لطف الله أن ينتقل بمن معه إلى الشماحى[1] ففعل، ونهض الوزير سنان إلى ميتم[2]، وجعل على مقدمته الباشا حسن، فالتجأ محمد بن شمس الدين إلى الشماحى، واجتمع فيه بابن عمه لطف الله بن المطهر، وترك جماعة من العسكر فى خَدَد، فأحاطت بهم جنود السلطان، وحصروهم فى ذلك المكان. فطلب لطف الله من محمد بن شمس الدين الخروج معه، لتخليص أولئك المحصورين، فلم يسعده، وقال: « ماهم بأحسن مما

---

(١) الشماحى : حصن من حصون بنى ربيعة باليمن، قرب عزان وحب.
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن، ص ١٢٥)

(٢) ميتم : موضع فى وادى زبيد باليمن.
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب، ص ٧٥)

مضى » ، فتقدم لطف الله بخاصة أصحابه ، ويسر الله على يديه تخليصهم بعد حرب شديد ، وهول يشيب رأس الوليد .

وفى ذى الحجة من هذه السنة وجه الوزير سنان أميراً من أمرائه لأخذ عدن ، فالتجأ الأمير قاسم بن الشويع إلى بعض حصونها . وملكت العساكر السلطانية ذلك البندر ، فطلب الأمير قاسم الأمان فأمنوه ، حتى حصل فى أيديهم فضربوا عنقه . ثم تقدم الوزير سنان إلى ذى جِبْلَة ، فاجتمعت طائفة من قبائل تلك الجهات ، وانضم إليهم فريق من جند المطهر ، وهجموا على أواخر جيش الوزير ، ووقع بينهم حرب ضرير .

ودخلت سنة — ٩٧٧ —

فى المحرم منها جهز المطهر أخاه على ابن الإمام إلى حصن حَبّ ، فاستقر فيه إلى أن مات فى التاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى هذا الشهر استولى الوزير سنان على مدينة إبّ ، وهزم من فيها من أصحاب المطهر إلى بعدانّ ، بعد أن قتل من الفريقين عدد كبير . ولما التجأ أصحاب المطهر إلى بَعْدَان ، جهز عليهم الوزير ستة آلاف مقاتل ، فوقع بينهم حرب عظيم ، قتل فى أوله طائفة كبيرة من الأروام ، ودارت الدائرة فى آخره على جند المطهر ، فقتل منهم ستمائة نفر ، وانهزم بقيتهم . فاستولى جند الوزير على بَعْدان ، ثم توجه الوزير سنان لمحاربة محمد بن شمس الدين ومن عنده من أولاد المطهر فى الشماحى ، وفتح الحرب عليهم من جميع النواحى ، فاضطروا إلى عدم الوقوف ، وحفظوا بالفرار نفوساً أخطأها السيوف . ولما وصل محمد بن شمس الدين إلى مقام عمه المطهر ، لم يعاتبه على الفر ، ولا على ، وقع منه من المخالفة لرأيه من أول الأمر . وهكذا شأن الشجعان الذين لا يبالون بنوائب الزمان وطوارئ الحدثان .

ولما فرغ اليمن الأسفل عن أصحاب المطهر وانفسح عنه غمام ذلك العثير ، نهض

الوزير سنان إلى ذِمَار ، وأمر بجر المدافع الكبار ، فتجهز المطهر للخروج من صنعاء ، ونقل مافيها من الخزائن والمدافع إلى الحصون . ولم يدع فيها شيئاً من المصون . وأذن لأهلها بمواجهة الوزير ، كون خلاف ذلك يُعد من سوء التدبير . فاعتمدوا كلامه ، وكان فى عاقبته السلامة . واستخدم من أهل صنعاء زهاء خمسمائة نفر من أعيان العسكر ، وعقد لولده لطف الله ولاية على ذى مَرْمر . وكان خروجه من صنعاء فى غرة صفر ، وتقدم الوزير سنان إلى صنعاء بعد أن وصل منه مرسوم يقضى لأهل صنعاء بالأمان ، فاطمأنت قلوبهم ، واختاروا للقائه مائة رجل منهم ، فأجلّهم وأكرمهم ، وأرسل معهم شاوشا يمنع عساكره عن دخول البيوت . وكان دخوله صنعاء ثامن صفر من هذه السنة ، وترك أثقاله وخيامه وخيله وجماله غربى المدينة ، ثم وجه الباشا حسن إلى وادى السِّر من بلاد ذى مَرْمر . فحاربه بنو يزيد فهزمهم هزيمة عظيمة ، وقتل منهم عدة ، ومن أهل صنعاء جماعة كانوا هنالك ، منهم الفقيه أحمد بن صلاح العنجور . وسبيت البنون والحريم ، وأسر من بقى من الرجال ، وجرى عليهم ما جرى على أهل المدينة يوم الُحرة من النكال . وكذلك وجه الوزير سنان الأمير عبد الله بن محمد الداعى بعسكر إلى الخيْمة ، وحَرَاز ، والمعازب ، يدعوهم إلى طاعته والانتظام فى سلك جماعته . فتنقل فى الجهة الَحرازية ، وانتقل عنها إلى بلاد سارع والشاحذية . ولقى الباشا حسن إلى بنى الخياط فوجده قد أحدق بكوكبان وأحاط ، لأن الوزير سنان لم يستقر فى صنعاء ، بل نهض بجيوشه الواسعة وكتائبه المتتابعة لحرب كوكبان وثلا ، وطبق أرجاءها بذلك الملأ ، وضرب خيامه فى جوشان ، واضطرب الناس من خوفه فى جميع البلاد . ثم أنه أمر الباشا حسن بالارتفاع لمحاصرة كوكبان ، فتوجه بعصابة نافعة وسيوف قاطعة ، على طريق الأهجر وسمات[1] فلما وصل بنى الخياط واجهه أهل تلك الجهات . وأراد أن يرقى إلى جبل الظِلع ، فقصده الأمير محمد بن شمس الدين بمن عنده من عسكر كوكبان ، واستخلف

---

(١) سمات : حصن فى بلاد خولان ، وقد ورد قبل ذلك فى حوادث سنة ٩٤٧ هـ برسم « سماة » بالتاء المربوطة .

على كوكبان أخاه الحسين بن شمس الدين ، فوقع بينه وبين الباشا حسن حرب عظيم ، فى محل يعرف بجروف السمعى كانت الدائرة فيه على الباشا حسن . وقتل من أصحابه عدة ، واحتزت رءوسهم ، وبعث بها محمد بن شمس الدين إلى مقام عمه المطهر .

ورجع الباشا حسن إلى بنى الخياط فقصدهم محمد بن شمس الدين تارة أخرى ، وانضم إليه الأمير على بن الشويع . ووقع بينهم وبين الباشا حسن حرب أعظم من الأول فى محل يسمى صَنْعان[1] ، وفيه كان الجلاد والطعان . ودام القتال ثلاثة أيام على التوالى ، ذهبت فيه من انقضت مدته ، وانقرضت معيشته ، ومنهم محمد بن رضى الدين بن الإمام شرف الدين ، رحمه الله تعالى ، وحمل إلى الطويلة ، فدفن بجُب الحصن ، وعليه قبة هنالك مشهورة مزورة . ثم انهزم الأمير محمد بن شمس الدين إلى كَوْكبان ، فدخله فى جماعة يسيرة ، ورجع الأمير على بن الشويع إلى حصن بُكُر ، وهو تحت وطأة المطهر . وتوجه أصحاب الأمير محمد إلى حضرة عمه المطهر ، فأكرمهم غاية الإكرام ، وقام بحقوقهم أتم قيام . وحينئذ تقدم الباشا حسن إلى جبل الظلع ، واستولت عساكره على حصن فى أعالى بنى الخياط ، يعرف بحصن السِماط[2] ، فأخربوه . ثم زحف على كوكبان ، فأطلق الأمير محمد بن شمس الدين وأخوه الحسين من كان فى سجنهما من أمراء الأروام ، وهم الأمير محمد قرلباس ، والأمير يوسف ، والأمير الناظر ، والأمير شيخ على ، والأمير قرا كور . ولما وصلوا إلى مقام الوزير سنان أكرمهم وأحسن إليهم غاية الإحسان . ولما استقر الوزير سنان فى قاع جَوْشان ، توجه بعسكره عقيب وصوله إلى مدينة شِبَام ، فدخلوها عنوة بالسيف ، ومروا عليها كسحابة صيف .

قال السيد عيسى بن لطف الله : وكان تاريخ دخولها هذه اللفظة . وهى «دخل شبام»[3]

---

(١) صنعان : فى رأس جبل النبان . وفى صنعاء مسجد مشهور من المساجد الشريفة باليمن . (الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ٧٩)

(٢) السماط ، بكسر السين . هو الصف (ياقوت : معجم البلدان) وحصن السماط ، كما يبدو من المتن ــ حصن فى بلاد بنى الخياط .

(٣) بمعنى أن عبارة « دخل شبام » تتكون من سبعة أحرف . وتاريخ دخول شبام وقع سنة « سبع » وسبعين .

ولما دخلت [عسكر الوزير سنان] شبام ، صعد من فيها إلى العارضة[1] فتبعهم جند الوزير إليها . وكان المطهر قد أرسل طائفة من عسكره غارة على شِبَام ، فسلكوا تحت الظلع ، وهي غير الطريق الحادة . فلم يشعر من رقى من عسكر الوزير إلى العارضة إلا وجماعة المطهر لهم معارضة ، فرجعوا إلى شِبَام . ثم استمر القتال ودام النزال ، بين الوزير سنان والمطهر بن الإمام ، من يوم وصول الوزير سنان إلى جَوْشان — وهو اليوم السادس عشر من شهر صفر من السنة المذكورة إلى شهر ذى القعدة منها — فتكون مدة الفتنة على هذا التقدير نحو تسعة أشهر ونصف ، ذهب فيها طوائف من الفريقين ، وعمت البلوى والشدة جميع الفئتين ، وجرى هنالك ما يطول شرحه ويصعب ذكره . غير أنا نشير إلى طرف يسير .

فمن ذلك ما وقع بين جند الوزير وجند المطهر فى طرف قاع جَوْشان مما يلى ثَلا ، فإن الوزير سنان أراد المرور على حدود كَوْكبان ، فلما انفصل عن مخيمه فى جَوْشان ، ضربت مدافع محمد بن شمس الدين من كَوْكبان ، وكانت أمارة بينه وبين المطهر ، فجهز المطهر الفتى فرحان فى مائة فارس وخمسمائة من الرماة الأعيان . وكان الوزير سنان قد ترك فى مخيمه جماعة من الأمراء بعصابة وافرة من الشجعان ، فجعلوا كمينا فى ذيل الجبل مما يلى ثَلا . ولما توسط فرحان وأصحابه بين الجبل والمخيم ، ثار عليهم الكمين ، وواجههم بقية القوم ، فأحاطوهم إحاطه الأدهم[2] بالساق ، والسواد بالأحداق . ووقع القتال الشديد ، والهول المديد ، حتى انكشفت المعركة عن قتل الأمير فرحان ، وانهزم أصحابه إلى ثَلا . وتعقب ذلك خروج الهادى بن المطهر بأعيان أصحاب أبيه ، وقد أمرهم المطهر أن لا يتعدوا سفح الجبل ، ففعلوا . وأقبلت عليهم جيوش الوزير ، فاشتعلت نار الحرب ، وثار الزفير ، وانقضت المعركة عن قتل الهادى بن المطهر ونفر

(١) العارضة : موضع فى بلد لعسان قرب حراز باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٥) .
(٢) المقصود بالأدهم هنا القيد (القاموس المحيط)

من أصحابه ، وعدة من أصحاب الوزير ، ورجع كل فريق إلى موضعه . ثم توجه الوزير لحرب العَرُوس ، ورماه بالمدافع ، فنزل من فيه ، فأمر بإخرابه ، وعاد إلى مخيمه بجَوْشان . وكان أصحـاب المطهر قد خلفوه إلى محطته ، ووقع بينهم وبين أصحابه طرف قتال .

ولمـا رجع الوزير سنان من العَرُوس ، أرسل طائفة من جنده لمحاربة بيت عز — القريب من كوكبان — فنالهم من التعب ما لا مزيد عليه ، لأنهم صعدوا إليه ليلا ، والطريق ضيقة المسلك . ولما شعر بهم أهل الجبل عند الصباح ، كافحوهم أشد الكفاح ، حتى أرجعوهم إلى محطة الوزير .

وفى هذه الأيام ، اجتمع الباشا حسن والوزير سنان ، وأرادا قصد كوكبان من طريق بيت عرْوَان[١] ، فخرجا ليلا بجمع كبير ، وعدة وافرة ، فوجدا تلك الطريق التى أرادا سلوكها قد سدت بالرجال الأبطال ، من أصحاب المطهر والأمير محمد بن شمس الدين ، فوقع الحرب الشديد إلى الصباح ، واستمر عامة ذلك اليوم . ثم رجع الوزير وأصحابه إلى جَوْشان ، وقد هلك منهم جماعة من الأعيان .

وحين استقر الوزير فى مضربه ، أمر بحمل المدفع إلى العـارضة ، لرمى كوكبان ، فحصل مع الحاملين له أشد التعب وأعظم النصب . وبالجمـلة فإن الوزير سنان ما زال يتوصل إلى أخذ كَوْكبان ، بجميع ما يدخل تحت الإمكان ، حتى أنه أمر بإخراب دار بهرام المعمورة غربى صنعاء ، وأن يحمل أخشابها وأبوابها إلى قطع كوكبان . ليقع المرور عليها إليه . ولما شارفوا على تمام ذلك العمل . رماهم أهل كوكبان بالمدفع وثم رموا كوكبان بمدافع ، حتى أثروا فى جانبه القبلى وكادوا يدخلونه عنوة ، فانكسرت الأخشاب التى وضعوها للمرور ، فبطلت حيلتهم بعد ذلك .

ولما طالت مدة القتال ، وضاقت الأحوال ، جنح محمد بن شمس الدين إلى الصلح

---

(١) عروان : قبيلة تسكن مخلاف السحول باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٠)

بعد وفاة صنوه الحسين بن شمس الدين رحمه الله تعالى ، فى شهر شعبان من هذه السنة . وكان سيداً ماجداً مقدماً ، كثير الصلوات ، ملازما للمحراب فى أغلب الأوقات ، فقام عمه المطهر بحماية كوكبان أكمل قيام ، ومنع محمد بن شمس الدين عن ذلك المرام . ولم يزل يحمل إليه مايحتاجه على جهة الخِفيةً ، وبذل لمن كان يدخل كوكبان عشرة دنانير ذهبا ، ولمن يصل إليه من كوكبان كذلك . وبالغ فى تقوية محمد بن شمس الدين أشد المبالغة .

واستمر الحرب بين الوزير والمطهر ؛ ففى شهر رمضان من السنة المذكورة التقى محمد بن عز الدين بن الإمام شرف الدين ـ ومعه عصابة نافعة من أصحاب عمه المطهر وأمير السنجق السلطانى من جهة الوزير ـ ، بعدة وافرة من الأجناد السلطانية ؛ ووقع القتال الشديد ، ثم انكشف عن قتل محمد بن عز الدين من جانب المطهر ، وأمير السنجق من جانب الوزير ، فى عدة من عسكر الفريقين . وحينئذ كتب المطهر بن الإمام إلى صَعْدة وغيرها من الجهات ، يحرض أهلها على الجهاد والمصابرة فى مواقف الجلاد ، ويذكرهم ما ينالهم من عساكر الروم ومصر من النهب والقتل ، والأسر ، وانتهاك الحرم واستعمال الأمر المحرم . فأثار من حفائظ أنفس الرجال الأحرار ما أخفاه الخوف من الإقدام على تلك الأخطار . وقام فى ذلك الأمر رجال من أهل الحمية والديانة المرضية ، وعلموا أنه الجهاد الأعظم ، والأمر المهم المقدم . وكان أول واصل إليه من صَعُدة السيد أحمد ابن الحسين المؤيدى وغيره من أعيان تلك الجهة . وأمر أهل الحدا ، والشيخ قطران السحامى[1] والشيخ على بن بشير بأنهم يشنون الغارة على أطراف تلك الجهات . وكذلك أمر أخاه على بن الإمام بمكاتبة قبائل اليمن ، ففعل . واجتمعوا إليه عن آخرهم ، وشدوا على حرب من فى جهاتهم من عسكر السلطان معاقد مآزرهم . وكان النائب على تلك الجهات أمير من جهة الوزير سنان يعرف بالأمير خضر القنبطان فى ثمانمائة من الشجعان ، فقتلوه وجميع من معه .

---

(١) نسبة الى بلاد بنى سحام باليمن من ناحية ذمار (ياقوت : معجم البلدان) .

ونمى إلى الوزير الخبر ، وشاع فى النـاس وظهر ، ففت فى عضده ، ونقص من عدده . وقد كان الوزير سنان قدم قبل وصول الخبر بقتل الأمير خضر القنبطان عسكرا مع الأمير قراكور لمحاربة ذى مرمر ، فلقاه النقيب بلال نظارى والشيخ قطران السحامى والشيخ على بن بشير ، إلى محل يقال له مسجد حديدة . ووقع بينهم حرب شديد ، انفصل عن قتل الشيخ قطران السحامى والشيخ على بن بشير وعدة من عسكر ذى مرمر وقبائل خَوْلان ، واحتُزت رءوسهم وحملت إلى محطة الوزير على جملين. فأظهر المسَّرة ، وأمر بالتنوير . وتعقبهـا قتل القنبطان . فكان من انقلاب الأمر ما كان . وهكذا أحوال الزمان .

ثم إن الأمير قراجور (قراكور) توجه لقتال عسكر ذى مَرْمر فى بلاد خَوْلان تارة أخرى ، فاشتد القتال بينهم ، وآل الأمر إلى قتـل الأمير قراجور وقطع رأسه ، وتقدم به أصحاب لطف الله بن المطهر إليه ، فبعث به إلى حضرة والده . ولم يبرح بينهم القتال فى البُكر والآصال . وحدثت بين الفريقين معارك أوردت الشجعان المهالك ، وفشا الموت فى المواشى والخيـل ، وتخطفتهم الدعَّارة من أطراف النهـار والليل ، واشتعلت نيران الحروب ، وشبت الغارات من جهة الشمال والدبور[1] والجنوب . وقد كان محمد بن شمس الدين ضاق صدره ، وعيل صبره ، من مشدة الحصار ، وملازمة الحرب فى العشى والإبكار ، فأشار الأمير عبد الله بن محمد الداعى على الوزير سنان بأنه يصلح محمد بن شمس الدين ، فـكتب إليه فى الحال ، فجنح إلى الصلح .

ولم يشعر المطهر إلا بظهور الشمار فى كَوْكبان للسلطان . وكان المطهر قد عرف ما أراده محمد بن شمس الدين من الميل إلى الصلح . فراجعه فيه وخوّفه منه ، فلم يجد شيئا . ولما تيقن المطهر ميل ابن أخيه إلى الدعة ، والسكون والموادعة ، جدّد جـده على العادة ، وثبت فى غيله حتى تمت قواعد الصلح بين الوزير ومحمد بن شمس الدين .

---

(١) الدبور : ريح تهب من الغرب ، وتقـابل القبول وهى ريح الصبا . ويقصد المؤلف أن الغارات أتت من نواحى الشمال والغرب والجنوب .

ونهض الوزير من مخيمه بجَوْشان إلى المنقب ، ثم قصد المطهر كوكبان ، فارتاع محمد ابن شمس الدين لوصوله ، وتلقاه بنفسه إلى الباب ، فأنشد المطهر فى تلك الحال :

زرناكم لا نؤاخذكم بجفوتكم   إن المحب إذا لم يُستزر زارا

ورمى فى كوكبان لدخوله بالمدافع ، وأشعلت النيران . وسأل الوزير عن الخبر ، فعرفوه أن المطهر فى كوكبان ، وقد استقر ، فقال « تيقنت أن الكل فى قبضته وتحت بسطته » . وكتب إلى محمد بن شمس الدين كتابا يعرض فيه بأنه يكون الصلح بينه وبين المطهر على يديه ، فأجابه أن ذلك يتأتى بعد نهوضه من المنقب بشروط شرطها عليه . وكان تمام الصلح بين المطهر والوزير سنان على يدى الشريف محمد بن حسن العيانى الحزى .

وفى شهر القعدة من هذه السنة وصل الخبر إلى اليمن بقدوم الباشا بهرام من الأبواب السلطانية بولايته على القطر اليمنى . وانتقل الوزير سنان من المنقب إلى صنعاء فى السابع عشر من ذى الحجة فى السنة المذكورة .

ودخلت سنة — ٩٧٨ —

فيها وصل الباشا بهرام بولاية اليمن ، فدخل زبيد بعد أن ناله ومن معه الأمر الشديد ، من انقطاع النفقه وتوابعها ، حتى ألجأتهم الضرورة إلى بيع ثيابهم . ولما استقر فى زبيد لم يجد فيها ما يقوم به وبمن معه ، فتوجه بهم إلى تعز ، وعاملها يومئذ من قبل الوزير سنان الأمير شيخ على . وحين وصل بهرام إلى القاعدة ، أقبلت إليه قبائل الحجرية ، وواجهوه بالحرب ، فأمده الوزير سنان بطائفة من جنده ، فانهزمت قبائل الحجرية .

ثم توجه بهرام إلى بَعْدَان ، فواجه أهلها . وتقدم لحصار حصن حَبّ ، وفيه على بن الإمام شرف الدين ، فأحاطت به عساكره . وفى خلال ذلك ، اتفق جماعة ممن فى سجن حَبّ قضيةٌ شنيعة ، وهى أنهم أحرقوا مخازن البارود الذى فى الحصن

المذكور ، فارتفع في الهواء ثم سقط . فأخذ جنبا من الحصن ، وتزلزل بمن فيه ، فأمر علي بن الإمام بإلقاء الفاعلين من شواهق الحصن .

ثم إن بهرام دسّ إلى علي ابن الإمام سمّاً ، على يد رجل يعرف بابن عرجلة كان يختلف إلى محطة بهرام ، ويدخل على علي ابن الإمام ، فجعل السم في سفرجلة ، فلما شمّه علي ابن الإمام ، أخذها فقيه كان عنده من بني الخشيبري[1] فشمها أيضاً . ثم أخذها مملوك تركي ، فأخذهم العطاس المتواصل ، فعرفوا حقيقة الأمر . فأمر علي ابن الإمام بقتل ابن عرجلة ، ومات بعد ذلك بهذا السبب شهيداً فقيداً رحمه الله . ومات الفقيه الخشيبري والمملوك التركي . واستولى بهرام بعد ذلك على حصن حَبّ ، فقتل من فيه من أصحاب علي ابن الإمام بعد أن أمنهم . وساروا إلى قريب ذِمار ، ثم أتبعهم جماعة من أصحابه ، قتلوهم هنالك .

وفي هذه المدة تجهز الوزير سنان للسفر إلى الروم ، بعد أن قرر أمور الأجناد في صنعاء ، وزاد في نفقاتهم ، وضاعف الخراج المحمول من اليمن إلى السلطان إلى مائتي ألف دينار ذهبا كل عام ، بعد أن كان قدر خمسين ألفا في أيام من قبله . وكان اجتماعه بالباشا بهرام في بَعْدان بعد استفتاحه لحصن حَبّ . ثم سار إلى الروم ، وحارب الأفرنج واستعاد منهم تونس . وأما الباشا بهرام ، فتقدم إلى ذِمار ، وبني ملحظ واستقر فيها . وساءت سيرته في اليمن ، وجدد رسوم الظلم والجور ، وقتل الأعيان . ولم يزل في اليمن حتى عزل عنها بالباشا مراد ، كما يأتي ذكره .

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين السيد أحمد بن الحسين المؤيدي والأمير محمد ابن ناصر الحزي في صَعْدة . وخرج السيد أحمد بن حسين بأهله وأولاده إلى ... قين .

---

(١) بنو حشيبر : أهل صلاح وولاية ، نسبهم في بني ذهل بن عامر ... من عك بن عدنان ، كذا ضبطه الجندي . وأما خرقتهم فهي تعود الى الولي الكبير والعالم الشهير أبي الغيث بن جميل اليمني . ومنهم علي بن أحمد حشيبر ، أحد كبار المشايخ المتوفى سنة ٨٢٢ هـ . وهي - أي البلد - قريبة من بيت الفقيه وبيت حسين . (النور السافر ، ص ٤٦٤)

فأرسل المطهر بن الإمام الأمير على بن محمد الشويع للإصلاح بينهما ، فلم يتم له أمر . فتقدم السيد أحمد بن حسين بجموع كبيرة لمحاربة الأمير محمد بن ناصر فى صَعْدة . وعضده الأمير على بن محمد الشويع ، ووقع بينهم حرب شديد ، كانت الدائرة فيه على الأمير محمد بن ناصر ، فانهزم إلى الجوْف . وملك السيد أحمد صَعْدة وما إليها من نجران إلى خيوان ، فساسها أحسن سياسة ، وأقام العدل وأحيا مدارس العلم ، فوفد إليها الطلبة من جميع البلاد ، وكثروا جداً حتى بلغت حلقات العلم إلى ثمانين حلقة . واستمرت ولايته قدر ثمانى عشرة سنة إلى أن توفى .

ودخلت سنة — ٩٧٩ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت سنة — ٩٨٠ —

فى أولها ظهر نجم فى مجرى بنات نعش الصغرى[١] أكبر من الزهر ، وتحدث الناس بموت المطهر الإمام شرف الدين .

وفى هذه السنة خالف على المطهر السيد على بن إبراهيم جحاف ، عامله على جهة الأهنوم وظُلَيمة وعُذر من أيام أزدمر . والسبب أنها أعجبته نفسه ، وغرّه كثرة من لديه من عسكر الروم وغيرهم من أصحاب المطهر بن الإمام . فنزع يده عن الطاعة ، وأظهر الانتماء إلى الباشا بهرام . فكتب المطهر إلى الباشا فى ذلك ، فأجاب عليه جواباً شافياً ، وأقسم بالله ما دار بينه وبين السيد المذكور حديث قط ، وبذل المادة للمطهر فى محاربة هذا السيد ، فشكره المطهر ، وعذره عن العسكر . ثم تابع الغارات على السيد المذكور ، وجعل قائد العسكر الأمير على بن محمد الشويع ، وكتب إلى غوث الدين بأنه يتقدم عليه من عَفار بمن معه ، فدخلت الجيوش المطهرية تلك البلاد ، فأخربوا حبور من بلاد

(١) بنات نعش : سبعة كواكب ، تشاهد جهة القطب الشمالى ، شبهت بحملة النعش ، وهو سرير يحمل عليه المريض أو الميت .

ظُلَيمه، ثم تقدموا إلى الأهنوم وملكوا جبالها. فالتجأ السيد على إلى حصن فى الأهنوم يعرف بالظاهر، فأحاطت به الجيوش حتى خرج إلى يد الأمير على بن محمد الشويع، فتقدم به إلى حضرة المطهر، فبادر برفعه إلى سجن ثَلا، وأعطى الأمير على بن محمد عطاء واسعا، وخلع عليه الملابس الفاخرة. ولم يلبث السيد على أن مات فى سجن المطهر.

وفيها ابتدأ شكوى المطهر من علة بول الدم مع حرارة أورثته عطشا، واستمر كذلك إلى أن توفى - رحمه الله تعالى - فى شهر رجب من السنة المذكورة، ودفن فى مدينة ثَلا. وعظمت المصيبة لوفاته فى جميع بلاده، وخرج لتشييع جنازته جميع أولاده وأمرائه وأجناده، بالدروع والرماح وسائر أنواع السلاح.

وكان المطهر رحمه الله تعالى شريف النفس، عالى الهمة، كثير التلاوة للقرآن العظيم، ملازما لقيام الليل البهيم، مع ما كان يعانيه من المشقة بسبب الخلل الذى أصابه فى رجله. فأما شجاعته ومواقفه فى الحروب فلا حاجة إلى الاطالة فى وصفها، إذْ هى أشهر من الشمس، وأبعد عن اللبس من أمس. جزاه الله عن الإسلام أفضل جزاء المحسنين، وكتب له ثواب المجاهدين الذابين عن الدين.

ولما مات افترق أولاده، وثبت كل واحد منهم على ما تحت يده من البلاد، فكان إلى ولده على بن يحيى المطهر بلاد ثلا وعُمْرَان وجبل عيال يزيد، وأعانه ابن عمه محمد بن شمس الدين وجماعة من أعيان أصحاب أبيه. وثبت لطف الله بن المطهر على ذى مَرْمر وبلاده، وإليه نصف بلاد الشَرف؛ وعبد الرحمن بن المطهر على حَجَّة وما إليها؛ وغوث الدين على عَفَار وجهاتها؛ وحفظ الله على نصف الشرف.

وكان استقراره فى قُفْلة مَدوم إلى أن مات. وأما قبره ففى ثلا، وعليه لوح مكتوب فيه ترجمة بليغة من إنشاء الفقيه الحسن بن محمد المَسْورى أحد أعيان أصحاب والده.

وكان أول خلل وقع بعد موت المطهر إطلاق على يحيى لمشايخ الأهنوم من سجن

والده ؛ وكانوا سبعة عشر نفرا ، قبض عليهم المطهر لذنوب عظيمة ، منها قيامهم مع السيد على بن إبراهيم جحاف المقدم ذكره ، فأطلقهم على يحيي ، وأخذ عليهم العهود . وكان غوث الدين بن المطهر باقيا فى بلادهم من أيام قبضه للسيد على جحاف . ولما وصلوا بلادهم نكثوا العهود وأظهروا الخلاف ، فرجع غوث الدين إلى عَفاَر منهزما . وتعقب ذلك حصول وحشة بين على يحيي وأخيه لطف الله ، ألبت إلى أن على يحيي جهز لحرب أخيه لطف الله الأمير على بن محمد الشويع ، ولطف الله جهز السيد فخر الدين عبد الله ابن أحمد بن شمس الدين . فالتقيا فى موضع يقال له قطوان من بلاد الخَشَب . ووقع الحرب ، فانهزم على بن الشويع وأصحابه .

وفى خلال ذلك خالف عبد الرحمن بن المطهر على أخيه على يحيي ، فبعث محمد ابن شمس الدين لمحاربته مبارك شعبان إعانة لعلى يحيي ، فوقعت بينهما حروب كثيرة ، ثم وقع الصلح على يد عبد الله بن المطهر ، وخالف أكثر بلاد المطهر على أولاده ، لما اشتغلوا بمحاربة بعضهم بعضاً . وصار الباشا يتربص بهم الدوائر ، وهو يومئذ مستقر فى ملحظ .

وفى هذه السنة كان قيام السيدين الجليلين على بن ابراهيم بن على بن محمد المعروف بالعائد ، وعلى بن ابراهيم بن على المهدى بن محمد المعروف بالعالم ، بأمر الحسبة ، وقيامها فى بلاد الشرف ، لما أن أهل الشاهل ومن إليهم تضرروا من قبح سيرة مرجان شاوش عامل أولاد المطهر بن الإمام على تلك الجهة . وأرادوا من السيدين المقدم ذكرهما القيام بأمرهم وإزالة المنكر ، ففعلا ، وعضدهم قبائل الأمروز وبنى حل وبني بديخة وشمر ، وسائر قبائل تلك الجهة ، ووعدهم أهل المحابشة بالنصرة .

فلما تقدمت تلك القبائل إلى محل يعرف بجبل الفاشى ووصل بعضهم إلى قاهرة المحابشة ، اختلف عليهم أهلها . وكان مرجان وأصحابه فى بلد يعرف بالحود[1] من أعمال

---

(١) الحود ، بفتح اوله وسكون الواو ، موضع .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٨)

المحابشة ، فقصد بمن معه إلى محطة السيدين فى الفاشى ووقع القتال ، فانهزم أصحاب السيدين وتفرقوا . ثم اجتمعوا بعد ذلك إلى الأمروز ، وتعاقدوا على حفظ بلادهم . ولبثوا كذلك مدة مديدة ، حتى ضاق أهل الأمروز من بقائهم ، وشقت عليهم المؤنة ، فتفرقوا عنهم. وبلغ مرجان تفرقهم ، فأغار على الأمروز وقتل منهم نحو العشرين ، وأقام فى بلادهم أياما . ثم قصد الشاهل ، فانهزم أهله ، فجعل لهم أمانا ، فأمنوا ، ورجعوا إلى محلهم .

وجعل السيد على العائد يتنقل فى المساجد ، ويعبد الملك الواحد ، فلم تَنَلْهُ مضرة ، ولا ألوت به معرة . وأما السيد على العالم فاحتال عليه جماعة حتى ظفروا به ، ثم بعثوا به إلى أولاد المطهر فاعتقلوه مدة فى ذى مَرْمر ، ثم نقلوه إلي حقل مدوم . ثم أطلقوه بعد ذلك ، فسكن بيته فى قرية الجاهلى .

ودخلت سنة — ٩٨١ —

فيها وقع الاختلاف بين على يحيي والأمير محمد بن ناصر الحزى ، أحد خواص المطهر ، بسعاية الأمير محمد بن شمس الدين . وكان الأمير محمد بن ناصر فى بلاد الظاهر ، فزحزحه على يحيي إلى الزاهر . ولم يلبث أن توجه إلى الباشا بهرام يستعديه عَلَى عَلِيّ يحيي . فوعده بالنصرة ، وأعطاه سنجقا ، واستعمله على رداع . فخلفه على بلده الزاهر السيد أحمد بن حسين المؤيدى صاحب صَعْدَةَ ، فنهب بيوته وأخربها .

ودخلت سنة —٩٨٢—

فيها جهز على يحيي وزير أبيه السيد العارف على بن أحمد بن صلاح بعسكر كثيرة ، إلى بلاد الأهنوم ، فلم يتهيأ له دخولها .

وفى هذه السنة وقع الاختلاف والحرب بين على يحيي وأخيه عبد الله بن المطهر ، وقتل فى تلك الحرب الناصر بن المطهر ، ثم رجع عبد الله بن المطهر إلى حصنه حَقْل ، فاستقر فيه بأهله وأولاده .

وفيها مات السلطان سليم بن سليمان خان ، وقام بعده السلطان مُراد خان .

وفيها عبث عساكر الباشا بهرام فى بلاد اليمن ، واشتد فسادهم فى السر والعلن ، وهموا بقتل الباشا المذكور بسعاية الدفتردار ، فلم يزل الأمير محمود يسعى بينهم بالإصلاح ويتألفهم بالأموال ، حتى سكن بعض شرهم . ثم كتب الباشا بهرام إلى السلطان يطلب منه العذر عن ولاية اليمن ، فجهز السلطان إلى اليمن الباشا مصطفى .

ودخلت سنة — ٩٨٣ —

فيها وصل الباشا مصطفى بولاية اليمن ، فلما دخل بندر البُقْعة وافاه أجله . وكان بهرام قد تجهز للمسير فانثنى عزمه ، وانضم إليه العسكر الواصلون مع مصطفى ، فقوى جانبه بهم ، وأوقع بعسكره الأولين ومزقهم كل ممزق ، وقتل الدفتردار .

ولم يلبث أن ورد الباشا مراد بولاية اليمن ، فدخل صنعاء وتوجه بهرام إلى الروم .

ودخلت سنة — ٩٨٤ —

فيها استقر الباشا مراد فى صنعاء ، وشرع فى عمارة المدرسة المعروفة بالمرادية فى قصر صنعاء . وقتل جماعة ممن أثار الفتنة على بهرام ، مثل دالى نجق وعلى كشك .

ودخلت سنة — ٩٨٥ —

فيها كمل بناء المدرسة المرادية .

وفيها قتل عامل تعز ، وهو الأمير شيخ على ، وكان أميراً كبيراً . وقد لبث مدة فى تعز ، وعظم شأنه حتى أن مراد لم يتمكن من عزله . وسبب قتله أن جعفر أغا نافسه على عمله . وكان جعفر أغا يتولى بعض أعمال جهة تعز ، كفرس ونحوه ، فعامل على قتل شيخ على رجلا من أهل حَرَاز كان من جملة عسكره . ووعده بمال إن فعل . وكان الأمير شيخ على يركب فى غالب الأحوال إلى بستان الشجرة ، فخرج على عادته فى

موكبه إلى ذلك البستان ، وكمن له العسكرى فى بعض بيوت النساء العمالات على قارعة الطريق . فلما رجع رماه ببندق ، فأصابه وهو راكب ، فأرخى عنان جواده ، وضربه بالركاب ضربة شديدة لشدة ألم الرمية ، فمد به الجواد إلى طرف الميدان ، ثم أرداه عن ظهره ؛ فظن الحاضرون أن سببه التردى من ظهر الجواد ، حتى عاينوا موضع الرصاصة فعرفوا الحقيقة . وأما الرامى فقصد جعفر أغا وأخبره بما فعل ، فأنكر فعله وقبض عليه ، وأودعه السجن .

وثارت الفتنة بين العسكر ، فأظهر أحدهم مرسوماً زوّره ، يقضى أن الباشا هو الآمر بقتل شيخ ، على فسكنت الفتنة . وقبض جعفر أغا جميع ماخلفه شيخ على ، وتوجه به إلى الباشا مراد . وظن أن الباشا وغيره لم يفطنوا بسعيه فى قتل الأمير شيخ على ، وأن في نفسه عمالة تعز . فتغافل عنه مراد حتى تمكن منه ثم قتله ، وهكذا حال الدنيا تلعب بأهلها .

ودخلت سنة — ٩٨٦ —

فيها ظهر رجل من بلاد أنس يزعم أنه منصور حمير الذى يقال أنه سيظهر آخر الزمان ، ويبعث كنوز حمير من ذيلة يَكْلا[١] فتبعه ناس كثير ، وعظم أمره فى تلك الجهات . وطرد عامل الباشا منها ، فجهز إليه الباشا مراد أميراً فى عسكر كثير ، فقتلوا جماعة من أهل عانز[٢] . ولم يزل مختفياً فى تلك الجهة حتى بذل الباشا أموالا لمن يقبضه ، فقبض ، وأتى به إلى الباشا مراد وهو يومئذ فى تعز ، فأمر بسلخه . وقتل الرجل الذى قتل الأمير شيخ على .

---

(١) الذيلة : موضع ، قيل ان به كنوز حمير .
(عيسى لطف الله : روح الروح ، ورقة ٨٩ ب)
ويكلا أو يكلى : بفتح أول بلد وقبيلة وحصن فى ميزاب اليمن الشرقى .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٨)
(٢) عانز : جبل يطل جنوبا على وادى سهام ناحية الحيمة .
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٨٠)

وفى الرابع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة كانت دعوة الإمام الناصر لدين الله الحسن بن على بن داود بن الحسن بن الهادى على بن المؤيد ، فى الهَجَر من بلاد الأهنوم ، عقيب خروجه من صَعْدة مغاضباً للسيد أحمد بن حسين المؤيدى ، ومنكراً عليه أشياء من سيرته ، مع أن السيد أحمد بن حسين كان معظماً له ، لما بينهما من القرابة. ثم إن الإمام الحسن بن على تقدم بعد دعوته إلى جبل ددى ، ووجه القاضى أحمد بن صلاح الدوارى والسيد محمد بن حسين الأحفش برسالة إلى أولاد المطهر ، وأجرى إلى كافة آل الإمام شرف الدين وسائر الجهات ، فأجاب عليه على يحيى بن المطهر وأخوه لطف الله ، ومحمد بن شمس الدين بعدم الطاعة . وكان أول حرب وقع بين أصحاب الإمام وأصحاب على يحيى فى جُرَاف خَمِر ، كانت الدائرة فيه على أصحاب على يحيى . ثم تقدم الإمام إلى سيران[1] ووجه جميع من عنده مع القاضى أحمد بن صلاح الدوارى والقاضى شرف الدين العيزرى إلى حبور ، فواجههما أهل ظُليمة وغيرها . وتقدم أصحاب الإمام لحرب السوْدة ، وفيها الأمير مطهر بن الشويع من جهة على يحيى ؛ ففتحت السوْدة وأراد الأمير مطهر بن الشويع الدخول إلى قرن الناعى ، فمنعه من فيه ، فطلب الأمان لنفسه ولمن معه ، فأمنوه وتوجهوا سائرين إلى على يحيى . فلما وصلوا إلى محل يسمى عَناق[2] صادفهم فيه جماعة من أصحاب الإمام أهل شَظَب ، فلم يجدوا بداً من العود إلى الإمام الحسن بن على ، فقابلهم بالإكرام ، وطلب منهم البيعة ، فبايعوه .

ودخلت سنة — ٩٨٧ —

فيها وقعت المراسلة بين الإمام الحسن بن على وعلى يحيى ، حتى انتظم الأمر بينهما ، وسلم على يحيى إلى الإمام حصن السوْدة ، وقرره الإمام على بقية بلاده وحصونه . وكذلك السيد الحسن بن الإمام شرف الدين صاحب كَحْلان تاج الدين ، كتب إلى

(١) سيران : من جبال الأهنوم فى منطقة حجة
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٠٧)
(٢) عناق : موضع (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٨١)

الامام ووالى الامام . ومثله أولاد رضى الدين بن الامام شرف الدين أهل حصن جُرَع فقررهم الامام على ما تحت أيديهم وقنع منهم بالموالاة والطاعة . وأما لطف الله بن المطهر صاحب ذى مَرْمر ، فإنه أرسل الأمير أحمد بن الحسن الجَوْفى فى جماعة إلى شوابة لقبض غلتها ، فتقدم إليهم من أمراء الامام الأمير مطهر بن الشويع ، والسيد على بن عبد الله الغرياني[1] ، ووقع بينهم حرب كانت الدائرة فيه على أصحاب لطف الله بن المطهر . وقبض أميرهم المذكور فى ثلاثين رجلا ، واستولى أصحاب الامام على جمالهم وطعامهم ، ودخل أهل تلك الجهة فى طاعة الامام . وفى خلال ذلك وصل عبد الرحمن ابن المطهر من حَجَّة إلى ثُلا ، فأمره أخوه على يحيى بالتقدم إلى الإمام ، ففعل . ولما وصل مقام الإمام ، أخذ عليه البيعة ، وترك له ما تحت يده من البلاد ، وجهزه إلى خَيْوان .

وفى هذه الأيام جهز الإمام الشيخ محيى بن صلاح وهّان العُذرى فى جيش إلى بلاد الشرف ، فاستفتحها ، ووصل إلى الإمام الأمير عبد الله بن المطهر صاحب حصن حَقْل ، فأخذ عليه العهود ، وقرره على ما تحت يده .

وفى هذه السنة نهض السيد أحمد بن حسين المؤيدى من صعدة إلى عَيَان[2] فى خمسمائة فارس وألفى راجل ، بعد أن كتب إلى لطف الله بن المطهر وإلى محمد بن شمس الدين يطلب منهما الاجتماع على حرب الإمام الحسن بن على ، فجهز كل واحد منهما عسكراً إلى جانب بلاد الصيْد[3] . فوجه الإمام لمحاربتهم الأمير مطهر بن الشويع ، وأرسل على يحيى عسكراً مع أمير من أمرائه إعانة للإمام ، فانهزم عسكر لطف الله ومحمد بن شمس الدين . وقتل منهم جماعة ، واستولى أصحاب الامام على ما معهم . وثبتت يد الإمام على بلاد الظاهر من ذلك الوقت . وجهز لمحاربة السيد أحمد بن حسين المؤيدى

(١) نسبة الى قلعة غريان باليمن .
(٢) عيان : بلد باليمن من ناحية مخلاف جعفر .
(٣) صيد : بالفتح ثم السكون ، جبل عظيم عال جدا فى أرض اليمن فى مخلاف جعفر من حقل ذمار ، فى رأسه قلعة يقال لها سمارة .
(ياقوت : معجم البلدان) .

السيد على بن عبدالله الغرياني والأمير عبدالله بن المطهر وغيرهما من الأعيان ، فتقدموا إلى خَيْوان ، واجتمعوا هنالك بالأمير عبد الرحمن بن المطهر ، وانضم إليهم الأمير محمد ابن ناصر الحمزى ، ووصل من رُداع بعد مكاتبة بينه وبين الإمام .

وكان الإمام قد قدم عسكراً إلى خَوْلان صَعْدة ، فأجابه بعضهم ، ودخل فى طاعة الامام السيد محمد بن أحمد بن حسين مخالفاً لأبيه . فرجع السيد أحمد بن حسين إلى صَعْدة ، وتقدم أمراء الامام فى أثره . فخرج من صعدة إلى بلاد بنى جماعة ، ودخل أصحاب الإمام صَعْدة ، واستولوا على خزائن السيد أحمد بن حسين . وتوجه بعض أمراء الإمام لمحاربة السيد أحمد بن حسين ، فلم يجد بداً من الدخول تحت طاعة الإمام ، فكتب إليه ، وبذل له تسليم حصونه ، وأرسل إليه بعض أولاده ، فتلقاه الإمام بالقبول التام ، وقرر السيد أحمد بن حسين على بعض أعمال جهته . ولما تمهدت الجهة الشامية للإمام ، رجع إليه السيد على بن عبد الله الغرياني والأمير مطهر بن الشويع ، فجهزهما إلى شعب بنى سليمان — من بلاد ذيبان — فقصدهم عسكر الأروام من صنعاء ، ووقع بينهم حرب قتل فيه جماعة من أصحاب الإمام ، ورجع الأميران إلى يناعة بنى جُبر . فجهز الإمام السيد أحمد ابن مطيع الله وغيره فى عسكر إلى ثلا ، وكتب إلى على يحيى أنه تقدم بهم لحرب صنعاء . فلما وصل السيد أحمد بن مطيع الله ومن معه إلى بلاد عيال سريح[1] ، خرج عليهم الأمير سنان بعسكر الأروام من صنعاء ، وانضم إليهم مرجان شاوش من عند لطف الله ابن المطهر ، وعنبر طيار من أصحاب محمد بن شمس الدين ، فانسل أصحاب السيد أحمد ليلا ، وتحير الباقون ، فاستولى عليهم الأمير سنان ، وضرب أعناقهم ؛ ثم رجع إلى صنعاء .

وفى هذه الأيام وصل السيد أحمد بن حسين المؤيدى إلى الإمام وهو فى بلد الروس

---

(١) عيال سريح : قبيلة باليمن

(أحمد فخرى : اليمن ماضيها وحاضرها ص ٣٢)

من جبل الأهنوم ، فجدد عليه الإمام البيعة ، وأمره بالتقدم إلى ثلا والاجتماع بعلى يحيى ، ثم يتقدمان لحرب من فى صنعاء من الأروام . فبالغ السيد أحمد بن حسين فى الاعتذار فلم يعذره الإمام ، فخرج إلى الهَجَر ، ثم رجع إلى الشام . وكتب إلى الإمام يعتذر إليه ، ويعرفه أنه ماترك التقدم على صنعاء إلا لأن الإمام خصه بذلك دون الأمير محمد بن ناصر الحزى ، مع أنه نظيره وعدوه . ولم يزل السيد أحمد بعد ذلك يسعى فى فساد أهل الشام ، حتى مال إليه أكثرهم . وهو مع ذلك يكاتب أولاد المطهر وأشراف الجوف . ويحرضهم على حرب الإمام ، حتى اجتمعوا ، وساعدهم على يحيى ، ونبذ طاعة الإمام . وفى خلال ذلك ظفر الإمام بكتاب من الأمير عبد الله بن المطهر إلى الأروام أنه سيأتيهم بالإمام أسيراً ، فقبض عليه الإمام وأودعه السجن ، فلبث فيه مدة ثم أطلقه ، وقبض منه حصن حَقْل ، فكان حبس الأمير عبد الله ، وقبض حصنه ، عذراً لأولاد المطهر فى الخروج على الإمام .

ودخلت سنة — ٩٨٨ —

فيها انفتحت أبواب الحروب على الإمام الحسن بن على ، ورمته الأشراف بقوس واحدة ، وخالف عليه مطهر بن الشويع . ولم يبق معه من الأشراف غير السيد على بن عبد الله الغرياني ، والسيد رضى الدين بن المطهر بن الإمام شرف الدين . والسيد محمد ابن على المعروف بابن بنت الناصر . والأمير محمد بن ناصر الحزى صاحب صعدة فى هذه الأيام مقتربا إليه فى الظاهر خوفا منه على صعدة من السيد أحمد بن حسين المؤيدى .

ولما وقع الحرب بين الأمير محمد بن ناصر والسيد أحمد بن حسين ، بعث الإمام السيد على الغرياني إعانة للأمير محمد بن ناصر ، فأمره بالبقاء فى بلاد آل عمار . وسار الأمير مطهر بن الشويع بعد أن خالف على الإمام إلى السيد أحمد بن حسين ، وأرسل إليه محمد بن شمس الدين مبارك شعبان بعسكر كوكبان ، فانهزم الأمير محمد بن ناصر من صَعْدة إلى عَيَّان . واستولى السيد أحمد بن حسين على صَعْدة ، وقبض على السيد على

ابن عبد الله الغرياني وسجنه في حَرَم[1] من جبل رازح ؛ وضيق عليه ، فلبث في السجن سنة كاملة ، ثم قتله بعض أصحاب السيد أحمد بن حسين صبراً[2] .

ولما اجتمع أولاد الإمام شرف الدين — ومن انضم إليهم من بني الشويع — وعسكر الأروام على حرب الإمام ، رأوا أن يتفرقوا لحربه في بلاده ، فقصد مبارك شعبان بعسكره إلى خَمِر وانضم إليه مطهر بن الشويع . وتوجه بعضهم إلى جبل عيال يزيد ؛ وبعضهم إلى قُدم وجَزْع وكَحلان . فبعث الإمام لمحاربة من في خَمِر السيد محمد بن علي ابن بنت الناصر ، والسيد رضي الدين بن المطهر إلى قرن الكراث . وتقدم الإمام بنفسه إلى جَميمة[3] ظُليمة ، وجعل يمد أصحابه بما يحتاجون . فأما السيد محمد بن علي ، فأحْرب من في خَمْر حربا شديدا ، وقتل منهم جماعة ، فخرج محمد بن شمس من كَوْكبان مغيراً على أصحابه الذين في خَمِر ، فلقاه السيد محمد بن علي فأحْربه وقتل جماعة من أصحابه ، فرجع محمد بن شمس الدين إلى السوْدَة ، وتقدم السيد محمد بن علي إلى ظَفَار عن رأي الإمام . وأما السيد رضي الدين بن المطهر فاشتد الحرب بينه وبين محمد بن شمس الدين في قرن الكراث ، وكانت الدائرة على محمد بن شمس الدين ، قتل من أصحابه قدر الثلاثين . وقد كان محمد بن شمس الدين طلب من الأروام أن يمدوه بالرجال ففعلوا ، وحمل الجميع على أصحاب رضي الدين ، فهزمهم أصحاب رضي الدين ، وقتلوا منهم فوق المائة . ولم تزل الحروب قائمة ، وعيون الحوادث ناكمة .

وفي خلال ذلك وصل السيد أحمد بن حسين المؤيدي من صَعْدة إلى بني صريم لمحاربة الإمام ، فلقاه السيد محمد بن علي في ظَفَار ، ووقع الحرب بينهما ، فكانت الدائرة على السيد أحمد بن حسين ، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ، ورجع السيد محمد بن علي

---

(١) حرم : بفتح أوله وثانيه . قلعة في واد عظيم فوق جبل رازح .
(الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٣)

(٢) قتلة صبرا ، أي حبسه ورماه حتى مات . (المعجم الوسيط)

(٣) ذكر عمارة اليمني أن جبل الجميمة — بالجيم المفتوحة — يقع على قرب من مسور ، وهو لقوم يقال لهم بنو المنتاب (تاريخ اليمن ، ص ١٧٢) .

إلى ظفار ، وامتدت يده على ما حوله من البلاد . وتقوت مراكز الإمام جميعها . فسار لطف الله بن المطهر وأخوه عبد الرحمن إلى بلاد الشرف . فخالف بعض أهلها على الإمام ، واختلت عليه بعض بلاد قُدم وشَظَب . وأما مراكز الأشراف فلم يبق منها أقوى من مركز محمد بن شمس الدين في السَّوْدَة . فأقام الحصار على حصن السَّوْدَة والمُوسم[1] ، ونصب عليهما المنجنيقات . فأمر الإمام السيد رضى الدين المطهر بالغارة على المُوسم ، ففعل . وظفر بأصحاب محمد بن شمس الدين المحاصرين للمُوسم . وسار الإمام بنفسه إلى أخرف[2] . وجعل يمد أصحابه بما يحتاجون .

ثم وقع حرب آخر في جبل بني حجاج بين رضى الدين وأصحاب محمد بن شمس الدين . كانت الدائرة فيه على أصحاب محمد بن شمس الدين . وانهزموا إلى السَّوْدَة . وأسر قائدهم ، وهو شريف من غربان[3] .

ثم إن الإمام جمع أهل الأهنوم وعذر ، وسائر من أطاعه من أهل تلك الجهات ، لقصد محطة محمد بن شمس الدين في السَّوْدَة ، والتنفيس على من في حصنها . فتقدم بهم إلى وادي عُصمان[4] وجعل بعضهم مع السيد رضى الدين والبعض الآخر مع الشيخ وهان بن صلاح العُذرى . فتقدم السيد رضى الدين بمن معه إلى شرقي السَّوْدَة بالليل ، وزحزح من فيه من أصحاب محمد بن شمس الدين . وتأخر وصول الشيخ وهان العُذرى إلى الصباح ، فتكاثر أصحاب محمد بن شمس الدين . ووصل إليهم بقية أصحابه من جبل بني حجاج ، فدخل السيد رضى الدين الحصن . وما زال الإمام يحشد القبائل للغارة لاستخراج من في الحصن من أصحابه ، فبينما هو كذلك إذ بلغه خروج السيد رضى الدين

(١) الموسم : جبل صغير منفرد قرب سناد
(الخزرجي العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٥٥)
(٢) أخرف : موضع وسط جبال المصانع من كحلان
(الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩)
(٣) غربان : قلعة باليمن في جبال شظب (ياقوت معجم البلدان) .
(٤) عصمان : بضم أوله ، موضع في الخشب من بلد حمدان
(الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٦٩، ١١٣)

والقاضى شرف الدين من الحصن إلى أن وصلا شَعْب شرقى الحصن . فشعر بهما أصحاب محمد بن شمس الدين، فقتلوهما وثلاثة من أصحابهما ، وحملوا رءوسهم إلى محمد بن شمس الدين وهو في جبل بنى حجاج . وأما الإمام فلبث فى الموسم ، واستمر الحصار على حصن السَّوْدَة مدة خمسة أشهر ، حتى خرج من فيه ، كما سيأتى ذكره .

وفى هذه السنة وصل الباشا حسن بولاية اليمن ، فتجهز الباشا مراد للسفر إلى الروم على طريق بيت الفقيه . وكان [مراد] أعدل من تولى اليمن من أمراء الروم . ولم يفتح حربا على أشراف اليمن ، وقال « إنى أستحيي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أحارب ذريته » . وقيل إنه لما دخل صنعاء أزال منها كثيراً من رسوم الجور التى وضعها من تقدمه ، منها بقاء الجند فى بيوت صنعاء على جهة الغصب . ومن مآثره القبة المعروفة بالمرادية فى قصر صنعاء ومنارتها ، وهى مشهورة . وله فى تعز وقوفات ، وزيادة فى مسجد الشيخ الولى أحمد بن علوان عليه السلام ، ومنارة ومحمولة . وأقام تربة الشيخ المرار بن عمر ، وبناها بناء حسناً ، وبنى مشهدا على ضريح أحمد السندى فى مقبرة تعز .

وفى هذه السنة نزل سيل عظيم إلى صنعاء ، فأخرب ما حول الخندق المدنى ، ودورا كثيرة فى السائلة ، وشاهدوه من حصن ثلا .

ودخلت سنة — ٩٨٩ —

فى المحرم منها تسلم محمد بن شمس الدين حصن السَّوْدَة ، لما نفد الطعام على من فيه ، فخرجوا منه ، ولحقوا بالإمام الحسن بن على . ورجع محمد بن شمس الدين إلى كوكبان ، بعد أن لبث فى تلك الجهة سنة كاملة . فحدثت فيه بعد رجوعه علة فى إحدى رجليه كانت سبب وفاته فى التاريخ الآتى ذكره . واستولى على يحيي على بلاد شطَب . واستعمل عليها الفقيه عبد الله بن المعافى .

ولما رجع على يحيي من السَّوْدَة ، مال أهل شَطَب إلى الإمام الحسن بن على ، فجهز

على يحيي وإخوته عسكرا إلى أطراف بلاد شَظَب . فلبثوا أياما ، ولم يتم لهم دخول تلك الجهة . فعظم الأمر على على يحيي ، وبالغ فى تحريض إخوته وقبائل جهته ، و بذل الأموال واستخدم الرجال ، واستمد الغارة من السيد أحمد بن الحسين المؤيدى . ثم خرج بنفسه إلى أطرف محل من جبل عيال يزيد ، وتقدم كل من جهته . وقد كان الإمام الحسن ابن على أمر العسكر الذين فى الموسم بالغارة إلى بنى حجاج ، متى عرفوا أن عسكر أولاد المطهر يقصدون من فيه من أصحابه ، فتأخروا عما أمرهم به . وقصدت جموع أولاد المطهر بنى حجاج ، فخرج من فيه من أصحاب الإمام ، ولحقوا بأصحابهم فى الموسم . ثم إن على يحيي وإخوته والسيد أحمد بن حسين أجمعوا على قصد الإمام إلى جميمة ظُليمة فتوجهوا إليه بأجمعهم . وتقدم أصحاب لطف الله بن المطهر إلى بلد الرمادة[1] . فجعل الإمام جماعة من أصحابه فى جبل ظُليمة ، وحرض أهل تلك الجهة على الثبات والصبر ، وتأخر عن الجميمة ، فلم يظفر أولاد المطهر منه بمرادهم ، فرجعوا إلى السَّوْدَة ، وتوجه السيد أحمد بن حسين راجعاً إلى صَعْدة . فجمع الإمام عسكراً لإخراج من فى بلد الرمادة من أصحاب لطف الله بن المطهر ، فضايقوهم وقتلوا منهم جماعة ، وكادوا يخرجونهم منها ، فأغار عليهم أصحاب على يحيي ، فتأخر أصحاب الإمام إلى سيرات . ولما لم يبق فى يد الإمام ما ينفقه على أصحابه مع كثرة المحاربين له ، ولم يجد سبيلا إلى طلب الإعانة من الناس ، جنح إلى المصالحة فيما بينه وبين أولاد المطهر ، فتمت ، على أن بلاد ظليمة جميعها للإمام وبلاد السَّوْدَة للسادة . ورفع أولاد المطهر أصحابهم الذين فى الرمادة، والإمام رفع أصحابه الذين فى الموسم ، واستقرت الأمور بينهم .

وانتقل الإمام إلى هجرة الروثين[2] قبلى جبل الأهنوم ، وفتح باب التدريس للعلوم ، وطلب كثيراً من الكتب النفائس ، وقرر أحوال أصحابه ومن يتعلق

---

(١) الرمادة : بلد بالجوف فى اليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٨١)
(٢) الروثان : موضع فى الجوف باليمن .
(الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٧)

به ، وبذل الوسع فى تأليف قلوب الناس ؛ وتلقى من وصل إليه بغاية الإكرام والإيناس .

وفى هذه السنة قدم الباشا حسن وزيره الكيخيا سنان — الذى صار باشا بعد هذا التاريخ — إلى بلاد رَيْمَة ووَصاب ، فاستفتحهما ، وقبض ما بأيدى أهلهما من السلاح ، وقرر فيهما العمال ، ثم رجع إلى صنعاء .

وفيها قُتل الأمير سنان الذى كان يتولى أعمال صنعاء أيام الباشا مراد ، بسبب شكاوى فيه أيام ولايته .

ودخلت سنة — ٩٩٠ —

فيها تقدم الكيخيا سنان إلى ظفَار ، وقبض السيد محمد بن على بن بنت الناصر ، بعد أن حاصره مدة . فأودعه الباشا حسن الدار الحمراء حتى مات فى شعبان من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

وفيها عمر سنان سور عُمْران ، بعد أن هدمه المطهر .

وفيها حصلت الموالاة من محمد بن شمس الدين للباشا حسن ، وصار أولاده من جملة أمرائه .

وفيها أيضاً فتح الباشا حسن الحرب على أولاد المطهر ، وكان إرادته تقديم محاربة السيد أحمد بن حسين المؤيدى فى صَعْدَة ، فعرف الباشا أن على يحيى لا يترك القيام معه لما بينهما من الموالاة ، فقدم محاربته على يدى وزيره سنان . فوقع بينه وبين على يحيى حرب فى موضع يسمى أحصاص[1] ، انهزم فيه عسكر على يحيى . ثم تقدم سنان إلى مُدَع ، وترك جماعة من عسكره فى جَوشَان لمحاربة على يحيى . فحاصر مُدع ، وجر عليه

---

(١) ذكر الهمدانى موضعا يسمى الاحصى باليمن وجمعه أحصاص وهو الموضع المشار اليه فى المتن قرب مدع (صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٥)

المدفع، وأقام الحصار نحو تسعة أشهر، حتى هلك أكثر من فيه. وكان علي يحيي وأخوه لطف الله قد اجتمع رأيهما على التعاضد والتناصر، فلما وقع الحرب على عليّ يحيي لم يتمكن لطف الله من إمداده، لأن الباشا حال بينهما بعسكر وجههم لمحاربة لطف الله في ذي مَرْمر، فحصروه حصراً شديداً. وعلي يحيي لم يتمكن أيضاً من إمداد أخيه. لاشتغاله بمن في بلاده.

ودخلت سنة — ٩٩١ —

فيها دخل الأمير عبد الله بن المطهر من كوكبان إلى صنعاء. فجعله الباشا من جملة أمرائه. وكذلك الأمير مطهر بن الشويع قد كان وصل إلى الباشا فعظمه. وصار من أعظم أمرائه.

ولما طال الحرب على عليّ يحيي، كتب إلى محمد بن شمس الدين أن يسعى بينه وبين الباشا بالصلح بينهما، على أن علي يحيي يطلق مُدَع وبلاده إلى الباشا. ويكون بُكُر وبني الخياط ونصف لاعة لمحمد بن شمس الدين. ولم يذكر علي يحيي أخاه لطف الله في الصلح، فتوجهت عساكر الباشا لمناجزة لطف الله، واشتد الحصار عليه في ذي مَرْمر. واستمر نحو ثمانية أشهر، حتى ضاق به الحال، وهلك أكثر من عنده من آلام أصابتهم يطول ذكرها، حتى لقد قيل إن جملة من هلك في ذي مَرْمر تلك المدة ثلاثة آلاف إنسان. وقل عليهم الطعام حتى أكل أهله السباع والكلاب. ولم يبق من العسكر إلاّ قدر ثلاثين نفراً. فسعى محمد بن شمس الدين في الصلح بين لطف الله والباشا على تسليم ذي مَرْمر للباشا، وخروج لطف الله إلى كَوْكبان. ويكون إليه نيابة بلاد الشرف. وتم الأمر على هذا. ثم خرج محمد بن شمس الدين من كوكبان والباشا من صنعاء للاجتماع بلطف الله. ولما التقوا عقد له الباشا لواء وجعله أميراً. ودخل الباشا حسن إلى ذي مَرْمر. ورجع محمد بن شمس الدين ولطف الله معه إلى كوكبان.

ثم تقدم الكيخيا سنان لمحاربة السيد أحمد بن حسين المؤيدى صاحب صَعْدة،

ومعه الأمير عبد الله بن المطهر ، والأمير مطهر بن الشويع ، وسائر أمراء الجوف ، فى عساكر كثيرة ، حتى وصل بركة مداعس . ولقاهم السيد أحمد بن حسين وعمه المهدى ابن عز الدين وأولاده ، فوقفوا فى شرفة[1] آل عمار ، وقد كان السيد أحمد حصنها وشحنها ، فلم يتهيأ لسنان المرور من طريقها . فقدم الأمير عبد الله بن المطهر بطائفة من الجند إلى موضع يعرف بالعَجلة ، فتوجه إليهم السيد أحمد بن حسين ببعض عسكره . ووقع الحرب بينهم ، فقتل السيد أحمد وابن عمه فى ثمانين رجلا من أصحابه ، والتجأ أولاده وعمه المهدى إلى أم ليلى فى بنى جماعة ، واستعدوا للمحاصرة فيها ، وكانت مستقرهم ومجمع أموالهم . وخرج محمد بن أحمد بن حسين فى جماعة من أصحاب أبيه إلى الإمام الحسن بن على ، وبعضهم سار إلى الأروَام .

ودخلت سنة — ٩٩٢ —

فيها استولى الكيخيا سنان على جميع بلاد صَعْدة ، ثم تقدم إلى أم ليلى فأقام الحصار عليها أياما ، حتى خرج من فيها من أولاد السيد أحمد بن حسين وعمه المهدى . واستولى عليها سنان ، وقبض ما فيها من الأموال .

وفى هذه السنة قتل الأمير عبد الرحمن بن المطهر فى الحوضين من بلاد حَجَّة ، يقال إن القاتل له ولده عبد الرحيم بن عبد الرحيم غيلة ، وأظهر أن القاتل له أحد العبيد ، ثم قتل ذلك العبد . وبعد مدة جعل إليه الباشا حسن ولاية على حَجَّة .

وفيها مات الأمير محمد بن شمس الدين فى كَوْكبان ، وقام بعده ولده الأمير أحمد بن محمد ، وعقد له الباشا حسن سنجقا .

وفيها قدم لطف الله بن المطهر من الشرف إلى صنعاء ، فأكرمه الباشا حسن وعظمه ، وأرجعه إلى بلاد الشَّرَف .

---

(١) ذكر الهمدانى أن الشرفة واد عظيم فى سرو مدحج
(صفة جزيرة العرب ، ص ٩١)

وفيها نقض الباشا حسن الصلح بينه وبين على يحيى لغير سبب . وكان على يحيى تلك الأيام فى الرغيل ، وأخوه إبراهيم بن المطهر وولده أحمد بن على فى ثلا . فوجه الباشا حسن عساكره إلى مِسور المنتاب ، والعامل فيه من جهة على يحيى ابن أخيه محمد بن الهادى بن المطهر . ووصل أمر الباشا إلى الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين بتجهيز من عنده لمحاربة مِسور مع أصحابه . فكتب على يحيى إلى الإمام الحسن بن على بن داود يستمد منه الإعانة ، وجعل للإمام إلى مقابل مناصرته جبل مِسْور ، وللضرورة حكمها ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد وتمحى رسمها . وكان السفير بين على يحيى والإمام الأمير عبد الله بن المعافى ومشايخ مِسْور . فلما وصل ابن المعافا السَّوْدَة اشتغل بخاصة نفسه ، وكتب إلى الباشا يستمد منه ولاية على السَّوْدة ، فولاه بعد مدة .

وفى خلال ذلك بعث الإمام الحسن بن على السيد أمير الدين بن عبد الله فى جماعة إلى مِسْور ، ليقدم المراسلة بينه وبين على يحيى . ولما استقر السيد أمير الدين فى مِسور أخذ العهود على أهله ، فعلم عساكر الباشا بعجزهم عن أخذ مِسور عنوة . فمالوا إلى المخادعة ، وراسلوا السيد محمد بن الهادى بن المطهر ، وبذلوا إليه مالا جزيلا ، ووعدوه بولاية جبل مِسور ، فانخدع لقولهم ، وأخرج السيد أمير الدين وأصحابه ، وجرى أصحاب الباشا إلى مِسور . وكان الإمام الحسن بن على قد جهز السيد مطيع الله بن أحمد بن شمس الدين فى أربعمائة نفر إلى جبل مِسور إعانة للسيد أمير الدين ، فوصلوا إلى شرس وبلغهم الخبر باستيلاء عسكر الباشا على مِسْوَر ، وتعقب هذا وصول السيد أمير الدين ومن معه إلى شرس منهزمين ، فرجع الجميع إلى الإمام . ولما علم على يحيى بدخول عسكر الباشا إلى مِسور ، سارع بالخروج من الرغيل بأهله إلى ظَفِير حَجَّة .

وفى هذه الأيام اشتد الحصار على ثلا ، واستمر إلى أن خرج منه إبراهيم بن المطهر وأحمد بن على يحيى فى السنة الآتية ، كما سيذكر إن شاء الله تعالى .

وفيها نهض الكيخيا سنان من صَعْدة إلى الأهنوم لمحاربة الإمام الحسن بن على ،

فلما وصل قرب الوَعْر[1] ، ارتفع الإمام من الهَجر إلى القَدُوم[2] . وواجه أهل عُذر إلى سنان فلم يبق منهم مع الإمام إلا الشيخ وهان وأخوه مجلى .

ودخلت سنة — ٩٩٣ —

فى المحرم منها غزا الكيخيا سنان إلى المحل الذى فيه الإمام الحسن بن على ، فالتقاه أصحاب الإمام ، وقتلوا من أصحابه جماعة وهزموهم إلى عُذر .

وفيها مال غوث الدين بن المطهر صاحب حصن عَفار إلى الإمام الحسن بن على ، لوحشة حصلت بينه وبين الباشا حسن ، فوجه إليه الباشا الأمراء والأجناد من جميع البلاد . وكان أهل الظفير قد قصدوا الإمام فى هذه الأيام ، وبذلوا إليه الطاعة ، فقابلهم بالإكرام . وبعث معهم السيد أمير الدين بن عبد الله ، فاجتمعوا على حرب عبد الرحيم ابن عبد الرحمن ، وعضدهم على يحيى ، فكادوا يتصلون بجهة عبد الرحيم . ثم افترقوا وواجهوا للأروام ، وصاروا من جملة المحاربين لغوث الدين فى عَفار . وأما على يحيى فإنه سار إلى صنعاء ، فأكرمه الباشا حسن وجعله من جملة الأمراء . واجتمع الكيخيا سنان بمحطة عَفار ، فحرضهم على الحصار .

وكان من جملة المحاصرين لعَفار السيد محمد بن الهادى بن المطهر صاحب مِسْور ، فسولت له نفسه قصد من فى مِسْوَر من عسكر الباشا — الذين أدخلهم كما تقدم ذكره — وإخراجهم عنه ، فعامل جماعة من العسكر وسار بهم ليلا حتى دخل جبل مِسْور . وتأخر عنهم نفران ممن عاملهم ، فأخبرا سنان بما عزم عليه . فأتبعه عسكرا ، وكتب إلى صاحب كَوْكبان أن يرسل عليه طائفة ممن عنده . ولما دخل السيد المذكور ، لم يثبت معه من أصحابه إلا القليل ، ثم حيل بينهم وبينه ، فصمد القلعة منفردا ، وأقبل إليه العسكر فقبضوه ، وساروا به تحت الحفظ إلى الباشا حسن ، فأودعه السجن بالدار الحمراء .

---

(١) الوعر : اسم جبل (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) قدوم : حصن باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

وفى هذه الأيام نهض الباشا حسن بنفسه إلى ثلا ، فخرج إليه إبراهيم بن المطهر وابن أخيه أحمد بن على يحيى ، فأكرمهما ، وجعل إبراهيم أميراً . ولما قرر الكيخيا سنان أمر المحاصرين لعَفار ، رجع إلى الأهنوم ، وما برح يعمل الحيل فى تخذيل أهله على وجوه مختلفة ، حتى انخدعوا له . ثم تقدم إلى ظُليمة فاستولى عليها وحاصر الجميمة ورماها بالمدافع ، فأراد الإمام الحسن بن على الغارة من القَدُوم على من فى الجَميمة ، فخذله بعض أهل الأهنوم ، فرجع إلى القدوم . وكان الفقيه محمد بن يحيى سلامة وأولاده من جملة من فى الجميمة ، فأخذ الأمان من الأروام لنفسه ولمن معه ، وشرط عليهم تسليم ما فى حُرف(١)، قيمة الشحنة . ولحق بالإمام . وانتقلت محطة الأروام إلى سيران فوقع بينهم وبين أهله حرب . فأرسل القاضى شرف الدين بن إدريس العيزرى أخاه القاضى صلاح لمواجهة الأتراك ، فأكرموه وأرسلوا معه بكسوة لأخيه . وتبعه الناس فى المواجهة .

ثم تقدمت محطة الأروام إلى نجد بنى حمزة . فلبثوا فيه ثلاثة أيام لتقرير القواعد بينهم وبين أهل شَهَارة ، على يد القاضى شرف الدين . وساروا منه إلى القفاف من جبل هنوم ، على نحو ميل من القدُوم . وتقدم على باشا بطائفة من الجند إلى الهَجَر . والأمير عبد الله بن المطهر إلى شرقى القَدُوم ، فأحاطوا بهنوم إحاطة السوار بالمعصم . وبعث كل منهم بطائفة إلى القَدُوم حتى اتصلت عساكرهم بأصحاب الإمام فى جوانب القدوم . وثبت الكيخيا سنان فى القفاف . وإليه أمر الأجناد الجميع . وكانوا نحو ثلاثين ألفا . وقد كان أشار على الإمام الحسن بعض أصحابه بالتأخر عن القدوم . فلم يسعد ، وثبت فى موضعه حتى غشيه القوم . فوقع حرب عظيم . وخطب جسيم . ثم دخل عسكر الأروام من جانب القفاف إلى جبل القدوم . فضاق الأمر بالإمام .

---

(١) الحرف : موضع بالقرب من الذيخرة باليمن
(عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ١٧١)
وقد ورد أيضا جرف بالجيم . والجرف موضع باليمن (ياقوت)

ولم يـكن عنده ما يقوم به وبمن معه ، ولم يجد بداً من المصالحة . فدار الخطاب بينه وبين سنان على خروجه ومن معه بأمان ، على أن يكون سكونه فى صنعاء . فأمر الإمام السيد إبراهيم بن المهدى صاحب حبور لأخذ العهد من سنان ، ثم خرج عقيب ذلك إليه ، فسار به إلى عَفَار ، وأمره أن يكتب إلى غوث الدين بتسليم الحصن ، فاعتذر ثم تقبل منه ، فـكتب بعد البسملة : « أردنا وأراد الله ، ويأبى الله إلا ما يريد » ، ثم طوى الـكتاب . ولما وصل الإمام إلى صنعاء ، أودعه السجن ومعه الفقيه محمد بن يحيى سلامة والشيخ وهان العُذرى .

ودخلت سنة — ٩٩٤ —

فيها كان القبض على أولاد المطهر بن الإمام شرف الدين وزوال دولته وانقضاء مدتهم ، بسبب اختلاف كلمتهم . وتحقيق ذلك أن الباشا حسن طلب لطف الله بن المطهر من بلاد الشَرَف ، فنهض مسرعا ومعه أخوه حفظ الله . ولمـا استقر فى حضرة الباشا ، وصل أخوهم على يحيي لأخذ عهد بالباشا ، فاستبقى الجميع ، ولم يبق إلا غوث الدين محصوراً فى حصن عَفَار . فلما علم بمصير إخوته فى حضرة الباشا طلب الأمان لنفسه ولمن عنده ، على يد أخيه لطف الله ، على أن يجعله الباشا من جملة الأمراء وينتقل بأهله إلى بلاد الشَرَف فجعل له الباشا أماناً على يد الـكيخيا سنان ، إذ هو قائد الجنود وأمير البنود . وكان الباشا قد أسرّ إلى المحاصرين لغوث الدين أن يقبضوا عليه عند خروجه إليهم ، فتجهز غوث الدين للخروج ، وحمل خزانته الواسعة ، فلما انفصل من الحصن قبضوا عليه وعلى جميع ما فى يده ، وبعثوا به إلى مقام الباشا ، واستولوا على حصنه .

وكان الباشا قد جمع الأمراء والعساكر وخرج بهم إلى الرقة[1] ، وأظهر للناس

(١) الرقة . الأرض التى ينصب عنها الماء ، ومن الواضح من سياق المعنى فى المتن أن الرقة موضع باليمن . خلاف الرقة المشهورة على الفرات .
(مراصد الاطلاع . ج ٢ ص ٦٢٦)

أنه يريد الحركة إلى صَعْدَة بعد المرور على بلاد الشرف . وفى اليوم الثانى أظهر مرسوماً سلطانياً يتضمن طلب أولاد المطهر إلى حضرته ، ثم قبض عليهم فى ذلك الموقف ، وأودعهم الدار الحمراء . وتعقبه وصول غوث الدين تحت الحفظ ، فأودعه السجن عند إخوته . وتوجه الكيخيا سنان إلى بلاد الشرف لقبض حصون لطف الله بن المطهر ، فاستولى عليها ؛ وأخرب حصن حَرام[1] ، وكان من أمنع الحصون ، وفيه ما يزيد على مائة بُرَيْكة[2] . ثم قبض أولاد لطف الله ورجع إلى صنعاء . ثم توجه بأولاد المطهر ، وهم على يحيى ولطف الله وحفظ الله وغوث الدين ، وابن أخيهم محمد بن الهادى والإمام الحسن بن على ، والشيخ وهان العُذرى ، إلى بندر المخاَ ، لموجب الإرسال بهم من هناك إلى الروم . ويُروى أن الإمام القسم بن محمد بن على عليه السلام كان من جملة الملازمين للإمام الحسن بن على ، فلما وصل بهم سنان إلى المخاَ أراد الإمام القسم الركوب معهم ، وهو يومئذ من أفراد الناس لا يؤبه له . فمنعه سنان عن الركوب لأمر يريده الله تعالى ، فرجع إلى صنعاء ، ولازم حلق الدرس فى مسجد داود ، إلى أن خرج من صنعاء فى التاريخ الآتى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

وأما أولاد المطهر والإمام الحسن بن على فحُملوا فى سفينة ، وقلوبهم مريضة حزينة ، ودموعهم جارية على خدودهم ، وأكبادهم تتقطع من الأسف على أولادهم وأهلهم وبلادهم . وأما الفقيه محمد بن يحيى سلامة فشفع فيه بعض من يعز على الباشا ، فأطلقه ، وسكن هجرة ذِئبين . وأما القاضى شرف الدين العيزرى وأخوه وأولاده ، فماتوا فى أسبوع واحد .

ولما تم لسنان ما أراده من توجيه المذكورين إلى الروم ، رجع إلى بلاد الحجرية ،

---

(١) حرام : قبيلة من نهد ، المستقرة غرب زبيد ، ولعل الحصن المشار إليه سمى باسمها .

(٢) تصغير بركة .

فاستفتحها وقبض سلاح أهلها . وجهز الباشا الأمير على الجزائرى إلى رَيَمَة لاستفتاح حصونها .

وفى هذه السنة دعا السيد عبد الله بن على بن الحسن فى بلاد ذهبان من أعمال الجهة الشامية . وقد كان خرج في المدة الماضية من وطنه ساقين إلى بلاد الأهنوم خوفاً من سنان ، لما استولى على جهة صَعْدة . فلبث عند الإمام الحسن بن على أياماً ، ثم انتقل بأولاده إلى الشَرَف عن رأى الإمام . فلم يزل فيها إلى أن أسر الإمام الحسن ، فرجع إلى الجهة الشامية . وحين أظهر الدعوة لم يقع لها أثر . ولما دعا الإمام القسم فى التاريخ الآتى ذكره قصده إلى شَهَارة فأكرمه الإمام القسم ، وجعل له ولاية على بلاد خَوْلان صَعْدة .

ودخلت سنة — ٩٩٥ —

فيها استفتح الأروام حصن شَهَارة على يد السيد عبد الله بن حاجب الغرياني . وكان دخولهم إليها قهراً بالسيف ووصل من أهلها عدة ، ومنهم من تردى فى الشواهق ، ونالتهم معرّة شديدة . وعمر الأروام فيها الناصرة وسَعْدان . وأصلحوا طريقها . وقبضوا على مشايخ الأهنوم وأرسلوا بهم إلى صنعاء تحت الحفظ .

ودخلت سنة — ٩٩٦ —

فيها وصل الخبر بوفاة لطف الله بن المطهر فى الروم .

وفيها جهز الباشا حسن الكيخيا سنان إلى بلاد يافع فى عدة من الأمراء والجيوش الجرارة ، فاستولى عليها بعد مشقة شديدة ، لصعوبة مسالكها .

ودخلت سنة — ٩٩٧ —

فيها عاد الأمير على الجزائرى من ريمة ، بعد أن قرر أعمالها ، فوجهه الباشا حسن إلى صَعْدة ، فلبث فيها مدة .

ودخلت سنة — ٩٩٨ —

لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره .

ودخلت — سنة ٩٩٩ —

فيها عقد الباشا حسن ولاية لولده حسين على تعز وبلادها .

وفيها وصل الخبر بموت حفظ الله بن المطهر فى الروم .

وفيها رجع سنان من يافع بعد أن قرر أمورها وبنى فيها قلعة الحلقة ، وأصلح بعض طرقها .

وفى هذه السنة أهدى سلطان الهند للباشا حسن فيلا ، فبقى مدة حتى عظم .

ودخلت سنة — ١٠٠٠ —

فيها سكنت الفتن فى أقطار اليمن ، وقلّ المعارض للباشا حسن ، فبذل للناس العطايا الواسعة ، ووصلهم بالصلات النافعة ، ومدحه شعراء ذلك العصر . فمما قاله فيه السيد الأديب محمد بن عبد الله الحوثى ، من رسالة يهنئه فيها عند وفود عيد الإفطار ما صورته :

« ولقد ثقل كواهلنا بأياديه الجسام ، وطوق أعناقنا بحسناته التى هى الأطواق والناس الحمامَ ، وأهطل علينا سحائب بره التى مالنا غيرها مطر ولا غمام ، ويسر لنا تفضلاته الموصولة بحسن نيته فهى لنا على طرف التمام ، ساوى بين الحاضرين عنده والغائبين ، وتفرد بهذه الفضيلة ، فمن أنكرها من الناس (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ[1]) .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ، ٦١ .

شعراً :

لدينك والتقوى صيامك والفطر ودنياك والعليا وسعدك والنصر
فأربعة قامت عليها ثلاثة وحسبك فهى اليوم والعام والشهر
ثلاثة أوقات نقضت كواملا علينا وأنت الشمس فيهن والبدر
فأفطر وصم واستوف أجرك كله فأنت الذى فى الناس تم له الأجر

ودخلت سنة — ١٠٠١ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

ودخلت — سنة ١٠٠٢ —

فيها وصل وزير سلطان الهند المسمى عزيز كوه إلى اليمن بهدايا نفيسة للباشا حسن ، فتلقاه الباشا بالإكرام والإقبال التام ، ثم توجه لسفر الحج .

وفى هذه السنة مات الفقيه العارف مفتى الحنفية فى مدينة صنعاء ، [وهو] إبراهيم ابن محمد الجلولى الأهنومى . وكان زيدى المذهب ، ثم انتقل إلى مذهب أبى حنيفة . وحصل كثيراً من كتب الحنفية ، ودفن فى مقبرة خزيمة ، وقريب منها قبة الأمير مطهر بن الشويع .

ودخلت سنة — ١٠٠٣ —

فيها توفى السلطان مراد خان . وقام بعده ولده السلطان محمد بن مراد خان .

ودخلت سنة — ١٠٠٤ —

لم يتفق فيها ما يوجب الرقم .

فيها تم للباشا حسن بناء المدرسة البكيرية[1] فى صنعاء .

وفى آخر هذه السنة ظهرت دلائل قيام الإمام القسم بن محمد بن على عليه السلام ؛ فمنها ما ظهر للناس فى صنعاء من سماع المنادى فى الليل بقوله : « يا إمام قاسم » ! واستمر كذلك مدة شهرين . وكانوا يقصدون إلى موضع النداء فلا يجدون شيئاً أبداً . وكان الإمام مقيماً فى صنعاء للتدريس فى مسجد داود بن المسكين ، وليس له التفات إلى القيام بالإمامة. فإن بعض تلاميذه عرض له فى هذا الشأن وهيأه عليه ، فأنكر قوله واستبعده ، مع مايعاينه من قوة الأروام فى قطر اليمن ، واستيلائهم على وهاده والقُنن[2] ، وما هو عليه من الضعف وعدم المُناصر ، وميل الناس إلى الحطام الحاضر ، ويأبى الله إلا ما يريد .

فإن الباشا حسن ، ومن فى حضرته من الأمراء والأغوات ، لما سمعوا بقضية المنادى أقامهم وأقعدهم ، وجعلوا يتوصلون إلى معرفة الإمام قاسم بكل ممكن ، حتى قيل إنهم طلبوا من بنيان المُنجّم فى ذلك الأوان الدلالة على موضع الإمام ، فأخبرهم به . وجاء إلى الإمام من أخبره بما تحدث به المُنجّم ، فخرج من صنعاء خائفاً يترقب ، ومعه رجلان من تلامذته ، حتى وصل شِبَام تحت كوكبان ، وتوجه منه إلى بلاد الشَّرف ، فاستقر فى بلده ومحل أهله ، وهى بلدة تعرف بالقويعة من أعمال الشاهل . وكان والده محمد بن على وجده على بن محمد من أنصار المطهر بن الإمام شرف الدين ، وسكونهما فى فى الشَّرف . وقتل جده على بن محمد فى بعض حروب المطهر والأروام بجوشاز .

---

(١) تعتبر هذه المدرسة من مآثر حسن باشا فى اليمن ، وسميت بالبكيرية نسبة الى متولى بنائها وهو بكير أغا ، كما سيشير المؤلف نفسه الى ذلك فيما بعد .

(٢) قنة كل شىء أعلاه ، والقنة الجبل المنفرد المرتفع فى السماء ، والجمع قنن وقنان . (المعجم الوسيط)

ودخلت سنة —١٠٠٦—

فى المحرم منها وقعت آية سماوية فى بيت الفقيه الزيدية ، وهى حصول رعد عظيم وبرق خاطف من غير مطر ، ونزل عقيب ذلك حجران من السماء فوقعا فى محلين متباينين بينهما نحو ميلين . وكان إذا حُك أحدهما ظهر منها شبه الذهب والأخرى شبه الفضة ، فسبحان القادر على ما يشاء .

وفى صفر من هذه السنة كانت دعوة الإمام القسم بن محمد ، بن على ، بن محمد ، ابن على ، بن الرشيد ، بن أحمد ، بن الأمير الحسين الأملحى ، بن على ، بن يحيى ، ابن محمد ، بن يوسف الملقب بالأشل ، ابن الامام الداعى القسم ، ابن الامام الداعى يوسف ، ابن يحيى ، بن الناصر أحمد ، بن الهادى إلى الحق يحيى ، بن الحسين عليه السلام . وكانت دعوته المباركة فى محل من بلاد حَجُور يعرف بحديد قارة قبلى الشَرف ، وأجابه من أهل تلك الجهات أبو زيد وأصحابه ، وجماعة من أهل الأهنوم ، وبنو عباس ، وغيرهم من الناس ، حتى اجتمع عنده نحو أربعمائه نفر . وكان العامل فى الشَرف ـ وهو الأمير حسين بن ناصر ـ فى سفر الحج ، فتقدم نائبه لحرب الإمام ، فهزمه أصحاب الامام. ثم تقدموا لمحاصرة حصن وَشحة .

ونمى خبر قيام الإمام إلى الباشا حسن وهو فى روضة حاتم ، فعلم أن حوادث الأيام قد نظرت إليه بطرف غير نائم . فرجع إلى صنعاء ، وبرزت خيام الكيخيا سنان إلى البستان الغربى خارج المدينه . ثم وجه الباشا حسن الأمير عبد الله بن المعافا فى عساكر كثيرة إلى الأهنوم ، فاستقر فى الهَجَر .

وكان الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن عاملا على حَجَّة وبلادها من جهة الباشا ، فتوجهت عساكره لمحاربة الامام ، وانضم إليهم جميع من فى الجهات الشَرفية من عسكر الأروام . فأمر الامام القسم أصحابه المحاصرين لحصن وَشحة بالاجتماع فى حديد قارة فاجتمعوا ، ودهمتهم العساكر . ووقع الحرب ، فحصل فى جماعة من أصحاب الإمام

كالسيد عبد الله بن هادى الحيدانى[1] ، والسيد ناصر بن داود الطاعنى ، والشيخ على بن وهان العُذرى ، جراحات خفيفة . وتأخر الإمام إلى بعض الأودية ، فاجتمع إليه أصحابه ، ثم توجه من فوره إلى عُذر ، وأمر بمحاربة من فى قرى الوعر ، فخرج منه السيد عبد الرحمن المدائرى ، وكان الأمير عبد الله بن المعافا قد أمره بحفظ الحصن المذكور . وأما بقية أهل الحصن فثبتوا ، ومنعوا أصحاب الامام عن دخول الحصن .

ولما عرف الامام أن العساكر قد توجهت إليه من كل مكان ، فرق أصحابه فى البلدان . وسار بنفسه إلى جبل برط ، فعلم به قرا جمعه — نائب الباشا فى صَعْدَة — فبذل للشيخ عبيد البرطى مالاً جزيلاً فى قبض الإمام . فأحضر الشيخ عبيد [البرطى] ذلك المال إلى الإمام ، وأخبره الخبر ، وأرجع المال إلى قرى[2] جمعه ، فشكره الإمام على ذلك . وكان الأمير مطهر بن الشويع عاملا للباشا على الظاهر ، وعنده عدة من الأمراء ، كالأمير عبد الله بن المطهر وغيره . فأمده الباشا بعسكر ، وأمره بتنفيذهم مع من عنده إلى بلاد الأهنوم . فلما وصلوا أخرف ، أقبل عليهم أصحاب الإمام مع الحاج أحمد الشاطبي والحاج أحمد بن على دعيس ، وهم ألف نفر من غريان ، والظاهر وحاشد وبكيل وغيرهم ، فقتلوا من أصحاب الأمير مطهر بن الشويع ستة عشر نفرا ، وانتهبوا سلاحهم ، وحصروهم فى ذلك المحل ، إلى أن عاد عليهم الأمير مطهر بن الشويع بنفسه من خَمِر ، فاستنقذهم .

وفى هذه المدة أجاب أهل الحَيْمة ودخلوا تحت طاعة الإمام القسم ، وكان قائدهم الفقيه المجاهد يوسف بن على الحماطى[3] ، فنهض الكيخيا سنان إلى حَضُور . وكان الحماطى قد كتب إلى الامام يخبره بطاعة أهل الحَيْمة ، ويستمد منه الإعانة ، فبعث إليه

(١) الحيدانى : نسبة الى حيدان ، وقد سبق شرحها

(٢) كذا فى المتن . ويلاحظ أن « قرى » كتبت بالألف قبل ذلك .

(٣) نسبة الى الحماط . وهو شجر غليظ فى البادية . وحماط موضع ، والحماطة من مناهل لغسان باليمن .

(ياقوت : معجم البلدان ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٥)

عمه السيد المجاهد عامر بن على بن محمد ، والسيد محمد بن على بن الحسين بن شمس الدين ابن الإمام المهدى أحمد بن يحيى ، وهو المعروف بالقراع . ففوض الفقيه يوسف الحماطى الأمر إلى السيد عامر ، واجتمع الناس إليه وأطاعوه . واستقر فى الَحيْمة ، فقصدته محطة الأروام خيلا ورجلا ، وقائدهم الأمير إبراهيم طويل والشيخ عبد الله الرماح ، إلى محل يسمى السِّلف[(١)] . ولقاهم السيد عامر بأهل الَحيْمة إلى جبل البوزين[(٢)] . ووقعت بينهم هنالك وقعة عظيمة . واتصل السيد محمد القراع ببعض أصحاب الرماح فمالوا إليه ، وحملوا على محطة الأروام ، فقتلوا قائدهم الأمير إبراهيم طويل ، واستولوا على خزائنهم ، وكانت وفر سبعين جملا . وطلب الشيخ عبد الله الرماح الأمان لنفسه ومن بقى معه ، فأمنه السيد عامر ، وخرج بمن عنده ، وكانوا زهاء ألف وخمسمائة راجل ونحو سبعين فارسا . ثم تقدم السيدعامر بمن معه إلى جبل بيت خَوْلان ، فقصده الكيخيا سنان ، ومن انضم إليه من قبائل سِنْحان وخَوْلان وهمْدان .

ووقع حرب شديد قتل فيه من أصحاب السيد عامر قدر سبعين رجلا ، واستولى سنان على قرية بيت خَوْلان وبيت مَعْدن[(٣)] ، ثم عطف عليه السيد عامر وأصحابه فى ذلك اليوم ، وأبلوا بلاء حسنا ، وحمل الشيخ محمد بن ناصر صاحب الأحبوب[(٤)] ، فقتل من أصحاب سنان عدة . وكادوا يستولون على سنان ، فوصلت إليه غارة كوكبان . فتأخر السيد عامر وأصحابه إلى عُرق الاعطب[(٥)] ، وتقدم سنان إلى جبل البوزين

---

(١) السلف : اسم قبيلة قديمة من قبائل اليمن ، سمى باسمها مخلاف باليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) بوزان : موضع فى سرو مدحج
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٩٧)

(٣) معدن بفتح أوله وسكون العين وكسر الدال . ويوجد باليمن أكثر من موضع بهذا الاسم ، أحدها بيت معدن قرب بيت خولان ، كما يبدو من المتن .

(٤) الأحبوب : موضع باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٥)

(٥) يوجد أكثر من موضع فى اليمن باسم « عرق » و « عرقة » و « ذات العرق » و « العرقة » . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب)

واشتدت وطأته على من ظفر به من أهل الحَيْمة ، فجعل يقتل كل أسير أُتى إليه به ، حتى لقـد أُتى إليه بطفلة صغيرة فأمر بسلخها ، بعد أن استجارت بأهل كَوْكبان فلم يجيروها .

ثم إن الفقيه يوسف الحماطى تقدم إلى أنس ومنه إلى ذِمَار ، فلما استقر فيه جهز إليه الباشا عسكرا مع رجل يعرف بالواعظ ، كان فى ابتـداء أمره متنسكا ملازما للبقاء فى جامع صنعاء ، فمالت به الدنيا وصار من أعوان السلطان . ولما بلغ الحماطى وصول الواعظ إلى قريب ذِمَار ، خرج منه إلى محل قريب ، فقصده الواعظ وحصره فى ذلك المحل ، حتى خرج إليه ، فأرسل به إلى صنعاء ، فأودع السجن . ولم يلبث أن مات ، رحمه الله تعالى . وقتل ممن كان معه الفقيه المجاهد محمد بن عبد الله العَيَّانى النسرى من العَيَّانة من بلاد الثلث ، أحد جبال حَرَاز ، وهو الذى ذكره الامام القسم بن محمد فى قصيدته التى أولها :

سفحت مدامع مقـلة المجروح لدم لآل المصطفى مسفوح

حتى قال :

ومن العيانه عائد متبتـل إلخ ، والله أعـلم .

ولمـا وقع الحرب المقدم ذكره فى أخرف ، وقتل فيه من قتل من أصحاب الأمير مطهر بن الشويع ، كتب الحاج أحمد بن على دعيس إلى الامام القسم وهو فى برط يخبره بما وقع ، ويستنهضه للوصول . وكان الأروام الذين خرجوا مع الأمير عبد الله ابن المعافا من صنعاء إلى الهَجَر قد تقدموا إلى وادعة . وحشدوا قبائل الأهنوم وغيرهم ، حتى بلغوا أربعة عشر ألفا ، ودخلوا الحصن فانتهبوه ، وأخربوا بعض بيوته ، وجعل الأمير حسن بن ناصر الغريانى يغير عليهم بمن اجتمع إليـه من أهل وادعه وأهل شاطب وغيرهم .

وفى خلال ذلك وصل الإمام القسم إلى شاطب ، فرجع أهل الأهنوم الذين كانوا

مع محطة الأروام فى وادعة إلى بلادهم ، وأظهروا الدعاء إلى الامام والميل إليه ، وانضم إليهم أهل ظُلَيمة وعُذر . ثم تقدم الإمام إلى المحراب ، ودخل فى طاعته أهل الهَجَر . وتقدم السيد العلامة إبراهيم بن المهدى جحاف والفقيه على بن محمد الشهارى عن رأى الإمام بقبائل الأهنوم وعُذر وظليمة إلى شَظَب وجبل بنى حجاج والموسّم . وكان فى السَّوْدة عسكر من الأروام قدر أربعمائة نفر ، فوقع بينهم وبين أصحاب الإمام حرب فى جبل بنى حجاج ، قتل فيه من أصحاب الإمام ثلاثة أنفار . ولم يزل أصحاب الإمام يشنون عليهم الغارات حتى دخلوا فى طاعة الإمام ، ولم يبق فى حصن السَّوْدة إلاّ الأمير عبد الله بن المعافا .

ولما استقر الإمام فى الاهنوم بعث السيد عبد الله بن هادى الحيدانى والقاضى حسن بن على النسارى وغيرهما بعسكر إلى بلاد الشرف ، فأجابهم أهل حَجُور وعاهم(١) وطاعن ، فوقع بينهم وبين عسكر الروم وأصحاب عبد الرحيم حرب فى بلاد الشرَف ، انهزم فيه عسكر الأروام وأصحاب عبد الرحيم ، وانتهبت أثقالهُم ، وفتح أصحاب الإمام حَجَّة ، وطووا ما قابلهم من الجهة اليمانية ، إلى أن بلغوا جبل تيس . ومنهم من تقدم إلى عفَار ، وبعضهم أقام الحصار على عسكر الأروام فى نعمان حَجَّة ، حتى خرجوا إليهم ، فبعثوا بهم إلى الإمام تحت الأسر . وأقام السيد عبد الله الحيوانى الحرب على الدَبوب(٢) ومُبين ، وفيه عبد الرحيم ، فخرج متوجهاً إلى الإمام فى خمسمائة نفر من أهل الَحبَر وغيرهم ، أكثرهم أهل بنادق . فأكرمه الإمام ، ثم أخذ عليه العهد مع البيعة ، وأمره بالتقدم إلى جبل عيال يزيد لمحاربة سنان فى عُمْران . فأضمر فى نفسه الخديعة للإمام ، وندم على متابعته ، فراسل سنان سرّا أنه يتنحى عن عُمْرَان ، فمتى دخلها بمن معه من أصحاب الإمام رجع إليه للقبض على أصحاب الإمام . فعرف بمكيدته بعض

---

(١) عاهم : أحد الأودية الغربية بالشرفين من لواء حجة
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٠٧)

(٢) دبوب : موضع فى جبال هذيل (ياقوت : معجم البلدان)

أصحاب الإمام ، فأشار إلى بقية أصحابه ، فتأخروا عن عبد الرحيم ، وتقدم إلى عُمْران بخاصته ، وفاته ما أراده .

وفى هذه السنة استفتح السيد الحسن بن شرف الدين الكَحلانى — أحد أنصار الإمام — حصن ثلا ومُدع وبلادهما ، فخشى سنان على أصحابه الذين فى مَتْنَة وجبل البوزين من السيد عامر بن على ، وأهل الحَيْمَة ، وأمر عبد الله الرماح أنه يضع مهادنة بينهم وبين السيد عامر . ثم رفع تلك المحطة إلى صنعاء ، واستولى الإمام فى هذا المقام على كثير من المعاقل كشَهَارة والسَّوْدة وغيرهما . وخرج ابن المعافا إلى حضرة الامام ، ولم يبق فى يد الأروام من المدن الكبار إلا صنعاء وصَعْدة ، ومن البلاد اليمن الأسفل وتهامة .

ولما استقر الإمام فى حصن السَّوْدَة ، أراد ناصر البهيلة صاحب حصن حَقْل أحد خواص عبد الرحيم ، المكر بالإمام ، فاستدعاه ليسلم حصنه إليه ، فسار إليه الإمام بنفسه . وقد كان أشار عليه بعض أصحابه أنه لا يأمن مكره ، فلم يسعدهم . فلما وصل قريب الحصن رماه البهيلة بثلاث رصاصات دفعة واحدة ، فسلمه الله منها ، ورجع إلى السرعوف ، ومنه إلى السَّوْدَة .

وفى هذه الأيام بعث الباشا حسن الأمير الواعظ والأمير أحمد الأدرن إلى أسْنَاف من بلاد خَوْلان ، بألفاف من العسكر وأهل السوق ، لمحاربة الحاج المجاهد أحمد بن عواض الأسدى وأهل خَوْلان . فلما وصل الأميران إلى أسْنَاف ، قصدهم الحاج أحمد بأهل خَوْلان ، فأوقع بهم وقعة عظيمة ، وقُتل الأمير أحمد الأدرن وعدة من عسكره ، وغنم مامعهم من البنادق والزيارات[1]. وفر الواعظ ببقية ذلك العسكر إلى صنعاء ، فبطلت رياسته . وظهر للباشا عدم معرفته للحرب ، وأن فعلته مع الحماضى كانت اتفاقية . فأهانه وأودعه السجن فى ذى مَرْمر ، وبعد مدة أمر سنان بضرب عنقه .

---

(١) انظر ما سبق فى حوادث سنة ٩٥٩ هـ

وفيها أيضاً تقدم السيد عامر بن على إلى جبل تيس ، ثم ارتفع إلى بنى الخياط بجموع كثيرة من أهل الخَيْمَة وغيرهم ، فخرج إليه الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين من كوكبان ، وكانت بينهم وقعة عظيمة فى مقفور[1] الحصان ، قتل فيها من أقارب الأمير أحمد بن محمد السيد لطف البارى بن محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين والسيد الهادى بن رضى الدين ، وأسر السيد على بن الحسن بن على بن الإمام شرف الدين . ثم رجع الأمير أحمد بن محمد إلى كوكبان ، فاستقر فيه مدة يسيرة . ثم قصد السيد عامر إلى بنى الخياط تارة أخرى ، ووقع بينهما حرب كانت الدائرة فيه على الأمير أحمد ، ولم ينج إلا بمشقة ، واستولى السيد عامر على أكثر بلاده ، وتردد فيها . ولم يبق فى يد الأمير أحمد إلا الطويلة وكَوْكبان ، وسيأتى ذكر ما جرى بينه وبين السيد عامر بعد هذا .

وفى اللآلئ المضيئة ، للسيد العلامة أحمد بن محمد الشرفى ، رحمه الله تعالى ، مالفظه :

وفى النصف الأخير من شعبان سنة ستة وألف كانت وقعة نجد السَّلف[2] وهو موضع قريب من رُدَاع ، وهو نجد الحاج الذى استشهد فيه الإمام أبو الفتح الديلمى عليه السلام . وسببها أنه لما ظهر أمر الإمام عليه السلام ، وقويت شوكته ، وضعفت دولة الأتراك ، وقتل كثير من أجنادها ، وخرج أكثر البلاد عن أيديهم .

وكان فى بلاد رُداع من رؤساء العرب ومشايخ القبائل ، ولدا الشيخ أحمد القابعى ، حسين ومقبل . فأما حسين فقد كان الأتراك جعلوه أميراً ، وأما مقبل فإنه كان خاملا ، وربما أنه كان يرى أنه قد حُرِم ما يستحقه من الرياسة ، فإنه وإن كان صغيراً فى سنِّه ، فإنه كان كبيراً عند نفسه وعند قبائله ، مع ما حاز من شجاعة وغيرها . فلما ظهرت دولة الإمام ، وانتشرت إلى الأطراف وكان الحاج الفاضل المجاهد شمس الدين أحمد

---

(١) قفر الأثر قفرا ، تتبعه واقتفاه .

(٢) السلف : قبيلتان قديمتان من قبائل اليمن . وقد سمى بالسلف مخلاف فى اليمن . (ياقوت : معجم البلدان)

ابن عواض الأسدى فى بلاد خَوْلان ، وهى قريبة من بلاد قابعة ، كاتب مقبلُ هذا الحاجَ أحمد ، وطلب أن يعتزى إلى الإمام ويكون من جملة أنصاره . فأجاب الحاج أحمد إلى ذلك ، وجعل له قواعد من الإمام عليه السلام . وأظهر مقبل الموالاة ، وأجابه كثير من قبائله قابعة وغيرهم .

وقد كان الأمير سنان لما استولى على بلاد يافع فى سنة سبع وألف ، بنى فيها حصنا يسمى حَلَقَة ، وترك فيه محطة كبيرة لضبط تلك البلاد . ولما ظهرت موالاة مقبل القابعى للإمام ، وبلاده قريبة من بلاد يافع ، حالف أهل يافع على الأتراك ، وحصروا تلك المحطة التى فى حَلَقة . وكان الأمير سنان يهاب أهل يافع ، لما كان عرف من شدة بأسهم وقت دخوله بلادهم وحربهم له فيها ، ولأنه كان قد جرحهم جرحا كبيراً ، وشردهم وعاقبهم العقوبات العظيمة ، وأخذ سلاحهم . فلما بلغه خلافهم جهز من صنعاء عسكراً واسعاً . وأمر إلى أمرائه فى اليمن الأسفل أن يلقوهم إلى تلك الجهة . يريد التنفيس على أهل حَلَقَة . فاجتمع عسكره إلى هذا الموضع ، أعنى نجد السَّيلف ، فحطوا فيه ، وشرعوا فى حرب من كان قريباً منهم ممن كان قد خالف عليهم من قبائل تلك الجهة . فقصدهم مقبل القابعى ، فيمن تبعه من قبائله . ووافق أن عسكر الأتراك وقت إيصال مقبل لمحطتهم كانوا غُزاة ، ولم يكن فى الموضع الذى قتل فيه من قتل إلا الرؤساء منهم ، مع من بقى من عسكرهم . فقتل أمراء الأتراك من رؤسائهم نحو خمسة عشر رئيساً مع كثير من العسكر ، ولم ينج من رؤسائهم إلا الأمير عبد الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين عليه السلام ، فيما بلغ ، ونجا بقية العسكر الذين كانوا غُزاة .

هكذا حكاه من وصل من تلك الجهة ، والله أعلم .

وفى هذه السنة ثار أهل يافع على عامل الباشا ، وهو الأمير أحمد ، وكان مستقراً فى الحلقَة ، فوجه إليهم الباشا حسن الأمير عبدالله بن المطهر ، وغيره من الأمراء فى عسكر عظيم . فلما قربوا من الحلقَة أقبلت عليهم قبائل يافع من كل مكان ، وكانت بينهم

وقعة عظيمة فى نجد السِّلْف ، وهو الحد فيا بين بلاد الرصاص وقيفة[1] . قتل فى هذه الوقعة كثير من عسكر الأروام ، ونهبت خزائنهم وانهزم بقيتهم إلى رُداع ، وقتل الأمير أحمد الذى كان فى حصن الحَلَقَة .

وفيها أيضاً خرج الكيخيا سنان إلى هزم من بلاد أُرحب ، فأحرب أهلها ونالتهم منه معرّة . وكان أكثر الضرر عليهم من همدان لعداوة بينهم . وخرج من كان عندهم من أصحاب الإمام القسم ، عليه السلام .

ودخلت سنة — ١٠٠٧ —

فى المحرم منها وجه الإمام القسم السيد عبد الله بن محمد المحرابى فى عسكر كثير إلى الجهة الصعْدية ، لمحاربة السيد محمد بن عبد الله المعروف بأبى علامة . وكان فى ابتداء أمره من جملة أعوان الإمام ، فوقع بينه وبين عامل الإمام على رازح تفاوت ، آل إلى الحرب وأسر عامل الإمام . ولما التقى السيد المذكور والسيد عبد الله المحرابى فى ساقين ، انهزم أبو علامة إلى قُراص[2] ، ثم والى للأروام الذين فى صَعْدة ، وجعلوا إليه ولاية خَوْلان صَعْدة . ورجع إلى فَلَلَه ، فقصده أصحاب الإمام ، وأمده الأروام من صَعْدة ، فرجع أصحاب الإمام عن تلك الجهة ، ولم يزل هذا السيد موالياً للأروام إلى أن استفتحت صنعاء .

وفى هذه السنة غزا الحاج أحمد الأسدى إلى محطة باب اليمن، وحصلت روعة كبيرة فى صنعاء ، ورموا بالزبارط .

وفيها توجه الكيخيا سنان إلى ثلا لمحاصرة السيد الحسن بن شرف الدين الكحلانى ، عامل الإمام. ولما وصل حول ثلا قرر أمر المحطة عليه ، وتقدم لإعانة الأمير أحمد بن محمد ،

---

(١) قيفة : من قضاء ذمار بالقرب من الحدا
(الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٦٨)

(٢) قراص : بضم أوله ، موضع (ياقوت معجم البلدان)

والمستفتاح بلاده . فوقف في الوَدّ[1] ، أطرف جبل الظلع . فتأخر أصحاب الامام المحاصرون لحصن الطويلة . فتوجه سنان لمحاصرة من في مُدَع . ولم يزل يستميل القبائل بالمال . ثم وجه عسكره إلى بيت عذاقة[2] فوقع بينهم وبين أصحاب الامام حرب هنالك . قتل فيه من أعيان أصحاب الامام السيدان المجاهدان الاخوان أحمد بن محمد الحرازي وعلى بن محمد ، وهما قائدا أصحاب الامام ، واحتزت رؤوسهما . ثم دفن في بيت زيب[3] في جبل مِسْوَر ، رحمهما الله تعالى . وذهبت طائفة من الفريقين . وخرج من في مُدَع بأمان . وبعد أيام طلب السيد الحسن بن شرف الدين الكحلاني الخروج من ثلا على يد الأمير أحمد بن محمد . وكان الكيخيا سنان قد انتقل إلى خمر . فوجه إلى ثلا . وخرج السيد الحسن إلى يده . فتقدم به سنان إلى كوكبان وحضر وليمة السيد محمد بن أحمد بابنة الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن . ثم رجع إلى خمر . ولبث السيد الحسن الكَحَلاني في كوكبان مدة تحت الأسر .

وفي هذه المدة بعث الامام القسم ولده محمد في جماعة من الأعيان والعساكر إلى ظَفير حَجَّة ، فمرّ بصَبَرة[4] ونيسا[5] . وجعل في نيسا طائفة من العسكر . ثم تقدم إلى الظفير ، فاستقر فيه والحرب قائمة على عبد الرحيم في مُبيْن . والكيخيا سنان يمده بالعساكر . فلما توافروا لديه ، تقدم على أصحاب الإمام الذين في نيسا . فلم يظفر بهم . فرجع لمحاربة الظفير ، وشدد في حصاره ، وأصابته رصاصة في شدقه ذهبت منها أضراسه .

---

(١) الود : بفتح الواو وضم الدال وتشديدها ، جبل . وهو كما ورد في المتن أطرف جبل الظلع
(ياقوت : معجم البلدان . الهمداني صفة جزيرة العرب . ٢٠٨)

(٢) ذكر الهمداني أن عذاق جبل يقع بسماي وادي نخله
(صفة جزيرة العرب . ص ٧٥)

(٣) بيت زيب . قرية في جبل نخلي باليمن

(٤) الصبرة : بفتح الصاد وسكون الباء ، جبل جنوب وادي نخله باليمن .
(الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص ٧٥)

(٥) نيسا موضع قرب صبرة ، كما نتضح من النص .

ولما امتد الحصار على أهل الظفير، وعلموا أنهم إذا خرجوا إلى يد عبد الرحيم لم يُبق منهم على أحد، لشدة غيظه عليهم، كتبوا إلى سنان أنه يرسل إليهم الأمير عبد الله بن المطهر، ليكون خروجهم على يديه. فأرسله إليهم، وخرج إليه مشايخ الظفير، فتقدم بهم إلى سنان، فأكرمهم فى ذلك الأوان، واستبقاهم حتى رجع إلى صنعاء. ثم أودعهم السجن، ومات أكثرهم فيه، وبقى بقيتهم إلى الصلح الواقع أيام جعفر بعد مدة من الزمان. وأما محمد ابن الإمام فرجع إلى أبيه سالماً.

وفى هذه السنة انتقل سنان إلى الصرارة[1] وجعل يستميل مشايخ تلك الجهات بالذهب الأحمر المغشوش حتى أفسدهم. ثم قدم عسكره إلى السَّوْدة، والإمام يومئذ فيها متأهباً لحرب الأروام، فأدرك من عبد الله بن المعافا الميل إلى سنان. وكان الإمام قد خرج من حصن السَّوْدة فى بعض الأيام، ثم رجع فمنعه ابن المعافا عن الدخول. فتوجه الإمام إلى المحراب من جبل الأهنوم. واستولى عسكر سنان على السَّوْدة. وسار ابن المعافا إلى سنان فأكرمه، وضاعف له الإحسان.

وفى هذه الأيام أيضاً وجه الباشا حسن قدر خمسمائة نفر من العسكر، منهم الشيخ حميد صاحب رَيْمَة القريبة من صنعاء، إلى وادى الفروات[2]، فأقبل عليهم الحاج أحمد الأمدى بجموعه، فقتلهم عن آخرهم، ومال الناس بعد هذه إلى موالاة الإمام.

وفى هذه الأيام توجه السيد عامر بن على إلى حضرة الامام، فأمره بالتقدم إلى بلاد خَوْلان، فسار إليه على طريق نُهم، ثم تقدم إلى بلاد أنس ومنها إلى الَحيْمة. ثم قصد بأهل الَحيْمة إلى جبل تيس فاستفتحه تارة أخرى، وضيق على الأمير أحمد بن محمد مسالكه. فنهض الأمير أحمد إلى الطويلة، والسيد عامر يتردد فى بلاده، حتى وصل

---

(١) الصرارة: موضع. وقد ذكر ياقوت والهمدانى أن صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة. وقيل اسم جبل. على أن صرارة المذكورة هنا قرب السودة باليمن، كما يفهم من المتن.

(٢) وادى الفروات: قرب صنعاء (أنباء الزمن. ورقة ١٤٥)

المحويت[١]، ولبث فيه يومين . ثم رجع إلى محل من بني حبيش يعرف بالمدينة فتزوج فيها ، وحاصر من فى الأكمة من أصحاب الأمير أحمد بن محمد . حتى كاد أصحابه يستولون على المحصورين . فوجه الأمير أحمد بن محمد الشيخ عبد الله بن صالح الرواسى وبعض النقباء فى عسكر لتخليص المحصورين فى الأكمة . فمروا بالمدينة ولا علم لهم أن السيد عامر فيها ، فلقيتهم امرأة وقالت لهم إن السيد عامر فى هذه البلدة . فمالوا عليه ، وأحاطوا به من كل جانب . ولم يكن عنده من أصحابه إلاّ القليل ، وبقيتهم فى زدمان . وكان أشار عليه بعض أصحابه بالانتقال عن ذلك المحل ، فلم يسعد ليقضى الله أمراً كان مفعولا . ولما أحاط به أصحاب أحمد بن محمد لم يجد بداً من الخروج إليهم . فقبضوه أسيراً ، ودخلوا به الأكمة التى فيها الجماعة المحصورين . فلما أحسوا نفوسهم فى الأكمة أشعروا أصحاب السيد عامر بقبضه ، فأفشلوا وانهزموا ، وقتل منهم نحو ستين نفراً أكثرهم من بنى عمر أهل الخيمة . وتردى بعضهم فى الشواهق ، وأسر منهم سبعة أنفار . وتقدم الرواسى وأصحابه بالسيد عامر إلى الأمير أحمد بن محمد . فعاتبه عتابا طويلا ، وذكره إحسانه المتقدم إليه أيام إقامته فى كوكبان ، ثم أركبه على جمل ورجع به وبأصحابه الأسارى والرءوس إلى كوكبان . ثم بعث بهم إلى سنان وهو فى خمر ، فقتل الأسارى ، وسلخ جلد السيد عامر ونفرين معه . ودفن فى خمر ، وعليه مشهد هنالك ، رحمه الله تعالى. وفتّ قتله فى عضد الامام القسم ، ورثاه بالقصيدة التى تقدم ذكر أولها وهى طويلة.

وفى هذه السنة وصل الباشا على من الحبشة إلى اليمن ، فوقف فى القينين[٢] وكتب إلى سنان أنه يلقاه إلى بلاد خَوْلان . فدخل سنان من قبلىّ بلاد خَوْلان . والباشا على من جنوبها . فوقع الفتح ، واشتد غيظ سنان على أهلها ، خصوصاً الفقهاء . فانه شدد فى ظلمهم بناء منه أنهم الذين يحرضون الرعية على طاعة الامام ، فخرج الفقهاء إلى بيدة . واضطر

---

(١) المحويت : مدينة من أجمل مدن اليمن على بعد مائة كيلومترا من صنعاء ، الى الشمال الغربى منها . (الويسى اليمن الكبرى ، ص ٦٠)

(٢) قينان : موضع فى جبل السراة باليمن ، قرب بلد كلاع .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)

بعضهم إلى تغيير زيه . ثم رجع الباشا على إلى ذِمَار ، وبنى فيه الدار الباقية إلى الآن . ورجع سنان إلى صنعاء ، فلبث فيها أيام عيد النحر ، ثم توجه لاستفتاح الَحيْمة ، فاستقر فى جبل البوزين واستفتح بعض البلاد .

وفى هذه المدة وقع حرب بين أهل خُبَّان — ومن عندهم من عسكر الروم — قتل فيه من الفريقين نحو خمسين نفراً .

وفيها تسلم عبد الرحيم بن عبد الرحمن حصن دروان من بلاد حَجّة ، وأخربه .

ودخلت سنة — ١٠٠٨ —

فيها نهض الباشا على ، الواصل من الحبشة لاستفتاح بلاد رَيمة . فلما توسط نقيل بنى الطليلى ثار عليه أهل تلك الجهة ، فقتلوه فى آخر القوم ، بحيث لم يعلم بقتله من تقدمه من أصحابه لضيق المحل والتفاف أشجاره ، حتى خالطتهم القبائل ، وانتهبوا سلاحهم ، واستولوا على خزانة الباشا المذكور ، وتوجه بعض أصحابه إلى وصاب بأمان من أهل البلاد . ولما بلغ سنان قتل الباشا على رجع من غزو الَحيْمة إلى صنعاء ، وخرج الفقيه على بن يوسف الحماطى من الَحيْمة إلى أنس ، فاستدعاه أهل حصن مسار من نواحى حَرَاز ، فسار إليهم . ولما استقر فى الحصن المذكور ، عظم الأمر على الأروام ، وما زالوا يبعثون العساكر لحربه حتى قتل من محطة الأروام قدر ثمانمائة نفر فى مدة المحاصرة .

وفى هذه السنة مات السيد الأديب محمد بن عبد الله ابن الإمام شرف الدين ، رحمه الله تعالى، فى ذنوب[1] حجة .

وفيها اجتمع أصحاب الإمام القسم فى بلاد صَعْدة ، وقصدوا من فيها من الأروام ، وقائدهم يومئذ الأمير مصطفى . فخرج إليهم وناوشهم القتال ، فقتل من الفريقين جماعة ،

(١) الذنوب : موضع ، ويفهم من النص انه يقع فى حجة
(ياقوت : معجم البلدان . الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٢٩)

وانهزم أصحاب الإمام إلى بعض الجبال ، وانحصر بقيتهم في بيوت رُحبان[1] ، ثم خرجوا إلى يد مصطفى بأمان . فمال عليهم بعد الأمان وقتلهم عن آخرهم ، وهم زهاء ستمائة نفر ، وأسر السيد العلامة علي بن محمد الهادوي[2] الحديري نسبة إلى حديرة ، وهي قرية من بلاد خَوْلان . وأودعه السجن ثم قتله ، فلم يمهله الله بل مات بعده بأسبوع ، ويروون أنه كان يقول عند النزع « بكى يسيد على » .

ودخلت سنة — ١٠٠٩ —

فيها جمع الباشا حسن الجيوش لجزارة لاستفتاح شهارة ، وجعل قائدهم الأمير عبد الله بن المعافا ، وولاه جميع بلاد الأهنوم ، فمر ببلاد غشم من بلاد بني صريم فأخربها ، ودخل ظليمه فخرب حبور ، وتقدم إلى نجد بني حمزة ، وأقام الحصار على شَهارة . ومازال محاصراً لها قدر سنة وثلاثة أشهر حتى نفد ما فيها من الطعام وغيره . واضطر محمد بن الإمام القسم وأهل شَهارة إلى المصالحة ، فتمت على يد بعض أمراء كَوكبان ، على أن ولد الإمام ومن يختص به من أقاربه وعيون أصحابه ينتقلون إلى كَوْكبان ، وبقية أهل شهارة ينتقلون إلى حيث يريدون . وكان الإمام القسم عليه السلام قد خرج من شَهارة في مدة الحصار ، ومعه ولداه الحسنين ، والفقيه علي ابن محمد الشهاري ، والشيخ علي بن وهان العُذري إلى جهة برط .

ودخلت سنة — ١٠١٠ —

في آخرها كان خروج محمد بن الإمام ومن يلوذ به من شهارة إلى كوكبان ، فلم يزل فيه إلى أن تم الصلح فيما بين الإمام القسم والباشا جعفر ، في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) رحبان ، بضم أوله ، من أودية صعدة باليمن
(الهمداني صفة جزيرة العرب ص ١١٤)
(٢) الهادوي ، والهدوي نسبة الى الهادي ، وجمعه هدوية وقد سبق شرح اللفظ .

ودخلت سنة — ١٠١١ —

لم يتفق فيها قصة غريبة .

ودخلت سنة — ١٠١٢ —

فيها مات السلطان محمد بن مراد خان(١) ، وقام بعده ولده السلطان أحمد ابن محمد خان(٢) . وفيها وصل طلاب(٣) من السلطان للباشا حسن عامل اليمن .

ودخلت سنة —١٠١٣—

فيها تجهز الباشا حسن للسير إلى الروم ، فجعل طريقه بلاد الأمير أحمد بن محمد ابن شمس الدين ، ولقاه الأمير أحمد بن محمد ، وسار معه إلى المحويت . وكانت مدة بقاء الباشا حسن فى اليمن قد طالت ، وعظمت هيبته ، وظهرت قوته ، حتى بلغت سناجقه إلى قدر أربعين سنجقا . ولما توجه للعزم من اليمن استخلف الكخيا سنان .

ومن مآثر الباشا حسن فى صنعاء المدرسة المعروفة بالبكيرية نسبة إلى متولى بنائها وهو بكير أغا . ولما مات أراد الباشا حسن دفنه فيها ، فأشار عليه بعض خواصه أن يتركها مسجداً ، ويدفن بكيراً أغا خارجها ، فبنى عليه القبة الصغيرة التى إلى جانبها . وهذه القبة من أعجب ما بناه الأروام فى أرض اليمن ، ومَنْ نَظَرَها علم حسن بنائها . ومن مآثر الباشا المذكور أيضا حمام الميدان فى صنعاء . ومنها تجديد عمارة قروة(٤) .

---

(١) السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث (١٠٠٣ ـ ١٠١٢ هـ)

(٢) السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث (١٠١٢ ـ ١٠٢٦ هـ)
(انظر زامباور : معجم الأنساب ، ص ٢٣٩)

(٣) الطلب : الكتيبة من الجيش ، وهو لفظ كردى أصل معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال . والمقصود فى المتن أن السلطان أرسل امدادات وكتائب الى نائبه باليمن ، الباشا حسن .

(٤) ذكر ياقوت أن القرو من حصون اليمن نحو صنعاء ، ولعل المقصود فى المتن بقروة حصن القرو
أما الهمدانى ، فذكر قروى ـ بالياء ـ وقال انه وادى من أودية اليمن .
(صفة جزيرة العرب ، ص ١٠٨)

وذكر في تاريخ الفقيه عبدالله بن صلاح داعر ، الذي وضعه للباشا جعفر ، أن السلطان جعل إلى الباشا حسن ولاية مصر بعد عوده من اليمن ، والله أعلم .

وفى هذه السنة أراد الأمير أحمد بن محمد تقرير الصلح بين الإمام القسم بن محمد والأروام ، فأمر السيد العلامة الحسن بن شرف الدين الكحلاني أن يكتب إلى جهة برط ، ويعرفه بشأن الصلح وما ينبغي من تسكين الدهماء ، على أنه يسكن أينما أحب من الهجَر ، ويجعل له جانب من البلاد ، وكفايته وأولاده . وكان هذا عن مواطاه بين الأمير أحمد بن محمد وسنان . فأجاب الإمام على السيد الحسن بجواب طويل بليغ . من ذلك قوله : « وتحققنا ما ذكرتم ، أبقاكم الله ، ولم تذكروا في كتابكم تحقيق أحوالكم وأحوال أولادنا السادة ، مع أنه نقل إلينا حُسْن صنيع الأمير صفي الدين أحمد بن محمد ابن شمس الدين ابن أمير المؤمنين من فعل المعروف الطائل ، الذي جاء شكره على لسان كل قائل ، وَوَرَدَ به الرجال والركبان ، فالله يحسن إليه ، ويمده بمواد ألطافه الخفية ، ويأخذ بناصيته إلى الخير ، ويدفع عنه كل مكروه وضير . فتلك شِنْشِنة أخزمية[1] ، بل شيمة هاشمية ، توارثها آباؤه من قبل . فما أحقه بقول الشاعر :

وينشأ ناشىء الولدان فينا   على ما كان عوده أبوه

وإن ذلك عند الله لا يضيع ، إن شاء الله ، قال تعالى :

(وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا[2]) . وقال صلى الله عليه وسلم « مِنْ كَفَّارات الذُنوبِ العظامِ إغاثَةُ الملْهوف والتنفيس عن المكْروب» . وأنا أقول كما قال بعض أئمتنا عليهم السلام :

---

(١) الشنشنة : العادة الغالبة ، وفى المثل « شنشنة أعرفها من أخزم » يضرب فى قرب الشبه فى الخلق . (المعجم الوسيط)
وأخزم اسم رجل من طىء ، وهو جد حاتم طىء
(الحميرى : منتخبات فى أخبار اليمن ، ص ٣٣)

(٢) سورة الشورى ، آية ، ٢٣ .

فلتشكروه فإن الله شاكره سراً وجهراً وهذا بعض مايجب

حتى قال : وأما ما ذكرتم من إقطاع بلاد فإنا أحق بها ، بلى أن يتركوا شهارة وبلادها ، ووادعة ، وبلاد خَوْلان ، وجبل رازح مع برط . ويعقد صلحا سنين معروفة طولها وقصرها إليهم ، فإن ذلك مشروع ، فان يرضوا ، فقد رضينا ولا ننقض إن شاءالله تعالى عهداً ، قال تعالى (وَأَوْفوا بالعَهد إنّ العَهْدَ كانَ مَسْئُولاَ[1]) . والأمير صفى الدين يضمن لنا وعلينا . . . » إلى آخر جوابه عليه . ولما وصل هذا الجواب لم يوافق ما عندهم فلم يتم أمره .

وفى هذه الأيام توجه الباشا سنان إلى الحيمة ، ولقاه الأمير أحمد بن محمد كوكبان ، فدخلوها عنوة ، وقتل من أهلها عدة وامتدت يد العساكر فى البلاد (فَأَكْثَرُوا فِيهاَ الفَساد[2]) ، وأسروا كثيرا من النساء المجموعات إلى العُر[3] ، فتشفع فيهن الأمير أحمد بن محمد فأرجع أكثرهن ، وذهب البعض مع العسكر ، وتوجه سنان إلى حَراز ، فتسلم حصن مسار ، بعد طول الحصار .

وفى الحادى عشر من شوال من هذه السنة مات الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين وقام بعده ولده محمد بن أحمد .

وفيها مات الأمير مطهر بن الشويع ، أحد أمراء الأروام فى هذه الأيام .

وفيها أمر سنان الأمير قراجمة — أحد مماليك الأروام — ومن عنده من الأمراء فى صعدة بالتقدم إلى برط لمحاربة الإمام القسم بن محمد ، فساروا إليه ، ولم يقدر أهله على منعهم . وكان الإمام قد عمر موضعا فى المحلات الخالية والقفارات النائية ، وسكن فيه بأصحابه . ولما بلغه مسيرهم إليه ، تحول عنه إلى محل بارح عنه . فوصل الأروام إلى محله الذى كان فيه فلم يجدوه ، فأخربوا الموضع ورجعوا إلى صَعْدة ، فلبثوا فيها مدة

---

(١) سورة الاسراء ، آية ٣٤
(٢) سورة الفجر ، آية ١٢
(٣) العر : جبل عدن (ياقوت : معجم البلدان)

ثم عادوا إلى برط . فتغيرت أحوال أهله على الإمام ، واشتد خوفهم من الأروام ، وأظهر الشيخ يحيى بن عزوف ، التبرّى من الإمام ، فدعا عليه ، فعاجله الله بالنقمة . ووصلت عسكر الأروام إلى قريب الموضع الذى فيه الإمام ، ثم افترقوا وشتت الله شملهم ، فرجعوا إلى صَعْدة خائبين .

ولما اشتد الأمر على الإمام ، ورأى أن الأيام قد فوقت[1] إليه السهام ، أزمع على الرحيل إلى البصرة ، إلى أن تأتيه من قبل الله النصرة ، فلم يشعر إلاّ بوصول كتاب من عبد الرحيم بن عبد الرحمن يقضى بالموالاة له ، لما مال عن موالاة الأروام ، لسبب ما نقله إليه ناصر التهتاه من تغير قلب الباشا سنان عليه ، فرجع الإمام إلى شاطب فى التاريخ الآتى .

وفى هذه السنة ظهرت فى اليمن شجرة التنباق[2] المعروفة بالتتن ، وصل بها الشيخ على المغربى من الغرب أو من الهند . وكان معه شئ من بذرها فغُرست فى اليمن وكثرت واستعملها سنان وغيره من الأمراء . وكانت الوقية (الأوقية) منها تباع بقرش ، فلما كثرت بيعت الوقية ببقشة[3] . وغلب عليها اسم التتن ، وهى كلمة تركية معناها بالعربية الدخان . وأخبر بعض الحكماء أن فيها منافع ، كطرد الريح عن البطن . وهضم الطعام ، وقطع البلغم الكامن فى الصدر ، وهى مذكورة فى كتب المفردات فى الطب .

---

(١) فاق السهم : وضع فوقه فى الوتر ليرمى به . (المعجم الوسيط) .

(٢) يقصد بالتنباق والتتن شجرة التبغ أو الدخان . وهى شجرة يبلغ طولها بين متر ونصف تقريبا ، وقد تصل فى البلاد الحارة إلى خمسة أمتار . تستخدم أوراقها المجففة فى التدخين والمضغ . ويقال انها شجرة امريكية الاصل . وأن كرستوف كولمبس بعث بذورها الى أسبانيا سنة ١٥١٥ ، ومن ثم انتشرت فى العالم القديم .

(محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين . المجلد الثانى ص ٢٥٦)

(٣) البقشة ، عملة كانت أساس النقد عند اليمنيين ، وتنقسم الى نصف وربع وثمن ، وكل عشر بقشات تساوى ربع ريال نمساوى أو امامى

(النقود العربية ، ص ١٦٨)

واتخذ الناس لشربها آلات ، واخترعوا لذلك هيئات ، فمنهم من شربها بالماء ، ومنهم من شربها يابسة . وكثير من أهل المروءات يرى استعمالها من السقَطات ، وقل أن يستعملها أحد من الأعيان إلاّ سقطت مروءته عند أهل الديانات .

ودخلت سنة — ١٠١٤ —

فيها عاد الإمام القسم من برط إلى شاطب ، ومنه إلى وادعه ، وكان أهلها قد وعدوه النصرة . فلما وصل أطراف بلادهم اضطربوا خوفاً من الأروام ، مع كونهم يودون نصرة الإمام والقيام معه على الأروام ، فأما بعضهم فأجابه على خوف وخطر ، وبعضهم امتنع عن إجابته لشدة الحذر . فكتب الإمام إلى بنى جبر فأجابوه ، فوجه إليهم ولده الحسن والسيد على بن صلاح العِثَالى[١] وكانت هذه أول خرجة خرجها الحسن ابن الإمام، وهو يومئذ فى خمسَ عشرةَ سنة . ولما وصل ذئبين ، وبلغ سنان بقاء الإمام فى وادعه ، وجه الأمير عبد الله بن المعافا إلى خَمِر ، والأمير درويش إلى الصرارة ، والأمير عبد الله بن المطهر إلى بلاد عبد الرحيم ، والأمير أحمد الأخزم إلى ذئبين. فخرج الحسن ابن الإمام من ذئبين إلى وادعه ، وانتهب الأخزم ذئبين مع دخوله إليه . وأما ابن المعافا فقصد وادعه ، فلقاه الشيخ عبد الله بن سعيد الطير[٢] بقبائل وادعه ، فهزمه أقبح هزيمة ، وقتل من أصحابه عدة ، واجتزت رءوسهم ، وانقطع طمع الأروام عن وادعه من هذا التاريخ .

وكان الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن قد تقاعد عن نصرة الإمام بعد المكاتبة إليه ، فلما بلغه قيام أهل وادعه مع الإمام ، بعث أخاه أحمد بن عبد الرحمن إلى بلاد قُرَاضَة ولاعة ، فاستفتحها ، وجرد عسكرا إلى جَزْع وبلاد عَفَار . وأقام الخطبة للإمام

(١) العثالى : نسبة الى عثال ، وهو واد بارض جذام (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) الطير : وردت فى الأصل غير منقوطة ، والصيغة المثبتة من أنباء الزمن (ورقة ١٤٩ ـ أ) .

فى جميع بلاده . وجهز أخاه مطهر بن عبد الرحمن إلى ظليمة والأهنوم وما والاها ، فاستفتحها ، وأقام الحصار على شَهارة ، وفيها إبراهيم بن عبد الله بن المعافا من جهة الأروام . فكتب أهل شَهارة إلى الإمام أنه يصل بنفسه لقبض شَهارة ، كراهة منهم لعبد الرحيم وأخيه . وكان الإمام قد رجع إلى ذَيْبين ، وجهز الشيخ عبد الله الطير إلى بلاد الظاهر فاستفتحها بعد حروب شديدة . ولما وصلت كتب أهل شَهارة إلى الإمام ، نهض على الفور فاستولى على شَهارة ، وأطلق ابن المعافا ، وقبض سلاح أصحابه ، وجعل فى شَهارة من يحفظها ، ثم رجع إلى وادعه وتوجه منها إلى ظَفار ، وكان فيه جماعة من عسكر الأروام ، قد أحاط بهم أصحاب الإمام مع القاضى هادى بن عبد الله بن أبى الرجال .

ولما بلغ الفقيه على بن يوسف الحماطى — صاحب أنس — خروج الإمام من برط إلى وادعه ، جمع من مشايخ الحَيْمة وعسكرها نحو خمسمائة نفر ، وتقدم إلى أنس فاستفتحها . ثم غدر به الشيخ الجرمى فقتله غيلة . فأرسل الإمام إلى جهة الحَيْمة الفقيه عز الدين بن على بن صالح الأكوع ، فلم يزل فيها إلى أيام الصلح الآتى ذكره بين الإمام والباشا جعفر .

وأما أحمد بن عبد الرحمن بن المطهر فإنه لما استفتح بلاد قُرَاضة ولاعه — كما أشرنا إليه — تقدم إلى بلاد كَوْكبان ، فاستفتح أكثرها ، فخرج الأمير محمد بن أحمد إلى الطويلة ، وجهز النقيب سنبل بعصابة من أعيان عسكر كوكبان إلى بنى الذواد . وانضم إليهم الأمير عبد الله بن المطهر بجماعة من الأروام ، فجهز إليهم عبد الرحيم طائفة من عسكره . وانضم إليهم قبائل تلك الجهة ، فحاصروهم حتى سلموا وخرجوا إليهم . ولما وصلوا إلى عبد الرحيم أخذ ما معهم من السلاح الكامل والعدة الوافرة ، وملأ بهم السجون . وافتتح الحرب على الأروا فى هذه الأيام من جميع الجهات . قال الفقيه عبد الله داعر ما معناه : لما افترق الأمر على سنان اشتد غضبه على من فى السجون ،

من الرهائن والأسارى ، من الرجال والنساء والصبيان ، فضيق عليهم أشد التضييق ، حتى هلك بعضهم وبقى مَن حماه أجله .

وفى هذه السنة ظهر رجل فى بلاد العَدين[1] يسمى الشيخ عبد الرحمن ، كان فى أول أمره متنسكا يظهر العبادة ، فمال إليه كثير من أهل تلك الجهات ، ووقعت منه تمويهات ، من ذلك إخبار الواصلين إليه بما فى أنفسهم ، ومنها أنه كان يأمر جماعة ممن قد استغواه بقبض الأفاعى وأكلها فلا تضرهم ، وكانوا يأكلون الزجاج كالبقل . وقصده الرجال والنساء ، ووقع اختلاط ومفاسد ، فبعث إليه سنان طائفة من العسكر ، فبطلت أحواله ، وظهر محاله ، ثم قبضوه ووصلوا به إلى سنان ، فأمر بسلخه .

ودخلت سنة — ١٠١٥ —

فيها توفى الأمير محمد بن أحمد صاحب كوكبان فى الطويلة ، وحمل إلى كوكبان فدفن فيه . ويقال إن سنان دس إليه سُمًّا لما خشى منه الميل إلى الإمام . وقام بعده أخوه إسماعيل بن أحمد بن محمد شمس الدين . وكانت فيه علة مستمرة من قبيل الُحصار[2] ، فكان ضعيف الأمر بسبب ذلك . غير أن سنان ما زال يمده ، وأمره أن يجعل فى الطويلة من يحفظها ، مع ميل أهل جبل تيس إلى الإمام . فبعث إليها السيد صلاح بن مطهر بن صلاح بن شمس الدين ، وكان من أعيان من عنده . فلما وصل الطويلة همّ بالميل إلى عبد الرحمن ، وكتب إليه وإلى القبائل ، وأمرها بالغارة إليه إن قَصَده أحد من جهة الباشا . فأرسل إليه سنان الأمير عبد الله بن المطهر ، ولما وصل إليه لامه على فعله ، وأنكر عليه . وبلغ القبائل أهل المحلات القريبة من الطويلة

---

(١) عدان بالفتح ، موضع ذكره الخزرجى ، ويفهم من كلامه أنه قرب شطب (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٣٦) أما ياقوت ، فذكر عدة روايات لتحديد مكان الموضع ، منها أن المقصود به البلاد الساحلية المطلة على البحر (معجم البلدان)

(٢) حصر فلان ، أى احتبس ، ما فى بطنه من فضلات فهو محصور (المعجم الوسيط) .

وصول الأمير عبد الله إليها ، فشنوا الغارة وامتنع السيد صلاح بن المطهر فى البيت الذى هو فيه منتظراً وصول القبائل إليه . فأحاطت به عسكر الأمير عبد الله ، ودخل عليه بعضهم ، فقتل رجلا منهم ، وخرج من بعض طاقات البيت ، فأمسكوه ، وضربوا عنقه قبل وصول القبائل . فلما بلغهم قتله تفرقوا أيدى سبأ .

وفى هذه الأيام خرج من فى حصن جَزْع من أصحاب عبد الرحمن بأمان ، وتسلمه الأروام .

وفيها أمر سنان بالقبض على الفقيه الصالح العارف الصديق بن محمد الخاص الحنفى الزبيدى ، الساكن مدينة صنعاء ، لما أنكر عليه عمله ، ثم بعث به إلى ذى مَرْمَر . وبعد أيام يسيرة أمر بقتله ، فعاجله الله بالعزل عن اليمن ، ثم بالموت .

ودخلت سنة — ١٠١٦ —

فيها بلغ سنان عزله عن اليمن بالباشا جعفر ، فظهر غضبه واشتد تعبه ، وبان أسفه على ما أسلفه من الجراءة والإقدام على قتل النفوس المحرمة ، وترويع الضعفاء والأرامل والأيتام . ولما وصل الباشا جعفر إلى زبيد ، شكا عليه أهله ما نالهم من الجور الشديد والظلم المبيد ، وأن سنان جعل أموالهم أوقافاً ، وأرغم منهم بذلك آنافاً ، فرد عليهم جعفر تلك المظالم ، وأمر بقتل القاضى عمر أفندى صاحب المَخَا ، لما بلغه تحازبه وعدم تجوبه . ثم نهض جعفر إلى تعز ، وكان سنان قد أراد البقاء فى صنعاء حتى يصل إليها جعفر ، فلم يسعده جعفر إلى ذلك ، وطلب أن يكون الاجتماع بتعز ، فتجهز سنان بأثقاله وجنوده وراياته وبنوده ، وقلبه يغلى غليان المرجل ، وهو مع ذلك على خوف ووجل . فعبأ أصحابه تعبئة المحارب ، ولم يزل فى طريقه يضرب الأعناق ، ويأخذ الناس بالتهمة والظن وسوء الأخلاق . ولما وصل تعز كره الباشا جعفر الاجتماع به ، ولم يمكنه القبض عليه ، لما يخشاه من الفتنة ، وما يتوقعه من إقدامه ، فتركه ، وتوجه سنان إلى المَخَا ، فلم يلبث أن مات فيه . وكان قبل خروجه من صنعاء قد قتل الأمير حسين الدفتردار فى ديوان القصر .

قال الفقيه عبد الله داعر مامعناه ، إن الباشا سنان أساء السيرة فى اليمن ، وعامل أهله بالأحن ، ورماهم بالمحن ، وتوصل إلى أخذ أموالهم الجليلة بكل حيلة ، حتى لقد بالغ أهل الأموال فى كتم مابأيديهم منها بكل حال . وأن بعض أعيان اليمن رفع إلى مسامع السلطان جميع ما اتفق من سنان . وكان للسلطان وزير سوء يسمى درويش ، تكتم عن السلطان جميع مارفع عن سنان ، لما بينه وبينه من المودة ، فهيأ الله أسباب زوال سنان بما ألقاه فى قلب السلطان من التغير على وزيره المذكور ، فقتله ، ووجد الرقاع المتضمنة للشكاوى من سنان ، فبادر بتجهيز الباشا جعفر إلى اليمن . وكان ما ذكر من عزل سنان ، وما تعقبه من وفاته فى بند المَخَا .

ولما بلغ الباشا جعفر وفاة سنان ، أرسل لخزائنه واسترجع ولده محمد بن سنان ، والعسكر الذين عزموا معه .

ومن مآثر سنان مدرج شَهَارة[1] من وادى رَخَم إلى الباب الغربى . ومنها عمارة صرح الجامع الكبير فى صنعاء ، والقبة التى فى وسطه ، وتجديد مطاهير الجامع . ومنها منارة مسجد الإمام صلاح الدين ، وهى أطول منارة فى صنعاء ، ومسجد جناح . وتجديد عمارة القبة التى على ضريح الشيخ عبد الهادى السُّودى فى تعز ، والبركة الكبيرة فى القينين ، والحصن الذى فى أعلى نُقُم بعد أن أخرب حصن بِرَاش ، لأن قبائل خَوْلان كانوا يغيرون إلى قاع صنعاء ، ويلتجئون إلى جبل نُقَم ، فلا يشعر بهم من فى بِرَاش . فبنى حصن نُقَم لقربه ، وجعل فيه جماعة يحفظونه ، وكانوا يرمون بالزيارط (الزيارات) ، متى قصدوا القبائل إلى القاع ، فيعرف بذلك أهل صنعاء . وهو الذى وضع دفتراً جامعاً لأوقاف صنعاء وأمر القضاة أن يحكموا بصحته ففعلوا ، وجعل على ذلك الدفتر شهادة عدة من العلماء ، كالسيد العلامة محمد بن عز الدين المؤيدى وغيره . ومن محاسنه اجتنابه عن الأوقاف ، واحترام أهلها ، حتى لقد خرج من صنعاء وفى قبة الجامع التى بناها لحفظ أمواله تسعة آلاف ، فأودعها مشايخ صنعاء — آل عطية — وشدد عليهم

---

(١) يبدو من سياق النص أن مدرج شهارة طريق أو موضع . وقد ذكر صاحب انباء الزمن أن سنان باشا رصفه « بالحجارة المحكمة »
(ورقة ١٤٩ ب)

فى حفظها لمصالح الجامع وغيره من المساجد . ومما أحدثه من المظالم تغيير السكة وإبطاله الضربة الأولى بالمرة ، وجعل ضربةً جديدة ، فدخل نقص كبير على الناس فى تجاراتهم وديونهم ، وتضرر التجار من ذلك . قال بعضهم : ولا ينبغى لذوى الأمر تغيير السكة ، ولا إحداث زيادة ولا نقصان فى المكيال والميزان ، لأن بسبب ذلك يدخل النقص على كثير من أهل الزمان .

قال الفقيه عبد الله داعر : وكان الباشا سنان كثير البحث عن خفيات الأمور ، والتجسس على أحوال الجمهور ، وإذا لاحت له أدنى قرينة أوْ أضعف دليل عاقب عليه العقاب الوبيل . وكان مهيب الجانب ، لا يمكن أحد مراجعته فيما قد جزم بفعله ، إلاّ القليل ، مثل الفقيه أحمد الزادى رحمه الله تعالى فإنه كان يستفدى بماله من قد أمر الباشا بقتله ، ويراجعه فيه ، حتى لقد همَّ بقتله فوقاه الله شرّه ، بسبب رؤيا رآها فى شأنه . وفى أيامه ظهر الموميا[1] فى جبل نُقُم فوجد أبلغ من الذى يجىْ من مصر ، ولونه أحمر يضرب إلى السواد ، ثم يحمر ويأكله الوطواط ، ولم يعرفه أحد من أهل صنعاء قبل سنان .

ولما بلغ عبد الرحيم وصول الباشا جعفر إلى الحوض الأشرف ، كتب إليه يخبره أن سبب مخالفته على سنان ما جرى منه من الاختلاف عليه ، والعمل بأقوال الوشاة ، وأنه يريد المصالحة وعدم المكافحة ، فاستفسر جعفر . ولم يلبث عبد الرحيم أن جهز أخاه أحمد إلى جبل مِسْوَر ، فانتهب خيلا على صاحب كوكبان . فعرف جعفر أن تلك المراسلة من عبد الرحيم على جهة المخادعة ، فأسرها فى نفسه . ولما استقر فى صنعاء رأى أن مصالحة الإمام القسم أمر لازم ، وأن فتح الحرب على جهتين من أسباب الخَبن ، فأمر من يسعى بالصلح بينه وبين الإمام حتى تمّ ، على أن للإمام ما تحت يده من

---

(١) الموميا لفظة يونانية ، والأصل مومياى فحذفت الياء اختصارا وبقيت الألف المقصورة ، وهو دواء يستعمل شربا ومروخا وضمادا (المصباح المنير) وقيل انه دواء ما حنط من الأجسام على طريقة قدماء المصريين (المنجد)

البلاد كالأهنوم وشَهارة وعذر ووادعه ، وأن أولاد الإمام محمد وأحمد، وجميع من عندهم من أهلهم وأصحابهم يطلقون من كوكبان . وكذلك من فى سجن صنعاء من الرهائن . ومدة الصلح عشر سنين . وحين ثبت الصلح وتقرر ، خرج أولاد الإمام ومن يتعلق بهم إلى حضرته الشريفة فى حَبور ، وتم له بهم الأنس والحُبور ، ثم تقدم الجميع إلى شهارة ، التى هى مركزهم ومستقر عزهم ، واستقرت أحوال الإمام وأولاده الكرام ، والحمد لله رب العالمين .

وحينئذ التفت الباشا جعفر إلى النظر فى أحوال عبد الرحيم ، فكان من الأسباب الموجبة للتجهيز عليه مع ماقد تقدم منه من المخادعة أن صاحب كوكبان فى هذا الأوان مازال يرفع إلى مسامع جعفر جميع ما يتفق من عبد الرحيم ، من الجراءة والإقدام على الأمر العظيم ، يشكو منه تعديه على بلاده ، وتناوله منها ما تلقاه عن آبائه وأجداده . فجعل الباشا جعفر إلى عبد الرحيم رسالة من رجل من أهل اليمن ، كان كاتباً مع الأمير محمد الدفتردار ، وكان بينه وبين عبد الرحيم معرفة متقدمة وصداقة . فلما وصل إليه وأبلغه الرسالة ، أكرمه وكساه . ثم أراد الفقيه نصحته ، فعرفه مايحسن من ترك ما أخذه من بلاد صاحب كوكبان والاقتصار على بلاده الأصلية ، وهى حَجّة وبلادها . فغضب عبد الرحيم ، واستحوذ عليه الشيطان الرجيم ، فأمر بقتل ذلك الفقيه وصلبه فى شجرة بحَوْرَة . ولما بلغ الباشا جعفر قتل الفقيه المذكور ، غضب غضباً شديداً ، ووجه العساكر لحرب عبد الرحيم ، كما سيأتى ذكره .

وفى هذه الأيام قتل الباشا جعفر محمد بن أحمد البَوْنى ناظر الوقف فى صنعاء ، بسبب ماشكاه أهل صنعاء من التعدى إلى أخذ أموالهم وإدخالها فى الوقف .

ودخلت سنة —١٠١٧—

فيها وصل الخبر إلى اليمن بموت على يحيى بن المطهر فى الروم ، وهو آخر من مات من إخوته هنالك . وفيها مات الأمير اسماعيل بن أحمد بن محمد صاحب كَوكبان .

وقام بعده عم أبيه الأمير جمال الدين علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين ، وكان مقيما فى شِبَام ، خامل الذكر بين الأنام ، فرمقه الحظ بطَرفه وأركبه الدهر على طرفه ، وكان القائم بأعماله ومهماته ولده الأمير الهمام عبد الرب بن علي .

وفى هذه السنة توجهت عساكر الباشا جعفر لمحاربة عبدالرحيم ، فكان أول حرب وقع بينهم وبين أصحابه فى قلعة المشقَّق من بلاد مِسْوَر ، قتل فيه جماعة من الفريقين ، ثم انهزم من فيها من أصحاب عبد الرحيم إلى بيت قُدُم ، فتبعهم العسكر الباشوى إلى هنالك ، ووقع بينهم حرب ، فانهزم عسكر عبد الرحيم إلى هربة ومنها إلى حَوْرة ثم إلى شَمْسَان بنى عكاب . وعسكر الباشا فى إثرهم . وعبد الرحيم يومئذ فى كوكبان حَجّة قد لاحت عليه لوائح الإدبار ورمته الأيام بالخطوب الكبار ، فإنه لما انتقل عن كوكبان إلى الذنوب ، خالف عليه أهل الخَبر ، وسلموا كوكبان إلى عسكر الباشا . ثم لما انتقل إلى مُبين ، حوصر فيه أياما ، ورمى بالمدفع . فخرج من مبين ليلا وتوجه إلى بلاد الشَرف ، فاستقر فى كَحلان الشَرف . وكان قد ترك أخاه أحمد بن عبدالرحمن فى مُبين ، وأخاه محمد بن عبد الرحمن فى المفتاح أحد حصون الشرف ، وكلاهما قد تغير عليه لاختلاف أحواله وقبح فعاله ، فكاتبا إلى قائد عسكر الباشا ، وهو عمر الكيخيا ، وطلبا منه الأمان ، فتسلم أولا حصن مبين ، ثم توجه إلى بلاد الشَرف . ووصل إليه الشيخ ناصر المحبشى بقبائل من المحابشة ، وتقدموا جميعاً إلى حصن المفتاح فخرج إليهم محمد بن عبد الرحمن ، بعد أن بذل له جعفر الأمان ، ووصل إلى صنعاء . وأخرب عمر الكيخيا حصن المفتاح ، وأقام الحصار على عبد الرحيم فى كَحْلان .

ودخلت سنة — ١٠١٨ —

فيها خرج عبد الرحيم من كَحْلان على أنه يصل إلى جعفر بأمان . فلما وصل إليه أودعه الدار الحمراء ، وبعد أيام بعث به إلى الروم . وكانت سيرة عبد الرحيم قبيحة وأعماله غير صحيحة ، وله أخبار شنيعة مخالفة للشريعة ، من قتل النفوس المحرمة بغير حق .

منها ماعُزى إليه من قتل والده ، وقتل العبد الذى أظهر أنه قاتله ، ومنها قتل أولاد القحطانى ، وأمهم وتعليقها فى شجرة بَحَوْرَة ، مكشوفة ، بسبب مسير القحطانى إلى محطة جعفر فى مبادئ الحرب بينه وبين جعفر ، وغير ذلك مما يطول ذكره .

وفى هذه السنة هلك عمر الكيخيا بسبب سقوطه من ظهر فرسه فى ميدان الجريد ، فجعل جعفر فى وصيفته[1] عبد الله شلبي ، وجهزه إلى بلاد ريمة وبرع ، فاستفتحها واستقر فى كُتْمه[2] .

ودخلت سنة —١٠١٩—

فيها توجه الباشا جعفر إلى كوكبان ولم يستقر فيه ، بل توجه إلى عُمْران ، ثم رجع إلى صنعاء . وفيها جهز العساكر إلى صَعْدَة ؛ وفيها من قبل الأروام الأمير محمد ، وكانت ولايته على صَعْدة قد طالت من أيام الباشا حسن ، فجمع من الأموال والرجال ماحمله على الاستقلال . ولما قربت منه العسكر حمل ماخف من الذهب الأحمر ، وتوجه بخاصته نحو الشام على طريق الحَرَجة .

ودخلت سنة —١٠٢٠—

لم يتفق فيها ما يوجب الذكر .

ودخلت سنة —١٠٢١—

فيها بلغ الباشا جعفر عزله عن اليمن بابراهيم باشا ، فتجهز للمسير . وكانت أحواله جميلة بالنظر إلى أحوال من تقدمه ، وكانت له مشاركة فى العربية وعلم التفسير ، وهو

---

(١) اى فى خدمته

(٢) كتمة : بضم اوله وسكون ثانيه ، اسم موضع (ياقوت : معجم البلدان) .

الذى أخرج تفسير أبى السعود[1] إلى اليمن ، وقرب العلماء من الهَدوية ، كالسيد العلامة محمد بن عز الدين المؤيدى المعروف بالمفتى ، والسيد محمد الحُوثى والسيد صلاح الحاضرى ، والسيد الحسن بن شمس الدين جحاف وغيرهم ، وأحسن إليهم .

ودخلت سنة —١٠٢٢—

فيها وصل على أغا مقدم إبراهيم باشا إلى صنعاء ، فتوجه الباشا جعفر إلى تَعز ؛ فجمع على أغا الأمراء ، وجعلوا كتابا إلى السلطان . وذكروا فيه من أحوال جعفر الراجعة إلى أمورهم أشياء لايرضاها السلطان ، وأرسلوا بذلك الكتاب إلى إبراهيم باشا . فبلغ جعفر الخبر ، فاستفدى ذلك الكتاب بثمانين ألف قرش[2] وفى خلال ذلك انضم الكيخيا عبد الله شلبى إلى إبراهيم باشا ، وأعرض عن الباشا جعفر ، فأمره إبراهيم بالتقدم إلى صنعاء ، وأن يضرب وطاقه خارج باب شعوب ؛ يريد بذلك الإرهاب على أهل الجهات القبلية وإشعارهم بالتقدم إلى ديارهم . ولما وصل ذِمَار وافاه الحمام القاطع للأعمار . ولما بلغ الباشا جعفر وفاة إبراهيم باشا ، رجع من زبيد ، بعد أن طلب رجوعه طائفة الاصباحية[3] الذين خرجوا مع إبراهيم باشا ، وقائداهم أحمد أغا وسليمان أغا ، وسيأتى تمام خبر عوده إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو أبو السعود بن محمد بن العماد الحنفى (٨٩٨ – ٩٨٢ هـ) ، من علماء الترك المستعربين ، كان مفسرا وشاعرا . تقلد القضاء . وأضيف اليه الافتاء سنة ٩٥٢ هـ ، وكتابه فى التفسير المشار اليه فى المتن اسمه « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » . انظر :
(الزركلى : الأعلام ، ج ٧ ص ٢٨٨ ، شذرات الذهب ، ج ٨ ص ٣٩٨ العقد المنظوم على هامش الوفيات ج ٢ ص ٢٨٢ . معجم سركيس ص ٣١٦) .

(٢) هذه أول مرة يذكر فيها المؤلف لفظ « قرش » بوصفه عملة فى اليمن .

(٣) كذا ورد اللفظ فى نسختى المخطوطة . وسيتكرر اللفظ بهذا الرسم بعد ذلك ، حيث يشير المؤلف فى حوادث سنة ١٠٤١ هـ الى أن الاصباحية طائفة من الجند العثمانى . ويبدو أن اللفظ محرف ، وأن المقصود به الاصباهية أو السباهية ومفرده سباهى ، وهم طائفة الفرسان فى الجيش العثمانى .

وأما الإمام القسم عليه السلام، فإنه بعد عزم الباشا جعفر، ظن أن الباشا الواصل لا يبقى على الصلح الذى كان بينه وبين الباشا جعفر، فوجه ولده على ابن أمير المؤمنين إلى بلاد الشَرف، وفيها من قبل الأروام الأغا سنان والشيخ ناصر المحبشى فى خمسمائة نفر. وجهزه ولده الحسن ابن أمير المؤمنين إلى بلاد شَظَب والسَّوْدة وعَفار، وإلى بلاد الظاهر، القاضى هادى بن عبدالله بن أبى الرجال، والحاج أحمد بن عواض الأسدى والشيخ عبدالله بن سعيد الطبر. فأما على بن الإمام فاستعان بقبائل الشرف الأسفل — كحاجم وظاعن — على أهل الشرف الأعلى، وهم أعداؤهم، فدخلوه قهراً وأخربوا قاهرة المحابشة، وأصيب الشيخ حراد من أهل الشرف الأعلى، وقتل من أصحاب الإمام الشيخ حاجب الأهنومى. وتقدم على ابن الإمام إلى بلاد عَفَار فاستفتحها بعد حروب شديدة. وأما الحسن ابن الإمام فإنه استفتح شَظَب والسَّوْدة، وارتفع إلى جبل بنى حجاج، فالتجأ أصحاب الأمير عبدالله بن المعافا إلى قرن الناعى فى السَّوْدة. وأما أهل الظاهر فدخلوا فى طاعة الإمام طوعا.

وفى هذه الأيام خالف الفقيه على بن محمد الشهارى على الإمام، بعد أن كان من عيون أصحابه والمجاهدين معه فى حروبه. والسبب لمخالفته أنه كان كلما استفتح محلاً ولاه الإمام غيره من نظرائه، فداخله من ذلك ما يداخل البشر الضعيف، من محبة العاجل الزايل، وعدم الصبر على ما يكسب الآجر الآجل. وكان الفقيه المذكور يومئذ فى المَطْلعة، من جبل عيال يزيد، ومعه عصابة نافعة من أهل الأهنوم، فكاتب الأمير درويش، فأجاب عليه ووعده بأن يجعله أمير الأمراء. ولما عرف عسكره أهل الأهنوم بميله عن الإمام، فارقوه إلى بلاد السود، فسار الأمير درويش إلى جبل عيال يزيد على الفور. وداخل أصحاب الإمام بعض فَشَل لأن هذا الجبل للمغارب كالباب. ثم توجه درويش إلى العُرة، وفيها من أصحاب الإمام السيد الحسن بن شرف الدين الكحلانى وأصحابه، فتفرقوا عنه، فانتقل السيد الحسن إلى بنى جيش وواجه أهل العُرة وما إليها إلى درويش.

وفى هذه الأيام أمر عبد الله شلبى بنهب دار الأمير عبد الله بن المعافا فى صنعاء ، وكان فيها مال جزيل ، فانتهبها العسكر وأهل السوق . والسبب أنه اتهمه بالميل إلى الباشا جعفر . ثم أمر بعد ذلك بإرجاع ما أخذ فأرجع البعض . ولما بلغ شلبى عود الباشا جعفر من زبيد ، داخله الخوف الشديد بسبب ما تقدم منه من الانحراف عنه إلى إبراهيم باشا ، فأظهر لمن فى صنعاء من الأمراء والعسكر أن الباشا جعفر قد عزل عن اليمن ، وأن رجوعه من زبيد بغير تولية ، وأنه يريد حفظ البلاد إلى أن يأتى عامل السلطان من من الروم ، فمالوا إليه فى ظاهر الحال . ثم طلب الأمراء والجند الموجهين لمحاربة الإمام القسم فوصلوا إلى صنعاء ، وخلت منهم الجهة القبلية ، فدخل أهلها فى طاعة الإمام . وتقدم ولده الحسن إلى جبل عيال يزيد والأشمور ، وولده على إلى بيت عذاقة وبلاد المصانع ، والسيد أحمد بن الإمام الحسن بن على بن داود إلى كحلان تاج الدين ومنه إلى بلاد حَجَّة ، فأقام الحصار على حصونها . ودخل فى طاعة الامام بلاد مِسْوَر ولاعه وقراضة وجبل تيس وبلاد خَوْلان الشرق وغيرها ، واستفتحت صعدة على يد الشيخ أحمد بن على كباس والشيخ قاسم الصَعْدى ، ومن انضم إليهما من أهل الجوف . وخرج من فيها من عسكر الأروام بأمان من أصحاب الإمام . ولما انفصلوا عنها شرع القبائل فى إنتهابهم ، فرجع بعضهم إلى صَعْدَة ، وأنكر أصحاب الإمام على القبائل المتخطفين . ثم إن الامام وجه إلى صَعْدة ولده الحسين ، وهو أول أمر أناطه به . وهو يومئذ فى أحدى وعشرين سنة ، وجعل السيد محمد بن أحمد عوناً له ومشيراً عليه . واستفتح أصحاب الإمام — بعد استفتاحهم لصعدة — أم ليلى[1] ، وجبل رازح .

وفى هذه الأيام وصل الباشا جعفر إلى ذِمار ، وبلغه ما يريده عبد الله شلبى من منعه من دخول صنعاء ، فاستقر فى ذِمار . وأما عبد الله شلبى فإنه أخذ على الأمراء ووجوه العسكر العهود على موافقته واتباعه على رأيه ، وجعل بينه وبين الامام هدنة على أن

---

(١) أم ليلى : جبل أثرى فى منطقة صعدة .
(الويسى : اليمن الكبرى ص ١١٣)

أصحاب الامام لا يتعدون مواضعهم ، وأظهر المباينة للباشا جعفر ، والعزم على محاربته . فبعث الباشا جعفر عساكره إلى صنعاء مع الأمير حيدر ، فخرجوا وظاهرهم معه وباطنهم مع الباشا . ووقع بينهم حرب فى القينين وقاع الذراع . فأرسل حيدر إلى أمراء العسكر يستميلهم ، ويعرفهم أن الباشا أولى بالطاعة من شلبى ، فمال إليه أكثرهم ، ووصل إليه الأمر من جعفر بمناجزة من بقى من أصحاب شلبي ، فناجزهم وقتل وأسر ، وانضم إليه من بقى منهم . ثم رجع إلى ذِمار ، فقتل جعفر جماعة من الأمراء ، ومنهم الفقيه على بن محمد الشهارى الذى خالف على الإمام القسم ، ومنهم على أغا متسلّم إبراهيم باشا ، لأجل تأليبه عليه فى وضع الكتاب الذى استفداه جعفر بثمانين ألف قرش ، ومنهم الأمير رمضان وحسن بيك وصبيح كاشف ، ومنهم من اعتذر بالإكراه فعذره .

ثم تقدم الأمير حيدر إلى صنعاء لمناجزة شلبى ، ولما قرب منها وصلت إليه كتب الأمراء والجند بالموالاة ، والتبرّى من شلبى . ثم خرجوا من الخندق نهارا ، وهم الأمير عبد الله بن المطهر وأخوه إبراهيم ، وعبد الله بن المعافا ، وصلاح المؤيدى ، ومحمد المؤيدى ، ودرويش ، وعلى بن الشويع ، والأخزم ، فأخذوا الأمان من حيدر لأنفسهم ولأهل صنعاء . ودخل أصحاب حيدر من الخندق ، فالتجأ شلبى وجماعة من أصحابه إلى القصر . ولم يتفق فى صنعاء انتهاب ألبتة ، بل قصد أصحاب حيدر محاصرة شلبى فى القصر . ودخل حيدر صنعاء ، فاستسلم شلبى ، وطلب الأمان من حيدر ، فأمنه ، وكتب إلى الباشا جعفر بأمانه فلم يجبه إلى ذلك ، بل أمره أن يلقاه برأسه إلى الطريق . وتقدم جعفر إلى صنعاء فاستقر فيها .

ثم جهز حيدر لمحاربة الإمام القسم واسترجاع ما قد قبضه من البلاد ، فخرج من صنعاء فى زهاء تسعة آلاف مقاتل . ولما وصل عُمران ، قدم بعض الجند إلى نعاش وجبل عيال يزيد . وكان الحسن بن الإمام إذْ ذاك فى بيت علمان فانتقل إلى الأشمور ، ولم يكن معه غير مائتى نفر ، وبقية أصحابه فى جبل تيس . وحين وصل إلى المحل

المعروف بالطير — خلف بنى القليحى مما يلى عمران نظر إلى جنود الباشا وقد ملأت تلك القيمان ، فرجع إلى الزافن من بلاد المصانع ، ووقع بينه وبين من فى مُدَّع من عسكر الباشا محاربة مع مروره . ثم تقدم إلى عُرّة الأشمور فاستقر فيها ، وأقبلت إليه عساكر حيدر فأحاطت به من جميع الجهات .

وأقبل على بن الإمام من حَضُور الشيخ مغيراً على أخيه الحسن ، وكذلك أحمد بن الإمام الحسن بن على وصل من حَجّة ، والحاج أحمد الأسدى بجموع كبيرة . فاشتد الحرب ، واستمر قدر سبعة أيام ، حتى كاد أصحاب الإمام يستظهرون على محطة الأروام ، فانهزم صاحب راية السيد أحمد بن الإمام الحسن ، وتتابعت الهزيمة من أصحاب الإمام ، فطلب الحسن بن الإمام الأمان لنفسه ولمن معه من أصحابه وأهل العُرّة ، ثم خرج إلى يد الأمير حيدر ، فأرسل به إلى الباشا جعفر ، فأودعه الدار الحمراء من القصر . ورجع أخوه على بن الإمام إلى عِرّان بنى عشب ، ومنه إلى بنى جيش ، ثم سار إلى جبل بنى حجاج ، فأقام فيه مدة .

وأمر حيدر بإخراب بيت عَلَمان ، وتقدم بجيشه إلى جبل عيال يزيد ، فوقف فى الصِرّارة وبعث طائفة من عسكره إلى جبل بنى حجاج ، فتأخر عنه على ابن الإمام إلى الفايش[1] ومنه إلى المداير من بلاد ظُلِيمة . ودخل عسكر حيدر إلى السَّوْدة ، واتصلوا بأصحابهم المحصورين فى قَرْن الناعى . وأخليت ظُليمة وعُذر ، فدخلها عسكر الروم وتفرقوا فيها ، فمنهم من وقف فى قرن الوعر وبعضهم فى ظُليمة وآخرون فى هنوم[2] . فخرج الإمام من الهَجَر إلى قطبين من بلاد عُذر ، توجه إلى صَعْدة ، فأدركه عيد الأضحى فى مَوْر ، فعيّد هنالك .

---

(١) كذا فى المتن ، وفى معجم البلدان لياقوت « فائش » وهو واد بأرض اليمن .

(٢) هنوم : موضع فى جبل السراة باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٦٩)

وحصل مع الناس فى هذه المدة مالا مزيد عليه من الغم والكدر ، والخوف والحذر ، وساءت الظنون ، وأيس أكثر من يعترى إلى الإمام من وصوله إلى ما تقرّ به العيون . حتى لقد طلب منه بعض خواصه وملازميه الأذن لهم بمفارقته ، منهم الفقيه أحمد بن يحيى الحداد الصَّعْدى الملقب الشَّرِه ، فقال له الإمام ما معناه : « الخيار إليك إما أن تكون من جملتنا فى الشدة والرخاء ، وترضى بما جاء من عاقبة وبلاء ، وأخبرك بأمر لاعلم لك به ، وإما إن تفارقنا ولا أخبرك بشىء» فقال : «أمهلنى ساعة» . ثم بعد ذلك قال « قد رضيت ! قد رضيت ! أن أكون من جملتكم » ، فأخرج الإمام ورقة بخط أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فيها ذكر قيام إمام فى ذلك الوقت. وروى أن الإمام لما خرج من شَهارَة ، توارى فى بعض الشعاب وتوجّه القبلة ، ودعا إلى الله وتضرع ، وبكى بكاء شديداً ، ثم تقدم إلى جبل بنى غُوَيْر ، فأقبل إليه أهل صَعْدة وما حولها ، واستبشروا بقدومه . ولم يزل يتردد فى جهات صَعْدة إلى أن رجع عنها فى التاريخ الآتى ذكره .

وبعد خروجه من الهَجر ، تقدمت عساكر الأروام من قرن الوعر إلى قرب الهجر ، وانتقل الذين كانوا فى ظُليمة إلى سوق المسارِجة ، وواجه الاروام جميع قبائل عُذر والأهنوم . وقد كان عزم جماعة من مشايخ وادعة إلى الامام وهو فى جبل بنى غُوَير ، وطلبوا منه العود إلى بلادهم ، فبعث معهم السيد أحمد بن الامام الحسن . ولما بلغ الأروام وصوله إلى وادعه ، تقدموا إليها فانهزم أهلها إلى العُصمات ، واستولى الأروام على وادعه ، فأخربوها وقطعوا أعنابها .

ودخلت سنة — ١٠٢٣ —

فيها توجه الأمير حيدر بجموعه إلى صَعدة ، وترك فى الهَجر وما إليه الأمير عبد الله بن المعافا بجند كثير ، فجعل الأمير عبد الله بن المعافا فى سوق المسارِجة ولده الحسين بن عبد الله ، بطائفة من العسكر . ولما قرب حيدر من بركة مداعل ، وبلغ

الإمام الخبر ، أمر ولده الحسين أن يتقدم إلى شرفة آل عمار لمحاربة حيدر ، وأمر ولده علي والسيد أحمد بن الإمام الحسن بالمسير إليه بمن معهما ، فتثاقل عسكرهما بالمسير ، حتى دخل حيدر إلى صَعْدة من غير قتال . فأجمع رأى ولدى الإمام والسيد أحمد على التفرق فى بلاد صعْدة لقطع المواد على حَيْدر ، فكتب حيدر إلى السيد يحيي بن الهادى المؤيدى — عامل الأروام على أبى عريش — أنه يتقدم إلى رازح ، ووجّه للقائه الأمير رستم بطائفة من الجند .

فلما سمع الإمام — وهو فى بنى ذؤيب — مسير السيد يحيي المؤيدى ، كتب إلى ولده الحسين — وهو فى بنى جماعة — أن يصل إليه ، فوصل . واجتمع إليه قبائل تلك الجهة ، فجهزهم مع ولده الحسين لمحاربة المؤيدى ، فساروا إليه فهزموه إلى أبى عريش . واستولوا على خزائنه ، ورجعوا إلى الإمام . ثم تقدم على ابن الإمام لمحاربة رستم وهو فى غَرْو ، فمنحه الله النصر على رستم ، فاستولى عليه ، وقبض جميع ما معه . وكان الأمير أحمد الأخزم قد خرج من صعَدة لاستنقاذ رستم ، فتثاقل فى السير حتى حصل الاستيلاء على رستم ، فوقف فى الحضائر ، واجتمع عليه أولاد الإمام بعسكرهم ، فخرج حيدر بنفسه مغيرا على من فى الحضائر .

ووقع الحرب ، فانهزم حيدر هزيمة فاضحة ، وقتل من أصحابه جماعة . وأراد الأمير الأخزم الالتجاء إلى الامام خوفا من ملامة حيدر لما تثاقل عن الغارة على رستم ، فاختطفته سيوف أصحاب الامام ، وأتوا برأسه إلى الامام ، فبعث به إلى ولده محمد إلى شهارة . فأمر محمد ابن أمير المؤمنين من يعلق برأس الأخزم خرج وطاق الأمير عبد الله بن المعافا فى الليل ، فلما رآه انزعج وداخله الخوف الشديد .

وتقوت شوكة أصحاب الإمام ، فخرج ولده محمد إلى بنى سعد ، ثم قصد محطة حسين ابن المعافا إلى المسارِجة ، ففرّ إلى السَّودة ، وقتل من أصحابه عدة ، ونهبت آلاته ، وخالفت البلاد على الأروام . وتوجه إلى الشَرف جماعة من أصحاب الإمام ، كالسيد

عبد الله المخنكي ، والسيد الهادي الشظبي ، والسيد هادي الرَّغافي ، فانهزم الشيخ ناصر المحبشي إلى بلاد عَفار ، وتوجه محمد ابن الامام لمحاصرة من في الهَجَر ، فاستقر في القَدُوم ، وأقام الحصار على الهَجَر من كل جانب . وصار حيدر أيضاً محصوراً في صعدة ، فبذل مالا لأهل الطرقات ، فاخرجوه في ثلاثين فارسا إلى الحصن من بلاد وادعه ، وفيه محطة الأروام . ولما وصل وادعه لم يكن له هَمٌ إلاّ تخليص المحصورين في الهجر ، فجهز الأمير درويش وغيره من الأمراء في جيش وافر . فلما وصل درويش ومن معه إلى الهَجَر ، وجدوا الأمير عبد الله بن المعافا ومن عنده في غاية الضُر من عدم الطعام ، لشدة ما هم فيه من الحصار وانقطاع المادة . ولم يستصحب درويش ومن معه شيئا من ذلك ، فعظم الأمر على عبد الله بن المعافا ، وحرض الواصلين على المسارعة بالانتقال عن الهَجَر قبل اجتماع أصحاب الإمام . وكان الإمام قد وصل من جهة صعَدة إلى حبور ، وترك في جهة صعدة ولده على ، وأحمد بن الإمام الحسن . ولم يكن مع الامام من أولاده إلا الحسين . فلما استقر في حبور ، بلغه مسير درويش ومن معه لتخليص من في الهجر ، فأمر ولده الحسين بالتأهب لقتالهم مع عودهم من الهجر ، ففعل .

ولما ورد درويش وابن المعافا ومن معهما إلى الموضع المعروف بغارب أثلة ، وهو موضع ضيق الجوانب ، هجم عليهم الحسين وأصحابه . وقد كان محمد ابن الامام قفا أثرهم بمن معه ، وهم أهملوا قرن الوَعْر عن الحفظ ، فتيسر للحسين الهجوم عليهم . ولم يشعروا إلاّ وقد خالطهم عساكره ، وناوشتهم بواتره ، فقتل الأمير درويش والأمير عبد الله بن المعافا وغيرهما من الأمراء ، والعسكر عن آخرهم . ولم ينج منهم غير طائفه التجأت إلى قرن الوَعْر ، فحاصرهم الحسين بن الامام حتى تسلموا ، فقبض ما في أيديهم من السلاح ، وتقدم بهم إلى أبيه ، فأودع جماعة منهم السجن ، وفرق بقيتهم في القبائل ينتفعون بهم في أعمال الزرع .

ولما بلغ حيدر قتل درويش وأصحابه في الغارب نهض مسرعا إلى خَمِر ، واشتد خوفه — وكان جبانا — فهمّ بالمسير إلى صنعاء ، واضطربت عليه الآراء ، فأشار عليه الأمير

عبد الله بن المطهر بالثبات فى خَمِر ، وقوى عزيمته على ذلك ففعل . وتقوت شوكة الإمام بعد هذه الفتكة العظيمة ، وافتتح أكثر البلاد .

ولما بلغ ولده على ابن الامام خبر هذه الواقعة ، تقدم لمناجزة من فى صَعدة من بقية عسكر الأروام ، فوقع بينه وبينهم حرب عظيم ، انكشف عن قتل ولد الإمام عليه السلام ، واجتز رأسه وحُمل إلى صنعاء ، وقتل معه جماعة من مشايخ خَوْلان .

وأما حيدر ، فإنه بعد ذلك قصد بلاد الأشمور ، وحارب أهل العرة ورماهم بالمدفع . فقتل منهم جماعة ، وواجه بقيتهم . ثم تقدم إلى عِمرَان بنى عشب . وفيه من أصحاب الإمام السيد على بن شرف الدين ، فاستولى على عِمرَان قهرا بالسيف . وأسر جماعة وقتل آخرين ، وأرسل برءوسهم إلى صنعاء ، وأخرب عِمرَان . ثم سار إلى كَحْلان ، وفيه السيد الهادى بن الحسن بن شرف الدين ، فاستفتحه . ثم استفتح عَفَار ، ثم حَوْرة[1] والظهرين[2] . وارتفع أصحاب الامام عن هذه المحلات ، وتفرقوا ، فمنهم من قصد الحسين بن الامام إلى ظَفِير حجَّة ، ومنهم من سار إلى نيسا وفيه القاضى أحمد بن محمد السلفى من قبل الإمام . ولم تزل الحروب قائمة فى الظفير ونيس والموسّم وغريان ، إلى أن انعقد الصلح بين الإمام والباشا محمد كما يأتى ذكره . وكان الإمام قد جعل ولاية لولده أحمد على بلاد الشَرف ، ثم عذره عنها وجعلها إلى ولده الحسين .

ودخلت سنة — ١٠٢٤ —

فيها وصل الخبر بوفاة الامام الحسن بن على بن داود — رحمه الله — فى قلعة اصطنبول .

وفيها وقع مرض عام فى صنعاء وبلاد خَوْلان .

---

(١) حورة : مدينة عظيمة لبنى حارثة من كندة ، توجد فى حضرموت من اليمن (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٦)

(٢) الظهران ، وقد سبق شرحها .

وفيها نزل سيل عظيم من قبلى جبل نُقم ، فدفن غيل الروضة ، وانقطع مجراه بالكلية ، فأصلحه الباشا جعفر .

ودخلت سنة —١٠٢٥—

فيها بلغ الباشا جعفر عزله عن اليمن بالباشا محمد ، فطلب جعفر أصحابه من المراكز ، وعقد بينه وبين الإمام صلحا ، على أن للإمام ما تحت يده من البلاد . وطلب الأمير صقر من صَعدة ، ثم استعمل عليها السيد صلاح بن أحمد المؤيدى . ومن أجمل ما فعله الباشا جعفر فى اليمن رفعه للخراج عن أهل الأرض التى زالت عن أهلها إلى غيرهم . وكان من تقدمه يأخذونه على الأصل السابق ، من غير نظر إلى بقاء الأرض أو عدمه .

وفى هذه السنة ثار السيد محمد بن عز الدين والسيد أحمد بن المهدى على صَعدة ، فاستوليا عليها ، وأخرجا السيد صلاح بن أحمد إلى صنعاء بأمان .

وفيها توجه جعفر للمسير إلى الروم ، ووصل الباشا محمد إلى تعز ، فكتب إليه الإمام القسم على يد الأمير محمد بن إدريس الحبشى يذكر فيه التهنئه بقدومه إلى اليمن ، وأن مُراده الهدنة واخماد نار الفتنه . فأجاب عليه الباشا محمد بما معناه « إنى على وصول ، وأمر هذه البلاد كلها فى خبر المجهول ، ولا ينبغى المبادرة إلى الهدنة إلاّ بعد معرفة الأحوال » ومكث الباشا محمد فى تعز أياما ، وزار ضريح الشيخ أحمد بن علوان ، وأمر بعمارة البركة ، وزاد فى المصلى ، وعمّر قبة على قبر السيد عبد الرحمن البهلول . ثم نهض إلى ذِمَار ، وخرج منه لطباقة جبل الكبريت[1] ، فأمر بتحصينه ، وجعل فيه جماعة يحفظونه ، لما بلغه أن أصحاب الإمام وغيرهم من أهل اليمن قدصاروا أهل بنادق ، أكثرها مما غنموه من الخارجين عليهم كالجراكسة فمن بعدهم إلى هذا التاريخ . وأن من لازم[2]

---

(١) جبل الكبريت : يقع على بعد عشرين كيلومترا شرقى ذمار (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ٥٤)
(٢) أى من مستلزمات البنادق .

البنادق البارود ، ولا يمكن صنعته إلاّ بالكبريت . ولما فعل ذلك اشتد غلاء البارود ، حتى بلغ بيع الرطل بقرش حجر .

ودخلت سنة — ١٠٢٦ —

فى المحرم منها كانت وفاة السلطان أحمد بن محمد خان صاحب الروم[١] ، وقام بعده أخوه مصطفى بن محمد خان[٢] . فلبث دون السنة ، ثم خلع نفسه ومال إلى النزهة ، فتولى بعده أخوه عثمان بن محمد خان .

وفى شهر صفر من هذه السنة قدم الباشا محمد إلى صنعاء ، فلقاه أعيانها إلى ريمة ابن حميد . ودخل صنعاء فى جيش جرار ، فوقف فى البستان عند باب السبحة ، ثم شرع فى انتقال الدفاتر المتضمنة لأرزاق الجند ومحصول البلاد . لأن هذه العهدة كانت وصفته فى مصر مع باشتها . وبعد أيام دخل المدينة فاستقر فى القصر . ولعله راعى فى دخوله حساب المنجمين ، فوافق فى حسابهم طالعا ميمونا . وهنأه شعراء ذلك العصر بقصائد ، منها ما قاله السيد محمد بن عبد الله الجونى[٣] من قصيدة أولها :

سل الدهر ما أهداه للناس من بشرى ... ووافى به من نعمة للورى كبرا

وما نشرت أيامه من مطارف ... فالسنة دين الهدى حللا خضرا

وما واصل الإسلام فيه من الهنا ... ومن مكرمات شرفت أرضنا قدرا

وهى طويلة .

وكان الباشا محمد يحب العلماء ، ويعظم أهل البيت الكرماء . ولا تزال مقدمته الخاصة غاصة بالكتب الرائعة فى جميع الفنون ، وأكثر من كان يختص به سيد العلامة

---

(١) السلطان أحمد الأول ابن محمد الثالث (١٠١٢ — ١٠٢٦ هـ)

(٢) السلطان مصطفى الأول [illegible] (١٠٢٦ — ١٠٢٧ [illegible])

(أنظر زامباور معجم الأنساب ص ٢٣٦)

(٣) نسبة الى الجون ، وقد ذكر ياقوت أن الجون [illegible] وجونة اسم قرية [illegible] مكة [illegible] (معجم البلدان [illegible])

عبد الرحمن بن الصديق الطباطبي ، ، والسيد الأديب عيسى بن لطف الله بن المطهر ابن الإمام شرف الدين ؛ والفقيه حسن أفندي .

وفي هذه السنة والتي بعدها استمرت الحروب ودامت الخطوب ، فيما بين الإمام القسم ابن محمد عليه السلام والباشا محمد في كثير من الجهات : فأول حرب جرى بعد وصول الباشا المذكور في المساجد من نواحي حَضُور بين الأمير تكريم مقدم الباشا وبين الشيخ عبد الله بن سعيد الطير قائد أهل الحيمة وغيرهم من أنصار الإمام ، ذهب فيه جماعة من الفريقين . وتعقبه حرب آخر ، قتل فيه من أصحاب الطير نحو خمسة وأربعين رجلا . وفيما بعده وقع حرب عظيم في ناحية مِسْور بين الأمير محمد المعافا وأصحاب الإمام. وتعقبه أيضا حرب في بني مطر . واستولى عسكر الباشا على بعض حصون تلك الجهة ، ووقع في القذَف حروب أيضا انكشفت عن قتل الشيخ عبد الله الطير ، رحمه الله .

وفي هذه الأيام جهز الباشا محمد ، الأمير أحمد بن عبد الرحمن المطهر إلى بلاد حَجَّة ، فوقع بينه وبين الحسين بن الإمام حروب كثيرة .

وفيها تقدم القاضي أحمد السلفي من حضرة الإمام إلى وَعَيْلة[1] من بلاد الأمير علي ابن شمس الدين ، فجهز إليه النقيب محمود بعسكر كَوْكبان ، فتأخر السلفي إلى قُراضة ، ووصل من حضرة الإمام الأمير مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر ، فاستولى على بلاد قُراضة وشهمة وبعض لاعه ، والتجأ النقيب محمود وأصحابه إلى الجبل الأسفل ، وتقدم منه إلى المحويت .

وفي شهر ذي العقدة من هذه السنة خرج الإمام من شهارة إلى جهة القبلة لجمع القبائل ، وكان في عَيَّان طائفة من عسكر الأروام ، فيهم علي أغا ، وحمزة أغا ، والشريف عابدين ، فحاربهم الإمام حتى أجلاهم عن عَيَّان بأمان . ثم حصلت المراودة

---

(١) وعيلة : موضع في سراة المصانع من جبل السراة باليمن
(الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٩)

بين الامام وقبائل دُهمة وسفيان على إخراب مدينة عَيَّان ، لما فى بقائها من الضرر على بلادهم ، بسبب سكون الأروام فيها . فخرج عنهـا أهلها فى البلدان ، ثم أخربها الامام ، فهى خراب إلى الآن . ورجع الإمام إلى ذئبين بعـد أن عيَّد فى وادعة عيد الأضحى . فتمالأ الامير مصطفى عامل خَمِر من قبل الباشا ، والامير محمد المعافا ، على إمداد الـكابيين برجال من عندهم ، وتحريضهم على قصد الامام إلى ذئبين . وكان أهل هذه القبيلة من أعداء الإمام ، فلما قصدوا الإمام خرج من ذئبين إلى وادعة .

ودخلت سنة —١٠٢٧—

فيها استولى عسكر الأروام على مِسْوَر والرغيل ، أجتمع من عنده فى وادعة نحو عشرة آلاف مقاتل ، فجهزهم إلى خمر . ووقع بينهم وبين من فيها حروب عظيمة .

وفى هذه الايام أقدم أهل العصيمات إلى قتل القاضى هادى بن أبى الرجال رحمه الله، وكان الامام قد بعثه لقبض واجباتهم .

وفيها جعل الإمام لولده أحمد ولاية على صَعْدة ، فنظم أمورها ، ولم يزل فيهـا إلى أن خرج أخوه الحسن ابن أمير المؤمنين من السجن فى التـاريخ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها استدعى الأمير أحمد بن عبد الرحمن بن المطهر صاحب حَجّة عسكرا من الباشا ، محمد لاستفتاح ما قبضه أصحاب الإمام من بلاد الأشمور ومِسْور وحَجّة ، ففعل ، ووقعت حروب يطول ذكرها . وتقدم على بن شمس الدين إلى بلاد مِسْور فأحرب من فيها من أصحاب الإمام ، وأخرب بيت عذاقة ، وتقدم إلى الرغيل فأخربه .

وفيها جمع الإمام جموعه وبعثهم إلى دماج بنى قيس ، فجهز عليهم الباشا محمد الأمير مصطفى فى عسكر جرار ، ووقع حرب هنالك .

وفيها وصل الشيخ على المنامة صاحب الخيمة بجماعة من مشايخها إلى محمد بن سنان وهو فى حضُور ، مظهرين الطاعة للباشا ، ثم تقدم الشيخ المذكور إلى صنعاء . وكذلك

واجه إلى محمد بن سنان أهل بيت شُعيب وبيت كاهن والقذف و بيت خولان. وفيها واجهت بلاد الشاحذية إلى الباشا محمد ، بعد أن طلبوا الأمان ، فأمنهم ، وانفتح عقيب ذلك حُفَاش و مِلحان .

وفي هذه الأيام اشتدت الحروب فيما بين الأمير أحمد بن عبد الرحمن وأهل الجبر ، ذهب فيها عدة رجال .

وفيها طلب الأمير محمد بن سنان من الباشا محمد زيادة عسكر ، لما يخشاه من بنى النمرى[1] أهل الَحيمة ، ووصل جماعة من العسكر من جهات شتى إلى الباشا محمد ، طمعا فى الإحسان .

وفي هذه السنة قصد جماعة من قبيلة بنى قشيب وحمير من بلاد آنس إلى قلعة يفعان ، فقتلوا ممن فيها نيفا وعشرين رجلا ، فأعاد عليهم أهل عتمة ، فقتلوا منهم قدر ثمانين رجلا ، ونهبوا سلاحهم ، واسترجعوا القلعة .

وفيها استدعى شريف من بنى جيش جماعة من أصحاب الامام إلى محله ، فقصدهم الأمير محمد — أغا الانجشارية[2] — فاستولى عليهم ، وقتل الشريف وغيره من أصحاب الإمام .

وفيها خرج مصطفى أغا من خَمِر إلى غريان فقتل وغنم ، وما زال يكرر الغارات على تلك الجهات .

وفيها قصد الفقيه يحيي المخلافى صاحب الحيمة بقبائل المخلاف وبنى مطر إلى حَضُور ؛ فوقع بينه وبين محمد بن سنان حرب عظيم ، وكاد المخلافى يستولى على أصحاب محمد بن سنان ، فأمده الباشا محمد برجال من صنعاء ، فتأخر عنه المخالفى إلى حصن

---

(١) يقصد بنى نمر ، وهم قبيلة .
(العقود اللؤلؤية . ج ٢ ص ٢٨٧)
(٢) يقصد الانكشارية . وهذه أول اشارة اليها فى هذا الكتاب

بني سليمان ، وجرت حروب كثيرة ، ورجع الأمير خضر من غزو الحيمة خوفا من أهلها .

وفى هذه الأيام وقع حرب عظيم فيما بين مصطفى أغا عامل خَمِر والحاج أحمد ابن عواض الأسدى ، ذهب فيه من الفريقين عدة .

وفى هذه السنة وصل الأمير صقر من الروم فى أربعمائة رجل باستدعاء الباشا محمد . وفى العشر الأولى من ذى الحجة من هذه السنة ظهر نجم من ذوات الأذناب التى يكون ظهورها فى الغالب لشح السحاب وقل الأمطار وارتفاع الاسعار ، كما ورد فى الحديث الذى رواه الأسيوطى فى جامعه ، وهو معتبر عند الحكماء .

وللسيد عيسى بن لطف الله أبيات فى ذلك ، أولها :

كوكب نجم بداله ذنب ينير جنح الدجى ويلتهب

وهى كبيرة ، مثبتة فى تاريخه المتضمن سيرة الباشا محمد الذى جعله ذيلا على تاريخه روح الروح ، وسماه الانفاس اليمنية فى الدولة المحمدية ، استوفى فيه جميع ما وقع فى مدة ولاية الباشا محمد . وذكر في هذه الأبيات أشياء كثيرة ، مثل ظهور المهدى المنتظر وغير ذلك . ولم يتفق منها غير القحط ، ولا علم إلاّ لله تعالى .

ودخلت سنة — ١٠٢٨ —

فيها وقع الصلح بين الامام والباشا محمد ، بعد أن طالت الفتنة ، وتعاظمت المحنة ، واشتد القتال ، وضاقت الأحوال . فطلب الباشا محمد جميع الأمراء والاغوات ، وقال لهم ما معناه ، « قد علمتم طول الفتنة بيننا وبين الامام ، مع مضاعفتنا لعدد العسكر ، وزيادة المدد لهم ، واتساع مدارهم . ومع ذلك لم تحصل منهم كفاية فى فتح بلاد الامام ، ولم يبرحوا واقفين فى الحدود » فأجابوا عليه بما معناه « إن الحركة على الامام فى هذ الوقت ليس فيها صلاح ، ولا ثمرة لها غير ذهاب الأموال والأرواح ، فإن الامام

وأصحابه ليسوا الآن كما كانوا فى ماضى الزمان ، بل قد صاروا أهل سلاح وعدة ، وذلك مما ظفروا به من عسكر السلطنة فى أثناء هذه المدة . مع أن الامام لايأخذ منهم إلاّ ما سمحت به نفوسهم من الحق الواجب ، ولايتعرض إلى قبض شىء من سائر المطالب ، فتوفرت رغبتهم إليه ، وبذلوا أنفسهم للجهاد بين يديه . على أنه لم يكن فى هذه العصابة التى عندكم رجل واحد من عسكر الروم المعدودين والشجعان المقدمين إلاّ النذر اليسير والنزر الحقير ، وقد جعل الله فى هذه البلاد التى تحت بسطتكم الخير الكثير ، وضبطها والنظر فى أحوالها من أهم الأمور التى لا يجهلها الرجل الخبير » .

وفى خلال هذه الجملة وصل كتاب من الأمير على بن الشويع إلى الباشا محمد ، إن السيد عبد الله بن شمس الدين بن جحاف نسب الإمام يريد الوصول لعقد الصلح . وتعقبه وصول الأمير على والسيد عبد الله بكتاب الإمام ، فتلقاه الباشا محمد بالإنصاف والاكرام . ووقع الخوض فى أمر الصلح ، فحصل من الباشا بعض تباطؤ ، ثم انعقد على أن للإمام جميع ما تحت يده من البلاد ، وإخراج الأسارى من الجانبين ، ماعدا الحسن ابن الإمام ، فلم يسعد الباشا إلى اطلاقه ، وذكر أنه يخشى من ملامة السلطان ، إلا أن يسمح الإمام بالبلاد التى رادت على صلح جعفر ، كان إطلاق الحسن إلى مقابلها عذراً له . فلم يسعد الإمام ، وقال إن ذلك لا يجوز له عند الله ، وهذا غاية ما يكون من الشفقة على المسلمين ، ونهاية ما يكون من أرباب الدين ، حيث بقى أهل بلاده بمهجة فؤاده ، جزاه الله أفضل الجزاء ، وضاعف له الأجر فى الدار الأخرى .

وكانت مدة الصلح عشر سنين ، وبعد انعقاده حصل التنفيس من الباشا محمد ، على الحسن بن الامام ، فإنه أمر بفك قيده ، وأخلى له الطبقة العليا من الدار الحمراء ، ولم يمنع من أراد الدخول عليه . وشرى سيدى الحسن جارية سرية[1] ، وهى أم ولده مولانا أحمد بن الحسن ، وشرى دارا بالقرب من مسجد الخزان وهى الآن دار الخلافى . وكان

---

(١) سرا فلان أى شرف ، فهو سرى وهى سرية (المعم الوسيط) .

يبقى الجارية تارة عنده وتارة فى هذه الدار . وشرى أيضا بيتا وحظيرة فى بئر العزب[1]. وكان أهله ومن يتعلق بهم يتنقلون إليها للتنزه . واستمر على ذلك حتى يسر الله خروجه فى التاريخ الآتى ذكره ، إن شاء الله .

ولما تم الصلح بين الامام والباشا محمد ، ارتفعت عساكر الأروام من جميع بلاد الإمام ، وأطلق من فى السجن من كلا الجهتين . ولما وصل أسارى غارب أثلة إلى الباشا محمد أكرمهم ، وخلع عليهم ، وكان فيهم من الأمراء قراجمه وغيره .

وفى هذه المدة وصل رسول من مقام سلطان الهند يعرف بالطواشى ، بهدية عظيمة للباشا محمد ، وفيل عظيم . ولبث الطواشى المذكور أياما فى صنعاء . وبنى فى أيام اقامته المسجد المعروف بمسجد الطواشى ، نسبة إلى بانيه ، وهو القريب من مسجد عباس القديم ، وبنى حماما أيضا جعل مصالحه للمسجد المذكور .

وفى هذه السنة جهز الباشا محمد الأمير قراجمعة فى مائة نفر إلى بلاد ريمة ووصاب لاختلافهما . فلما وصل بيت الشيخ داود اجتمعت عليه القبائل فحصروه ، وأراد عبدالله أغا تخليصه فلم يتمكن من ذلك ، ووقع بينه وبين قبائل تلك الجهة حرب ، فكتب الباشا محمد إلى عمال اليمن الأسفل بالمسير لتخليص قراجمعة وعبد الله أغا ، فساروا إليهما ووقعت حروب عظيمة فى بنى سعد ، واستمرت حتى قبض عبد الله أغا على الشيخ ناصر ابن داود ، فوصل إليه رعية الشيخ المذكور ، وطلبوا منه إطلاق سجينهم المذكور ، وعليهم إطلاق قراجمعة ، فأطلقه لهم وأطلقوا له قراجمعه .

ودخلت سنة — ١٠٢٩ —

فى المحرم منها ظهر فى بلاد الخيمة السيد ناصر صبح من أشراف غربان كان فى ابتداء أمره من أعوان الإمام القسم . وقد أخذ قليلا من العلم ، فسولت له نفسه لدعوة

---

(١) العزب : واد بين برع وزبمة فى سراة اليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٧٢)

إلى الإمامية ، وخرج من شَهَارة إلى الحَيْمة ، وأظهر الدعوة ، وزعم أنه المهدى المنتظر ، وغَرّ العوام بلمعة بيضاء كانت فى رأسه أشبهت رقم الجلالة . فعظم على الإمام القسم فعل السيد المذكور ، خشية من اضطراب أهل الحيمة وغيرهم ، فيكون سبباً لنقض الصلح بينه وبين الباشا محمد . فكتب إلى السيد المذكور إنك من أولاد الحسن بن على عليهما السلام ، والمهدى إنما يكون من أولاد الحسين ، وهو لايظهر إلا من مكة فى آخر الزمان . ثم بعث رسلا إلى الحَيْمة ، وأمرهم بقبض السيد المذكور وإيداعه الحبس فى حصن يناع ، ففعلوا . فأخذ فى التغرير على أهل الحصن ، وذكر لهم أن مدة الإمام القسم قد انقرضت ، وقربت وفاته ، فأطلقوه ، فما برح يتنقل فى الحيمة .

وصادف موت الإمام القسم عقيب ذلك ، فمال إليه جماعة ، وصدقوا قوله ، وفشا أمره فى بنى مطر ، وبُقْلان ، فجهز الباشا محمد عسكرا إلى تلك الجهة فاستولوا عليها ، وأسروا من أهلها مايزيد على مائة نفر ، فأمر الباشا محمد بضرب أعناق مشايخهم ، وفر السيد صبح إلى بلاد العصيمات ، ثم قُبض بعد ذلك ، وأتى به إلى الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين القسم بن محمد ، فأودعه سجن شهارة .

وفى ليلة الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة كان وفاة الإمام القسم ابن محمد رحمه الله فى شَهَارة ، من ألم فى باطنه وحمى حارة فى جسده . وكان فى أوائل مرضه يخرج لصلاة الجمعة ، وخرج مرة إلى السوق ، فرأى الجزارين مشرّقين[1] اللحم على الصروف ، فأمر بانتهابه ، فقيل له فى ذلك ، فقال إن اللحم إذا بقى فى الشمس وأُكل أحدث الجذام . وخرج فى بعض الأيام للصلاة فى الجامع ، فتوضأ فى بعض البرك ، وسلك طريقاً لايسلكها أحد الفقهاء لمظنة ، نجاستها فعجبوا من ذلك ، فقال لهم الأصل طهارتها . وكان عليه السلام فى غاية من الزهد فى ملبسه وسائر أحواله ، فإنه كان يلبس القميص الشقة السوداء واللباس الأسود . وقيامه فى أمر الجهاد ، وتجهيز الأجناد ، والحرص على

---

(١) شرق اللحم ، قدده وبسطه فى الشمس ليجف (المعجم الوسيط) .

تخليص البلاد والعباد ، من الظلم والفساد ، لا يخفى على لب صحيح ، ولا يفتقر إلى تصريح ، لأنه كالشمس أو أشهر ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً ، ولقاه نضرة وسرورا .

ولما مات الإمام القسم عليه السلام قام بعده بأمر الإمامة والرياسة العامة ولده ، قاموس العلم ، وطود الحلم ، حليف العبادة وقرير الزهادة ، أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين المؤيد بالله ، رب العالمين . رنت دعوته فى الجهات الأماميه ، وقال بإمامته أهل الديانة المرضية . وسارع برفع خبر وفاة أبيه إلى الباشا محمد ، وعرفه بما يحمله من أمر القيام بالدعوة ، وأنه باق على الصلح الموضوع والحكم المشروع ، وأهدى إليه نسخة كتاب الكشاف[1] . وكانت نسخة عظيمة بالخط الرائق والصحة الكاملة ، وطلب منه إطلاق رجل من الرهائن ، فأجاب عليه الباشا بجواب عظيم شامل للمقاصد ، وأطلق الرجل المطلوب إطلاقه .

وفى هذه السنة وصل الأمير حسين الكدخداه[2] إلى بعض جزائر بحر اليمن مغاضبا لباشة مصر ، فاغتصب ثلاثة مراكب ، وشحنها بالمدافع وغيرها . فأمر الباشا محمد بحفظ البنادر منه ، ولما وصل باب المندب مال عليه أصحابه فقتلوه .

وفيها وصل إلى الإمام المؤيد بالله — وهو فى الهَجَر — جماعة من أصحاب أبيه ، كان الأروام أسروهم وسجنوهم فى بعض الجزائر ، وصاروا يستعملونهم فى أعمال المراكب فاجتمعوا — وهم قدرمائة نفر — وقتلوا أمير المركب ، وحملوا ماقدروا عليه من السلاح وغيره ، وخرجوا من جهة أحْوَر[3] وكبيرهم رجل من سحار[4] .

وفى آخر هذه السنة وقع اضطراب فى جهة صَعْدَة ، فقصدهم أحمد بن الإمام القسم ، فصلحوا واستقاموا على الطاعة .

---

(١) سبقت الاشارة الى هذا الكتاب فى حوادث سنه ٩٢٥ هـ

(٢) كذا فى المتن ، ومقصود به الكتخدا وهو لفظ مساو فى معناه [illegible] وقد سبق شرحه .

(٣) الاحور مخلاف باليمن (ياقوت معجم البلدان)

(٤) سحار من جبال منطقه صعده (الوسى [illegible] الكبرى ص [illegible])

ودخلت سنة — ١٠٣٠ —

لم يتفق مايوجب الذكر .

ودخلت سنة — ١٠٣١ —

فيها عزل الباشا محمد عن ولاية اليمن بالباشا أحمد فضلى ، فخرج من صنعاء فى ربيع الآخر من هذه السنة ، وتوجه إلى مكة ، فمات فيها ، وأخذ أمير مكة جميع ماحمله من اليمن . وكان الباشا محمد بخيلا ، فمنع الناس كثيراً من عطاياهم . وفى أيام ولايته وقع قحط فى اليمن . وله من المآثر ماسبق ذكره ؛ ومنها جامع يريم .

وفى هذه السنة مات السيد عبد الرحمن الطباطبي الحنفى ، الحاكم فى صنعاء من جهة السلطان . وكان فيصلا فى الحكومات .

وفيها يسر الله تعالى خروج سيدى شرف الاسلام، وقدوة المجاهدين الأعلام، الحسن بن أمير المؤمنين من سجن صنعاء ، وذلك بعد مسير الباشا محمد منها ، وقبل وصول الباشا أحمد فضلى إليها . وكان الحسن فى هذه المدة على الحالة المقدم ذكرها من عدم التشديد عليه واستمرار دخول من يدخل إليه . وبقى أهله وولده فى بئر العزب ، فتهيأ له مع ذلك إخراج ما معه من الكتب وغيرها مع من يختلف إليه ، حتى لم يبق عنده شىء يخاف عليه ، وكان قد شرى حصانا عظيما ، وأظهر أنه يريد تقديمه للباشا الواصل ، ثم شرع فى حفر المنزل الذى هو فيه ، إلى الذى تحته ومنه إلى المنزل الأسفل ، ثم فتح كوة منه إلى خارج الدار ، وترك الكوة مسدودة . ولما تم له ما يريد ، أمر أهله بالخروج من بئر العزب فى ساعة عينها لهم ، وأمر بذلك الحصان فأسرج وألجم وقرب إلى موضع معين خارج السور من جهة القصر . وكان بالقرب منه حرس لا ينامون ، بل لا يزالون يرمون بالحصى إلى موضع فيه ماء ، فكان من ألطاف الله الخفية أن هيئت تلك الليلة ريح قوية ونام أولئك الحرس . وتحقق الحسن نومهم بترك الرمى بالحصى

إلى ذلك الماء ، فخرج من الموضع الذى فتحه ومعه الشيخ على بن شمسان . ثم رقى سور القصر ، وقد هيأ حبالا لنزوله من السور ، فبينما هو كذلك إذ سمع صوت الثانى يقول: « ونزل حِبَالِك واستَعِن بربك » فتفاءل بذلك ، واستبشر به . وأرسل الحبال إلى الأرض وهبط إلى القرار . ثم ركب جواده واجتمع بأهله فى الموضع الذى أمرهم بلزومه . وتوجه سائراً بهم. فما أصبح عليه الصبح إلاّ فى زبلة الخارد ، فلقاه جماعة من قبائل تلك الجهة ، وهم من الموالين للإمام ، فأمرهم بإشعار من حولهم من القبائل . خشية أن يلحق به أحد من صنعاء . فاجتمع إليه قبائل زيدان وغيرهم ، وكلما مرّ بقبيلة ساروا بين يديه .

وبلغ الإمام المؤيد بالله خبر خروج أخيه الحسن ، فأمر أخاه الحسين أن يلقاه . وكان وصوله إلى الحضرة المؤيدية أعز وصول ، ونزوله أكرم نزول ، واستبشر الناس بوصوله الميمون ، وقرت به العيون .

وكان قدوم الباشا أحمد فضلى إلى صنعاء عقيب ذلك، فطلب الأمراء إلى ديوان القصر وعاتبهم على خروج الحسن ، فأجابوا عليه ، إن سكونهم فى المدينة . وعهدة القصر إلى على أغا ، فضرب عنقه . ومنع أهل الذمة من اليهود عن بيع الخمر ، وعاقب جماعة على شربه. وبعد استقراره فى صنعاء ، كتب إلى الإمام المؤيد بالله يطلب منه البقاء على الصلح الأول ، فأجاب عليه الإمام بالاسعاد .

ودخلت سنة — ١٠٣٢ —

فيها اضطربت أمور الجهة الصعْدية ، ومنعوا ما قبلهم من الحقوق ، فجهز الإمام عليهم أخاه الحسن فى ثلاثين فارساً وألف راجل . فلما وصل حيدان قبل عليه غالب الجهات طائعين ، إلاّ أهل شعب حىّ ، فامتنعوا عن الوصول . فبعث إليهم السيد يحيى ابن لطف البارى ، والسيد على بن الحسن شرف الدين ، بطائفة من الجند . فستولوا على بلادهم ، واحتووا على طارفهم وتالدهم .

وفى هذه السنة صلحت الثمار ورخصت الأسعار ، حتى بيع قدح الطعام بثلاثة

كبار ، بعد أن بلغ فى أيام ولاية الباشا محمد إلى خمسين بُقشة ، وكثر الخير ، وأمنت السبل ، واستراح الناس من الفتن ، وانقشعت عنهم سحائب المحن ، والحمد لله رب العالمين .

ودخلت سنة — ١٠٣٣ —

فيها بلغ الباشا قدوم حيدر بولاية اليمن ، وهو الذى كان كيخيا فى أيام الباشا جعفر ، وكان على يديه قبض الحسن بن الإمام فى عُرَّة الأشمور ، حسبما تقدمت الاشارة إليه . فتجهز أحمد فضلى للسير ، ولما وصل إلى أبى عريش مات هنالك . وكان قد استخلف على صنعاء الأمير كانى شلبي . ولما بلغ كانى موت فضلى فى أبى عريش ، بعث لقبض مخلفه الأمير خضر فى مائتى نفر ، فمنعه أصحاب فضلى عن قبض شىء ، فأرسل كانى إليهم الأمير محمد بن سنان ، فجعل طريقه فج الأشمور ، إلى حَجَّة ، وتوجه منها إلى أبى عريش . فقبض ماتركه فضلى ، وسار إلى زبيد .

قال بعضهم ، وكان الباشا أحمد فضلى كثير العطاء للعلماء والأشراف وأهل الصلاح ، حتى لقد كان يمر بالليل على بيوت الأشراف ، ويتعاهدهم بالصلات . وكان يحافظ على حضور صلاة الجمعة ، وشدد فى إراقة الخمور من بيوت الذميين ، وقتل ذمياً باع الخمر بعد النهى عن بيعه .

ولما وصل حيدر أطراف بلاد اليمن ، كتب إلى الامام المؤيد بالله فى شأن تقرير الصلح الموضوع من أيام الباشا محمد ، فرأى الامام المصلحة فى تقريره . وتقدم حيدر إلى بندر المخاَ . ثم أمر بقتل محمد سنان لما رأى ميل العسكر إليه ، وقبض خزانة فضلى .

ومن مآثر محمد بن سنان فى تعز أيام ولايته عليها من قبل الباشا جعفر إجراء الساقية من صَبِر إلى تعز بحافة المرباع ، وجعل هنالك سبيلا يشرب الناس منه ، ووقف لاصلاحه وقوفات كبيرة وانتفع به الناس . وكان محمد بن سنان مهيباً مقداماً . ولما قتل

قال بعض العقلاء ، « ذهب اليمن » ، يعنى من يد السلطان ، لما كان يعرف من شهامته ، وتخليط حيدر وحماقته . ولقد صح قول هذا الرجل وصدقت فراسته .

ودخلت سنة — ١٠٣٤ —

فيها وصل الباشا حيدر إلى صنعاء ، فأقبل على اللهو والشراب . وفُتح للناس هذا الباب ، حتى لقد بيع الخمر جهاراً فى الأسواق ، كأن تحريمه لم يرد فى الكتاب العزيز بنصٍّ الخلاّق . وجرى منه فى هذا الشأن ما يطول ذكره . فحسبه الله .

وفى هذه السنة ظهر رجل فى بلاد خَوْلان ومشارق صنعاء . أبدى للناس المخاريق ، التى من جملتها دخوله النار العظيمة فلا تضره . فاعتقده العوام وأتوه بالنذور . ثم غاب بعد ذلك ، ولم يوقف له على أثر .

وفيها قتل أهل حُفَاش عاملهم من قبل الباشا . وهو الأمير محمد ، المعروف بتقلع الأسنان . والسبب فى قتله أن مشايخ تلك الجهة دخلوا عليه فى يوم الجمعة للسلام على العادة ، وكان فى ذلك الوقت سكرانَ . فقال لهم ، « ما موجب دخولكم » . قالوا « للسلام » فقال : « نطيّبكم » ، ثم فتح سرواله وبال عليهم ، فخرجوا مغضبين . ثم جمعوا رعيتهم وثاروا عليه ، فقتلوه .

ودخلت سنة — ١٠٣٥ —

فيها غزا الحسن بن الامام إلى بلاد فَيْفَاء وجهاتها بجموع كبيرة . فاستفتحها .

ودخلت سنة — ١٠٣٦ —

فى المحرم منها انتقض الصلح فيما بين الامام المؤيد بالله والباشا حيدر ، بسبب أن فقيهاً من أهل عَلْمَان — القريب من وادى ظَهر — يسمى الفقيه حسن بن على العمانى كان مهاجراً فى شَهَارة ، فاستأذن الامام فى زيارة أهله بعَلْمَان ، فأذن له . ولما وصل محله دعته حاجةٌ إلى دخول صنعاء ، فأمسكه جماعة من أصحاب حيدر . ثم قتلوه ظلماً وعدواناً .

فكتب الإمام من أجله إلى حيدر ، فأجاب بالمغالطة والإنكار . وكان لحيدر أعوان سوء لم يشيروا عليه بالصواب ، فمازال الامام يعذر إليه ويكرر المراسلة ، وهو مصمم على المغالطة فى جواباته .

قال بعضهم مامعناه ، السبب فى قتل الفقيه العلمانى أن مملوكين لحيدر خرجا من صنعاء هاربين فاتّهم حيدر أنهما دخلا بلاد الامام . فلما دخل الفقيه العلمانى إلى صنعاء وشى به جماعة من أهل محله إلى نقيب باب حيدر ، وأوهماه أن هذا الفقيه هو السبب فى إبقاء العبدَين ، حسداً منهم لذلك الفقيه ، لما كان من أهل التمكن ، وقد كسب مالاً طيباً . فوشى به نقيب الباب إلى حيدر ، فأمر بقتله سراً ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

فإن الإمام لما أبلغ المعذرة إلى حيدر شاور إخوته الكرام ، فاتفق رأيهم على محاربة الأروام . وكان كثير من المشايخ وأعيان القبائل قد كتبوا إلى الإمام أنهم أعوان له على محاربتهم واستئصال شأفتهم . ووصل إليه بعض أولاد مشايخ الحدَا . فلما بلغ حيدر الخبر خرج على أهل الحدَا فكان ذلك من جملة الأسباب الموجبة لمحاربته ، فبعث الإمام أخاه الحسين ابن أمير المؤمنين إلى بلاد الحيمة . فخرج من بلاد الشَّرف بعد صلاة الجمعة لتسع بقين من شهر المحرم من السنة المذكورة ، وجعل طريقة ما بين حُفاش وجبل تيس إلى أن وصل حَرَاز ، فأقبل إليه عامة تلك الجهات. ثم تقدم إلى عرّ الحيمة . وكان الإمام قد أمره ألاّ يفتح الحرب حتى يعود جواب حيدر على آخر كتاب فعله إليه . فعاد الجواب بغير الصواب .

فكتب الإمام إلى أخيه الحسين بفتح الحرب ، وبعث أخاه أحمد إلى بلاد خَمِر ، فأجابه أهل الظاهر طوعاً ، وتقدم إلى المَطْلَمه من جبل عيال يزيد وحاصر عُمران الحصار الشديد . وواجه إلى الإمام أهل السَّوْدَة وخرج منها أولاد الفقيه أحمد المعافا إلى شطب. وأما أولاد الأمير عبد الله بن المعافا فأقاموا فى الحصن إلى أن دخلت البلاد فى طاعة

الإمام ، ثم خرجوا إليه ، فقرر أمورهم ، وأحسن إليهم ، وتقدمت عساكر الإمام إلى بلاد الشيخ محمد بن علا ، فتقدم بأصحابه إلى مخيم أحمد بن الإمام . ودخل السيد الهادى بن الحسن صاحب كَحْلان تاج الدين فى طاعة الإمام ، فجعل له ولاية على كَحْلان وعَفار . وتقدم السيد على بن عبد الله العيالى والفقيه يحيى بن صلاح الثُلائى(١) والفقيه عبد الرحمن بن المنتصر العَشَمى(٢) إلى بلاد حَجَّة ولاعة ومِسْوَر ، فاستولوا عليها بعد حروب كثيرة . وأمر الإمام بإخراب كوكبان حَجَّة وجبل عمر وماذن ، ومحاصرة الأغا الذى فى مُبين ، ومن عنده من عسكر الجبر ، حتى خرجوا إلى الإمام بعد حرب وقتال . واجتمع عسكر كوكبان فى غَوْلى(٣) فحاصرهم أصحاب الإمام حتى طلبوا الأمان من الإمام فأمنهم ، وأذن لهم بالعود إلى ولى أمرهم ، وهو الأمير عبد الرب بن على بن شمس الدين وكان يومئذ فى محطة أنود(٤) أطرف محل من جبل الظِلع . وجعل الإمام ولاية للسيد الحسين بن على جحاف على بلاد حَجَّة .

وفى هذه المدة قصد القاضى أحمد بن عامر والقاضى أحمد بن على بن أبى الرجل بمن اجتمع معهما من القبائل إلى جبل اللوز ، ودخلا سوق الحضاره . فقرأوا على الناس رسائل الإمام ، فأجابهم أهل تلك الجهة ، وخرج القاضيان المذكوران إلى مِسْوَر خَولان ، فظفروا بالعامل هنالك ، ثم غزيا إلى الأَعْمَاس(٥) ، فظفروا كثيراً من

---

(١) نسبة الى ثلا ـ بالضم ـ من حصون اليمن .

(٢) نسبة الى عشم ، موضع فى أرض السراة باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٠ ـ ١٢١)
كذلك ذكر ياقوت أن العشم موقع بين مكة والمدينة . وأن هناك شاعر قديم من شعراء اليمن يعرف بالعشمى (معجم البلدان) .

(٣) كذا وردت فى المتن . وربما كان المقصود به عولة وهو موضع فى وادى الخارد بالجوف . (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٨٢)

(٤) فى المتن أنود بالدال ، وهو كما يتضح فى المتن موضع فى طرف جبل الظلع . أما ياقوت فلم يذكر سوى أنور بالراء ، وهو حصن باليمن فى مخلاف قيظان (معجم البلدان) .

(٥) الاعماس من أشهر مناطق جبال الجدا بالقرب من صنعاء .
(الويسى اليمن الكبرى ص ١٨٨٥)

أعنابهم . وواجه الإمام بنى بهلول وأسناف واليمانية وجميع البلاد الشرقية .
وأما الحسين بن أمير المؤمنين فإنه بعث السيد حفظ الدين على سخلة ، والشيخ على بن عبد الله الطبر بأعيان العسكر لاستفتاح حَضُور وبنى مطر ، فساروا إليها وفتحوا تلك الجهات طوعاً . وكذلك بعث السيد مطهر بن ناصر الدين والقاضى محمد بن أحمد السَلَفى إلى بلاد أنس وريمَة وبرع ، فواجهت تلك الأقطار جميعها . وأرسل القاضى يحيى المخلافى إلى الطويلة ، فأقام الحصار على حصنها ، وكتب الإمام إلى أخيه الحسن يأمره بالتقدم من صَعْدة ، فخرج منها بجنود وافرة ، وعساكر متكاثرة ، واستخلف على صَعْدة وبلادها ولده السيد المقام محمد بن الحسن بن الإمام . وكانت طريقه الجوْف إلى بلاد نُهم . ووصل إليه عاملها الأمير الهادى بن المطهر الشويع مواجهاً ؛ ثم تقدم إلى جبل اللوز ، فاستفتح القلعة . وتوجه إلى الأبيض ، وهو بلد شرقى الذِراع ، لقصد قطع طريق اليمن إلى صنعاء وحاصر الأمير سنبل ومن عنده من عسكر الأروام فى قلعة الذِراع ، وقطع عليهم المواد .

وكان الحسين بن أمير المؤمنين قد تقدم إلى الأهجر ، فسار إلى أخيه الحسن لقصد المفاوضة فى ترتيب الحروب . وكانت طريقه حَدَّة بنى شهاب وبلاد سِنحان . ولما اجتمع بأخيه اتفقا على بقاء الحسن فى محله ، ورجوع الحسين إلى الأهجر لمحاصرة كوكبان . وتعقب هذا فرار الأمير سنبل من قلعة الذِراع إلى ذِمَار ، وارتفاع عسكر الأرْوام من القينين إلى ريمَة ابن حميد ، فغزاهم الحسن ، وأوقع بهم وقعة عظيمة ، ثم انتقل إلى بلاد حَضُور ، فاستقر فى مَسِيب ، ووصل إليه أخوه الحسين ، فأجمع رأيهما على قصد الأمير عبد الرب بن على بن شمس الدين ومن عنده من العساكر الأروام فى أنْوَد . ثم رجع الحسين إلى الأهجر والحسن إلى قريب حَدَّة ، ولبثا قدر أسبوع . ثم أرسل الحسن جماعة من أصحابه إلى أخيه الحسين ، فوصلوا إلى الأهجر عقيب صلاة الجمعة ، وأظهروا أنهم فارقوا الحسن مغاضبين لأجل تقصيره بهم . وخرج الحسن فى أثرهم ببقية عسكره فوصل الأهجر عند غروب الشمس ، ثم نهضا على الفور بعساكرها

قاصدين إلى أنود . وكانت طريقهما شمات ، فوافيا أنود عند شروق الشمس من يوم السبت السابع عشر من رجب ، فاقتتل الأمير عبد الرب ومزاحم ، ومن معهما من العسكر ، وكانوا قدر خمسمائة نفر أو يزيدون . فحصل الاستيلاء عليهم ، فقتل من قتل ، وأسر من أسر ، وتردى أكثرهم من الشواهق ، وحصل الفراغ من تلك المحطة فى ساعة من نهار ذلك اليوم .

وأما الأمير عبد الرب ، فإنه انهزم إلى حصن بكر الفرانيق بطائفة من أصحابه . وتقدم الحسن إلى بَرِيْكة الجلب[1] ، وحاصر بيت عَرُوبات الحسين تلك الليلة فى بيت عَرْوان . ووصلت كتب الأمير عبد الرب من بُكُر ببذل الطاعة للإمام . واستقر الكلام على خروجه من بكر إلى كَوْكبان . ثم خرج ، ودخل الجميع حصن كوكبان ، وصلحت الأمور بفضل الله الملك المنان .

وفى خلال ذلك وقع حرب فى حدود ثلا فيما بين السيد أحمد المحنكى — أحد مقادمة الإمام — وبين الأمير صفر عامل الأروام فى عُمْران ، انهزم فيه الأمير صفر إلى ثلا ، فتوجه إليه الحسين بن أمير المؤمنين من كوكبان ، وأخوه أحمد من المَطْلَعة ، فطلب منهما الأمان . وخرج إليهما ، فأرسلا به ، وبسلاح أصحابه إلى حضرة الإمام ، وجعلا فى حصن ثلا من يحفظه من أعيان العسكر .

وتوجه الحسين إلى المقب ومنه إلى لؤلؤة ، فأقبل إليه الأمير إبراهيم الداعى بأعيان همدان فأحسن إليهم . وانتقل إلى طيبة ، فلبث فيها حتى وافاه أخوه الحسن ، وتبعهما الأمير عبد الرب بن على بأعيان أهل كوكبان . ونهض الجميع لمحاصرة صنعاء ، فوصل أوائل عسكرهم إلى بئر العزب . وكان استقرار أولاد الإمام ومن معهم من الأعيان فى حَدّة بنى شهاب ، وجعلوا فى الروضة الفقيه هادى بن عبد الله الحبشى وأصحابه بنى الحرث . وما زالت الغارات على صنعاء من جميع الجهات ، واستولى

(١) الجلب : اسم واد بنيانه اليمن بين الجوف وجران
(ياقوت : معجم البلدان) .

أصحاب الإمام على حصن نُقُم ، فجعل فيه أولاد الامام من يحفظه ، وأمروهم بالترقب لعسكر حيدر ، فإن رأوهم قصدوا الروضة ، رموا بالزيارط (الزيارات) ثلاث دفعات ، وإن قصدوا نحو حَدَّة رموا بها دفعتين . وامتدت أيدى أصحاب الإمام إلى بلاد سِنْحان وما وصل إليها . ووصل كتاب الأمير سنبل من ذِمار إلى الحسن يطلب منه الأمان ، فأمنه ، وجعل له ولاية على ذِمار . وأُفسدت الطرق إلى صنعاء ، فضاق من فيها ذرعا . فقال حيدر يوما لمن عنده « إذا انقضت المدة لم تنفع العدة » ، ثم كتب إلى الإمام يطلب منه الصلح ، على أنه ينتقل من صنعاء بجميع من عنده إلى اليمن الأسفل . فلما وقف الحسن على كتابه استحسن عدم إبلاغه إلى الامام ، وقال : لا سبيل إلى خروجه على هذا الوجه .

فلما عرف حيدر جواب الحسن جمع من عنده من العساكر ، وحرضهم على الثبات وإصداق العزيمة ، وعرفهم بما لديه من الأموال العظيمة ، وأن غارة السلطان عليهم واصلة ، وكتائبه مقبلة ، فشجعهم وأثار حفائظهم ، ثم فرق فيهم الأموال ، وعمهم بالنوال ، وأمرهم بالخروج إلى حول المدينة متظاهرين بالزينة ، فكان شاهد حاله :

وتجلدى للشامتين أريهم ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع

ولما عرف أصحاب الامام بخروجهم ، أقبلوا إليهم من حَدَّة كالسيل المنحدر ، والغيث المنهمر ، حتى بلغ أولهم شافية آلاف من غير تعبئة ولا ائتلاف . فحمل عليهم أصحاب الخيل من الأروام ، ووقع الصدام ، فانهزم أصحاب الإمام إلى الحَفَاء[1] ، وظفرت خيل الأروام بجماعة من أصحاب الامام تأخروا عن أصحابهم ، فقتلوهم ، وعادوا إلى صنعاء وقد اشتد أمرهم بذلك الحرب ، وزال عنهم بعض ما نالهم من الكروب . ولبثوا فى صنعاء أياما .

ثم خرج بعض الخيالة من صنعاء إلى قريب حَدَّة لفتح الحرب ، وخرج أصحاب

(١) الحفاء : موضع (ياقوت : معجم البلدان)

الامام من حَدَّة ، فعرجوا عن القاع خوفاً من الخيل ، وسلكوا سفح الجبال إلى أن جعلوا طائفة فى شعُوب تمنع عنهم من فى الروضة من أصحاب الامام . وثبت حيدر فى باب ستران ، فاستمر القتال إلى أوان الزوال . وثبت أصحاب الإمام ثباتاً يقصر عنه يلملم[1] وشَمام[2] ، حتى تكاثرت عليهم عساكر الأروام ، فانضم إلى أصحاب الإمام من كان منهم فى الجِفَاء ، وحمى الوطيس ، واصطدم الخميس بالخميس[3] ثم انكشفت المعركة عن قتل الشيخ على بن عبد الله الطير ، رحمه الله ، وجماعة من أصحابه . واجتمع عسكر حيدر عند الماجل ، المعروف عند أهل صنعاء بماجل ذنب الدمة . فقصدهم أولاد الإمام ببقية من عندهم من العسكر ، فوقع بينهم حرب عظيم ، وأحاطت خيل الأروام بولدى الامام ، فلم يخلصا إلا بعد اللتيا والتى . وقتل فى ذلك الحرب عدة من أصحابهما ، ورجعا إلى حَدّة ، وما زالت الحروب قائمة وعيون الخطوب ناكة . ووجه حيدر طائفة من عسكره لمنازلة من فى الروضة من أصحاب الامام ، فثبتوا ثباتاً حسنا ، وحموا جانبهم بالمرهفات وشدة الصبر على المهمات .

ولما اشتد على صنعاء الحصار ، وارتفعت فيها الأسعار ، ونفدت الذخائر ، وبلغت القلوب الحناجر ، مال الباشا حيدر على المياسير من أهلها بكثرة الطلب ، وأذاقهم الوبال والنصب ، حتى استأذنه كثير من أهلها بالخروج عنهم فأذن لهم ، فخرجوا بأهلهم وأولادهم ، وتفرقوا فى البلدان ، واستراحوا من ذلك الامتحان . وأما أحمد بن أمير المؤمنين ، فإنه لم يزل محاصراً لمن فى عُمْران حتى خرج إليه الكيخيا عمر والشيخ ناصر المحبشى ومن عندهما بأمان .

---

(١) يلملم : موضع فى تهامة اليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٢٠)

(٢) شمام : بفتح أوله وثانيه جبل بنى قيس .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٢٥)

(٣) الخميس الجيش الجرار سمى بذلك لأنه يتألف من خمس فرق هى المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . (المعجم الوسيط) .

وقبض ولد الإمام الخزانة ، وأرسل بالأسارى إلى أخيه المؤيد بالله عليه السلام .

ثم جعل فى عُمْران عصابة نافعة ، ونهض إلى الروضة محاصراً لصنعاء ، فخالف الأمير جعفر الداعى وأهل همدان ، واستدعوا جماعة من أصحاب الباشا حيدر إلى الجاهلية[1]. فخرج أحمد ابن الإمام إلى ضَرَوان ، وتقدم أخوه الحسن من حَدّة إلى الجراف ، فوقع بينه وبين من فى المدينة حرب شديد ، ثم سار إلى الروضة ، وترك فى الجراف السيد صالح بن أحمد المؤيدى ، والحسين بن الإمام استقر فى بيت عَذَران[2] ، وقد تركا فى حَدّة كثيرا من أهل النجدة. وأما العسكر الذين استدعاهم أهل همدان إلى الجاهلية ، فإنهم لما علموا أنهم قد وقعوا فى أشراك المنية ، انقلبوا راجعين إلى صنعاء على جهة الخَفِيّة . وتقدم أحمد ابن الإمام إلى الجاهلية ، فأخربها وأدب أهل همدان بآداب كثيرة ، ثم رجع إلى الروضة . وبعث الحسين ابن الإمام السيد أحمد بن على الشامى فى عسكر إلى طيبة ، فدخل من بعض جوانبها ، واستولى على من فيها .

وفى هذه المدة أرسل الامام المؤيد بالله الشريف هاشم بن حازم المكى والسيد التقى ابن إبراهيم إلى تهامة ، فواجه إليهم أكثر أهل تهامة ، ووصل الشريفان المذكوران إلى قريب زُبيد ، وأرادوا الدخول إليها بالسلالم ، فخرج إليهم من فى زبيد من الأروام ، ووقع بينهم حرب شديد ، انهزم فيه الشريفان وأصحابهما إلى بيت الفقيه ابن عجيل .

وفيها دخل أشراف صبيا وأبى عريش وجازان تحت طاعة الامام .

وفيها واجه إلى الحسن ابن الامام ، الأمير الحسين بن ناصر الجوْفى ، فأمره الحسن بالمسير بأهل الحدا وقيفة إلى اليمن الأسفل . وضم إليه السيد محمد بن أحمد ابن الامام الحسن على ، فاستفتحوا تلك الجهات جميعها ، ولم تقف إلا تعز . ولما مال السيد

---

(١) يذكر ياقوت أن الجاهلى من حصون اليمن ، من مخلاف مشرف جهران (معجم البلدان)

والجاهلية جهة باليمن ذكرها الخزرجى

(العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٣٣٧)

(٢) بيت عذران : من نواحى صنعاء باليمن (ياقوت : معجم البلدان)

الحسين بن ناصر إلى أولاد الامام ، أمر حيدر بإخراب داره فى صنعاء .

وفيها استفتح الامام كثيرا من الحصون ، مثل عَفار ومُدَّع وغيرهما ، وبعث الحسين ابن أمير المؤمنين السيد جمال الدين على بن إبراهيم جحاف عاملا على رِيمة ، ووجه السيد محمد بن على القراع إلى حُفاش ومِلْحان فاستفتحهما ، وقبض العامل عليهما ، وهو الأغا عسلان ، وأرسل به إلى الحسين .

ولما اشتد الحال بحيدر ، وعرف أن أمره قد أدبر ، رجع على من عنده من الأعوان ، فعاملهم بالهوان ، منهم وزيره المحرق ، فإنه عاقبه أشد العقاب ، وعذبه بأنواع العذاب ، وأخذ جميع مافى يده ، وتركه فقيراً لا يملك قطميرا ، حتى بلغ به الحال إلى أنه كان يطلب الصدقة من المارين تحت طاقة مكانه الذى هو مسجون فيه . فأمر حيدر [أن] تسمر كفاه فى تلك الطاقة ، وجعل ذنبه عدم إبلاغه الكتب إليه فى تحقيق استفتاح أولاد الامام للبلاد . ومنهم الأمير محمد كانى شلبي ، فإنه سجنه فى الدار الحمراء ، ثم قتله بسبب أن حيدر كان أراد الخروج إلى الرحبة مع وصول الحسن بن الامام إلى نهم ، فأشار عليه كانى بعدم الخروج من صنعاء ، وكذلك يولى بعض الظالمين بعضا .

وفى هذه السنة وصل الخبر أن الشاه عباس(١) استفتح كثيراً من بلاد السلطان صاحب الروم ، كبغداد ونواحيه ، وأن صاحب الروم جهز عليه الباشا حافظ أحمد بستة لكوك ، فوقع بينه وبين أصحاب الشاه عباس حروب وخطوب . ثم خرج الشاه عباس بنفسه من أصفهان ، فهزم أصحاب ملك الروم عند تلك النواحى والبلدان ، ولم يرجع من ذلك الجيش الكثير إلا اليسير . واتصلت عساكر الشاه عباس إلى ديار بكر(٢)، واستفتحوا الموصل ، حتى بلغوا آمد(٣)، وارتفعت الأسعار فى تلك الأقطار .

---

(١) يقصد الشاه عباس الأول (الكبير) الصفوى ، شاه ايران (٩٨٩ ــ ١٠٣٨ هـ) .

(٢) ديار بكر ، بلاد كبيرة واسعة ، تنسب الى بكر بن وائل تقع غربى دجلة ، وتمتد الى بلاد الجبل المطل على نصيبين .
(ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) آمد ، أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا .
(ياقوت : معجم البلدان)

وكانت هذه الفتن فى تلك النواحى شاغلة للسلطان عن التجهيز إلى اليمن ، لما يريده الله من ارتفاع يده عن هذا القطر ، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه وفتح أبوابه .

ودخلت سنة — ١٠٣٧ —

فيها استفتح الحسن بن الإمام حصن ذى مَرْمر .

وفيها خرجَ من فى تعز من الأروام لمحاربة الأمير حسين بن ناصر الجوفى ومن معه من أصحاب الامام ، فتأخر أصحاب الإمام إلى يريم . ولما بلغ الحسن الامام ، نهض بمن عنده من الحماة إلى تلك الجهات ، وثبت أخاه أحمد فى الروضة ، والحسين فى أَرتُل من بلاد سِنحان والسيد صلاح بن أحمد المؤيدى فى الجراف . وكتب إلى أخيه الامام المؤيد بالله أن يمده بالرجال ، فجمع الامام الأجناد من جميع البلاد ، وأرسل بطائفة إلى أخيه الحسين ، وأخرى إلى أخيه أحمد والسيد صلاح المؤيدى ، وأكثر الجند إلى أخيه الحسن . فاستفتح اليمن الأسفل إلى أن قرب من تعز ، ثم أقام الحصار على من فيه بعد أن جرت بينه وبين الأروام عدة حروب ، منها حرب فى موضع يعرف بالرأس من بلاد حبيش ، قتل فيه من عسكر الأروام فوق ألف نفر . ولما استقر الحسن فى تلك الجهة كتب إليه الأمير عبد القادر صاحب عُذره أنه داخل فى طاعة الامام ، فقرره على ولايته .

وفى هذه السنة وصل الخبر أن صاحب مصر من قبل السلطان جهز إلى اليمن الباشا أحمد فى ألف وخمسمائة نفر ، فغرقوا فى البحر ، ولم يبق إلا باشتهم فى أربعين نفراً ، ثم لما وصل جُدة مات فيها .

وفيها طلب الباشا حيدر من الأمام المؤيد وضع هدنة ، وحصل السعى بينهما بذلك ، حتى تمت على مدة معلومة ، قدرها خمسة أشهر ، والرهائن الذين فى صنعاء يطلقون .

وفى هذه المدة خرج الباشا عابدين فى ألف نفر من بندر سواكن إلى بندر المَخاَ ، فاستقر فيه ، وبنى دايره ، وقصده عامل حيدر من زبيد فلم يظفر به .

فيها بعث الباشا عابدين إلى المَخاَ أميرا من أصحابه بخيل ورجال بقصد تعز ، فلقاهم الحسن ابن الامام بجنده، ومنحه الله النصر ﴿وَماَ النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ الله﴾[١] ، فقتل منهم نحو الثمانين ، وأسر مثلهم ، واستولى على خزائنهم ، وهزم من بقى منهم . وبعد أيام قصد الحسن ابن الأمام إلى المَخاَ ، فتشاغل أصحابه بالنهب لأطراف البندر ، فخرج عليهم من فيه ، فقتلوا جماعة منهم ، ورجع الحسن إلى تعز . وفيها جهز صاحب مصر — الأغا رجب — فى نفر قليل ، لاشتغال المقاتلة فى العراق بحرب الشاه عباس. فلبث فى البحر مدة ، ثم كتب إلى الامام المؤيد بالله يستأذنه بالوصول إليه ، فأذن له. فوافى الامام فى أقر من ناحية شَهاَرة ، فأكرمه الأمام . وجعل له ولاية على المَخاَدر[٢] ، من بلاد اليمن .

وفيها دخل السيد أحمد بن لقمان عامل الإمام على أبى عريش وجازان إلى القنفذة . ممداً للشريف محسن بن حسن صاحب مكة على الشريف أحمد بن عبد المطلب . لأنه قصد الشريف مغامس عامل الشريف محسن على بِيشَه[٣] ، فهرب مغامس وقتل من أصحابه ، وخرج ولده حسين بن مغامس إلى الإمام المؤيد بالله يستنصره على أحمد بن عبد المطلب ، فجهز معه الأمام عسكرا من أشراف الجوف وغيرهم ، فدخلوا بيشَه من غير قتال ، وانهزم عنها أصحاب أحمد بن عبد المطلب . وبعد هذا وصل الشريف محسن ابن حسن بنفسه إلى الإمام ، فقابله بالاكرام والأنعام ، وخيره بين البقاء فى حضرته وبين سكون صنعاء ، فاختار البقاء فى صنعاء . وحين وصل بعض الطرق ابتدأ المرض

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٦ .

(٢) المخدر والمخادر . جبال باليمن
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٠٤ الخزرجى العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٢٩)

(٣) بيشة : من عمل مكة — مما يلى اليمن من مكة — على خمس مراحل ، وبها من النخل شىء كثير . (ياقوت : معجم البلدان) .

فمات فى بلاد الظاهر ، وحملت جنازته إلى صنعاء ، فدفن فى القبه التى بناها الأمير الأسكندر فى باب السبحة ، وهى الآن تعرف بقبة محسن .

وفى هذه المدة اختلت بلاد غابر والحجرة[1] فسار إليها الحسين ابن الامام ، فأصلح خللها وقرر أمورها ، ورجع إلى جهة صنعاء ، فوقع بينه وبين القاضى يحي المخلافى وحشة آلت إلى أن المخلافى أظهر الخلاف ، وجمع أصحابه للمصاف ، وكاتب حيدر ، وأرسل إليه بولده رهينة ، فاستقر الحسين ابن الامام فى ريمه بنى السباع[2] ، ووقع بينه وبين المخلافى طرف قتال ، انهزم فيه المخلافى إلى بلاد خولان ، فقرر الحسين أمور تلك الجهة ، وتقدم إلى بيت ردم .

وفى خلال ذلك انقضت أيام الهدنة فيما بين الإمام وحيدر ، فجهز حيدر للمسير من صنعاء إلى زُبيد ، وجعل طريقه باب الأهجر وجبل تيس ، فوقع من أهل البلاد بعض اجتماع ، ونهب لأطراف محطته . وكان الأمام قد أرسل صحبته ولده يحي بن أمير المؤمنين ، وكذلك الحسين بن الامام أرسل جماعة من أصحابه ، لمنع القبائل عن التعرض لحيدر ، وأمره بالمبادرة بالعزم . ورجع يحي بن المؤيد بالله إلى صنعاء عاملا لأبيه عليها ، بعد أن دخلها عمه الحسين . وكان حيدر قد أودع خزائنه جميعها فى القصر بنظر حسن أفندى ، وبعد أيام وصل رسوله إلى الإمام من أجلها ، فأعطاه الإمام ثمنها ستة عشر ألفا .

وفى شوال من هذه السنة استفتح الحسن أمير المؤمنين مدينة تعز ، وأسر الأغا على وخمسة من الأغوات ، وأرسل بهم إلى حضرة الإمام .

ولما استقر حيدر فى زبيد ، وصلت إليه كتب من الإمام المؤيد بالله ، فاتهمه أصحابه الذين فى زبيد فقبضوا عليه وسجنوه فى جزيرة كَمَران ، إلى أن وصل قانصوه فى التاريخ الآتى ذكره فأطلقه .

---

(١) غابر : حصن باليمن ، يظن ياقوت أنه من أعمال صنعاء ، والحجرة بالفتح ثم السكون ، بلد باليمن . (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) بنو سباع ، بطن يعرف بآل أبى سباع من الدواسر ، احدى القبائل النجدية .

وفيها جاءت كتب من الأمير رضوان إلى الإمام ، يطلب منه أطلاق الأغوات المسجونين لديه ، فأطلقهم وتوجهوا إلى الشام . وفيها اتفقت فى تعز قضية مجانبه للتقوى ، وهى أن الأمير حسين بن ناصر الجوفى وجماعة معه بذلوا لصاحب مذبح الحسن ابن الإمام مالا على أنه يجعل له سُما ، فدخل على الحسن وأخبره الخبر ، فقال له الحسن « افعل ما أعطوك من السم لهم » ففعل ، وهلكوا ، وكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه .

ودخلت سنة — ١٠٣٩ —

فيها وصل الخبر إلى اليمن بخروج الباشا قانصوه لاستفتاح اليمن فى ألف فارس وثمانية آلاف راجل . وكان حيدر قد كتب إلى السلطان يستمد منه الغارة . فأرسل قانصوه المذكور ، ولكنه لم يصل إلى اليمن إلا بعد خروج حيدر من صنعاء إلى زبيد .

ولما بلغ الامام المؤيد بالله الخبر بوصول قانصوه ، بعث ولده يحيى إلى أبى عريش من طريق جبل رازح . وكتب إلى قبائل صَعْدة بالمسير معه . فساروا إلى أطراف حبل[1] مما يلى تهامة ، فاستقروا فيه خوفا من خيل الأروام أن تأخذهم فى تهامة . ولما نهض قانصوه من أبى عريش إلى زبيد هبط أصحاب الامام إلى أبى عريش ، وجاءهم خبر أن جماعة من الأروام وصلوا إلى ساحل جازان فى سفينتين وغرابين ، فقدم نحوهم الإمام السيد الهادى بن صلاح بطائفة من الجند ، وعقبه بالسيد صلاح بن أحمد بن المهدى المؤيدى ، فانهزم الأروام وولوا مدبرين .

ولما وصل قانصوه إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، قتل الفقيه أحمد بن جعفر الصوفى ظلما ، بسبب أنه طلب منه تحصيل خمسمائة حمل من الطعام ، فقال له الفقيه أحمد « هذا المطلب لا يمكن تحصيله لأن الناس متفرقون فى الجبال » . ثم تقدم قانصوه إلى زبيد ، فبعث جماعة من عسكره لقبض الباشا عبدين من المخا ، فقبضوه ووصلوا به تحت حفظ ،

---

(١) حبل ، بضم أوله وفتح ثانيه ، موضع فى أرض السراة فى بلدة ... (الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢١)

فقتله قانصوه . وقدم طائفة من خيله ورجله إلى حَيْس ، وكان الحسن ابن الإمام فى إبّ ذلك الأوان ، فانتقل إلى تعز ، وكتب إلى أخيه الحسين وهو فى صنعاء أن يتوجه إلى وَصَاب ففعل . ولما وصل الحسين إلى وَصَاب بلغه أن الأروام قاصدون إلى تعز ، فتقدم إلى إبّ ومنه إلى تعز ، واجتمع بأخيه الحسن ، وتحرك قانصوه إلى حَيْس فاستقر فيه . وقدم الكيخيا يوسف إلى نجد المحرّب[1] من بلاد شرعب[2] لما كان الحسن قد سدّ عليهم سائر الطرق إلى تعز ، كوادى حاجر وغيره .

فخرج أولاد الإمام لمحاربة الكيخيا يوسف ، فوجداه قد ملأ الجبال والوهاد بالخيول والأجناد ، فباشراه بالحرب ، وأصدقا فى أصحابه الطعن والضرب . ومنحهما الله الصبر ، فاستوليا على محطة الكيخيا ، وقتلا منهم قتلا ذريعا . وانهزم الكيخيا فى خمسمائة فارس ، فتبعه الحسن . وقتل عدة ممن تثاقل عن السير ، ثم رجع إلى تعز . وأما الحسين فلبث أياما يسيرة فى تعز ، ثم رجع إلى صنعاء . وبعد هذه الوقعة انعقد الصلح بين الإمام وقانصوه مدة سنة كاملة .

وفى هذه المدة أظهر الشيخ إبراهيم المَوْرى الميل إلى الإمام المؤيد بالله ، واستدعى أميراً من أصحابه ، فبعث إليه الإمام الشريف محمد بن ناصر الحزى ، والشيخ أحمد ابن ناصر بن فتح الله المحبشى ، وجماعة من العسكر . فلما وصلوا قريب مَوْر ، خرج إليهم الشيخ المذكور ، وأظهر الغدر ، واستصرخ عليهم جماعة من فرسان الأروام . وكانوا فى بيت الفقيه وخلفهم أهل الواعظات من ورائهم ، فقتل الشيخ أحمد بن ناصر المحبشى وجماعة من أصحابه ، وأسر بعضهم .

وفى هذه السنة خرّ نجم من السماء ثم انفلق أثلاثا ، فوقع ثلثه فى غولى وثلث

---

(١) فى المتن نجد المحيرب ، وفى صفة جزيرة العرب للهمدانى (ص ١٠٠) نجد المحرب من بلاد شرعب .

(٢) شرعب ، بفتح أوله ، مخلاف باليمن تنسب اليه البرود الشرعبية (ياقوت : معجم البلدان)

فى مغربة لماس[1] وثلث فى سوق الثلوث[2] . وسمع أهل تلك الناحيه عند سقوطه هدّة عظيمة ، ووجدوا حجارة لا تشبه أحجار الدنيا . فسبحان الرب الحكيم .

ودخلت سنة — ١٠٤٠ —

فى ربيع الأول منها كانت وفاة الحسين بن عبد الرب ، رحمه الله تعالى ، فى مدينة تعز .

وفيها وقع اختلاف بين الأمير عبد القادر صاحب عدن وأحمد بن سعفل صاحب يافع ، فأفسد ابن سعفل طريق عدن ، وكاتب إلى قانصوه . ومال إلى رأيه أهل يافع . فكتب الحسن بن الإمام إلى الأمير عبد القادر يحرضه على الاحتفاظ بعدن ، ووجه إلى يافع السيد الهادى بن على الشامى ، فواجه إليه بعضهم ، وانهزم ابن سعفل من محله . وأما أخوه جعفر بن سعفل فوصل إلى الحسن ابن الإمام فأكرمه غاية الاكرام ، وأقامه مقام أخيه أحمد . وتقدم معه الحسن ابن الإمام بنفسه إلى تلك الجهة ، فقرر أموره ، وضم إليه السيد الهادى الشامى ، ثم رجع إلى إبّ . ولم يزل أحمد بن سعفل يكرر الغارات على أخيه جعفر ، فأمده الحسن بعسكر كثير ، ولم يزل الحرب بينهما سجالا حتى دخل أحمد بن سعفل تحت الطاعة ، وصاح بأمان السبيل .

وفى هذه المدة مات يحيى بن المؤيد ـ رحمه الله ـ فى جهة تهامة ، وحمل إلى اللجب فدفن هنالك .

وفيها وقع اختلاف عظيم وشقاق جسيم بين الأروام الذين فى زبيد ، وكان الباشا قانصوه يومئذ فى المَخاَ ، فرجع إلى زبيد وقتل الأمير سليم .

وفيها وصل كتاب إلى الإمام المؤيد بالله من باشا الحسا يشتمل على الترهيب

(١) كذا فى المتن ، وفى صفة جزيرة العرب للهمدانى (ص ١٧٨) لماص بالصاد ، وهى ناحية بين البحرين واليمامة لطىء.
(٢) الثلوث : موضع من لاعة جنوب لواء حجة ، وفى سوق الثلوث يجتمع بعض الأودية . (الويسى : اليمن الكبرى ، ص ١٠١ ـ ١٠٤)

والترغيب فى موادعة السلطان صاحب الروم ، وترك محاربة عماله على اليمن . فأجاب عليه الإمام بجواب ـ مجمل مضمونه ـ أن الباعث على محاربة نواب السلطان ظهور ماظهر منهم من الجوْر والفساد ، ومخالفة رب العباد .

وفيها نهض الحسن ابن أمير المؤمنين من تعز لزيارة أخيه الإمام المؤيد بالله ، وسار بمسيرة أخيه أحمد ابن أمير المؤمنين ، فاتفقا به فى أقر من أعمال شَهَارة . وبعد أن لبث الحسن فى حضرة الأمام أياما يسيرة ، رجع إلى حبور ، ثم توجه منه إلى العراس . ثم اجتمع بأخيه الحسين ، وتوجها إلى كوكبان ، فتزوج الحسن بالشريفة الكاملة زكية بنت عبد الرب بن على ، وكانت قبل ذلك تحت السيد الحسن بن حميد الدين بن المطهر ، وهذا بعد وفاة أبيها فى تعز . وقد كان الأمير الناصر بن عبد الوهاب قائما مقام والده فى أعمال بلاده . وأما والده على بن شمس الدين فقد كان فى هذا الأوان بلغ سن الشيخوخة . ولما انقضت أيام الوليمة ، نهض الحسين إلى بيت ردم فعمره . وتوجه الحسن إلى جبل تيس ، وخرج منه إلى الخيمة ومنها إلى صوران ، فوجده جبلا واسعاً ، ومعقلا مرتعاً مانعاً ، وفيه آثار قديمة ، فترجح له عمارتها واتخاذه دار وطن ، لتوسطه فى قطر اليمن . وكتب إلى أخيه الحسين يطلب منه الوصول إليه للمفاوضة فيما عزم عليه ، فاستحسن ذلك الحسين ، وهيأ أخاه على عمارته ، ثم رجع الحسين إلى صنعاء . وقام الحسن على عمله ، وتردد فى الجهة الآنسية ، وغرس فى أودية منها شجرة البُن .

وفى هذه السنة ظهرت نار فى أحد جبال أوسه[1] ، واتصلت بجبل آخر هناك ، واصطدم الجبلان ، فسمع أهل تلك الناحية عند ذلك أصواتا عالية ، وانهدم بعض أوسه ، وهلك من أهلها قدر خمسة آلاف نفس ، ومواشٍ كثيرة ، واستمرت تلك النار أياما ، فسبحان من طمّ السطوات ، المخوف بالآيات .

---

(١) ذكر ياقوت أن أوس اسم موضع . (معجم البلدان) .

ودخلت سنة — ١٠٤١ —

فيها اجتمع قوم من عسكر الروم يعرفون بأصباحية ، وقدرهم ألف نفر ، على العزم من تهامة إلى الشام . وخرجوا من بنادر تهامة إلى جازان ، وكان فيه عامل من قبل الامام المؤيد بالله ، وهو السيد هادى بن صلاح النعمى ، فانتقل عنه . ولما دخلوا إليه انتهبوه ، وأحرقوا بعضه ، وتقدموا إلى مكة ، فدخلوها قهراً .

ودخلت سنة — ١٠٤٢ —

فيها سار الحسنان إلى بلاد خُبّان وجهاتها ، وأرادوا دخول يافع فنهاهما الامام ، فرجع الحسن إلى ضوران[1] والحسين إلى صنعاء . وبعد أيام وصل الحسن إلى صنعاء وخرج الحسين إلى ضوران ، فاستقر فيه بأهله ، وأضرب عن سكون شهارة . وأقبل على القراءة والتأليف ، وفى نفسه ما فيها من قبض الامام لبلاد الحيمة ، بعد أن كانت إليه .

وفيها جهز نائب السلطان على مصر قدر ثلاثة آلاف نفر من عسكر مصر ، مع الأمير قاسم ، للقبض على الأصباحية الذين عاثوا فى مكة ، فانضم العسكر المصرى إلى أمير مكة ، وهو الشريف زيد بن محسن ، فقتلوهم جميعاً ، وقويت شوكة الشريف زيد ، وجددت له ولاية على مكة .

ودخلت سنة — ١٠٤٣ —

فيها تعاظم الجور على أهل تهامة من الأروام ، ففزع أهلها إلى الامام ، واستعانوا به من الشدائد الجسام ، فجمع العساكر ، وبذل الذخائر ، وجعل قائد تلك الجيوش الجرارة والعساكر المختارة أخاه السيف المنتضى[2] ، والأسد الذى مرامه فريسة إلا نال

(١) ضوران : قلعة باليمن فى سراة ألهان .
(الهمدانى صفة جزيرة العرب ، ص ٦٨)
(٢) انتضى السيف : أخرجه من غمده . (المعجم الوسيط) .

منها غرضاً ، شرف الإسلام ، الحسن ابن الإمام عليه السلام . فكان خروجه من صنعاء إلى ضوران فى شهر رجب ، ومسيره منه إلى تهامه فى شهر شعبان من هذه السنة . فأول مااستفتح بيت الفقيه الزيدية ، ثم حَيْس على يدى الشيخ على بن شمسان والأمير رجب ، بعد أن خرج عليهما الأمير حسين الكاشف بعصابة من الأروام . ووقع حرب شديد ، انكشف عن قتل الكاشف فى عدة من أصحابه ، واجتزت رءوسهم . وكان استقرار الحسن فى الحى خارج زبيد ، وعمّره حتى صار كالمدينة ، تجلب إليه البضائع الواسعة ويقصده التجار من الأقطار الشاسعة .

وتتابعت إلى الحسن الأجناد من جميع البلاد ، فمن الواصلين إليه بأمر الإمام ، الشريف هاشم بن حازم ، والشريف التقى بن ابراهيم ، بعساكر حجة ، وغيرهما ، حتى بلغت جيوشه إلى أربعين ألفاً . وجهز الإمام الناصر بن عبد الرب الأمير شمس الدين بن يحيي بعسكر كوكبان ، وكان شجاعاً مقداماً ، غير أنه أفن[1] الرأى ، لا معرفة له بتدبير الحروب . ولما وصل المصفرية[2] من بلاد الحجرية ، خيم هنالك فى مكان منخفض ، فأشار علية بعض أصحابه بالانتقال إلى موضع عالٍ ، يعرف منه الذاهب والآيب ، فلم يسعد إلى ذلك . وكان الأروام قد جعلوا فى مَوْزع[3] طائفة وافرة ، نحو مائة وخمسين فارساً وألف راجل ، قائدهم الأمير مصطفى . فما زال يترقب الفرصة ليهجم على محطة شمس الدين ، وكانوا قدر ألفى نفر . فلما كان يوم عيد الأضحى ، قصدهم بخيله ورجله ، فوافاهم على حين غفلة ، وقد اشتغلوا بإصلاح الغذاء ، فلم يشعروا إلاّ وقد خالطتهم العساكر ، وشهرت نحوهم البواتر ، فاستأسر بعضهم ، وفرّ آخرون ، وقتل البقية عن آخرهم ، وقتل قائدهم ، شمس الدين . وكانت وقعة عظيمة ، وفادحة جسيمة . وقد كان بلغ الحسين ابن الإمام خروج الأروام إلى مَوْزع ، فخشى على تعز ، وهو فى

---

(١) أفن الرجل افنا ، نقص عقله (المعجم الوسيط)

(٢) المصفرية : اسم موضع

(٣) موزع ، بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه ، موضع باليمن وهو المنزل السادس لحاج عدن . (ياقوت : معجم البلدان) .

ضوران ، فنهض مبادراً حتى استقر فى يفرس ، فناله بعض ألم ، فدخل تعز . ثم شفى ، فنهض إلى الحى واجتمع بأخيه الحسن . ولم تزل الحروب بينهم وبين من فى زبيد قائمة على ساق ، وسحائبها منهلة بالإرعاد والإبراق .

وفى هذه الأيام تقدم أحمد بن الإمام إلى ذِمَار ، لضبط البلاد ، وتأمين السبل من الدعار وأهل الفساد .

ودخلت سنة — ١٠٤٤ —

فيها خرجت طائفة من عسكر الأروام من زبيد ، لا يعلم أين قصدهم ، فتبعتهم جنود الحسنين فقتلوا منهم عدة ، وأخذوا بعض خيولهم .

وفيها كانت وقعة النخل ، وهى أن الأمير مصطفى لما عظم أمره بعد وقعة المصفرية ، لم يزل يختلف من زبيد إلى المخا لمشاورة قانصوه . فبلغ الحسن فى بعض الأيام وصول مصطفى من المخا إلى زبيد ، فقصده بنفسه ، وترك فى المحطة أخاه الحسين . فالتقوا فى النخل ليلا . فثبت مصطفى وأصحابه ثباتاً عظيما ، حتى كاد أصحاب الحسن ينهزموا ، فضربت النوبة فى محطة الحسن ، فاتهم الأروام أنها زيادة قد أقبلت إلى الحسن ، فانهزموا وقتل منهم طائفة . واستولى الحسن على ما معهم من الحمولة ، وهى قدر ثمانمائة حمل موقرة من الحب ، فحصل الارتفاق بها . ومن جملة المغانم الزيارط (الزيارات) ، والوضق الذى أخذه مصطفى على شمس الدين بن يحيى فى المصفرية . وبعد هذا طلب الأروام الصلح من الامام ، فأسعدهم إلى ذلك مقدار ثلاثة أشهر . فكان هذا الصلح من الألطاف الربانية ، فإنه أصاب أصحاب الحى بعد ذلك مرض عام ، فلم تنقض أيام الصلح إلا وقد شفى الأكثر ، ومات من وافوه أجله ، كيحيى بن الامام وأخيه يوسف ، رحمهما الله تعالى .

وفى هذه المدة خرج الشريف هاشم بن حازم مفارقاً لولدى الامام على جهة الخفية ، ولم يكن معه إلاّ خادمه . وكتب إلى الامام أن جميع ما معه فى المحطة من خيل وسلاح

وغيرها بيت مال ، يتصرف فيه الإمام كيف يريد . فحصل مع أصحابه — وهم قدر ألف رجل — أسف عليه ، إذ هو قائدهم . وكان من أهل الكمال والديانة والمعرفة والفطنة ، قرأ على الشيخ لطف الله فى مكة المشرفة ، وهو من بيت الرياسة . وخروجه من مكة لطلب العلم . ولما وصل صَبْيَا[1] ندم على فعله ، فرجع إلى حضرة الامام وهو فى أقر ، فاعتذر إليه فعذره ، وقابله بالاكرام ، وأرجعه إلى أخيه الحسن ، فلقاه فى موكب عظيم .

وفيها تقدم الباشا قانصوه من المخا إلى زبيد ، وشرع فى فعل حيلة ، وهى حفر خنادق بالقرب من سور زبيد ، وجعل فيها رجالا من الشجعان ، معهم الزيارط المشحونة بالحديد والرصاص . ثم قصدوا محطة الأمير سنبل وهو فى القُرية[2] ، فأثاروا الحرب ، فحمل عليهم الحسن بأصحابه . فلما قربوا منهم انهزموا ، فتبعهم الحسن حتى قربوا من الحفر ، فرماهم من فيها ، وقتل من أصحاب الحسن نحو السبعين ، وقتل من الأروام طائفة . وتعقبه حرب آخر قتل فيه من أعيان أصحاب الحسن ، السيد الهادى بن على الشامى ، رحمه الله تعالى.

ودخلت سنة — ١٠٤٥ —

فيها اشتد الحصار على زبيد ، ونفد ما فيه من الطعام ، فطلبوا الصلح من الإمام ، فأسعدهم على كره من أخويه ، لأن مدته سنة كاملة . فكان من تيسيرات الله أن ألقى فى قلب قانصوه الرعب ، فلم يشعر الحسنان إلا بوصوله إليهما فى ثمانية من أصحابه ، فأكرماه ، ولبث عندهما من شهر صفر إلى جمادى الاخرى. ثم توجه للعزم إلى مخدومه ، فأجزل الحسن عطاه ، وزوده بجميع ما يحتاجه للسفر ، ووجه معه السيد التقى بن إبراهيم

(١) صبيا : من قرى عشر من ناحية اليمن
(ياقوت : معجم البلدان)
(٢) القرية : بالضم ثم الفتح ، تصغير قرية ، من اشهر قرى اليمامة .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٢)

إلى عتود[1] . وكان فيما قاله للحسنين ما معناه : إن هذا القطر اليماني قد ملكتموه ، والسلطان إنما حمله على تملكه محبة الحرمين الشريفين ، فمهما تركتموها إليه لم يخرج إلى اليمن أحد بعدى .

ولما انفصل عن زبيد ، ثبت الأمير مصطفى فى ألف وخمسمائة إلى شهر شعبان من هذه السنة ، حتى ضاق ذرعه ، ثم طلب الخروج بأمان ، وطلب من أولاد الامام الاعانة على حمل أثقاله فأعانوه . وتوجه إلى المخا ، ثم ركب البحر . وأمر الحسن السيد محمد بن عامر لقبض المخا .

ورجع الحسين أمير المؤمنين إلى ضوران . ودخل أخوه الحسن إلى زبيد ، فأقام فيه شهر رمضان ، وجعل ولاية المخا إلى الفتى سعيد بن ريحان . ورفع عن أهل ذلك البندر كثيرا مما كان يأخذه منهم عمال السلطان ، وصلحت الأمور ، وانتظمت أحوال الجمهور .

وكانت وفاة سيدى الحسن بن أمير المؤمنين القسم بن محمد عليهما السلام يوم الجمعة مستهل شهر شوال سنة ١٠٤٨ ثمانى وأربعين وألف ، فى محروس ضوران المشهور من أعمال الجهة الآنسية ، رحمه الله ، وجزاه خيراً بحق محمد وآله .

* * *

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وافق الفراغ من زبر[2] هذا الكتاب المبارك آخر نهار الأحد السادس عشر من شهر رجب الإض[3] سنة ١١٧٩ .

ختمه الله بأحسن الخواتم المباركة ، آمين .

بخط أفقر العباد ، الراجى رحمة ربه وغفرانه يوم الميعاد، محسن بن مهدى بن حسين الحبى ، غفر الله له ، وسامحه بمنه وكرمه ، آمين .

---

(١) عتود : بكسر أوله وسكون ثانيه ، واد فى مخلاف عثر باليمن .
(الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٠)
(٢) زبر الكتاب ، كتبه أو أتقن كتابته ، فهو مزبور وزبور
(المعجم الوسيط)
(٣) الاض : الأصل (القاموس المحيط) .

كشافات الكتاب

تيسيرا للباحث ونظرا للصعاب التى واجهتنا فى تحقيق الأسماء المتشابهة ، فقد اتخذنا المنهج الآتى فى ترتيب المداخل :

١ — تجريد الأسماء من الألقاب والصفات .

٢ — ترتيب جميع المداخل ترتيبا هجائيا تحت الأسماء الشخصية فيما عدا المؤلفين فقد أدرجوا تحت اسم الشهرة كالمعتاد .

٣ — التمييز بين الأسماء المتشابهة بكتابة اللقب أو الوظيفة بين قوسين فى نهاية الاسم .

٤ — استخدمت الإحالات اللازمة لإرشاد الباحث إلى الاسم الشخصى ، فاستعملنا الإحالات من اسم الشهرة أو الكنية أو اللقب أو النسبة إلى الاسماء الشخصية ، كما أحيل من اسم القبيلة التى ينتسب إليها الحكام والملوك إلى اسمائهم الشخصية فحكام دولة بنى نجاح مثلا إحيلوا من اسم القبيلة وهو النجاحيون إلى الأسماء الشخصية مثل جياش وسعيد وفاتك[1] .

---

(١) قام باعداد هذا الكشاف الأستاذ صديق محمد عيسى موظف بقسم [illegible] جامعة القاهرة .

أولا : كشاف الأعلام

(١٠٨) غاية الأ

(ب)

(خ)

(د)

(ز)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ق)

(ن)

(هـ)

ثانياً — كشاف الأمم والشعوب

والفرق والقبائل

(ر)

(ز)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

ثالثاً ـــ كشاف الأماكن والبلدان

والمدن والمعالم الجغرافية

(ب)

ت

ح

خ

د

ذ

س

ص

(ض)

ط

غ

ك

ل

ى


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

GHĀYAT EL-AMĀNI FI AKHBĀR EL-KUTR EL-YEMĀNI

A Chronicle of the History of Yemen

By

Yahia Ibn El - Hussien

Edited with Introduction, Annotations and Indices

By

SAID Abd El-Fattah Ashour (PH.D.)

Professor of Mediaeval History

University of Cairo

Cairo 1968